(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ رمضان سنة ١٣٤٣ — برج الثور سنة ١٣٠٤ هـ ش ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٥

فاتحة المجلد السادس والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعالى أن جعلنا مسلمين ، من أمة محمد خاتم النبيين ، الذي أكمل به الدين ، وأتم نعمته على العالمين ، صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين

(أما بعد) فقد جرت عادتنا بافتتاح كل مجلد من مجلدات المنار بخطبة نلم فيها ببعض المهمات في العالم الاسلامي من غي وفساد ، وصلاح ورشاد ، وأرى أن أهم ماطرأ في هذا العام، اقدام الترك على نشر ترجمة للقرآن، وتصدي حكومتهم الجمهورية لنشرها ، لاجل أن تحل محل القرآن العربي الذي هو كلام الله تعالى — فرأيت أن افتتح المجلد السادس والعشرين بتحقيق الحق في هذه المسألة في نفسها ، وبيان الباعث عليها ، ثم أوالي البحث في أجزائه بسائر ما يتعلق بها ، كما فعلت في تحقيق الحق في مسألة الخلافة من جميع وجوهها ،(في المجلدين ٢٣ و٢٤) واكتفى في هذه الفاتحة الوجيزة بأن أذكر قراء المنار بما اطالبهم به في كل مجلد من ابلاغنا مايرونه منتقدا فيه ،ونسأله تعالى أن يوفقنا للصواب ويؤتينا الحكمة وفصل الخطاب

(محمد رشيد رضا)

﴿ فتنة الاستغناء عن كلام الله العربي المنزل ﴾

بترجمة أعجمية من كلام البشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ، تلك آياتُ الكِتابِ المبين * إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * (سورة يوسف ١٢ : ١ و ٢)

وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحدِثُ لهم ذكرا * (سورة طه ٢٠ : ١١٣)

ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً ، وهذا كتابٌ مصدّق لساناً عربياً لينذرَ الذين ظلموا وبشرى للمحسنين * (الاحقاف ٢٦ : ١٢)

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون * قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون * (سورة الزمر ٣٩ : ٢٦ و ٢٧)

حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربيا لقوم يعلمون * (سورة فصلت ٤١ : ١ — ٣)

حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربيا لعلكم تعقلون * وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم * (الزخرف ٤٣ : ١ — ٤)

وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق في الجنة وفريق في السعير (سورة الشورى ٤٢ : ٧)

وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وانه لفي زبر الاولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء إسرائيل * ولو نزلناه على بعض الاعجمين *

فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * (سورة الشعراء ٢٦ : ١٩٢ - ١٩٩

قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * (سورة النحل ١٦ : ١٠٢ و١٠٣

ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد * (سورة فصلت ٤١ : ٤٤)

وكذلك أنزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق * (سورة الرعد ١٣ : ٣٧)

(أما بعد) فهذه آيات محكمات هن ام الكتاب في هذا الباب ، تجاوزن جمع القلة الى جمع الكثرة وعدون اشارات الايجاز وحدود المساواة الى باحة الاطناب ، ينطقن بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل ، ولا تقبل التبديل ولا التحويل ، بأن الله تبارك وتعالى هو الذى أنزل هذا الكتاب الذى جعله آخر كتبه ، على خاتم أنبيائه ورسله ، قرآنا عربيا ، وانه هو الذي جعله قرآنا عربيا ، وانه هو الذي أوحاه قرآنا عربيا ، وانه هو الذى فصل آياته قرآنا عربيا ، وأن الروح الامين نزل به على قلب خاتم النبيين ، بلسان عربي مبين ، وأنه ضرب فيه للناس من كل مثل ، والمراد بالناس امة الدعوة من جميع الملل والنحل ، حال كونه قرآنا عربيا غير ذى عوج ، وانه أمر خاتم رسله أن ينذر به (أم القرى) ومن حولها من جميع الورى ، وانه على انزاله إياه قرآنا عربيا للانذار والذكرى ، والوعيد والبشرى ، لعلهم يعقلون ولعلهم يتقون أو يحدث لهم

ذكرا ، أنزله حكما عربيا ، وأمر من أنزله عليه أن يحكم بين جميع الناس بما أراه الله فيه من الحق والعدل ، الذي جعله فيه حقا مشاعا لاهوادة فيه ولا محاباة لقرابة ولا قوة ولا فضل ، فقال (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) اقرأ الآيات (من سورة النساء ٤ : ١٠٤ — ١١٤) بطولها ، وراجع سبب نزولها ، فعلم من هذه الآيات المحكمة أن القرآن هداية دينية عربية ، وانه حكومة دينية مدنية عربية ، عربية اللسان ، عامة لجميع شعوب نوع الانسان ،

وصلوات الله وتحياته المباركة الطيبة على محمد النبي العربي الامين ، الذي جعله سيد ولد آدم وفضله على جميع النبيين والمرسلين ، باكمال دينه بلسانه وعلى لسانه وارساله لجميع العالمين ، وجعل هداية رسالته باقية الى يوم الدين ، بقوله عمت رحمته (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * ٢١ : ١٠٦ وقوله تبارك اسمه (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً * ٢٥ : ١ — وقوله تعالى جده (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ٣٤ : ٣٨ وقوله جل جلاله (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ٣٣ : ٤٠ وقوله عم نواله فيما أنزله عليه في حجة لوداع يوم الحج الاكبر (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا — ٥ : ٤

وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه دعوة ربه كما أمر ، فبدأ بأم القرى ثم بما حولها من جزيرة العرب وشعوب العجم ، باللسان العربي الذي قضى الله ان يوحد به ألسنة جميع الامم ، فيجعلهم أمة واحدة بالعقائد والعبادات والآداب والشرع واللغة ، ليكونوا بنعمته إخوانا لا مثار بينهم للعداوات

التي تفرق بين الناس بعصبيات الأنساب والاقوام والاوطان والالسنة، فكتب (ص) كتبه الى قيصر الروم وكسرى الفرس ومقوقس مصر بلغة الاسلام العربية ككتبه الى ملوك العرب وأمرائهم ، وبلغ أصحابه ما أمر الله به أمته من تعميم الدعوة ، وبشرهم بأن نورها سينتشر ما بين المشرق والمغرب، فصدع الصحابة والتابعون لهديهم ، وجميع دول الاسلام من بعدهم ، بما أمروا به من نشر هذا الدين بلغته ، في كلا قسمي شريعته، عباداته وحكومته،

فكان الاسلام ينتشر في شعوب الاعاجم من قارات الارض الثلاث (آسية وافريقية وأوربة) بلغته العربية، فيقبل الداخلون فيه على تعلم هذه اللغة بباعث العقيدة، وضرورة اقامة الفريضة ، ولاسيما فريضة الصلاة التي هي عماد الدين ، وأعظم أركانه بعد التصريح بالشهادتين اللتين هما عنوان الدخول فيه، على انهما من أعمال الصلاة أيضا ، فكان تعلم العربية من ضروريات الاسلام، عند جميع تلك الشعوب والاقوام، بالاجماع العلمي العملي، التعبدي والسياسي الا ما كان من تقصير دولة الترك العثمانيين، بعدم جعل العربية لغة رسمية للدواوين ، كسلفهم من السلجوقيين والبويهيين ، حتى بعد تنحلهم للخلافة الاسلامية ، ورفع ألويتهم على مهد الاسلام من البلاد الحجازية ، فآل ذلك إلى التعارض والتعادي بين العصبية التركية اللغوية ورابطة الاسلام ، فالتفرق والتقاتل بين الترك والعرب فإلغاء الخلافة العثمانية فاسقاط دولة آل عثمان ، وتأليف جمهورية تركية العصبية والتربية والتعليم، أوربية العادات والتقنين والتشريع، وإبطال ما كان في الدولة من المصالح الاسلامية ، كمشيخة الاسلام والاوقاف والمدارس الدينية والمحاكم الشرعية ، وصرحوا بأن حكومتهم هذه مدنية لا دينية، وانهم فصلوا بين الدين والدولة فصلا باتا كما فعلت الشعوب الافرنجية ،

على أنهم لما وضعوا قانون هذه الجمهورية قبل التجرؤ على كل ما ذكر، وضعوا في مواده أن الدين الرسمي للدولة هو الاسلام، مراعاة للشعب التركي المسلم، كما وضعوا فيه موادأخرى تنافي الاسلام من استقلال المجلس الوطني المنتخب بالتشريع بلا قيد ولا شرط، ومن اباحة الردة واستحلال ما حرم الشرع، وظهر أثر ذلك بالقول والفعل، كالطعن الصريح في الدين والاستهزاء به حتى في الصحف العامة، وكاباحة الزنا والسكر للمسلمين والمسلمات، وبروز النساء التركيات في مشاهد الفسق ومحافل الرقص كاسيات عاريات، مائلات مميلات، — الى غير ذلك من منافيات الدين،

ولكن هذا كله لم يروغليل العصبية اللغوية التورانية، ولم يذهب بحقدها على الرابطة الاسلامية وآدابها الدينية العربية، بل كان من كيدها لها السعي لازالة كل ماهو عربي من نفس الشعب التركي ولسانه وعقله ووجدانه، ليسهل عليهم سله من الاسلام بمعونة التربية الجديدة والتعليم العام، بل عمدوا الى هذه الشجرة الطيبة الثابت أصلها، الراسخ في أرض الحق والعدل والفضل عرقها، الممتد في أعالي السماء فرعها، التي تؤتي أكلها كل حين باذن ربها، عمدوا اليها لاجتثاث أصلها، واقتلاع جذرها، بعد ما كان من التحاء عودها، وامتلاخ أملودها، وخضد شوكتها، وعضد خصلتها، بعد أن نعموا بضعة قرون بثمرتها، وانما تلك الشجرة الطيبة هي القرآن الكريم الحكيم المجيد العربي المبين، هي الزيتونة المباركة الموصوفة بأنها لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار الايمان بحرارتها اشتعل نوراً على نور (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم)

وانما أعني بقطع هذه الشجرة المباركة من أرض الشعب التركي محاولة

حرمانه منه ، ذلك بأنهم ترجموا القرآن بالتركية لا ليفهمه الترك ، فان تفاسيره بلغتهم كثيرة ، وكان من مقاصد ابطال المدارس الدينية ابطال دراستها ، وحظر مدارسة كتب السنة وكتب الفقه ونحوها ، لأنها مشحونة بآيات القرآن العربية ، وبالاحاديث النبوية العربية ، وبآثار السلف الصالح العربية ، وبالحكم والامثال وشواهد اللغة العربية ، وهم يريدون محو كل ما هو عربي من اللغة التركية ، ومن أنفس الامة التركية ، حتى انهم ألفوا جمعية خاصة لما عبروا عنه « بتطهير اللغة التركية » من اللغة العربية ، واقترح بعضهم كتابة لغتهم بالحروف اللاتينية ، واذا طال أمد تغوذ الملاحدة في هذا الشعب الاسلامي الكريم فانهم سينفذون هذا الاقتراح قطعا كما نفذوا غيره حتى استبدال قرآن تركي بالقرآن الذي نزل به الروح الامين ، على قلب خاتم النبيين ، بلسان عربي مبين ، المتعبد بألفاظه العربية باجماع المسلمين ، والمعجز ببلاغته العربية لجميع العالمين ، وكونه حجة الله تعالى عليهم الى يوم الدين .

***

أرأيت أيها القارئ هذا الخطب العظيم ؟ أرأيت هذا البلاء المبين ؟ أرأيت هذه الجرأة على رب العالمين ؟ أرأيت هذه الصدمة لدين الله القويم ؟ أرأيت هذا الشنآن والاحتقار لاجماع المسلمين ؟ ورفض ما جروا عليه مدة ثلاثة عشر قرنا ونصف ؟ ثم أرأيت بعد هذا كله ما كان من تأثير ذلك في مصر اعرق بلاد الاسلام في الفنون العربية ، والعلوم الاسلامية ؟

لقد كان من تأثير ذلك ما هو اقوى البراهين ، على فوضى العلم والدين ، واختلال المنطق وفساد التعليم ، والجهل الفاضح بضروريات الاسلام

وشؤون المسلمين، لقد كان أثر ذلك الجدال والمراء، وتعارض الآراء والأهواء وتأييد الصحائف المنشرة، بمثل ما شوهوها به في مسألة الخلافة، وقد كان يجب ان تكون مسألة القرآن أبعد عن أهواء الخلاف، للنصوص الكثيرة الصريحة فيها، وإجماع السلف والخلف بالعلم والعمل عليها، وعدم شذوذ أصحاب المذاهب والفرق حتى المبتدعة عنها، فقد كثر الخلاف والتفرق فى الدين، وتعددت الاحزاب والشيع فى المسلمين، على ماورد في النهي عن ذلك والوعيد عليه في الآيات الصريحة، والاحاديث الصحيحة، وارتد بعض الفرق عن الدين، مع ادعائه بضروب من فاسد التأويل، وسخافات من أباطيل التحريف، كما فعل زنادقة الباطنية وغيرهم، قبل أن يقووا ويصرحوا بكفرهم، ولم تقم فرقة تنتمي إلى الاسلام بترجمة القرآن، ولا ضلت طائفة بترجمة أذكار الصلاة والأذان، لأجل الاستغناء بها في التعبد لله، عن اللفظ المنزل من عند الله، وإنما قصارى ماوقع من الخلاف فيما حول ذلك من فروع المسألة، ومن تصوير الفقهاء للوقائع النادرة، أنه اذا أسلم أعجمي مثلا وأردنا تعليمه الصلاة فلم يستطع لسانه أن ينطق بألفاظ الفاتحة فهل يصلي بمعانيها من لغته، أم يستبدل بها بعض الاذكار العربية المأثورة موقتا ريثما يتعلم القرآن كما ورد فى بعض الأحاديث، أم يصلي بترجمة الفاتحة بلغته؟ نقل الثاني عن أبي حنيفة وحده مع مخالفة جميع أصحابه له ونقل عنه أنه رجع عنه الى الاجماع، ولم ينقل عن أحد من المسلمين أنه عمل به (على أنه لا حجة في عمل أحد ولا فى قوله غير المعصوم) فكان هذا الاجماع العام المطلق مما يؤيد حفظ الله تعالى للقرآن اراد ملاحدة الترك ان يبطلوه فى هذا الزمان (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل

رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون *
(سورة الصف ٦١ : ٩ و ١٠)

نشرت الصحف مقالات كثيرة فى مسألة ترجمة القرآن رأيت أقلها وذكر لي ملخص بعض دون بعض فعلمت مما قرات وسمعت ان اكثر ما كتب - ان لم يكن كله - كان اصحابه بمعزل عن شر البدع التي طرأت فى هذه الايام ، ولم يتجرأ عليها مبتدع آخر منذ ظهر الاسلام ، وهو الاتيان بقرآن أعجمي مترجم يستغني به اهل تلك اللغة عن القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى بحيث لا كسب الرسول المنزل عليه فيه ، ولم يكلف إلا تبليغه كما أنزل اليه بحروفه لا مجرد معانيه ، حتى انه صلوات الله وسلامه عليه كان يخاف أن يفوته شيء عند تلقيه من الروح الأمين ، فآمنه الله تعالى من ذلك بمثل قوله من سورة الاعلى ٨٧ (سنقرئك فلا تنسى) * وقوله من سورة القيامة ٨٥ : ١٦ - ١٩ (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه)*

ثم قد ترك هؤلاء الكاتبون كلهم مكافحة شر بدعة ابتدعت في الاسلام ، وأرهفوا أسنة أقلامهم للجدال في أصل مسألة الترجمة التي حدثت منذ أجيال ،

فقد ترجم القرآن لغير المسلمين بعض الذين تعلموا اللغة العربية منهم كالمستشرقين من الافرنج لغرضين (أحدهما) العلماء وهو العلم بما فيه لذاته ، كدأبهم فى البحث عن كل علم ودين فى العالم ، (وثانيهما) لدعاة الدين (المبشرين) وهو الاستعانة بها على الطعن فيه . وهم متفاوتون في تراجمهم فمنهم من ضل عن كثير من المعاني حتى الواضحة ضلالا قريبا في بعض وضلالا بعيدا في بعض آخر ، كمن ترجم قوله تعالى (والعصر ان

الانسان لفي خسر) بان جميع البشر يكونون بعد الزوال او قبيل غروب الشمس بزهاء ثلاث ساعات في حال رديئة وخسران! ومنهم من سدد وقارب في ترجمته إذ وضح بعض الآيات بتعليق يعترف به باستحالة الترجمة الحرفية بلغته

وأما المسلمون من العجم الذين خالفوا سنة أمثالهم من السلف فيما كانوا يتقنون من دراسة اللغة العربية لاجل فهم الكتاب والسنة، وتعصبوا للغاتهم واعتمدوا في فهم النصوص على الترجمة، فكانوا يقرءون التفاسير العربية حتى الدقيقة التعبير منها كتفسير البيضاوي ويترجمونها بلغاتهم لطلبة العلوم، وما زالوا كذلك، ومنهم من كتب تفسير الفاتحة وتفسير بعض سور الجزئين الاخيرين بالفارسية، لكثرة تلاوتها في الصلوات، فأحبوا أن يفهمها التالون لها، فعل ذلك الشيخ محمد بن محمود الحافظي البخاري المتوفى سنة ٧٣٢ ويسمى كتابه هذا (تفسير خواجه محمد پارسا) ومنهم من فسر القرآن كله تفسيراً مختصرا كالشيخ حسن بن علي الكاشفي الواعظ المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ كتبه بالفارسية وترجمه بالتركية أبو الفضل محمد بن ادريس البدليسي المتوفى سنة ٩٨٢ وهنالك تفاسير أخرى وحواش على بعض التفاسير المشهورة باللغتين وغيرهما

وقد طبعت في هذا العصر مصاحف في الهند طبع بين سطورها العربية، ترجمة حرفية للالفاظ باللغة الاوردية، للاستعانة بها على الفهم الاجمالي، ولم يترجمه مسلمو الهند بلغتهم ترجمة مستقلة تطبع وتقرأ تعبدا بدلا من القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى كما فعل الترك في هذه الايام

نعم ترجمه بعض مسيحيي مسلمي الهند من مبتدعة القاديانية في هذه السنين الاخيرة باللغة الانكليزية ترجمة يقولون إنها أصح من جميع التراجم

الانكليزية - وطبعوها مع القرآن العربي المنزل - لكنهم أدخلوا بدعتهم فيها كما نقل الينا المطلعون عليها من المسلمين، ولذلك لم يأذن شيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية بنشرها فى القطر المصري كما بسطنا ذلك فى مقال آخر من المنار ،وكان هذا المنع هو السبب في إثارة الجدال والقيل والقال عندنا ، فان القاديانية في الهند والذين انتحلوا ضلالتهم بمصر - وهم قليلون - أنكروا ذلك على شيخ الازهر فشايعهم بعض الكاتبين ورد عليهم آخرون، ورأينا أن اكثر الكاتبين لا يعلمون أن الترجمة الانكليزية الجديدة هي لمسيحية الهند القاديانية الذين يزعمون أن زعيمهم (غلام أحمد القادياني)هو المسيح الذي ورد في الاحاديث نبأ نزوله قبيل قيام الساعة - وانه كان يوحى اليه من سخافات النثر والشعر ما يعدونه معجزة له وما هو الا سخرية لمن يعقل من أهل اللغة العربية ،وأن سورة الفاتحة تدل على مسيحيته وعلى عدم انقطاع الوحي ببعثة خاتم النبيين، وأنه نسخ فريضة الجهاد وما يتعلق بها من الاحكام خدمة للانكليز ؛ بل يزعمون أن الوحي لا يزال ينزل على خلفائه من بعده ، ألخ

كما رأينا هؤلاء الكاتبين لا يعلمون شيئاً يعتد به من أمر ملاحدة الترك وعداوتهم للغة العربية وأهلها بغضا في الاسلام - وأنهم يريدون تحويل الشعب التركي العريق فيه عنه - وأنهم ماترجموا القرآن الا ليتوسلوا به الى ذلك

فكل ما جاء به المجوزون للترجمة من غير الضالين ببدعة القاديانية المرتدين قد أيدهم وأيد ملاحدة الترك من حيث لا يدرون، ولو دروا لكانوا من أشد الناس انكاراً عليهم، فوقوعهم في فتنة تأييد المرتدين عن الاسلام يؤيد قول من عد معرفة الناس من الامور التي تعتبر في المفتي قاله الامام احمد وغيره

وقال المحقق ابن القيم في بيانه : ان معرفة الناس أصل عظيم يحتاج اليه المفتي والحاكم فان لم يكن فقيها فيه فقيها في الامر والنهي ثم يطبق أحدهما على الآخر والا كان ما يفسد أكثر مما يصلح . اه وهؤلاء الذين تصدوا للافتاء في هذه المسألة قد فقد أكثرهم الفقهين وأقلهم أحدهما

وأما النظريات التي استدلوا بها على جواز الترجمة بل على وجوبها كما صرح به بعضهم فاكثرها سخف وجهل فاضح ، والذي يستحق أن يبحث فيه منها هو مسألة الدعوة الى الاسلام ، وما يتعلق بها من أحكام ، وسنذكر من ذلك ما لعله لم يخطر لاحد من هؤلاء المفتين ببال

وانا لنعلم ان الترجمة الانكليزية التي أشرنا اليها لم يقصد بها ما يقصده ملاحدة الترك من ترجمتهم التركية فان القاديانية على بدعتهم التي أخرجتهم من جماعة المسلمين لا يبيحون التعبد بغير اللغة العربية بل قصدوا بها الدعوة الى الاسلام كما يفهمونه ، وقد نشر الخوجة كمال الدين الهندي مدير المجلة الاسلامية التي تصدر باللغة الانكليزية في لندن (اسلاميك ريو يو) لأجل الدعوة الى الاسلام خطابا يخبر فيه العالم الاسلامي بأنهم ترجموا القرآن بلسان الانكليز ويريدون طبعه ونشره مع الاصل (أي القرآن العربي كلام الله) ويطلب منهم المساعدة المالية على ذلك وعلى نشر المجلة ، وقد نشرناه وعوته في الجزء العاشر من المجلد السابع عشر (شوال سنة ١٣٣٢) للمنار (ص٧٩٣ — ٧٩٥) وعلقنا عليها تعليقة وجيزة نصحنا له فيها بأن لا يطبع ترجمة القرآن التي نوه بها إلا بعد عرضها على جماعة من كبراء العلماء في مصر أو الهند وإجازتهم إياها ، وعللنا ذلك بقولنا: فان رسالته هذه تدل على ضعفه في اللغة العربية فيخشى أن تكون ترجمته كثيرة الغلط كغيرها ، على ان ترجمة القرآن ترجمة تامة

تؤدي من التأثير والمعاني ماتؤديه عبارته العربية ضرب من المحال ، وحسب من يترجم القرآن للاجانب ان يأتيهم بتفسير مختصر سليم من الحشو ، وانما تقوم بذلك الجمعيات لا الافراد . اه

وكان من غرضنا عرض الترجمة على جماعة من كبار العلماء لفتح باب تحرير هذه المسألة، ثم علمنا ان خوجه كمال الدين ليس هو المترجم، ثم بلغنا أنه ترك المسيحية القاديانية الى الاسلام الخالص، وقد صرح في مصر بالبراءة منهم قولا وكتابة ولكنه لا يزال يعتمد على هذه الترجمة في الدعوة إلى الاسلام كالقاديانية، وقد سبق لنا كتابة أخرى في تعذر ترجمة القرآن على جميع البشر ومباحث أخرى فيها

وقد كثرت مطالبة الناس لنا بالكتابة في الموضوع من العلماء والفضلاء الذين اعتادوا من المنار القول الفصل ، والحز في المفصل ، على مايعلم بعضهم من سبقنا الى ذلك في مواضع من مجلدات المنار السابقة ، ومن اطلاع بعض من كتبوا في هذه الايام على ماكنا كتبناه من قبل ، وسماع بعضهم منا في ليالي رمضان ما أراه من خطأ وصواب في المسألة، وانما يبغي هؤلاء تفصيلا يدحض الشبهات ، ويجلي الحق بالحجج الناهضة من جميع الجهات، كما فعلنا في مسألة الخلافة العظمى ، وان ننشر ذلك في بعض الصحف المنتشرة لتذيع في الناس فوعدنا ، على اننا قد كنا ألممنا بذكر هذه المسألة في الجزء الاخير من المجلد الخامس والعشرين ، ووعدنا فيه بالعود الى الكتابة فيها بالتفصيل ، وقد كتبنا هذه العجالة قبل مراجعة ماكنا كتبنا ومراجعة ماحفظنا لدينا من قصاصات الصحف فيما كتبه أشهر الذين كتبوا في المسألة (ولعلنا نجد فيها من الحق مالم يوجد فيما وقفنا عليها من غيرها) فرأينا أن نجعلها مقدمة لما سنكتبه بعد من التفصيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

فتاوى المنار

﴿ أسئلة في مسألة الخلافة وأحكامها والخلفاء ﴾

(س١ — ١٧) من صاحب الامضاء في دهلي — الهند — بنصه وغلطه اللغوي

بسم الله الرحمن الرحيم

(ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) نحمده ونصلي على رسوله الكريم

﴿ استفتاء ﴾

ما تقول أيها العلماء الكرام والحاملون لواء الاسلام في سؤال مسطورات تحت

(١) هل حديث «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» صحيح أم لا ؟

(٢) هل يعمل به في زماننا أم لا ؟

(٣) ان قلتم لا فما دليل المنع من الكتاب والسنة ؟

(٤) ان كان الحديث صحيح فهل يعمل به في هذا الزمان وهل يكون نصب الامام واجبا في الملة المحمدية أم لا ؟

(٥) هل يشترط في الامام القرشية مطلقا أو ما أقاموا الدين ؟

(٦) ان لم توجد اقامة الدين في قريش (كما في بلادنا الهند) فهل يجوز ان يكون الامام من قوم آخرين أم لا ؟

(٧) ان تغافل أو تجاهل قريش أو عوام الناس ولم يعملوا بهذه السنة فأية طريقة تختار لاحياء هذه السنة والا فكيف ؟

(٨) جماعة بغير إمام أو خليفة هل لهم حكم الجماعة أم لا ؟

(٩) هل يكون الامام صاحب السياسة والقدرة أم بدونهما ؟

﴿ الاستفتاء الثانية ﴾

(١٠) هل كانت الزكاة تجمع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ان كانت تجمع ففيم كانت تصرف ؟

(١١) هل كانت تجمع على عهد الخلفاء الراشدين مثل ما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم — وكم يأخذ الخلفاء الراشدون لحوائج حياتهم من هذا يعني (الزكاة) وكيف كان استحقاقهم شرعا ؟ وكيف كانوا ينفقون إسرافا أم اقتصادا وهل كان المسلمون يحاسبون الخلفاء في ذلك الزمن أولا (أي في بيت المال أم من الزكاة)

(١٢) كيف يفعل صاحب الزكاة في زمننا هل يؤديها الى الامام الشرعي أو يقسمها بنفسه على الفقراء والمساكين كما قال الله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ

(١٣) في أي شيء يجب على الامام أن يصرف الزكاة وهل يصرف مستقلا بنفسه حيث يشاء أو بالشورى ؟

(١٤) كم يأخذ الامام الشرعي لنفقة نفسه وعياله وهل يأخذ مستقلا أو بالشورى ؟

(١٥) اذا اتهم الناس الامام بالجور في صرف الصدقة أو ثبت لهم أن الامام لا يصرف الزكاة حيث أمر الله بل يجمع فهل لهم أن يجبروه على وضع الحساب عندهم أولا ؟

(١٦) وان طلبوا منه المحاسبة فامتنع وغاظهم ذلك وأبى فما يفعلون ؟

(١٧) واذا كان الامام مخالفا لسيرة الخلفاء الراشدين المهديين في تصرفه وأيضا في القول والفعل فهل يصح ان يبقى اماما أولا ؟

(الحقيقة) ان واحد العالم المولوي في بلادنا (الهند — الدهلي) ادعى انه انه امام وخليفة الله وخلافته كخلافة الخلفاء الراشدين ومن لم يبايعه ومات بدون بيعته مات ميتة جاهلية ويحذر الناس ويخوف المسلمون بوعيد هذا الحديث «من مات وليس في عنقه بيعة الخ ويقول انه من لم يؤد الزكاة الي فلن يقبل الله زكاته واذا اعترض الناس عليه انه ليس بقرشي ولا صاحب السياسة والقدرة وانه لا يقدر أن يجري حدود الله لانه محكوم ككافة المسلمين في الهند وان الامام لا يصير الا بانتخاب المسلمين وكثرة رأيهم — أجاب ان السياسة والقرشية ليست بضروري فصار تنازعا وتخاصما واختلافا كثيرا بين المسلمين في هذه المسألة الامامة

فعليكم أيها العلماء الاسلام أن تبينوا بالدلائل الواضحة والبراهين القاطعة بالكتاب والسنة والكتب السير المعتبرة . بينوا بالدليل تؤجروا عند الجليل

(المحقق الهندي)

(المنار) نجيب عن هذه الاسئلة بالاجمال الموجز استغناء عن التفصيل في أكثرها بكتاب (الخلافة أو الامامة العظمى) الذي نشرنا فصوله في المنار ولان سببها إبطال ادعاء احد صعاليك الدجالين الخلافة في الهند وهو لا يحتاج الى كل هذه الاسئلة ولا الى التفصيل في أحكامها بل لولا عموم الجهل لم تحتج هذه الدعوى السخيفة الى سؤال ما إذ من المعروف ان الخلافة الصحيحة انما تنعقد بمبايعة أهل الحل والعقد من المسلمين لرجل مستجمع الشروط التي بينها العلماء في كتب العقائد وكتب الفقه ، وان خلافة التغلب تحصل بمبايعة أهل القوة والعصبية لأي رجل يؤيدونه وينفذون أحكامه ، — وكل من الامرين محال وقوعه في الهند وهي مقهورة تحت سلطان دولة أجنبية — وهذا المعتوه الذي ادعى الخلافة في الهند يظن بجهله أو عتهه أن دعوى الخلافة من مجنون مثله كافية لوجوب اتباعه ودفع أموال الزكاة وغيرها له يتمتع بها .

ولعل الذي أغراه بهذه الدعوى ما رآه من ادعاء الدجال غلام احمد القادياني النبوة والرسالة والوحي والمعجزات وانه مسيح الملة المحمدية فوجد من المارقين والجاهلين الذين وصفوا بأنهم « اتباع كل ناعق » من صدقه وصار له ولهم دين جديد كمسيحية النصارى بالنسبة الى شريعة التوراة ...

أما الجواب عن الاسئلة الاربعة الاولى فهي ان الحديث صحيح رواه مسلم عن ابن عمر مرفوعا - ويجب العمل به في كل زمان فنصب الامام واجب في الملة في هذا الزمان كغيره وجميع المسلمين آثمون بعدم نصب امام تجتمع كلمتهم عليه بقدر طاقتهم ومعاقبون عليه في الدنيا بما يعلمه أهل البصيرة منهم وسيعاقبون في الآخرة بما يعلمه الله تعالى وحده

وأما الجواب عن الثلاثة بعدها فهي ان النسب القرشي شرط في الامام الحق مطلقا باجماع أهل السنة والشيعة بل سبق اجماع الصحابة على ذلك ولا يعتد بمن خالفهم من الخوارج وغيرهم. وانما ورد في الصحيح أنه يجب ان يسمع لهم ويطاعوا ما أقاموا الدين اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والواجب على أهل الحل والعقد حمل من قصر منهم في اقامة الدين على ما يجب عليه من ذلك

وأما الجواب عن السؤال الثامن فهو ان الجماعة التي أمرنا باتباعها لا تسمى جماعة المسلمين الا اذا كان لها إمام بايعته باختيارها. ومما يدل على ذلك حديث حذيفة الذي رواه الجماعة كلهم وفي آخره أن النبي (ص) لما قال له « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » قال: فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال (ص) « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » فلم يأمره بالتزام طاعة أي فرقة من فرق المسلمين الذين ليس لهم جماعة ولا إمام يقيم الحق والقسط

وأما الجواب عن التاسع فهو ان امام المسلمين هو رئيس حكومتهم السياسية ويجب عليهم أن يكونوا قوة وشوكة له بمقتضى مبايعتهم له. وليس معنى قوة الامام أن تكون له قوة وعصبية قبل مبايعته وان يبايع لاجلها كما توهم الكثيرون فان هذا أصل فاسد مفسد للدين والدنيا اذ مقتضاه ان الحق للقوة فكل قوي يتبع ويطاع لقوته وان كان ظالما عاصيا لله تعالى ويقرعلى سلبه الحق من أهله الخ وقد وضحنا هذا في كتاب الخلافة

وأما الاسئلة المتعلقة بالزكاة فجوابها ان الزكاة كان لها عمال في عهد النبي (ص) والخلفاء الراشدين يجمعونها من الناس وكانت تصرف في مصارفها الثمانية المذكورة في قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ وللامام ان يصرف بنفسه وأن يعهد بالصرف الى غيره كما هو شأن كل رئيس حكومة أو مصلحة أو شركة ،

ما الشورى فانما يحتاج اليها في الوقائع والمسائل المشكلة التي ليس فيها نص رجح قطعي أو يتوقف تنفيذ النص فيها على الوجه المطلوب على بحث ففي مثل ما ذكر كان الخلفاء الراشدون يجمعون أهل العلم والرأي ويستشيرونهم ، وعلى البلاد التي ليس فيها حكومة إسلامية تنفذ احكام الشرع في الزكاة أن يدفعوا الصدقات لمستحقيها بأيديهم وفي مثل نجد واليمن يؤدونها للامام

وأما معاملة الخلفاء في نفقاتهم ومعاملاتهم فهي منوطة بأهل الحل والعقد من جماعة المسلمين وقد فرضوا للخليفة الاول ما يناسب حالة أمثاله في المعيشة من حيث هو رجل من أوساط المهاجرين لا أعلام ثروة كعثمان وعبد الرحمن بن عوف ولا أدناهم كعمار بن ياسر ، ويجد السائل ما يحتاج اليه من تفصيل لاحكام الامامة وأهل الحل والعقد في كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى)

الاحتيال على الربا بورق النقد

(س ١٨) من صاحب الامضاء

الى حضرة الاستاذ الكبير صاحب المنار المنير ادام الله فضله

ورق النقدي يباع ويشرا في الاسواق بقيمة غير محدودة فهل يجوز للانسان ان يبيع قسما من الورق النقدي متفقا مع المشتري في أسعار أكثر من أسعار السوق الحاضرة لمدة معينة أم لا ؟ نرجوكم أفتونا عنها ولكم من الله جزيل السلام كاتبه

ياسين السيد

(ج) سبق لنا تفصيل لاحكام الاوراق المالية (بنك نوت) فنكتفي هنا بأن نقول ان هذه الصورة المذكورة في هذا السؤال ليست صورة بيع وشراء بل هي صورة دين مؤجل بزيادة معينة في مقابلة الاجل وهو عقد ربوي ظاهر صريح ليس من قبيل الحيل التي اختلف فيها الفقهاء ، وأما اضطراب أسعار ما يسمى الورق السوري فسببه معروف وهو يشبه فيه نقد الفضة التركي كالريال المجيدي فاذا اختلف سعر الريال اذا صرف بغيره من نقد المعدن او الورق فهل يبيح ذلك اعطاء مائة ريال لرجل على ان يرد لمعطيها مائة وعشرة ريالات بعد أشهر او سنة مثلا ؟ وهل يسمى هذا بيعا ؟ لا . على ان بيع الربويات المختلفة الجنس التي يجوز فيها التفاضل يشترط فيها التقابض في المجلس والا كان من ربا الفضل الذي حرم لانه ذريعة لربا النساء المجمع على تحريمه

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائمين بها

(لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه)

وأما قول القائل : التوحيد لا لسان له والالسنة كلها لسانه — فهذا أيضا من قول أهل الوحدة وهو مع كفره قول متناقض فانه قد يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد وأن أقوال المشركين الذين قالوا (لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) والذين قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والذين قالوا (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا إعتراك بعض آلهتنا بسوء) والذين قالوا (حرقوه وانصروا آلهتكم) ونحو هؤلاء لسان هذا هو لسان التوحيد

وأما تناقض هذا القول على أصلهم فان الوجود ان كان واحداً كان إثبات التعدد تناقضا فاذا قال القائل : الوجود واحد وقال الآخر : ليس بواحد بل يتعدد ، كان هذان قولين متناقضين فيمتنع أن يكون أحدهما هو الآخر . وإذا قال قائل الالسنة كلها لسانه فقد صرح بالتعدد في قوله : الالسنة كلها وذلك يقتضي أن لا يكون هذا اللسان هو هذا اللسان فثبت التعدد وبطلت الوحدة . وكل كلام لهؤلاء ولغيرهم فانه ينقض قولهم فانهم مضطرون الى اثبات التعدد

فان قالوا : الوجود واحد بمعني أن الموجودات اشتركت في مسمى الوجود فهذا صحيح لكن الموجودات المشتركات في مسمى الواحد لا

يكون وجود هذا عين وجود هذا بل هذا اشتراك في الاسم العام الكلي كالاشتراك في الاسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ، ويقسمها المنطقيون الكلي الى جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام، فالاشتراك في هذه الاسماء هو مستلزم لتباين الاعيان وكون أحد المشتركين ليس هو الآخر وهذا مما به يعلم أن وجود الحق مباين للمخلوقات أعظم من مباينة هذا الموجود لهذا الموجود فاذا كان وجود الفلك مباينا مخالفا لوجود الذرة والبعوضة فوجود الحق تعالى أعظم مباينة لوجود كل مخلوق من مباينة وجود ذلك المخلوق لوجود مخلوق آخر .

وهذا وغيره مما يبين بطلان قول ذلك الشيخ حيث قال لا يعرف التوحيد الا الواحد وتصح العبارة عن التوحيد وذلك لا يعبر عنه الا بغير ومن أثبت غيراً فلا توحيد له — فان هذا الكلام مع كفره متناقض فان قوله: لا يعرف التوحيد الا واحد يقتضي أن هناك واحدا يعرفه وان غيره لا يعرفه هذا تفريق بين من يعرفه ومن لا يعرفه ، واثبات اثنين أحدهما يعرفه والآخر لا يعرفه اثبات للمغايرة بين من يعرفه ومن لا يعرفه، فقوله بعد هذا من أثبت غيرا فلا توحيد له، يناقض هذا. وقوله انه لا تصح العبارة عن التوحيد، كفر باجماع المسلمين، فان الله قد عبر عن توحيده ورسوله عبر عن توحيده والقرآن مملوء من ذكر التوحيد بل انما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد وقد قال تعالى(واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)وقال تعالى(وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون) ولو لم يكن عنه عبارة لما نطق به أحد وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «أفضل الذكر لا إله الا الله وأفضل الدعاء

الحمد لله » وقال من كان آخر كلامه لا آله الا الله دخل الجنة لكن التوحيد الذي يشير اليه هؤلاء الملاحدة وهو وحدة الوجود أمر ممتنع في نفسه لا يتصور تحققه في الخارج فان الوحدة العينية الشخصية تمتنع في الشيئين المتعددين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن الاسم الموجود اسم عام يتناول كل أحد كما أن اسم الجسم والانسان ونحوهما يتناول كل كل جسم وكل انسان وهذا الجسم ليس هو ذاك وهذا الانسان ليس هو ذاك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذاك

وقوله :لا يصح التعبير عنه الا بغير يقال له أولا ـ التعبير عن التوحيد يكون بالكلام والله يعبر عن التوحيد بكلام الله فكلام الله وعلمه وقدرته وغير ذلك من صفاته لا يطلق عليه عند السلف والائمة القول بانه الله ولا يطلق عليه بانه غير الله لان لفظ الغير قد يراد به ما يباين غيره وصفة الله لا تباينه، ويراد به مالم يكن اياه، وصفة الله ليست اياه فني أحد الاصطلاحين يقال انه غير وفي الاصطلاح الآخر لا يقال انه غير فلهذا لا يطلق أحدهما الا مقرونا ببيان المراد لئلا يقول المبتدع اذا كانت صفة الله غيره فكل ما كان غير الله فهو مخلوق فيتوسل بذلك الى أن يجعل علم الله وقدرته وكلامه ليس هو صفة قائمة به بل مخلوقة في غيره فان هذا فيه من تعطيل صفات الخالق وجحد كماله ما هو من أعظم الالحاد وهو قول الجهمية الذين كفرهم السلف والائمة تكفيرا مطلقا. وان كان الواحد المعين لا يكفر الا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها (١)

«١» يعني ان السلف كفروا الجهمية ببدعتهم في الالحاد بصفات الله وانكار كونها معاني وجودية قائمة بذاته وزعمهم أن كلامه أصوات خلقها في سمع موسى وغيره

وأيضا فيقال لهؤلاء الملاحدة ان لم يكن في الوجود غير بوجه من الوجوه لزم أن يكون كلام الخلق وأكلهم وشربهم ونكاحهم وزناهم وكفرهم وشركهم وكل ما يفعلونه من القبائح هو نفس وجود الله ومعلوم أن من جعل هذا صفة لله كان من أعظم الناس كفراً وضلالا فمن قال انه عين وجود الله كان أكفر وأضل فان الصفات والاعراض لا تكون عين الموجود القائم بنفسه وائمة هؤلاء الملاحدة كابن عربي يقول :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

فيجعلون كلام المخلوقين من الكفر والكذب وغير ذلك كلاما لله وأما هذا اللحيد(١) فزاد على هؤلاء بجعل كلامهم وعبادتهم نفس وجوده لم يجعل ذلك كلاما له بل يقال أن يكون (٢) هنا كلام له لئلا يثبت غيراً له

وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع وبالعلوم العقلية الضرورية إثبات غير الله تعالى وان كل ما سواه من المخلوقات فانه غير الله تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله ولهذا أنكر الله على من عبد غيره ولو لم يكن هناك غير لما صح الانكار قال تعالى (قل أفغير الله تامروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (قل أغير الله اتخذ وليا) وقال تعالى (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض) وقال تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) وكذلك قول القائل وجدت المحبة غير المقصود لانها لا تكون الا من غير لغير وغير ما ثم ، ووجدت التوحيد غير المقصود لان التوحيد ما يكون الا من عبد لرب لو أنصف

«١» كذا في الاصل فان لم يكن محرفا فهو تصغير لاحد ، وكيف يصغر الشيخ الاكبر ؟ «٢» كذا في الاصل فيحرر لفظا ومعنى

الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً — هو كلام فيه من الكفر والالحاد والتناقض ما لا يخفى فان الكتاب والسنة واجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له كقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله (يحبهم ويحبونه) وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله) وقوله (إن الله يحب المتقين * يحب المحسنين * يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » وقد أجمع سلف الامة وائمتها على اثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل امام الحنفاء عليه السلام . وأول من أظهر ذلك في الاسلام الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحى بواسط وقال : أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيرا . ثم نزل فذبحه

وقوله : المحبة ما تكون الا من غير لغير وغير ما ثم — كلام باطل من كل وجه فان قوله : لا يكون الا من غير ليس بصحيح فان الانسان يحب نفسه وليس غيراً لنفسه والله يحب نفسه ، وقوله ما ثم غير — باطل فان المخلوق غير الخالق والمؤمنون غير الله وهم يحبونه فالدعوى باطلة فكل واحدة من مقدمتي الحجة باطلة قوله : لا تكون الا من غير لغير ، وقوله : غير ما ثم فان الغير موجود والمحبة تكون من المحبوب لنفسه يحب نفسه

ولهذا كثير من الاتحادية يناقضه في هذا ويقول كما قال ابن القارض(١)

وكذلك قوله : التوحيد لا يكون الا من عبد لرب ولو انصف الناس ما رأوا عابداً ولا معبوداً — كلا المقدمتين باطل فان التوحيد يكون من الله لنفسه فانه يوحد نفسه بنفسه كما قال تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو) والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه فقد وحد نفسه بنفسه كقوله (والهكم اله واحد) وقوله (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد * فاعلم انه لا اله الا الله) وامثال ذلك. وأما الثانية فقوله : ان الناس لو انصفوا ما رأوا عابدا ولا معبوداً — مع انه غاية في الكفر والالحاد كلام متناقض فانه اذا لم يكن عابداً ولا معبوداً بل الكل واحد فمن هم الذين لا ينصفون؟ ان كانوا هم الله فيكون الله هو الذي لا ينصف وهو الذي يأكل ويشرب ويكفر كما يقول ذلك كثير منهم مثلما قال بعضهم لشيخه : الفقير اذا صح أكل بالله فقال له الآخر : الفقير اذا صح أكل الله وقد صرح ابن عربي وغيره من شيوخهم بانه هو الذي يجوع ويعطش ويمرض ويبول وينكح وينكح وأنه موصوف بكل نقص وعيب لان ذلك هو الكمال عندهم كما قال في الفصوص : فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الامور الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا للمسمى الله خاصة (وقال) ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم؟ الا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق فهي كلها من أولها الى آخرها صفات للعبد كما أن صفات العبد من أولها الى صفات لله تعالى

(١) لم يذكر عن ابن القارض هنا شيئا

هذا المتكلم بمثل هذا الكلام يتناقض فيه فانه يقال له فانت الكامل في نفسك الذي لا ترى عابداً ولا معبوداً يعاملك بموجب مذهبك فيضرب ويوجع ويهان ويصفع ويظلم فمن فعل به ذلك واشتكى أو صاح منه وبكى قيل له ما ثم غير ولا عابد ولا معبود فلم يفعل بك هذا غيرك بل الضارب هو المضروب والشاتم هو المشتوم والعابد هو المعبود فان قال تظلم من نفسه واشتكى من نفسه قيل له فقل أيضا عبد نفسه ، فاذا أثبت ظالما ومظلوما وهما واحد فأثبت عابداً ومعبوداً وهما واحد. ثم يقال له هذا الذي يضحك ويضرب هو نفس الذي يبكي ويصيح وهذا الذي شبع وروى هو نفس هذا الذي جاع وعطش فان اعترف بانه غيره أثبت المغايرة واذا أثبت المغايرة بين هذا وهذا فبين العابد والمعبود اولى واحرى وان قال هو هو عومل معاملة جنس السوفسطائية فان هذا القول من أقبح السفسطة فيقال فاذا كان هو هو فنحن نضربك ونقتلك والشيء قتل نفسه وأهلك نفسه . والانسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) لكون نفسه أمرته بالسوء والنفس امارة بالسوء لكن جهة أمرها ليست جهة فعلها بل لا بد من نوع تعدد اما في الذات واما في الصفات وكل أحد يعلم بالحس والاضطرار ان هذا الرجل الذي ظلم ذلك ليس هو اياه وليس هو بمنزلة الرجل الذي ظلم نفسه . واذا كان هذا في المخلوقين فالخالق أعظم مباينة للمخلوقين من هذا لهذا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ولولا أن اصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا وهم عند كثير من الناس سادات الانام ، ومشايخ الاسلام ، وأهل التوحيد والتحقيق

وأفضل أهل الطريق، حتى يفضلوهم على الانبياء والمرسلين، وأ كابر مشايخ الدين ، لم يكن بنا حاجة الى بيان فساد هـذه الاحوال ، وايضاح هذا الضلال ، ولكن يعلم بذلك أن الضلال لاحدله ، وانه اذا كررت العقول لم يبق لضلالها حدمعقول، فسبحان من فرق في نوع الانسان فجعل منه من هو أفضل العالمين ، وجعل منه من هو من شرار الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالانبياء والاولياء ، كتشبيه مسيلمة الكذاب ، بسيد اولي الالباب، هو الذي يوجب جهادهؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدنيا والدين

والمقصود هنا ردهذه الاقوال، وبيان الهدى من الضلال، وأما توبة من قالها ومونه على الاسلام، فهذا يرجع الى الملك العلام، فان الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ومن الممكنات انه قد تاب جل أصحاب هذه المقالات ، والله تعالى غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، والذنب وان عظم والكفر وان غلظ وجسم فان التوبة تمحو ذلك كله ، والله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب بل يغفر الشرك وغيره للتائبين كما قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وهذه الآية عامه مطلقة لانها للتائبين وأما قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فانها مقيدة خاصة لانها في حق غير التائبين لا يغفر لهم الشرك وما دون الشرك معلق بمشيئة الله تعالى

والحكاية المذكورة عن الذي قال انه التقم العالم كله وأراد أن يقول أنا الحق واختها التي قيل فيها ان الالهية لا يدعها إلا أجهل خلق الله وأعرف خلق الله — هو من هذا الباب والعقير . الذي قال ما خلق الله أقل عقلا

ممن ادعى انه اله مثل فرعون ونمرود وأمثالهما هو الذي نطق بالصواب ، وسدد الخطاب ، ولكن هؤلاء الملاحدة يعظمون فرعون وامثاله ويدعون أنهم (١) من موسى وامثاله حتى انه حدثني بهاء الدين عبد السيد الذي كان قاضي اليهود وأسلم وحسن اسلامه وكان قد اجتمع بالشيرازي أحد شيوخ هؤلاء ودعاه الى هذا القول وزينه له فحدثني بذلك فبينت له ضلال هؤلاء وكفرهم وان قولهم من جنس قول فرعون فقال لي انه لما دعاه حسن الشيرازي قال له: قولكم هذا يشبه قول فرعون، فقال نعم ونحن على قول فرعون ، وكان عبد السيد لم يسلم بعد فقال أنا لا أدع موسى وأذهب الى فرعون ، قال له ولم؟ قال لان موسى أغرق فرعون . فانقطع فاحتج عليه بالنصر القدري الذي نصر الله موسى لا بكونه كان رسولا صادقا. قلت لعبد السيد واقر لك انه على قول فرعون؟ قال نعم، قلت فمن سمع إقرار الخصم لا يحتاج الى بينة . أنا كنت اريد أن أبين لك أن قولهم هو قول فرعون فاذا كان قد أقر بهذا حصل المقصود

فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل وقد نبهنا على بعض ما به يعرف معناها وانه باطل والواجب إنكارها فان إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من انكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون لا سيما واقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) والنفاق إذا عظم كان صاحبه شرا من كفار أهل الكتاب،

(١) سقط من هنا كلمة اعرف أو أعلم أو أفضل

وكان في الدرك الاسفل من النار

وليس لهذه المقالات وجه سائغ ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحا فان ما يحمل عليها اذا لم يعرف مقصود صاحبها (١) وهؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود والنصاري والرافضة ولهم في ذلك كتب مصنفه وأشعار مؤلفة وكلام يفسر بعضه بعضا وقد علم مقصودهم بالضرورة، فلا ينازع في ذلك الا جاهل لا يلتفت اليه . ويجب بيان معناها وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها أو خيف عليه أن يحسن الظن بها وأن يضل، فان ضرر هذه على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون انها سموم، وأعظم من ضرر السراق والخونة الذين لا يعرفون انهم سراق وخونة، فان هؤلاء غاية ضررهم موت الانسان أو ذهاب ماله وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سببا لرحمته في الآخرة، وأما هؤلاء فيسقون الناس شراب الكفر والالحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين، في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين، فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمنا وليا لله فيصير منافقا عدوا لله . ولقد ضربت لهم مرة مثلا بقوم أخذوا طائفة من الحاج ليحجوا بهم فذهبوا بهم الى قبرص فقال لي بعض من كان قد انكشف له ضلالهم من اتباعهم: لو كانوا يذهبون بنا الى قبرص لكانوا يجعلوننا نصارى وهؤلاء يجعلوننا شرا من النصارى . والامر كما قاله هذا القائل

(١) المنار : في الكلام تحريف وسقط والمعنى المفهوم من القرينة انها — انما يصح ان تحمل على معنى صحيح تحتمله اللغة اذا لم يعرف مقصود صاحبها

وقد رأيت وسمعت ممن ظن هؤلاء من اولياء الله وان كلامهم كلام العارفين المحققين من هو من اهل الخير والدين مالا احصيهم فنهم من دخل في اتحادهم وفهمه وصار منهم، ومنهم من كان يؤمن بما لا يعلم، ويعظم مالا يفهم، ويصدق بالمجهولات، وهؤلاء هم أصلح الطوائف الضالين، وهم بمنزلة من يعظم اعداء الله ورسوله ولا يعلم انهم اعداء الله ورسوله، ويوالي المشركين واهل الكتاب، ظانا أنهم من اهل الايمان وأولي الالباب، وقد دخل بسبب هؤلاء الجهال المعظم يعين لهم من الشر على المسلمين، مالا يحصيه إلا رب العالمين، وهذا الجواب، لم يتسع لاكثر من هذا الخطاب، والله أعلم.

(انتهت الرسالة)

(المنار) ارسل الينا هذه الرسالة مع رسائل وفتاوى اخرى لشيخ الاسلام وناصر السنة الامام احمد تقي الدين بن تيميه قدس الله روحه اخونا في الله الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بهجة الاثري البغدادي بارشاد استاذه صفوة أصدقائنا علامة العراق ورحلة اهل الآفاق السيد محمود شكري الالوسي رحمه الله تعالى، وهي منقولة بقلم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد علي الفضيلي الزبيدي البغدادي عن نسخة كثيرة الغلط والتحريف والسقط قال انه اجتهد في تصحيحها ما استطاع. ونقول اننا اجتهدنا بعده فصححنا مما بقي من ذلك ما تيسر لنا ونبهنا على بعض مايتيسر في الحواشي ونحمد الله تعالى أن صار المراد منها كله مفهوما، فنسأله تعالى ان يثيب الجميع — المؤلف والناسخ والمرسل والمرشد والناشر بفضله وكرمه ٠؟

المقالات الجمالية

٤

﴿ نبذة من مناظرة خيالية للسيد جمال الدين ﴾

﴿ قال جامع هذه الطائفة من المقالات الجمالية بعد المقالة الثالثة ﴾

ثم انتقل (السيد) حفظه الله من لندن بعد نزوله بها بخمسة عشر يوما الى باريس عاصمة الفرنسيس وكان ذلك في شهر يناير سنة ١٨٨٣ عربية فتلقاه اهلها بالقبول والاقبال ولم يدعوه يأخذ راحته حتى التمس اصحاب جرائدها العربية من حضرته ان يطرز جرائدهم بشيء من غرره

وقد وقفنا له على فصل من ذلك في جريدة (ابو نظارة زرقاء) وكانت تفرغ الجد في قالب الهزل ولكنها لم تستوعب الفصل لضيق مجالها بل وعدت باستيفائه على التدريج في اعدادها التالية إلا اننا لم نقف لها على غير ذلك العدد لعسر الحصول عليها بسبب منع دخولها في البلاد التي نحن فيها وعلى ذلك أثرنا منها الشذرة التي تضمنها ذلك العدد من الفصل المذكور حرصا منا على التقاط فوائد استاذنا . قال متعنا الله بطول حياته

*

فقال صاحب المقالة إنكم قد ضللتم عن رشدكم ، وتهتم في بيداء غوايتكم ، وما يقوم لكم دليل في تقاعسكم عن العود عن أوطانكم ، ولقد غلب عليكم الجبن ، واستولى عليكم الضعف ، وأضعف جنانكم الخوف والخشية ، ألا ترون ان كل أمر صعب عند الشروع فيه ؟ أفلا تشعرون أن صعوبة المسالك بمقدار عظم المقاصد ؟ وان الراحة محفوفة بالمشاق ، وأن أفضل الاعمال أحزها[1] أفترضون بالعبودية للاجانب ،

(١) أحز الاعمال أمتنها اه من القاموس زاد في شرحه وقيل أمضها وأشقها

الاستكانة للابد ، وان موت المرء خير من بقائه في هذه الدنيا مع ذلة مذلتها وسرعة زوالها ، رقا لا يملك من الامر شيئا . أتظنون أن هذا التململ يدفع عنكم غضب رب الجنود ، لا وحقه انكم ان لم تدافعوا عن أوطانكم بنفوسكم وأموالكم لا تنالون منزلة لديه ، ولا تجدون مخلصا من سخطه ، وتبقون في ذل العبودية مادامت الارض باقية * وكل عذابه دونه لحقير * فتشجعوا وثبتوا أقدامكم ، وسكنوا روعكم ، واعلموا أن الظفر مقرون بالصبر ، وأيقنوا ان الراحة والسعادة في أثر المشقة ، وان سنة الله قد جرت من الازل ، أن لا ينال الانسان مرغوبه الا بعد التعب ، فلا تقدموا هذه الحجج الداحضة ، ولا تظهروا الفشل في طلب حقوقكم ، ولا تتسربلوا الجبن فان كل جبان محروم ، فاسعوا في اتفاق كلمتكم ، واجعلوا صدوركم مجنا لسهام أعدائكم ، مجدين في خلاص بلادكم ، واعلموا ان الامم الغابرة والحاضرة ما انكسرت رقابها ولا كسرت أطواق العبودية الا بتحمل المشاق والخوض في غمرات الموت اه

﴿ كتاب له في الدفاع عن الدولة العثمانية ﴾

٥

وكتب حفظه الله الى صاحب جريدة البصير التي تطبع بباريس عاصمة الفرنسيس وهو يومئذ لم يزل نزيلها وذلك في فبراير عام ١٨٨٣ تقريبا وربيع الاول سنة ١٣٠٠ هجرية قال جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا

سيدى الخليل بما فطر عليه من العقل الغريزي الذي دلت عليه عقائل أفكاره ، وأنبأت دقائق أفكاره عن فسيح مجاله وسعة مضماره ، كان الواجب عليه قبل الخوض في أحوال الشرق والسلوك في بيداء سياسته ، وهتك الستر عن قبائح اعمال ساسته وشنائع ساسته ، أن ينظر ببصيرته الوقادة إلى ما ألمّ بالشرقيين من البلايا ، وما أحاط بهم من الرزايا ، فانهم لتفريطهم في اصلاح شؤونهم من قبل قد أشرفوا على الهلاك ، وصاروا بعجزهم عن صيانة حقوقهم غرضا لكل نابل ، وطعمة لكل

آكل ، تستملك الاباعد بلادهم ، وتستعبد رجالهم ، وتستلب أموالهم ، ولا ريب ان الامة الخاضعة للاجانب لا يمكنها العروج الى مدارج الكمال التي لا تنال الا بهمة عالية تأبى العبودية ، ولا نجاة لهم من هذه المصيبة التي تقهر النفوس ، وتوجب الذل والخمول، الا باتفاقهم تحت راية واحدة على الذود عن حقوقهم ، من دون ملاحظة الاختلاف في الجنسية ، لانهم بتقارب أخلاقهم ، وتلائم عاداتهم ، وتوافق افكارهم ، صاروا كانهم جنس واحد ، وان اختلفت لغاتهم فخضوع بعضهم لبعض مع تناسب طبائعهم لا يبعث على الذل والاستكانة، ولا يزيل النخوة التي هي الداعية الى كل فضيلة وكمال ، واذا تفرقت كلمتهم ، وتشتت قوتهم ، لا يمكنهم الخلاص من مخالب الذين ينتهزون الفرصة لاسترقاقهم ، فيجب على كل شرقي دفعاً لهذه النازلة ، وصيانة لامته عن ذل العبودية ، أن يسعى جهداً للكالمة في تشييد مباني الحكومات الباقية في الشرق ، فان الاجانب ما وضعوا أيديهم على بلد الا عاملوا أهله معاملة الآلة ، ولهذا يمكنني أن أقول ان سيدي الخليل في مقالاته التي حررها انهاضا لهمم الامة العربية وان كان ما أراد منها الاخير أبناء جنسه، قد حاد عن صراط السياسة القويمة بتعرضه للدولة العثمانية ، وكان عليه أن يفقه ان هذه الدولة في هذه الايام ، بمنزلة نظام لاجناس مختلفة من الشرقيين يحفظها عن التفرق والضياع ، ويمكن كل جنس منها أن يسعى رويداً رويداً في إصلاح شؤونه ، ويرتقي الى مدارج عزه ، على حسب كده وجد . واذا انقطع هذا النظام وتفرقت الكلمة، وتشتت الجمع، واستقلت كل طائفة بأمرها فانها لا تستطيع وقتئذ صون نفسها عن تطاول الاجانب ، ولا تطيق مقاومة الا باعد الذين لا يريدون الا استعبادهم ، فيصبح كل هذه الاجناس عبيداً أذلاء لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا ، فلا ينتظر لهم اذاً كمال ، ولا يرجى لهم فلاح ابداً ، وربما اضمحلت جنسيتهم ؟ التي نيطت ببقاء لغتهم ، وهذا الموت الذي لا بعث بعده ما دامت الارض دائرة . ولا أشك أن سيدي الخليل اولمح ببصره لرآني محقا في مقالتي هذه ، ورجائي منه بعد الاغماض عما جرى به قلمي ان يتخذ لكبح شرة الاجانب اتفاق كلمة العثمانيين مسلكا لجريدته الغراء ويبني خدمته لعموم الشرق على

اساس سياسته، لازال هاديا للعباد الى سبيل الرشاد اه

قال جامع المقالات

وقد كانت هذه الرسالة سببا في عدول تلك الجريدة عن مشربها الاول اذ كانت شديدة الانحراف على الدولة العثمانية كما هو مذهب كثيرين من بعض الطوائف المستظلين بظلها لازال وارفا، ثم استقامت واعتدلت بعد أن التمست لنفسها العذر عما كان من رأيها فيما أجابت به استاذنا، ثبتها الله على صراطها الاخير وألحق أمثالها بها، واكثر في المسلمين من مثل سيدنا واستاذنا وأطال بقاءه للدين والدنيا

الدين والسياسة

وملاحدة المتفرنجين من العرب وغيرهم

قد سبق لنا بحث كثير في موضوع هذا العنوان نشر بعناوين متعددة وفي أثناء التفسير وغير التفسير من أبواب المنار، فقراء المنار يعلمون ان المدارس الافرنجية والمدارس المتفرنجة على اختلاف أنواعهما من تبشيرية انشئت للدعوة النصرانية و (علمانية) انشئت لمقاومة الاديان أو بمعزل عنها - ومن رسمية للحكومات المتفرنجة كالتركية والمصرية - ومن أهلية أيضا - كلها قد أخرجت للشعوب الاسلامية نابتة مضطربة في أمر دينها ودنياها وسياستها وآدابها، يقل فيها من يعرف دينه معرفة صحيحة، ومن يحافظ على آدابه وفرائضه تقليداً أوعلى بصيرة، ويقل في المتدينين منهم ومن يدري كيف يجعل ما استفاده من علوم العصر وفنونه غذاء معنويا لامته، وقوة وعزة لملته، لان أكثرهم لم يحصل من العلوم والفنون ما يؤهله لعمل ينهض بالامة نهوضا ماديا أو معنويا وانما تلقوا قليلا من المبادىء هم فيها مقلدون كما ان أكثرهم مقلدون في الطعن بدين أمتهم لبعض ملاحدة الافرنج مع الفرق العظيم بيننا وبينهم في ذلك، ولا سيما فيما يسمونه الفصل بين الدين والسياسة، وفي براءة أوربة من التعصب الديني وهي مثاره وأتون ناره -

ولكن يكثر فيهم المادحون لبناء أمتهم وملتهم باحتقار مقوماتها التي كانت بها

أمة ذات ملة ممتازة كالدين والتشريع والاخلاق واللغة، ومشخصاتها التي تمد مزيد رسوخ في مقوماتها وتميزها كالتقاليد القومية والازياء الوطنية والعادات المألوفة — وهم في هدمهم لبنيان أمتهم يحسبون أنهم يبنون لها بنيانا جديدا خيرا مما بناه لها التاريخ فكانت به أمة ممتازة في الوجود لها تاريخ عظيم فيه من دين بلغ الذروة العليا في التهذيب، وشرع عادل رفعها فوق رءوس الامم قرونا كثيرة، وفتوحات شهد لها فلاسفة التاريخ من الافرنج بأن تاريخ البشر لم يعرف لها مثلا في جمعها بين العدل والرحمة الخ

ولو كان لهؤلاء رسوخ قدم في العلم والحكمة وحظ عظيم من فنون العصر لأحدثوا لامتهم قوة وثروة يجددان مجدها، مع حفظ مقوماتها ومشخصاتها التي أشرنا اليها، بدلا من محاولة قتلها وإعادة خلقها

صدق على هؤلاء الماديين وعلى المدارس التي تخرجوا فيها قول اللورد سالسبوري الوزير البريطاني المشهور: ان هذه المدارس التبشيرية أول خطوة لاستعمار الشعوب التي تنشأ فيها — فانها تخرج فيها طائفة تخالف سائر أمتها في عقائدها وأفكارها وتقاليدها فتحدث فيها صدعا وشقاقا تنقسم به على نفسها — على تعبيرهم — فيقتلها هذا الانقسام بأيديها (أو ما هذا معناه) ولم يذكر اللورد بالصراحة ان ما تحدثه هذه المدارس من افساد العقائد يتبعه فساد الاخلاق وغلبة الافكار المادية وحب الشرف والزينة والشهوات على المتخرجين فيها فيحول ذلك دون اتفاقهم حتى فيما يفتتنون به من أمور التفرنج

وانا نرى من مصداق كلامنا وكلام اللورد من قبلنا ان متفرنجة الترك قد هدموا ثلاث السلطنة (الامبراطورية) الراسخة الاساس، الواسعة المقياس، وانتهى أمرهم الى إمارة صغيرة طردوا منها الشعوب المسيحية، وهم الآن يقاتلون فيها الشعب الكردي الذي يلي الشعب التركي في العدد والبأس والقوة، ونرى الشقاق بالغا غايته بين هؤلاء المتفرنجين المرتدين وبين أهل الدين والمحافظة على التقاليد الاسلامية من الشعب التركي نفسه . فحكومته تسفك ما بقي من دماء شبانها وتفني بقايا ثروتها القليلة في مقاومة الفتن الداخلية والحروب الوطنية، ونرى من مصداق ذلك ايضاً ما نشاهد من اشقاق

بين أحزاب الشعب المصري الذي بلغ غايته في هذا العام ، ولا يعلم غير الله ماسيكون من سوء مغبته ان دام ،

من المعلوم عند كل من يعرف الاسلام انه دين وتشريع سياسي قضائي ونظام اجتماعي ، وانه حكم عربي كما نطق به كتابه المنزل ، فان كان من مثار العجب ان يحاربه ملاحدة الترك ايثارا للعصبية اللغوية على عصبيته بعد أن كان لهم به من العزة والسلطان ماكان ، ولم يكن لهم بلغتهم أدنى قيمة في الوجود ـ فأعجب من ذلك ان يقوم من متفرنجة العرب أنفسهم من يحارب الاسلام ، بعد ان كان لامتهم به من المجد والملك والسلطان والحضارة والعلوم والآداب ما كان وكانوا به أئمة لمئات الملايين من غير أبناء جلدتهم يقتبسون دينهم من القرآن العربي والسنة العربية ويتدارسون اللغة العربية في مشارق الارض ومغاربها، ويحجون الى بهرة البلاد العربية يتقربون بذلك الى الله تعالى وكل من لم يفسد التفرنج عليهم أمر دينهم يفضلون الشعب العربي على شعوبهم حتى ان مسلمي الهند الصادقين في الاسلام يفضلون استقلال العرب على استقلالهم وسعادة بلاد العرب وسلامتها من عدوان الاستعمار على سلامة وطنهم

مع هذا كله نجد بعض ملاحدة المتفرنجين من العرب يحاربون الدين الاسلامي نفسه ويطعنون به ويصدون عنه ، ويرون من تقليد الترك وغيرهم في العصبية الجنسية ان يعادوا جميع الشعوب الاسلامية حتى الشعب الهندي الذي يدافع عنهم ،وتبذل جمعياتهم السياسة من الجهاد بالمال والنفس في سبيله مالم تبذل عشره جمعية عربية ، و يعدون إمامهم في عصبيتهم هذه الشريف حسين بن علي المكي وأولاده الذين كانوا بحركتهم العربية أكبر مصيبة على العرب وخدمة للاجانب كما فصلناه في المنار وفي غيره من الجرائد بالبراهين التي لم يستطع أحد من أنصارهم رد شيء منها

ومن سوء الحظ أن الجرائد العامة تنشر لهؤلاء الملاحدة آراءهم حتى للجاهلين منهم الذين لا يرجعون فيما يكتبون الى شبهات علمية ولا سياسية تستحق الذكر ، أو تستأهل الرد ، ومن ذلك ما رأيناه مرارا في جريدة البيان العربية الغراء التي تصدر في نيويورك عدة مقالات في ذلك كان آخر ما نشر منها رد وطعن علينا في

خطتنا السياسية الاسلامية وفي فهمنا الدين وتفسيرنا القرآن والكاتب لم يقرأ من تفسيرنا شيئا ، ولم يطلع على المنار أيضا ، ولو اطلع عليهما لا يفهم منهما شيئا مما نقصده فهما صحيحا ، لضعفه في اللغة العربية وجهله التام بنحوها وبيانها كما تدل عليه عبارته المملوءة بالغلط وذكره لبعض آيات القرآن محرفة ... ثم هو مع ذلك يسند الينا من الاقوال الدينية والسياسية مالم نقله بل ما قلنا ما يخالفه ، وينفي عنا من الاقوال والافعال ما هو ثابت لنا ومعروف عنا ومنشور في مجلتنا ، وكذلك شأنه فيما ينقله عن غيرنا وما يسنده الى التاريخ

لهذا لم يخطر في بالنا أن نرد على شيء مما كتبه ، وان وقتنا لاضيق وأثمن من أن يصرف في مثل ذلك، ولدينا من الاعمال ما هو خير منه وأنفع — ولكن بعض كبار الكتاب السياسيين حملته الغيرة على الحق والخوف على أغرار قراء تلك الجريدة الواسعة الانتشار فيقرؤها العوام والخواص أن يغتروا ببعض ما يكتبه هذا الرجل — على كتابة رد طويل على نوع من مزاعمه الباطلة الضارة ، كما ان بعض الكتاب المدققين المطلعين على بعض أجزاء المنار والعارفين بسيرتنا في السياسة العربية والاسلامية كتب ردا آخر دافع به عنا ، — ونشر كل منهما في جريدة البيان نفسها ، فنشكر لكل منهما غيرته ، وننشر الرد الاول العام ، لانه مفيد للخواص والعوام ، وهذا نصه :

العالم الغربي والعرب والاسلام

لا حيلة لك مع المكابر بالمحسوسات

قد كان الناس يتمثلون بقول القائل

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق مايقو ل فحيلتي فيه قليلة

ولكن نسوا أن هناك أيضا من تقل معه الحيلة مثل الكذاب واكثر وهو المجادل المكابر في المحسوس الذي لايجبن عن أن يقول للشمس الطالعة في رأد الضحى: انها ظلام، والذي يختلق أيضا التواريخ لتأييد حجته وينكر الوقائع الثابتة

المشهودة لتأييد حجته، ويتخيل ويخيل الامور على مايريده هو لا على ماهي عليه في الواقع، يهجم على المسائل التي يكاد يعرف منها شيئا كأنه قتلها علما، ولا يتوب بعد أن يكون ظهر خطؤه في قضية أن ينوخى المكابرة في قضية اخرى ومن الاول الى الآخر قصارى كلامه « عنزة ولو طارت »

فمن العبث أن تقول له إن الناس لاتقدر أن تعيش بلا دين وإنه لم يهد الى اليوم أن شعبا عاش بدون دين . وإن اوربا باقية على نصرانيتها ، وإن التعليم المسيحي لايزال يعلم في أرقى المدارس والكليات في أرقى الممالك من شمالي اوربا مثل انكلترة والدانمرك وهولاندة والسويد وألمانية، وانهم يعلمون كون المسيح هو ابن الله الى هذه الساعة ، وإنهم لايريدون أن يعرفوا أنفسهم إلا مسيحيين

ومن العبث أن تقول له إنه حيث كان الدين لازما للشعوب فهو في نفسه قوة عظيمة لاتقدر حكومات هذه الشعوب أن تتعرض لها بمهانة أو بجهالة حتى لا يصيبها من أجل ذلك ضرر، وتحصل هزاهز وفتن، وانه ليس من باب خلط الدين بالسياسة أن يلجأ رجال السياسة الى الدين ، إما في تهذيب الاخلاق أو في السعي لتوهين روح الاجرام والدعارة، أو في النضال عن استقلال الامة، أو في تقوية الروابط مع امم اخرى والاستفادة من تلك الروابط المؤثرة والعوامل الراهنة التي ليس انكارها إلا محض حماقة

ومن العبث أن تقول له إن اوربة الراقية لم تهمل أيضا هذه الروابط ولا استخفت بها ولا وجدتها بدعة في السياسة، وإن ملك انكلترة الراقية العظيمة بل العظمى هو في وقت واحد ملك الانكليز ورئيس الكنيسة الانكيكانية، وإن امبراطور المانية هو رئيس الكنيسة اللوثيرية، وإن امبراطور النمسة كان على رأس مملكة راقية جدا وكان يخاطب بذي « الجلالة الرسولية » اشعارا بصفته الدينية، وان المستر غلادستون رئيس نظار انكلترة وهامة حزب الاحرار كان قسيسا ومن أشد الخلق تدينا لا بل تعصبا، وإن دولة فرنسة التي قال إنها الادينية تنعت نفسها « بحامية النصارى » في المشرق . وإن غمبتا ركن الجمهورية والسياسة اللادينية كان قال تلك الجملة التي ذهبت مثلا « عداوة رجال الدين ليست من

بضائع التصدير » وإنه ان لم يكن الدين رابطة فأية رابطة بين فرنسة والموارنة وهم ليسوا بلاتين ولا باوربيين بل هم اراميون ساميون ابناء عم العرب وبالتالي فاقرب الى المسلمين مما هم الى الفرنسيس من جهة الدم . عبثا تقول له ذلك لانه يجاوبك بل كل هذا غير صحيح واوربا تركت الدين

وكذلك من العبث أن تقول له إن الاوربيين الذين تقول إنهم نبذوا الدعوة الدينية لا يزالون يذكرون الحروب الصليبية ويتكلمون في عداوة الاسلام أفلا تقرأ مايرددونه كل يوم من توحيد الجبهة بازاء المسلمين من الريف الى الهند؟ أفلم تسمع بمساعي شامبرلين الاخيرة في باريس ورومية؟ أفما قرأت ماذا كانوا يكتبونه عند سقوط القدس في يد الانكليز اثناء الحرب العامة من كون ذلك هو الصفحة الاخيرة من الحرب الصليبية؟ أفما اطلعت على اخبار الحفلات الدينية التي اقيمت في ذلك الوقت؟ أفما سمعت خطبة المارشال ألانبي نفسه على تتمة الحرب الصليبية على يده؟ أفما عرفت أن الجنرال غورو نفسه كان لاول وصوله الى بيروت وعند الاحتفال بقراءة أمر تعيينه ألقى خطبة أشار فيها الى الحرب الصليبية وقال إن بداية علاقات فرنسة بسورية هي من أيام الحرب الصليبية ؟ أفما عرفت أن الذي عين غورو على سورية هو نفس كليمنصو الذي هو عدو للدين المسيحي ولكنه ليس بعدو للسياسة التي قد ينفعها الدين المسيحي ؟ أفما علمت أن سبب صرف (ويغان) وهو كاثوليكي أيضا وارسال سرايل(١) مكانه هو لكون الوزارة الحاضرة علمت أن عدم نجاح فرنسة في سورية ناشيء عن أسباب عديدة من أهمها اعتقاد المسلمين أن فرنسة لا تزال تابعة هناك سياسة دينية لهم عليها دلائل كثيرة من مثل بناء الكنائس بامر السلطة المحتلة في بلدة درعا والاحتفال بتنصير من يتنصر من السنغاليين وتقديم اسم النصارى على اسم المسلمين من في الدفاتر الرسمية وكذلك تقديم بطريرك الموارنة على مفتي الاسلام في المحافل وتهديد المفتي بما يسوءه ان أبى الخضوع لهذه القاعدة فأراد المسيو هريو أن يسهل مأمورية فرنسة في سورية باقصاء المندوبين الذين

(١) ويغان هو القائد الفرنسي الذي خلف غورو في سورية وسرايل هو القائد الذي خلف ويغان

ينفرون المسلمين بسياستهم الكاثوليكية وارسال مندوب سام معروف بكره الاكليروس تزلفا الى الاسلام، ومع هذا لم يخل هذا الانتخاب من إثارة الاعتراضات من جهة الاحزاب الوطنيـة بفرنسة حتى إن المسيو ميلران رئيس الجمهورية السابق اعترض عليه في خطابه .

ومن العبث أن تقول للمكابر في المشهودات إن الشيء الذي أنت تبريء أوربة منه وتتحمل له صنوف التأويلات اذا وقع لاتنفصل اوربة منه ولا تجده إياه، وإن بعض وزراء الانكليز صرح اثناء حرب البلقان بكونه مغتبطا برجوع مدينة سلانيك الى النصرانية لكونها من مهاد النصرانية . وان الدول البلقانيات الاربع عند ما أعلن الحرب على تركيا كان بلاغهن متضمنا ان حربهن لتركيا هو حرب الصليب للهلال، ولو علمت تلك الدول أن بلاغا مفرغا في هذا القالب يسوء وقعه في اوربة ما كانت حررته بهذه الصورة بل لك أن تقول انها ماحررته بهذا الشكل إلا استمالة للرأي العام الاوربي . ولا تنس خطاب الفونسو الثالث عشر ملك أسبانية الذي كان من جملة نقاط القدح الذي قدحه فيه الـكاتب الروائي الاسبانيولي ياسكو إيبا نيز هو قول الملك « إن اسبانية اشتهرت من القديم بقتال المسلمين وهذه النوبة هي مصممة على أن لاتترك قتال مسلمي الريف حتى تنصب الصليب مكان محل الهلال » وغير ذلك من الالفاظ التي يقول الكاتب الاسبانيولي إنها زادت هيجان المسلمين وكانت السبب في إتلاف الالوف من مهج الاسبانيول وإن الملك مسؤول عن ذلك بحماقته — أي باعلانه ما كان يجب أن يهمل ولا يعلن — ومع كون ايبانيز أصاب في انتقاده فهو اليوم تحت المحاكمة في فرنسة من أجل طعنه بالملك بالملك الفونسو هذا

ومن العبث أيضا أن يستشهد الانسان على عواطف اوربة الدينية بل على سياستها الدينية بما تبذله الحكومات من الاموال الجزيلة في المستعمرات مساعدة للبعثات الدينية الساعية في تنصير أهالي آسية وافريقية ولو كان المراد تنصيرهم هم الفتيشيين أو الوثنيين لـكان هذا نعم العمل لكن البعثات الدينيـة غير مكتفية بتنصير الوثنيين بل تداب أيضا في تنصير المسلمين بجميع الوسائل وتسابق المسلمين

الى استمالة الوثنيين منادية بالويل والثبور وعظائم الامور فيما لو أسلم الوثنيون

وإنك لتجد في أواسط أفريقية وغربيها وجنوبيها وماداغسكر وشرقي أفريقية بعثات دينية بروتستانية وكاثوليكية لا تعد ولا تحصى كلها تنفق القناطير المقنطرة من الذهب تحميها حكومات اوربة وأميركا بأجمعها وتؤيدها بالاموال والنفوذ وبكل وسيلة . وقد تتعرض للدعاية الاسلامية بقدر الامكان وتضيق عليها كما فعل ضباط الانكليز في الاوغاندة عندما رأوا انتشار الاسلام بين أهالي تلك البلاد فوقفوا سداً حائلا في وجهه . بل قاوموا البعثات الكاثوليكية ليخلو الجو للدعاية البروتستانية ، وكذلك الحكومة الفرنسية في ماداغسكر تقاوم دخول من يدخل من المداغسكريين في الاسلام ولا تريد أن تعترف رسميا بوجود مسلمين ماداغسكريين في تلك الجزيرة حتى لا يتحول جانب كبير من أهلها الى الاسلام فانت ترى من هذا وغيره والف مثال يضيق المكان عن استيفائها أن السياسة الاوربية ليست بمعزل عن الدين البتة ولو كابر المكابر وناكر المناكر .

وقد يقول إن هذه الحماية التي تبسطها حكومات اوربة للرسالات الدينية المنتشرة في كل افريقية وآسية وجزر الاوقيانوس انما تقصد بها مآرب استعمارية لا دينية محضة . وهذا لا يضر شيئا في جوهر الموضوع بل يزيد موضوعنا تأييدا وهو أن رجال السياسة ولو كانوا في أنفسهم غير متمسكين بالدين يقدرون قدر نفوذه على الخلق ويجتهدون أن يستثمروه لفائدة حكوماتهم

ومن الفضول أن نذكر للمكابر مابذلته حكومة هولاندة من المساعي في تغيير عقائد مسلمي الجاوى وسومطرة بواسطة الرسالات التبشيرية وكونها وفقت لتنصير بضعة عشر الف مسلم ولكن لما رأى الهولنديون ان هذا العدد قليل بالقياس الى الخمسة والثلاثين أو الاربعين مليون مسلم القاطنين بتلك الجزائر خطر ببال بعض نواب مجلس الامة في هولندة أن يقترحوا على الحكومة عدم الاعتراف بإسلام أكثر من خمسة ملايين منهم وهؤلاء هم الذين أسلموا منذ أربعة قرون ، وأما الذين أسلموا منذ القرن الماضي أو الحالي فلا يعتبرون مسلمين . ولم يمنع الحكومة الهولندية أن تأخذ بهذا الرأي سوى قيام بعض العقلاء المحنكين ممن خبروا أحوال تلك

البلاد وتحذيرهم من العمل بهذا الرأي الذي إن كان له أقل حظ من الاجراء ثارت هناك ثورة لانهاية لها . وقالوا لاولئك المقترحين: ان الخمسة والثلاثين مليون مسلم هناك القديم منهم في الاسلام والحديث هم في درجة واحدة من الاعتصام بدينهم فلا نجني من هذا الرأي إلا الثورة. فياليت شعري اذا كانت هولندة لافرق عندها بين المسيحي والمسلم ولا تنظر الى الدين فلماذا يهمها الى هذه الدرجة أن يخرج رعاياها المسلمون من الاسلام فيما لو أمكن ؟ ولماذا تخصص فرنسة في جزائر الغرب جوائز لاتعطى إلا للاوربي أو اليهودي أو المسلم الذي يرضى أن يتنصر ؟

وليقل لي المكابر أي علاقة من جهة القومية أو الوطنية بين الانكليز وبين النساطرة في العراق حتى نظمت منهم جيشا واتخذتهم لها بطانة منذ أول احتلالها ؟ بل أية علاقة بين الانكليز والارمن ان لم تكن العلاقة الدينية ؟ فان قيل إن سبب انعطاف الانكليز وسائر الاوربيين نحو الارمن هو كونهم اصيبوا ونكبوا وتلك المذابح التي جرت، أجبناك أفلا توجد امم وأقوام اسلامية اصيبت ونكبت وذبحها المتغلبون عليها بعشرات الالوف فهل هز ذلك من اوربا أقل عاطفة ؟ أفلم ينكب الجركس وأهل الطاغستان سنة ١٨٦٦ وأجلى منهم الروس بقية السيوف وهم نصف مليون نسمة الى الاناضول فمات أكثرهم بالحمى والجوع ، فمن من امم اوربة هتز لمصيبتهم ؟ أفلم يذبح الارمن هؤلاء عشرات الوف من مسلمي شرقي الاناضول؟ وروى القائد العام الروسي الذي كان يحارب الاتراك في جهة ارضروم انه لولاه لم يدع الارمن مسلما واحدا بعد انهزام الاتراك عن ارضروم وطرابزون وان وورد في تقاريره وتقارير غيره من قواد الروس الى حكومتهم — وهي تقارير قد طبعت بعد الحرب — تفاصيل فظائع أوقعها الارمن بالمسلمين لايكاد الانسان يصدقها لولا ورودها في تقريرات رسمية من قواد الجيش الروسي أعداء الترك الى مراجعهم يخبرونهم بوقائع الحال ومن جملتها أن الارمن كانوا يجمعون المئات والالوف من الاتراك والاكراد الى الجوامع رجالا ونساء وأطفالا ويشبون فيها النار فتحترق بكل من فيها . وأنهم كانوا يحفرون أخاديد وحفرا يدفنون فيها المسلمين أحياء بين رجال ونساء وأطفال (وفي مرة اخرى نذكر هذه الوقائع تفصيلا

نقلا عن تقريرات القواد الروس لانها ليست تحت يدي في هذه الساعة) وفي أحد المواضع التي ذهب عن بالي اسمها الآن دفنوا ثمانمائة نسمة أحياء منهم كثير من النساء والاطفال .

هذه شهادات الروس عدا شهادات غيرهم من شهد بعينه من الافرنج وروى الحق فلندع جانبا شهادات الاتراك . وهذا لايمنع قولنا ان الارمن أيضا ذاقوا من النكبات ما هو عبرة في التاريخ وخلت منهم جميعا الاناضول ، ولسنا نحاول تخفيف أخبار مصائبهم ولكننا نقول أن اوربة تهتز كلها لمصيبتهم ولا تتحرك لها عاطفة تذكر لمصيبة المسلمين فلماذا ؟ أتراه لكون الارمن اوربيين ؟ كلا . ان هو الا لكونهم مسيحيين . وربما قيل إن اوربة ربما لم تكن تعلم بما وقع من المصائب على المسلمين ولو علمت ذلك في حينه لم تتأخر عن اغاثتهم ، وجواب هذا بل اوربة كانت محيطة علما بكل شيء وأتذكر انني قرأت تلغرافا في جريدة الطان بتاريخ أحد أيام تموز سنة ١٩٢٠ واردا اليها من مراسلها في القوقاس يذكر المذابح التي قد أوقعها الارمن بالمسلمين في بلاد اريفان وانهم في يوم واحد ذبحوا منهم عشرة آلاف ، وان مئات الوف منهم جلوا الى ايران وآذربيجان وكرجستان الخ ومثل ذلك المذابح التي أوقعها الاروام بالترك في ولاية ازمير وبنفس ازمير ولا سيما بايدين ، وقد كانت بمرأى من كثير من الاوربيين ، وأقام بعضهم أشد النكير عليها ، وبعد ذلك طلبت حكومة الاستانة من اوربة التحقيق بواسطة لجنة دولية فذهبت وفحصت وثبت وقوع المذابح وعادت فالقت بتقريرها الى مؤتمر باريس وجرى توبيخ الحكومة اليونانية على ماجرى . وهذا كل ماوقع . أما جمعية الصليب الاحمر في سويسرة التي لاينكر أحد مالها من المساعدات في هذه المواقف عند ما أرسلت وفدا لاغاثة منكوبي الاروام لم يسعها الآن تشرك معهم منكوبي الاتراك

وبالاختصار لايوجد عاقل يقدر إن يقول إن المسلمين هم و المسيحيين شرع في نظر اوربة . والشاهد (الاخير) انه لو كان أهل الريف مسيحيين لكان الريف قد امتلا اليوم ببعثات الصليب الاحمر من اوربة و اميركا وبالاطباء والصيادلة والمتطوعين والممرضين . أهل الريف مسلمون فلذلك لايساعدهم من اوربة أحد حتى في

الامور العائدة الانسانيـة ومهما قتل الاسبانيول منهم فاوربة تجد ذلك أمرا طبيعيا واذا ماتوا من الجوع تأسف بعض الاوربيين عليهم من بعيد (١)

إذاً فمن النفخ في غير ضرم ان تقنع المكابر بأنه مادامت حالة أوروبة الروحية هي هذه فالعالم الاسلامي لا يمكنه ترك عواطفه الدينية ولا نبذ تلك الرابطة ظهريا (٢)

وكذب وبهتان واختلاق على الناس دعوى بعضهم ان الرابطة الاسلامية تدعو العربي أن يكون عبدا التركي لان الاسلام سوى بين المسلمين ومن من المسلمين ظلم أخاه حق لهذا أن يدفع عنه ظلمه (ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل) وكل من يثير هذه الدعوى التي لم يقل بها أحد ملقيا على دعايته الافرنجية ستار الحمية العربية فانما هو داعية الى السيطرة الاوربية على المسلمين يحاول ان يهونها عليهم ويسيغها في حلوقهم ، فتجده بكرة وأصيلا يكرر ألفاظ : تركيا وترك واتراك ومستتركين . وهو ينسى ان هذه الجمجمة لاتخفي شيئا من الحقائق وانه لم يقل أحد بجواز استعباد الاتراك العرب ولا لغير العرب حتى ولا للروم ولا للارمن ولكن كنا نحب ان نرى حمية هؤلاء الادعياء في العربيـة الذين يلقون دروس العروبة على مثل الامام يحيى وابن سعود ويتهمونهما بالشعوبية — كنا نحب أن نراها تظهر في مقاومة الانكليز وغيرهم من الامم المستعمرة الاوربية والحال أن ضمائرهم التي تنطوي على السرور بخضوع المسلمين « لأمة راقية مثل أميركا » قد ينم عليها مثل هذه الجملة وغيرها مهما حاولوا الانكار فاذا كان يجوز خضوع المسلمين لأمة راقية كأميركا فلماذا لا يجوز خضوعهم لامة راقية كانكلترة أو لامة راقية كفرنسة مثلا ؟ فقد ظهر من هنا المرمي والمغزى من هذه الدعاية ولو تظاهر المتظاهر بالعكس

«١» المنار : بل سعينا نحن في مصر باسم جمعية الرابطة الشرقية وسعى غيرنا فيها وفي الهند لارسال بعثة طبية لمداواة جرحى الريفيين فتعذر ذلك وتوسلنا هنا الي الوزير الفرنسي المفوض فتوسط لنا لدى دولته بكل همة وسرعة وكانت النتيجة أن فرنسة لاتسمح لنا بارسالها من حدود المغرب الذي يشط تحت حمايتها

«٢» بل لا نترك ولا ننبذ وان تغيرت حالتها ولكن نسالمها اذا سالمتنا

وأما الاسلام فلا يأمر باطاعة الظالم سواء كان ذلك تركيا أوعربيا ولكنه لا يجيز اطاعة غير أهله . وهو في هذا مطابق الروح الاوربية التي معناها استقلال كل أمة بنفسها وعدم قبول سلطة أجنبية عليها ، ولو كانت تلك السلطة صادرة من أمة أرقى من تلك الامة . فان درجات الرقي لا تصبح في أوربة فيصلا لمسألة الاستقلال . وكل أمة تعتقد ان حكم أمة أخرى عليها ولو كانت أرقى منها يفضي الى بوارها فلذلك كان مبدأ الاستقلال مقدما في أوربة على مبدأ سلطة الاصلح . فما لاشك فيه ان ادارة ألمانية هي أصلح من ادارة بولونيـة وان ألمانية أقدر على إفادة سيليزية من بولونيـة ولكن تفوق الالمان على البولونيين في الادارة والعلم لا يسلب البولونيين حق الاستيلاء على ما أهله بولونيون من سيليزية ، كذلك الانكليز أقدر من الايرلنديين على ادارة ايرلندة ولكن أوربة ترى حقا ان يتولى الايرلنديون ادارة أنفسهم لأنهم شعب مستقل بنفسه وهلم جرا

والظاهر أن بعض الذين يدعون التمحض في العربية ولا نرى منهم هذا التمحض إلا فيما يتعلق بعداوة الاتراك ضائقة صدورهم بنفرة العرب من الانكليز وعدم انقيادهم لهذه « الامة الراقية » وأكثر سخطهم هو على أهل اليمن لانهم سمعوا أن اليمن بقي اثناء الحرب متمسكا بالدولة العثمانية لا بل حارب الانكليز ومحاربة اليمانيين للانكليز زلة لا تغتفر . ورفض الامام يحيى عقد أي معاهدة مع الانكليز شيء مؤسف عندهم ودليل على قوة النعرة الدينيـة في اليمن وعلى كونهم يميلون الى الاتراك بسبب الجامعة الاسلامية، فهذا مما ينبغي أن لا يكون . وأرقى رجال العرب عند هذه الفئة هو الحسين لكونه عاهد الانكليز وحالفهم ولو كانت نتيجة هذه المحالفة ما كانت ... وكان الحسين الآن يهتم أنامله عضا من الندم ، ويليه ابن سعود في الرقي لكونه عاهد الانكليز ولم يحاربهم ، فهذه شهادة لا بأس بها بحقه، ولكنه لا يبلغ درجة الحسين الذي رضي أن يحالفهم ويحارب في صفوفهم وأما الامام يحيى فهو أشد امراء العرب تأخرا ، أفلم تعلم انه حارب الانكليز وانه يعتصم بالجامعة الاسلامية ؟

نعم إن أهل اليمن والامام يحيى مسلمون ويريدون أن يبقوا مسلمين كأهل نجد

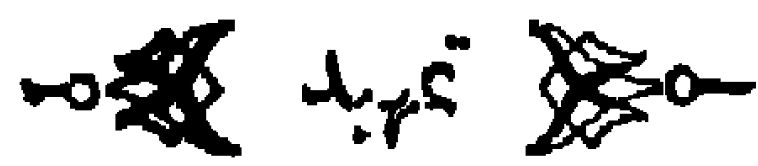
وأهل الحجاز وغيرهم وكما يريد أن يبقى أهل اوربة مسيحيين وأهل إيرلندة كاثوليكا وأهل الاولستر من إيرلندة بروتستانتا ، وليس أهل اليمن ببدع في هذا الامر بل حسبهم أن يقتدوا بالعالم المتمدن في المحافظة على دينهم . وأما نفور أهل اليمن من الانكليز فلكون الامام يحيى وكبار اليمن يعلمون انه لا يوجد في نظر الانكليز امة ينبغي لها سلب الاستقلال بل الاضمحلال مثل العرب فانه مادامت الهند موجودة في الدنيا فاعدى أعداء الانكليز هم العرب وأكره شيء الى انكلترة هو قيام دولة عربية مستقلة تحول بين انكلترة وبين هندها . فالامام يحيى لم يخف عليه الذي خفي على غيره وعلم موطن الداء وتجنبه وحافظ على ولاء الاتراك لا حبا بالاتراك بل بوطنه وامته، لانه يعلم أن الانكليز هم أعداء العرب ولا يجهل اطماعهم في اليمن ويرى من الحكمة أن يمد يده الى الاتراك ليكونوا وإياه على الانكليز وعدو العدو صديق كما لا يخفى

وأما تعليم هؤلاء لمثل الامام يحيى العربية والعروبية فهو والله من أبدع النكبات التي سمعناها اذ إن لم يكن الامام يحيى عربيا وملجأ للعرب فمن هو العربي ياترى ؟ يعيبون الامام يحيى بموالاة الاتراك، ومن من العرب قاوم الاتراك بمقاومة الامام يحيى ؟ ومن ذا الذي جرد عليه الاتراك المرة والمرتين والثلاث المائة تابورا والمائة والخمسين تابورا وعجزوا عن تدويخه ؟ أفمثل هؤلاء يعير الامام يحيى بنقص الحمية العربيـة ؟ وهل الملك حسين كان قادرا على الوقوف في وجه الاتراك لولا وجوده في صف الانكليز ؟ فلو كان الامام يحيى انحاز الى الانكليز اثناء الحرب لكان « راقيا » ولو خدعه الانكليز كما خدعوا الحسين لـكان معذورا كما معذور الحسين . . . اذ كان يكفيـه من الشرف انه يكون عاهد الانكليز أعداء المسلمين عموما والعرب خصوصا وحارب في صفوفهم وأثبت عدم مبالاته بالرابطة الاسلامية وبرهن على رقي أفكاره . . . وبعد ذلك فليكن ما كان أوليس انه يكون قد حارب الاتراك وحالف الانكليز ؟

(المقال بقية)

ايقاظ الغرب للاسلام

نقتبس ما يأتي من هذا الكتاب الذي ألفه (اللورد هدلي) الذي أسلم ولقب « بسيف الرحمن رحمة الله فاروق » لما فيه من الفوائد والعبر للمتفرنجين وغيرهم . قال في أوله ما ترجمته بقلم مترجم الكتاب مع تصحيح بعض الالفاظ :



تمهيد

قال المستر آرثر بلفور هذه الحكمة منذ عدة سنوات « هناك ناصح واحد فقط أردأ من الخوف وذلك الناصح هو اليأس »

تملكت فؤادي تلك الحكمة في ذلك الوقت واني للاشارة الى الموضوع المحتوية عليه الصحائف المقبلة والتعنيف الحنق الذي سألقاه لشرحي اعتقاداتي بصراحة وجلاء تام عن الدين الاسلامي أقول « ان هناك رفيقا واحدا أردأ من الزندقة وذلك الرفيق هو الخوف »

كم من الناس جعلهم « خوف » العواقب يتمسكون بالاعتراف الصريح بدين واعتقادات لا يسلمون بها ولا يصدقونها في الواقع

يريد كل منا أن يختار لنفسه الاحسن — أحسن الاطعمة. أحسن المساكن. أحسن المراكز. أحسن الاخوان — ولكن كم منا من فكر في أن يختار أحسن الديانات ؟

إن معظمنا راض بالدين الذي وجد عليه آباءه ، واننا من حيث حب الذات والانانية محقون في ذلك طبعا لانه يوفر علينا كثيرا من التعب فنسير متبعين الطريق التي كان يسير فيها أسلافنا رافضين أن نبحث أو ان نلقي ولو نظرة واحدة على أي دين آخر ـ (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) ـ قرآن كريم

انه من المستحيل على أي إنسان أن يصل إلى أسمى غرض في الحياة ـ الحياة بمعناها الحقيقي ـ إذا قيد نفسه بسيور العبادات التقليدية وبنى كل خلاصه على

المعمودية ومختلف الاعمال الكنهوتية . ونظرا لاني نشأت بروتستانيا وعشت سنين عديدة في مملكة رومان كاثوليك فقد سمحت لي الفرص بسعة فائقة ان ادرس صنفين من اصناف المسيحية متبعين بفصيلتين من أهم الفصائل في الكنيسة المسيحية، وقد عشت أيضا في الشرق وانه لشد ما يسرني ان أعترف بأن ليس هناك بغض بين المسلمين بل هناك المحبة بأوسع معانيها وهي منتشرة بينهم أكثر مما هي منتشرة بين المسيحيين في الجزر البريطانية فالمسلمون مثلا متسامحون جدا ومطبوعون على إيتاء الخير إزاء جميع المسيحيين بخلاف ماعليه فروع الكنيسة بعضها بإزاء بعض

اني لا أتجاسر على أن أقول انه اذا عينت لجنة من الانكليز الاكفاء حقيقة ممن هم على شاكلة المأسوف عليه اللورد سالسبرى والمأسوف عليه اللورد بيكونسفيلد والمستر بلفور واللورد هالدين والسير روفس اسحاق الخ لفحص الدين الذي يجب أن يتدين به العالم كله لاجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامي الذي يشهد له العقل والذي يجيب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى

اني لا اعتذر من أجل وضعي للفصول القليلة التى ستظهر بين غلاف هذا الكتاب وليس لدي أقل خوف من الاتهام بالالحاد والجحود اللذين سأرمى بهما لابتعادي عن المسيحية واهتدائي بهدي الاسلام

اني لا اعتقد وماسبق لي أن اعتقدت قط انه من "ضروري" لخلاصي أن اصدق ألوهية المسيح أو ان اعتقد الثالوث أو العقائد الاخرى التي تدعي الكنيسة انها ضرورية للخلاص . اني أؤمن برسالات الله السماوية المرسلة الينا على لسان رسله المصطفين .

مقدمه

لكي اقدم الصحائف المقبلة الى القراء لا أجد خيراً من اعادة نشري هنا لمقالة صغيرة من قلمي ظهرت في احدى جرائد لندرة الاسبوعيه في نوفمبر سنة ١٩١٣ « ظهرت في جرائد عديدة قطع تشرح معتقدي الديني وانه ليبهجني ان

أرى كل ما وجه الى من الانتقاد لغاية الآن لم يكن الا بلطف متناه — اذ لا ينتظر أن تخرج خطوة معلومة عن خط سير مألوف دون أن تستوقف النظر .

« ورد لي في أحد الايام خطاب من أحد المسيحيين الذين يخبرني فيه بأن الدين الاسلامي إنما هو دين لذة وان النبي كانت له زوجات عديدات وان ذلك قاعدة في الاسلام . فما أغرب هذه الفكرة عن الاسلام! الا انها فكرة راسخة في عقول تسعة وتسعين المائة من البريطانيين الذين لم يعنوا ببحث الحقائق الواضحة الديانة ما ينيف على مائة مليون من رعاياهم ولو درسوا تلك الديانة لتبين لهم أن نبي بلاد العرب صلى الله عليه وسلم كان مشهورا في كبح النفس عن الهوى وردها عن الشهوات وكان مخلصا لزوجته الوحيدة السيدة خديجة التي هي أكبر منه بخمس عشرة سنة والتي كانت أول من آمن برسالته السماوية، وبعد وفاتها تزوج بالسيدة عائشة وقد تزوج أيضا ببعض أيامى متبعيه الذين استشهدوا في إعلاء كلمة الله وذلك لا بدافع الشهوة بل لكي يعولهن ويمنحهن مساكن وينزلهن منزلة ماكن ليحصلن عليها لولاه

« نحن معشر البريطانيين نعجب بأننا نحب العدل والانصاف ، ولكن أي شيء أعظم جورا وحيفا من الحكم الذي يصدره كثير منا على الدين الاسلامي دون أن يجتهد أو يحاول أن يعرف ولو مجملا يسيطا من عقائده حتى إنهم لا يفقهون معنى لكلمة (الاسلام)

« انه من المحتمل أن يظن بعض من أصدقائي انني قد غلبت على أمري أو سيطر على المسلمون إلا ان ذلك ليس بحقيقي لان اعتقاداتي الحالية ماهي الا نتيجة بحث سنوات عديدة وان كانت مناقشاتي الحقيقية مع متعلمي المسلمين في موضوع الديانة لم تبتديء الا منذ زمن قريب واني لمحتاج الى القول بأنه قد غمرني الفرح عند ماوجدت أن كل نظرياتي واستنتاجاتي كانت مطابقة مطابقة تامة للاسلام — ان أخي خواجا كمال الدين لم يحاول بتاتا أن يتسلط على فؤادي ولو قليلا فانه كان دائما مثال الامانة والصدق اذ قد شرح لي في ترجمة القرآن الكريم الذي استطعت أن أفهم معناه من الترجمة المشوهة المنتشرة بين المسيحيين فأثار من هذه الوجهة الحجة الواضحة التي تسير فيها جمعية التبشير الاسلامية فانها ما احتالت ولا خدعت

أحداً قط فالهداية كما جاء في القرآن الشريف يجب أن تكون بمحض الرغبة والاختيار ومن تلقاء النفس . لذا لم يرتكب خواجا كمال الدين أي صفة من صفات الاحتيال والخديعة وقد أراد عيسى نفس تلك الصفة عند ماقال لحوارييه « وكل من لا يقبلكم ولايسمع لكم فاخرجوه من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم »

« وقد علمت أمثلة كثيرة جداً من البروتستانت المتعصبين الذين ظنوا أن من واجباتهم أن يغشوا بيوت الرومان الكاثوليك فيحتالوا على من يقطنها لنقله الى دينهم ومثل هذا العمل المثير الى الذى لا يليق بكرامة جار هو طبعا عمل كريه جدا أدى الى إثارة العواطف وايجاد النزاع الذي جر عليهم الازدراء والاحتقار . واني لا تألم جد الالم عند مايعرض لفكري أن أولئك المبشرين المسيحيين حاولوا ذلك مع المسلمين أيضاً وان كان لا يوجد هناك باعث يدعوهم الى هداية هؤلاء الذين هم « أصح منهم مسيحية » وأفضل منهم أنفسهم في مسيحيتهم وقد عجزت تماما عن أن أعرف لم فعلوا ذلك . إنني لم أقل « أصح منهم مسيحية » جزافا بل بعد إعمال العقل والروية لان المحبة والالفة والتسامح في الدين الاسلامي أقرب جدا لما أتي به المسيح مما عليه رجال المسيحية في الكنائس المتنوعة

خذ مثلا العقيدة الانسيانية التي تختص بالثالوث بحالة مشوشة لا يقبلها العقل تراه من الواضح جليا أن هذه العقيدة المهمة عندهم للغاية والتي تعتبر احدى العقائد الرئيسية الكنيسة تمثل المذهب الكاثوليكي وانناإذالم نعتقدها نهلك هلاكا أبديا، وهكذا نؤمن بوجوب اعتقاد الثالوث ان أردنا الخلاص أو بطريقة أخرى نقول إن الله رحيم وقادر على كل شيء وفي الوقت نفسه نتهمه بالظلم والقساوة اللذين لا نستطيع ولا نرضى أن ننسبهما الى أفظع سفاكي الدماء من الظلمة البشرية كأن الله الذي هو أمام الجميع وفوق الجميع يتغلب عليه اعتقاد مخلوق ضعيف فان في الثالوث

« هنا مثل آخر يدل على عدم وجود الحس لديهم : وصلني خطاب لمناسبة اتجاهي نحو الاسلام أخبرني فيه كاتبه بانني اذا لم أعتقد الوهية المسيح لا يمكنني

الخلاص - إن مسألة الوهية المسيح ما ظهرت لي قطانها مهمة — هل أرسل المسيح رسلا من البشر برسالات الهيه ؟ لو كان عندي الآن أي شك في تلك النقطة الاخيرة لآلمني ذلك جدا الا انني أشكر الله سبحانه وتعالى لعدم وجود هذا الشك أرجو أن يكون اعتقادي في المسيح وتعاليمه ثابتا جدا كاعتقاد أيّ مسلم أو مسيحي حقيقي آخر لانى سبق لي ان قلت مرارا أن الديانة الاسلامية والديانة المسيحية كما علمت بالمسيح نفسه هما اختان ولم يفصلها عن بعضهما الا المذاهب و لاصطلاحات المسيحية فقط التي يمكن الاستغناء عنها بكل سهولة وارتياح

يطلب منهم أن يعتقدوا هذه المذاهب والعقائد التي لاتفهم وهناك بلاشك رغبة واشتهاء الى ديانة تقبلها المعقول والميول . فمن سمع بمسلم ارتد الى الكفر والالحاد ؟ ربما كانت هناك حالات من هذه الاأنني أشك جدا فيها

«انى اعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمين قلبا ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشيء على التغيير تآمرا على منعهم من اظهار معتقداتهم — انني خطوت هذه الخطوة وانني أعلم علم اليقين ان كثيرا من اخواني واقاربي ينظرون الي الآن كروح ضالة ويصلون من أجلى . الا اني لست - في الحقيقة - في اعتقاداتي اليوم الا كما كنت منذ عشرين سنة تماما ولكن صراحتي في القول هي التي افقدتني حسن ظنهم بي

الآن وقد شرحت بعضا من الاسباب التي جعلتني اتبع الدين الاسلامي وقلت انني أعتبر نفسي الآن اني أصبحت باسلامي مسيحيا أفضل مسيحية مما كنت عليه من قبل — فآمل أن يتبع الآخرون مثالي ويعتقدون أحقية الاسلام الذي أقر بكل شهادة وفخر انه أصح الأديان ، انه ستحصل السعادة لاي اوربي ينظر الى هذه الخطوة كخطوة متقدمة لا كخطوة مضادة للمسيحية الحقة بأي وجه» اه

(المنار) سبق لنا نشر هذه المقالة في المنار عقب شيوع اسلام اللورد هدلي

ماضي الازهر وحاضره ومستقبله

٣

ذكرنا في المقالة الثانية جملة مطالب الازهريين التي نظرت فيها لجنة الحكومة وما قبلته وأقرته وصدر أمر الوزارة بتنفيذه . وكان طلبة الازهر قد طبعوا مذكرة تفسيرية لمطالبهم الخاصة ورفعوها الى البلاط الملكي والوزارة ووزعوا منها نسخاً على من يرجون عطفهم ومساعدتهم من أصحاب الشأن فرأينا نشر تفسيرهم لمطالبهم استقصاء للمهم من تاريخ هذا الطور الجديد للازهر وتمهيداً لما سنبينه من رأينا فيه وهذا نصها بعد تمهيد وجيز جعلوه مقدمة لها :

﴿ المطلب الاول ﴾ « حسبان الازهر جامعة كبرى تتكون عناصرها من الازهر والمعاهد الدينية الحالية ومدارس القضاء الشرعي ودار العلوم والمعلمين الاولية بشرط أن تكون هذه المدارس كلها تابعة للازهر تبعية فعلية حتى يتوصل بذلك الى توحيد جهات التعليم الخاص بالشريعة واللغة العربية »

هذا هو المطلب الاساسي الذي لا يمكن أن ينال الازهر غايته من الاصلاح والكرامة بدونه ، على أنه في الواقع من أساليب الاصلاح الاولية القاضية بعدم التجزئة في المعاهد التي يتحد فيها نوع التعليم وجوهره وهذه المدارس في الحقيقة أجزاء للازهر وأعضاء فصلت منه . ولا يمكننا أن نفهم انعزالها عنه مع ما بينها وبينه من الصلة الظاهرة في اتحاد الغرض وتساوي برامج التعليم أو تقاربها . بل وفي زي الطلبة أيضا . ولم يشاهد الناس فيما شهدوا أن تقطع الصلة في المعاهد التي من هذا النوع ، ويفرق بينها هذا التفريق الكبير ، إلا في مصر

ان الحقيقة المرة نجهر بها الآن وهي أن الغرض الواضح من وجود المدارس المشار اليها على نظامها المعروف هو أن يترك الازهر وشأنه مهملا منسيا يشقى طلابه

وخريجوه ولا يؤدى وظيفته في المجتمع إلا بالمقدار اليسير الذي نراه في الوقت الذي تخص فيه هذه المدارس بالعناية والرعاية حتى يعد خريجوها لاقصى درجات النفع والانتفاع

وهذه هي الفكرة الخطرة على الازهر فقد كان لها أسوأ النتائج في عرقلة سيره ووقوفه دون الغاية التي أداها للانسانية في أزمنة متطاولة . واذا كان مثار التفكير في إيجاد هذه المدارس ماكان يشاع من تعسر الاصلاح في الازهر ، فلاعذر اليوم وقد تطور الزمن وأصبح الازهر نفسه ينادي بالاصلاح غير آنف من كل عمل يكسبه صبغة عصرية صالحة مادامت لاتتنافى مع صفته الدينية فالواجب إذن أن يقابل نداؤه بالترحاب . وأن يعدل عن عزل هذه المدارس التي اقتضت الضرورة عزلها كما يقولون . ويكون من الجميع جامعة شرقية سامية تقدم البلاد الاسلامية عامة ومصر خاصة ما كان يؤديه الازهر في زمنه الغابر من ثمرات ناضجة في العلوم والآداب. أما بقاء الحال على ماهو عليه اليوم فلا معنى له غير القضاء على الازهر وتقويض مابقي من أثره في حين أن هذه المدارس تنسم وتنمو بما يسدى اليها من ضروب الرعاية والعطف وهذا بلا ريب مناف للعدالة . موجب للتنافر والشقاق بين أبناء الطائفة الواحدة ، وهو فوق ذلك تدبير خطر بالنسبة الى المصلحة العلمية العامة، فان الازهر قوة كبيرة اذا عني بها جنت الامة منها أوفر الثمرات وانضجها ولا سيما في الظروف المقبلة التي يتحتم فيها تعميم التعليم بين أفراد الشعب، ولقد بدت مخاطر العزلة التي يشقى بها الازهر فعلا في أزمة المعلمين التي تعالجها البلاد في العهد الاخير . فليس من الحزم أن يستفحل الداء والدواء قريب

لسنا نريد أن نلغي هذه المدارس كما يدعي بعض المغرضين (١) ولكن مطلبنا واضح جلي . وهو كما قلناه إدماجها في الازهر مع ادخال الاصلاح على برامجه متى كانت

(١) المنار يستعمل لفظ المغرض عند العوام وفي الجرائد بمعنى ذي الغرض والهوى النفسي وهو المراد هنا ، وإنما بينا هذا لان قراء المنار في الاقطار التي لاتستعمل فيها هذه الكلمة بهذا المعنى لايفهمونها واذا راجعوها في معاجم اللغة المتداولة لايجدونها

الحالة تقضي بذلك . وهذا مطلب لاغبار عليه ولا يمكن أن ينازع فيه من يريد الاصلاح . وبودنا أن يفطن الى ذلك كل مفكر ليعتقد أن الازهر يريد الخير لمحض الخير ، ولهذا فليعمل العاملون

﴿ المطلب الثاني ﴾ تعديل قانون التخصص بجعل مدة الدراسة فيه سنتين فقط على أن تكون مدرستا القضاء الشرعي ودار العلوم فرعين من الازهر ، الاولى للتخصص في القضاء الشرعي ، والثانية للتخصص في اللغة العربية ، و باقي أقسام التخصص في الفنون الاخرى بالازهر (مع إضافة قسم جديد للتخصص في العلوم الرياضية) على أن يكون الانتساب مقيدا بالحصول على شهادة العالمية من الازهر —

يتناول هذا المطلب أمرين أولها يتعلق بقسم التخصص وثانيهما بالنظام الذي يتبع بعد ضم مدرستي دار العلوم والقضاء الشرعي الى الازهر . أما فيما يرجع الى التخصص فنطلب أن تخفض المدة الدراسية فيه الى سنتين فحسب اذ كان الغرض الذى أنشيء من أجله هذا القسم هو التفوق في ناحية خاصة من العلوم التي تلقاها الطلبة . وهذا المبدأ وجيه لااعتراض عليه : و لكن المدة المقدرة له من الطول بحيث لاتتفق مع المصلحة فهي اذا أضيفت الى مدة الدراسة العامة (اثنى عشر عاما) كان المجموع ستة عشر يضاف اليها ما يمكن أن يعرض للطالب من الرسوب وهو أربعة أعوام فيكون المجموع عشرين عاما دراسية وهي مدة لانظير لها في معهد من معاهد التعليم فالشأن في مدد الدراسة أن يراعى فيها القصر الممكن حتى توجد للمتعلمين فرصة من العمر صالحة للانتفاع بما حصلوا عليه من العلم

على أن مدة السنتين تعد كافية للاستزادة من علوم كررها الطالب مرارا ونال الشهادات الدالة على تضلعه منها . واذا غضضنا الطرف عن ذلك ونظرنا إلى نظام الدراسة قام الدليل واضحا على وجوب اختزال المدة فان طلبة التخصص بالازهر لايتلقون غير حصة واحدة في اليوم فلامانع مطلقا من مضاعفة الدراسة عوضا عن طول المدة التي يجب أن تستنفد في الصالح العام . وأما في تخصص القضاء الشرعي ، فان العلوم التي تدرس فيه من القلة والسهولة بحيث يستطاع دراستها

باتقان في عامين مع مراعاة أن التخصص في الاقسام كلها انما هو في العلم لا في الكتب كما هو في المتبع الآن

أما الامر الثاني المتعلق بمهمة مدرستي دار العلوم والقضاء الشرعي بعد ضمهما الى الازهر ، فينحصر طلبنا في أن تعاون هاتان المدرستان الازهر على خدماته الجليلة ، وتكونا قسمين من أقسام التخصص الذي أنشيء له في الازهر سبعة أقسام في شتى العلوم فتقتصر دار العلوم على حاملي شهادة العالمية الازهرية للتخصص في العلوم العربية وتلقي ما يجب تلقيه للقيام بمهمة التعليم . ولا ريب ان قصرها على هذه المهمة بعد أن يكتمل نضوج الطلبة في الازهر يعيد عصراً مر دهرا بالادباء واللغويين . ويبث في البلاد روحا جديدة في هذه الناحية الفقيرة ناحية الادب واللغة كما أنه ينشيء للبلاد نشأ يؤدي للتعليم اجل الخدمات

أما مدرسة القضاء فتخصص لتلقي العلوم المؤهلة لتولي مناصب القضاء الشرعي التي لم تدرس بالازهر . وهي وإن كانت الآن معدة لذلك فعلا إلا أنها ليست تابعة للازهر تبعة فعلية . ومدة الدراسة فيها تزيد عن حاجة العلوم التي تدرس بها الآن

ومما يجب التنبيه عليه أنه يلزم ان ينشأ في قسم التخصص بالازهر فرع جديد للعلوم الرياضية بجانب ما فيه من العلوم الاخرى فان هذه العلوم لا مندوحة عن التوسع فيها في هذا العصر ، كما أنها ضرورية لاتمام المهمة العظمى التي تطلب من جامعة الازهر . ولانشاء هذا الفرع ميزة أخرى هي استغناء الازهر بخريجيه في القيام بتدريس هذه المواد بالازهر . وتولي الاعمال الادارية والحسابية على أتم وجه ، وفيه أيضا فتح مجال الاعمال امام خريجه بالقدرة على تعاطي الشئون الحيوية النافعة

﴿ المطلب الثالث ﴾ المساواة الفعلية بين حاملي شهادات الازهر ونظرائهم من حاملي شهادات وزارة المعارف فتتساوى الشهادة الاولية بالابتدائية والثانوية بالبكالوريا . والعالمية بالليسانس وشهادة التخصص بالدكتوراه وذلك فيما يختص بمميزاتها من المرتبات والترقيات واحتساب المعاشات مع حفظ الامتيازات الخاصه بهم مثل (كوبونات) السكك الحديدية

من المؤلم أن تجتمع على الازهر عزلته عن الاشتراك بقسط وافر فى الاعمال العامة ، والغبن الفاحش في المرتبات والحقوق التي ينالها من أسعده الحظ من خريجيه فعلى الرغم من أن الشهادات التي يحصل عليها الازهريون معتبرة كنظيراتها من الشهادات التي تعطى لتلامذة المدارس ، فان البون شاسع جدا بين مرتبات هؤلاء وأولئك ومثل هذا يقال عن نظم الترقيات والمعاشات فالشهادة الابتدائية الازهرية سلب من حاملها حق التوظف مطلقا وعلى ذلك لايمكن مقارنة حقوقها بالابتدائية في المدارس، والثانوية الازهرية اذا سمح لحاملها بالتوظف في مثل الامامة والخطابة مثلا يفرض لها مرتب يتراوح بين جنيه وثلاثة جنيهات ولا ريب أنه لانسبة بين هذا المرتب الحقير وبين مرتب حامل (البكالوريا) إذ يتقاضى ثمانية جنيهات شهريا

وأما الشهادة العالمية التي هي شهادة عليا فان نصيب حاملها اذا كان محدودا والتحق بوظيفة تدريس في المعاهد الدينية أن يعطى له عشرة جنيهات في حين أن مثيلاتها من الشهادات العليا تنيل صاحبها الحق في تقاضي خمسة عشر جنيها شهريا ، وهذا الذى ذكرناه في مرتبات الازهريين انما هو بالنسبة الى الوظائف التي تعد رئيسية ، ومن ذلك يمكن ادراك المرتبات الضئيلة التي تفرض للوظائف الاخرى ففي وزارة الاوقاف يعطي حامل العالمية فى وظيفتي الامامة والخطابة مرتبا يتراوح بين أربعة جنيهات واثني عشر جنيها مصريا حسب التعديل الاخير في حين أن فقهاء المكاتب يتقاضون من ستة جنيهات الى ثمانية عشر ! ...

ومثل هذا الغبن في المرتبات واقع في الترقيات والمعاشات فالترقيات في الازهر تسير ببطء يبيد العزم ولا يشجع على العمل ، وهي في غيره تبعث الامل وتحيي الرجاء، اما المعاشات فلانخطيء اذا قلنا إنها في الازهر تكاد لاتكون شيئا .

ونحن لاندري سبب هذه التفرقة البينة الغبن مع أن المجهودات التى يصرفها طالب المدرسة تقل كثيرا عن مجهودات الازهرى مع أنه يمتاز أيضا بشرف الانتساب الى الدين ، فينبغي ان تحفظ كرامته وتصان حقوقه حتى يخدم العامة وهو مطمئن على مستقبله ولاسيما اذا ذكرنا أنه فوق صفته الدينية قادر على سد

حاجات الامة في كثير من الشئون العامة التي تستلزم الدراية والكفايات المختلفة بما يتجمل به من شتى الفنون التي تدرس بالأزهر

أما (الكوبونات) التي تعطي العلماء حق السفر بأجور مخفضة فان لها معنى سامياً عرف أن العلماء خليقون به من زمن بعيد فينبغي أن يبقى مادامت لهم كرامة ومكانة خاصة

﴿ المطلب الرابع ﴾ تنفيذ الحقوق التي كفلتها القوانين واللوائح لحملة الشهادات الازهرية المعطل العمل بها الآن —

إنما تلتمس الشهادات لنتائجها المترتبة عليها لا لذواتها · ومن المسلم به أن كل عمل لا فائدة له مبغض مكروه ويودنا أن يكثر الاقبال على التعليم الديني حتى تعم تعاليمه الافراد والجماعات ولا يمكن ذلك إلا اذا كان للشهادات التي تعطى لطالبه قيمة مادية تغني عوزه وتسد حاجته على أن الواقع يخالف ذلك في الازهر ويسوءنا أن نقول: ان الازهر له هذه الخاصة وحده دون معاهد العلم كلها فقد سطرت ميزات الشهادات في الاوراق ولا شيء غير ذلك ! ففي القانون نمرة ١٠ نص على أن لحامل الشهادة العالميـة الحق في وظائف القضاء الشرعي، والكتابة بالمحاكم الشرعية والاوقاف والمجالس الحسبية والتدريس بالازهر والمعاهد الدينية الخ وللحامل الشهادة الثانويه الحق في وظائف الخط والاملاء والوظائف الكتابية بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى والمحاكم الشرعية والاوقاف والمجالس الحسبية والامامة والوعظ الى الخ أما الابتدائية (فيظهر أنه لا يصح أن يكون لها ميزة حتى ولو على الورق فألغيت ميزتها ! . . .)

فاذا أراد الطالب أن يلتمس طريقا مما ضمنه القانون لاحدى هذه الشهادات بعد حصوله عليها رغبة في حفظ أوده وجد الابواب موصدة دونه . ويسوءنا أن كثيرا من حملة العالمية لا يجدون مرتزقا يقيهم ذل الحاجة ، حتى وزارة الاوقاف التي هم أشد الناس صلة بها لا تقبل أحدا منهم في وظائفها الكتابية وكانت نتيجة هذه المعاملة الشديدة أن كثيراً من العلماء قدموا أنفسهم الى مجالس المديريات للتدريس في مدارسها فرفضت وسرت هذه العدوى الى المدارس الاهلية فاشتد

الداء ، وثقلت وطأته على هؤلاء الذين قضوا حياتهم في خدمة العلم ، وذلك ما يسيل النفوس أسفاً على كرامة العلم والدين

ليس في وسع العالم الديني أن يتناول عملا دنيئا حرصا على شرفه كما أنه لم يلق من عناية أولي الامر به ما يجعله كغيره من الطوائف المتعلمة سعيداً أو على الاقل مطمئنا على مستقبله، فبقي أن نسأل ولاة الامور عن مصيره ؟

الحق أن شيئا كبيرا أن يترك هؤلاء العلماء لمويليهم من ثقل البؤس في هذا العصر مع أنهم في كل العصور كانوا موطن الاحترام والرعاية ، ولسنا نطلب الا مارضي به ولاة الامر ووضعوه من تلقاء أنفسهم في (قانون) يجب أن يكون نافذا وأن لا يكون حبراً على ورق واذا طلبنا ذلك بالنسبة لحاملي العالمية فنطلبه أيضا بالنسبة الى حملة الثانوية والابتدائية فقد يحدث كثيراً أن يتخلف الطالب من الدراسة بعد نيله احدى هاتين فليس من العدل أن يحرم ثمرة عمله والقانون صريح في حفظ حقه

(وبعد) فالطريق الطبيعي في التعليم أن يوجد للطلبة ضوء من الامل يكون مثيراً لهممهم مشجعا لهم . وإلا انصرفوا عنه وعافوه وذلك مالا يصح أن يكون وخصوصا في المعاهد الدينية

﴿ المطلب الخامس ﴾ إقرار مشروع التعليم الديني في المدارس وهو الذي وافقت عليه عليه وزارة المعارف في إحدى الوزارت السابقة حيث إن تنفيذه ضروري لصالح الامة ، واسناد القيام به الى خريجي الازهر خاصة —

كان الدين ولا يزال مبعث سعادة الامة ومصدر مجدها فهو حافظ شخصيتها، ومظهر آدابها . وهو المحور الذي تجتمع عنده القلوب وتتحد النزعات والآمال . فأيما أمة أقامت للدين وزنه ، وعرفت خطره ، كان لها ما تشاء من عزة وسلطان ، وعلى العكس من ذلك أمة تنبذ أحكامه ظهريا

وانه لمن المحزن أن تخلو مدارسنا المصريه من تعليم الدين ونشر آدابه السامية. ولا ندري ما الذي وصل بمدارسنا الى هذا الحضيض مع أنه يدرس (بين) جدرانها كثير من العلوم قد لا يكون بعضها ضروريا، فالحق انه يجب وضع حد لهذه الحالة المحزنة

اذ لو استمرت لاصبح الدين وقد تقلص ظله . وضعفت شوكته . وان الازهر الذي في عنقه أمانة الارشاد والمحافظة على الدين لايمكن ان يجمد بازاء ذلك بل يطلب ويلح في الطلب بان يعنى بالدين العناية الكافية فتذاع آدابه وتعاليمه الجليلة في نفوس أبناء الامة . حتى لايطغى على أفكارهم اللدنة سيل الاباطيل فيخرجوا على دينهم كما هو شأن المتعلمين اليوم، فان كثيراً منهم قد استهواه التقليد الا عمى فنبذ دينه، وذلك ضرر لا يصح السكوت عليه بل يجب العمل على استئصال شأفته، ولن يكون ذلك بغير الدين . ولا يضر وزارة المعارف ان يتلقى التلاميذ بجانب مايتلقونه — مما ينفع ولا ينفع — هذا العنصر الضروري لحياة الافراد والامم . وإذا قال الازهر ذلك فهو يتكلم بلسان آباء التلاميذ وأولياء أمورهم الذين يسرهم أن يكون أبناؤهم راشدين ديّنين لاملاحدة مارقين . ومما يمكن أن يعتبر دلالة على وجوب تنفيذ هذا المطلب انه كاد (يبلغ) تمامه في عهد احدى الوزارات السابقة بعد ان نبهها اليه أحد(١) علماء الازهر الاعلام، على انه لايمكن أن يؤدي الامر على وجهه الصالح الا اذا جعل تعليم الدين أساسيا وأسند تعليمه من الآن الى المتضلعين منه الواقفين على أسراره فهم وحدهم البصيرون بطرق التفهيم والاقناع القادرون على رياضة النشء الى أقوم الطرق بالقدوة والموعظة الحسنة، وليس لطائفة أن تنازع الازهريين هذه المقدرة أو تطمع في هذه المنزلة دونهم . ولذلك نطلب إسناد التعليم الى علماء الازهر دون سواهم حتى يتوصل الى الغرض المروم

﴿ المقال بقية ﴾

(١) فضيلة الاستاذ الشيخ محمود أبو العيون

باب الانتقاد على المنار

وهب بن منبه وكعب الاحبار

حضرة ملجأ الباحثين السيد محمد رشيد رضا   المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فقد جرحتم الحبرين وهب بن منبه وكعب الاحبار في تفسيركم بالمنار قوله تعالى (فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) بأنهما (١) رويا أخبار غرائب بني اسرائيل ومنها موت خمسة وعشرين الفا من قوم فرعون فزعا من ثعبان العصي (كذا) (٢) وكانا يدسان في الدين بكذب الرواية (٣) ومن جمعيتين دبرتا قتل الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما

ولكون الحبرين من رجال كتب الحديث الصحيحة التي صار التعويل عليها في الدين الاسلامي بعد القرآن الكريم وكان هذا التجريح غير منطبق على ماعرف عنهما عند علماء الحديث وقد صرحتم بأنه بحسب الغالب على ظنكم. وكان يترتب عليه الحط من اعتبار الحديث الشريف عند المطلعين عليه من قراء المجلة ممن لا يعرف عنهما سوى ماقلتم لوجودا سيهما في كتبه (كذا) مع أن الامة محتاجة التمسك بالسنة لان سعادتها وانقاذها مما هي فيه متوقفان على العمل بها والرجوع اليها كما كان سلفنا الصالح فيعود الينا ماكانوا فيه من عز ومجد

لحبا في دفع مايشين السنة المحمدية أحببت نشر مادونه المتقدمون في توثيق الحبرين. مبتدأ بقاعدة من كتاب الجرح والتعديل للعلامة القاسمي حيث نقل بالصحيفة الخامسة عن المحدث السيوطي عبارة الاصولي صاحب كتاب الاقتراح أن من (الوجوه التي يعرف بها ثقة الراوي) تخريج أحد الشيخين له في الصحيح وان تكلم في بعض من خرج له فلا يلتفت اليه . والحبران خرج لهما أحد الشيخين البخاري في صحيحه (كذا) وكذا باقي أصحاب الكتب الصحيحة مسلم وأبوداود والنسائي والترمذي كما في خلاصة تذهيب الكمال الخزرجي (كذا)

وحينئذ لا يلتفت لتضعيف ابن الفلاس لسيدنا وهب خصوصا وانه لم يبين

وجه التضعيف والمتقرر في فن المصطلح أن التجريح لا يقبل إلا مع البيان وان جرح الواحد غير متفق عليه (كذا)

ومما يدل على ورع سيدنا وهب مانقله البخاري في أول كتاب الجنائز ونصه « وقيل لوهب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك » يريد أن يلتزم السائل العمل بالاحكام الشرعية ولا يرتكن على مجرد النطق بالشهادتين ومثله قوله (مثل الداعي بلا عمل مثل الرامي بلا وتر) كما نقله صاحب الفتح في هذا المكان(١)

وصنع البخاري في باب مطل الغني ظلم من كتاب الاستقراض يدل على عظم سيدنا وهب أيضاً حيث قال في سند الحديث هكذا (عن همام بن منبه أخي وهب) وما كان همام مجهولا فنسبه الى وهب لتعريفه بل هو معروف وأخذ عنه أصحاب الكتب الستة الصحيحة . وما كان البخاري لينسب راوية همام وهو بمنزلة شاهده الى فاسق أو متهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هي نسبة تشريف أراد بها التأكيد في تزكية راويه

ومن الحكم المأثورة عن سيدنا وهب قوله : العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والصبر أمير جنوده والرفق أبوه واللين أخوه : فجعل للمؤمن دولة من نفسه . نقل ذلك الحافظ الذهبي في ترجمته له في كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال

وكعب الاحبار فضلا عن أخذ المحدثين عنه لم يطعن عليه أحد منهم والمذاكرة التي دارت بينه وبين أبي هريرة حال رحلته بالشام « في الساعة التي في يوم الجمعة» من الحجج الدينية الاسلامية التي يشير اليها قوله تعالى (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل) كما هو موضح بموطأ الامام مالك . ويكفيه توثيقا أخذ أبي هريرة عنه وابن عباس ومعاوية وجماعة من التابعين نص على ذلك صاحب الخلاصة المذكورة عند ترجمته باسم (كعب بن ماتع الحميري أبو اسحق الحبر وقال بالهامش

«١» المنار : ونقل في الفتح انتقاد الداودي لكلمة وهب وكونها مخالفة لحديث الباب الذي رواه البخاري بعدها وهي على كل حال لا تدل على الورع ولا الورع يقتضي صحة الرواية مطلقا وكذا نطقه ببعض الحكم

وهو المعروف بكعب الاحبار الخ)

أما عن نفي أوجه الجرح الثلاثة السالفة :

فالاول غير جارح أصلا لان أخبار بني اسرائيل ليست مما تعبدنا الله بها ولم نلزم بالتحري في نقلها التزامنا بنقل الاحاديث الاسلامية لما رواه الامام الشافعي في رسالته الاصولية الشهيرة في أواخر (باب تثبيت خبر الحجة) بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، وحدثوا عني ولا تكذبوا علي » ورواه صاحب كتاب رامرز الاحاديث في حرف الحاء بلفظ (حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج فانكم لا تحدثون عنهم شيئا إلا وقد كان فيهم أعجب منه) عن الشافعي وابن منيع وصححه السخاوي فأي وزر على من بلغه هذا الحديث فحدث باخبار بني اسرائيل على علاتها كما سمعها مادام انه لم يرد في ديننا ماءنع من ذلك ولم تصادم أصلا من اصوله والا كانت منسوخة هذا وبمراجعة تفسير ابن جرير عند هذه الآية وجد أن في سند الخبر صوت الخمسة وعشرين الفا من هو مجهول فيحتمل أن هذا المجهول هو الواضع لهذا الخبر والاصرب حمله على الحديث السالف اذ لاضرر علينا من ذلك دينا ولم نكلف بتمحيص أخبار بني اسرائيل والبحث في أسانيدها وتبعتها عليهم

﴿ الثاني ﴾ لم نعلم أحدا قبل الآن نسبهما للكذب والدس في الاحاديث الاسلامية . وكل ما نسب اليهما من بعض المتأخرين هو الاكثار من أخبار غرائب بني اسرائيل وقد علمت ما فيه ولم يصرح الامام أحمد بأن سيدنا وهبا كان يختلف الى قومه بعد اسلامهم ليكذب أو يدس والاقرب حمله على التودد والارشاد وقد ترجم للحبرين ابن جرير الطبري في تاريخه بالجزء الثالث عشر في ضمن الناقلين للاخبار من التابعين وهو بصفته مؤرخ يحكي كل ما قيل فلم تصدر منه كلمة تشم منها هذه الرائحة بل بعكس ذلك أفاد ما يدل على جلالتهما وحكي لسيدنا كعب حادثة تدل على شدة ذكائه وتدينه فانظره

﴿ الثالث ﴾ أن نسبتهما إلى جمعيتين دبرتا قتل الخليفتين غير معقول من الوجهة التاريخية فان الخليفة الثاني قتل سنة ٢٣ ه وسيدنا وهب قتل غالبا أيضا

سنة ١١٠ ﻫ أو سنة ١١٤ ﻫ فيكون بينهما تسعين عاما (كذا) تقريبا فلا يبعد أن يكون لم يولد وقت قتله . وسيدنا كعب كان مقيما بالشام بعيدا عن الفرس . وجمعية السبئيين لم تؤلف بعد لان عبد الله بن سبأ رئيسها لم يظهر الا في خلافة سيدنا عثمان واكثر المؤرخين على أن قتل الخليفة الثاني فردي (كذا) وأن الذي قتله هو أبو لؤلؤة غلام سيدنا المغيرة بن شعبة الذي بعثه وهو عامل على الكوفة ليقوم بالصنائع التي تنفع المسلمين وكان ضاربا عليه مائة درهم في الشهر فتظلم منها الى الخليفة فلم يرها كثيرة فحنق عليه وقتله بعد أيام وحينئذ لم يكن مرسلا من جمعية سريه

والخليفة الثالث قتل سنة ٣٥ ﻫ فبينه وبين سيدنا وهب نحو الثمانين عاما فان كان وجد فالاقرب أنه كان حينئذ في سن الطفولية وإقامته كانت بصنعاء بعيدا عن مراكز الجمعيات التي حكي عنها تدبير قتل الخليفة أما سيدنا كعب فقد توفي سنة ٣٢ ﻫ أى قبل قتل الخليفة بثلاثة أعوام كما ذكره صاحب الخلاصة المذكورة على أن الحالة تشهد ببعدهما عن مثل هذه الاحوال لانه لو نسب اليهما ذلك اشاع واشتهر فلم يأخذ عنهما أحد من المحدثين وخصوصا البخاري الذي كان يتنم عن الاخذ عن الراوى لادنى شبهة قيلت فيه ولما يضا الحكي عنهما ذلك أحد المترجمين لهم المذكورين ومع أن الحافظ الذهبي التزم في كتابه تذكرة الحفاظ أن يذكر فيه المحدثين الموثقين فقط وقد ذكرهما (كذا) بترجمتين مستفيضتين عن علمهما وورعهما وكفى بذلك توثيقا. هذا ما اطلعت عليه الآن مما دونه المتقدمون عن هذين الحبرين الجليلين أرجو نشره بالمجلة مشفوعا برأيكم واقبلوا فائق الاحترام

عبد الرحمن الجيجوني

﴿ جواب المنار ﴾

يظهر أن المنتقد قرأ عبارتنا في التفسير فانتقد ما علق بذهنه منها من غير مراجعة لعبارتها ولو رجع اليها في أي وقت لرأى جل ما كتبه غير وارد عليها ، وما أطال به من الثناء على وهب في غير محله اذ ليس من موضوع الكلام ، وكذا ما ذكره من نفي اشتراكه في الجمعيات السرية الفارسية وفي قتل الخليفة الثاني ، وما ذكره من براءة

كعب الاحبار من مثل ذلك فأنا لم أر مهما بهذا، و إغاقلت فيهما إنهما كاناه كثيرا الرواية الغرائب التي لايعرف لها أصل معقول ولا منقول وان قومهما كانوا يكيدون للامة الاسلامية العربية فقاتل الخليفة الثاني فارسي مرسل من جمعية سرية لقومه، وقتلة الخليفة الثالث كانوا مفتونين بدسائس عبد الله بن سبأ اليهودي ـ والى جمعية السبئيين وجمعيات الفرس ترجع جميع الفتن السياسية وأكاذيب الرواية في الصدر الاول » اه بحروفه وسنوضحه بعد

وذكرت قبله « انني أرجح تضعيف عمرو بن الفلاس لوهب على توثيق الجمهور له بل أنا أسوأ ظنا فيه على ماورى من كثرة عبادته ويغلب على ظني أنه كان له ضلع مع قومه الفرس » الخ ولم أقل إنه اشترك في مقتل عمر فيرد علي بتاريخه أو بغير ذلك ، والذي يعنينا من هذا النقد ماهو المقصود منه بالذات وهو رواية لرجلين ومازعمه المنتقد من توثيق الشيخين لهما ولا سيما البخاري وكون كل من رويا عنه أو روى عنه الاول ثقة لايقبل فيه جرح ولا يصح أن تكون روايته محل بحث ، وفي كلام المنتقد اغلاط لغوية وفنية وتاريخية لاحاجة الى اضاعة الوقت في بيانها فا كتفي في الرد على ماذكرت انه المقصود بالذات فأقول :

أما كعب الاحبار فان البخارى لم يرو عنه في صحيحه شيئا ولكن ذكره فيه بما يعد جرحا له لاتعديلا : قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من تهذيب التهذيب وروى البخارى من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن انه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال : ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب (تأمل)

قال الحافظ بعد نقل هذه العبارة عن الاصل : (قلت) هذا جميع ماله في البخارى وليست هذه رواية عنه فالعجب من المؤلف كيف يرقم له رقم البخاري فيوهم أنه أخرج له الخ يعني أن ذكر صاحب التهذيب رقم البخارى وهو حرف (خ) عند اسم كعب غلط . وقد صرح الحافظ الذهبي في الطبقات بأنه ليس له شيء في صحيح البخارى وغيره ، والمنتقد يبدئ ويعيد ذكر رواية البخارى عنه وتوثيقه له .

وأقول : إن قول معاوية ان كعبا كان من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب

وانهم مع ذلك اختبروا عليه الكذب طعن صريح في عدالته وفي عدالة جمهور رواة الاسرائيليات إذ ثبت كذب من يعدّ من أصدقهم ومن كان متقنا الكذب في ذلك يتعذر أو يتعسر العثور على كذبه في ذلك العصر اذ لم تكن كتب أهل الكتاب منتشرة في زمانهم بين المسلمين كزماننا هذا - فان توراة اليهود بين الايدى ونحن نرى فيما رواه كعب ووهب عنهما مالا وجود له فيها البتة على كثرته ، وهي هي التوراة التي كانت عندهم في عصرهما ، فان ماوقع من التحريف والنقصان منها قد كان قبل الاسلام ، وأما بعده فجل ماوقع من التحريف هو المعنوي بحمل اللفظ على غير ماوضع له واختلاف الترجمة ، ولا يعقل أن تكون هذه القصص الطويلة التي نراها في التفسير والتاريخ مروية عن التوراة قد حذفت منها بعد موت كعب ووهب وغيرهما من رواتها ، فهي من الاكاذيب التي لم يكن يتيسر للصحابة والتابعين ولرجال الجرح والتعديل الاولين العثور عليها ، وكذا علماء القرون الوسطى من المحدثين وغيرهم إلا من عني عناية خاصة بالاطلاع على كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند أهل الكتاب وعلى التواريخ المفصلة لاخبارهم وقليل ماهم . وقد كان مثل البخارى من جهاندة المنقول ومثل الفخر الرازي من جهاندة المعقول يظنان أن جميع تحريف أهل الكتاب معنوي لان تغيير أهل الملة لكتابها الديني غير معقول إذ لابد من أن يكون بالتواطؤ واجماع الامة ، وسبب هذا أن هؤلاء العلماء لم يكونوا يعلمون أن اليهود لم يكن عندهم من التوراة في الصدر الاول من تاريخهم إلا النسخة التي وضعها موسى عليه السلام في صندوق العهد (التابوت) وانها فقدت بعد ذلك ولم يكونوا يحفظونها ، وان ماعندهم الآن يرجع الى ماكتبه لهم (عزرا) بعد السبي ولذلك تكثر فيه الالفاظ البابلية ، وهم يزعمون انه ألهم الصواب فيما كتب الهاما . . . مع أن مافيها من الاغلاط المخالفة للواقع ومن ذكر الحوادث التي وقعت بعد موسى ومن ذكر موت موسى وعدم ظهور أحد بعده مثله ومن . . . ومن . . . ماينقض دعوى الالهام المذكورة — الى آخر مافصلناه من قبل في موضعه

وأما مسلم فقد ذكره في بعض أسانيده ولكن ليس له رواية صريحة عنه لحديث

انفرد به فيكون جرحه موجبا لحرماننا من الاخذ به ، وقال الحافظ ابن كثير ان حديث أبي هريرة « خلق الله التربة يوم السبت » الذي خطأه المحققون بروايته له هو مما أخذه أبو هريرة عن كعب على أنه صرح فيه بسماعه من النبي (ص) وقال في تهذيب التهذيب : وقد وقع ذكر الرواية عنه في مواضع من مسلم في أواخر كتاب الايمان : وفي حديث أبي معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه « اذا أدى العبد حق الله وحق مواليه كان له أجران » قال فحدثت به كعبا فقال كعب : ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد . اه

أقول انهم قبلوا هذه الزيادة في الحديث لغرورهم بكعب حتى قال النووي وهذا الذي قاله كعب يحتمل انه أخذه بتوقيف ويحتمل انه بالاجتهاد لان من رجحت حسناته وأوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا اه فانظر الى هذا التأويل لما تناقض لهذه الزيادة المتعلقة باصول العقيدة بحيث يطالب فيها القطع وهي أن العبد المذكور والمزهد وهو بضم الميم واسكان الزاي قليل المال لاحساب عليهما فهو يجعل الحساب على كبار الاغنياء الاحرار وحدهم وهذا مخالف لعمومات الكتاب والسنة القطعية ومعارض بنصوص خاصة

وأما ما ذكر من رواية له في آخر كتاب الايمان منه فهو ان أبا هريرة قال لكعب، إن نبي الله (ص) قال « لكل نبي دعوة يدعوها فأنا أريد أن أختبيء دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة» فقال له كعب : أنت سمعت هذا من رسول الله (ص)؟ قال نعم . روى هذا عن كعب عمرو بن سفيان الثقفي انفرد مسلم بروايته عنه وليس له غيره الا حديث واحد . ولمسلم عن كعب مثله في الاستفهام من أبي هريرة من حديث الامة التي فقدت من بني اسرائيل وكونها هي الفار .

وجملة القول ان جرح كعب لا يقتضي خسران شيء يذكر من العلم الذي في صحيح مسلم ويوافق ما عند البخاري من إثبات معاوية لكذبه عنده وعند غيره ولذلك امتنع البخارى عن الرواية عنه على غرور الجمهور بعبادته ، ومع هذا كله يجعل المنتقد ما زعمه من رواية البخارى عنه الركن الاعظم لتعديله والحرف على ضياع السنة من جرحه فكلامه حجة عليه

الرد بقية

مجلات وجرائد جديدة

﴿ الإخاء ﴾ «مجلة علمية تاريخية أدبية روائية مصورة تصدر في أول كل شهر أفرنكي لصاحبها سليم قبعين » قيمة الاشتراك فيها ٨٠ بمصر والسودان ومئة قرش في سائر الأقطار ـ وسليم أفندي كاتب متفنن مشهور وقد انفرد دون الكتاب في مصر بمعرفة اللغة الروسية فله منها مادة لا يشاركه فيها غيره وقد أتمت مجلته السنة الاولى وهي أشق المراحل فصار الرجاء باستمرارها ونجاحها وطيدا وهو ما نتمناه له ولها

﴿ المجلة الشهرية ﴾ مجلة جديدة يصدرها بالقاهرة اسكندر أفندي مكاريوس ويتولى رئاسة تحريرها نجيب أفندي شاهين وقد قال في مقدمتها « هذه المجلة مرادة للعامة أولا وللخاصة ثانيا وغايتها مزدوجة وهي ايجابية مع الاولين وسلبية مع الآخرين، ويكفينا من هؤلاء أن يرمقوها بنظرة عدم الانكار ، لان الخاصة في كل بلد متعنتون وارضاء المتعنت صعب كما جاء في المثل، وتعنتهم هذا ناشيء عن رسوخهم في العلم وعلو كعبهم في الفن ونحن انما نلم بهما إلماما هنا »وتقول هذه خطة المجلة وهي عن اختيار لا عجز فان نجيبا كاتب بارع تولى التحرير في المقتطف عدة سنين وكان قبل اصدار هذه الجريدة أحد محرري جريدة السياسة وقيمة الاشتراك في هذه المجلة خمسون قرشا في مصر والسودان و ١٧ شلنا في الخارج

﴿ صحيفة الاعلانات ﴾ صحيفة أسبوعية جديدة « تنشر الاعلانات مبوبة وتبحث في المسائل الاقتصادية والتجارية والاجتماعية » تصدر في كل يوم احد في ١٦ صفحة كبيرة منها أربعة باللغة الفرنسية وباقيها باللغة العربية صاحب امتيازها أحمد شفيق باشا العالم الاداري الشهير ورئيس تحريرها الشيخ بولس مسعد من الكتاب البارعين، وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٧٥ قرشا في مصر و٤٠ قرشا في الخارج ، والمنتظر منها أن تخدم النهضة الاقتصادية والصناعية والتجارية خدمة جليلة لم تسبق اليها

﴿ أم القرى ﴾ جريدة عربية اسلامية أسبوعية تصدر في مكة المكرمة مكان جريدة ﴿ القبلة ﴾ التي كان يصدرها الملك حسين ، مديرها يوسف افندي ياسين من افضل شبان النابتة العربية السورية وسنخصها بمقال مطول في جزء آخر ان شاء الله تعالى

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه* اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

المنار ١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ - ٢٩ برج الجوزاء سنة ١٣٠٤ هش ٢١ يونيه سنة ١٩٢٥

فتاوى المنار

(سبب اتباع المسلم للاسلام ونفوره من دعوة النصرانية)

(س١٩ و٢٠) من القس الدانمركي الفردنيلسن في دمشق

ماهو الذي يجعلك تتبع دين الاسلام كدين الحق ، واذا تعرفت بالتبشير المسيحي وبالكتب المسيحية فما هو الذي يبعدك وينفرك عن دعوتها ؟

(ج) ثبت عندي أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان رجلا أميا لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ، ولا عاشر أحداً من علماء الاديان ولا التاريخ والقوانين والفلسفة والآداب ،ولا غير ذلك ، وانه لم يكن شاعرا ولا خطيبا ، ولا عجبا لما كان معهودا بين كبراء قومه وأذكيائهم من الرياسة والمفاخرة والشهرة بالفصاحة والبلاغة وانما كان ممتازاً بين أقرانه في قومه بسلامة الفطرة وحب العزلة والصدق والامانة والعفة والمروءة وغير ذلك من مكارم الاخلاق ، حتى لقبوه بالامين . قضى على ذلك سن الصبا والشباب الذي تظهر فيه جميع رغبات البشر ومزاياهم . ثم إنه بعد إكمال الاربعين والدخول في سن الكهولة ادعى النبوة وان الله بعثه رسولا الى الناس كافة كما أرسل من قبله من الرسل الى أقوامهم بمثل ما أرسله به من الدعوة الى الى توحيده تعالى وعبادته ، والايمان بملائكته وكتبه ورسله والدار الآخرة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الحق والعدل بالمساواة بين الناس وغير ذلك من أصول العقائد المعقولة ، والآداب العالية ، والاحكام والشرائع العادلة ، التي أكمل الله تعالى بها الدين ،وجعله بها خاتم النبيين، بمايمد إصلاحا يفوق جميع ماكان عليه البشر من اتباع الانبياء وغيرهم ،وجاء بكتاب في ذلك قال : إن الله تعالى أنزله عليه وانه وحي من لدنه سبحانه يعجز جميع البشر عن الاتيان بمثله في

من أخبار الغيب الماضية والمستقبلة ما ثبت ثبوتا قطعيا ، ومنه ان الله تعالى سينصره ويخذل أعداءه ويستخلف قومه وأمته في الارض ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وقد وقع جميع ما أخبر به ، وما وضح به صلى الله عليه وسلم أخباره كفتح بلاد كسرى وقيصر . ومنها مصر التي وصى بأهلها خيراً، وأيده الله تعالى بآيات أخرى

ومن أهم ما أخبر به القرآن مما لم يكن يعلمه أحد من قوم الرسول (ص) ولا في بلاده ان اليهود والنصارى (أوتوا نصيبا من الكتاب) وانهم نسوا حظاً مما ذكروا به ، وانهم حرفوا وغيروا وبدلوا ، ودخل عليهم الشرك . ومن العجيب ان المسلمين لم يعلموا مصداق ذلك بالتفصيل الا بعد اطلاعهم على مجموعة كتب الفريقين وتاريخها . ثم ما كتبه أحرار علماء أوربة من الطعن فيها ، فمن أين عرف ذلك رجل أمي نشأ بين قوم أميين لولا وحي الله تعالى له بذلك ؟

فهذه نبذة مجملة في بيان سبب استمساكي بعروة الاسلام واعتقادي أنه الدين الحق بالاختصار الذى اقترحه القس السائل

وأما سبب نفوري من دعوة المبشرين دعاة النصرانية فهي اعتقادى بطلان دعوتهم في نفسها فان أساسها ان آدم عصى ربه فاستحق هو وذريته العذاب الابدي بعدل الله ، وان عذابهم ينافي رحمة الله فلم يجد سبحانه وسيلة للجمع بين رحمته وعدله الا أن يحل في ناسوت أحد بني آدم ويتحمل العذاب والالم واللعنة لتخليصهم من العذاب فحل في ناسوت المسيح لاجل ذلك !! ومع هذا لم يتم له ما أراده فانه اشترط لخلاصهم أن يؤمنوا بذلك ولكن أكثرهم لم يؤمنوا به ورأيت جل تأثير هذه الدعوة في الذين يجهلون حقيقة الاسلام تشكيكهم في أصل الدين ، وجعلهم من الاباحيين، وايقاع الشقاق بينهم وبين غيرهم . ومن أهم تلك الاسباب التي جعلتني أحتقر أكثرهم ما ثبت عندى من كونهم يتجرون بالدين اتجارا فيكذبون ويحرفون، ومنهم الملحدون الذين لا ايمان لهم ، والمقلدين المتعصبون الذين يبغضون المسلمين بما تربوا عليه مما لا يجهله القس السائل ، ولا أنكر مع هذا انه يوجد فيهم المتدين المخلص في دينه ، ولكن هذا بحسب اختباري قليل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الاسلام واصول الحكم

(بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام)

بل دعوة جديدة الى نسف بنائها ، وتضليل ابنائها

(تمهيد) مازال أعداء الاسلام الطامعون في ثل عرشه والقضاء على ملكه وابطال تشريعه ، واستعباد الشعوب التي تدين الله به ، يجاهدونه بالسيف والنار ، وبالكيد والدهاء ، وبالآراء والافكار ، وبافساد العقائد والاخلاق ، وبالطعن في جميع مقومات هذه الامة ومشخصاتها ، وتقطيع جميع الروابط التي ترتبط بها شعوبها وأفرادها ، ليسهل جعلها طعمة الطامعين ، وفريسة لوحوش المستعمرين ، وقد كانت هذه الحرب السياسية العلمية للاسلام والمسلمين أضر وأنكى من الحروب الصليبية باسم الدين . فالحرب الصليبية كانت تجمع كلمة المسلمين للدفاع عن حقيقتهم والمدافعة عن سلطانهم ، وهذه الحرب المعنوية فرقت كلمتهم وشقت عصاهم ، ومزقت شمل شعوبهم ، وأذاقت بعضهم بأس بعض ، فصاروا عونا لاعدائهم على انفسهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي خصومهم (فاعتبروا يا أولي الابصار)

قد كان آخر فوز لهذه الحرب على المسلمين محو اسم السلطنة العثمانية الاسلامية من لوح الوجود ، وإلغاء الترك لمنصب الخلافة من دولتهم الصغيرة ، التي أمكنهم استبقاؤها من تلك السلطنة العظيمة – وتأليفهم حكومة جمهورية غير مقيدة بالشرع الاسلامي في أصول احكامه ولا فروعها – وتصريحهم بالفصل التام بين الدولة والدين – فشعر العالم الاسلامي بعملهم هذا زلزالا شديداء وطرب له الافرنج ومروجو سياستهم من نصارى الشرق وملاحدة المتفرنجين المارقين من الاسلام ، ورفع هؤلاء عقائرهم في مصر ، هاتفين لعمل الترك ، وكذلك فعل أمثالهم في سائر البلاد ، إلا ان هؤلاء نشطوا لجعل الحكومة المصرية حكومة لا دينية كحكومة انقرة فهزىء العالم الاسلامي بدعوتهم وسخر منهم وراجت في مقابلتها الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي عام ، لاحياء منصب الخلافة بقدر ماتستطيعه قوى الاسلام في هذا الزمان .

بينا نحن معشر المسلمين على هذا اذا نحن بنبأة جديدة في شكلها ، تؤيد تلك النزعة الافرنجية النصرانية في موضوعها ، وتلك الفعلة الالحادية في مشروعها .

بينا نحن كذلك اذا نحن ببدعة حديثة لم يقل بمثلها أحد انتمى الى الاسلام

صادقا ولا كاذبا ، بدعة شيطانية لم تخطر في بال سني ولا شيعي ولا خارجي ولا جهمي ولا معتزلي ، بل لم تخطر على بال أولئك الزنادقة الذين زعموا أن للاسلام باطنا غير ظاهره ، فظاهره للعوام الجاهلين ، وباطنه للخواص العارفين ، وأرادوا هدم سلطان الاسلام بالاسلام لاعادة سلطان المجوسية الكسروية التي قضى عليها المسلمون القضاء الابدي ، وانما سبق الناعق بها اليوم ناعق آخر من متفرنجة هذه البلاد ومن رجال القانون والقضاء الاهلي قيل إنه انضوى الى دين البابية البهائية آخر فرق الباطنية - نعق بها هذا الرجل في مجمع عقده لها في الاسكندرية منذ بضع سنين بخطاب (محاضرة) ألقاه على كثير من رجال القانون ثم طبعه ووزعه بالمجان فرددنا عليه ردا أعجزه فلم يستطع أن يدافع عن نفسه ولا دافع عنه أحد من أعداء الاسلام ، لا من البهائية ولا من رجال قوانينهم الوضعية الذين يريدون ان ينسخوا بها الشريعة الاسلامية

وأما الناعق بهذه البدعة اليوم فمن العلماء المتخرجين في الازهر ومن قضاة المحاكم الشرعية (ان هذا لشيء عجاب) ومن بيت كريم في هـذه البلاد عرف أهله بالآداب العالية والاخلاق وبالدين أيضا . خلاصة هذه البدعة :

انه ليس للاسلام خلافة ولا امامة ولا حكومة ولا تشريع سياسي ولا قضائي

وانه دين روحاني محض كدين النصارى بالمعنى الذي فهمته شيعة البروتستانت منهم دون من قبلهم . وأن ما ادعاه المسلمون من عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه الى يومنا هذا من أمر الامامة والخلافة باطل من القول وضلال من العمل ، وفساد في الارض ، لما جعلوه للخليفة من السلطان الديني الالهي ، وانما أضل جماعة المسلمين في ذلك الملوك لتوطيد سلطانهم فيهم ، وأن أبا بكر كان ملكا للعرب أراد أن يحقق وحدتهم . ويجعل السلطان لقريش وحدهم فيهم ، وليس له ولا لمؤيديه حجة من الدين ، ولم يكن جميع الخارجين عليه والمانعين اداء الزكاة له مرتدين عن الاسلام ، وأن قتالهم لم يكن دينيا بل سياسيا للدفاع عن دولة العرب ووحدتهم ، والدين نفسه لم يوجب ان تكون للعرب ولا لغيرهم من المسلمين دولة ولا وحدة .

بل لكل فريق من المسلمين عربهم وعجمهم أن يقيموا لانفسهم حكومة يرضونها ،

ودين الاسلام لم يقيدهم في ذلك بقيد ما بل هو بريء من كل ماعزوه اليه من ذلك

هذه خلاصة البدعة الجديدة التي قام ببثها اليوم في العالم الاسلامي الشيخ علي عبد الرازق « من علماء الجامع الازهر وقضاة المحاكم الشرعية » المصرية بكتاب ألفه فيها تجاوزت صفحاته المائة ، وهو يوزعه في الاقطار الاسلامية — على ما بلغنا — بغير ثمن ، وما كان دعاة الاديان والمذاهب والاحزاب السياسية والاجتماعية أن يستغلوا دعايتهم ويتجروا بالمال فيها بحسب الديني منهم ثواب الله في الآخرة ، والدنيوي عظمة الدنيا وجاهها والانتظام في سلك مؤسسي الانقلابات الكبرى فيها

ولا ينبغي لنا أن نكتفي في بيان ملخص هذه البدعة بما فهمناه من الكتاب من غير نقل عبارته في النتيجة المرادة منه ، وان كان هذا الملخص مقدمة وتمهيدا لرد طويل مفصل نبطل به نصوصه المختلبة ، ومقاصده المختبلة ، قال في الصفحة الاخيرة منه (ص ١٠٣) مانصه :

« والحق أن الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون وبريء من كل ماهيأوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عزة وقوة ، والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية . كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة ، وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، لاشأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ، ولا نهى عنها ، وانما تركها لنا لنرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسة » ثم قال ايضاحا لهذا :

« لاشيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الامم الاخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها . وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه (١) وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية وأمتن مادلت تجارب الامم على أنه خير أصول الحكم »

أقول : القضية الاولى من هذا الايضاح حق أريد به باطل وهو مابعده ، فنظام الخلافة الاسلامية أفضل نظام عرفه البشر وكان المسلمون أعز الامم عند ما أقاموه وما ذلوا واستكانوا لغير ربهم الا عند ما تركوه ، وما كان لامة عاقلة مستقلة أن تبني قواعد ملكها ونظام حكومتها على أحدث تجارب غيرها من الامم فتكون

(١) الاستكانة الذل والخضوع يتعدى باللام لا بالى قال تعالى (فما استكانوا لربهم)

كقدح الراكب لا تستقر على حال من القلق والاضطراب ، ومن ذا الذي يحكم لها بالخيرية بين الجمهورية والملكية ، وبين الاشتراكية والبلشفية والرأسمالية مثلا ؟

واذ كان يقول هذا حكم الاسلام في المسألة عنده فماذا يقول فيما في القرآن والسنة من الاحكام السياسية كالمعاهدات والمعاهدين وأحكام الحرب والاحكام القضائية الشخصية كالمواريث والزواج والطلاق والعقود والاحكام المدنية كتحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، وأحكام العقوبات من حدود وتعزيرات — هل ينكرها من أصلها كما أنكر أحاديث الخلافة والاجماع على نصب الخليفة ؟ أم يقول ان طاعة الله ورسوله لا تجب فيها ، وإنها مستثناة من حكم قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) ويستدل على ذلك ببعض الشعر الذي يحفظه من الاغاني والعقد الفريد ودواوين الشعراء كما فعل فيما سنذكره من دلائله في بحث الخلافة ؟

أم يقول فيها كما قال سلفه والسابق له الى اقتراح هدم حكومة الاسلام من أساسها ونسف أصولها الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس احمد صفوت الهندي الذي أشرنا الى بدعته آنفا تلك البدعة التي كانت سببا فيما نرى لندب الانكليز اياه لاصلاح القضاء في فلسطين !! وملخصها : ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان حاكما للمسلمين وكانت طاعته واجبة كما تجب طاعة كل حاكم في زمن حكمه ، وأن أحكامه لا يجب أن تتبع من بعده ، وأن لكل حاكم في كل زمن مثلما كان له من ذلك وله بمقتضاه أن يلغي كل حكم كان قبله ، لافرق بين الرسول وغيره . وكذلك إجماع المتقدمين وأقيستهم لا يجب أن يؤخذ بها من بعدهم ، فاجماعنا في هذا العصر خير لنا من إجماعهم ، وأقيستنا خير لنا من أقيستهم

وأما أحكام القرآن فقد صرح بأنها هي التي فرضها الله على المسلمين في كل زمان دون غيرها ثم جعل ماعدا المبادىء العامة منها (أي كالامر بالعدل) ثلاثة أقسام : ماحرمه الله وما أوجبه وما جوزه — فحكم الاول عنده — وقد مثل له بتحريم الامهات والبنات — أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء يخالفه في مرماه!! وحكم الثاني عنده — وقد مثل له بالعدة والاشهاد على عقد الزواج — أن يبقى منه ماتتحقق به الحكمة المقصودة منه فيستغنى بها عن التزام الحكم نفسه —

حكومة أن تحرم بالقوانين الوضعية ماتشاء منه — ثم قال مانصه : « وبذلك ينقض وجوب التقيد بالمعاني الحرفية للالفاظ القانونية الواردة في القرآن »

فخلاصة رأيه أن كل ما ثبت بالسنة أو الاجماع أو القياس من الاحكام الشرعية لايجب على أحد من المسلمين العمل به ، وأن أحكام القرآن نفسها لايجب العمل بنصوصها ومدلول ألفاظها ، وانما يبحث المسلمون ماداموا يدعون الاسلام عن مرمى المحرمات منها فيراعوه ، وعن حكمة الواجبات فيراعوها ، وأما الجائزات فلهم أن يحرموا منها ماأحله الله أو يوجبوه بحسب مايتراءى لحكوماتهم في كل زمان

ولكن ظاهر عبارة عالم الازهر وقاضي الشرع الذي جاء خلفا لهذا السلف القانوني في هدم التشريع الاسلامي أن أحكام القرآن كثيرها لاتوجب على المسلمين التقيد في حكومتهم بها ولا تمنعهم أن يأخذوا بأحدث تجارب الامم فيها حتى اذا فرضنا ان أحدثها وهي البلشفية نجحت فلا حرج عليهم في الاخذ بها

أول مايقال في وصف هذا الكتاب لا في الرد عليه إنه هدم لحكم الاسلام وشرعه من أساسه ، وتفريق لجماعته ، وإباحة مطلقة لعصيان الله ورسوله في جميع الاحكام الشرعية الدنيوية ، من شخصية وسياسية ومدنية وجنائية — وتجهيل للمسلمين كافة من الصحابة والتابعين ، والائمة المجتهدين والمحدثين والمتكلمين ، وبالجملة هو اتباع لغير سبيل المؤمنين . فالاسلام بريء منه بحسب مافهمه المسلمون من العصر الاول الى عصرنا هذا . واننا سنرد على جميع أبوابه وفصوله ردا مفصلا جريا على خطتنا في الدفاع عن ديننا وملتنا ، ولكننا لانقول في شخص صاحبه شيئا لحسابه على الله تعالى وانما نقول إنه لايجوز لمشيخة الازهر أن تسكت عنه كما سكتت عن احمد صفوت وأمثاله ، فان هذا المؤلف الجديد رجل منهم فيجب عليهم أن يعلنوا حكم الاسلام في كتابه لئلا يقول هو وأنصاره إن سكوتهم عنه إجازة له أو عجز عن الرد عليه ، فان كان ردنا عليه ودحضنا لشبهاته يرفع عنهم اثم الانكار عليه وتحذير الناس من ضلالته - لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات - فان للائمة التي توجه اليهم بالسكوت عن مثل هذا لاترتفع بردنا وحدنا ، بل يحط من أقدارهم في نظر الامة كلها ، وحاشاهم الله من ذلك ،

مناظرة ابن تيمية العلنية

لدجاجلة البطائحية الرفاعية

(وهي من أعظم ما تصدى له وقام به شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه من إقامة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنة، ومحاربة البدعة ، بعد ان اهمل ذلك الحكام والعلماء ففشت البدع وصار كثير منها يعد من شعائر الدين ، أو خصائص الصالحين ،فكان رحمه الله من أعظم المجددين) قال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،وأشهد أن لا إله الا الله رب السموات والارضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليما دائما الى يوم الدين

(أما بعد) فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الامارة والميدان بحضرة الخلق من الامراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة وغيرهم في أمر البطائحية يوم السبت تاسع جمادى الاولى سنة خمس لتشوف الهمم الى معرفة ذلك وحرص الناس على الاطلاع عليه ، فان من كان غائبا عن ذلك قد يسمع بعض أطراف الواقعة ومن شهدها فقد رأى وسمع ما رأى وسمع ، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويره لانتشار هذه الواقعة العظيمة ، ولما حصل بها من عز الدين وظهور كلمته العليا وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة، والاحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين

وقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية وطريقهم وطريق الشيخ أحمد بن الرفاعي وحاله وما وافقوا منه المسلمين وما خالفوهم ليتبين مادخلوا فيه من دين الاسلام وما خرجوا فيه عن دين الاسلام، فان ذلك يطول وصفه في هذا الموضع، وانما كتبت هنا ماحضرني ذكره من حكاية هذه الواقعة المشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم ، وذلك اني كنت أعلم من حالهم بما قد ذكرته في غير هذا الموضع وهو انهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك، ويوجد في بعضهم التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلك مايوجد فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر ، ومن الغلو والبدع في الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول والاستخفاف بشريعة الاسلام والكذب والتلبيس ، واظهار المخارق (١) الباطلة وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله مايوجد

وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة بينت فيها لمن خاطبته منهم ومن غيرهم بعض مافيهم من حق وباطل ، وأحوالهم التي يسمونها الاشارات، وتاب منهم جماعة ، وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت صورة مايظهرونه من المخاريق مثل ملابسة النار والحيات واظهار الدم واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك ، وان عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة ، وأراد غير مرة منهم قوم اظهار ذلك فلما رأوا مما ضني

(١) أطلقوا اسم المخارق والمخاريق على الخوارق المفتعلة بالحيل والتلبيس والشعوذة وهي في أصل اللغة ضرب من لعب الصبيان

لهم رجعوا ودخلوا على أن استرهم وأجبتهم الى ذلك بشرط التوبة، حتى قال لي شيخ منهم في مجلس عام فيه جماعة كثيرة ببعض البساتين لما عارضتهم بأني أدخل معكم النار بعد أن نغتسل بما يذهب الحيلة ومن احترق كان مغلوبا ، فلما رأوا الصدق أمسكوا عن ذلك

وحكى ذلك الشيخ أنه كان مرة عند بعض امراء التتر بالمشرق وكان له صنم يعبده قال: فقال لي: هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويبقى أثر الاكل في الطعام بينا يرى فيه ، فأنكرت ذلك ، فقال لي ان كان يأكل انت تموت ؟ فقلت نعم ، قال فأقمت عنده الى نصف النهار ولم يظهر في الطعام اثر ، فاستعظم ذلك التتري ذلك واقسم بايمان مغلظة انه كل يوم يرى فيه اثر الاكل لكن اليوم بحضورك لم يظهر ذلك . فقلت لهذا الشيخ انا ابين لك سبب ذلك . ذلك التتري كافر مشرك ولصنمه شيطان يغويه بما يظهره من الاثر في الطعام وانت كان معك من نور الاسلام وتأييد الله تعالى ما أوجب انصراف الشيطان عن ان يفعل ذلك بحضورك (١) وانت وامثالك بالنسبة الى اهل الاسلام الخالص كالتتري بالنسبة الى امثالك ، فالتتري وأمثاله سود ، وأهل الاسلام المحض بيض ، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض . فأعجب هذا المثل من كان حاضراً

وقلت لهم في مجلس آخر لما قالوا تريد أن نظهر هذه الاشارات ؟ قلت ان عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن من الاعراب والفلاحين أو الاتراك أو العامة أو جمهور المتفقهة والمتفقرة والمتصوفة لم يحسب لكم

---

(١) لعل ذلك الشيطان من شياطين الانس كان يأكل من الطعام في غفلة من ذلك الامير الخرافي ويوهمه ان الصنم أكله لمصلحة له في التلبيس عليه

ذلك فمن معه ذهب فليأت به الى سوق الصرف الى عند الجهابذة الذين يعرفون الذهب الخالص من المغشوش من الصفر ، لا يذهب الى عند أهل الجهل بذلك . فقالوا لي لا تعمل هذا إلا أن تكون همتك معنا(١) فقلت همتي ليست معكم بل أنا معارض لكم مانع لكم لأنكم تقصدون بذلك ابطال شريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فان كان لكم قدرة على اظهار ذلك فافعلوا. فانقلبوا صاغرين

فلما كان قبل هذه الواقعة بمدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البر مطوقين باغلال الحديد في أعناقهم(٢) وهو واتباعه معروفون بامور وكان يحضر عندي مرات فاخاطبه بالتي هي أحسن . فلما ذكر الناس مايظهرونه من الشعار المبتدع الذى يتميزون به عن المسلمين ، ويتخذونه عبادة ودينا يوهمون به الناس إن هذا لله سر من أسرارهم ، وإنه سيماء أهل الموهبة الالهية السالكين طريقهم أعني طريق ذلك الشيخ وأتباعه - خاطبته في ذلك بالمسجد الجامع وقلت هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الامة ولا من المشايخ الذين يقتدي بهم(٣) ولا يجوز التعبد بذلك ولا التقرب به الى الله تعالى لان عبادة الله بما لم يشرعه ضلالة ، ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلماء للحديث المروي في ذلك وهو أن النبي صلى الله تعالى

(١) أراد بهذا رشوة شيخ الاسلام بمشاركته في هذا الجاه الباطل على حد (ودوا لو تدهن فيدهنون)

«٢» رأيت مثل هؤلاء في الهند من متصوفة الشرك « ٣ » اي يقتدي بسيرتهم لموافقتها للكتاب والسنة كالجنيد

عليه وسلم رأى على رجل خاتما من حديد فقال « مالي أرى عليك حلية أهل النار » (١) وقد وصف الله تعالى أهل النار بأن في أعناقهم الاغلال، فالتشبه بأهل النار من المنكرات وقال بعض الناس قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث الرؤيا قال في آخره « أحب القيد واكره الغل القيد ثبات في الدين » فاذا كان مكروها في المنام فكيف في اليقظة (٢)

فقلت له في ذلك المجلس ماتقدم من الكلام أو نحواً منه مع زيادة وخوفته من عاقبة الاصرار على البدعة وان ذلك يوجب عقوبة فاعله ونحو ذلك من الكلام الذي نسيت أكثره لبعد عهدي به . وذلك أن الامور التي ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التعبد بها باتفاق المسلمين ولا التقرب بها الى الله ولا اتخاذها طريقا الى الله وسببا لان يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه ، ولا اعتقاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك، أو أن اتخاذها يزداد به الرجل خيرا عند الله وقربة اليه ، ولا أن يجعل شعارا للتائبين المريدين وجه الله ، الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم

فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به وهو ان المباحات انما تكون مباحة إذا جعلت مباحات فاما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك دينا لم يشرعه الله، وجعل ماليس من الواجبات والمستحبات منها

« ١ » رواه النسائي وله تتمة

«٢» أصل الحديث في الصحيحين وهذا لفظ مسلم وبعده : فلا أدري هو هو في الحديث أم قاله ابن سيرين اه أي راويه عن أبي هريرة وفي رواية له اسناده الى أبي هريرة وليس في رواية البخاري له شيء من الشك المذكور

بمنزلة جعل ماليس من المحرمات منها ، فلا حرام الا ما حرمه الله ، ولا دين الا ما شرعه الله ، ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع دينا لم يأذن الله به ، ولمن حرم مالم يأذن الله بتحريمه(١) فاذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات ؟ ولهذا كانت هذه الامور لا تلزم بالنذر ، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله ان يطيعه ، بل عليه كفارة يمين اذا لم يفعل عند أحمد وغيره ، وعند آخرين لا شيء عليه ، فلا يصير بالنذر ماليس بطاعة ولا عبادة(٢)

ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين وعهود أهل الفتوة ورماة البندق ونحو ذلك ليس على الرجل ان يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله الا ما كان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك. ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البدع الى ماهو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة اذ كان المسلمون متفقين على انه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل انه قربة وطاعة وبر وطريق الى الله واجب أو مستحب الا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك يعلم بالادلة المنصوبة على ذلك ، وما علم باتفاق الامة انه ليس بواجب ولا

«١» بل جعله من الشرك أو الكفر المتعدي الذي هو أضر من الشرك كما بيناه في تفسير(وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وغيره راجع ص ٣٩٨ - ٤٠٤ من جزء التفسير الثامن وكذا ص ١٤٣ و١٤٧ و١٦٤ و١٨١ منه

«٢» لعله سقط من هنا : طاعة وعبادة منصوبين

مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتمد أو يقال انه قربة وطاعة ، فكذلك هم متفقون على انه لا يجوز قصد التقرب به الى الله ، ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عمله من الحسنات ، فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ، ولا بارادة وعمل ، وباهمال هذا الاصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء اذا لم يكن محرما لا ينهى عنه بل يقال انه جائز(١) ولا يفرقون بين اتخاذه دينا وطاعة وبرا وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة ، ومعلوم ان اتخاذه دينا بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما وبالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات ، وهذا من البدع المنكرات التي هي اعظم من المعاصي التي يعلم انها معاصي سيئات ،

﴿ فصل ﴾

فلما نهيتهم عن ذلك اظهروا الموافقة والطاعة ومضت على ذلك مدة والناس يذكرون عنهم الاصرار على الابتداع في الدين ، واظهار ما يخالف شرعة المسلمين ، ويطلبون الايقاع بهم ، وانا اسلك مسلك الرفق والاناة ، وأنتظر الرجوع والفيئة ، واؤخر الخطاب الى ان يحضر (ذلك الشيخ) لمسجد الجامع . وكان قد كتب الي كتابا بعد كتاب فيه احتجاج واعتذار ، وعتب

(١) سقط جواب اذا من الناسخ ومعناه أنهم يرون جواز جعله قربة وعبادة . وهذا مثار كثير من البدع الحدثة . وذكر لي بعض علماء الازهر في هذه الايام ان بعض كبار علمائه كانوا يتكلمون فيما ينكره الوهابية من بدع القبور وغيرها ويستحسنون ذلك فقال بعضهم منكرا ولكنهم منعوا أن يستشفع بأصحابها الصالحين فقال له شيخ الازهر (الاستاذ أبو الفضل الجيزاوي) هذا هو الشرع فقال المنكر ما دليله ؟ فقال الشيخ انما يطلب الدليل على الاذن به لا على المنع ، فدل هذا على أن الشيخ أيد الله به السنة أعلمهم

وآثار وهو كلام باطل لا تقوم به حجة، بل إما احاديث موضوعة، او اسرائيليات غير مشروعة ، وحقيقة الامر الصد عن سبيل الله واكل اموال الناس بالباطل . فقلت لهم: الجواب ، يكون بالخطاب . فان جواب مثل هذا الكتاب لا يتم الا بذلك، وحضر عندنا منهم شخص فنزعنا الغل من عنقه ، وهؤلاء هم من أهل الاهواء الذين يتعبدون في كثير من الامور بأهوائهم لا بما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ولهذا غالب وجدهم هوى مطلق لا يدرون من يعبدون وفيهم شَبه قوي من النصارى الذين قال الله تعالى فيهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) ولهذا كان السلف يسمون اهل البدع أهل الأهواء ،

فحملهم هواهم على ان تجمعوا تجمع الاحزاب ، ودخلوا الى المسجد الجامع مستعدين للحراب ، بالاحوال التي يعدونها للغلاب . فلما قضيت صلاة الجمعة أرسلت الى شيخهم لنخاطبه بأمر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونتفق على اتباع سبيله، فخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم الى قصر الامارة وكأنهم اتفقوا مع بعض الاكابر على مطلوبهم ثم رجعوا الى مسجد الشاغو على ماذكر لي وهم من الصياح والاضطراب ، على أمر من أعجب العجاب ، فأرسلت اليهم مرة ثانية لاقامة الحجة والمعذرة ، وطلبا للبيان والتبصرة ، ورجاء المنفعة والتذكرة . فعمدوا الى القصر مرة ثانية ، وذكر لي انهم قدموا من الناحية الغربية مظهرين الضجيج والعجيج ، والازباد والارعاد ، واضطراب الرءوس والاعضاء ، والتقلب في نهر بَرَدى ،

واظهار التوله الذي يخيلوا (١) به على الردى، وابراز مايدعونه من الحال والمحال، الذي يسلمه اليهم من أضلو من الجهال

فلما رأى الامير ذلك هاله ذلك المنظر، وسأل عنهم فقيل له هم مشتكون، فقال ليدخل بعضهم، فدخل شيخهم وأظهر من الشكوى عليّ ودعوى الاعتداء مني عليهم كلاما كثيراً لم يبلغني جميعه، لكن حدثني من كان حاضراً ان الامير قال لهم: فهذا الذي يقوله من عنده أو يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا بل يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال فأي شيء يقال له؟ قالوا نحن لنا أحوال وطريق يسلم الينا (٢) قال فنسمع كلامه فمن كان الحق معه نصرناه، قالوا نريد أن نشد منا، قال لا ولكن أشد من الحق سواء كان معكم أو معه، قالوا ولابد من حضوره؟ قال نعم، فكرروا ذلك فأمر باخراجهم، فأرسل اليّ بعض خواصه من أهل الصدق والدين ممن يعرف ضلالهم، عرفني بصورة الحال وانه يريد كشف أمر هؤلاء

فلما علمت ذلك ألقي في قلبي ان ذلك لامر يريده الله من اظهار الدين، وكشف حال أهل النفاق المبتدعين، لانتشارهم في أقطار الارضين، وما أحببت البغي عليهم والعدوان، ولا ان أسلك معهم الا أبلغ ما يمكن من الاحسان، فأرسلت اليهم من عرفهم بصورة الحال، واني اذا حضرت

«١» كذا ولعل أصله تحيلوا أي اتخذوا الحيل وسيلة للجاه فساقتهم الى الردى . ذلك بأن أفعالهم التي ذكرها ولباسهم وأغلالهم لها تأثير عظيم في قلوب العوام وأصحاب الاوهام

«٢» هذه كلمة باطلة قالها بعض الفقهاء المغرورين بالدجل فاتخذها الدجاجلة أصلا شرعيا وحكما إلهيا

كان ذلك عليكم من الوبال ، وكثر فيكم القيل والقال . وان من قعد أوقام قدام رماح أهل الايمان . فهو الذي أوقع نفسه في الهوان. فجاء الرسول وأخبر أنهم اجتمعوا بشيوخهم الكبار ، الذين يعرفون حقيقة الاسرار ، وأشاروا عليهم بموافقة ما أمروا به من اتباع الشريعة، والخروج عما ينكر عليهم من البدع الشنيعة. وقال شيخهم الذى يسيح بأقطار الارض كبلاد الترك ومصر وغيرها : أحوالنا تظهر عند التتار لا تظهر عند شرع محمد بن عبدالله . وانهم نزعوا الاغلال من الاعناق ، وأجابوا الى الوفاق

ثم ذكر لي انه جاءهم بعض أكابر غلمان المطاع (١) وذكر انه لابد من حضورهم لموعد الاجتماع . فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته ، واستنصرته واستهديته ، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك ، حتى ألقي في قلبي ان أدخل النار عند الحاجة الي ذلك . وانها تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة الخليل ، وانها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذه السبيل . وقد كان بقايا الصابئة اعداء إبراهيم امام الحنفاء بنواحي البطائح منضمين الى من يضاهيهم من نصارى الدهماء . وبين الصابئة ومن ضل من العبّاد المنتسبين الى هذا الدين ، نسب يعرفه من عرف الحق المبين، فالغالية من القرامطة والباطنية كالنصيرية والاسماعيلية . يخرجون الى مشابهة الصابئة الفلاسفة ثم الى الاشراك ثم الى جحود الحق تعالى. ومن شركهم الغلو في البشر ، والابتداع في العبادات، والخروج عن الشريعة له نصيب من ذلك بحسب ماهو به لائق كالملحدين من أهل الاتحاد ، والغالية من أصناف العباد

(١) لعل اصله الأمير المطاع

فلما أصبحنا ذهبت للميعاد ، وما أحببت أن استصحب احداً للاسعاد، لكن ذهب أيضا بعض من كان حاضرا من الاصحاب ، والله هو المسبب لجميع الاسباب . وبلغني بعد ذلك أنهم طافوا على عدد من اكابر الامراء ، وقالوا انواعا مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء ، الذي استحوذوا به على اكثر أهل الارض من الاكابر والرؤساء ، مثل زعمهم ان لهم أحوالا لا يقاومهم فيها احد من الاولياء ، وان لهم طريقا لا يعرفها أحد من العلماء . وان شيخهم هو في المشايخ كالخليفة ، وانهم يتقدمون على الخلق بهذه الاخبار المنيفة ، وان المنكر عليهم ماهو آخذ بالشرع الظاهر ، غير واصل الى الحقائق والسرائر . وأن لهم طريقا وله طريق . وهم الواصلون إلى كنه التحقيق ، واشباه هذه الدعاوي ذات الزخرف والتزويق . وكانوا لفرط انتشارهم في البلاد ، واستحواذهم على الملوك والامراء والاجناد ، لخفاء نور الاسلام ، واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام ، وطموس آثار الرسول فى اكثر الامصار ، ودروس حقيقة الاسلام في دولة التتار ، لهم في القلوب موقع هائل ، ولهم فيهم من الاعتقاد مالا يزول بقول قائل (له بقية)

العالم الغربي والعرب والاسلام

(٢)

وماذا يقول الانسان وماذا عساه أن يباحث أو يناظر من لا يخجلون أن يقولوا إن الاوربيين بقوا أصدقاء للمسلمين ثلاثة قرون وانهم ماثاروا للحرب الصليبية الا بسبب الاتراك بما تعدوا به على امم البلقان وعلى شواطيء الادرياتيك . . .

مرارا تمنينا أن الذي لا يعلم شيئا لا يتشدق به، ومرارا أملنا أن الذي يرى نفسه مخطئا يتجنب الخوض فيما لا يعرفه . ان القاريء ليرثي لهذا القول ولهذا القائل وأحيانا يغلب عليه الضحك . فانه عند مازحف الاوربيون الى سورية وفلسطين لم يكن فيهما أتراك وما كان الترك الا في قونيه وان كان الترك حاربوا الصليبيين في قونية وانهكوهم نوعا فتكون تلك منهم خدمة للعرب الذين كانوا يومئذ هدفا للصليبيين وكان هؤلاء زاحفين اليهم فان الصليبيين كانوا قاصدين القدس والشام والحجاز ومصر لاقونية التي لم يكن لهم شغل بها . والقدس والشام ومصر والحجاز لم تكن تركية بل عربية ، ثم لما قصدوا مصر لم تكن مصر للأتراك ثم لما قصدوا تونس في زمان مارلويس لم تكن تونس للاتراك ثم لما قصدوها وأخذوها في زمن شارلكان لم تكن للاتراك . ولما استولوا على وهران وأكثر سواحل مراكش لم يكن شيء من ذلك للاتراك. ولما قصد البرتغاليون زنجبار فى القرن الخامس عشر وأزالوا منها ملك العرب ثم عمان واستولوا عليها لم يكن ثمة أتراك ولما تحالفوا مع الحبشة وقصدوا محاربة مصر وتحويل النيل الازرق عن مصر لم تكن مصر للاتراك . وجميع الحروب التي قد وقعت بين الافرنج وعرب الاندلس وممالك المغرب لم يكن شيء منها بسبب الاتراك ولا كان هناك أتراك ومما يقهقه له الانسان من الضحك كون الافرنج غضبوا على المسلمين وحاربوهم لكون المسلمين كانوا يصلون لانتصار الاتراك . . . وانظر الى هذه الجملة وتأمل مافيها من الادعاء مع خلو معناها التام من الصحة وهي هذه —

« ان التاريخ يوضح بما لا يحتمل التأويل ولا يقبل الشك ولا يجوز معه الجدل ولا تسوغ فيه المناقشة ان العالم الغربي « أي أوربا » بقي ملازما صداقة المسلمين

نحو ثلاثة قرون بعد انتصار صلاح الدين الايوبي الشهير عليه الى أرقام الاتراك وتقدمهم عليه تباعا في سهول البلقان وعلى الشاطيء الادرياتيكي مما حرك فيه عامل الانتقام لزعمه — وقد يكون زعمه حقيقة ان العالم الاسلامي راض عن أعمال الاتراك هذه طالما مئات ملايين تصلي لله سرا وعلانية كي ينصر الترك المسلمين على أعداء دينهم » انتهى بنصه الشائق . . . .

ولا يعلم الانسان ماذا يصلح وماذا يصحح من الاغلاط في هذه الجملة التي يظهر انها قرئت في كتاب انكليزي فعربت بهذه الصورة واتخذت حجة وظنت آية منزلة وصارت لاتقبل الشك ولا تحتمل التأويل . . . نقول

اولا — عند ماقصد الافرنج الشرق انما كان مقصدهم بلاد العرب ولم يكن حينئذ بها اتراك

ثانيا — اعتدى الفرنج على مصر وجزيرة العرب وطرابلس وتونس والجزائر والقطر المراكشي وعرب الاندلس حيثما لم يكن فيها أتراك ولا لها علاقة بالاتراك كما قلنا

ثالثا — عند مازحف الافرنج في الصليبية الاولى (سنة ١٠٩٩) الى بيت المقدس لم يكن الاتراك وصلوا الى سهول البلقان تباعا ولا الى الشاطيء الادرياتيكي حتى يقال إن العالم الغربي انتقم من غارات الاتراك في سهول البلقان والشاطيء الادرياتيكي بالاعتداء على العرب في القدس والشام ومصر . فان الافرنج زحفوا الى سورية وفلسطين في القرن الحادي عشر وان الاتراك زحفوا على سهول البلقان والساحل الادرياتيكي في أواخر القرن الرابع عشر . فبمقتضى هذه العبارة يكون الافرنج انتقموا من العرب في بلاد العرب عن أعمال عملها الترك معهم تباعا في سهول البلقان والساحل الادرياتيكي . . . قبل وقوعها باربعة قرون ونصف وهل تظن ان المكابر يعدل عن عناده ولو ظهر له هذا الجهل الفاضح ممن نقل عنه وصدق كلامه؟ كلا قد جربنا ذلك من قبل فلم يزل الذي يهرف بما لا يعرف مصرا على خطائه

رابعا — كيف بقي العالم الغربي ملازما صداقة المسلمين نحو ثلاثة قرون

بعد انتصار صلاح الدين عليه وصلاح الدين انتصر على الافرنج سنة ١١٩٢ و بعد ذلك جرت الصليبية الثالثة التي كانت أشد الصليبيات وبقيت الحرب فيها على عكا سنتين ثم عقبتها الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ ثم الصليبية الخامسة سنة ١٢٢١ ثم الصليبية السادسة سنة ١٢٢٩ ثم الصليبية السابعة سنة ١٢٥٢ التي غزوا فيها دمياط ثم الصليبية الثامنة سنة ١٢٧٠ في زمن لويس التاسع وفيها غزوا مصر وأسر فيها مارلويس وبعد أن فدا نفسه عاد فغزا تونس ومات في حصارها •

فهذه كلها حروب اعتداء في اعتداء على المسلمين لاسيما على العرب الذين ذاقوا فيها من الاهوال والنكبات مالا يوصف وكلها من بعد صلاح الدين وضمن ثلاثة قرون « الصداقة » التي زعمها صاحب تلك الجملة المدربة . فان كانت هذه هي الصداقة فكيف تكون العداوة ياترى ؟ ثم بعد تلك القرون الثلاثة حروب أخرى تقدم ذكرها لم يكن فيها ادنى رائحة للاتراك وانما اضطر عرب المغرب بتوالى تعدي الافرنج عليهم الى استنجاد الاتراك الذين استخلصوا تونس والجزائر ووهران في زمن سليمان القانوني . كما أن سواحل مراكش استخلصها من البرتغال مولاي اسماعيل سلطان فاس العظيم جد الاسرة السلجماسية . على انه من الحقائق التاريخية ان الذي زاد رابطة العرب بالاتراك هو مارأوه فيما بعد من جهاد الاتراك في دفع الافرنج عن البلاد العربية فالافرنج هم الذين احوجوا العرب الى الاتراك

خامسا — مضحك جدا قوله إن العالم الغربي تحرك فيه عامل الانتقام لزعمه أن العالم الاسلامي راض عن أعمال الاتراك يصلي الله سرا وعلانية لنصر الترك المسلمين ، فالعالم الغربي يذبح تلك الامم ويوقع تلك المصائب كلها في أقوام كل ذنبهم أنهم صلوا لنصرة ابناء دينهم بالقتال فعلا — كما يتطوع الوف من الانكليز وغيرهم اليوم في حرب الريف بجانب الاسبان — حقا قائل هذا القول الافرنجي لايخجل، ومصدقه يستحق الرثاء . لايكفي الافرنج أن قصدوا القدس من أقصى بلادهم وخربوا ديار الشام ونسفوا الحضارة العربية ودخلوا بيت المقدس فالتجأ المسلمون الى المسجد الاقصى فدخلوا اليه وذبحوهم عن آخرهم نساء ورجالا واطفالا وكانوا سبعين الفا حتى خاضت الخيل في الدم الى صدورها . وامتلأت

القدس بأشلاء القتلى فاستحيا الافرنج ثلاثمائة من المسلمين لاجل نقل الجثث وتنظيف الشوارع من الدماء وبعد ان فرغوا من عملهم هذا عاد الافرنج فقتلوهم أيضا وارتكبوا فظائع لا يسمح المقام ذكرها. بل بعد ذلك كله يأتي واحد فيقول: (إنما فعلوا ذلك) لأن العالم الغربي يزعم وقد يكون زعمه حقيقة ان العالم الاسلامي راض عن الاتراك الذين اعتدوا على العالم الغربي في سهول البلقان والشاطئ الادرياتيكي. أي أنه يعطي العالم الغربي الحق في هذه المذابح بأجمعها التي مذبحة المسجد الاقصى واحدة منها ويرى الذنب ليس من العالم الغربي بل من المسلمين الذين « صلوا لله سرا وعلانية كي ينصر الترك المسلمين اعداء دينهم » أفلا تراهم يستحقون هذه المذابح وقد صلوا هذه الصلاة؟ هذا ولو كانوا صلوا لنصر الاتراك قبل وصول الاتراك الى الادرياتيكي بأربعمائة سنة . . . هنا حيلتي مع الذي لا يعرف ما يقول اصبحت قليلة

من كان يخلق ما يقو   ل فحيلتي فيه قليله

وماذا عساني أن اعد من تلك الحقائق الناصعة والآراء الصائبة(١)؟ اقوله: ان بلاد شمالي افريقية بقيت عربية لكون العرب ثبتوا فيها لا من أجل كونها اسلامية؟ لم نعلم أي مؤرخ شرقي أو غربي أو فيلسوف اجتماعي قال هذا القول، ولا كيف يتصور العقل ان مراكش والجزائر وتونس وطرابلس تبقى عربية بدون اسلام وأية رابطة تبقى للبربر الذين هم القسم الاعظم فيها مع العرب ان لم يكن الاسلام؟ وأية قوة كانت للعرب على البربر ليس في الوقت الحاضر فقط بل في وقت الفتح نفسه ان لم تكن قوة الاسلام. فان فتح العرب لهذه الاقطار باتفاق جميع المؤرخين شرقا وغربا انما تم واتسق بدخول البربر في الاسلام وليس بسبب آخر.

أم ذلك القول بانه يجب ان نترك هذا الحلم الجميل الذي هو نشر العربية بواسطة القرآن والهزؤ بهذا « الحلم الجميل »؟ فهذا أيضا من الفلسفة التي عجزت العقول عن إدراكها ... نعم ان المستعمرين ولاسيما الانكليز تعجبهم هذه النغمة ويتمنون انتشارها ورواج هذا التضايل بين العرب طمعا في حص أجنحة الامة العربية التي تخشى انكلترة انتظام شملها واستئناف دولتها أكثر كثيرا مما تخشى

(١) يعني أقوال ذلك المتفرنج الملحد الذي يرد عليه

الاتراك . وهذا هو السبب الوحيد في كوننا نعنى بادحاض هذه الاقاويل وإزالة تلبيسها واظهار مافيها من العته لئلا يلصق منها شيء بإذهان الجالية العربية بأميركا وفيها كثير من السذج وغير المتعلمين ومن ربما يظنون ان تلك الاقاويل على شيء من الصحة، فمعلوم عند الجميع ان كل الامم العظيمة والصغيرة تجد وتداب في نشر لغاتها وتؤسس لذلك المعاهد العلمية وتنفق عليها القناطير المقنطرة . وكلما ازداد انتشار لغة ازدادت سعادة المتكلمين بها وحق إعجابهم فان انتشار لغة أمة من الامم يعتبر إضافة لعدد كبير من غير أبنائها اليها فضلا عما يستجلب اليها من الميول لان من عرف شيئا أحبه ومن جهل شيئا عاداه . والامة العربية تحسدها سائر الامم على كون لغتها هي لغة سبعين مليونا من العرب والمستعربين — المستعربين بسبب الاسلام ونفوذه الماضي لا بسبب آخر أصلا — واللغة الدينية لثلاثمائة وخمسين مليون مسلم في الارض قد امتزجت بلغاتهم الاصلية وتشكلت منها أكثر ألفاظهم العلمية . وهذا كله بدون شيء من العناء الذي يعانيه الافرنج لاجل نشر لغاتهم . أفمثل هذا الغرض الذي ترمي اليه كل الامم الراقية وتبذل من أجل بعضه الجهود والاموال الطائلة يهزأ به ؟ ويقال عنه « حلم جميل » لافائدة لنا به .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

(ثم عاد الكاتب الى ذكر تلك الدعوى الغربية الغريبة في تعليل حرب الصليبيين للعرب بأسلوب آخر وقفى عليه بقوله)

ربما قيل لي كررت هذا المعنى كثيرا ولم تزل ترجع اليه فأقول بلى لانه أعجبني وأطربني جدا وحقا أراد ان يمامل ويغالط ويباهت في الحقائق التي لايختلف فيها اثنان فليأت بمثل هذه المزاعم وليضحك قراءه ويطربهم والا فلا . ولا سيما عند مايقول ان هذه الرواية هي مما لايحتمل الشك ولا التأويل ولا يقبل الجدل ولا يسوغ المناقشة » انه هو كون الافرنج لم يقصدوا سورية ولاخربوا امدنها ولا طمسوا حضارتها العربية ولا ذبحوا مئات الالوف من أهلها كالشياه ولا أجروا

الدماء في المسجد الاقصى حتى غاصت الخيل فيها الى صدورها — ولما وصل الخبر الى بغداد قام العويل وعلا البكاء وهجمت العامة على دار الخلافة . وكان يوما عظيما - كلا لم يعملوا شيئا من هذه الافعال سنة ١٠٩٩ الانكاية بالاتراك عن حروب مستقبلة سيعملونها نحو سنة ١٤٠٠ الى ١٤٥٠

وهذه أشبه بما كانت دول الحلفاء تقول للعرب قبل الحرب العامة وفي أثنائها وهو ان هذه الدول « دول الحق والعدل » ليس لها غرض سوى تحرير العرب من عبودية الأتراك وانزال العقاب في هؤلاء الأتراك البرابرة وتأسيس استقلال للعرب يستأنفون به مجدهم السابق وما زالوا يكررون هذا التدجيل على العرب وصدقهم فيه كثير من معاتيه الله في ملكه كما يقال — ولا يزال بعضهم مصدقا — حتى وضعت الحرب أوزارها فكانت الدائرة الحقيقية هي على العرب وظهر الغش والخداع وغدروا بالحسين بن على حليفهم وهزأوا به وهم الآن بهذه المدة بعد سقوطه يحاولون إخراجه من العقبة التى هي من أراضي الحجاز الصرفة وهو أصبح لا يكره احدا في العالم كرهه للانكليز . حال كون الاتراك الآن ناعمين بملكهم مستقلين أكثر من ذي قبل « والعالم الغربي » يتزلف اليهم ظاهرا

لا تثقل علينا هذه الاقاويل من أجل تضمنها محاربة الدين الاسلامي أو الجامعة الاسلامية فاننا نحترم جميع الآراء والمذاهب ونقرأ كلام كثيرين ممن يجاهر بالالحاد أو التعطيل أو يحارب الدين المسيحي خاصة أو الدين الاسلامي خاصة ونأخذ كثيرا من أقوالهم بعين الاعتبار(١) اذا كان أصحابها من ذوي العلم والاطلاع والفلسفة والتاريخ لا بل نعجب بهم وبسعة علمهم اذا كانوا نظير الدكتور شبلي الشميل والاستاذ الزهاوي وامثالهما . والجامعة الاسلامية لا نفهمها الا بمعنى الرابطة التي يقدر أن يستفيد منها الامم المستضعفة منهم على قدر إمكانهم لان من سنة الخلق أن الضعفاء يتفقون والاقوياء يختلفون واذا كانت انكلترة اليوم وهي أقوى الاقوياء تدعو فرنسة وايطالية واسبانية لتشكيل جبهة واحدة في وجه الاسلام فما ظنك بالمسلمين الضعفاء الذين هم أحوج

«١» المنار : المراد بالاعتبار ما فيها من العبرة والموعظة

لى الانضمام . وكون ابن عبد المؤمن لم ينجد صلاح الدين أثناء الحرب الصليبية على الافرنج — على رواية انه لم ينجده — ناشيء عن كون الاسلام قويا يومئذ لا يخشى عليه بالجملة . على ان ماجاء مخالفا للواجب لايجوز أن يكون قياسا . فقد وجد في ملوك فاس من اسقطه أهل مملكته فذهب الى الاسبان وجاء بهم وقاتل قومه افنجعل ذلك مثالا ونقول إن خيانة الملك لقومه ليست بشيء فقد فعل الملك فلان ماهو كيت وكيت؟ وكم في تاريخ الاسلام من حوادث سيئة واخبار منكرة عن ملوك وأمراء ووزراء مما لا يخلو منه أمه افنتخذ ذلك حجة ونقول : مادام فلان سرق فيجوز لي أن اسرق ومادام فلان قتل فلاحرج علي في أن أقتل ؟

وليس بالضروري الاستمساك بالجامعة الاسلامية دون سواها فالجامعة الشرقية هي ارسع منها وأكثر وسائل . ولقد استعدت لها الامم الشرقية منذ أمد وتأسست في طوكيو جمعية لغرض تحرير الامم الاسيوية من رق أوربا وحصل فيها مؤخرا اجتماع يقال انه لم يسبق له مثيل في الازدحام والاكتظاظ وخطب فيه خطباء من الصين واليابان في موضوع اتحاد الامم الاسيوية ووجوب تضامنها وتعاضدها لرفع سلطة العالم الغربي عنها وستنمو هذه الجمعية ويكون لها شأن عظيم.

وكان يود الانسان أن لا يكون من حاجة الى جامعة اسلامية ولا الى جامعة شرقية وان ترتفع الفوارق الدينية والوطنية وتصير الجامعة هي الجامعة الانسانية لاغير . ولكن مع الاسف نقول ان « العالم الغربي » لايزال بعيدا من هذه الاحساسات محتقراً غيره مجوزا لنفسه استعباد سائر الشعوب في السياسة وفي الاقتصاديات وفي كل شيء بحيث لا يقدر الشرقيون ان يسترسلوا اليه أو يثقوا به . فاذا قام واحد مع ذلك يناضل عن « العالم الغربي » بعلم وحكمة وانصاف وروايات صحيحة شأن العلماء مع الانسان ان يناظرهم ولو كانوا سائرين في عكس خطة الشرقيين. وأما النضال عن « العالم الغربي » بمثل هذا الخلط الذي قدمت لك انموذجات منه فهو شيء مزعج لا يطاق ويخشى الانسان منه على اذهان البسطاء اهـ

« مطالع »

ماضي الازهر وحاضره ومستقبله

٤

(تتمة شرح مطالب الازهريين)

﴿ المطلب السادس ﴾ « تعديل الكشف الطبي بحيث لا يمنع من تولي وظائف التدريس بالازهر الا من به مرض معد . ومعاملة العلماء معاملة خاصة في الكشف الطبي بوزارة المعارف. وحفظ الحق المكفوفين في مباشرة وظائف التدريس بالازهر. ووظائف الامامة والخطابة بالمساجد »

ان من ينظر الى الاجراءات التي يتخذها مايسمونه (القومسيون الطبي) ليثبت بها صلاحية الشخص الوظيفة يجد تلك الاجراءات شديدة وقاسية وهي أشدو أقسى اذا عومل بها الازهريون الذين اعتادوا أرعودهم ولاة الامور أن لا يعتني بهم صحيا وأن يتركوا لجيوش الامراض المختلفة تفتك بهم . فأماكن الدراسة في الازهر والمعاهد الدينية التي لا تصلح — ولم توجد الا لتكون أماكن للعبادة فقط — تنال من الطالب في مدة الدراسة الطويلة القاسية وفي زمني الحر والقر مايكفي لان يهدم منه الجسم السليم ويضعف الصحة الجيدة . هذا الى المتاعب الكثيرة التي يستلزمها الانكباب على الدرس والتحصيل . سيما في العلوم الازهرية البعيدة الغور والطويلة المدى . ولاريب أن ذلك كاف لان يحول دون استيفاء خريجي الازهر للشروط التي يفرضها القومسيون الطبي فلا بد أن تكون للازهريين معاملة خاصة تراعى فيها الاعتبارات التي ذكرنا . سيما ان هذه الاجراءات لم يكن الازهريون بها عهد ولم يقيدهم بها قانون. على انه اذا أجيب ما نطالب بشأن أماكن الدراسة وغير ذلك من المطالب فقد يكون لولاة الامور الحق في أن يعاملوا من ينتفع بهذه الاصلاحات معاملة بقية اخوانهم خريجي المدارس.

واذا ثبت بما ذكرنا وجوب تعديل الكشف الطبي بالنسبة للازهريين فانا نذكر ان هذا الطلب يشمل أمورا ثلاثة (١) ان لا يمنع من وظائف التدريس بالازهر إلا

من به مرض معد (٢) أن يعامل العلماء إذا عينوا للتدريس بوزارة المعارف معاملة خاصة كالاكتفاء بنصف نظر في مجموع العينين (٣) حفظ الحق للمكفوفين في مباشرة وظائف التدريس بالازهر ووظائف الامامة والخطابة بالمساجد ونكتفي بما قدمنا عن الكلام في الامرين الاولين ونتكلم عن الامر الثالث

ذلك أن المكفوفين الذين يمضون زمنا طويلا في الازهر يكدون لنيل شهادة العالمية — هم أولى الناس بالعطف عليهم وأجدرهم بالاخذ بناصرهم فلا بد أن يفتح لهم باب الامل بما يتناسب مع كدهم واجتهادهم وما أحاط بهم من اعتبارات أخرى أما حرمانهم نهائيا من كل عمل فمعناه انهم ليسوا أهلا لشيء وانهم أضاعوا حياتهم سدى وهو تصرف لا يستطيع انسان تبريره أو الدود عنه سيما أن كلهم أو جلهم يحتاج بعد تخرجه الى المعونة وما يسد به رمقة في الحياة والى ما يجمله كذلك عضوا نافعاً في الهيئة الاجتماعية . فلا بد أن يعطوا حظهم من الانصاف والرعاية

واذا طلبنا لهم حق التدريس بالازهر وهو ما كان حقهم حتى الزمن القريب وحرمتهم منه القوانين الحديثة — فانا لا نطالب لهم مالا يستطيعون فكثير منهم في كل زمن كانوا من رجال العلم النابهين وأساطينه الاجلاء .

ولا يزال العلم والدين مدينين لامثال عبد الله بن عباس وعبد الله بن أم مكتوم و . و . في العصور الغابرة وأن كثيرا من مكفوفي العصر الحاضر في الازهر خاصة وفي مصر عامة لدليل جدي على أن الله عوض هذه الطائفة المسكينة من فقد أبصارهم — ذكاء حادا وفكرا ثاقبا وقلبا بصيرا . وليس من مصلحة العلم والدين أن تضيع تلك المواهب ويحرم الناس من الانتفاع بها بحجة أن أهلها غير مبصرين .

على انه لا يزال الى اليوم عدد كبير من علماء الازهر المكفوفين يباشرون التدريس بالازهر . وليس من يعيب كفايتهم فيما يكلفون به من مختلف الفنون

واذا كان التدريس بالازهر من الحقوق الضرورية للمكفوفين فانه يستلزم أن لا يحرموا من دخول قسم التخصص بالازهر . ومما يساعد ذلك أن المرسوم الملكي الكريم الصادر بانشاء قسم التخصص لم يشترط لدخوله سوى نيل شهادة العالمية دون أن يفرق بين مكفوف ومبصر فلا يصح مع هذا الاطلاق أن يكون

التخصص وقفا على طائفة خاصة لتهمل طائفة اخرى هي أحوج الناس الى المعونة والعطف

وأما حقهم في الامامة والخطابة فليس لاحد أن يقول ان بهم مانعا من الاهلية له فمن الواجب أن يعطوه لتكفل لهم حاجتهم الضرورية ولينتفع المجتمع بكثير من الكفايات التي من الله بها عليهم

﴿ المطلب السابع ﴾ «ارسال بعثات الى الجامعات الاوربية لدراسة العلوم التي تتناسب مع التعليم في الازهر : واتخاذ الطرق التي تكفل ذلك »

لقد دهش بعض الناس لهذا الطلب واعتبروه غريبا في ذاته وانه لا يليق بطلاب العلم الديني : ولكن الازهر الناهض الذي يريد أن يستعيد مجده وكرامته وأن يشغل المركز الجدير به بصفته أكبر جامعة شرقية اسلامية يجب أن ينال هذا المطلب الضروري وأن تتخذ له الوسائل التي تكفل نجاحه

أو لسنا في حاجة لعلوم جديدة في حياة الازهر الجديدة ؟ أو قل الى دراسة تلك العلوم التي جاءت الازهر منذ زمن غير بعيد كالتربية دراسة وافية ؟

ثم أليس من اللازم مثلا أن ندرس في جامعات أوربا فلسفة الديانات وغيرها من العلوم التي لها علاقة بالاديان والا فكيف نفعل ونحن نرى الاجانب يدرسون الى جانب دينهم — ديننا أيضا ليتقولوا علينا اذا شاءوا وليحرفوا الكلم عن مواضعه في الوقت الذي لا ندري نحن من دينهم شيئا لنرد باطلهم بحقنا ؟؟

فمن الضروري أن نلم بذلك كله ونتوسع فيه توسعا نتمكن به من تأدية واجباتنا على الوجه الاكمل فأن في عنقنا واجب الدفاع عن الدين واذاعة شأنه بين الناس ، وذلك يستلزم الوقوف على كل ماله مساس بالاديان

ومن الضروري أيضا أن يكون من البعثة الازهرية من يتخصص في الفلسفة والتاريخ والعلوم العقلية فنكون قد عملنا على أن نعيد للعلم في الشرق والازهر قوته وشبابه وفي ذلك مفخرة عظيمة لمصر تجعلها على الدوام قبلة رواد العلوم والآداب في الشرق عامة

ولقد فطن الي ذلك منشيء مصر الحديثة محمد علي باشا فارسل بعثات كثيرة الى الخارج كانت كلها أو أغلبها من الازهريين : وقد كان أولئك المبعوثون بعد

هودتهم فوائد النهضة العلمية المزدهرة التى غمرت مصر ورددت البلاد الشرقية. صداها وكان لها منها الاثر الجميل

واذا كان هذا أثر البعثات الازهرية في الماضي فان بوسع مصر في الحاضر أن تستفيد مما يمتاز به الازهري من نشاط وكفاية ودأب على العمل واستعداد للتفوق والنبوغ فترسل الى الخارج من الازهريين من يكون عونالها في مستقبلها المحتاج الى الكفاح الشديد في سبيل سعادة الاهلين

وما يقوله بعض قصار النظر من أن ارسال الازهريين الى الخارج مفسد لدينهم هو من باب الوهم الذي لا يقبله عقل ٠ فانما يفتتن عن دينه أولئك الجاهلون بالدين الذين لم تمتزج تعاليمه بأنفسهم ولم يدركوا أسراره ومبادئه لا الازهريون الذين هم أعرف الناس بالدين والذين عملوا جهدهم لحفظه وكانوا على الدوام حماته الامجاد وحراسه القادرين

واذا قال أحد ان الازهريين لا يملكون الوسيلة التي يتمكنون بها من السفر الى الخارج كاتقان اللغة الاجنبية — فانا نرد عليهم بانا نقبل عن طيب خاطر أن ينشأ قسم اختياري بالازهر لتعليم اللغات يستطيع بواسطته الطالب اتقان اللغة التى يريدها ليكون على استعداد للسفر : وليس في تعلم اللغة الاجنبية واتقانها ما يمكن أن يكون موضع اعتراض من الوجهة الدينيه أو غيرها . على أن عددا غير قليل من الازهريين يدرس الآن بعض اللغات خارج الازهر وكثير منهم يتقن هذه اللغات التى يدرسها مما يدل على استعداد الازهريين للسفر في البعثات من الآن اذا أجابهم الى طلبهم ولاة الامور

« المطلب الثامن » « ايجاد أمكنة صحية صالحة للدراسة غير الامكنة الحالية التى يدرس فيها الطلبة »

لقد قلنا فيما سبق عند الكلام على الكشف الطبي ووجوب تعديله بالنسبة للازهريين « ان أماكن الدراسة الحالية في الازهر والمعاهد الدينية التى لا تصلح ولم توجد — الا لتكون أماكن للعبادة فقط — تنال من الطالب في مدة الدراسة الطويلة القاسية وفي زمني الحر والقر ما يكفي لان يهدم منه الجسم السليم ويضعف الصحة

الجديدة» والآن نقول ان هذه لاماكن التي يدرس بها الازهريون لا تستوفي شرطا واحدا مما توجبه التربية الحديثة فالطلبة يضطرون الجلوس متربعين طول يومهم لايحول بينهم وبين الارض سوى حاجز بال من الحصير لايدفع رطوبة ولا يمنع أذى ولاريب ان تلك الجلسة الدائمة على الشكل الذي ذكرناه مما يعرض صحة الطلبة للضعف ويجعلهم عرضة لشتى الامراض فضلا عن تشتيت أذهانهم وفقد انتباههم أثناء إلقاء الدرس مع ان الانتباه واجتماع الذهن ضروريان ليستفيد الطالب مما يلقى عليه استفادة صحيحة قيمة .

هذا مع أن في تجاور الدروس بدون حاجز يفصلها عن بعضها مايدعو لاختلاط أصوات المدرسين والتهويش على بعضهم ومايتبع ذلك من الجلبة والضوضاء وسماع الطلبة الذين يجلسون في آخر الحلقات أصوات مدرسي الفصول الاخرى التي قد تكون أصواتهم أقرب اليهم من أصوات مدرسيهم . وان أقل نظرة لحالة الدروس بالازهر وقت انتظامها تكفي للاقتناع وليس هذا من المصلحة في شيء على انه ليس هناك مايصح أن يسمى موازنة بين أماكن الدراسة بالمعاهد الدينية والمدارس الاخرى من حيث استيفاء الشروط التي تستوجبها التربية فان شرطا واحدا من الشروط التي توجبها لا يوجد بأماكن الدراسة بالازهر في الوقت الذي لاتنقص فيه المدارس الاخرى شرطا واحدا . ونحن على يقين بأن ذلك لا يرضي ولاة الامور لانهم مقتنعون بأن من الضروري لمصلحة الطلبة ولتمام الاستفادة المدرسية بصلاحية الامكنة للدراسة واستيفاءها للشروط اللازمة وذلك ما يجب أن ينظر اليه بعين الاعتبار في المعاهد الدينية

﴿ المطلب التاسع ﴾ « جعل الوظائف الكتابية بالمحاكم الشرعية حقا مشتركا بين جميع المذاهب »

لا ريب في أن هذا الطلب مع عدالته لا يكلف الحكومة شيئا من المال . وهو ليس الا تنازلا من علماء الحنفية عن بعض حق هو لهم رضوا بأن يشاركهم اخوانهم من المذاهب الاخرى في الانتفاع به لان لاولئك الاخوان من الكفاءة لهذا العمل مالهم (الاحناف)

على انا اذا اعتبرناه حقا للاحناف فليس الا مجاراة لما هو واقع دون شيء آخر لان القانون جعله حقا مطلقا لحامل العالمية دون أن يفرق بين مذهب ومذهب. أليس من المصلحة مراعاة هذا الاطلاق لاسيما أن فيه تحقيقا للعدالة ؟؟

وما دامت الكفاية والاهلية موجودتين فلا سبيل لاهمالهما

لو أن الكتابة بالمحاكم الشرعية تشمل اصدار أحكام فقهية على مذهب الحنفية لما كان للاحناف أن يرضوا بمشاركة غيرهم لهم في هذه الوظيفة ولما كان لغيرهم أن يطلبها واذا كانت وزارة الحقانية قد اتخذت - ولا تزال - مفتشين للمحاكم الشرعية من غير الحنفية فأولى لها أن تقبلهم في وظائف الكتابة التي لا يسوغ حرمانهم منها

﴿ المطلب العاشر ﴾ « إلغاء القوانين الاستثنائية والاجراءات التي ترتبت عليها واباحة الانتساب والتحويل الى الجهة التي يريدها الطالب »

لقد كان مما لا يتوقع أن تصدر قوانين جائرة تقيد بها حرية رجال الدين الازهريين في التعبير عن ميولهم وآرائهم سواء كانت هذه الآراء في اصلاح الازهر أو في حالة البلد العامة لان الآراء يجب أن تكون على الدوام محترمة وأن يفسح المجال لظهورها لا أن تتخذ الوسائل لقمعها واذا وجب أن تحترم الآراء وأن تكون حرة فان أولى بالاحترام والحرية آراء المتعلمين من رجال الدين فهي على كل حال بعيدة عن أن تكون سيئة الغاية أو منكرة الاثر

ان الازهريين محوطون دائما بآداب دينهم وأوامره ونواهيه وهذا كاف لان يحول بينهم وبين ما يمكن أن يكون أداة شر أو وسيلة للافساد فكان من الضروري أن يكون لهم ما لسائر طوائف الامة من تمام الحرية في التعبير عن أفكارهم وميولهم مادام ذلك في حدود القانون العام

واذا كانت هذه القوانين قد ألجىء اليها في ظروف خاصة أيام كانت البلاد خاضعة خضوعا مطلقا للاجنبي ، ولم تكن الوزارات شاعرة بشيء من الاستقلال في خدمة البلاد فان من الضروري ازالة هذه القوانين بعد أن تغيرت الحال وأصبح للبلد دستور يضمن حرية الآراء

وليس ما يدعو لان نذكر بالتفصيل مبلغ هذه القوانين من الجور ويكفي أن

نقول أنها مخالفة للدستور وهي مع ذلك في شكلها وجوهرها مما لا مثيل له في جامعة من الجامعات . بل ولا في مدرسة من المدارس المصرية وذلك كاف لوجوب الغائها مع ماترتب عليها من اجراءات

وكذلك يجب أن يجدد النظر في القانون القاضي بقصر طلبة كل جهة على المعهد القريب لهم دون أن يسمح لاحد منهم بالانتساب الى معهد آخر

فقد تكون وسائل حياة الطالب موفورة في بعض الجهات دون بعض وقد تكون هناك اعتبارات اخرى كوجود الطالب مع من يعوله أو يلي أمره فمن الضروري أن تراعى في القانون المذكور هذه الاعتبارات حتى لا يحال بين العلم والراغبين فيه

﴿ المطلب الحادى عشر ﴾ « جعل الامتحانات على دورين في السنة الواحدة حسب المتبع في المدارس »

اذا راعينا كثرة المواد المقررة في سني الدراسة بالازهر والكتب التي تدرس فيها تلك المواد وغزارة مادتها وحاجتها الى البحث المطرد والتعمق فيه ، نجد أن من اللازم لمصلحة العلم والطلبة أن يكون هناك امتحانان أحدهما في آخر السنة الدراسية الماضية وثانيهما قبيل العام الدراسي المقبل ولكل شخص الحق في دخول أى الامتحانين على أن لا يعتبر الثاني ملحقا للاول ويكون لمن رسب في الامتحان الاول ولو في كل المواد أن يدخل الامتحان الثاني وما دامت الغاية من الامتحان هي أن يتأكد من احاطة الطالب بالمواد التي درسها فلا على ولاة الامور أن يكون ذلك في أى الامتحانين ، مع مراعاة أن اعطاء الطلبة هذا الحق يفتح باب الامل لمن يخونهم الحظ في آخر العام لاسباب قد لا يكون في وسعهم دفعها فتهيأ لهم الفرصة ليتمكنوا من حفظ عام من حياتهم وفي ذلك أيضا تخفيف العبء عن ولاة امور الطلبة في الانفاق عليهم سيما من الطبقات غير الغنية وذلك مالا يحسن اهماله لمصلحة العلم والمتعلمين

﴿ المطلب الثاني عشر ﴾ « انتقاء الكتب وتعديل البرامج بما يتناسب مع حاجيات العصر الحاضر والتقدم العلمي الحالي »

يعد هذا المطلب من لوازم الاصلاح المنشود ، فان الكتب المقررة الآن

بالازهر قد ألفت في عصور سابقة تختلف حالتها كثيرا عن حالة هـذا العصر . فالاسلوب الذي كتبت به والابحاث التي تتناولها يحتاجان إلى كثير من التهذيب والتنقيح ، ليتفق ذلك مع حاجيات هذا الزمن .

ففي التوحيد مثلا لا تزال تدرس الكتب التي تبحث مذاهب السوفسطائية وما عليها من ردود مع انقراض هذه المذاهب وأصحابها . وقد كان الواجب أن يعنى بمذاهب الالحاد التي تفشت في هـذا العصر فتدرس ماهيتها وطرق دحضها والرد عليها . وفي علوم البلاغة ندرس كتبا لا نجاوز الحد إذ قلنا انها معقدة لا تعين الطالب على فهم روح العلم وهي مع ذلك تأخذ من وقته أكثر مما يأخذ منها، وباجمال فان كثيرا من الكتب المقررة بالازهر تحتاج الى تهذيب أو استبدال

ولا ريب أن الميول اذا اتجهت الى سد هذا النقص وجدت ذلك من الميسور فان للعرب مؤلفات قيمة تتفق مع حالة العصر . وما لا يوجد من ذلك فمن الممكن أن تقوم به لجنة تناط بها هذه الغاية وفي مصر من الرجال الا كفاء في الفنون المختلفة من يؤدي ذلك على أكمل وجه

وأما تعديل البرامج فانا نطلبه ليسير الازهر جنبا الي جنب مع أكبر المعاهد العلمية وليعلم المتعنتون أنا لسنا جامدين وأنا على استعداد لان يستفيد الازهر من كل تقدم علمي في الخارج ليحتفظ بمجده الخالد وليبقى معهد الشرق العظيم كما كان في سالف الايام

الخاتمة

وبعد ، فقد وضحنا مطالب الازهر بعد ان صورنا متاعبه وآلامه ولا ريب ولا ريب ان قارئها الكريم وجد فيها آية الحق الواضح ، ولمس برهان العدالة الناصع ومن اجل ذلك لا يخامرنا الشك في انها ستلقي تعضيداً يشعر الازهريين ان العدل لايعدم انصاراً يذودون عنه ويساعدون على ان يسود . ولولا اعتقادنا ان للحق صولة على الافئدة . وسلطانا مهيمنا علي النفوس . لكان لنا مندوحة عن الشكوى ولكنا بسطنا هذه الادواء وشفعناها بادويتها الناجعة . ولا شفيع لنا غير ما تضمنته

من الحقائق . فانى كل غيور نزجيها على هذه الصفة. وعليها يرحب الازهر بمن يتقدم انصرته وارجاع مجده اليه وفق الله الجميع الى مافيه الخير العام

عبد الوكيل جابر . محمد نهمي السيد . عبداللطيف محمدالسبكي : مصطفى المطيفي ، كامل محمد حسن ، محمود حسين مهدلى ، على محمد حسن ، جادسليمان محمد محمد الجسر ، عبد الحميد مطاوع ، منصور على رجب ، عبدالحكيم أبوالمعالى طه علي طه ، محمد عبد الله ابوالنجا ، محمود عبد الدايم ، حامد عوني ، محرز السباعي ، احمد علي احمد ، عبد الفتاح محمد ، عبد الحميد عباس ، الابحر ، صالح موسى ، محمدالفحيل ، محمد ابو الحسن، محمودخليفه ، محمودالخولى ،عبدالعظيم المسلاوي ، حسين مشرف ، نصار شديد ، محمود ربيع ، احمد هنداوى ، محمود نعيم جاد ، مشهور احمد هندي ، علي علي الطباخ ، علي محمد عامر ، زكريا حسن مكاوى ، محمد الاباصيرى ، محمود عوض ، محمد منير محمود ، عبد الرحمن النواوى ، أحمد الكومي ، عبد العظيم سالم حسين السيد عبدالله ، أحمدطالب عبد الله ، حسن سيد احمد البخشونجي انتهى

(المنار) أوردنا ماتقدم بنصه وسنعلق عليه بعض الفوائد والآراء في المقال الآتي

عاقبة العرب و آخر عهد الاسلام بالاندلس

﴿ شروط تسليم غرناطة لاسبانية وعاقبة المسلمين معها ﴾

مقتبس من خلاصة تاريخ الاندلس للامير شكيب أرسلان

أما شروط تسليم غرناطة فقد سردها المرحوم ضيا باشا في تاريخه للاندلس وهي خمس وخمسون مادة تتضمن تفاصيل ما وقع عليه الاتفاق وفي طيها من عهود المحاسنة والملاطفة والمراعاة والمحافظة على أعراض القوم وعقائدهم ودمائهم وأموالهم وكراماتهم وراحاتهم ما لا يفي به الانصاف وقد تكرر في المادة الخامسة الوعد من الملك والملكة باحترام ديانة المسلمين ومساجدهم وأوقافها وأموالها المحفوظة، وعدم التعرض لامورهم الشرعية

بل إعادة ذلك إلى فقهائهم والمحافظة على أصول الفقهاء وعاداتهم وملابسهم وأن يبقى هذا العهد معمولا به في الاعقاب وأعقاب الاعقاب .

وفي المادة السادسة عدم سلب أسلحة المسلمين ومراكبهم ومواشيهم إلا الاسلحة النارية فتقرر أخذها

وفي المادة السابعة تسهيل السفر لكل من شاء الهجرة باموال وامتعته وفيما بعدها اجازته على نفقة دولة قشتالة من أي مرسى أراد وتسهيل معاملات بيع العقار لمن شاء الرحيل ، وإذا لم يتهيأ البيع ووكل صاحب الملك وكيلا تعتبر وكالته ويساعد على استيفاء حاصلاته وايصالها اليه بمكانه وراء البحر

وورد في المادة الحادية عشرة تشديد مجازاة كل من يدخل من النصارى جامعا بدون رخصة الفقهاء

وورد في المادة الخامسة عشرة إعفاء السلطان أبي عبدالله وسائر أمراء المسلمين وقوادهم وفقهائهم من الضرائب والرسوم وإقرار الجميع على امتيازاتهم كما كانوا لعهد ملوكهم وأن تكون كلمتهم نافذة وقولهم مسموعا

وورد في المادة السادسة عشرة والتي بعدها ما يتضمن عدم جواز دخول أحد من النصارى بيوت المسلمين حتى ولا الملك والملكة ومن خالف ذلك من النصارى يجازى بشدة

وفي المادة الخامسة والعشرين اذا فر أحد من أسرى المسلمين المعتقلين في سائر الممالك ووصل الى غرناطة فقد نجا ولم يكن لمأموري شرطة غرناطة أن يمسكوه لكن ذلك الامتياز مخصوص بعرب الاندلس لا يتناول أسرى المغرب

وفي المادة الثلاثين أن من أسلم من النصارى قبل هذه الكائنة فلا تجوز معاملته الا بالحسنى ولا يرى أقل تحقير ومن خالف ذلك ينال من الجزاء شدة . وفي المادة الواحدة والثلاثين لا يجبر مسلم ولا مسلمة على قبول الدين المسيحي

وفي المادة الثانية والثلاثين اذا كان المسلم متزوجاً بنصرانية وأسلمت لا تجبر على الرجوع الى دينها الاصلي والذين يتولدون من هذا الزواج يعدون مسلمين ولو ارتدت الزوجة عن اسلامها

وفي الخامسة والثلاثين لا يرد المسلمون شيئاً مما غنموه أثناء الوقائع التي جرت الى يوم تسليم البلد وفي التي بعدها لا يعاقبون على شيء مما مضي من تحقير الاسرى أو اهانتهم

وفي الثانية والاربعين تفصل الخصومات بين المسلمين والنصاري فى مجلس مؤلف من قاضيين أحدهما مسلم والآخر مسيحي

وفى الثالثة والاربعين تعاد جميع أسري المسلمين في مدة ثمانية أشهر من أي بلاد وجدوا فيها من اسبانية وفى مدة خمسة أشهر ان كانوا في بلاد الاندلس

وفي الثانية والخمسين عدم استخدام شرطة من النصارى لمراقبة شؤون المسلمين بل تكون شرطتهم من انفسهم

وفي آخر هذه المعاهدة تعهد الملك فردیناند وامرأته صاحبا ممالك قشتالة واراغون وليون وصقلية ان يحافظا على نص شروطها حرفاً بحرف وينفذا جميع أحكامها من خاص وعام وكلي وجزئي بكمال التدقيق وبدون ادنى زيادة ولا نقصان مهما يكن من الاسباب وان تبقى على شكلها وهيئتها ولا يتغير ولا يتبدل حرف منها الى الابد ، ولا يمكن احداً من خلفاء الملكين

المشار اليهما ولا خلفاء خلفائهما ولا حفدتهما ولا اولادهم الى ما شاء الله أن ينقضوا اقل حكم من احكامها او يبدلوا حركة من حركاتها ، واعطى الامر بها الى الامراء والوزراء والقواد والاجناد والرهبان والرعية من حاضر وغائب ، وقاص ودان ، وكبير وصغير ، وأعلن أن من يجتريء على الخلل بشيء مما تضمنته هذه المعاهدة يجزى جزاء من اقدم على افساد البرآءات الملوكية او تقليد الحجج والسندات بدون ادنى تأخير

واقسم الملك فردیناند والملكة ايزابلا وسائر من أمضوا الشروط على دينهم وشرفهم برعايتها الى الابد على الصورة المبينة وكتبت على رق غزال محلى ومطرز تحريراً في ثلاثين من كانون الاول سنة احدى وتسعين واربعمائة والف من الميلاد

وحررها فرناندو صفره بأمر الملكين وأمضاها الملك فردیناند والملكة ايزابلا وأولادهما الدون جان والدونة وايزابلا والدونة حنة والدونة مارية والدونة كتالينة ورئيس أساقفة أشبيلية الدون دياغو هرتادو رئيس أساقفة صانتياغو الدون الفونس وكبير فرسان صانتياغو المسمى بالدون الفونس أيضا والدون جان كبير فرسان القنطرة والدون الفارو زعيم رهابين ماريوحنا والدون بيرو غونزالس كردينال اسبانية ورئيس أساقفة المملكة والدون هنري كبير حكومة أراغون ومن أبناء عم الملك والدون ألفونس من أبناء عمه أيضا والدون الفارو مدير دائرة الملكين والدون بترو فرناندز رئيس جند قشتالة ويليهم نحو من أربعين دونا كلهم من أبناء السلالة المالكة وأساقفة البلاد وامرائها واعيانها وقوادها

وكتب ايضا معاهدة اخرى لسلطان غرناطة ابي عبد الله بن ابي

الحسن تتضمنه اربع عشرة مادة فيها اعطاء كل الاقطاعات والاراضي والبلدان التي وهبها اياه الملكان معينا كل منها بذاته والتعهد باعطائه اربعة عشر مليونا وخمسمائة قطعة من السكة المعروفة بالمراويد عند دخولهما قلعة الحمراء واقرار ملكيته لجميع العقار الموروث ، واعفاؤه من دفع الضرائب والرسوم واداء المكوس عما يجلب من الامتعة برسمه ، وانه في اي وقت شاء بيع هذه الاراضي والاملاك يشتريها الملكان كلها بقيمتها العادلة وان لم يشأ بيعها واراد النقلة الى بر المغرب فالوكيل الذي يعينه عليها يستوفي له حاصلاتها ويوردها عليه في اي جهة كان مما وراء البحر وفي اي وقت عول على الاجازة تنقله مع رجاله وعياله وأموالهٖ سفن دولة قشتالة مجانا ولا يطالب بشيء ولا يكون مسؤولا عن شيء مما حصل الى حين عقد الصلح ولا يسترد شيء مما غنمه . وجميع هذه الشروط كما هي جارية في حقه تجري أيضا في حق والدته وشقائقه وزوجته وزوجة مولاى ابي نصر والمعهدة الثانية مؤرخة في يوم تاريخ الاولى الا أنني وجدت اكثر المؤرخين يؤرخون إمضاء المعاهدات في ٢٥ كانون الاول وفق ٢٢ المحرم سنة ٨٩٧

(ثم نقل المؤرخ رواية نفح الطيب في تسليم غرناطة وبعض شروط الصلح بينهم وبين المسلمين مخلصا بما نصه)

« وفي ثاني ربيع الاول من سنة ٨٩٧ استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال وابقاء الناس في اماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت عليه ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم — وأن تبقى المساجد

كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا احداً — وأن لا يولى على المسلمين نصراني ولا يهودي — وان يفتك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا وخصوصا اعيانا نص عليهم ، ومن هرب من أسرى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا لسواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء — وأن لا يؤخذ احد بذنب غيره — وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى — وان من تنصر من المسلمين يوقف اياما ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان ابى الرجوع الى الاسلام تمادى على ما اراد — ولا يعاقب من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ ما سلب من النصارى ايام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة اجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات — ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم المحدثة ولا يطلع نصراني للسور ، ولا يتطلع على دور المسلمين ، ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم في بلاد النصارى آمنا في نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود(١) وأهل الدجن — ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ، ويتركون من المغارم سنين معلومة وان يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده . وامثال هذا مما تركنا ذكره . انتهى المراد منه

---

(١) لعل الاصل : ولا يحمل علامة الخ - - او — ولا يجعل له علامة كما يجعل لليهود اه مصححة

﴿ نقض الاسبانيول عهد مسلمي الاندلس وتنكيلهم بهم ﴾
وإكراههم على التنصر

قال صاحب المختصر المذكور

ولنذكر حالة بقية مسلمي الاندلس بعد ذهاب ملكهم فيها فنقول .

ورد في تاريخ « الاسلام في اسبانية » تأليف ستانلي لانبول ما محصله « إن آخر أنفاس أبي عبد الله على تلك الربوة لم يكن بآخر حر أنفاس المسلمين في تلك الديار، بل بداية أنفاس يرسلونها الصعداء ، وافتتاح عهد انتقام وابتلاء، وان أسقف غرناطة الاول هرناندو دوتالافيره كان رجلا حليما عادلا أحسن معاملة المغاربة وأبى الجور عليهم وتعلم العربي وكان يصلي به وعلى يده ارتد ألوف من المغاربة إلى النصرانية .قيل ان ثلاثة آلاف تنصروا في يوم واحد. الا ان الكردينال كسيميناس الذي كان من القسم المحارب بين رؤساء الكنيسة اعتسف السبيل ومال الى العنف والاكراه وأساء معاملة المسلمين وحمل الملكة ايزابلا على ما بقي نقطة دهماء في تاريخ حياتها من اضطهادهم واستعبادهم وإكراههم على التنصر، فأثار ذلك ساكنهم، وأخرج كامنهم، وفي احدى المرات حبست امرأة من البيازين لشأن من هذا القبيل فثار سكان البيازين وتحصنوا وحملوا السلاح وكادوا يفتكون بالجند وأوشك الدم ان يسيل بحدة الكردينال كسيميناس

إلا ان المطران هرناندو الموصوف بالوداعة دخل ربض البيازين بالسكينة والانس مع نفر قليل من حاشيته بدون سلاح وسأل القوم عن شكواهم ونقلها منهم بالاستماع والاحتفال وهدأ روعهم وأعاد طائر الامن الى وكره وحجب الدماء يومئذ، على أن كسيمينيس المشهور لم يزل يغوي

الملكة حتى أصدرت أمرها بإكراه المسلمين على احدى الخطتين الجلاء أو النصرانية وذلك بأنهم كانوا يذكرون المسلمين بأنهم سلالة النصارى في الاصل، فأقفلت المساجد وأحرقت الكتب، التي هي ثمرات القرون وزبد الحقب، وأذيق المسلمون العذاب اشكالا وألوانا، ففضل عامتهم فراق دينهم على فراق اوطانهم، الا ان شعلة من الحمية الاسلامية بقيت تلمع في جبال البشرات حيث حمتهم أوعارهم من مضطهديهم

وأول جيش ارسل اليهم تحت قيادة الدون الونزو دو اغيلار البطل الشهير انهزم هزيمة شنعاء وذلك في سنة ١٥٠١ وقتل الدون المذكور وقيل انه الدون الخامس المقتول من عشيرتهم في حرب المسلمين فازداد انتقام الاسبانيول من المغاربة بعد هذه الغلبة وهجم كونت طنديلة على قوجار وهدم كونت سرين جامعا على جماعة التجأوا اليه من المسلمين بنسائهم وأطفالهم، وأمسك الملك فرديناند بنفسه الطريق على الفارين من الجبال فمن بقي حيا من الثوار فر الى مراكش ومصر والبلاد العثمانية وانتهت الثورة الاولى في الجبال

ومضي على ذلك نصف قرن والبغض دفين في القلوب والمسلمون المتنصرون يعمدون أولادهم ظاهرا فاذا انصرف القسيس مسحوا عن الولد ماء المعمودية. واذا تزوج أحد الموريسك (لقب المتنصرة من المغاربة) أجرى القسيس عقد الاكليل ثم بعد ذهابه عقدوا النكاح بحسب السنة الاسلامية

وكانوا يتقبلون قرصان البحر من أهل المغرب ويعاونونهم على اختطاف أولاد النصارى ويأتون غير ذلك فلو كانت ثمت حكومة عاقلة قويمة ترعى عهودها التي واثقت عليها عند تسليم غرناطة لم يكن محل لذلك البغض العميق

ولكن حكام الاسبانيول لم يكونوا أهل عقل ولا عدل وكانوا يزدادون بتمادي الايام شراً ، وما تابث الاوامر ان صدرت باكراه المغاربة على ترك ألبستهم المخصوصة بهم وعلى لبس البرنيطة والسراويلات الاسبانيولية ، وبحظر الغسل ودخول الحمام عليهم اقتداء بغالبيهم في احتمال الاقذار ، ثم منعوهم من التكلم بالعربية وصدر الامر بأن لا يتكلموا بغير الاسبانيولي ، بأن يغيرو اسماءهم ويسيروا سيرة اسبانيولية ويسموا أنفسهم اسبانيولا ، وكان تصديق الامبراطور شرلكان هذا الامر الفظيع في سنة ١٥٢٦ على انه لم يكن الظاهر من اعتماده اجراؤه بالفعل لكن عماله اتخذوه ذريعة لاستنزاف اموال الموسرين من المغاربة ، صار ديوان التفتيش يحترف ويتجر بهذه المسألة ولما صار الامر الى فيليب الثاني شدد في إنفاذ الاوامر بحق الموريسك وسنة ١٥٦٧ عزز الامر الصادر بشأن تغيير الزي واللغة باستيثاق غريب لاجل منع النظافة التي هي من سنن الاسلام وذلك بأنه أخذ يهدم حمامات الحمراء البديعة فالطرائق التي أخذوا بها لتنكير احوال تلك الامة هي اشد من ان يحتملها أى قبيل كان ، دع سلائل المنصور وعبد الرحمن وابناء سراج ، ولذلك لم يطل الزمن حتى استطار الشر واشتعلت الفتنة وثار فرج ابن فرج من نسل بنى سراج بجماعة من ذوى الحمية من غرناطة قاصداً الجبال قبل أن تمكنت الحامية من تعقبهم ونودي بهرناندو دو فلور من نسل خلفاء قرطبة ملكا على الاندلس تحت اسم محمد بن أمية وعمت الثورة في أسبوع واحد كل انحاء جبال البشرات ووقع ذلك سنة ١٥٦٨

ولما كانت هذه الجبال من أصعب تضاريس الارض مرتقى وأوعرها مسالكا ، كان تدويخ سكانها من أصعب الامور منالا ، والفتنة فيها بعيدة

المرمى، فاستمرت هذه المرة حولين كاملين حافلا تاريخها بحوادث لا تحصى من القتل والغدر والتعذيب والاستباحة والاحتيال من الجانبين، لكنه ايضاً حافل بوقائع يندر في تاريخ الفروسية وكتب الحماسة الظفر بامثالها وتبقى على صفحات السير فخراً للقرون والامم وكان المغاربة هناك في موطنهم الاخير والموقف الذي يحاولون فيه ادراك الثأر على نحو مئة سنة قضوها في البلاء العظيم، والهون الذى ليس له نظير، فهبوا جميعا منادين باخذ الثار واقتضاء الاوتار قرية بعد قرية، وهدموا الكنائس وأهانوا مافيها وفتكوا بالقسيسين وعذبوا النصارى الذين وقعوا في أيديهم، واعتصم الذين نجوا بالمعاقل والابراج ودافعوا دفاعا شديداً.وكان مركيز موندتيجارة قائداً في غرناطة فعمد الى المسالمة وأخذ بالملاينة وكادت الوقدة تنطفىء لولا ماأعاد الشرر من ذبح مائة وعشرة سجناء في حبس البيازين من المغاربة قيل إذ ذبحهم وقع بغير علم المركيز، لكن الموريسك لم يقبلوا العذر ونشروا لواء الثورة، وصار ابن امية اميراً بالفعل على جميع جهات البشرات، الا أنه لم يكن ممن يحسن السياسة فقام بعض اعوانه وقتلوه وبويع لرجل آخر موصوف بالنجدة والحماسة اسمه عبدالله بن ابوه

فارسلت دولة اسبانية لتدويخ الثوار الدون جون الاوستري اخا الملك وهو شاب في الثانية والعشرين من العمر فباشر القتال في شتاء سنة ١٥٦٩ الى ١٥٧٠ واتى من الفظائع مابخلت بانداده كتب الوقائع، فذبح النساء والاطفال أمام عينيه، وأحرق المساكن ودمر البلاد، وكانت علامته « لاهوادة » وانتهى الامر باذعان الموريسك لكنه لم يطل واستأنف مولاي عبدالله بن ابوه الكرة، فاحتال الاسبانيول حتى قتلوه

غيلة، وبقي رأسه منصوبا فوق احد ابواب غرناطة ثلاثين سنة. وأفحش الاسبانيول في قمع الثورة بما اقدموا عليه من الذبح والحريق والخنق بالدخان حتى أهلكوا من بقية العرب هناك خلقاً كثيراً، وخلع الذين نجوا من الموت لكنهم وقعوا في الرق وسيقوا مماليك وعبدانا ونفي جملة منهم، فاخذ عددهم يتناقص. ولما كان اليوم المشهود والمذكور في التواريخ وهو عيد جميع القديسين سنة ١٥٧٠ بلغ عدد من ذهب منهم عشرين الفا والذين أخذوا منهم في معمعة الفتنة صاروا إلى الاستعباد، والباقون أخرجوا من البلاد مخفورين، فمات كثير منهم على الطرق تعبا فنهم من أجاز إلى بر العدوة وطافوا هناك سائلين لاجل قوتهم الضروري ومنهم من لجأ الى بلاد فرنسا حيث استقبلوهم براً وترحيبا واحتاج اليهم هنري الرابع لاجل دسائسه في مملكة اسبانية ولم ينته اخراجهم تماما الى سنة ١٦١٠ إذ وقع الجلاء الاخير ولم يبق في تلك البلاد مسلم بعد أن وليها الاسلام ثمانية قرون. ويقال ان عدد من خرج منهم منذ اليوم الذي سقطت فيه مملكة غرناطة الى السنة العاشرة بعد الالف والستمائة يبلغ ثلاثة ملايين وأن الذين خرجوا لآخر مرة نحو نصف مليون.

وأما الاسبانيول المساكين فلم يعرفوا ماذا يصنعون ولا أنهم يخربون بيوتهم بايديهم، بل كانوا فرحين مسرورين بطرد المغاربة مع أن اسبانية كانت مركز المدينة ومبعث أشعة العلم قرونا، وقلما استفادت بقعة أوروبية من حضارة الاسلام بمقدار ما استفادته هذه البلاد فلما غادرها الاسلام انكسفت شمسها، وتسلط نحسها، وإن فضل مسلمي الاندلس ليظهر في همجية هؤلاء القوم وتأخرهم في الحضارة وسقوط هذه الامة في سلم الاجتماع

بعد أن خلت ديارها من الاسلام انتهى كلامه ملخصا

واستشهد في حاشية هذه الجملة بنقل يمثل لك درجة هذه الحقيقة وهو أن الملك حول مدينة غرناطة ضياعا واسعة ومزارع التزموا بيعها سنة ١٥٩١ بسبب كونهم يخسرون عليها أكثر من غلتها ، مع أن هذه البقاع كانت لعهد العرب حدائق غناء ، وغياضا ذات افياء ، وموارد ثروة ورخاء

وقال واشنطون ارفن في تاريخه لفتح غرناطة ما معناه ملخصا : انه بعد دخول هذه البلدة في حوزة الاسبانيول بقيت الحال غير مستتبة تماما مدة سنوات الى أن وقع من اجتهاد رؤساء مذهب الكاثوليك في حمل المسلمين هناك على النصرانية ما ايأس مغاربة الجبال المتشددين في دينهم فثاروا برؤساء الدين وقبضوا على اثنين من هؤلاء الدعاة في مدينة دارين وعرضوا عليهما الاسلام فامتنعا فقتلوهما. وقيل ان النساء والاولاد قتلوهما قعصا بالعصي وشدخا بالحجارة ولهم أحرقوا جثتيهما فانتقم النصارى من هذه الفعلة بان اجتمع منهم نحو ثمانمائة فارس وساروا الى قرى المغاربة يخربون ويعيثون فاعتصم المغاربة بالجبال وانتشرت الفتنة في الجبال كلها لكن وسطها كان في جبل برميجه المصاقب للبحر ، فلما اتصل الخبر بالملك فرديناند أصدر أوامره بنقل المغاربة الساكنين في جهات الثورة الى قشتالة وأعطى الامر سراً بان من يدخل منهم في النصرانية يبقى في وطنه ثم رمى تلك الامة بالقائد المشهور الونزو دواغيلار ومعه جيش وهو الذي قضى معظم شبابه في قتال المغاربة فاقترب من بلادهم حتى هرع جملة وافرة منهم الى الرندة للدخول في النصرانية وجمر الباقون منهم تحت قيادة فارس اسمه الفهري سائقين نساءهم وأطفالهم الى حيث يتعذر السلوك من تلك

الاوعار ، رابطين شعاب الجبال دون مرور عساكر الاسبانيول فالتقى الجمعان أمام بلدة مونارده وانتشب القتال فيقال ان الدون الونزو مع ابنه الدون بطرو وثلاثمائة من شجعانه صدقوا الحملة على المغاربة فازاحوهم وتلاحقوا في الهزيمة فتبعهم الجند يغنمون وينهبون ولما امتلأت أيديهم بالغنائم كر عليهم الفهري بجماعة من أبطاله رعلت الصرخة فارتجت لها جوانب الاودية وذعر الاسبانيول فتداعوا للفرار وثبت الونزو في مكانه يحرضهم ويضم من شتيت شملهم فصبر معه جماعة وولى الاكثرون ودخل الظلام وخيم الغسق واشتد الحاق بالاسبانيول وجرح بطره ابن الونزو فامره أبوه بالرجوع فاصر على البقاء بجانب أبيه فأمر اتباعه بحمله إلى معسكر كونت أورينه فاحتملوه مثخناً جراحا ولبث الدون بمائتين من رجاله يناضلون حتى فنوا عن آخرهم .

وتحصن الدون بين صخرين يتقي بهما فبصر به الفهري فقصده واستحر الصراع وألح الفهري وطمع في قرنه وكانا متماثلين في ثبات الجنان مع قوة الاضلاع وتوثق الخلق فصاح الونزو بخصمه « لاتحسبن نفسك وقعت على صيد هين فأنا الدون الونزو داغيلار » فاجابه المغربي « ان كنت انت الدون الونزو فاعلم انني أنا الفهري » ثم كوره صريعا ومات بموته مثال الفراسة الاسبانيولية وانموذج الشمشمية في الاندلس

واندفع المغاربة ذلك الليل بطوله يطاردون الاسبانيول ولم يكفوا حتى لاح الصباح فاجلى المعترك عن قتل الدون فرنسيسكو دوراميز المدريدي الذي كان قائد المدفعية الاكبر وكانت له المواقف المشكورة في حصار غرناطة لكن مصرع الدون الونزو دواغيلار انسي الاحزان جميعها

وعند وصول خبر هذه الفاجعة الى الملك زحف بالجيش الى جبال رندة فسكنت بحضوره النائرة واشترى بعض المغاربة أرواحهم فجازوا الى افريقية، واحتمى آخرون بالنصرانية، وأما أهل البلد الذى قتل فيه الدعاة فسلكوا في سلسلة العبودية وبحث الملك عن جثة الدون فوجدوها بين مائتي جثة من الاسبانيول فيها أجساد عدد من الامراء والكبراء فحملوها الى قرطبة في مشهد حافل، بين مدامع كالسحب الهواطل، ودفن في كنيسة مار هيبو ليتو، وندبه الاسبانيول دهراً طويلا » انتهى كلامه مجملا

* * *

وذكر المؤرخ الفرنسي الشهير فيكتور دروى في تاريخه ما يأتي ملخصا « ان اسبانية تخلصت من العرب لكنها بقيت حافظة عليهم احنة شديدة ربتها في قلوبهم ثمانية قرون قضتها معهم في الحرب وكان لذلك العهد سكان الجزيرة اخلاطا من مسلمين ونصارى ويهود فعول فرديناند على توحيد الهيئة بوحدة الاعتقاد تعزيزاً للدولة فانشأ ديوانا جديداً للتفتيش وكان الملك هو الذي يعين الرئيس والمفتش الكبير ويضع يده على أملاك المحكوم عليهم وكان هؤلاء في البداية من النصارى المتهودين والمسلمين المتنصرين ظاهراً الباقين في الباطن أمناء لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ثم شملت أحكام الديوان أهل البدع السياسية كالبدع الدينية ايضا

وسنة ١٤٩٢ قرر ديوان التفتيش المذكور طرد اليهود من اسبانية بعد ان سلبوهم أموالهم وقد قدر بعض المؤرخين المعاصرين لتلك الحادثة عدد من خرج منهم ٨٠٠ الف (قلت منهم جماعة وافرة بأزمير وأقوام بالاستانة هاجروا اليها في تلك الكائنة ومنذ خمس سنين احتفلوا بعيد مُضي

الاربعمائة سنة على دخولهم بلاد الدولة العلية أكثروا فيه من الدعاء لسلطنة آل عثمان التي هي كهف المطرودين) والقسم الاكبر منهم هلكوا وعذبوا بما لم يعذب به أحد من العالمين، وسنة ١٤٩٩ صدر أمر بسلب المغاربة حريتهم الدينية التي تقررت لهم بموجب عهد غرناطة فجلا منهم جم غفير ولم يتم خروجهم جميعاً حتى القرن التالي في سنة ١٦٠٩ وهكذا فازت اسبانية بوحدتها الدينية لكنها خسرت صناعتها وتجارتها اللتين كان العرب واليهود أهم عمالها

وذكر مرة عند كلامه على شرلكان انه أكثر مقصد فرديناند فأكره مغاربه بالنسبة على التنصر وأهل غرناطة على ترك زيهم والتكلم بغير لغتهم وقال بمناسبة فيليب الثاني انه اضطهد المغاربة وضيق عليهم حتى التزموا الثورة سنة ١٥٦٨ وأوقدوا نيرانهم على تلك الجبال ايذانا بالخروج وكان يمكنهم بما أمسكوه من مخانق جبالهم الثبات طويلا لو امتدت اليهم يد معونة من اخوانهم أهل افريقية ففرق فيليب شملهم وبددهم في مقاطعته ولم تمض سنون عشر حتى صاروا كلهم أرقاء

ثم لنذكر بحسب عادتنا في المقابلة كلام المقري في هذه الوقائع الاخيرة وهو ببعض تصرف «ثم ان النصارى نكثوا العهود ونقضوا الشروط عروة عروة إلى ان آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم انهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى ان يرجعوا قهراً للنصرانية ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا قوة لهم ثم تعدوا إلى أمر آخر وهو ان يقولوا للمسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فلترجع نصرانيا ولما فحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا ان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم

فليس إلا الموت إلا ان يتنصروا وبالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو جموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا ، الا ماكان من جبل بلنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة: هو الونزو دو اغيلار وأخرجوا على الامان إلى فاس بعيالهم وماخف من أموالهم دون الذخائر

ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مراراً ولم يقيض الله تعالى لها ناصراً الى ان كان إخراج النصاري اياهم بهذا العصر القريب أعوام(١) سبعة عشر والف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لايخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة

وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصي منهم عسكراً جراراً وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ماهو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات وهم الآن بهذا الحال ووصل منهم جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين » انتهى

---

(١) لعل اصله : أي عام

بطل العرب والإسلام واندلسهما الجديدة

الامير محمد عبد الكريم

وقول كاتب أسباني فيه

ركدت عاصفة المعارك بين الدولة الاسبانية والامير محمد عبد الكريم وخمد لهيبها فبقي جل جمرها تحت الرماد من حيث اشتعلت نارها بينه و بين الدولة الفرنسية في منطقة حكومة المخزن المغربية الواقعة تحت حمايتها . وكان الكثيرون من الناس يظنون أن تقحم هذا البطل يصلي هذه النار الحامية سيحرق شهرته و يقضي على آماله لما لفرنسة من الشهرة الطائرة في فنون الحرب علما وعملا، ولكن فوزه في حرب الفرنسيس لم يكن دون فوزه في حرب الاسبانيول ، بل كان فوزا قامت له أعرق أمم أوربة في الحرب وقعدت ، فأسقط قيمة نقدها الى أسفل دركة كانت ألقته فيها الحرب العظمي ، واضطرها الى متابعة سوق الجيوش من الوطن أرسالا، واستنفارهم خفافا وثقالا ، وطفقت صحف العالم تتحدث بدنو الخطر من فاس وتوقع امتداده الى الجزائر ، هذا على كون أخبار الوقائع لا مصدر له دونها ، ويعلم جميع الناس سنة الدول كلها في إفراغ هذه الاخبار في القوالب السياسية الموافقة لمصلحتها من كتمان بعض وتمويه بعض ، والمنار لا يعنى بنشر الوقائع الحربية ووصف ميادين القتال وانما يدخل في موضوعه ماله شأن في الانقلابات والتطور الاجتماعي وأسبابه من حوادث التاريخ

وقد قرأنا في جريدة البيان العربية التي تصدر عن (نيويورك) مقالة لكاتب أسباني اسمه (نريك دي مناس) نشرها في جريدة (هرالد تريبون) النيوركية وصف بها ماعرف وما اعتقد من حرب الامير محمد عبد الكريم وشؤونه ومقاصده بعد اختياره الشخصي اذ كان من الذين شهدوا بعض معارك القتال بينه وبين قومه ــ فرأينا أن ننقل جل هذا المقالة عن عدد البيان الذي صدر في ٢٢ شوال الماضي الموافق ١٦ مايو (ايار)

بدأ الكاتب كلامه بمقدمة ذكر فيها أن أخبار القتال في الريف لا يصدر شيء منها عن معسكر عبد الكريم بل كلها تصدر عن طريق خصوم العرب فلا يوثق بشيء منها ولا سبيل الى معرفة الحقيقة منها الا لمن يستنبطها من فحوى الكلام ويستشفها من لحن القول دون صريحه (وعبر عن ذلك بقراءة ما بين السطور وهي كناية عصرية غربية صارت مشهورة) وضرب لذلك المثل ببعض الاخبار الفرنسية المختلفة التي لا تعقل بحسب الفن العسكري من خسائر العرب وخسائر الفرنسيس ولا ينسين القارىء أنه أسباني عدو لهم وناصح لفرنسة - ثم قال:

وقد قدر لي أن حاربت عبد الكريم بنفسي من عهد غير بعيد فانا لذلك اعرف بعض الشيء عن نشاط الريفيين وشدة مراسهم واشهد علنا بالقلم واللسان ببطولتهم . رأيت بعيني أولئك العرب الشجعان يواجهون المدافع الرشاشة ويهاجمون رجالها غير مبالين بنيرانها الآكلة حتي كأنها ليست موجودة أو انها عديمة الاذى ومن أجل هذا اقول ان دعوى الفرنساويين بان مثل هؤلاء الابطال يتراجعون الى الوراء بسبب خمسين رجلا من الاقوال المضحكة

فالمصيبة في هذا هي أن الاميركان وغيرهم من أهل الغرب الموالين لفرنسة والمريدين لها الفوز يقبلون على هذه الانباء كأنها آيات منزلة ويصدقونها فلا يجهدون العقول ولو قليلا للتمييز بين غثها وسمينها او صدقها وكذبها وهذا هو الباعث على خفاء حقيقة الخطر الكبير الذي يهدد كل أوروبة من جانب المشكل المراكشي (١) ولهذا عقدت العزيمة على كتابة هذا المقال لكي أوضح فيه نيات الريفيين وما يرمون اليه في ثورتهم هذه من الوجهتين السياسية والدينية

فالحركة التي يقوم بها عبد الكريم الآن متأتية في أصلها عن البواعث التالية: لقد كانت فرنسا تسعي من زمن غير يسير الى موالاة القبائل المراكشية المختلفة والاتفاق معها على ترويج المتاجر الفرنساوية هنالك وذلك بواسطة الشريف حرقاوي وهو زعيم كبير من قبيلة بني مولود . وقد حصرت أكثر قواها في ترويج هذه السياسة في قبيلة بني زروال المجاورة لقبيلة بني مولود، ثم إن القسم الاكبر من قبيلة بني

(١) المنار : يريد بهذا الكلام تحريض اوروبة كلها على الريفيين كعادتهم

زروال تحت زعامة ابن مناله وهو زعيم كثير الطموح صمم العزيمة عند ما وجد نفسه في مركز منيع يخطب وده فيه الفرنساويون من جهة وعبد الكريم من جهة أخرى على سياسة مزدوجة

وكان في هذا الوقت أحد مناصري عبد الكريم وهو الفقيه الزهاري قد ناجز الشريف حرقاوي في وقعات عديدة لم يكن فيها نصر فاصل لاحدهما . فابن مناله حافظ على خطة الحياد وهو لكي يقي رجاله من أن يستميلهم الفرنساويون أو العرب اليهم ويحفظ ماله من السيطرة عليهم مال الى استعمال القسوة فيهم فادى ذلك الى تذمر شديد بينهم . فعلم عبد الكريم بذلك لانه كان يرقبهم بعين ساهرة وسعى الى اغتيال ابن مناله بوسائل مختلفة أهمها الرشوة والوعود التي بذلها لمحبي الزعامة فيهم

كان ذلك في شهر مارس (اذار) من هذا العام . فلما تخلص عبد الكريم من ابن مناله وتمكن بدهائه من ازالة ما للحرقاوي من النفوذ أدرك انه قد اصبح في مركز منيع يساعده على مهاجمة فرنسة فحشد جموعه على ماعلمنا قريبا من تازه على مسافة ثلاثين ميلا من فاس شمالا بشرق وأرسل كتائب من أنصاره لتعيث فسادا في منطقة متالزا الفرنساوية على التخوم التي تفصل بين مراكش الاسبانية ومراكش الفرنساوية. وكان الفرنساويون قد أنشأوا على مقربة من تازه عدة مراكز عسكرية وعمل فرنسة في انشاء تلك المراكز خطأ فاضح من الوجهة الحربية

ذلك أن مثل هذه المواقع العسكرية التي عرفت أسبانية بعد فوات الوقت أنها علة شقائها والتي أمر المسيطر الاسباني دي ريفيرا بتخليتها في الحال يمكن قطعها عن مجموع الجيش بسهولة ومحاصرتها ومنع النجدات عنها . ولما كان عبد الكريم قد عرف باختباراته الماضية ملاءمة هذه المواقع العسكرية لحركاته لم يضيع دقيقة من الوقت في التردد في مهاجمتها لعلمه بأن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يكسبه التفوق (أولا) لانها قريبة (وثانيا) لان فصلها عن بقية الجيش سهل المنالة (وثالثا) لان أول انتصار يحرزه مهما يكن قليل الشأن ينشط اتباعه ويثير في صدورهم روح الشجاعة ويحملهم على المخاطرة والاقدام

وانا اعتقد ان المواقع العسكرية الفرنساوية المحصورة المسلحة بمدافع رشاشة

وغيرها عديدة ستتمكن من المقاومة وقتا طويلا ، ولكن الصعوبة هي في طريقة تمكن فرنسة من إمدادها بالمؤن والذخائر . فاذا لم يحصل المحصورون على أقوات جديدة ومياه صالحة للشرب تصير مقاومتهم عديمة الجدوى . وبما أن الريفيين يدركون هذه الامور فهم قد زادوا عدد المراقبين الطرق المؤدية الى تلك المعاقل لكي يحولوا — مهما كلفهم ذلك — دون وصول أقوات الى الرجال الذين فيها والذين يعدهم الريفيون الآن من اسراهم .

وطريقة العرب فى الحرب هي أن لا يوجدوا مقاومة رسمية منظمة إلا ما كان منها فى الاقاليم الجبلية أو فى الاماكن الملائمة لهم بنوع خاص . فأساليبهم الحربية منحصرة في الدفاع عن موقف معلوم وقتا معلوما عند ما يهاجمهم العدو ومن ثم ينهزمون منه اختيارا يوهمون مهاجميهم امكان الظفر بهم بسهولة ولكنهم يعودون ذات ليلة أو في نفس تلك الليلة كأنما قد خرجوا من جوف الارض ويقومون بمهاجمة عنيفة . فهذه الطريقة قد مكنتهم من أعدائهم وسهلت لهم الحصول على الغنائم والاسلاب وتبديد شمل العدو

فالجيش الفرنساوي المؤلف من ١٢٠٠٠ رجل تحت قيادة الجنرال ليوتي فى الوقت الحاضر لايكفي لسوى حماية مدينة فاس وارباضها على انه لايقوى على الحراك أو على مناهضة عبد الكريم إلا بعد أن تصله النجدات المنتظرة من الجزائر وهي فيما يقال ستكون متراوحة فى العدد بين ١٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ جندي وعندها يزحف الى انقاذ المعاقل العسكرية المحصورة على أن تلك النجدات سوف تلاقي صعوبات جمة في الوصول اليه لانها مضطرة الى عبور نهر اورغا وهو فى هذه الايام بحالة فيضان يتعذر معها عبوره

وفى رأيي أن فرنسة لاتقوى على مواجهة عبد الكريم بما يصون ماء وجهها فى العراك بأقل من اربعين الى خمسين الف جندي . ومن المعلوم أن عجز فرنسة عن مناهضة عبد الكريم وصد هجماته قد أوجدت تأثيراً سيئا في نفوس القبائل التى لاتزال موالية لها والتي قد تنقلب الى اعداء في أقل من ارتداد الطرف كما قد وقع لاسبانية . فاذا جرى هذا يصبح موقف فرنسة في تلك الارجاء حرجا كبير الخطر

وأنا اعتقد أن فرنسة قد ارتكبت خطأ فظيعا في غض نظرها عن النكبات التي لحقت باسبانية في مراكشها مدة خمس عشرة سنة فهي بما أظن قد اعتقدت أن عبد الكريم بالرغم مما احرزه من الانتصارات على اسبانية لا تحدثه نفسه بمهاجمة فرنسة . ففي هذا لم تكن ذات نظر بعيد ، وقد كان من حقها أن تدرك أن سكرة النصر التي قد تتملك عبد الكريم تحمله يوما من الايام على التمادي في ابعاد كل الاجانب عن بلاده — وهكذا يهاجم فرنسة — تلك امور قد ادركها كثيرون من زمن طويل وأما فرنسة فقد عجزت عن ادراكها

واني على مايدعيه بعض الفرنساويين من أن العرب يكرهون الاسبانيين أقول عن اختبار أنهم يكرهون الفرنساويين اضعاف ذلك . نعم أنهم كانوا يبدون احتراما اكثر لفرنسة ولكن ذلك الاحترام ناتج عن خوف لا عن حب . فالعرب كما لا يخفى لا يحترمون سوى القوة ، وبما انهم كانوا الى اليوم يعتقدون أن فرنسة في مراكش أقوى منهم بالشيء الكثير لم يفكروا في مهاجمتها . وعلى هذا أقول ان الفتنة الحالية منظورا اليها من كل الجهات هي من الحركات العظيمة الاهمية وقد تكون أهميتها في هذا الحين غير بادية للعيان إلا أن المستقبل مخيف

ويمكنني أن أدعي بعض العلم بالخطط التي رسمها عبد الكريم لنفسه استقيت ذلك من صديق لي اسمه خوزي دياز وهو من الناس القلائل الذين زاروا عبد الكريم في منزله باكسدير علمت من هذا الصديق وغيره أن عبد الكريم يفاوض على الدوام زعماء العالم الاسلامي في كل مكان من العالم وغرضه من ذلك ايجاد حركة عدائية ضد كل الدول المسيحية التي تحتل بلدانا اسلامية وعبد الكريم يعتمد في خلق مايلزمه من القوة على تعصب العرب الديني وهو يؤجج نيرانه ليبلغ من ذلك مناه في طرد اسبانية وفرنسة من مراكش (١) ودعاية عبد الكريم مبثوثة بين جميع القبائل تدعوهم الى مناصرته للبطش بالطامعين بأراضي الاسلام وتؤكد لهم انه سيقذف بهم جميعا الى البحر .

---

(١) « البيان » عادوا بنا الى ذكر التعصب الذي يرمي به الغرب الشرق كلما شكا من ظلم الاستعمار بين أوهب للتخلص من تصامهم وجشعهم

ومما هو جدير بالذكر أن عبد الكريم ليس بطلا مجربا فقط فقد حدثته في مواضع كثيرة وحدثه غيري كثيرون ، فهو رجل واسع الاطلاع وفيه ذكاء ودهاء وتعقل بمقدار يندر وجود مثله في رجل واحد . والرجل يعتقد أن عليه واجبا وطنيا ، وهو يعرف كل الحوادث المتعلقة بمدة السبعمائة سنة التي سيطر فيها العرب على أسبانية ، وهو وأخوه الذي تلقى فن الهندسة في مدريد قد جالا في كثير من البلدان المتمدنة وسكنا زمنا طويلا في جنوبي أسبانية

وفي مدة إقامة عبد الكريم في ذلك الجانب من أسبانية شاهد آثار أمجاد العرب الباقية في كل مكان من تلك البلاد ولا سيما في غرناطة فأثر ذلك فيه أيما تأثير وولد فيه نزوعا الى محاولة استعادة أمجاد الاجداد ، وهو أمر نبيل يشكر عليه الرجل مهما قيل عن مساوئه واخطاره. وقد بث هذه الدعوة العربية في كل مكان بواسطة المشايخ والائمة الذين يتجولون من مكان الى آخر، ولهم سلطة معروفة على العامة

وقد لقب عبد الكريم نفسه من زمن بعيد برئيس جمهورية الريف حتى انه الف وزارة وهو طامح الي توحيد كل القبائل والشعوب التي هي من جنسه تحت هيئة حكومة منظمة . ومعلوم أن فرنسة حسب الظاهر لاتحسب حسابا كبيرا لفتنة الريفيين ، ولعلها تصبر الى أن يهب كل سكان مراكش لمناهضتها قبل أن تدرك وتعترف بأن الحالة موجبة للخوف والاحتساب ، على ان المراكشيين فيما أعتقد لايخيبون آمالها من هذا القبيل ولكل شيء وقت . والتاريخ مملوء من هذه النظائر

ويذكر الذاكرون أن نابليون قد انكسر مرارا بجيشه المجرب في أسبانية حيث حاربه هنالك شراذم من الرجال عام ١٨٠٨ ، وكانوا يجرون في مكافحته على نفس الخطة التي يجري عليها الريفيون مع الفرنسويين اليوم . وثورة البورس على انكلترا هي مثال آخر من تلك الامثلة . ومثل هذا يقال عن الفتنة في بنجاب من بلاد الهند(١) ومن المعلوم أن تلك المستعمرات البعيدة الشقة هو الآن من

(١) المنار : اي التي كان سببها اطلاق الانكليز العادلين الرحماء مدافعهم على الاهالي العزل من رجال ونساء واطفال بلاذنب الا ان يكون العصبب الذي معناه التألم من ظلم الاجنبي المستعبد لهم

الكماليات الموجبة لباهظ النفقات التي تنوء بكبرها أغنى الدول وأقواها

وقد أصبح الناس في تلك المستعمرات غيرهم بالامس فهم يعرفون تاريخ بلادهم وتاريخ الدولة التي تسيطر عليهم ويدركون حقوقهم وواجباتهم، خذ مثالا لذلك عبد الكريم الذي تلقى العلوم في اسبانية وغيرها وعاد الى بلاده ينشر مااستنتجه من ذلك بين أبناء قومه . فالعلوم التي تلقنها كانت بمثابة سلاح قاطع في أيدي التلاميذ ضد معلميهم . وعبثا تحاول فرنسة قمع العصيان واطفاء نائرة الفتنة فهي وان استطاعت ذلك (وهو فيما نرى بعيد) فانها لم تستأصل اسباب الخروج و بواعث النواة التي بثها عبد الكريم بين مواطنيه .

وانقلاب العرب في الكفاح ليس من الامور التي يعبأون بها فهم ان انهزموا اليوم يعودون في الغد الى المناجزة أوفر نشاطا وأكثر إقداما . وما يشيعه ذوو الاغراض من ان عبد الكريم يقصد بتوجيه حملاته على المنطقة الفرنساوية خدع الاسبانيول الذين يطمع في اخراجهم من البلاد هو من الاقوال العارية عن الصحة لان عبد الكريم غير ميال الآن بالمنطقة الاسبانية لانه يدرك قوة تحصين الاسبان بعد تراجعهم الى الوراء وهو أعقل من أن يهاجمهم في هذا الحين

فغرض عبد الكريم الحقيقي هو توجيه ضربة شديدة الى فرنسة حتى اذا بطش بجيشها يثير عواطف الشعوب والقبائل المراكشية ويحملها بفوزه على مناصرته وحينئذ يحشد من الجيوش ما يمكنه من توجيه الضربات الشديدة الى فرنسة واسبانية معا . ومن أجل هذا أقول انه مالم تقو فرنسة على انزال أشد العقاب بعبد الكريم بالاسرع الممكن تكون خسارة فرنسة في مراكش عظيمة وسقوط مهابتها في عيون أهل البلاد مريع للغاية . لان عبد الكريم يذيع أنباء انتصاراته في طول البلاد وعرضها لكي يحمل أهل البلاد على اعتقاد أن سحق فرنسة واسبانية في مراكش ليس من الامور المحتملة فقط بل من الامور المقررة

ويجب أن لا ننسى أن المراكشيين اذا حاربوا بعدد قليل من الرجال لا يكون ذلك ناشئا عن عدم وجود الرجال عندهم بل عن عدم وجود الاسلحة . على أن كفاحهم بالقليل من الرجال يزيل سوء نتائج هذه الحاجة فان المراكشي اذا حارب

يندفع شجاعة او بالحري يتناسي الخوف . والمراكشي الذي يرى رفيقه مجندلا في ساحة القتال لايرتاع ولا يلوي الى الفرار بل يأخذ مكانه

والاسلوب الحربي الذى يتمشى عليه عبد الكريم هو أن يتراجع بينما يكون العدو متقدما حتي اذا وقف العدو عن التقدم يشرع هو ورجاله في اصطيادرجال العدو واحدا بعد آخر ، وهو فن يحسنه العرب اكثر من كل شعب آخر ، ومن الصعب جدا اطلاق الرصاص على المراكشيين لانهم لايحاربون مجتمعين بل افرادا أو أزواجا يتحركون على الدوام بينما الفرنساويون أو الاسبانيون يزحفون جماعات تكون أفضل هدف لرصاص عدوهم .

ان المقاتل العربي الفارس لا يشق له غبار ولا يصطلى له بنار فهو يهجم كالمارد علي صفوف الاعداء الى ان يصير على مسافة ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ متر ويطلق نيرانه وهو مثابر على الجولان وهو على الغالب لايخطيء المرمى حتي اذا قضى وطرا يكر راجعا ليعبيء بندقيته من حيث تطيش طلقات الاعداء المصوبة عليه فلا تصل اليه . وغني عن البيان أن الطيارات والمدافع لانفع منها في هذه الولايات . ولا توجد هناك مدن أو حصون ليضربها العدو ويستولي عليها بل أبطال مجربون يصيبون ولا يصابون

هؤلاء العرب هم جنود مدربون من المهد وهم يفضلون اصطياد الناس على اصطياد الوحوش وغيرها . ومن الاقوال المأثورة عنهم أن أحب الاشياء الى العربي في الحياة بندقيته ثم جواده وأخيرا زوجته التي يعاملها على ما هو مشهور كما يعامل البهيمة . وهي قلما تترك البيت فاذا فعلت تخرج مبرقعة ولا يرى وجهها الا سيدها دون سواه (١)

والمحارب العربي يكفيه القليل من القوت كحفنة من التين أو التمر تغذوه النهار بطوله ولا يعطش ويقوي على الركض مسافات طويلة ولا يتأثر من الحر واذا حارب العرب حربا دينية فلا يوجد في جيوش الارض من يضارعهم ذلك

(١) المنار . انها على هذا افضل عند العرب من الزوجة الافرنجية التي يرى غير زوجها لا وجهها فقط بل سائر بدنها أيضا

لما في دينهم من الوعود بالجنة لمن حارب ضد المسيحيين (١) فهم ينالون مقابل هذا الجهاد مكانا جميلا في السماء ويحرزون الجياد المطهمة والسلاح الجميل والنساء الحسان . ومن أجل هذا فهم لايخافون من الموت في ساحة القتال (٢)

وبعكس ذلك الجندي الفرنساوي او الاسپاني الذي لادين له على الغالب ولا هو يؤمن بثواب حتى ولا في هذا العالم ولا بعذاب في الآخرة ومن أجل هذا فهو لايستميت في القتال ولا يتهالك كالعربي - ذلك ما اردت بيانه هنا ايضاحا للحالة الراهنة . وهناك أشياء كثيرة مهمة لاتسمح الفسحة بايرادها . على أن القراء يدركون من الذي تقدم بيانه راكنة الحركة التي يقوم بها عبد الكريم وانها تطلب اهتماما خاصا ودراية وتدبيرا عظيمين لاتقاء غوائلها

وجملة القول انه اذا كان عبد الكريم قد نجح في مساعيه بغرس البغضاء في اذهان مواطنيه للاوروبيين فليس في الدنيا مايقوى على ازالتها ومهما أتى الفرنساويون من آيات القتال ومهما حردوا من الجيوش فانهم يعجزون عن استئصال هذه الفكرة القومية التي ستكلف فرنسة على تمادي الزمن انهارا من الدماء وانهارا من الذهب كما كلفت أسبانية

(المنار) انتهت المقالة وقد جاءتنا الانباء قبل طبع هذه الكراسة من المنار بأن محمد عبد الكريم يحارب الآن الدولتين معا وهو منتصر عليهما

«١» المنار : هذه التهمة اختلقها الصليبيون واستغلها الماديون والملحدون من سلائلهم والصواب ان القرآن نطق بأن النصارى اقرب الناس مودة للمسلمين ولكن الافرنج عادوا المسلمين وسلبوا ملكهم ثم كانوا معهم مضرب المثل « رمتني بدائها وانسلت » فهم يتهمونهم بذلك لتطفيء عنهم شعوبهم الحرة وتوافقهم على استمرار استعبادهم واضطهادهم لهم

«٢» هذا اهم اسباب عناية الافرنج بافساد عقائد المسلمين وابطال ثقتهم بدينهم وقد كان تأثير مدارسهم ومدارسنا المقلدة لها في تمكينهم من استعباد المسلمين وسلب ملكهم اعظم من تاثير اساطيلهم وجيوشهم ، وان ملاحدة المتفرنجين منا لشر منهم وأضر لعنة الله عليهم

الحج في هذا العام (١٣٤٣)

كان للدول المستعمرة المسيطرة على الشعوب الاسلامية غرض واحد من السعي لمنع الحج هو معروف لكل المسلمين بسياسة الاستعمار فصار لهم في هذا العام غرضان ثانيهما ان لاترى شعوبهم ادارة اسلامية صالحة في حرم الله عز وجل كادارة السلطان عبد العزيز آل سعود فيحدث لهم أمل جديد في حكومة اسلامية عادلة مستمدة لان تكون دولة قوية تقدر أن تنقذ الحرمين الشريفين من وقوعهما تحت سيطرة الاستعمار الذي رضيه لها الشريف حسين وأولاده علي وعبدالله وفيصل كما رضوه للعراق وسورية وفلسطين على شرط أن يكونوا ملوكا وأمراء فيه تحت السيادة الانكليزية كما بيناه مرارا بالبراهين التي لم يقدر أن ينقضها أحد منهم ولامن اجرائهم

اذاع السلطان عبد العزيز منشوراً في الدعوة الى اداء فريضة الحج نشر في جريدة أم القرى المكية ووزعت منه نسخ مستقلة كثيرة في مشارق العالم الاسلامي ومغاربه ونشر في أشهر صحف مصر وسورية والهند وجاوه وغيرها من الاقطار ذكر فيه امن الطريق وفتح ثلاث من ثغور الحجاز لنزول الحجاج فيها . القنفذة والليث في جنوب جدة ورابغ في شمالها . فطفق الاجانب يدسون الدسائس ويثيرون الهواجس والوساوس لتخويف المسلمين من سبيل الحج ويدعون أن جيوش الشريف على المحصور في جدة وأساطيله واقفة للحجاج بالمرصاد فهم على خطر أينما توجهوا من بر وبحر ، وأن الحجاز ولا سيما مكة المكرمة في مجاعة فيخشى على من يجيئها من الحجاج أن يموتوا جوعا ان هم نجوا من جيوش الشريف على « ملك الحجاز » ؟ وتجاوبت بمثل هذا البرقيات الانكليزية من جدة ولندن والهند ولبعضها صفة رسمية بريطانية كزعم قنصل الانكليز في جدة عدم صلاحية الثغور المذكورة لنزول الحجاج وعدم وجود الاقوات وغيرها مما يحتاجون اليه فيها حتى نصحت الحكومة الهندية البريطانية مسلمي الهند بأن لايحج أحد منهم في هذا العام فلم يقبلوا نصحها * وقد يستفيد الظنة المتنصح * وتابعتها حكومة مصر فنصحت للمصريين بمثل ذلك وزادت أن فرضت على من يريد الحج دفع تأمين لها

ضعفي ما كانت تأخذه من كل حاج نائبة دلك على مثل هذه الاذاعات تي كانت تنشرها جريدة المقطم المنشأة لخدمة السياسة البريطانية والمنفردة بترويج الدعاية الحجازية حتى ان أحد محرريها قال لبعض الناس قبل نشر الحكومة لقرارها بايام : اننا قد نجحنا في منع الحج في هذا العام ، ولا غرو فنفوذ الانكليز بمصر في هذه الايام ، أقوى مما كان في كل زمان وانا كنا طبعنا نداء سلطان نجد عند وصوله ووزعنا منه نسخا كثيرة وهذا نصه:

(نداء عام الى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها)

مكة المكرمة ١ شعبان سنة ١٣٤٣   ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٥

من سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى كافة اخواننا المسلمين في اقاصي الارض وأدانيها

نحمد اليكم الله الذى لا إله الا هو ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . ونستفتح بالذى هو خير . وبعد فلقد منّ الله علينا وأمدنا بعنايته فى دخول هذه البلاد المقدسة . وتفضل علينا ومكننا من طرد الحسين وأولاده الفئة الباغية من هذه الديار المطهرة . وبذلك زالت والحمد لله دولة الظلم والجبروت ، وحلت الشريعة السمحة محل الاغراض والاهواء ، وتوزع العدل بين الناس سواء في ذلك الصغير والكبير والشريف والوضيع ، فساد النظام في البلدة المطهرة وفي سائر انحاء البلاد ، واستتب الامن ، ، عمت السكينة والطمأنينة سائر الارجاء بصورة لم تعهد من قبل ، (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وهذا مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » تبارك وتعالى

هذه هي الحقيقة الراهنة في البلاد ولكن الحسين وأولاده واشياعهم

قعدوا في الخارج يختلقون الاراجيف ويشيعون الاكاذيب عن الموقف الحربي في الحجاز وعما يمكن أن يؤول موسم الحج في هذا العام تضليلا للافكار وتشويها للحقائق

ولما كان من أجل مقاصدنا خدمة الاسلام والعالم الاسلامي وهو المبدأ الذي اتخذناه عند الشروع في هذه القضية العظيمة الشأن رأيت الواجب يدعوني لأبين للمسلمين عامة ما يأتي

(١) أن جندنا قد حصر عليا بن الحسين وجنده وقواه في بلدة جدة التي أحاطها بالاسلاك والحصون ، وضيق عليه تضييقاً عظيما وسيخرجه منها في وقت قريب ان شاء الله تعالى

(٢) اننا نرحب ونبتهج بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام من كافة المسلمين في موسم هذه السنة ونتكفل بحول الله بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل أمر سفرهم الى مكة المكرمة من احدى الموانى التي ينزلون اليها وهي رابغ * أو الليث * أو القنفده * وقد احكم فيها النظام واستتب الامن استتبابا تاما منذ دخلتها جيوشنا وسنتخذ من التدابير في هذه المراكز جميع الوسائل التي تكفل تأمين راحة الحجاج ان شاء الله تعالى

(٣) أعلن لكافة اخواننا المسلمين أنه لم يبق أثر للمشاكل والعراقيل التي كان يضعها الحسين ضد المشاريع الخيرية والاقتصادية وأن أبواب الحجاز مفتوحة لجميع من يريد القيام بأي عمل خيري أو اقتصادي ، وأن الحكومة المحلية مستعدة للقيام بجميع التسهيلات الممكنة لتنشيط من يريد القيام بهذه المشاريع الخيرية والاقتصادية

هذا ما أردنا اعلانه للناس كافة ليحيط الجميع علماً به سائلا الله تعالى

أن يوفقنا الى ما يحبه ويرضاه، و يهدينا وإياكم الى سبيل الرشاد ، انه ولي التوفيق، نعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سلطان نجد

عبد العزيز عبد الرحمن

الفيصل السعود

عاقبة الشريف حسين بن علي مع الانكليز

كتبت في الرحلة الحجازية فصلا في صفات هذا الرجل وشمائله ، وكان ذلك قبل اليأس من كل خير يرجى منه لامته وملته ، والجزم بأنه لا يتوقع منه الا الشر على أنني لم أكن حرا في التصريح برأيي كله فيه عند كتابته ، ومع شدة احترامي من التصريح بانتقاد ماينتقد منه ، لانني لم أكن أرى ذلك من المصلحة ولا من الذوق والادب ، ولان ذلك كان في عهد المراقبة على الصحف ولا سيما المنار ، وقد أمرت المراقبة الانكليزية بحذف بعض الجمل من ذلك الفصل لم تأمر بحذفه المراقبة المصرية قبلها . وكان مايكتب في المنار من مسائل الحرب والبلاد العربية ونحوها يراقب مراقبة مزدوجة

وصفته في ذلك الفصل بشدة الاستبداد والعناد بسوء الظن وعدم الثقة بأحد ، ولكن جعلت ذلك في معرض مظهره المدح ثم قلت : وقد وقفت منه على آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) يأسه من الدولة العثمانية . . (ومنها) « إن له ثقة بالدولة البريطانية وتقديرا لقوتها وعظمتها لاحد لها ولا سلطان لشيء عليها » وعنيت بهذا أنه لايمكن تحويله عن شيء من ذلك ببرهان عقلي ولا سياسي ولا ديني ولا بمراعاة مصلحة قومية الخ

ثم كان من مصداق هذا القول فيه أنه رضي لنفسه أن يكون موظفا بريطانيا في الحجاز ، فكان ذا استياء من شيء يطلب من الحكومة الانكليزية إقالته من ملك الحجاز وتعيين غيره في مكانه حتى أنه نشر خبر استقالته في جريدته (القبلة)

ونشر مرة صورة برقيــة أرسلها الى مدير جريدة التيمس يرجوه فيها بأن يقنع حكومته بقبول استقالته ونصح له غيرنا وكنا نصحنا له كغيرنا وأنى يقبل نصيحة أحد؟

فكان عاقبة جهله وغروره واستبداده برأيه ان خذله الانكليز في كل شيء بعد ان نالوا منه ومن اولاده ماثبت به لكل احد مطلع على أمرهم وامر العالم انهم خانوا امتهم ، ونبذوا دينهم وشرفهم وراء ظهورهم في خدمتهم تمددت احداث خذلانهم له هو وبقي مصرا على الاتكال عليهم والثقة بحسياتهم النجيبة . وقد طرده سلطان نجد من مكة فانهزم الى العقبة آخر ثغور الحجاز الشمالية، وكان الانكليز خدعوه بأن يضم منطقة العقبة ومعان الى امارة ولده عبد الله (شرقي الاردن) ففعل وهو يتخيل انها من مملكته العربية وانه هو الذي ولى نجله المحبوب عليها !!

ثم كان عاقبة هذه الجناية والخيانة أن امره الانكليز بالخروج من هذه المنطقة والسفر الى البصرة حيث اعد له نجله فيصل قصرا لائقا بمقامه فتمنع وقيل انه لا يخرج من أرض الحجاز مختارا فسررنا بذلك وعزمت على كتابة مقالة في تأييده والدفاع عنه والاحتجاج على الانكليز، وكاشفت بعض اصدقائي بذلك ، ولكن لم نلبث ان نبئنا بأنه خضع وخنع عملا برأي ولده عبدالله وابسل نفسه فأرسلوه الى جزيرة قبرص حيث اعدت له الحكومة الانكليزية دارا لائقة به ليقيم في ظل علمها الظليل كما اقترح عليها من قبل مرارا (فكان عاقبة الذين أساؤا السوءى) وإنما العاقبة الحسنى للمتقين . وسنعود الى تفصيل القول في هذه المسألة وبيان العبرة فيها

ونختم هذه الكلمة هنا بانذار الحكومة البريطانية ان لا تغتر بسوء حال المسلمين وتواكلهم فتضم شيئا من أرض الحجاز الى ماتسميه منطقة الانتداب ، فقد اصبح جميع الناس يعرفون معنى هذا الانتداب ، وشروعها في الاستيلاء على الحجاز ، ان هي تجرأت عليه سيكون مبدأ زوال سلطانها من الشرق الاسلامي ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ المنار ﴾ جعل الجزء الماضي لآخر رمضان خطأ لان معظمه طبع في شوال ولذلك جعلنا هذا الجزء لذي القعدة لأنه طبع فيه

المنار ١٣١٥

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ — ٢٨ برج السرطان سنة ١٣٠٤ هش ٢١ يوليه سنة ١٩٢٥

مناظرة ابن تيمية العلنية

لدجاجلة البطائحية الرفاعية

﴿ كتبها شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيميه نفسه رضي الله عنه ﴾

قال المخبر فغدا أولئك الامراء الاكابر . وخاطبوا فيهم نائب السلطان بتعظيم امرهم الباهر . وذكر لى انواعا من الخطاب ، والله تعالى أعلم بحقيقة الصواب . والامير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق . فأعاد الرسول الى مرة ثانية فبلغه أنا في الطريق . وكان كثير من اهل البدع الاضداد ، كطوائف من المتفقهة والمتفقرة واتباع اهل الاتحاد ، مجدين في نصرهم بحسب مقدورهم ، مجهزين لمن يعينهم في حضورهم ، فلما حضرت وجدت النفوس في غاية الشوق الى هذا الاجتماع ، متطلعين الى ماسيكون طالبين للاطلاع ، فذكر لى نائب السلطان وغيره من الامراء ، بعض ماذكروه من الاقوال المشتملة على الافتراء ، وقال انهم قالوا انك طلبت منهم الامتحان ، وأن يحموا الاطواق ناراً ويلبسوها فقلت هذا من البهتان .

وهاأنا ذا أصف ماكان قلت للامير : نحن لا نستحل أن نأمر أحداً بأن يدخل ناراً ولا يجوز طاعة من يأمر بدخول النار ، وفي ذلك الحديث الصحيح ، وهؤلاء يكذبون في ذلك وهم كذابون مبتدعون قد افسدوا من أمر دين المسلمين ودنياهم ماالله به عليم . وذكرت تلبيسهم على طوائف من الامراء وانهم لبسوا على الامير المعروف بالايدمرى وعلى قفجق نائب السلطنة وعلى غيرهما وقد لبسوا أيضا على الملك العادل كتغا في ملكه وفي

حالة ولاية حماه وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصر ، وضاق المجلس عن حكاية جميع تلبيسهم فذكرت تلبيسهم على الا يدمري وانهم كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيته الباطنة، ثم يخبرونه بها على طريق المكاشفة ، ووعدوه بالملك ، وانهم وعدوه أن يروه رجال الغيب ، فصنعوا خشبا طوالا وجعلوا عليها من يمشي كهيئة الذي يلعب باكر الزجاج فجعلوا يمشون على جبل المزة وذاك يري من بعيد قوما يطوفون على الجبل وهم يرتفعون عن الارض وأخذوا منه مالا كثيراً ثم انكشف له امرهم

قلت للامير وولده هو الذي في حلقة الجيش يعلم ذلك وهو ممن حدثني بهذه القصة. وأما قفجق فانهم ادخلوا رجلا في القبر يتكلم ولوهموه أن الموتى تتكلم ، وأتوا به في مقابر باب الصغير الى رجل زعموا أنه الرجل الشعراني الذي بجبل لبنان ولم يقربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته وقالوا انه طلب منه جملة من المال ، فقال قفجق الشيخ يكاشف وهو يعلم أن خزائني ليس فيها هذا كله ، وتقرب قفجق منه وجذب الشعر فانقلع الجلد الذي ألصقوه على جلده من جلد الماعز ، فذكرت للامير هذا. ولهذا قيل لي إنه لما انقضى المجلس وانكشف حالهم للناس كتب اصحاب قفجق اليه كتابا وهو نائب السلطنة بحماه يخبره بصورة ماجرى

وذكرت للامير انهم مبتدعون بانواع من البدع مثل الاغلال ونحوها وانا نهيناهم عن البدع الخارجة عن الشريعة فذكر الامير حديث البدعة وسألني عنه فذكرت حديث العرباض بن سارية وحديث جابر ابن عبد الله وقد ذكرتهما بعد ذلك في المجلس العام كما سأذكره

قلت للامير أنا ما امتحنت هؤلاء لكن هم يزعمون أن لهم أحوالا

يدخلون بها النار وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك ويقولون لنا هذه الاحوال التي يعجز عنها أهل الشرع فليس لهم أن يعترضوا علينا بل يسلم الينا ما نحن عليه سواء وافق الشرع أو خالفه ، وأنا قد استخرت الله سبحانه انهم ان دخلوا النار ادخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله وكان مغلوبا ، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار . فقال الامير ولم ذاك قلت لانهم يطلون جسومهم بادوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم ، وأنا لا اطلي جلدي بشيء فاذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق ، فاستعظم الامير هجومي على النار وقال أتفعل ذلك ؟ فقلت له نعم قد استخرت الله في ذلك والقى في قلبي أن أفعله ، ونحن لا نرى هذا وامثاله ابتداء فان خوارق العادات إنما تكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين له باطنا وظاهراً لحجة أو حاجة ، فالحجة لاقامة دين الله ، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله ، وهؤلاء اذا أظهروا ما يسمونه اشاراتهم وبراهينهم التي يزعمون انها تبطل دين الله وشرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نقدر عليه من ارواحنا وجسومنا واموالنا ، فلنا حينئذ أن نعارض ما يظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات

وليعلم أن هذا مثل معارضة موسى للسحرة لما اظهروا سحرهم أيد الله موسى بالعصا التي ابتلعت سحرهم . فجعل الامير يخاطب من حضره من الامراء على السماط بذلك وفرح بذلك وكانهم كانوا قد اوهموه أن

هؤلاء لهم حال لا يقدر أحد على رده، وسمعته يخاطب الامير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر وأنا جالس بينهما على رأس السماط بالتركي مافهمته منه انه قال اليوم ترى حربا عظيما ولعل ذلك كان جوابا لمن كان خاطبه فيهم على ماقيل

وحضر شيوخهم الاكابر فجعلوا يطلبون من الامير الاصلاح واطفاء هذه القضية ويترفقون ، فقال الامير انما يكون الصلح بعد ظهور الحق ؛ وقمنا الى مقعد الامير بزاوية القصر أنا وهو وبهادر فسمعته يذكر لهأيوب الحِيَل بمصر والمولهين ونحو ذلك فدل ذلك على انه كان عند هذا الامير لهم صورة معظمة، وان له فيهم ظنا حسنا والله أعلم بحقيقة الحال فانه ذكر لي ذلك

وكان الامير أحب أن يشهد بهادر هذه الواقعة ليتبين له الحق فانه من أكابر الامراء واقدمهم واعظمهم حرمة عنده وقد قدم الآن وهو يحب تأليفه واكرامه فأمر ببساط يبسط في الميدان ، وقد قدم البطائحية وهم جماعة كثيرون وقد اظهروا أحوالهم الشيطانية من الازباد والارغاء وحركة الرءوس والاعضاء ، والطفر والحبو والتقلب ، ونحو ذلك من الاصوات المنكرات ، والحركات الخارجة عن العادات ، المخالفة لما أمر به لقمان لابنه في قوله (واقصد في مشيك واغضض من صوتك)

فلما جلسنا وقد حضر خلق عظيم من الامراء والكتاب والعلماء والفقراء والعامة وغيرهم وحضر شيخهم الاول المشتكي وشيخ آخر يسمي نفسه خليفة سيده احمد ويركب بعلمين وهم يسمونه عبدالله الكذاب ولم اكن أعرف ذلك وكان من مدة قد قدم علي منهم شيخ بصورة لطيفة وأظهر ماجرت به عادتهم من المسألة فاعطيته طلبته ولم أتفطن لكذبه حتى فارقني

فبقي في نفسي أن هذا خفى على تلبيسه الى أن غاب وما يكاد يخفى علي تلبيس أحد بل ادركه في أول الامر فبقي ذلك في نفسي ولم أره قط الى حين ناظرته، ذكر لى أنه ذاك الذي كان اجتمع بى قديما فتعجبت من حسن صنع الله انه هتكه في أعظم مشهد يكون حيث كتم تلبيسه بينى وبينه

فلما حضروا تكلم منهم شيخ يقال له حاتم بكلام مضمونه طلب الصلح والعفو عن الماضي والتوبة وانا مجيبون الى ماطلب من ترك هذه الاغلال وغيرها من البدع ومتبعون للشريعة (فقلت) أما التوبة فمقبولة قال الله تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) هذه الى جنب هذه. وقال تعالى (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الاليم) فاخذ شيخهم المشتكي ينتصر للبسهم الاطواق وذكر أن وهب ابن منبه روى انه كان في بني اسرائيل عابد وانه جعل فى عنقه طوقا فى حكاية من حكايات بني اسرائيل لاتثبت (فقلت) لهم ليس لنا أن نتعبد فى ديننا بشيء من الاسرائيليات المخالفة لشرعنا قدروي الامام احمد في مسنده عن جابر بن عبدالله أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأي بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال « أمتهوكون ياابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسي حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم » وفى مراسيل ابى داود أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى مع بعض أصحابه شيئا من كتب أهل الكتاب فقال « كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم انزل الى نبي غير نبيهم » وانزل الله تعالى (أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فنحن لايجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله اذا خالف شرعنا وانما علينا

أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا و نتبع الشرعة والمنهاج التي بعث الله به الينا رسولنا كما قال تعالى (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فكيف يجوز لنا أن نتبع عباد بنى اسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها وما علينا من عباد بنى اسرائيل (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) هات ما في القرآن وما في الاحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم وذكرت هذا وشبهه بكيفية قوية

فقال هذا الشيخ منهم يخاطب الامير نحن نريد أن تجمع لنا القضاة الاربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية (فقلت) له هـذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين بل كلهم ينهى عن التعبد به ويعده بدعة . وهذا الشيخ كمال الدين بن الزملكاني مفتي الشافعية ودعوته وقلت يا كمال الدين ما تقول في هذا ؟ فقال هذا بدعة غير مستحبة بل مكروهة أو كما قال، وكان مع بعض الجماعة فتوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك (وقلت) ليس لاحد الخروج عن شريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وأشك هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضر فاني تكلمت بكلام بعد عهدي به

فانتدب ذلك الشيخ عبدالله ورفع صوته وقال نحن لنا أحوال وأمور باطنة لا يوقف عليها ، وذكر كلاما لم اضبط لفظه مثل المجالس والمدارس والباطن والظاهر ، ومضمونه أن لنا الباطن ولغيرنا الظاهر ، وأن لنا أمرا لا يقف (١) عليه أهـل الظاهر فلا ينكرونه علينا (فقلت) له

«١» وفي نسخة لا يقدر

ورفعت صوتي وغضبت : الباطن والظاهر والمجالس والمدارس والشريعة والحقائق كل هذا مردود الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليس لاحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا من المشايخ والفقراء ، ولا من الملوك والامراء ، ولا من العلماء و القضاة وغيرهم ، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وذكرت هذا ونحوه

(فقال) ورفع صوته نحن لنا الاقوال وكذا وكذا وادعى الاحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها وأنهم يستحقون تسليم الحال اليهم لاجلها (فقلت) ورفعت صوتي وغضبت انا أخاطب كل احمدي من مشرق الارض الي مغربها أي شيء فعلوه في النار فانا أصنع مثل ما تصنعون ، ومن احترق فهو مغلوب وربما قلت فعليه لعنة الله . ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار ، فسألني الامراء والناس عن ذلك فقلت لان لهم حيلا في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارنج وحجر الطلق فضج الناس بذلك فاخذ يظهر القدرة على ذلك فقال انا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت (فقلت) فقم وأخذت أحرز (١) عليه في القيام الى ذلك فد يده يظهر خلع القميص ، (فقلت) لا حتى تغتسل في الماء الحار والخل فاظهر الوهم على عادتهم (فقال) من كان يحب الامير فليحضر خشبا أو يقال حزمة حطب (فقلت) هذا تطويل وتفريق للجمع ولا يحصل به مقصود ، بل قنديل يوقد وادخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت

(٢) كذا في الاصل ولعله أصر عليه في القيام

أصبعه فعليه لعنة الله ، أو قلت فهو مغلوب ، فلما قلت ذلك تغير وذل وذكر لي أن وجهه اصفر .

ثم قلت لهم ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة ولو طرتم في الهواء ، ومشيتم على الماء ، ولو فعلتم مافعلتم لم يكن في ذلك مايدل على صحة ماتدعونه من مخالفة الشرع ولا على إبطال الشرع فان الدجال الاكبر يقول للسماء امطري فتمطر ، وللارض انبتي فتنبت ، وللخربة اخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه ، ويقتل رجلا ثم يمشي بين شقيه. ثم يقول له قم فيقوم ، (١) ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون لعنه الله . ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب

وذكرت قول ابي يزيد البسطامى : لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الاوامر والنواهي . وذكرت عن يونس بن عبد الاعلى انه قال للشافعي اتدري ماقال صاحبنا يعني الليث بن سعد ؟ قال لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء فلا تغتر به. فقال الشافعي لقد قصر الليث لو رأيت صاحب هوى يطير في الهواء فلا تغتر به ، وتكلمت في هذا ونحوه بكلام بعد عهدي به . ومشايخهم الكبار يتضرعون عند الامير في طلب الصلح وجعلت ألح عليه في اظهار ما ادعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا يجيبون وقد اجتمع عامة مشايخهم

(١) كذا في الاصل وفي رواية مسلم في حديث الدجال قال فيقول اتؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من فرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوى قائما قال ثم يقول له أتؤمن بي فيقول ماازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول ياأيها الناس انه لا يفعل بعدي باحد من الناس الحديث اه من حاشية الاصل

الذين في البلد والفقراء المولهون منهم وهم عدد كثير والناس يضجون في الميدان ويتكلمون بأشياء لا أضبطها

فذكر بعض الحاضرين أن الناس قالوا ما مضمونه (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) وذكروا أيضا أن هذا الشيخ يسمى عبد الله الكذاب . وأنه الذي قصدك مرة فاعطيته ثلاثين درهما . فقلت ظهر لى حين أخذ الدراهم وذهب انه ملبس وكان قد حكى حكاية عن نفسه مضمونها انه أدخل النار في لحيته قدام صاحب حماة . ولما فازقني وقع فى قلبي أن لحيته مدهونة وأنه دخل الروم واستحوذ عليهم

فلما ظهر للحاضرين عجزهم وكذبهم وتلبيسهم وتبين للامراء الذين كانوا يشدون منهم انهم مبطلون فرجعوا وخاطب الحاج بهادر ونائب السلطان وغيرهما بصورة الحال وعرفوا حقيقة المحال وقمنا الى داخل ودخلنا وقد طلبوا التوبة عما مضى وسألني الامير عما يطلب منهم فقلت متابعة الكتاب والسنة مثل أن يعتقد(١) أنه لا يجب عليه اتباعهما أو انه يسوغ لاحد الخروج من حكمهما ونحو ذلك أو أنه يجوز اتباع طريقة تخالف بعض حكمهما ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والسنة التي توجب الكفر وقد توجب القتل دون الكفر وقد توجب قتال الطائفة الممتنعة دون قتل الواحد المقدور عليه

(فقالوا)نحن ملتزمون الكتاب والسنة أتنكر علينا غير الاطواق؟

(١) الامثلة الثلاثة التي ذكرها هي لعدم متابعة الكتاب والسنة لا لمتابعتها المطلوبة فلعله قد سقط من هذا الموضوع جملة مضمونها : والرجوع عما يخالفها مثل كذا وكذا

نحن نخلعها (فقلت) الاطواق وغير الاطواق ليس المقصود شيئا معينا وانما المقصود أن يكون جميع المسلمين تحت طاعة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال الامير فاي شيء الذي يلزمهم من الكتاب والسنة؟ فقلت حكم الكتاب والسنة كثير لا يمكن ذكره في هذا المجلس لكن المقصود أن يلتزموا هذا التزاما عاما ومن خرج عنه ضربت عنقه — وكرر ذلك وأشار بيده الى ناحية الميدان — وكان المقصود أن يكون هذا حكما عاما في حق جميع الناس فان هذا مشهد عام مشهور قد توفرت الهمم عليه فيتقرر عند المقاتلة واهل الديوان والعلماء والعباد وهؤلاء وولاة الامور انه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه

(قلت) ومن ذلك الصلوات الخمس في مواقيتها كما أمر الله ورسوله فان من هؤلاء من لا يصلي ومنهم من يتكلم فى صلاته حتى إنهم بالامس بعد أن اشتكوا علي فى عصر الجمعة جعل أحدهم يقول في صلب الصلاة ياسيدي احمد شيء لله. وهذا مع أنه مبطل للصلاة فهو شرك بالله ودعاء لغيره في حال مناجاته التي أمرنا أن نقول فيها (إياك نعبد وإياك نستعين) وهذا قد فعل بالامس بحضرة شيخهم فامر قائل ذلك لما أنكر عليه المسلمون بالاستغفار على عادتهم في صغير الذنوب ولم يأمره باعادة الصلاة وكذلك يصيحون فى الصلاة صياحا عظيما وهذا منكر يبطل الصلاة

(فقال) هذا يغلب على أحدهم كما يغلب العطاس (فقلت) العطاس من الله والله يحب العطاس ويكره التثاؤب ولا يملك أحدهم دفعه ، وأما هذا انصياح فهو من الشيطان وهو باختيارهم وتكلفهم ويقدرون على دفعه، ولقد حدثني بعض الخبيرين بهم بعد المجلس انهم يفعلون فى الصلاة

مالا تفعله اليهود والنصارى ، مثل قول أحدهم انا على بطن امرأة الامام وقول الآخر كذا وكذا من الامام ونحو ذلك من الاقوال الخبيثة ، وأنهم اذا أنكر عليهم المنكر ترك الصلاة يصلون بالتوبة وانا أعلم أنهم متولين(١) شياطين ليسوا مغلوبين على ذلك كما يغلب الرجل في بعض الاوقات على صيحة أو بكاء في الصلاة أو غيرها

فلما أظهروا التزام الكتاب والسنة وجموعهم بالميدان باصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم (قلت) له أهذا موافق للكتاب والسنة ؟ (فقال) هذا من الله حال يرد عليهم (فقلت) هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحبه الله ولا رسوله (فقال) ما في السموات والارض حركة ولا كذا ولا كذا إلا بمشيئته وارادته (فقلت) له هذا من باب القضاء والقدر وهكذا كل ما في العالم من كفر وفسوق وعصيان هو بمشيئته وإرادته وليس ذلك بحجة لاحد في فعله بل ذلك مما زينه الشيطان وسخطه الرحمن .

(فقال) فبأي شيء تبطل هذه الاحوال (فقلت) بهذه السياط الشرعية. فاعجب الامير وضحك وقال اي والله بالسياط الشرعية، تبطل هذه الاحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد ومن لم يجب الى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية . وأمسكت سيف الامير وقلت هذا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلامه وهذا السيف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن خرج عن كتاب الله وسنة

(١) كذا في الاصل ومقتضى الاعراب متولون الا أن يكون حذف من الكلام شيء فيه ناصب لقوله متولين

رسوله ضربناه بسيف الله وأعاد الامير هذا الكلام وأخذ بعضهم يقول فاليهود والنصارى يُقرّون ولا نقر نحن؟ (فقلت) اليهود والنصارى يقرون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم والمبتدع لا يقر على بدعته . فأفحموا لذلك

وحقيقة الامر أن من أظهر منكراً في دار الاسلام لم يقر على ذلك فمن دعا الى بدعة وأظهرها لم يقر ولا يقر من أظهر الفجور وكذلك أهل الذمة لا يقرون على اظهار منكرات دينهم، ومن سواهم فان كان مسلما أخذ بواجبات الاسلام وترك محرماته، وان لم يكن مسلما ولا ذميا فهو إما مرتد وإما مشرك وإما زنديق ظاهر الزندقة . وذكرت ذم المبتدعة فقلت روى مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته «ان أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها(١) وكل بدعة ضلالة» وفي السنن عن العرباض بن سارية قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل يارسول كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا؟ فقال «أوصيكم بالسمع والطاعة فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» وفي رواية(٢) «وكل ضلالة في النار» (فقال) لي البدعة مثل الزنا وروى

«١» المنار : لفظ مسلم فان خير الحديث كتاب الله الخ (٢) هذه الزيادة شاذة ليست في السنن فذكر شيخ الاسلام وحافظ السنة لها غريب ، وكأنه أراد بها زيادة الترهيب

حديثا في ذم الزنا (فقلت) هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والزنا معصية والبدعة شر من المعصية كما قال سفيان الثوري البدعة أحب الى ابليس من المعصية فان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها. وكان قد (قال) بعضهم نحن نتوب الناس (فقلت) مماذا تتوبونهم؟ قال من قطع الطريق والسرقة ونحو ذلك (فقلت) حالهم قبل تتوبيكم خير من حالهم بعد تتوبيكم فانهم كانوا فساقا يعتقدون تحريم ماهم عليه ويرجون رحمة الله ويتوبون اليه أو ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتوبيكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الاسلام، يحبون ما يبغضه الله ويبغضون ما يحبه الله، وتثبت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي

(قلت) مخاطبا للامير والحاضرين اما المعاصي فمثل ماروى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رجلا كان يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان كلما أتي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جلده الحد، فلعنه رجل مرة وقال : لعنه الله ما اكثر مايؤتى به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله» (قلت) فهذا رجل كثير الشرب للخمر ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ونهى عن لعنته

وأما المبتدع فمثل ماأخرجا في الصحيحين عن على بن ابي طالب وعن ابي سعيد الخدري وغيرهما دخل حديث بعضهم في بعض - أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم فجاءه رجل ناتيء الجبين كث اللحية محلوق الرأس بين عينيه أثر السجود وقال ماقال فقال النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم «يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد» وفي رواية «لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل» وفي رواية «شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه» قلت فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وماهم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم وقتلهم علي بن ابي طالب ومن معه من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لأن يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بشيء من هذه الاهواء. فلما ظهر قبح البدع في الاسلام وانها أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر وأنهم مبتدعون بدعا منكرة فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر

أخذ شيخهم عبدالله يقول يامولانا لاتتعرض لهذا الجناب العزيز — يعني اتباع احمد ابن الرفاعي — فقلت منكراً بكلام غليظ ويحك أي شيء هو الجناب العزيز وجناب من خالفه أولى بالعز يا(١) والزجنة (١) تريدون أن تبطلوا دين الله ورسوله (فقال) يامولانا يحرقك الفقراء بقلوبهم (فقلت) مثل ما احرقني الرافضة لما قصدت الصعود اليهم وصار جميع الناس يخوفوني منهم ومن شرهم ويقول أصحابهم ان لهم سرا مع الله فنصر الله وأعان عليهم . وكان الامراء الحاضرون قد عرفوا بركة ماييسره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل

(١) كذا في الاصل

وقلت لهم ياشبه الرافضة يابيت الكذب — فان فيهم من الغلو والشرك والمروق من الشريعة ماشاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم وفيهم من الكذب ماقد يقاربون به الرافضة في ذلك أو يساوونهم او يزيدون عليهم فانهم من أكذب الطوائف حتى قيل فيهم لاتقولوا أكذب من اليهود على الله ولكن قولوا أكذب من الاحمدية على شيخهم، وقلت لهم انا كافر بكم وباحوالكم (فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون)

ولما رددت عليهم الاحاديث المكذوبة أخذوا يطلبون مني كتبا صحيحة ليهتدوا بها فبذلت لهم ذلك ، وأعيد الكلام انه من خرج من الكتاب والسنة ضربت عنقه، وأعاد الامير هذا الكلام واستقر الكلام على ذلك . والحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده.

هذا آخر ماجرى مع البطائحية لشيخ الاسلام
وامام الائمة الاعلام . الشيخ تقي الدين
احمد الشهير بابن تيمية
قدس الله روحه
ونور ضريحه
ورضي عنه

(انتهى من الاصل البغدادي كسابقه)

اثارة من التاريخ

(في حالة نجد قبل الشيخ محمد عبد الوهاب، وما قام به من التجديد والاصلاح)

قال الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه (تبرئة الشيخين) قال أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله في تاريخه :

«وقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، والكل على تلك الاحوال مقيم ، وفي ذلك الوادي مسيم (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) وقد مضوا قبل بدو نور الصواب، يأتون من الشرك بالعجاب ، ينسلون إليه من كل باب، ويكثر منهم ذلك عند قبر زيد بن الخطاب . ويدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب ، ويسألونه كشف النوب من غير ارتياب، (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) وكان ذلك في الجبيلة مشهوراً ، بقضاء الحوائج مذكوراً وكذلك قرية في الدرعية يزعمون أن فيها قبورا ، أصبح فيها بعض الصحابة مقبوراً، فصار حظهم في عبادتها موفورا ، فهم في سائر الاحوال عليها يعكفون، (أإفكا آلهة دون الله تريدون) ؟ وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفا ورهبة ، وانجح عندهم رجاء ورغبة ، فلذلك كانوا في طلب الحاجات بهم يبتدون (ويقولون إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مهتدون) وفي شعب غبيرا يفعل من الهجر والمنكر ، مالا يعهد مثله ولا يتصور ، ويزعمون أن فيه قبر ضرار بن الازور ، وذلك كذب محض وبهتان مزور ، مثله لهم ابليس وصور ، ولم يكونوا به يشعرون ، وفي بليدة الفدا ذكر النخل المعروف بالفحال، يأتونه النساء والرجال، ويفعلون

عليه بالبكور والآصال، ويفعلون عنده أقبح الفعال، ويتبركون به ويعتقدون * وتأتيه المرأة اذا تأخرت عن الزواج، ولم تأتها النكاحها الازواج، وتقول : يافحل الفحول ، اريد زوجا قبل أن يحول الحول . هكذا صح عنهم القول (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وشجرة الطرفية تشبث بها الشيطان واعتلق ، فكان ينتابها للتبرك طوائف وفرق ؛ ويعلقون فيها اذا ولدت المرأة ذكراً الخرق لعلهم عن الموت يسلمون * وفي أسفل الدرعية غار كبير، يزعمون أن الله تعالى فلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الامير ، أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت الله فانفلق لها الغار باذن العلي الكبير، وكان الله تعالى لها من ذلك السوء مجير، فكانوا يرسلون الى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون (أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون) *

ثم ذكر في جميع قرى نجد، من ذلك مالا يحصى ولا يعد ، وكذلك في الحرمين وفي سواد العراق وبغداد والمجرة والموصل والشام ومصر والحجاز واليمن ماهو معروف معلوم مذكور في التاريخ وقد اشتهر ذلك وبلغ مشارق الارض ومغاربها واستفاض ماكان عليه أهل نجد من الكفر بالله والشرك به قبل دعوة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعوته الخلق الى توحيد الله وعبادته وترك عبادة ماسواه، فاستجاب من استجاب لله رغبة في الحق وجاهد في الله من أبى الدخول في دين الاسلام، حتى دخلوا في دين الله أفواجا وقد شهد بذلك الخاص والعام ، وأقر به الموافق والمخالف فالحق ماشهدت به الاعداء

وقد رأيت في حال تسويد هذا الجراب تاريخا لبعض المؤرخين من النصارى في سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف (قال فيه) ما نصه :

﴿ نجد بعد الرسالة ﴾

ومن بعد ان بعث الحكيم (صلى الله عليه وسلم) بالهدى والحق وانتشر الدين الاسلامي في هاتيك الربوع عم بلاد نجد من جملة ماعم فصار أهلها على هذه الطريقة المثلى بيد أن الحوادث التي طرأت على قادة الامة من بعد أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) شغلتهم عن مشارفة تلك البلاد فأهملوها، هذا من جهة ومن الجهة الاخرى ان الحروب والمنازعات والاختلافات شغلت أهل نجد عن الايمان في حقائق دينهم فمرت عليهم السنين الطويلة وهم يحبون(١) في الايمان والاعتقاد الى ان وصل الحال بهم الى درجة أصبحوا فيها وقد تعددت فيهم الاوهام والخرافات والاعتقادات الباطلة بالشجر والحجر والنجم وعبادات القبور والعكوف عليها والاعتقاد بأهلها النفع والضر الي غير ذلك مما لأهل العراق فيه اليوم النصيب الاوفر، والحظ الاكبر. رغما عن انتشار العلم فيه، وبقي أهل نجد في هذه الحالة وليس لهم سوى الحرب والضرب والاعتقاد الضار بالانسان دينا ودنيا وأخرى وليس لهم من الدين الحق الا الاسم وذلك الى زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

﴿ نجد في زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﴾

نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بلدة العينية في حضن والده عبد الوهاب بن سليمان فرباه أحسن تربية ولقنه العلم هو بنفسه وكان والده حينئذ قاضيا في بلدة العينية من قبل حاكمها الامير عبد الله بن محمد

(١) كذا في الاصل والحبو زحف الطفل أو المقعد مثلا على استه أو على يديه وبطنه والمراد به ضعف الدين

ابن احمد المعمري ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثير المطالعة والتدبر والتفكر شديد الشوق الى العلم وطلبه حدثته نفسه بأن يسير في طلب العلم الى بلاد أخرى فحج ثم سار الى المدينة فاتصل بالشيخين عبدالله بن ابراهيم مؤلف كتاب (العذب الفائض في علم الفرائض) والشيخ محمد حياة السندي المدني فأقام عندهما مدة ثم رجع الي نجد ومن هنالك سار الى البصرة فبغداد وهو في هذه الاثناء يتزود الكفاية من علم التوحيد والفقه وسائر العلوم ثم حاول السير الى الشام فمصر ولكن صده عارض فى الطريق فرجع أدراجه الى بلاده حاملا من زاد العلم مالم يتيسر لاحد غيره فى وقته ثم ذهب لرؤية والده وكان يومئذ فى حريملا وسبب تحول الوالد الى هذه البلدة هو انه فى غياب الشيخ محمد توفى الله الامير عبدالله وخلفه فى الامارة ابنه محمد فعزل والد الشيخ عبد الوهاب بن سليمان عن القضاء وأقام مكانه احمد بن عبدالله بن عبد الوهاب ورحل عبدالوهاب القاضي الى حريملا ولما ثبت قدمه عند والده باشر الشيخ تزييف الخرافات والبدع والاضاليل، وشمر عن ساعده لابادة الاوهام المضرة بالدين، وأخذ ينشر الاعتقاد الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

﴿ هرب الشيخ محمد رحمه الله من بلدة حريملا ﴾

كانت حريملا فى عهد الشيخ بلدة لا ترجع الى أمير ولا الى امارة بل كانت كورة تتقاذفها صوالجة قبيلتين وهما قبيلة العبيد وقبيلة أخرى فاتفق يوما ان الشيخ زجر بعض السفهاء من قبيلة العبيد عن ارتكاب بعض المخازي الدالة على سوء الاخلاق فعمد هؤلاء الى اهانته بل إلى قتله وأرادوا إتمام الامر بالفعل فساروا اليه ليلا وتسوروا الجدار وبينما هم فى هذا الفعل

إذ صاح صائح فى المحلة فظن هؤلاء المفسدون ان الصياح عليهم فهربوا وكفاه الله شرهم ولما أسفر الصباح رحل الى بلدة العينية وكان محمد الامير قد توفاه الله وقبض على زمام الامارة من بعده عثمان بن حمد بن معمر فتلقاه الامير عثمان بالتحية والترحاب والاكرام التام وهناك أخذ يبث حقائق التوحيد والامير عثمان يتعاهده بحفظ حياته ونصره على أعدائه

(حكاية الشجرة والقبة) وقد طالب الشيخ من الامير ان يقطع شجرة كانت تُعبد في البلدة وان يهدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله عنه فتمنع الامير وبعد ذلك ألح الشيخ عليه وأقنعه فأذن له في الآخر ثم طلب اليه أن يسير هو أيضاً معه فسار الامير مع الشيخ ومعهما ستمائة فارس ولما وصلوا إلى المحل المطلوب قطعت الشجرة وهدمت القبة وكانت قرب بلدة الجبيلة فكان ذلك العمل من أخطر الاعمال التي أتاها الشيخ فلما فعل الشيخ هذا الفعل الاول اشتهر أمره، ونبه ذكره، فبلغ خبره أمير الاحساء سليمان بن محمد وكان ذا قوة وبأس شديد فبعث إلى عثمان بن حمد بن معمر يهدده بقطع رواتبه عنه والسير اليه ان لم يطرد الشيخ من بلاده فأذن حينئذ الشيخ عثمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يسافر الى حيث يريد فاختار الشيخ الذهاب الى بلدة الدرعية فسار وسيّر الشيخ عثمان معه جماعة تحافظ عليه من أعدائه حتى وصل الدرعية فحل ضيفا عند عبدالله بن عبد الرحمن ابن سويلم أحد أعيانها ثم علم به بعض كبار الدرعية فزاروه فلما اطلعوا على مبدإه استحسنوه وأحبوه ثم أرادوا أن يسعوا عند أميرها محمد بن سعود لينزله ضيفا عنده فتخوفوا ففاوضوا بذلك أخاه ثنيان وزوجته وأخاه مشاري فاتفق الجميع على تحقيق ما في الامنية فتم الامر وذلك أن الامير لما دخل قصره

وقابل زوجته اجتمع به أخواه فعرضا عليه الامر مع زوجة الامير وأشاروا عليه باكرامه واحترامه فسار اليه برجله ثم أخذه من عند عبد الله السالف الذكر وجاء به الى قصره فاحتفى به أحسن الاحتفاء وأعزه وقام مؤيداً لدعوته بكل قوته فأخذ الناس يفدون الى الدرعية أفواجا أفواجا فازدادت بذلك قوة الامير بل تضاعفت وشرع يكاتب بلدان نجد وقراها ويدعوها الي طريق الحق وما لبث أياما قلائل إلا واصغت له القبائل ودانت له اغلب البلدان، وما زالت الامارة في امتداد واتساع حتى أصبحت دولة بني آل سعود في درجة لو وفق امراؤها الذين تسلموا قيادة زمامها في آخر أيامها الى ثروة ومد نظر في السياسة لغدت اليوم من اعظم الدول الاسلامية قوة وسطوة ورهبة، ولامتدت امراؤهم الى بلاد شاسعة، إلا انه دهمها مالم يدر في خلد أصحابها ، فانها لما شددت في بعض امورها كثر أعداؤها فاحتالوا على الفتك بها فاوقع بعض الامراء مايلقي النفور بين آل سعود وبين الحكومة العثمانية وللحال اتقدت تلك النار الحامية نار الحروب والضاغنات والزحفات المتكررة فاضرت بالطرفين ولا بد من ذكر تلك الاسباب التي حملت القوم الواحد على القوم الآخر في فرصة اخرى والله ولي التوفيق ، وهو نعم الرفيق انتهى

(المنار) هذه نبذة صحيحة من تاريخ مجدد الاسلام في القرن الثاني عشر محمد ابن عبد الوهاب وقد اتفق الواقفون على تأثير ذلك الاصلاح من مؤرخي الشرق والغرب على انه يشبه نشأة الاسلام الأولى وانه لولا الموانع التي اعترضته لجدد للاسلام مجده الديني والدنيوي معا ، وأعظم تلك الموانع مقاومة الدولة العثمانية له ومساعدة محمد علي باشا لها على قتال الوهابيين وتدمير قوتهم ، وكان المحرك الخفي لهذه المقاومة دولة الدسائس الشيطانية ، وعدوة الشرق ولا سيما الأمة الاسلامية ، التي لا تزال هي المقاومة لكل اصلاح اسلامي وترق شرقي ، طمعا في استعباد الشرق كله ، خذلها الله تعالى ،

السفور والحجاب

(كثر في هذه السنين خوض الكتاب في مسألة حجاب النساء المسلمات وسفورهن فألفت فيها الكتب ، وأخذت مجالا واسعا من أبحاث الصحف المنشرة ، فالمتفرنجون يدعون الى هتك الحجاب على مايلزمه من خلع جلباب الحياء والتبرج والتهتك والفجور وأهل الدين يدعون الى المحافظة عليه أو على العرض والنسب به ، ولكن أكثر ما كتب في ذلك مباحث نظرية، وتخيلات شعرية ، حتى عثرت الجرائدفي هذه الايام على بحث عملي فيه لامير البيان شكيب أرسلان فنشره الكثير منها على اختلاف مشاربهم في المسألة ورأينا نحن أن ننشره في المنار أيضا لما فيه من العبرة والبيان الذي لا يعارض بالمراء والخلابة وهو)

منذ نحو ثلاث سنوات كانت المعيشة في المانيا في غاية الرخص فكان طالب العلم في احدى الكليات يقدر أن يعيش بنحو جنيهين أو ثلاثة في الشهر. فانتهزت هذه الفرصه لتذكير ابناء وطنى سورية وفلسطين بكون المعيشة في المانيا هي ارخص منها في نفس بلادنا فالذين يعتذرون عن تقصيرهم في تعليم اولادهم بقلة ذات اليد ليس عليهم الا ان يرسلوهم الى المانيا فيتاح لهم ارقى تعليم عصري باخف مايتصور العقل كلفة واقرب منالا، ونشرت ذلك في جريدة الصباح التي كانت تصدر في القدس الشريف فاقبل على اثر هذه الكتابة نحو اربعين طالبا عربيا يردون مناهل العلم في برلين ولايبسيغ وكونستانز وغيرها . وأنما كثرت علي الاسئلة يومئذ في موضوع التعليم في المانيا والمعاش في المانيا بصورة وصلت الى ادق الامور التافهة الى ان عجزت عن الجواب واحلت ذلك الى لجنة خاصة اشرت بتأليفها في برلين لهذا الغرض

وكان من جملة من استفتاني في امر التعليم بأوربا رجل من أعيان فلسطين كتب الي أن له في المانيا ولدين ابنا وابنة فاما الصبي فهو في المدرسة المسماة جمنازيوم وهو في الثامنة من العمر . وأما الفتاة فهى في مدرسة بنات قد بلغت الثانية عشرة من العمر . وهو يلتمس رأيي في امر تعليمهما هل يتركهما بكملان

التحصيل في المانيا أم يسحبها الى الوطن ولا سيما البنت فانها كادت تبلغ سن الرشد وهذا محل شاهدنا في هذه القضية

فأتذكر اني جاوبته بان الولد يمكنه ان يتم تعليمه هناك بشرط ان يتعلم اللغة العربية . وبالفعل كل ولد عربي لا يتعلم لغة اهله منذ الصغر ولا يعرف نفسه عربيا منذ الصغر لو بلغ من العلم أعلى درجة لم يكن لنا ان ندعوه غصنا مهذبا من اغصان هذه الشجرة بل نعده غصنا اقتطع منها وغرس في حقل آخر وهو قد أصبح ليس منا ولا يفيدنا بشيء . وأما من جهة البنت فقد جاوبته انني لا ادري ماذا اقول لك لانني لا أعرف مشربك الخاص والمسألة هي بحسب مشربك فيمكنك ان تسحب بنتك من المانيا منذ الآن وتكمل تعليمها في القدس . وثق انه يوجد في القدس علوم تكفي ابنتك ولا تقصر عن شأو رغبتها . كما انه يمكنك أن تبقي ابنتك في المانيا الى ان تتم تحصيلها كاحسن بنت المانية . ولكن على الوجه الاول تتعلم ابنتك مع بعض اللغات الاوربية والعلوم العصرية اللغة العربية والعقيدة الاسلامية وتخرج مسلمة . وأما على الوجه الثاني فتتعلم بعض اللغات الاوربية والعلوم العصرية ولكنها تخرج مسلمة بالاسم فقط وعربية باللفظ العامي لا غير . وعلى الوجه الاول تبقى ابنتك لك ولا تتزوج الا مسلما . وعلى الوجه الثاني تبقي ابنتك لك اذا هي شاءت وإن لم تشأ لم تقدر أن تعارض ارادتها في شيء ولا ينبغي لك ان تكون مبغوتا اذا قيل لك ان ابنتك أحبت شابا ألمانيا وأخذته — لا بل شابا يهوديا واقترنت به . فاختر أنت لنفسك أحد الوجهين فاني لا أعرف مشربك الخاص في هذه المسألة ولا انا عليم بذات صدرك حتى أقول لك ان اخذت بهذا الوجه أو ذاك الوجه تتعب ويحصل لك كما يقال وجع رأس . وترى أني لست قائلا لك هذا الوجه أولى من هذا وإياك ان تعمل هذا . كلا . لم أقل لك شيأ من هذا المعنى بل قصاري ماقلت لك : ان كان يكرثك ان تلبس ابنتك "برنيطة وتخاصر أي شاب استلطفته في الطريق وتقترن بمن تريد ولو غير مسلم وما أشبه ذلك مما هو جديد في الاسلام (١) فاولى بك أن تسحب ابنتك من اليوم من المانيا قبل ان

(١) يعني بالاسلام عالم الاسلام اي المسلمين لا دين الاسلام

بعسو عودها فانك بعد ذلك لاتقدر على ردها عما تريد . ولا أقول لك أنها ستتزوج حتما بغير مسلم وستخاصر حتما من شاءت من الشبان بدون اذن منك أو من أمها . كلا . وانما اقول لك انه يجوز ان تفعل ذلك وحينئذ لاتقدر انت ان تمنعها

وأما اذا كنت انت ترى ان ماوسع الالماني وما وسع الاوربي باسره يسع المسلم ايضا وهم بشر ونحن بشر ، وكما جاز للاوربية ان تتزوج مسلما برضى والديها او بدون رضاهما يجوز للمسلمة ان تقترن بأوربي أو بيهودي او بصيني بوذي او بهندي براهمي الخ بدون رضا والديها — فعندذلك اقول لك دعها تكمل تحصيلها في المانيا . فالمسألة مسألة وجهة ونظر فالذي يرى هذه الوجهة فطريقه هذا والذي يرى تلك الوجهة فطريقه هذا . فأما ان يرسل ابنته الى اوربا ويخرجها في مدارس لاتعلم لغة عربية ولا عقيدة اسلامية أو يخرجها عند الراهبات العازاريات أو عند راهبات الناصرة ثم يطالبها بأن تبقى مسلمة دينا وشرقية ذوقا ومشربا وان لا يعطيها واحدا ، وان يحاسبها على عشرة . فهذا تكليف مالا يطاق ، وأضم الى هذا المثال مثلا آخر:

عند اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ قال احمد رضا بك من زعماء أحرار الترك «مادام الرجل التركي لايقدر أن يمشي علنا مع المرأة التركية على جسر غلطه وهي سافره الوجه فلا اعد في تركيا دستوراً ولا حرية » فكانت هذه المرحلة الاولى ، وفي هذه الايام بلغني ان احد مبعوثي مجلس انقرة الكاتب فالح رفقي بك الذي كان كاتبا عند جمال باشا في سورية كتب : انه مادامت الفتاة التركية لاتقدر ان تتزوج بمن شاءت أيان شاءت ولو كان من غير المسلمين ، بل مادامت لاتقدر ان تعقد مقاولة مع رجل تعيش واياه كما تريد مسلما او غير مسلم — فانه لايعد تركيا قد بلغت رقياه » فهذه هي المرحلة الثانية

فأنت ترى ان المسألة ليست منحصرة في السفور ولا هي بمجرد حرية المرأة المسلمة في الذهاب والمجيء كيفما تشاء بل هناك سلسلة طويلة حلقاتها متصل بعضها ببعض لابد من أن ينظر الانسان اليها كلها من أولها الى آخرها. واذا كان ممن يرى حرية المرأة المطلقة ان يقبلها بحذافيرها بدون تعنت ولا تثاقل فان كان ممن

يري رأي فالح رفقي بك - ان كان كما بلغني لانني لم اقرأ كلامه وانما ارجع صحته - بهذه الصراحة التامة التي معناها أنه يجب لتمام الرقي أن تصير الفتاة المسلمة قادرة ان تتزوج بمن شاءت نصرانيا أو يهوديا أو مجوسياء بل أن تخادن من شاءت كذلك ولا حرج عليها في قانون بلادها، فقد انحل المشكل وارتفع النزاع ولم يبق حاجة الى أن تقول: السفور خير من الحجاب، أو الحجاب خير من السفور، بل تنحصر المسألة في هل يجب أن تقبل هذه النتائج بحذافيرها أم لا ؟

وأما ان نجمع بين حرية المرأة وعدم حريتها، وان نطلق لها الامر تذهب حيث ارادت وتحادث من ارادت وتضاحك من ارادت وتغامز من ارادت، ثم اذا صبا قلبها الى رجل من غير جنسنا فذهبت وساكنته وكان بينها وبينه مايكون بين الرجل وزوجته أقمنا القيامة ودعونا بالمسدس وقلنا ياللحمية ويا اللانفة ويا للغيرة على العرض ! فهذا لا يكون وليس من العدل ولا من المنطق ان يكون

والنتيجة التي نريدها قد حصلت وهي أن سلوكنا مسلك الاوربيين حذو النعل بالنعل في مسألة المرأة هذا له توابع ولوازم لابد أن نقبلها ولا يبقى معها محل لكلمة : اعوذ بالله . كلا . لا يوجد هناك اعوذ بالله . بل تلك مدنية وهذه مدنية . تلك نظرية وهذه نظرية . فعلينا أن نختار احدى المدنيتين أو احدى النظريتين معا استنبطت من الامور التي كان يقال في مثلها عندنا : أعوذ بالله

ان الشاب المصري منطقي الحكم سريع الفهم مانطق بكلمة : أعوذ بالله . عند ما قال له الاستاذ الرافعي : اقترضي أن تقصد أختك عند أوروبي بالاجارة... أوما بمعناه - الا انتبه الي كون نعوذه هذا مخالفا القاعدة التي زعم أن لاإصلاح إلا بها ... وهي حرية النساء المطلقة في العالم الاسلامي كما في العالم الاوروبي : تأخذ المسلمة من تشتهيه نكاحا أو سفاحا ولا حرج عليها في ذلك . قاعدة فالح رفقي بك الذي مر بنا قوله . قاعدة عبدالله جودت الذى أشار لاجل تجديد دم الاتراك بتزويج التركيات من شبان الالمان والطليان والحصول على نسل جديد ، وكتب ذلك منذ أشهر وامتعض من كلامه بعض فتيان الترك من أنصار الجمهورية - ولكن لم يتحرروا من وساوس الغيرة على العرض فقام ورد عليه قائلا:

نحن الاتراك دمنا أطهر من أن نصلحه بهذا الاختلاط الذي أشار به عبدالله جودت . ولكن الحقيقة هي أن القاعدة ماقاله الدكتور عبد الله جودت وما قاله فالح رفقي وما قاله الشاب المصري مخاطب الاستاذ الرافعي . هذه هي القاعدة لاغيرها ، ويأبي المنطق أن تكون هي القاعدة وأن يقال على أثر قبولها : أعوذبالله من مفاعيلها ، لذلك لم يلبث الشاب المصري الذكي أن قال : ماأنا وأمثالي الاشذوذ والقاعدة يجب أن تبقى أبداً قاعدة ، وبعبارة أخرى يقول : أنا وأمثالي لانزال تحت سلطان الوهم ونأبي أن ندع اخواتنا يؤجرن أنفسهن من الاوربيين ، لاعملا بمقتضى الحكمة والعقل، ولا جريا على سنن الطبيعة ، ولا اتباعا لمذاهب المدنية المعصرية ، بل خضوعا لاوهام ووساوس لم نتحرر بعد منها . فهو يعترف بصحة القاعدة التي توجب هذه الاباحة ولكنه لايزال يخجل أن يعلن كونه يرضى بمخادنة أخته لشاب تتفق معه فتؤجره نفسها بدون عقد نكاح شرعي ، نعم هو لايزال ينكص عن اعلان الرضى بمثل هذه الفضيحة ، وانما يرجو أن يكون ابنه أو حفيده ممن يغضي النظر عليها أو يشترك في سن قانونها في مجلس النواب المصري سنة ١٩٥٠ مثلا . (المقال بقية)

﴿ النساء والتبرج والتمثيل ﴾

فتوى مشيخة الجامع الازهر

وزعت مشيخة الجامع الازهر على الصحف الاستفتاء الآتي وجوابه وهو :

سأل سائل : ماحكم الشرع في المرأة المسلمة المتبرجة والمتبهرجة وفي مسئولية أبيها وزوجها أو أخيها . وفي المرأة المسلمة التي تظهر على مسارح التمثيل كممثلة

فنقول : التبرج قد نهى الله عنه بقوله سبحانه وتعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليه الاولى) الخطاب في هذه الآية الشريفة موجه الى نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الحكم عام ومعناه هو المشي بتبختر وتكسر أو أن تلقي المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها أو أن تبدي من محاسنها مايجب عليها ستره ، أو أن تبدي محاسنها من

وجهها وجسدها أو أن تخرج من محاسنها ماتستدعي به شهوة الرجال

فما يشاهد الآن من كشف المرأة من ساقيها وذراعيها وصدرها ووجهها، وما تتكلفه من زينة تكشف عنها، وما تفعله في غدوها ورواحها من تبختر في مشيها وتكسر في قولها وتخلع يستلفت الانظار، ويقوي الاشرار، تبرج منهي عنه بالاجماع لاتقره الشريعة الاسلامية ولا يتفق مع العفة والآداب، لما يؤدي اليه من إثارة الشهوات وتلويث النفوس وافساد الاخلاق واطماع ذوي النفوس المريضة وكثيراً ماجر ذلك الى الجنايات على الشرف والعفة والاستقامة، حتى اشتد الكرب، وعم الخطب، وأصبحت البلاد ترزح تحت آثاره الضارة ونتائجه السيئة ولا حول ولا قوة الا بالله. وقد أدب الله النساء بقوله

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذي لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

واشتغال المرأة المسلمة بمهنة التمثيل أولى بالحرمة من التبرجة، لان التمثيل تبرج وتهتك، بل حضور النساء محال التمثيل والرقص والحفلات التي شأنها أن يختلط فيها الرجال بالنساء تحرمه الشريعة سدا للذريعة

وحيث كان الامر كما ذكر فالواجب على زوج المرأة وأولياء أمرها منعها من ذلك، ويجب أيضا على كل مسلم قدر على هذا. وقد آن للناس أن يتداركوا أمر الاخلاق فقد أوشك صرحها أن ينهار، وأن يقوموا منها ما اعوج ويجددوا مادرس قبل أن تصبح أثرا بعد عين، والله ولي التوفيق

شيخ الجامع الازهر

محمد أبو الفضل

الاسلام وأصول الحكم

كان صاحب هذه المجلة أول من قام بفريضة تفنيد ما أودع في كتاب (الاسلام وأصول الحكم) من الكفر والضلال ، وتحليل الحرام وتحريم الحلال ، ومنع الحكم بما أنزل الله ، واباحة حكم الطاغوت ، وكان أول من دعا علماء الازهر الى رفع أصواتهم بالانكار له والرد عليه ، قبل ان تصل أيدي أكثرهم اليه ، ومن ذلك ما رآه القراء في مقالة الجزء الماضي وكنا نشرناها قبله في جريدة اللواء والاخبار وقد أرسل الينا طائفة منهم صورة عريضة في ذلك رفعوها الى فضيلة شيخ الازهر والى بعض المقامات العالية ووزعوا نسخا منها على الصحف ، وهذا نصها

عريضة مقدمة من علماء الازهر

حضرة صاحب الفضيلة

السلام عليكم ورحمة الله

نحن الموقعين على هذا نرفع الى فضيلتكم ما يأتي :

يا صاحب . . . . ، نص قانون الازهر ان الغرض من وجود الازهر وسائر المعاهد العلميــة الدينية هو حراسة الدين وتخريج رجال أكفاء يقومون بوظائف الشريعة وارشاد الامة . ونص كذلك ان شيخ الازهر الشريف هو صاحب الرياسة العامة على كل المنتسبين الى الدين من وجهة سيرهم الشخصي فيما يلائم صفتهم الدينية

ونص قانون الدولة ان دين الدولة المصرية هو الدين الاسلامي . واعترفت سائر القوانين الاجنبية بحرمة الاديان ومعاقبة الطاعن عليها ، هذا من الجهة القانونية

ثم من الوجهة الشرعية لا نعلم فائدة للعلم الديني ، ولا لعلماء الدين ، ولا للازهر الشريف منذ نشأته الى الآن الا القيام بحراسة الدين ودراسة العلوم النافعة في تأييده ، والدفاع عنه بكل الوسائل المشروعة ، ونشر هدى الشريعة السمحة الغراء بين المسلمين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومقاومة الالحاد والزندقة ودراسة الشبهات والرد عليها وسوء الاخلاق والمعاملة ، وغير ذلك من كل ما تقتضيه خدمة الاسلام ، ويحبب الى الناس الآخرين الانتظام في هداه ، تلك هي وظيفة

العلماء منذ كان الاسلام ، وذلك هو واجبهم الشرعي كالصلاة والصيام ، الذى لايخرجون عند الله من عهدته مالم يقوموا به حق القيام

فهل يجوز ونحن الآن في عهد يوالي حضرة صاحب الجلالة الملك الازهر وعلماءه بما يتفق وكرامتهم ويغنيهم عن الشغل بوسائل العيش لاجل ان ينقطعوا لواجبهم العلمي الديني ؟

وهل يجوز ونحن الآن من الكثرة بما لم يبلغه الازهر في تاريخه من عدد العلماء ؟

وهل يجوز ونحن الآن من تيسير دواوين الشريعة وأمهات الكتب الدينية وكثرتها بواسطة المطبوعات بما لم يبلغه عصر قبل ؟

فهل يجوز مع هذه الاعتبارات أن يكون هذا العصر في الالحاد والجهل بالشريعة والمجاهرة بمحاربتها ، وانتشار الدعاية كل يوم في الجرائد وسائر المطبوعات ضدها ، ممن هم من سلالة المسلمين اكثر من كل عصر مضى ، ولا يوجد من يدفع هذه المحيات ، ولا يذود عن بيضة الدين خصما واحدا ، بينما نحن نتمتع باسم الدين بهذه الميزات الكبرى ، وبينما نحن من الكثرة بحيث نملأ القرى والبلدان ؟ فماذا هو العذر لنا في ذلك أمام المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وأمام حضرة صاحب الجلالة الملك الذى يوالي دائما ايقاظنا بجميع صنوف الرعاية ؟

بل ماذا العذر لنا أمام الله سبحانه وتعالى وأمام رسوله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا ولد ؟ فهل نعتذر بأن نظم الدراسة وشئون الطلبة ومصلحة التعليم البحتة استغرقت أعمارنا واستنفدت هممنا حتى صرفتنا عما وجدنا نحن ومعاهدنا من أجله ؟

هل كان الازهر قبل أربعين سنة من اهمال الدين وانصراف أهله عن نشره في الامة والدفاع عنه بهذه الدرجة التي نحن بها الآن ؟ بينما كان أولئك في شغل من العيش ، ونحن في كفاية بفضل الدين و باسم الدين

هل يجوز ان يطعن الدين كل يوم بين أيدينا طعنات قاتلة ؟ ولاشيء يلهينا عنه الا نفس الرفاهية التي أغدقها علينا الدين ؟ نعم في كل زمان وجد إلحاد ، ونجم للدين أعداء ، وظهرت مقالات سخيفة ، واعتراضات فاسدة، وتحريف وتبديل .

ولكن كان العلماء على قلتهم وكدهم متطين هممهم العالية عند كل بادرة من ذلك بدافع الشرع منتضين عزمهم القوى وبراهينهم الساطعة ، فلا تظهر شبهة إلا كانوا أول من يتناولها بحثا ، ويقف على منشئها أكثر من صاحبها حتى يعود الحق جليا والضال مهديا .

يشهد بذلك علم الكلام الذي ماتكون الا من ذلك ، ويشهد بذلك تلك المصنفات العديدة في رد الشبهات ، ويشهد بذلك تاريخ علماء الاسلام ومناظراتهم التي كانوا يقيمونها في كل زمان ومكان ، ويشهد بذلك علم الخلاف والجدل وعلم آداب البحث والمناظرة

نقول هذا ونقدمه الى فضيلتكم بمناسبة فشو دعاية الالحاد في هذا الزمان والمجاهرة كل وقت بمحاربة الدين والقضاء على آدابه وأحكامه ممن لم يدرسوا منه كلمة واحدة ، ونحن من ذلك في سكوت عميق حتى اتخذوا من سكوتنا دليلا قويا على عجزنا ، واستطرد منه الجاهلون الى أن ذلك العجز انما هو في نفس الدين فأصبحنا بذلك حجة على ديننا ، وسدا بينه وبين الناس ، شغلا منا بمصلحة التعليم البحتة عن نتيجة ذلك التعليم ، ولم يقف التشكيك في الدين وتسريب الريب فيه الى المسلمين على أولئك الذين لم يدرسوه فحسب ، حتى نجم اليوم ناجم ونطق بعد دهره ناطق ، لم يشأ أن يباحث العلماء في خواطر نفسه قبل أن يفاجىء الناس بها ، وأخرج للناس كتابا سماه « الاسلام واصول الحكم » بصفة كونه عالما من علماء الازهر ، وقاضيا من القضاة الشرعيين ملاه بالشك والترديد وأنكر أشياء لا نعلم إلا أنها معلومة من الدين بالضرورة باتفاق بين العلماء

أنكر الخلافة وانها مقام إسلامي واجب بالشرع ، وأفاض في النهاية على معتقديها من عهد أبي بكر الى الآن ، ولم يبال في ذلك بمس الصحابة أو الخلفاء الراشدين من أن عملهم عليها كان من قبيل الملك لا من قبيل الدين ! . وهكذا أنكر القضاء وسائر صنوف الحكومة وانها ليست من الدين في شيء .. حاول أكثر من ذلك في القسم الثاني من كتابه ان النبي كان نبيا فحسب أم كان نبيا ملكا ؟ وأكثر من الترديد في ذلك ، ومراودة المقول عليه وبسط الاعتراضات وأوجز

الاجابة الواهية ، ليعبر عابر من ذلك الى أن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي هي توأم الكتاب العزيز وبيانه ، وديوان الشرع وأدلته التفصيلية انما هي أحكام محلية وقتية تنتهي بانتقاله صلى الله عليه وسلم فلا يصح أن نأخذ بها الآن ، ولا أن نقيمها في أي زمان أو مكان ، بل نأخذ في كل شئوننا ومرافقنا بآخر ما أنتجته العقول البشرية أي (طبعا من أمثال رجال أوربة وامريكا المسيحيين) وكثير من خصوم الدين من يتشدقون بذلك ، فكيف يكون انتصارهم اذا رأوا بارقة تلوح لهم بذلك من عالم من علماء المسلمين

فنرغب الى مقامكم السامي ورياستكم العظمى على تلك المصلحة الكبرى ، مصلحة الدين التي تتمتع بكل الصفات المرعية في مصالح الدولة ، من قوانين عالية ، وارادات سنية ، ومقام لدى ولي الامر لا يدانيه مقام ، وكرامة في الامة دونها كل كرامة ، ومسئولية عند الله تعالى دونها كل مسئولية — نرغب اليكم وأنتم بهذه الصفة العالية أن تتخذوا للدفاع عن الدين وتأييده بالحجة والبرهان جميع وسائل النفوذ المشروعة التي خولها لكم القوانين حتى تظفروا به على كل خصم ، وتنجلي آياته الباهرة رغم كل تشكيك ، كما هو الشأن في حماية كل مصلحة من مصالح الدولة

كما اننا نرغب الى فضيلتكم أن تساعدوا هذه الهيئة الدينية العظمى في النزول الى معترك الحياة العامة ، ومشاركة الناس في مصالح الحياة اعلانا بأن الدين لا ينافي الدنيا بل انما جاء لصلاحها ، والعمل على رفع الشر والظلم منها ، وبث العدل والامن فيها ، وأن يدرس رجال الدين كل ما يطرأ عند الناس من شبهة في الدين ليكشفوا عنها اللثام ويعود الخلاف في الامة وفاقا ، وتأمن الامة شر الانقسام ، ونقوم بواجب الشرع خير قيام والسلام

وهذه هي أرقام الصحائف التى تتضمن زيادة شذوذ وأغراب وتحريف

ص ٢٠ دعوى الوجوب الشرعي دعوى كبيرة وليس كل حديث وان صح بصالح لموازنة تلك الدعوى

ص ٣٦ «فانما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الاسلام والمسلمين وينبوع شر وفساد

ص ٥٣ » واذا كان صلى الله عليه وسلم قد لجأ الى القوة والرهبة فذلك لا يكون

في سبيل الدعوة الى الدين وابلاغ رسالته الى العالمين وما يكون لنا أن نفهم الا انه كان في سبيل الملك ولتكوين الحكومة الاسلامية — الى أن قال فذلك عندهم هو سر الجهاد النبوي ومعناه

ص ٥٥ المملكة النبوية عمل منفصل عن دعوة الاسلام وخارج عن حدود الرسالة

ص ٥٧ القول بأن الاسلام سلطة دينية وسياسية قول لانعرف سندا له وهو على ذلك ينافي معنى الرسالة

ص ٩٢ بيعة أبي بكر بيعة سياسية على القوة والسيف

ص ٩٦ اختراع لقب خليفة لابي بكر ليأخذ الناس برهبة هذا اللقب

ص ٩٧ حرب أبي بكر لمن سموا مرتدين ليس للدين وانما هو للسياسة

ص ١٠٢ التصاق الخلافة بمباحث الدين من جناية الملوك

ص ١٠٣ وهي آخر صحيفة قال فيها « والحق أن الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون وبريء من كل ماهيئوا حولها من رغبة ورهبة ومن عز وقوة والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم » الى آخر الصحيفة

تحريرا في يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة سنة ١٣٤٣ (٢٣ يونيه سنة ١٩٢٥)

إمضاءات علماء الازهر

حضرات المشايخ : يوسف حجازى : محمد مطاوع نصير . ابراهيم عمارة . اسماعيل عبد الباقى . محمد على شايب . اسماعيل على . محمد على القاضي الطاري . عثمان صبره . على جاويش احمد المكارى . ابراهيم الدسوقى . حسب النبي محمود : على شفير : عبد الحميد المنامي . محمد خليل بدوى . جاد عزام . بركات احمد عواد على . شمس الدين احمد . محمد مخلوف عيسى . معوض السخاوى . على ابراهيم منيب . حسن حجازي . طه البيباني . رفاعي عصر محمد حماد . سعيد حسن . احمد ابو العينين كامل . على المنامي . احمد عبد السلام محمد على الخولى كامل القاوقجي على جاد الله . عبد الجليل عيسي ابو النصر . عبد الرحيم البرديسي

خليفة راشد . محمود عفيفي . حسن ابو عرب . على احمد صبره . عبد العزيز مهنا . محمد مامون . عبد الحميد البجيرمى . مصطفى بدر زيد . عبد الحميد السرو . محمد العربي . محمد عبد السلام القباني . سيد رضوان عثمان . محمد ابراهيم الحنبلي . قنديل النقي . سليمان البيلي . عبد الحافظ محمد عسل . سليمان الشيخ . ابراهيم سليمان . محمد الشنواني : محمد البراوى . محمود زيد . توفيق البتشتى . محمد المشرى . عبد المقصود عبد الخالق . احمد المرشدى . حسين البيومى . عبيد عبد ربه . محمد مصطفى على ناصر . عبد الفتاح قطب الملاح

﴿ حرب الريف أو الاندلس الجديدة ﴾

﴿ مساعدة منكوبيها ، وضروب من العبر فيها ﴾

ريف المغرب الاقصى بقعة صغيرة اشتهر اهلها بعزة النفس ، وشدة البأس ، ورسخ فيهم حب الاستقلال أو غريزته فلم يذلوا لفاتح ولا خضعوا لمقاتل ، ولما ظهر للعالم كله عجز دولة اسبانية عن قهرهم في هذا العصر ، وأنها باءت في جميع معاركها معهم بالخيبة والخسر ، وذاع صيت أميرهم وقائدهم العظيم محمد عبد الكريم في الغرب والشرق ، خافت فرنسة أن يستفحل أمره فيستولى على فاس ويفضي ذلك الى تحيز جميع القبائل له فيتجرأ أهل الجزائر فتونس على الانتقاض عليها وإلقاء نير العبودية الثقيل عن أعناقهم وقد يئسوا من انصافها إياهم إذ اشتد إعناتها وارهاقها لهم بعد الحرب الكبرى التي سفكوا فيها دماءهم دفاعا عنها ، نعم خافت ذلك فبادرت الى قتال الريفيين كما قلنا في الجزء الماضي

قد كان ذلك ومن المعقول أن يكون — ثم من المعهود المألوف أن تتهم فرنسة الامير محمد عبد الكريم وقومه بالبغي والعدوان — وأن تتهمهم بالتعصب الاسلامي الذي هو عند الاوربيين كراهة المسلمين لاستعباد اوربة لهم ، وحبهم للاستقلال بأمر أنفسهم — ومن المعهود المألوف أن يرن صدى هذه التهمة في جميع ممالك اوربة — ومن المعهود المألوف أن تتفق دولها وساسة شعوبها على الدعوة الى

التنكيل بهم لئلا يطمع المسلمون المستعبدون في سائر افريقية وآسية في الحرية والاستقلال، والتفصي مما وضع في أيديهم وارجلهم من السلاسل والقاطر والاغلال

ولكن الامر الذي لم يكن مثله معهودا مألوفا ولا منتظراً عند اكثر الناس هو أن تمتد هذه الدعوة الصليبية الى الولايات المتحدة الامريكانية فترسل سربا من الطيارات الى قتال أهل الريف انتصارا لفرنسة واسبانية ومن تطوع للقتال معهما من ممالك اوربة ، فياليت شعري هل يعتقد هؤلاء الاميريكيون الاحرار المتساهلون الذين يبرئهم نصارى الشرق من التعصب الديني المذموم — أن هؤلاء الشراذم من الريفيين الفقراء يمكن أن يكسروا جيش الدولتين وينقذوا بلاد المغرب الاسلامي من العبودية فعز عليهم ذلك فتطوعوا لوقاية هاتين الدولتين المسيحيتين أو المدنيتين من هذه الخسارة الخطرة؟ أم نذروا لمساعدتهما ابتغاء وجه الله تعالى وطلبا لرضوان يسوع المسيح يوم الدينونة بقتل أعدائه بقذائف الطيارات التي لا تفرق بين المحارب وغيره فلا ترحم طفلا ولا امرأة ولا حيوانا ، والرحمة لا يستحقها مسلم عند أعياء اتباع رسول الرحمة والسلام والزهد الآمر بمحبة الاعداء عليه الصلاة والسلام ؟ ولعلهم يرون أنه لا يستحق الوجود أيضا عملا بنصائح مبشرهم القس زويمر الامريكاني الذي لا يزال يحرض الدول المسيحية وشعوبها على مسلمي العالم كله؟ نعم ولكن هل يتدبر هذه المعاملة متفرنجة المسلمين ؟ لا لا

وان تعجب أيها المسلم فأعجب من هذا أن جمعية الهلال الاحمر المصرية قد اهتمت بارسال بعثة طبية الى جدة لمساعدة جيش الشريف علي بن حسين في قتاله للنجديين والحجازيين المشايعين لهم بالفعل ، وان كانت لمساعدة الفريقين بالقول، وساعدتها الحكومة المصرية على ذلك بجمع الاعانات من الاهالي ، ولكنها لم تتصد لارسال بعثة طبية الى الريف وهو أشد احتياجا اليها من جنود الشريف علي في جدة ، وقد سعينا الى ذلك كغيرنا وكلمنا بعض أعضاء الجمعية فسمعنا ممن ترجى منهم المساعدة ، جمجمة وغمغمة ، واعتذارات مضطربة ، لم نقتنع بها ولا نقدر على الطعن الصريح فيها

وكنا اقترحنا في الاجتماع العام لجمعية الرابطة الشرقية أن تتصدى الجمعية للسعي

في ارسال بعثة طبية الى الريف فاستحسن الحفل المجتمع ذلك وصفقوا له ، ثم احيل الاقتراح على مجلس ادارتها لينظر فيه فبحث فيه مرارا ، ولكنه أرهقه صعودا، وألقى عقبته كؤودا ، وسماه بعيدا ، وكان الله على ذلك شهيدا

ثم انتدب لهذا الواجب شرعا وعقلا وانسانية صاحب السمو والهمة السامية الامير (عمر باشا طوسن) فألف لجنة للنهوض به تحت رياسته ، ونشرت الدعوة الى التبرع لها في الجرائد ، ولكننا لم نر الاقبال عليها من الشعب كما يجب ، ولا كما يليق بصيت بلادنا هذه وبثروتها و بنجدتها ، ولا كما يعهد من تاريخها ، فهي قد ساعدت الطليان في نكبات الزلازل والبراكين التي انتابت مسيني وغيرها ، وساعدت أهل طرابلس وبرقة عند إغارة الطليان عليهم بغيا وعدوانا ، وفي تلك الاثناء أسست جمعية الهلال الاحمر المصري

وما لي لا اذكر مساعدة هذه الجمعية الاسلامية لجمعية الصليب الاحمر المسيحية بألوف الجنيهات ومساعدة البلاد المصرية كلها حتى علماء الازهر (لايام) الاعانات الانكليزية كذلك، على كون الانكليز أعداء للبلاد باحتلالهم إياها ثم «اعلان الحماية عليها» — وعلى كونهم كانوا يحاربون دولة الخلافة صاحبة السيادة عليها — وعلى إرهاقهم إياها وتحكمهم في استخدام رجالها وغلالها وجمالها وحميرها وبغالها ، كتحكمهم في أموال حكومتها ومرافقها ومبانيها وسككها

(فان قلت) إن هذا قد كان بقوة الحكومة المحلية وإكراهها للاهالي على ذلك (قلت) هذا بيت القصيد ، والتعليل الاول لفتور الشعب في إعانة الريف ، فالحكومة في مصر هي التي كانت ولا تزال تفعل كل شيء ، وما كان يفعل فيها شيء مهم الا بنفوذها أو برضاها وإقرارها على الاقل ، ولا تستثنى جمع الاعانات للوفد المصري ومظاهرة الامة له ، وإن وقع في إثر ثورة وطنية كانت أول العهد بجرأة الشعب على الانكليز ثم على الحكومة المصرية ، فان الوزارة كانت مرتاحة الى تأليف الوفد ولما شرع مستشار الداخلية الانكليزي في مقاومة أعمال الوفد وأخذه وثائق التوكيل من وجهاء الامة ، صرح يومئذ رئيس الوزارة ووزير داخليتها بأن المستشار انما فعل ذلك من تلقاء نفسه ، وقد بينا في مقالنا التاريخي

المبسوط في المسألة المصرية الذي نشرناه في المجلد ٢٢ (سنة ١٣٣٩ هـ ١٩١٩م) ما كان من الشأن لمساعدة وزارة رشدي باشا في تكوين الوفد المصري ، ثم ما كان من الشأن لوزارة عدلي باشا في الاحتفال الاعظم الذي استقبلت البلاد به سعد باشا عند عودته من أوربة ، وقد صدقت الايام بعد ذلك صحة رأينا على ما لا ينكر من نهضة الامة وعملها مراراً بما يخالف رغبة الحكومة وما ساعد على بعثة جمعية الهلال الاحمر الاخيرة الا كارهة أو مكرهة إذ لا نجد باعثا يرغبها فيه ولكن ما بالها لم تقبل على التبرع لجرحى الريف مع كثرة الدواعي والاواصر التي تعطفها عليه ، وتدعوها الى تخفيف آلامه ، من اخوة دينية ، وآصرة عربية ، ووطنية افريقية ، ورابطة شرقية ، وجامعة انسانية ، وتألم من تألب الشعوب الاوربية ، واعتبار بغيرتها الملية ؟ إن لهذا الفتور موانع أكثرها فيما أرى سلبية من عدم رغبة الحكومة وعطفها ، ومن صد ملاحدة المتفرنجين عن مثل هذا العمل لئلا يقوي الجامعة الاسلامية ، ومن عدم تنظيم لجنة الاعانة للعمل واتخاذ الوسائل المؤثرة لتعميمه ، فعسى أن تعنى اللجنة بذلك وتنشر دعوتها في الجرائد المصرية وغيرها ، وتنشيء لها لجانا فرعية ، في كل محافظة ومديرية ، فحينئذ يقبل عليها المصريون الاقبال الذي يكونون به قدوة لغيرهم

وأما مجلس جمعية الرابطة الشرقية فقد قرر استنجاد الشعوب الشرقية كافة والشعب المصري خاصة وحض الجميع على مساعدة لجنة الاميرطوسن باشا وتبرع بعض اعضائه وأعضاء الجمعية لذلك قبل نشر نداء الاستنجاد واستنداء الاكف في الصحف ، وتوزيع الوف منه في المعاهد العامة والطرق ، وهذا نصه :

نداء جمعية الرابطة الشرقية

لاعانة جرحى الريف في المغرب الاقصى

لئن كان من سيئات هذا العصر أن صارت نكبات الحروب وفتكها فيه أشد مما كانت في جميع عصور التاريخ فان من حسناته كثرة الوسائل لتلافي شرور هذه المصائب وتخفيف آلامها ، ومنها — ولعلها أفضلها — تضامن الشعوب

البشرية بالعطف على المصابين والمنكوبين من جرحى الحرب وغيرها من النوازل العامة بعاطفة الانسانية الجامعة بين الناس على اختلاف مللهم ونحلهم وأوطانهم وحكوماتهم . واننا نرى جميع هذه الشعوب قد أعرضت عن مد أيديها لمساعدة منكوبي الريف وجرحاهم في المغرب الاقصى على مايعلم الجميع من عدم وجود الاطباء والجراحين والممرضين في تلك المنطقة ومن فقد الادوات الطبية التي لا بد منها لمواساة الجرحى ومعالجتهم ، فكأن هذا الشعب المنكوب ليس من البشر فهو يقاسي جميع نكبات الحرب منذ سنين ، ولم يعطف عليه أحد من الشرقيين ولا من الغربيين

اذا كانت مساعدة منكوبي البشر حقا على جميع البشر للاشتراك العام في الجامعة البشرية ، فان هنالك جامعات أخرى تجعل هذا الحق على بعض الناس آكد ، وتوجب أن يكون الشعور بهأقوى ، كالجامعة الشرقية والجامعة الجنسية والجامعة اللغوية والجامعة الدينية . بداعية هذه الجامعات العامة والخاصة ارتفعت أصوات كثير من الكتاب في الجرائد الشرقية من عربية وعجمية بطلب جمع التبرعات لمساعدة جرحى الريف ومنكوبي الحرب فيه ، وتجاوبت الجرائد فيه بين مصر والهند

وقد كانت الجمعية العامة للرابطة الشرقية استحسنت اقتراحا عرض عليها بجمع الاعانة لهؤلاء المنكوبين وتبرع بعض أعضائها لذلك بالفعل، ثم نظر مجلس ادارتها في تنفيذ ذلك ، ولما لم يجد وسيلة أو طريقة لارسال بعثة طبية لم يتصد لذلك . ثم تألفت في هذه الايام لجنة للقيام بجمع التبرعات لهم برئاسة سمو الامير الجليل عمر طوسون باشا ، وعهدت بأمانة صندوقها الى حضرة السيد أبي بكر بك راتب، بناء على وقوف سموه على طريق مأمون لارسالها اليهم ، فعاد مجلس ادارة الرابطة الشرقية الى البحث في المسألة وقرر استنهاض الهمم واستنداء الاكف لمساعدة هذه اللجنة في عملها هذا .

فالرابطة الشرقية تنادي كل شرقي كريم الخيم رقيق القلب سخي النفس من مصري وسوري وعراقي وايراني وهندي وجاوي وتركي ، وقوقاسي وياباني

وصيني قائلة : إن شعبا صغيراً من أكرم شعوبكم منبتا ، وأعزهم أنفسا ، وأسوئهم في الحياة حظا ، يعاني على فقره وقلة ذات يده ، حربا عاتية يدافع فيها عن نفسه فتجندل أبطاله في حومة الوغى بقذائف الطيارات والمدافع والبنادق فيكون أسعدهم حظا من يلاقي حتفه لساعته ، وأشقاهم وأشدهم بؤسا أولئك الذين تفصل القذائف الجهنمية أيديهم أو أرجلهم من أبدانهم ، أو يخترق الرصاص صدورهم فينفذ من ظهورهم ، أو يقطع أمعاءهم ويمزق أكبادهم ، ويبقى مستكنا في طيات أحشائهم ، ولا يجد طبيبا ولا ممرضا يأسو له قرحا ، أو يطهر له جرحا ، أو يحفظ له بقية دمه ، أو يخفف عنه بعض أمله (فيأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت)

أولئك أيها الشرقيون اخوانكم في الرابطة الشرقيــة ، أولئك أيها العرب اخوانكم في الوشــيجة العربية ، أولئك أيها الافريقيون أشــقاؤكم في القارة الافريقية ، أولئك أيها المسلمون اخوتكم في الجامعة الاسلاميــة ، أولئك أيها الناس أبناء أبيكم وأمكم في الانسانية ، فليعطف عليهم كل واحد منكم بما يجده في قلبه من عطف الجامعة التي تجمعه بهم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا

وأما أنتم أيها المصريون الكرام فقد عرف الزمان لكم كل مكرمة ، وحفظ لكم مواقف بركم بالمنكوبين من الامم المختلفة ، ولو لم يكن لكم من آثار البر الا انشاء جمعية الهلال الاحمر المصرية لكفى ، فأنتم أجدر بأن تكونوا أسبق الشــعوب اجابة لنداء جمعية الرابطة الشرقية التي سبقتم الى تأسيسها ، ولا زلتم خير أهل للبر والاحسان اهـ

المطبوعات الحديثه

كتاب حاضر العالم الاسلامي

لو كان المسلمون يعنون بمعرفة شؤون أنفسهم ، ويبحثون عن أسباب تغييرهم لما كان بأنفسهم من عقائد وفضائل ومعارف ، وما أعقبها من تغيير الله تعالى ما كان بهم من نعم السيادة والسلطان والعزة والقوة — كما يعنى بذلك علماء الافرنج — لما وصلوا الى هذه الدركة من الضعف والهوان

قد أتى على الشعوب الاسلامية قرون متتابعة وهم يتدهورون من قنة الى هوة ، كما تتدهور الجلاميد من شماريخ الذرى ، لاندري من حطها من عل الى أسفل ، وتتحول من عزة الى ذلة ، ولا تعلم لم تتحول .

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فقد قيض بفضله للمسلمين من يوقظهم من سباتهم ، ويرشدهم الى تغيير ما بأنفسهم الآن من أسباب التردي على علم وبصيرة ، كما غيروا من قبل ما كان بأنفسهم من أسباب الترقي عن جهل وغفلة ، ولكن طرأت عليهم في أثناء هذا الايقاظ فتنة التفرنج فلبستهم شيعا ، وفرقتهم طرائق قددا ، فقد أفسد ساسة الافرنج وملاحدتهم جيلا كثيرا من أبناء المسلمين ، كانوا أضر عليهم من سائر أعدائهم في الدنيا والدين ، فهم يضلون المسلمين ويخدعونهم عن دينهم ودنياهم ، من حيث يوجد في أحرار الافرنج من يرشد المسلمين الى ما فيه صلاحهم وفلاحهم ، بما يعنون به من تمحيص الحقائق في شؤونهم لذاتها ، أو ليستفيد أقوامهم منها .

أمامنا الآن ونحن نكتب هذا كتابان يشغلان مسلمي مصر وسيشغلان سائر البلاد الاسلامية التي يصلان اليها

(أحدهما) كتاب الاسلام وأصول الحكم الذي رأى القراء في الجزء الماضي ويرون في هذا الجزء شيئا من بيان مفاسده وانه لرجل متخرج في الجامع الازهر وقاض شرعي في بعض المحاكم المصرية ، هو أضر على المسلمين من كل عدو

(والثاني) كتاب (حاضر العالم الاسلامي) وهو لعالم إفرنجي هو أنفع

المسلمين من كثير من أفرادهم الناصحين ، دع منفرنجتهم الملاحدة المفرقين، ألا وهو العلامة البحاثة « مستر لوثروب ستودارد) الامريكي الذي زاد به شهرة على شهرته ، ألفه بلغته الانكليزية وسماه (العالم الاسلامي الجديد) فراج في أمريكة وأوربة رواجا عظيما وطبع مرارا متعددة ، ونقل الى أشهر اللغات الغربيه والشرقيه، وقرظه كبار الكتاب ، وأعجبوا بدقة بحثه وسعة اطلاع صاحبه .

ونقله الى لغتنا العربية عجاج افندى نويهض أحد أبنائها البررة المجيدين لها وللغة الانكليزية ليطلع هذه الامة على أصح ما كتب في وصف حالها، أدق من عرف من علماء الفرنجة بحثا عنها، وأعدلهم حكما لها وعليها، وأصدقهم قولا فيها، وذكر ان المحققين من العلماء الغربيين شهدوا له بهذه الصفات عند تقريظ كتابه هذا

ترجم الكتاب وعرض ترجمته على كاتب العصر — كما قال بحق — الامير شكيب أرسلان الشهير ، وطلب منه أن يكتب له مقدمة تليق به ففعل ، بل أجاب السائل بأكثر مما سأل ، وله في ذلك أسوة حسنة (١) ولكنه أربى في الكرم فوضع على الكتاب حواشي وذيولا يصح في وصفها قول العرب : على التمرة مثلها زبدا ، بل تربي على صحائف الاصل عدا ، ولعلها مدت مادته بضعفيها مدا ، فهي بطولها واستطرادتها تضاهي الحواشي الازهرية ، ولا غرو فروح الامير العلمية والادبية أغلب عليه من روحه الاقتصادية والاجتماعية ، فانه لو جعل هذه الحواشي كتابا مستقلا لكان أليق بمقامه وأجدر بافادتها ، من جعله إياها تابعة لغيرها ، ولكان له منها ربح مالي يزيد على ربح الكتاب الاصلي ، بل ربما زاد عليه موشي وموشحا بها أيضا . فان أكثرها موضوعات مستقلة بنفسها، ومافيها من ايضاح لبعض غوامض الكتاب أو استدراك عليه هو أقلها . ولكنه على ما يظهر من معرفته لقدر نفسه وعلى ما يقول بعض حساده أو مكبري فضله من إعجابه بها ، كثيرا ما يهضمها، ويضعها تواضعه دون ما رفع الله من قدرها ، ومن ذلك ظنه أن جعل هذه الحقائق الثمينة ذيولا لترجمة هذا الكتاب أحرى باستمالة الناس الى مطالعتها،

(١) هذه اشارة الى ترجمة آخر أبواب كتاب العلم من صحيح البخاري (باب من اجاب السائل باكثر مما سأل) وهو النبي (ص)

كأنه لم يشعر بأنه أشهر من صاحب الكتاب لدى قراء العربية ، ولم يستشعر أن الثقة به في شؤون الاسلام أقوى من الثقة بذاك عند جميع الشعوب الاسلامية، وغيرهم من الشعوب الشرقية وكثير من علماء البلاد الغربية واننا نكتفي الآن بذكر عناوين فصول الكتاب وأهم عناوين الحواشي لتعريف قراء المنار قيمتها

— أما موضوع الكتاب ومواده فهي مودعة في مقدمة وتسعة فصول وخاتمة لا يستغني مسلم يهمه أمر أمته وملته عن الاطلاع عليها

المقدمة « في نشوء الاسلام وارتقائه وانحطاطه » وقد أنصف فيها الاسلام بالثناء عليه ، وبيان أصول الاصلاح والهدى المودعة فيه . فتكلم في ذلك كلام عليم خبير منصف ، وبين ما أصاب المسلمون بهدايته وما أصابهم بتركها وأسباب الارتقاء وأسباب الانحطاط في الحالين بما تعطيه فلسفة التاريخ وأصول علم الاجتماع للمطلع على تاريخ الاسلام القديم والحديث والواقف على عقائده وآدابه بالاجمال ، ولكن كلامه فيها لم يسلم من الخطأ في مسائل يتوقف تحقيق الحق فيها على علم استقلالي واسع في العقائد الاسلامية والفرق المختلفة فيهم فهو على ادراكه لطهارة العقائد والآداب الاسلامية وموافقتها للفطرة البشرية والعقل السليم ، ولعدالة التشريع الاسلامي واصلاحه اللذين جحدهما الشيخ علي عبد الرازق — ولكون العرب كانوا أجدر الشعوب بفهم تلك المزايا لحريتهم وطباعهم السليمة غير المضطربة بتقاليد الاديان التي كان قد أفسدها الزمان — وعلى جعله هذين الامرين — التعاليم الاسلامية والفطرة العربية — هما الاساس والعلة الاولى لنجاح الاسلام ومدنيته — وعلى إدراكه أن الاعاجم المبلبلة قلوبهم وعقولهم بالتقاليد الموروثة لم يفهموا الاسلام كما فهمه العرب ، وان تغلبهم على الخلفاء وسلبهم لسلطان العرب كان علة العلل للانحطاط الذي تلا ذلك الارتقاء — هو على إدراكه لكل ما ذكر — قد اختلط عليه الامر عند المقابلة بين أهل السنة ومتبعي النقل، والمعتزلة الذين حكموا العقل على أن الاسلام دين العقل والفطرة فظن أن المعتزلة الذين أرجعوا كل شيء في الدين الى اصول العقل هم الذين استمسكوا بجوهر الاسلام ولبابه الصحيح ، وان خصومهم المحافظين الذين ذهبوا الى أن النقل والسنة مقياس كل شيء في

الدين ، هم الذين جهلوا جوهر الاسلام ، وظن أن الذين دخلوا في الاسلام وقد أشربوا في قلوبهم الدين البزنطي القديم (وأمثالهم من الذين فهموا الاسلام بمرآة أديانهم وتقاليدها؟) قد كانوا من زمرة أهل السنة والنقل لما اعتادوا من التقليد . وأنهم هم الذين أولوا القرآن والاحاديث النبوية تأويلات بعدت بها عن سهولتها وبساطتها قال : « فنتج من ذلك أن أصيب الاسلام بمثل ما أصيبت به النصرانية في الاجيال المظلمة ، من تلبيس الدين عقائد غير عقائده ، ونسبة الآراء الدينية الجافة اليه وهو براء منها ، فلا غرو اذا اشتد الخلاف واتسعت شقته وطال عهده بين الذين اعتصموا بالسنة والنقل فقاسوا عليهما ، وبين الذين جعلوا العقل نفسه مقياسا لكل شيء »

ثم زعم أن عقيدة السنة هي التي غلبت على العقل كما كان متوقعا ، وان تاريخ السنة والتقاليد انما هو تاريخ السير نحو أدوار الاستبداد وعواقبه المشؤمة

لم يفرق المؤلف بين السنة والنقل في الاسلام وبين التقاليد في الاديان الاخرى وهي عبارة عن العقائد والشعائر الموروثة عن الآباء والرؤساء والمعلمين . والحق الواقع ان كل ماذكر من الفساد في الاسلام انما كان من بدع الذين حكموا عقولهم أي آراءهم النظرية في الدين ، وانهم هم الذين حولوا الاسلام عن بساطته المعقولة الموافقة للفطرة ، وهم الذين كانوا السبب في إدخال البدع وضلالات الاديان القديمة وسخافاتها وخرافات الوثنية في الاسلام بالشبهات النظرية التي سموها دلائل عقلية ، والاقيسة الشيطانية فيما لامجال للقياس فيه من عقائد الدين التي لامأخذ لها الا الوحي ، ومن الاحكام الثابتة بالنص .

أهل السنة والجماعة هم الذين كانوا يحمون قداسة الدين وسهولته من تطرق بدع الاديان والآراء الفلسفيه والشعرية اليها ، لتحذير النبي (ص) أمته منها ، فمنهم من منع القياس في أمور الدين مطلقا ، ومنهم من قال : إن القياس جائز في غير الامور الاعتقادية والتعبدية ، وقصره بعضهم على الاحكام القضائية والمدنية والسياسية

وكان من بدع المعتزلة دعوتهم الى القول بخلق القرآن ، وحملهم بعض خلفاء العباسيين الذين اتبعوا نحلتهم بحمل المسلمين على ذلك بالقهر والاضطهاد ، وقد

آذوا به خلقا كثيرا من أهل السنة من أجلهم قدرا إمام الائمة احمد بن حنبل رضي الله عنه فقد ضربوه ضربا مبرحا وداسوه بأرجلهم ليقول بقولهم ، فامتنع أن يقول هو مخلوق أو غير مخلوق ، احتجاجا بأن النبي (ص) وأصحابه لم يأمروا بذلك ولم يقولوا به فيسعنا ما وسعهم ، ولا نعرف ديننا الا عنهم ولو أجزنا مجاوزة نصوص الوحي وتفسير السنة له بآرائنا العقلية تزول الوحدة ونتفرق شيعا كما تفرق من حذرنا الله أن نكون مثلهم

ومبتدعة الشيعة الفاطميين ، بل زنادقة الباطنيين كانوا يعتمدون في ترويج بدعهم على الفلسفة اليونانية ، وهم الذين ابتدعوا في مصر احتفالات الموالد التي لاتزال مشوهة للاسلام وسبة للمسلمين ، والاسلام بريء منها ، وملوك الاعاجم وأمراؤهم هم الذين ابتدعوا جعل القبور مساجد ، وكانوا سبب تقديس الجاهلين لها بل عبادتهم إياها ، كما فعل أهل الكتاب قبلنا وحذرنا نبينا من فعلهم ، إذ قالت السيدة عائشة (رض) في سبب لعنه (ص) الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد : يحذر ما صنعوا — كما في صحيح البخاري ولا يزال المدافعون عن هذه البدع يحتجون لها بنظريات يسمونها عقلية كوجود الارواح ، وجواز قضائها أو حملها الخالق تعالى على قضاء الحاجات ، ولا يوجد دليل عقلي على شيء من هذه البدع والخرافات

من الاسف ان البدع التي يسمونها نظريات عقلية هي التي غلبت على السنة حتى أفسدت على المسلمين دينهم ودنياهم خلافا لما قاله المؤلف ، ولو اتبع الناس الامام احمد وأمثاله لمازادوا في الدين شيئا ولا نقصوا منه شيئا ، ولصرفوا ذكاءهم وجهدهم في العلوم والفنون الكسبية التي تفيدهم وترفع شأنهم ، ولم يخلطوا بالدين ماليس منه

ألم تر أن مؤلف الكتاب يعد الدعوة الوهابية إصلاحا في الدين وإرجاعا له الى أصله الطاهر ، وهل الوهابية الا الوقوف بالدين على صراطه المستقيم الكتاب والسنة الصحيحة — ورد جميع ما ابتدع فيه سواء استحسنته العقول أم لا ، وهل للعقول قاعدة أو حد تقف عنده في هذه الامور ؟ أليس لعباد الاوثان فلسفة دينية ، وشبهات نظرية يسمونها دلائل عقلية ؟ بلى : ويكفينا هذا في بيان غلط المؤلف في هذه المسألة

ولنعد الى موضوعات الكتاب فنقول :

الفصل الاول في اليقظة الاسلامية . وهو في الجزء الاول
« الثاني في الجامعة الاسلامية «
« الثالث في سيطرة الغرب على الشرق ج٢
« الرابع في التطور السياسي «
« الخامس في العصبية الجنسية «
« السادس « في الهند «
« السابع في التطور الاقتصادي «
« الثامن « الاجتماعي «
« التاسع مع الخاتمة في القلق الاجتماعي والبلشفية

وأما موضوعات حواشي الامير شكيب فهي في بيان أحوال مسلمي العصر العامة الحديثة وبعض القديمة ، تكلم عن مسلمي الصين وجاوه وما جاورها والهند ومسلمي الروسيا في عهد البلشفية الحاضر وشرقي أفريقية والحبشة ومادغسكر وجزائر القومور وريف المغرب الاقصى والفيلبين . . .

تكلم عن مسلمي هذه البلاد وغيرها بما يهم كل مسلم يهتم بأمر المسلمين أن يعلمه ولا سيما علاقتهم بأوربة ومن سيادتها عليهم ومحاولتها لتنصيرهم وله في أذيال الجزء الاول فصول تحت عنوان (الاسلام والجنود السوداء) منها (لمحة على حالة الاسلام الحاضرة) ومنها فصل في (الاسلام الاسود) وفصل في (الاسلام عند السنغاليين) ويلي ذلك (خلاصة) سياسية لهذه الفصول وما قبلها في شؤون المسلمين وأوربة فيها من الحقائق التاريخية والعبر السياسية ما يعز أن يصدر مثله عن غير الامير شكيب

ويليها فصل في (الجنس الاسود والاسلامية) ففصل (في الاسلام في أفريقية) وما يلاقيه من مهاجمة الاستعمار ودعوة النصرانية — ففصل في (الرسالات البروتستانية في أفريقية) ففصل (في نهضة الاسلام في أفريقية وأسبابها ووسائل دعوتها من سنة ١٧٩٠ — ١٩٠٠)

ويلي ذلك الكلام في الطرق الصوفيـة في افريقية : القادرية والشاذلية والتيجانية والسنوسية ويتبع الكلام في الاخيرة ترجمة بعض كبار شيوخها وجدول في أسماء أشهر زواياها في ست صفحات بالحرف الصغير (جسم ١٢)

ويلي ذلك فصل في (مجاري الدعوة الاسلاميـة في أفريقية) ففصل في (الصراع بين الاسلام والنصرانية ، وأيها الغالب في أمر المدنية) ويليه خلاصة لما تقدم في هذا الموضوع كله

ومن موضوعات هـذه الحواشي والذيول فصول فى الاصلاح والمصلحين، وزعماء الاسلام المجددين ، منها الكلام عن الوهابية وزعيمها العلمي الشيخ محمد عبدالوهاب وزعمائها الامراء آل سعود (ومنها ترجمة حكيم الاسلام وموقظ الشرق السيد جمال الدين الافغاني وشيء من ترجمة لاستاذ الامام ، وأشكر له حسن ظنه أن قرن اسمي باسم أستاذنا) ومنها ترجمة بطل الاسلام والعرب في هذا العهد (الامير محمد عبد الكريم)وتراجم زعماء جمعية الاتحاد والترقي التركية : أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا الخ

وكلام عن بعض الفرق والطرق القديمة والحديثة كالمعتزلة والخوارج والبكطاشية والبابية والبهائية والاشتراكية والبلشفية والاحمديه القاديانية

وجملة القول أن مؤلف هذا الكتاب من أعلم كتاب الفرنجة بشؤون المسلمين فان لم يكن أعلمهم بها فهو أجدرهم بتحري الحقيقة وبيانها ، وان واضع الحواشي والذيول التي هي كتاب آخر هو أجدر كتاب العرب بالجمع بين تاريخ الاسلام والمسلمين وبين علاقة أوربة بهم وسياستها فيهم وأقدرهم على بيان ذلك وأحرصهم على النصح فيه ، نعم إنه يوجد من يساويه ومن يفوقه في بعض فروع هذا التاريخ وشعب هذه المسائل، ولكنا لا نعرف أحداً يضاهئه في معرفة جملتها وتفصيلها، ولا في مزية حسن البيان لها ، وقد بلغنا أنه طالع وراجع عند كتابة هذه الحواشي عشرات من الكتب الحديثة التي ألفت بأشهر اللغات الاوربية ولم يعتمد على حفظه واختباره . فقد اجتمعت فى هذا الكتاب خلاصة معارف الغرب والشرق الخاصة بحال المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية الحاضرة والمستقبلة ، فهو يغني

فى بابه عن كثير من الكتب والجرائد والمجلات وهي لاتغني عنه ، وسننقل للقراء بعض النماذج منه

طبع الكتاب بالمطبعة السلفية بمصر (سنة ١٣٤٣) على ورق جيد بنوعين من أصغر حروف الطبع فالاصل بحرف ١٨ والحواشي والذيول بحرف ١٢ فدخل فى جزئين يزيد كل منهما على ٤٠٠ صفحة ، وثمن النسخة منها مجلدة بالقماش المتين ٨٥ قرشا من الورق الجيد و ٦٠ من ورق دونه . وهو يطلب من مكتبة المنار ، ومن مكتبة المعارف بمصر ، ومن طلب ارساله بالبريد فليرسل اجرته وهي خمسة قروش صاغ

الاسلام واصول الحكم

« بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام »

كتاب جديد ألفه الشيخ علي عبد الرازق الحامل لشهادة العالمية من الجامع الازهر وأحد قضاة المحاكم الشرعية ، حاول فيه أن يثبت أن الاسلام ليس له حكومة ولا دولة ولا سياسة ولا قضاء ، وأنه لاينبغي أن يكون له ذلك ، وان ماورد في القرآن الحكيم والسنة النبوية من الاحكام القضائية ، والمعاملات السياسية والحربية كان تنفيذه والحكم به خاصا بالنبي (ص) من حيث إنه رسول الله (ص) وأن الله تعالى لم يكلف المسلمين أن يلتزموا تلك الاحكام من بعده وليس لاحد من أمته أن يخلفه في إقامة حدود الله وتنفيذ أحكام شريعته ، وانتحال أبي بكر الصديق (رض) للقب خليفة رسول الله (ص) كان باطلا وان اتفق عليه العلماء وأهل الحل والعقد من الصحابه (رض) فانهم مافعلوا ذلك الا خدعة سياسية لاخضاع العرب وغير العرب لملكهم ، وان حكومتهم كانت في الواقع ونفس الامر لادينية ، وان كل ماقاله المسلمون في الخلافة الاسلامية والحكومة الدينية باطل لايقوم عليه دليل ، وأنما يقوم الدليل على أنه لابد للناس

من حكومة مهما يكن شكلها ولو اشتراكية بلشفية ، وان حكومة الخلافة كانت شرا وإذلالا للمسلمين : وخلاصة الكتاب : إن المسلمين ليس لهم تشريع إسلامي سياسي ولا مدني ولا قضائي ، وان الدين ترك لهم ذلك ليرجعوا فيه الى أحكام العقل وتجارب الامم ، فيباح لجميع المسلمين ولكل شعب منهم أن يختار لنفسه ماشاء من أنواع الحكم الا شكل الخلافة والنيابة عن النبي (ص) في إقامة ماورد في الكتاب والسنة وما جرى عليه الخلفاء الراشدون من الحكم الاسلامي

فهذا الكتاب شر ما كتب جميع أعداء الاسلام لهدم الاسلام وتمزيق شمل جامعته الدينية والدنيوية يدعو المسلمين الى الارتداد عن دينهم ويبيح لهم عصيان الله تعالى ورسوله فيما أمرا به ونهيا عنه وتوعدا على عصيانه بعذاب الله تعالى — فهو مخالف لما لا يحصى من النصوص القطعية المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة ، ولا خلاف بين أحد من المسلمين في كفر من يجحد شيئا من ذلك وقد كتبت أربع مقالات في التفنيد الاجمالي لهذا الكتاب ، نشرت الاولى منهن في الجزء الماضي وهي ما كتبته قبل قراءة الكتاب كله ، وضاق هذا الجزء عن نشر شيء آخر منها

يقول مؤلف هذا الكتاب انه ألفه في مدة عشر سنين متقطعة لا متصلة وذلك لانه حاول إبطال الحق الصريح الذي هو أوضح من الشمس ببعض التخييل الشعري والسفسطة فتكلف كثرة التفكير ، في الشبهات التي تقيه ماهو متوقع له من التكفير ، وكان جل مادته فيه بعض كتب الافرنج التي كتبوها في الخلافة ، وكتاب (خلافت وحاكميت ملية) الذي كتبه بعض علماء الترك لاقناع مسلميهم بما فعلته حكومة أنقره الجمهورية من إلغاء الخلافة والفصل بين الدين والحكومة ومن بعض كتب التاريخ والادب والكلام. ومن العجيب أن يكون من مادته مع ماذكر مثل كتاب الاغاني وكتاب العقد الفريد ، ولم يكن منها صحيح البخاري ولا صحيح مسلم ، ولا موطأ مالك ، ولا مسند أحمد ، ولا شيء من كتب السنن وما ذا يفعل بالصحاح والسنن من يريد هدمها والاستغناء بكتب الافرنج عنها ؟

قامت قيامة علماء الازهر وغيرهم من أهل الدين احتجاجا على المتجريء على

هذه الضلالة والاهانة للاسلام والمسلمين كافة ، وقام في تماهيم بعض الافرنج والملاحدة والمرتدين ينصرون داعيتهم ويناضلون دونه ، وكان لسان حماة الاسلام جريدة (اللواء والاخبار) الاسلامية ، ولسان أنصاره وحماته جريدة (السياسة) وبعض الجرائد الافرنجية والتزم بعض الجرائد العربية الحياد ، واختار بعضها الذبذبة والنفاق ، وأما تكأة أنصاره في الدفاع عنه ما يسمونه « حرية الرأي » ولكنهم يحتكرون هذه الحرية له ولانفسهم ، ويحترمونها على رجال الدين ، فالمدافعون عن الاسلام والمبينون لحقيقته يتهمون عندهم بالاعتداء على حرية الرأي المقدسة في القانون ، وأما المهاجم للاسلام الداعي لهدم تشريعه المهين لجميع المسلمين من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فله عندهم أن يقول مايشاء فيهم وليس لهم أن يقولوا فيه شيئا ! !

ولم أقرأ له ولا نصاره مقالة ولا عبارة في إثبات شيء من مقاصد الكتاب ولا في تخطئة شيء مما فنده المنتقدون منها ، لم يتجرأ أحد ممن قرأت كلامهم على ذلك الا محام اسمه (أحمد مصطفى) قال انه قرأ الكتاب كله وانه مؤمن بما فيه وبأنه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فهو عنده قد سلب القرآن ما وصفه الله تعالى به من عصمته ، ولا يمكن أن يريد أنه شاركه في هذه الصفة ، لانه مخالف له وناقض لجميع أحكامه السياسية والمدنية والشخصية ، فاذا كان القرآن هو الحق المعصوم من الباطل كما وصفه الله تعالى فلا يمكن أن يكون مخالفه ككتاب الشيخ علي عبد الرزاق الا باطلا ، فأيهما يختار ذلك المحامي

وقد طبع الكتاب سنة ١٣٤٣ بمطبعة مصر على ورق جيد بشكل جميل في صورته ووضعه بقدر ما هو قبيح في معناه وموضوعه ، و بيعت النسخة منه بعشرة قروش ، والظاهر ان نسخه نفدت بكثرة الخوض فيه مع قلة المطبوع منه فانه ألف نسخة فقط



الوثائق الرسمية في المسألة العربية

بلاغ سلطان نجد (*

لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحاضر منهم والباد

نحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو رب هذا البيت العتيق . ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم

(أما بعد) فلم نقدم من ديارنا اليكم إلا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه ، ودفعا لشرور كان يكيدها لنا ولديارنا من استبد بالامر فيكم قبلنا

وقد شرحنا لكم غايتنا هذه من قبل ، وها نحن أولاء بعد أن بلغنا حرم الله نوضح لكم الخطة التي سنسير عليها في هذه الديار المقدسة لتكون معلومة عند الجميع فنقول :

(١) — سيكون أكبر همنا تطهير هذه الديار المقدسة من أعداء أنفسهم الذين مقتهم العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها بما اقترفوه من الآثام في هذه الديار المباركة وهم (الحسين وأنجاله وأذنابهم)

(٢) — سنجعل الامر في هذه البلاد المقدسة — بعد هذا — شورى بين المسلمين ، وقد أبرقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لانفاذ أحكام الله في هذه البلاد المطهرة

(٣) — إن مصدر التشريع والاحكام لا يكون الا من كتاب الله ومما جاء عن رسوله عليه الصلاة والسلام أو ما أقره علماء الاسلام الاعلام بطريق القياس أو أجمعوا عليه مما ليس في كتاب ولا سنة . فلا يحل في هذه الديار غير ما أحله الله ولا يحرم فيها غير ما حرمه

(*) نشر هذا البلاغ عقب وصوله الى مكة المكرمة ونشر في العدد الاول من جريدة أم القرى التي تصدر في مكة المكرمة

(٤) — كل من كان من العلماء في هذه الديار أو من موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ، إن لم نزده فلا ننقصه شيئا الا رجلا أقام الناس عليه الحجة أنه لا يصلح لما هو قائم عليه ، فذلك ممنوع مما كان له من قبل . وكذلك كل من كان له حق ثابت سابق في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه ولم ننقصه منه شيئا

(٥) — لا كبير عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا ضعيف عندي الا الظالم حتى آخذ الحق منه ، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ، ولا يقبل فيها شفاعة ، فمن الزم حدود الله ولم يتعدها فأولئك من الآمنين ، ومن عصى واعتدى فانما اثمه على نفسه ولا يلومن الا نفسه ، والله على مانقول وكيل وشهيد ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفيصل آل السعود

﴿ بلاغ من علماء الحرم المكي الشريف (*) ﴾
في اتفاقهم مع علماء نجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ،

من علماء حرم الله الشريف وأئمته الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي . والشيخ عمر باجنيد أبي بكر . والشيخ درويش عجيمي . والشيخ محمد مرزوقي . والشيخ احمد بن علي النجار . والشيخ جمال المالكي . والشيخ عباس المالكي . والشيخ حسين بن سعيد . محمد بن سعيد عبد الغني . والشيخ حسين مفتي المالكية . والشيخ عبد الله حمد . والشيخ عبد الستار . والشيخ سعد وقاص . والشيخ عمر بن صديق خان . والشيخ عبد الرحمن الزواوي — الى من يراه من علماء الحكومات الاسلامية وملوكهم وأمرائهم

(*) نشر في جريدة أم القرى أيضا

(أما بعد) فقد اجتمعنا نحن المذكورين مع مشايخ نجد حين قدومهم الى الحرم الشريف مع الامام عبد العزيز حفظه الله، وهم : الشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف . والشيخ عبد الله بن حسن . والشيخ عبد الوهاب بن مزاحم . والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود . والشيخ محمد بن عثمان الشاوي . والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز . والشيخ ابراهيم بن ناصر بن حسين

فجرى بيننا و بين المذكورين المحترمين مباحثة فعرضوا علينا عقيدة أهل نجد وعرضنا عليهم عقيدتنا فحصل الاجتماع بيننا وبينهم بعد البحث والمراجعة في مسائل أصولية :

منها أن من أقر بالشهادتين وعمل بأركان الاسلام الخمسة ثم أتى بمكفر — ينقض إسلامه — قولي أو فعلي أو اعتقادي ، انه يكون كافراً بذلك يستتاب ثلاثا فان تاب والا قتل

(ومنها) من جعل بينه و بين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع أو دفع ضر، ومن طلب الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله أن ذلك شرك فان الشفاعة ملك لله ولا تطلب الا منه ، ولا يشفع عنده أحد الا باذنه كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وهو لا يأذن الا فيمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وهو لا يرضى الا التوحيد والاخلاص (ومنها) تحريم البناء على القبور وإسراجها وتحري الصلاة عندها أن ذلك بدعة محرمة في الشريعة (ومنها) أن من سأل الله بجاه أحد من من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراما (ومنها) أنه لا يجوز الحلف بغير الله لا الكعبة ولا الامانة ولا النبي ولا غير ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك »

فهذه المسائل كلها لما وقعت المباحثة فيها حصل الاتفاق بيننا و بين المذكورين ولم يحصل خلاف في شيء . فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف و بين إخواننا علماء أهل نجد — نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه آمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم

﴿ الانذار البريطاني للملك حسين بن علي ﴾

هذا نص الانذار الذي سلمه قائد المدرعة البريطانية فورن يوم ٢٨ مارس الى الملك حسين كما نشر في المقطم :

« الى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا العظمى »

تبلغت حكومة جلالة ملك بريطانيا أن عظمة سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة « العقبة » ويفهم من هذا بأن الباعث هو جلالتكم وحكومة الحجاز التي جعلت مركز معان والعقبة بحالة عسكرية ضد ابن السعود . ولا يخفى ان حكومة جلالة ملك بريطانيا مسؤولة عن الامن العام بفلسطين وشرق الاردن ومعان التي تعد تحت انتدابها ، فمنذ ما أتيتم الى العقبة كانت حكومة جلالة الملك علي والامير عبد الله بتعيين الحدود الفاصلة بين الحجاز والشرق العربي

ومع ذلك رأت العظمة البريطانية بأن المثابرة على المذاكرة بمثل هذه الاوقات الحرجة غير ممكنة بالنظر لحالة الحجاز الراهنة ، وعليه فقد أجلت حكومة بريطانيا المذاكرة في هذا الموضوع لفرصة أخرى

ولكن هناك نقطة متخذة من قبل جلالة ملك بريطانيا ، ولا يمكنه أن يتساهل بها وهي : أن يبقى أو يسمح بصورة ما بدوام الحالة الحاضرة . ولذلك بدأت باظهار سلطة حكومة الشرق العربي في الاماكن التي هي مسئولة عنها أمام جمعية الامم ، وهي تحتوي على معان والعقبة . وتدعوكم أيضا لمغادرة العقبة لكي لا تكونوا سببا لحصول مشاكل جديدة بين بريطانيا وسلطان نجد

وفي هذه المناسبة تصر بالحاح على وجوب مغادرتكم العقبة قائلة : لا يمكننا أن نسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع) اه

وقد اجاب حسين عن هذا جوابا طويلا افتتحه باثبات اخلاصه لحكومة بريطانية كعادته ولكنه زعم انه لا يطيع الانذار الا بشروط ثم أطاع بغير شرط فأرسلته الى قبرص ووقع عليه ما اختاره لنفسه حين طلب ان تختار له ولاولاده بلدا يقيمون فيه اذا كانت غير راضية عن عمله في الحجاز كما بيناه مرارا بالنقل عن جريدة القبلة

﴿ إلحاق منطقة العقبة ومعان الحجازية بمنطقة شرق الاردن البريطانية ﴾

(صورة الارادة من جلالة الملك علي المعظم ملك الحجاز بتاريخ ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ الى والي معان بخصوص تسليم العقبة ومعان الى حكومة الشرق العربي)

تقرر بين جلالة الملك علي وسمو الامير عبدالله ما يأتي :

ا — التصريح بسلامة الشرق العربي

ب — عدم ازعاج جلالة الخليفة الاعظم (؟) نظراً لمقامه في العالم العربي والاسلامي يعني لايجري الاستلام الا بعد تشريف جلالته لجده

ج — لايجري التسليم الا بعد أن تصدر الاوامر بوظيفة ولاية معان بذلك

د — عدم التعرض لمنقولات الحجاز الحربية مطلقاً

ه — عدم التعرض لمنقولات الخط الحجازي الحاضرة .

و — اعطاء الحرية للحكومة بنقل جندها وممتلكاتها الى أي محل تريد قبل الاستلام وبعده .

وقد زاد جلالة الملك علي بعض مواد ايضاً رأى جلالته بأن عند مجيء سمو الامير عبدالله الى معان تعتمد أوامره وتنفذ واليك المواد المذكورة

ا — تبقى جنود الخط الحجازي التابعون لمحافظة الخط والقطارات تحت قيادة قائدهم وتحت نظارة ناظر الخط الحجازي

ب — تبقى لاسلكي معان بمعان لا جل المخابرة مع الخط الذي تظل ادارته على حكمها

ج — على ناظر الخط الحجازي تقديم دفتر بموجود جند الخط الحجازي من معان الى مدائن صالح

د — توسل السيارات بالباخرة رضوى الى جده

(المنار) هذا مانشرته جريدة المقتبس لكاتبها في عمان تحت عنوان « وثيقة رسمية » ونشر مثله في غيرها ثم نشرت هذه الجريدة وغيرها ما ترتب على الاتفاق بما نصه

معان والعقبة — أصدر سمو الامير عبد الله المعظم الادارة الآتية :

نظراً لتنسيب صاحب الجلالة الهاشمية الملك علي المعظم ملك البلاد المقدسة الحجازية أيده الله وأدام نصره ضم ولاية معان والعقبة الى امارتنا اقتضى اصدار

ارادتنا اليكم — الخطاب لرئيس النظار — إعلاما بذلك مع الشكر الدائم لجلالته الملوكية الهاشمية منا ومن شعبنا وحكومتنا

تشكيلات معان — سافر الى معان قبل العيد سمو الامير وبمعيته رئيس أركان حرب الجيش العربي ورجال المعية وفئة الحرس . وسافر الى معان حضرة رئيس النظار وبعض الضباط والاركان والكتائب النظامية . وقد احتفل في معان باعلان انضمام ولاية معان الى إمارة الشرق العربي ورفع علم الامارة الجليلة عليها ، وقد بوشر اجراء التشكيلات الجديدة فيها وأبقي غالب باشا حاكما عليها اه

« المنار » ليعتبر العالم الاسلامي بأعمال هؤلاء الخونة المفتونين بلقب ملك وأمير !!

باب المراسلة والمناظرة

بمناسبة كتاب مفتوح«١»

حضرة الاستاذ الثقة الحجة مفخر العالم الاسلامي السيد رشيد رضا نفع الله به

سنة ١٩١٨ أي السنة الاخيرة من سني الحرب الكبرى بلغني اذ انا في الاستانة ان الامير عليا بن الملك الحسين بن علي أغار على أطراف حوران وجبل الدروز واستجاش أهالي تلك الديار للقيام على الدولة العثمانية والالتحاق بالجيش الحسيني العربي الذي كان يعمل يداً واحدة مع الجيش البريطاني في جنوبي سورية . وبلغني ايضاً أن الزعماء الذين استفزهم للثورة اجابوه يومئذ بأنهم يأبون ان يقبلوا دعوة لم تكن لتفيد غير الاجنبي الطامع الى الديار والطامع في القضاء على مابقي من ملك الاسلام . وأنذروه بالحرب ان لم يعد من حيث أتى، فحررت كتابا مفتوحا الى الامير علي بن الحسين احذره فيه عاقبة هذه الغارات وانهاه عن التضريب بين العرب خدمة لمصلحة العدو وأقول له : أتقاتل العرب بالعرب أيها الامير حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء انكلترة على جزيرة العرب وفرنسة على سورية واليهود على فلسطين وما أشبه ذلك مما ورد في مناركم في الجزء التاسع من المجلد الخامس والعشرين

الا انه بلغني فيما بعد أن الشريف الحجازي الذي ظهر يومئذ على ماء الازرق جنوبي جبل الدروز على مسافة يومين منه لم يكن الشريف علياً بن الحسين

«١» يعني الكتاب الذي نشر بعضه في ج ٩ م ٢٥ بعنوان (من الامير الى الملك)

بل شريفا آخر اسمه علي من قواد الجيش الحجازي وقد تبجحت بذلك «القبلة» في احد اعدادها الصادرة سنة ١٩١٣ في عرض مقالة ردت فيها على كتابي المذكور بعد نشره بخمس سنوات بمناسبة ظهوره في مجموعة أخبار ووثائق عن الحرب لاديب مسيحي سوري . وقد جعلت « القبلة » المنحرفة في الواقع عن القبلة الحجة القاطعة (!!) على عدم صحة ماكتبته في هذا الكتاب المفتوح من أوله الى آخره كون الامير علي بن الحسين لم يذهب الى الازرق

مع أن ذهاب علي بن الحسين أو علي آخر الى الازرق لايقدم ولا يؤخر شيئا في جوهر الموضوع . فالموضوع هو نهى هؤلاء الجماعة الثائرين يومئذ على الدولة عن التهور في مناصرة دولة أجنبية كانوا يخدمونها ببذل دماء العرب ليصلوا فيما بعد الى غاية ليس منها شيء للعرب كما حققت ذلك الحوادث ويا للاسف من بعد الحرب ـ وعلى فرض أن الامير عليا ابن الحسين لم يكن ذهب الى الازرق فقد ذهب أخ له من الاشراف الى الازرق وكلهم كانوا في الثورة سواء الذى ذهب الي الازرق والذى لم يذهب

على انني انا كنت بعثت بالكتاب المفتوح المذكور الى جريدة «الشرق» التى كانت تطبع بالشام وصادف انى يوم ظهوره في تلك الجريدة كنت في برلين فلم اطلع على العدد الذي فيه هذا الخطاب من جريدة (الشرق) ويظهر انه قد سقطت فيه أغلاط كثيرة في الطبع لا بل جرى تقديم وتأخير في بعض الجمل وأهملت جمل برمتها فجاء الجاور لها قلقا غير مستو على وضين الاصل . ولم أشعر بذلك في وقته لانني لم اطلع على « الشرق » اذ انا في الغرب ومضت الايام والاعوام الي السنة الماضية ١٩٢٤ فاذا بجريده أبابيل البيروتية قامت تنشر هذا المكتوب اما نقلا عن جريدة « الشرق » أو عن مجموعة الاديب المار ذكره لست اعلم عن أي مصدر أخذته وقصارى ما اعلم انني أول مارأيته مطبوعا في جريدة أبابيل البيروتيـة أيضا والآن أراه فى المنار منقولا عن جريدة « الوطن » الصادرة في البرازيل . والذي اريد ان أنبه عليه هو :

أولا — ان المكتوب كان موجها لا الى الملك حسين رأسا بل الى ولده علي

ثانيا — انه يوجد في المكتوب اشارة لا الى انكلترة فقط بل الى فرنسة أيضا فالجرائد البيروتية التي نقلته حذفت ماتعلق بفرنسة ونشرت ما يمس انكلترة خوفا من قلم المراقبة .....

ثالثا - يوجد في المكتوب أغلاط كثيرة مطبعية وكلمات محرفة مثل «ويثبوة النبوة» جعلوها (بنور النبوة) وكلمات مثل «او ذماما يحفظونه لك أو سوالك اذا قضت سياستهم غير ذلك» فاطاحوا جملة «غير ذلك» ومثل (فيما لو قضت عليهم سياستهم عن سلب امارتك) وأصلها «بسلب أمارتك» كما لا يخفى ومثل (وما إخالك تجهل التاريخ وتكابر في التواتر بمن شأنهم في الاخلال بالعهود والمواثيق الى الحد الذي تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلى في جميع معاملاتهم سواء مع المسلمين أو مع سائر الامم» وأصلها «التواتر عمن شأنهم الاخلال بالعهود والمواثيق الى الحد الذي لا تقدر أن تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلى» الخ ومثل «لاجرم انك تقدر أن تدعي بوجود بعض عشائر من العرب توفر القوة التي تكفل دفع انكلترة بجيوشها الجرارة عن مكة والمدينة ولا أحد من عقلاء الخلق يرتاح الى هذه الدعوة» وهي جملة لا يخرج لها معنى وأصلها «لاجرم انك تقدر أن تدعي وجود بعض عشائر من العرب توفر لك القوة التي تكفل بها دفع انكلترة بجيوشها الجرارة عن مكة والمدينة ولا أحد من عقلاء الخلق يرتاح الى قبول هذه الدعوى» ومثل (ولا سيما على الحجاز منذ أحقاب) وأصلها «ولا سيما على الحجاز الذي هو نصب عينها منذ أحقاب» وأما جملة «واذا كانوا لم يعترضوك الى اليوم في داخل إمارة مكة أو في الحجاز فيمكنك أن تريح فكرك منها منذ الآن ولا حاولوا ادخال عسكرهم الي البلد الحرام ولا وضعوا ضباطهم على أبواب حجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام تماديا من المعجلة الخ فان عبارة «فيمكنك أن تريح فكرك منها منذ الآن» كانت فيما أتذكر موضوعة بين خطين هكذا — فيمكنك منذ الآن أن تريح فكرك منها — وهي جملة معترضة والجملة الشرطية من عند قولي «واذا كانوا لم يعترضوك الى اليوم» الى قولي «ولا حاولوا ادخال عسكرهم» الى قولي «ولا وضعوا ضباطهم الخ جوابها أفليس عندك أنت بما لك من الذكاء والفضل ومطالعة التواريخ) الخ واما جملة «فما يؤثر على الامة الاسلامية أو يفيدها» فهي من سبق القلم والمراد ان أقول فما يؤثر في الامة العربية أو الاسلامية» بمعنى ما يؤثر بين الامة أو في وسط الامة والخلاصة لم أجد فيما نقل عني كتابا تعاورته الايدي بالحذف والطرح والتقديم والتأخير فضلا عما أسقطه مرتبو الحروف مثل هذا الكتاب فارجو نشر هذا التصحيح ولكم الفضل

شكيب ارسلان

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ المحرم سنة ١٣٤٤ - ٢٦ برج الاسد سنة ١٣٠٤ هش ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٥

لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسئلة) سئلها الشيخ الامام العالم العلامة ، امام الوقت ، فريد الدهر، جوهر العلم، لب الايمان، قطب الزمان، مفتي الفرق، شيخ الاسلام، تقي الدين ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الامام العلامة مؤيد السنة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه ونفع به آمين : في جماعة يجتمعون في مجلس ويلبسون لشخص منهم لباس الفتوة ويديرون بينهم في مجلسهم شربة فيها ملح وماء ويشربونها ، ويزعمون أن هذا من الدين، ويذكرون في مجالسهم ألفاظا لا تليق بالعقل والدين فمنها أنهم يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبس علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لباس الفتوة ثم أمره أن يلبس من شاء ، ويقولون ان اللباس انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صندوق ويستدلون عليه بقوله تعالى (يابني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم) الآية — فهل هو كما زعموا أم كذب مختلق ؟ وهل هو من الدين أم لا ؟ واذا لم يكن من الدين فما يجب على من يفعل ذلك أو يعين عليه ؟ ومنهم من ينسب ذلك الى الخليفة الناصر لدين الله أبي عبد الجبار ويزعم أن ذلك من الدين ، فهل لذلك أصل أم لا ؟ وهل الاسماء التي يسمون بها بعضهم بعضا من اسم الفتوة ورءوس الاحزاب والزعماء فهل لهذا أصل أم لا ؟ ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه دسكرة ، ويقوم للقوم

نقيب الى الشخص الذى يلبسونه فينزعه اللباس الذي عليه بيده ويلبسه اللباس الذي يزعمون أنه لباس الفتوة بيده، فهل هذا جائز ام لا ؟ واذا قيل لا يجوز فعل ذلك ولا الاعانة عليه فهل يجب على ولي الامر منعهم من ذلك ؟ وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا؟ واذا قيل لا أصل لها فى الشريعة فهل يجب على غير ولي الامر أن ينكر عليهم ويمنعهم من ذلك أم لا؟ مع امكانه من الانكار (١) وهل أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو من التابعين أو من بعدهم من أهل العلم فعل هذه الفتوة المذكورة أو امر بها ام لا؟ وهل خلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من النور ام خلق من الاربع عناصر أم من غير ذلك ؟ وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس: لولاك ماخلق الله عرشا ولا كرسيا ولا ارضا ولا سماء ولا شمسا ولا قمرا ولا غير ذلك صحيح هو أم لا؟ وهل الاخوة التي يواخيها المشايخ بين الفقراء في السماع وغيره يجوز فعلها فى السماع ونحوه أم لا ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين المهاجرين والانصار أم بين كل مهاجري وأنصاري ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم على بن ابي طالب كرم الله وجهه أم لا ؟ بينوا لنا ذلك بالتعليل والحجة المبينة وابسطوا لنا الجواب في ذلك بسطا شافيا مأجورين أثابكم الله تعالى

*

لباس خرقة الفتوة مبتدع

﴿ الجواب ﴾ الحمد لله أما ماذكر من إلباس لباس الفتوة السراويل أو غيره واسقاء الملح والماء فهذا باطل لا أصل له ولم يفعل هذا رسول الله

(١) الوجه أن يقال تمكنه بدل امكانه فلعله محرف

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا على بن ابي طالب ولا غيره ولا من التابعين لهم باحسان : والاسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة الناصر الى عبد الجبار الي ثمامة فهو اسناد لا تقوم به حجة، وفيه من لا يعرف ولا يجوز لمسلم أن ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هـذا الاسناد المجهول الرجال أمراً من الامور التي لا تعرف عنه فكيف اذا نسب اليه مايعلم انه كذب وافتراء عليه، فان العالمين بسنته وأحواله متفقون على أن هذا من الكذب المختلق عليه وعلى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وما ذكروه من نزول هذا اللباس في صندوق هو من اظهر الكذب باتفاق العارفين بسنته، واللباس الذي يواري السوءة هو كل ماستر العورة من جميع أصناف اللباس المباح، انزل الله تعالى هذه الآية لما كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون: ثياب عصينا الله فيها لا نطوف فيها، فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والكذب في هذا اظهر من الكذب فيما ذكر من لباس الخرقة، وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن ردائه، وانه فرق الخرق على أصحابه، وان جبريل اتاه وقال له ان ربك يطلب نصيبه من زيق الفقر، وانه علق ذلك بالعرش فهذا أيضاً كذب باتفاق أهل المعرفة فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف ولا سماع دفوف وشبابات ولا رقص، ولا سقط عنه ثوب من ثيابه فى ذلك ولا قسمه على اصحابه وكل مايروى من ذلك فهو كذب مختلق باتفاق أهل المعرفة بسنته

فصل

(شروط لباس خرقة الفتوة)

والشروط التي تشترطها شيوخ الفتوة ما كان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الامانة وأداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الارحام والوفاء بالعهد أو كانت مستحبة كالعفو عن الظالم واحتمال الاذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة ويفارق أحدهما الآخر اذا كان على بدعة ونحو ذلك فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشرطوها، وما كان منها مما نهى الله عنه ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين اهل الجاهلية ان كلا منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل، ويعادي عدوه في الحق والباطل، وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله(١) وفي الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله اوثق » رواه البخاري . وفي السنن عنه أنه قال « المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ والاحلاف وغير ذلك فانها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين ، ما كان

---

(١) (المنار) سقط من الاصل أول الحديث من هنا الى قوله كتاب الله [illegible]

من الامر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فانه يؤمر به كما أمر الله به ورسوله . وان كان مما نهى الله عنه ورسوله فانه ينهى عنه كما نهى الله عنه ورسوله ، وليس لبني آدم أن يتعاهدوا ولا يتعاقدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلاف ما أمر الله به ورسوله ، بل على كل منهم ان يوفوا بالعقود والعهود التي عهدها الله الى بني آدم كما قال الله تعالى (واوفوا بعهدي اوف بعهدكم) وكذلك مايعقده المرء على نفسه كعقد النذر او يعقده الاثنان كعقد البيع والاجارة والهبة وغيرهما او ما يكون تارة من واحد وتارة من اثنين كعقد الوقف والوصية ، فانه في جميع هذه العقود متى اشترط العاقد شيئا مما نهى الله عنه ورسوله كان شرطه باطلا

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » . والعقود المخالفة لما أمر الله به ورسوله هي من جنس دين الجاهلية وهي شعبة من دين المشركين واهل الكتاب الذين عقدوا عقوداً أمروا فيها بما نهى الله عنه ورسوله، ونهوا فيها عما امر الله به ورسوله فهذا اصل عظيم يجب على كل مسلم أن يتجنبه

﴿ فصل ﴾

(الفتى والفتوة والزعيم والحزب والدسكرة وماقالوه فيها)

وأما لفظ الفتى فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى (انهم فتية آمنوا بربهم) وقوله تعالى (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) ومنه قوله تعالى (واذ قال موسى لفتاه) لكن لما كانت اخلاق الاحداث اللين صار

كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الاخلاق كقول بعضهم طريقنا تفتى وليس بتقوى (؟) وقول بعضهم الفتوة أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك، وتحسن الى من يسيء اليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مضارة . وقول بعضهم الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى . وامثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الاسماء كلفظ الاحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير ونحو ذلك من الاسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني، فكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان اهله ممدوحين، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان اهله مذمومين، كلفظ الكذب والخيانة والفجور والظلم والفاحشة ونحو ذلك

وأما لفظ الزعيم فانه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) فمن تكفل بامر طائفة فانه يقال هو زعيم فان كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك وان كان شراً كان مذموما على ذلك .

وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . وان كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق

الذي ذمه الله تعالى ورسوله فان الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوي ونهيا عن التعاون على الاثم والعدوان

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالي عليه وسلم أنه قال : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه . وفي الصحيح عنه انه قال « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله » وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » قيل يارسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما؟ قال « تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه » . وفي الصحيح عنه انه قال «خمس تجب للمسلم على المسلم: يسلم عليه اذا لقيه، ويعوده اذا مرض ، ويشمته اذا عطس ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشيعه اذا مات » . وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير مايحب لنفسه » .

فهذه الاحاديث وامثالها فيها امر الله ورسوله بما امر به من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » . وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله امركم »

وفي السنن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «الا انبئكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا بلى يارسول الله قال «صلاح ذات البين ، هي الحالقة لاأقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» فهذه الامور مما نهى الله ورسوله عنها

وأما لفظ الدسكرة «فليست من الالفاظ التي لها أصل في الشريعة فيتعلق بها حمد اوذم ولكن هي في عرف الناس يعبر عنها عن المجامع كما في حديث هرقل انه جمع الروم في دسكرة، ويقال للمجتمعين على شرب الخمر انهم في دسكرة فلا يتعلق بهذا اللفظ حمد ولا ذم، وهو الى الذم اقرب لان الغالب في عرف الناس انهم يسمون بذلك الاجتماع على الفواحش والخمر والغناء

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض علي كل مسلم لكنه من فروض الكفايات فان قام بهما من يسقط به الفرض من ولاة الامر أو غيرهم والا وجب على غيرهم ان يقوم من ذلك بما يقدر عليه

﴿ فصل ﴾

(مم خلق النبي (ص) وبم تتفاضل المخلوقات)

والنبي صلي الله تعالى عليه وسلم خلق مما يخلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله خلق الملائكة من نور، وخلق ابليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ماخلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكابراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين فلما سواه ونفخ

فيه من روحه واسجدله الملائكة وفضله عليهم بتعليمه اسماء كل شيء ، وبأن خلقه بيديه، وبغير ذلك. فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور، وهذه مسئلة كبيرة مبسوطة في غير هذا الموضع فان فضل بني آدم هو باسباب يطول شرحها هنا وانما يظهر فضلهم اذا دخلوا دار القرار (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر الى كبر، ثم من دار الى دار، فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله وانما يظهر فضله عند كمال احواله ، بخلاف الملك الذي تشابه اول امره وآخره . ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الانبياء حيث نظر الى أحوال الانبياء وهم في اثناء الاحوال قبل أن يصلوا الى ماوعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال .

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الاقلام، وعلا على مقامات الملائكة والله تعالى اظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحي الآدميين من الانبياء والاولياء مالم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ماتفرق في المخلوقات، فخلق بدنه من الارض وروحه من الملا الاعلى. ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم (الكبير)

ومحمد سيد ولد آدم وافضل الخلق واكرمهم عليه ومن هنا قال من قال ان الله خلق من اجله العالم، أو إنه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيا ولا سماء ولا ارضا ولا شمسا ولا قمرا، لكن ليس هذا حديثا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام

لا يدري قائله، ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله (سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) وقوله (١) (الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وامثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن لله فيها حكما عظيمة غير ذلك واعظم من ذلك، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما اسبغ عليهم من النعمة فاذا قيل فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة اخرى وكذلك قول القائل لولا كذا ما خلق كذا لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم اخرى عظيمة، بل يقتضي اذا كان افضل صالحي بني آدم وافضلهم محمد، وكانت خلقته غاية مطلوبة، وحكمة بالغة، مقصودة من غيره، وصار تمام الخلق، ونهاية الكمال به حصل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام، وكان آخر الخلق يوم الجمعة وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق، خلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة. وسيد ولد آدم هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائه قال صلى الله تعالى عليه وسلم «اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته» أي كتبت نبوتي واظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد، اذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه. فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا، ومحمد

(١) سقط من الاصل آخر الآية السابقة وأول الآية اللاحقة

انسان هذا الدين ، وقطب هذه الرحى ، واقسام هذا الجمع كان كأنها غاية الغايات في المخلوقات ، فما ينكر أن يقال انه لاجله خلقت جميعها ، وإنه لولاه لما خلقت، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك

وأما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى باشراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردوداً غير مقبول فقد صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فأنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد قال تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، انما الله اله واحد) والله قد جعل له حقا لا يشركه فيه مخلوق فلا تصلح العبادة إلا له ولا الدعاء إلا له ، ولا التوكل الا عليه ، ولا الرغبة الا اليه ، ولا الرهبة الا منه ، ولا ملجأ ولا منجا منه الا اليه، ولا يأتي بالحسنات الا هو ، ولا يذهب السيئات الا هو ولا حول ولا قوة الا به (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه * ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده ، وكذلك في قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالايتاء لله والرسول . وأما التوكل فعلى الله وحده ، والرغبة الى الله وحده

(له بقية)

كلمة في فوائد كتابي المغني والشرح الكبير

يقول محمد رشيد رضا صاحب منار الاسلام :

كنت رأيت كلمة سلطان العلماء في عصره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في تفضيل كتابي المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق على غيرهما من كتب الفقه الاسلامي قبل أن أراهما، فدعتني الرغبة في تعرف قيمة هذه الشهادة الى الاختلاف الى خزانة الكتب الكبرى (المكتبة المصرية) مراراً للنظر في الكتابين ، وقرأت عدة مسائل من كل منهما رأيتها كافية في معرفة قيمة الشهادة وصحة الحكم، وعلمت أن العلماء الذين قالوا إن ابن عبد السلام وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق لم يقولوا الا الحق

فأما كتاب المحلي فهو كتاب اجتهاد مطلق وصاحبه أبو محمد بن حزم امام الظاهرية في عصره ، وهو صاحب القلم السيال واللسان الفصيح والحجة الناهضة ، والعارضة التي تأبى المعارضة ، ولولا سلاطة لسانه في الرد على مخالفيه من أئمة أصحاب الرأي وأهل القياس لاتسع نطاق مذهبه ، وكثر الانتفاع بالمحلى وغيره من كتبه ، فهو يذكر المسألة ويستدل عليها ، ويرد على المخالفين فيها، على قواعد الظاهرية من الاخذ بالنصوص المأثورة، أو البراءة الاصلية ، ولكنه لا يكتفي بمقارعتهم بالدليل ، بل يرميهم بالجهل والتضليل ، غير هياب لعلو أقدارهم ، ولا وجل من كثرة أتباعهم وأنصارهم ، واذا أراد الله تعالى أن يتجدد فقه الاسلام فلابد أن يعرف المجددون له من قدر كتابه ما عرف العز بن عبد السلام ، ولا بد أن يطبعوه في يوم من الايام

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا علي بن ابي طالب ولا غيره ولا من التابعين لهم باحسان : والاسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة الناصر الى عبد الجبار الي ثمامة فهو اسناد لا تقوم به حجة، وفيه من لا يعرف ولا يجوز لمسلم أن ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هـذا الاسناد المجهول الرجال أمراً من الامور التي لا تعرف عنه فكيف اذا نسب اليه مايعلم انه كذب وافتراء عليه، فان العالمين بسنته وأحواله متفقون على أن هذا من الكذب المختلق عليه وعلى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وما ذكروه من نزول هذا اللباس في صندوق هو من اظهر الكذب باتفاق العارفين بسنته، واللباس الذي يواري السوءة هو كل ماستر العورة من جميع أصناف اللباس المباح، انزل الله تعالى هذه الآية لما كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون: ثياب عصينا الله فيها لا نطوف فيها، فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والكذب في هذا اظهر من الكذب فيما ذكر من لباس الخرقة، وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن ردائه ؛ وانه فرق الخرق على أصحابه، وان جبريل اتاه وقال له ان ربك يطلب نصيبه من زيق الفقر، وانه علق ذلك بالعرش فهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف ولا سماع دفوف وشبابات ولا رقص، ولا سقط عنه ثوب من ثيابه فى ذلك ولا قسمه على اصحابه وكل مايروى من ذلك فهو كذب مختلق باتفاق أهل المعرفة بسنته

فصل

(شروط لباس خرقة الفتوة)

والشروط التي تشترطها شيوخ الفتوة ماكان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الامانة واداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الارحام والوفاء بالعهد أو كانت مستحبة كالعفو عن الظالم واحتمال الاذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة ويفارق أحدهما الآخر اذا كان على بدعة ونحو ذلك فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشرطوها، وماكان منها مما نهى الله عنه ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين اهل الجاهلية ان كلا منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل ، ويعادي عدوه في الحق والباطل،وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله(١) وفي الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «ما بال رجال يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله اوثق » رواه البخاري . وفي السنن عنه أنه قال « المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا» وكل ما كان من الشروط التى بين القبائل والملوك والشيوخ والاحلاف وغير ذلك فانها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين ، ما كان

(١) (المنار) سقط من الاصل أول الحديث من هنا الى قوله كتاب الله

من الامر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فانه يؤمر به كما أمر الله به ورسوله . وان كان مما نهى الله عنه ورسوله فانه ينهى عنه كما نهى الله عنه ورسوله ، وليس لبني آدم أن يتعاهدوا ولا يتعاقدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلاف ما أمر الله به ورسوله ، بل على كل منهم ان يوفوا بالعقود والعهود التي عهدها الله الى بني آدم كما قال الله تعالى (واوفوا بعهدي اوف بعهدكم) وكذلك مايعقده المرء على نفسه كعقد النذر او يعقده الاثنان كعقد البيع والاجارة والهبة وغيرهما او ما يكون تارة من واحد وتارة من اثنين كعقد الوقف والوصية ، فانه في جميع هذه العقود متى اشترط العاقد شيئا مما نهى الله عنه ورسوله كان شرطه باطلا

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : «من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه» . والعقود المخالفة لما أمر الله به ورسوله هي من جنس دين الجاهلية وهي شعبة من دين المشركين واهل الكتاب الذين عقدوا عقوداً أمروا فيها بما نهى الله عنه ورسوله، ونهوا فيها عما امر الله به ورسوله فهذا اصل عظيم يجب على كل مسلم أن يتجنبه

﴿ فصل ﴾

(الفتى والفتوة والزعيم والحزب والدسكرة وماقالوه فيها)

وأما لفظ الفتى فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى (انهم فتية آمنوا بربهم) وقوله تعالى (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) ومنه قوله تعالى (واذ قال موسى لفتاه) لكن لما كانت اخلاق الاحداث اللين صار

كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الاخلاق كقول بعضهم طريقنا تفتى وليس بتقوى (؟) وقول بعضهم الفتوة أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك ،وتحسن الى من يسيء اليك، سماحة لا كظما ، ومودة لا مضارة . وقول بعضهم الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى . وامثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الاسماء كلفظ الاحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير ونحو ذلك من الاسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني، فكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان اهله ممدوحين ، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان اهله مذمومين، كلفظ الكذب والخيانة والفجور والظلم والفاحشة ونحو ذلك

وأما لفظ الزعيم فانه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) فمن تكفل بامر طائفة فانه يقال هو زعيم فان كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك وان كان شراً كان مذموما على ذلك .

وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . وان كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق

الذي ذمه الله تعالي ورسوله فان الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوي ونهيا عن التعاون على الاثم والعدوان

وفى الصحيحين عن النبي صلى الله تعالي عليه وسلم أنه قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وفى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه. وفى الصحيح عنه انه قال «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله» وفى الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «انصر اخاك ظالما او مظلوما» قيل يارسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما؟ قال «تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه». وفى الصحيح عنه انه قال «خمس تجب للمسلم على المسلم: يسلم عليه اذا لقيه، ويعوده اذا مرض، ويشمته اذا عطس، ويجيبه اذا دعاه، ويشيعه اذا مات». وفى الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير مايحب لنفسه».

فهذه الاحاديث وامثالها فيها امر الله ورسوله بما امر به من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض. وفى الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا». وفى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله امركم»

وفى السنن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «الا انبئكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ قالوا بلى يارسول الله قال «صلاح ذات البين، هي الحالقة لاأقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» فهذه الامور مما نهى الله ورسوله عنها

وأما لفظ الدسكرة فليست من الالفاظ التي لها أصل في الشريعة فيتعلق بها حمد اوذم ولكن هي فى عرف الناس يعبر عنها عن المجامع كما في حديث هرقل انه جمع الروم في دسكرة، ويقال للمجتمعين على شرب الخمر انهم في دسكرة فلا يتعلق بهذا اللفظ حمد ولا ذم، وهو الى الذم اقرب لان الغالب في عرف الناس انهم يسمون بذلك الاجتماع على الفواحش والخمر والغناء

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض علي كل مسلم لكنه من فروض الكفايات فان قام بهما من يسقط به الفرض من ولاة الامر أو غيرهم والا وجب على غيرهم ان يقوم من ذلك بما يقدر عليه

﴿ فصل ﴾

(مم خلق النبي (ص) وبم تتفاضل المخلوقات)

والنبي صلي الله تعالى عليه وسلم خلق مما يخلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله خلق الملائكة من نور، وخلق ابليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ماخلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكابراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين فلما سواه ونفخ

فيه من روحه واسجدله الملائكة وفضله عليهم بتعليمه اسماء كل شيء ، وبأن خلقه بيديه، وبغير ذلك. فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور، وهذه مسئلة كبيرة مبسوطة في غير هذا الموضع فان فضل بني آدم هو باسباب يطول شرحها هنا وانما يظهر فضلهم اذا دخلوا دار القرار (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر الى كبر، ثم من دار الى دار فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله وانما يظهر فضله عند كمال احواله ، بخلاف الملك الذي تشابه اول امره وآخره . ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الانبياء حيث نظر الى أحوال الانبياء وهم في اثناء الاحوال قبل أن يصلوا الى ماوعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال .

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الاقلام، وعلا على مقامات الملائكة والله تعالى اظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحي الآدميين من الانبياء والاولياء مالم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ماتفرق في المخلوقات، فخلق بدنه من الارض وروحه من الملا الاعلى. ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم (الكبير)

ومحمد سيد ولد آدم وافضل الخلق واكرمهم عليه ومن هنا قال من قال ان الله خلق من اجله العالم، أو إنه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيا ولا سماء ولا ارضا ولا شمسا ولا قمراً، لكن ليس هذا حديثا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام

لا يدرى قائله، ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله (سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) وقوله (١) (الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ماسألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وامثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن لله فيها حكما عظيمة غير ذلك واعظم من ذلك، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما اسبغ عليهم من النعمة فاذا قيل فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة اخرى وكذلك قول القائل لولا كذا ما خلق كذا لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم اخرى عظيمة ، بل يقتضي اذا كان افضل صالحي بني آدم وافضلهم محمد ، وكانت خلقته غاية مطلوبة، وحكمة بالغة، مقصودة من غيره، وصار تمام الخلق، ونهاية الكمال به حصل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ، وكان آخر الخلق يوم الجمعة وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق، خلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة. وسيد ولد آدم هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائه قال صلى الله تعالى عليه وسلم « اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » أي كتبت نبوتي واظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، اذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه. فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها ، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد

---

(١) سقط من الاصل آخر الآية السابقة وأول الآية اللاحقة

انسان هذا الدين ، وقطب هذه الرحى ، واقسام هذا الجمع كان كأنها غاية الغايات في المخلوقات ، فما ينكر أن يقال انه لاجله خلقت جميعها ، وإنه لولاه لما خلقت ، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك

وأما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى باشراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردوداً غير مقبول فقد صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فأنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد قال تعالى (ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، انما الله اله واحد) والله قد جعل له حقا لا يشركه فيه مخلوق فلا تصلح العبادة إلا له ولا الدعاء إلا له ، ولا التوكل الا عليه ، ولا الرغبة الا اليه ، ولا الرهبة الا منه ، ولا ملجأ ولا منجا منه الا اليه ، ولا يأتي بالحسنات الا هو ، ولا يذهب السيئات الا هو ولا حول ولا قوة الا به (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه * ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده ، وكذلك في قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالايتاء لله والرسول . وأما التوكل فعلى الله وحده ، والرغبة الى الله وحده

(له بقية)

كلمة في فوائد كتابي المغني والشرح الكبير

يقول محمد رشيد رضا صاحب منار الاسلام :

كنت رأيت كلمة سلطان العلماء في عصره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في تفضيل كتابي المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق على غيرهما من كتب الفقه الاسلامي قبل أن أراهما، فدعتني الرغبة في تعرف قيمة هذه الشهادة الى الاختلاف الى خزانة الكتب الكبرى (المكتبة المصرية) مراراً للنظر في الكتابين ؛ وقرأت عدة مسائل من كل منهما رأيتها كافية في معرفة قيمة الشهادة وصحة الحكم، وعلمت أن العلماء الذين قالوا إن ابن عبد السلام وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق لم يقولوا الا الحق

فأما كتاب المحلي فهو كتاب اجتهاد مطلق وصاحبه أبو محمد بن حزم امام الظاهرية في عصره ، وهو صاحب القلم السيال واللسان الفصيح والحجة الناهضة ، والعارضة التي تأبى المعارضة ، ولولا سلاطة لسانه في الرد على مخالفيه من أئمة أصحاب الرأي وأهل القياس لاتسع نطاق مذهبه ، وكثر الانتفاع بالمحلى وغيره من كتبه ، فهو يذكر المسألة ويستدل عليها ، ويرد على المخالفين فيها، على قواعد الظاهرية من الاخذ بالنصوص المأثورة، أو البراءة الاصلية ، ولكنه لا يكتفي بمقارعتهم بالدليل ، بل يرميهم بالجهل والتضليل ، غير هياب لعلو أقدارهم ، ولا وجل من كثرة أتباعهم وأنصارهم ، واذا أراد الله تعالى أن يتجدد فقه الاسلام فلابد أن يعرف المجددون له من قدر كتابه ما عرف العز بن عبد السلام ، ولا بد أن يطبعوه في يوم من الايام

وأما المغني فصاحبه الموفق فقيه حنبلي ،وهو مع ذلك محدث أثري، وقد ألف عدة كتب في فقه الحنابلة ، وأراد أن يكون كتابه المغني في فقه المسلمين كافة ، فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المشهورين ، كالائمة المتبوعين ، ويحكي أدلة كل منهم، واذا رجح مذهب الحنابلة في كثير من المسائل فهو لا ينتقص غيرهم ، ولا يحمله التعصب على كتمان شيء من أدلتهم ، ولا على تكلف الطعن فيها كما يفعل أهل الجمود من المقلدين ، فالمزية الاولى لكتاب المغني أنه لخص لنا مذاهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها في امهات الاحكام ومهمات المسائل فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة فيما نحتاج الى الوقوف عليه منها ، وعن مراجعة كتب السنن والآثار لمعرفة أدلتها ومذاهب الصحابة والتابعين ومسائل الاجماع والخلاف ، على أن المصنفات التي تتوسع في رواية هذه الآثار لم تطبع ونسخها الخطية قليلة الوجود كمصنفات ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وابن المنذر

ومن المعلوم أن كتب فقه المذاهب المتبعة والخلاف منها ما لا تذكر فيه الادلة،ومنها ما يذكر فيها ما يؤيد مذاهب مصنفيها ويضعف المذاهب المخالفة لها ولو بضروب من التأويل والتحريف وتضعيف الاحاديث التي لا توافق مذهب المؤلف وان كانت صحيحة أو حسنة ان امكن ، وتقوية الاحاديث التي توافقه وان كانت ضعيفة أو السكوت عن نقل الطعن فيها، وصاحب المغني لا يتعمد مثل هذا ، فهو يرجح ما يعتقد رجحانه من أدلة الحنابلة ولا يتكلف الطعن في أدلة من خالفهم ،ولولا هذا وذاك لما فضله ابن عبد السلام على كتب الشافعية وكان من أجل علمائهم وهي التي يشهد لها من لم يعرف من مزايا تحريرها ما يعرفه هو بأنها فاقت كتب سائر

المذاهب في دقة التحرير والاستدلال ، والجزم بالصحيح من الاقوال ، وكان يعتمد على مراجعته في الفتوى اذ صار يفتي بالدليل ويسلك سبيل الاجتهاد

عرفت المغني فتمنيت لو يسخر الله تعالى من يطبعه ليعم نفعه الذي هو عندي فوق ما كان عند العز بن عبد السلام ، وكان صديقنا حسن باشا عاصم خادم الامة والملة رحمه الله تعالى يقول : اذا يسر الله لنا طبع كتاب (المحكم لابن سيده) فانني أموت آمنا على اللغة العربية أن تموت — ذلك لما سمعه من امام اللغة في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي من الثناء على المحكم وعلى النسخة الصحيحة الموجودة منه في المكتبة المصرية — وكان كلما قال لي هذه الكلمة أقول له : واذا يسر الله تعالى لكتاب المغني من يطبعه فأنا أموت آمنا على الفقه الاسلامي أن يموت . ثم مازلت افكر في السعي لطبعه الى أن هداني الله تعالى الى تبليغ امنيتي هذه الى السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل امام نجد وملحقاتها فبلغت عنه (أولا) انه أيد الله به العلم والدين ، وأعز بسيفه الاسلام والمسلمين ، عازم على طبع هذا الكتاب مع كتب اخرى لاحياء العلم وتوسيع نطاقه في بلاده — ثم خاطبني هو (آخرا) في طبعه مع كتاب الشرح الكبير ، وطبع تفسيري ابن جرير وابن كثير ، وكتب اخرى من كتب السنة والفقه . وتلا ذلك ارساله المغني والشرح الكبير للمقنع ليطبعا معا . وكذا غيرهما مما عزم على طبعه ، وقد شرعنا في طبعهما والمطبعة غير مستعدة لانجاز مطبوعات كبيرة كثيرة فأخذنا في اعدادها لذلك وسيحصل المراد عن قريب بفضل الله تعالى وقوته ، وانا وقد نجز الجزء الاول من الكتابين نبين بالايجاز فوائدهما للامة الاسلامية وكونهما في الفقه الاسلامي العام لا فقه الحنابلة وحدهم فنقول :

تمهيد في اختلاف الامة ، وسيرة الائمة

قال تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وقد شبه النبي (ص) المؤمنين بأعضاء الجسد الواحد ، ولم يكن شيء أبغض اليه بعد الكفر بالله من الاختلاف والتنازع ولو في الامور العادية ، ولما كان الاختلاف في الفهم والرأي من طباع البشر (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) خص الاختلاف المذموم في الاسلام بما كان عن تفرق أو سببا للتفرق ، وجرى على ذلك السلف الصالح فحظروا فتح باب الآراء في العقائد وأصول الدين ، وحتموا الاعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل ، وخصوا الاجتهاد بالاحكام العملية ، ولا سيما المعاملات ، وكان بعضهم يعذر كل من خالفه في المسائل الاجتهادية ولا يكلفه موافقته في فهمه

ثم ان كثيراً من كبار العلماء حاولوا أن يجعلوا اختلاف العلماء في مسائل الاحكام رحمة بهذه الامة ، وتحقيقا ليسر دينها الذي ثبت بنصوص الكتاب والسنة ، ويتقوا ما حذر الله تعالى في كتابه من مضار التفرق والاختلاف الذي أفسد على الامم السابقة دينها ودنياها ، وأنذرنا الله تعالى أن نكون مثلهم بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ـ الى قوله ـ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) وقد وجد في بعض الكتب حديث مرفوع اشتهر على الالسنة وهو « اختلاف امتي رحمة » ولما لم يوجد له سند في شيء من كتب السنة قال بعضهم لعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل الينا — احتراما لمن ذكروه في كتبهم بالقبول أو التسليم ، وحرصا على العمل بمعناه.

ولكن المتعصبين للمذاهب أبوا أن يكون الاختلاف رحمة ، وشدد كل

منهم فى تحتيم تقليد مذهبه، وعدم الترخيص للمنتمين اليه في تقليد غيره ، ولو لحاجة أو ضرورة ، وكان من مناظراتهم فى ذلك من طعن بعضهم فى بعض ما هو معروف فى كتب التاريخ والتراجم وغيرها كالاحياء للغزالي ، وصار بعض المسلمين اذا وجد فى بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه كالبعير الاجرب بينهم

وقد وقع من الفتن بين المختلفين فى الاصول وفى الفروع ما سود صحف التاريخ ، على ان الخلاف في الفروع أهون وأقل شرا ، وقد ضعف في هذا الزمان بضعف أسبابه في أكثر البلاد ؛ ولكننا لا نزال نسمع بمنكرات قبيحة منه في أخرى. من ذلك أن بعض الحنفية من الافغانيين سمع رجلا يقرأ الفاتحة وهو بجانبه فى الصف فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على ظهره فكاد يموت. وبلغني أن بعضهم كسر سبابة مصل لرفعه إياها فى التشهد ، وقد بلغ من ايذاء بعض المتعصبين لبعض فى طرابلس الشام في آخر القرن الماضي أن ذهب بعض شيوخ الشافعية الى المفتي، وهو رئيس العلماء وقال له : اقسم المساجد بيننا وبين الحنفية فان فلانا من فقهائهم يعدنا كاهل الذمة بما أذاع فى هذه الايام من خلافهم فى تزوج الحنفي بالشافعية وقول بعضهم لا يصح لانها تشك فى ايمانها لان الشافعية وغيرهم من الاشعرية يجوزون أن يقول المسلم : أنا مؤمن ان شاء الله . وقول آخرين بل يصح نكاحها قياسا على الذمية !

فاين هذا التعصب والايذاء والتفريق بين المسلمين بالآراء الاجتهادية من تساهل السلف الصالح ، وأخذهم بما أراده الرحمن من اليسر في الشرع وانتفاء الحرج فيه ، واتقائهم التفريق بين المسلمين بظنون اجتهادية رجح

بها كل ناظر ما رآه أقرب الى النصوص أو الى حكمة الشارع ، حتى كان أشهر الائمة لا يستحلون الجزم بالحكم فيها ، فيقول أحدهم أكره كذا ، أو استقبحه ، أو أخشى أن يكون كذا أو لا ينبغي ولا يصلح ولا يعجبني أو لا أحبه ولا استحسنه ، ويقول في مقابل ذلك يفعل السائل كذا احتياطا أو أحب كذا أو يعجبني أو أعجب إليّ وهذا أحسن . هكذا كان يقول الامام أحمد في المسائل الاجتهادية أو فيما لا نص صحيحا صريحا فيه من الكتاب أو السنة ويؤثر نحوه عن غيره ، ولكن مدوني المذهب جعلوا هذه التقوى والورع في التشريع قواعد له في أحكام التكليف وطرق الاستنباط والاستدلال . وصارت الحنابلة فرقة ذات مذهب مستقل في الفروع ، بل صار المتكلمون يعدونهم فرقة مستقلة في أصول العقائد أيضا ، وانما كان الامام احمد رحمه الله تعالى إماما لجميع أهل السنة في الاصول والفروع باستمساكه في أصول الدين والعبادات بنصوص الكتاب والسنة وما صح عن علماء الصحابة من فهم وهدي وعمل مفسر لهما ، ولكن أصحابه حرصوا على ما نقلوا عنه من فهم واستنباط أن يضيع فدونوه كما فعل سائر الائمة وأصحابهم لا ليقلد لذاته بل لاجل فتح أبواب العلم وتسهيله لطالبيه من الافراد في العبادات ومن الحكام في الامور القضائية والدولية ، وكانوا يقرنونه بأدلته ليكون الدليل هو العمدة في العمل وفي الترجيح بينه وبين غيره ، ولم يقصد أحد منهم أن يكون شارعا أو كالشارع في كونه يتبع لذاته فضلا عن التزام طائفة من الامة للتعصب له بمثل ما وقع ، ولا أن تفترق الطوائف المقلدة لكل منهم وتتعادى فتكون كمتبعي الشرائع المتعددة المختلفة ، هذه معاص مجمع على تحريمها .

قال الامام المزني صاحب الامام الشافعي في أول مختصره المشهور

بعد البسملة ما نصه : قال أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيي المزني (رحمه الله) « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه ، وبالله التوفيق » اه

وقال ملا على القاريء الحنفي المحدث في رسالته التي ألفها في اشارة المسبحة : وقد اغرب الكيد اني حيث قال « العاشر من المحرمات الاشارة بالسبابة كأهل الحديث » أي مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث الرسول (ص) وهذا منه خطأ عظيم ، وجرم جسيم ، منشؤه الجهل لقواعد الاصول ، ومراتب الفروع من المنقول ، ولولا حسن الظن به ، وتأويل كلامه بسببه ، لكان كفره صريحا ، وارتداده صريحا ، فهل لمؤمن أن يحرم ماثبت فعله عنه (ص) مما كاد نقله أن يكون متواترا ، ويمنع جواز ماعليه عامة العلماء كابرا عن كابر مكابرا ، والحال أن الامام الاعظم ، والهمام الاقدم ، قال : لايحل لاحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم مأخذه من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس الجلي في المسألة » الخ ماقاله ليثبت به ان قاعدة ابي حنيفة رحمه الله تعالى في الاتباع تقتضي رفع المسبحة في التشهد لثبوت الحديث به

ولكن المتعصبين الذين يقطع بعضهم أصبع من رفع سبابته تقليداً لمن حرمه من أهل مذهبهم لايعلمون أنهم هم الذين يرتكبون المحرم بالاجماع عقابا على الواجب أو المندوب بالاجماع أو بما صح من سنة النبي (ص) لا على مخالفة سنته (ص) كما سمعته باذني من بعض طلاب العلم الافغانيين في مسجد لاهور الجامع في الهند وقد سألتهم عن صحة مانقل عن بعض

أهل بلادهم في ذلك فقالوا نعم وعللوه بانه عقاب على مخالفة الرسول (ص) وترك سنته أي وعلى عداوة شرع الله تعالى واستحلال ما حرمه اذ قال بعض فقهائهم بتحريم رفع الاصبع في التشهد ، والتحريم في عرف أهل الاصول خطاب الله المقتضي لترك اقتضاء جازما . وأين هذا الخطاب الالهي القطعي ؟ هل هو قول مثل الكيداني المصرح بمخالفة أهل الحديث؟؟

ان الاحكام العملية التي هي موضوع الفقه منها ما ثبت بالدليل القطعي المجمع عليه كاركان الاسلام وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهو ما يكون باتباعه المؤمن به مسلما وبجحده أو استحلال مخالفته كافراً وبمخالفته فاسقا على التفصيل المعروف ، ومنها ما هو محل النظر والاجتهاد وهو الذي وقع فيه الخلاف بين علماء الامة للاختلاف في رواية النصوص او في دلالتها ، أو لعدم العلم بالنص والرجوع في الاستنباط الى القواعد العامة او القياس المختلف في حجيته (١) وكانوا متفقين على أن من خالف مضمون نص لم يبلغه أو بلغه نص غير قطعي الدلالة لانه لم يظهر له أو بذل جهده في استبانة مراد الشارع في مسألة فترجح عنده فيها شيء فعمل به مخطئا فهو معذور ، فهل يكون بمخالفته لاجتهاد غيره مأزورا غير معذور ؟

ان النبي (ص) لم يجعل قوله تعالى في الخمر والميسر (وإثمهما أكبر من نفعهما) نصا في تحريمهما على جميع الامة وانما حرمها به من فهم

(١) أنكر الظاهرية من أهل السنة وبعض المعتزلة حجية القياس مطلقا ، ومنعه بعض الاصوليين في أسباب الاحكام وفي الحدود والكفارات وبعضهم في العبادات لانها هي المرادة باكمال الله الدين وخصها بعضهم بالامور التعبدية ككل ما لا يعقل ، ومذهب مالك الاخذ في العبادات بظواهر نصوص الكتاب والسنة واعتبار المصالح والتوسع في الاجتهاد في الاحكام الدنيوية .

منه الدلالة على التحريم فترك شرب الخمر والمقامرة — وهو مايقطع بمثله الفقهاء كافة — حتى اذا مانزل فيهما وفي الانصاب والازلام ان ذلك كله (رجس من عمل الشيطان) والامر القطعي بالتحريم وهو قوله تعالى (فاجتنبوه) الى قوله تعالى (فهل انتم منتهون) اجمعوا على تركه، وجعله النبي (ص) تشريعا عاما يخاطب به كل مؤمن، واهرق جميع الصحابة الذين كانوا يشربون الخمر ما كان عندهم منها فاخذ علماء السلف من هذا أن التشريع العام ماكان بهذه الدرجة من الصحة والصراحة القطعية في النصوص، وان ما دونه مما فيه مجال للاجتهاد في الرواية أو الدلالة محل سعة لا يكلف كل مؤمن الاخذ به ، وانما يكلفه من ثبت عنده أو وثق بعلم مفتيه به ودينه فقلده فيه . ولم يكونوا يبيحون أن يكون مما يجبر عليه أحد أو تفرق كلمة المسلمين فيه ، وقد كان النبي (ص) يقر كلا من المختلفين في الفهم على اجتهاده فيما هو محل الاجتهاد ، كمسألة نهيه صلاة العصر الا في قريظة: أقر من أخذ منهم بمنطوق النهي فلم يصلها إلا في قريظة. ومن صلى أولا ثم ادرك معه قريظة لانهم فهموا أن المراد من النهي عدم التخلف عن الخروج وادراك قريظة في الوقت المراد

وبناء على هذا لم يرض الامام مالك رحمه الله تعالى أن يحمل هارون الرشيد جميع المسلمين على العمل بموطئه على ماكان من تحريه في روايته ومن مواطأة علماء دار الهجرة له عليه — وبناء عليه كان الامام المجتهد منهم ينهى من يستفتونه أن يتخذوا فتواه دينا يتقلدونه أو أن يجعلوه سببا للتفرق — وبناء عليه كان أحدهم يأخذ باجتهاد غيره ترخصا أو موافقة لجماعة المسلمين

روي عن الامام احمد أنه كان يرى الوضوء من الحجامة والفصد فسئل عمن رأى الامام احتجم وقام الى الصلاة ولم يتوضأ أيصلي خلفه ؟

فقال كيف لا اصلي خاف مالك وسعيد بن المسيب؟ وفي رواية انه قال للسائل أأنهاك أن تصلي مع فلان وفلان؟ وكان أبو حنيفة واصحابه يرون الوضوء من خروج الدم ولكن أبا يوسف رأى هارون الرشيد احتجم وصلى ولم يتوضأ — وكان مالك افتاه بأنه لا وضوء عليه اذا هو احتجم — فصلى أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة . واغتسل أبو يوسف في الحمام وصلى الجمعة ثم اخبر بعد الصلاة انه كان في بئر الحمام فأرة ميتة فلم يعد الصلاة وقال : نأخذ بقول اخواننا من أهل الحجاز « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث » ولم يكن هذا تقليداً منه لانه يعرف دليله وهو حديث القلتين الذي ذكره ولكنه غير قطعي الرواية والدلالة كما أنه ليس دون قولهم في حد الماء الكثير

ونقل أن الشافعي رحمه الله ترك القنوت في الصبح لما صلى مع جماعة الحنفية في مسجد إمامهم (لعله في المكان المعروف اليوم بالاعظمية من ضواحي بغداد) فقال الحنفية انه فعل ذلك أدبا مع الامام ، وقال الشافعية بل تغير اجتهاده في ذلك الوقت ، والظاهر مما تقدم أنه لم يرد أن يخالف جماعة من المسلمين مخالفة عملية ، في مسألة اجتماعية غير قطعية ، فان اختلاف الظواهر من اسباب اختلاف البواطن ، كما يؤخذ من حديث « عباد الله لتسوُنَّ صفوفكم ، أو ليخالفن الله بين وجوهكم » رواه الجماعة من حديث النعمان بن بشير مرفوعا ولكن سقط من رواية البخاري كلمة « عباد الله » قال النووي في شرح مسلم بعد ذكر حمل الوجوه على حقيقتها : والاظهر والله اعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما تقول تغير وجه فلان ، أي ظهر لي من وجهه كراهة ، لان

مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم ، واختلاف الظواهر ، سبب لاختلاف البواطن اه ويؤيده رواية أبي داود له بلفظ « أو ليخالفن الله بين قلوبكم » ويؤيد المعنى من المعقول والتجارب ماثبت من أن الاتفاق في العادات واللباس من اسباب التآلف، والاختلاف فيها من اسباب التناكر والتنافر ، فكيف اذا كان الخلاف في الدين ، وكان كل فريق يعتقد أن الآخر مخالف بمخالفته لله ولرسوله بدعواه ان ما عليه اهل مذهبه هو الحق ، وما خالفهم فيه غيرهم باطل ؟

ولكن المتعصبين للمذاهب لا يفقهون مايفقهه مثل الشافعي من حكم الدين ومقاصده فهم يتحرون مسائل الخلاف ويلتزمونها ، من حيث يترك بعضهم العمل بكثير من مسائل الاتفاق وان كانت مجمعا عليها ، ولهم أشد استمساكا بخلاف الذين يعيشون معهم ، منهم بخلاف البعداء عنهم ، فهم يقيمون في المسجد الواحد جماعتين أو أكثر في وقت واحد ، ويرسل بعضهم أيديهم ويقبضها بعض في الصف الواحد... وبذلك جعلوا اختلاف الاجتهاد بين العلماء نقمة ، على حين كان يعد عند اولئك العلماء نعمة ، وإنما سبب ذلك اتباع الاهواء ، وتنازع الزعماء ، الذين ورد في وصفهم الاثر بأنهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها ، وما اغرى فقهاء المذاهب المتبعة بالتعصب الذي أطال أبو حامد الغزالي نعيه عليهم في احيائه الا حب الرياسة كما قال ، بل ما اغراهم بالاشتغال بها دون غيرها ، إلا ما بيّنه المقريزي المؤرخ الحكيم من وقف الاوقاف عليها ، والتزام بعض الملوك والامراء لتقليد بعضها والحكم به ، ولولا ذلك لفعلوا باقوال أئمة هذه المذاهب ، ما فعلوه باقوال غيرهم من علماء الصحابة والتابعين من المزج

وعدم الافراد بالتأليف والتدريس

وجملة القول أن التفرق بين المسلمين باختلاف المذاهب والآراء وتعصب كل شيعة لمذهب منها في الاصول أو الفروع هو من أكبر الكبائر الثابتة بنصوص الكتاب والسنة القطعية المجمع عليها ، ولا شيء منها بقطعي مجمع عليه ، فمن مقتضى أصولهم كلهم وجوب ترك كل أسباب هذا التفرق والاختلاف حتى قال الغزالي في القسطاس المستقيم بالاكتفاء بالعمل بالمجمع عليه وعد المسائل الظنية المختلف فيها كأن لم تكن ؛

ثم إن ما ترتب على التفرق من الضرر والفساد المدون في التاريخ ، والذي أفضى في هذه الازمنة الى ضعف المسلمين وذهاب ملكهم وتمكين الاجانب من الاستيلاء على بلادهم وما زالوا ينفرون بعض المختلفين في المذاهب من بعض كما هو واقع في اليمن ونجد مع غيرهما من بلاد العرب — كل ذلك مما يؤكد وجوب تلافي شرور هذا التفرق وجمع الكلمة ووحدة الامة ، وكان هذا الغرض من أهم ما أنشأنا لاجله مجلتنا (المنار) وأول ما كتبناه من التفصيل في ذلك (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين ٣ و ٤ أي من أكثر من ربع قرن ثم جمعت في كتاب مستقل منذ بضع عشرة سنة .

(للكلام بقية)



رفيق العظم

(وفاته وترجمته)

في يوم عرفة (٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ الموافق ٣٠ حزيران (يونيه) سنة ١٩٢٥ م) فجعت البلاد المصرية والسورية ، بل الامة العربية ، برجل كان من أعلى رجالها قدراً ، وأنبههم فيها ذكراً ، واعظمهم لديها ذخراً ، رجل الحسب الشامخ ، والادب العالي ، والفكر المنير ، والوطنية الصادقة ، العالم المؤرخ ، الكاتب الاجتماعي ، العامل السياسي ، صديقي الوفي ، (رفيق بك العظم) ابن محمود بك خليل العظم من اسرة آل العظم السورية العريقة في المجد ، ففقدت الامة بفقده زعيما كبيراً ، ونابغا حكيما ، وكاتبا قديراً ، في زمن هي أحوج فيه الى الرجال المحنكين ، والزعماء المخلصين منها الى العافية للابدان ، والطمأنينة للحيران ، فرحمه الله تعالى

نشأته الاولى

ولد الفقيد في دمشق سنة ١٢٨٢ هـ ونشأ كما كان ينشأ أمثاله من أبناء الوجهاء المترفين في ذلك العهد فلم يعن والده بتعليمه في مدارس العلم العربية لانها خاصة برجال الدين ، ولا في مدارس الحكومة العثمانية الاعدادية والعالية ، لعدم شعوره بالحاجة الى تخريجه فيها ، أو عدم رغبته بجعله من عمالها وموظفيها ، الذين لا تكنهم دار ، ولا يقر لهم بين أهلهم قرار ، أو لمحض الاهمال ، على انه هو لم يتعلم تعلما منظما وانما أخذ بعض المبادي عن بعض شيوخ عصره وكان يعاشر العلماء والادباء والمتصوفة ويطالع الكتب ودواوين الشعر لاجل التسلية ، فكان بذلك شاعرا ومؤلفا في

الادب والتصوف وجاء فقيدنا وارثاله في ذكائه ونشأته ولكنه فاقه في الجد والعلم النافع والعمل ، أخذ التعليم الابتدائي في كتاب أهلي ، ثم أخذ شيئاً من مبادىء اللغة العربية عن الاستاذ الفاضل الشيخ توفيق أفندي الايوبي الشهير ، وكان كل ما حصله بعد ذلك بمطالعاته الشخصية فهل كان يدور في خلد أحد أن مؤلف كتاب أشهر مشاهير الاسلام وغيره من الكتب والرسائل والمقالات الكثيرة في كبري الجرائد والمجلات المصرية لم يقرأ كتابا حافلا من كتب النحو والصرف ولا من كتب المعاني والبيان ، ولم يتلق علما ولا فنا قديما ولا حديثا عن استاذ ؟ فما هذا الذكاء النادر الذي وضعه في مصاف العلماء المصنفين ، والكتاب المجيدين ؟ وما تلك الهمة العالية التي رفعته الى مقام الزعماء السياسيين ، ورجال الانقلاب المدبرين ؟

كان رفيق ذكي الفؤاد ، ميالا بفطرته الى العلم والجد ومعالي الامور ، عزوفا عن سفسافها وصغائرها ، نبت به هذه الفطرة الزكية عن صرف أوقات صباه في اللهو واللعب مع أمثاله من أبناء الموسرين ، وجذبته الى معاشرة أهل العلم والادب والافكار في الامور العامة كالاستاذ المرحوم الشيخ طاهر الجزائري والاستاذ الشيخ سليم البخاري والاستاذ الشيخ توفيق الايوبي من كهول مشيخة الشام والاستاذ الشيخ محمد علي مسلم ومحمد افندي كرد علي من الاتراب ، وحبب اليه البحث ومطالعة كتب الادب والتاريخ وكانت نزعته العلمية وكذا الاجتماعية إسلامية ، حتى ان علماء الاقطار البعيدة الذين وصلت اليهم كتبه ورسائله بعد ذلك كانوا يظنون أنه من علماء الدين

اشتغاله بالسياسة وهجرته الى مصر

ثم إنه كان يعاشر أحرار رجال الحكومة العثمانية من الترك وغيرهم

أيضاً، وتعلم اللغة التركية باجتهاده حتى صار يقرأ كتبها وجرائدها. وإذ كان ميالا بطبعه الى السياسة والامور العامة استماله بعضهم الى الاشتغال معهم في جمعياتهم السرية فدخل أولا في جمعية الدستور التى أسسها في الشام اسعد بك مدير البوليس فيها ثم في جمعية الاتحاد والترقي

ولما اشتد السلطان عبد الحميد في مطاردة السياسيين العثمانيين طلاب الدستور وطفق ينكل بمن يتعذر استمالته منهم بالوظائف أو الرتب والنياشين ازمع الفقيد الهجرة الى مصر ، ويقول شقيقه الكبير عثمان بك إن ذلك كان سنة ١٨٩٤ م

وبعد استقراره في مصر واتخاذها دار هجرة ومقامة طفق ينشر المقالات السياسية والاجتماعية في أشهر جرائدها اليومية : الاهرام فالمقطم فالمؤيد فاللواء ، وفى أشهر مجلاتها كالمقتطف والهلال والمنار والموسوعات وكان يختلف الى مجالس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ولا سيما بعد تلاقينا وتوادنا ، وكان له بالشيخ علي يوسف صاحب المؤيد صلة ود وثيقه ، ثم كان من اصدقاء الزعيمين السياسيين مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك منذ نشأتهما السياسية الاولى وظهورهما في ميدان السياسة الى آخر عمرهما حتى إنه رثى محمد بك فريد حين علم بموته - طريد وطنيته - فى اوربة بابيات من الشعر وجدهما شقيقه عثمان بك في أوراقه ، وقد رثى قبله الاستاذ الشيخ طاهرا ، ولعل هذين الرثائين آخر مانظم ، وليسا كل مانظم ، فقد كان رحمه الله ينظم الشعر بما يجده من الداعية فى نفسه لارضاء نفسه ، ولكنه لم يكن يحب أن ينشر شيئا من شعره في الجرائد ولا أن يظهره للناس ، إما لانه لم يكن يراه بالمنزلة اللائقة بشهرته ، أو لانه لم يكن يحب

أن يسمى شاعراً، واذ كان الشعر عنده امراً ثانوياً ذكرناه في ترجمته استطرادا

تلاقينا وتعاوننا على خدمة الامة

في منتصف سنة ١٣١٥ (الموافق لخريف سنة ١٨٩٧ م) هاجر كاتب هذه الترجمة الى مصر ، وفي الربع الاخير منها أنشأ (المنار) فكان سبباً للتعارف والتآلف بينه وبين الفقيد فالتعاون على الاصلاح السياسي والاجتماعي فالاشتراك في الاحزاب والجمعيات السرية والجهرية

وكانت اول جمعية سياسية أسسناها بمصر (جمعية الشوري العثمانية) وقد اشترك في تأليفها معنا رجال من سائر الشعوب العثمانية الكبرى وفي مقدمتهم الترك والجركس والارمن ، وكان من اعضائها المؤسسين الضابط صائب بك الذي كان حاجبا لصاحب الدولة احمد مختار باشا الغازي ومندوبا لجمعية الاتحاد والترقي بمصر ثم ترك خدمة المندوب العثماني السامي إيثاراً للسياسة التي تغضب السلطان عليها ، ومنهم الدكتور عبدالله جودت بك المشهور أحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي اول مرة ، وكان هو (السكرتير التركي) لها ، وكان الفقيد أمين صندوقها وابن خاله حقي بك (سكرتيرها العربي) وكاتب هذه السطور رئيس مجلس ادارتها

كان تأسيس هذه الجمعية موافقا لرأي صاحب الدولة احمد مختار باشا الغازي المندوب العثماني السامي بمصر وانا الذي استشرته في ذلك وطلبت منه ان يمنحها رعايته ويأذن لنجله محمود باشا بأن يكون الرئيس العام أو رئيس شرف لها فيمدها بمساعدته . فقال ان الاصلاح لا يأتي من الاعلى ومن رجال الدولة انما يأتي من وسط الامة ومن الطبقات الدنيا فيها، وأخبرني ان السلطان علم بوجود الجمعية وهو أنه يرسل البرقيات اليه تترى في السؤال

عنها وعن مؤسسيها ويسميها جمعية إفسادية ، وانه تجاهل في جوابه أولا ثم كتب اليه بان لا إفساد ولا ضرر منها فانها مؤلفة من بعض أهل العلم وابناء الاسر الوجيهة المخلصة للدولة

ثم علمنا من شأن اهتمام السلطان بها ماهو فوق ذلك فقد روي لنا حقي بك عن خاله المرحوم صادق باشا المؤيد عن السلطان نفسه ان نبأ هذه الجمعية أقض مضجعه فبقي ثلاث ليال لا تذوق عيناه النوم إلا غرارا، ولم يقر له قرار حتى عرف مؤسسيها من بعض جواسيسه بمصر (وهو رجل اسمه كامل بك) دخل الجمعية بعد تأسيسها وأظهر من الاخلاص لها والعناية بخدمتها ماكان محل اعجاب جميع الاعضاء

ولا غرو، فقد كان عمل الجمعية عظيما : تأسس لها فروع في الاقطار المختلفة ،وكانت تطبع المنشورات بالعربية وبالتركية وترسلها الى فروعها فى البرد الاجنبية فيوزعونها فى الولايات التى يقيمون فيها وفيما جاورها بل كان يرسل بعض هـذه المنشورات فى البواخر الروسية مع بعض المسافرين والمستخدمين فيها الى ثغور البحر الاسود فيأخذها هنالك منهم من يتولون ارسالها الى جميع بلاد الاناضول

ثم أصدرت الجمعية(في فبراير سنة ٩٠٧) جريدة باسمها(الشوري العثمانية)استغنينا بها عن المنشورات وكان الفقيد يحرر القسم العربي منها وحقي بك يحرر القسم التركي إما انشاء واما ترجمة لما يكتبه الفقيد أو غيره منا بالعربية ، وقلما كنا نساعدهما على ذلك ، وكان ينشر فيها بعض المقالات باللغة الفرنسية أيضا

وبلغ من عناية جمعية الاتحاد والترقي بالجمعية فوق ماكان من التعاون

والمراسلة بينهما من أوربة ومن المركز العام في سلانيك ان أحمد رضا بك الشهير جاء من باريس الى مصر لاجل السعي لتوحيد الجمعيتين ، وقد قصد الفقيد أولا وكلمه في ذلك فجاء به الي فلما كلمني قلت له ان جمعيتكم تركية وجمعيتنا عثمانية عامة فنحن لا نتفق معكم إلا في مقاومة الاستبداد والظلم والسعي لجعل الحكم بالشورى النيابية . قال ونحن جمعيتنا عثمانية لا يميز قانونها التركي على غيره . قلت هي عثمانية بالقانون تركية بالفعل ، فليس في زعمائها أحد من غير الترك ، فقانونها كقوانين السلطان عبد الحميد ولو كان السلطان عبد الحميد ينفذ قوانين الدولة على علاتها لما أبحت لنفسي ولا لغيري أن يسعى لتغيير شكل الحكومة أو يقاوم نفوذه فيها . . . ثم اتفقنا على ان تعمل الجمعيتان بالتعاون مع بقاء كل جمعية على حالها .

ثم ان جمعية الاتحاد والترقي عادت بعد إعلان الدستور فكتبت الى جمعيتنا من المركز العام تدعوها الى الحلول فيها والاتحاد بها فاشترطنا في ذلك شروطا لم تقبلها، ولكن الفقيد وحقي بك دخلا في جمعيتهم عند زيارتهما الآستانة بعد الدستور ، وتفرق سائر الاعضاء الذين لم يجمعهم في مصر إلا الاضطهاد، فلم يبق لجمعية الشورى عمل

أطلت بعض الاطالة فى ذكر هذه الجمعية لان عمل الفقيد فيها كان عظيما وقد أنفق من ماله فى سبيلها مالم ينفقه غيره ولولا اغترارة بجمعية الاتحاد والترقي لرضي بما ارتأيته من إبقاء فروع الجمعية وتكثيرها فى البلاد العربية لتكون قوة للعرب امام تعصب الاتحاديين الترك ، ولكنه قال لي بعد عودته من الاستانة: اني عدت الى جمعيتي الاصلية ، وان بقاء جمعيتنا تفريق غير جائز، على أنه عاد من الآستانة غير راض عن سير الاتحاديين

رضاء تاما ، ثم صار يشاهد آنابعد آن من تعصبهم على العرب وهضمهم لحقوقهم ما حاول ان يتلافاه بطرق الاقناع فألف في ذلك رسالة طويلة يئس من فائدتها قبل أن يتمها فلم ينشرها وسيأتي الكلام عليها عند ذكر مؤلفاته وآثاره

وكان آخر الجمعيات السرية التي اشتركنا في تأسيسها جمعية عربية أسست للتأليف بين أمراء جزيرة العرب وللتعاون والاتفاق بين الجمعيات السياسية التي أنشئت في الولايات العربية وفي الآستانة لمقاومة تعصب الاتحاديين وضغطهم على العرب ولحفظ حقوق العرب في الدولة والعمل لمستقبلهم

كان تأسيس هذه الجمعية ضروريا لان آفة العرب المفسدة لجميع مواهبهم الفطرية هي التفرق والاختلاف، وكان الملجيء اليها انكسار الدولة العثمانية في حرب البلقان ، والخوف على البلاد العربية ان تتخطفها الدول المستعمرة ، فرأى المؤسسون ان قوة العرب في جزيرتهم ، وانها لا يمكن الانتفاع بها الا بتأسيس اتحاد حلفي يجمع بين أمرائها، وكان قد سبق لهذا تمهيد من بعض المؤسسين ، ثم وضع له النظام الذي يرجى تنفيذه ، وأما الجمعيات العربية فكانت مختلفة المقاصد ، وليس بينها من التعارف والاستعداد للاتحاد عند الحاجة ما يؤمن معه سوء المغبة ، ويرجى به حسن العاقبة ، فوضعت الجمعية نظاما لذلك ، ولم يقنع المترجم بضرورة هذه الجمعية الا بعد ان رأى من انكسار الدولة في حرب البلقان ما أقنعه بأنه ليس لها من القوة الذاتية ما يضمن بقاءها، وانها عرضة للزوال فجأة إذا صدمتها صدمة أخرى ،

الاحزاب الجهرية

وأما الاحزاب الجهرية التي اشتركنا فيها فهي حزب اللامركزية وكان الفقيد رئيسا له وحزب الاتحاد السوري وأمرهما معروف للجمهور فلا

حاجة الى شرح خدمة المترجم لوطنه فيهما. وانما أقول ان حزب اللامركزية كان يراد به خدمة الدولة والبلاد العربية معا، وكان سبب تأسيسه ماذكرآنفا من سبب تأليف الجمعية العربية وهو ما أنذرت الحرب البلقانية العثمانية من توقع زوال الدولة، وقد كنا نعتقد أن الدولة لا يمكن أن تعيش طويلا اذا أصرت على شكل حكومتها المركزي وتحكيم الترك في جميع شعوب الدولة ، وكان المترجم رحمه الله تعالى حريصاً على بقاء الدولة وكان على هدى وبصيرة في ذلك وكنا متفقين معا على هذا الرأي، وعلى أن العرب يحتاجون الى زمن طويل لترقيه أنفسهم وجمع كلمتهم واستغنائهم عن الدولة ان زالت أو بقيت، وكنا نرى أن الخروج على الدولة ضار وخطره على العرب أشد من خطره على الترك ،ولا أقول إن كل أعضاء الحزب كانوا على رأينا وانما كانوا متفقين على أن شكل الحكم اللامركزي خير لبلادنا ولغيرها. وكان لبعضهم أهواء أخرى وشذوذ فى الفكر وفى العمل، ولكن الحزب نفسه لم ينحرف عن قانونه المستقيم

وأما حزب الاتحاد السوري فامره أظهر ، لان العهد به أقرب، وكان الفقيد من المؤسسين له ولكنه تركه منذ سنين واعتزل السياسة وغيرها من الاعمال ، لان صحته ساءت ، واشتد عليه مرض الربو ، وضاعفه تصلب الشرايين فضعف القلب ، حتى أودى ذلك كله بحياته فجأة

هذا واننا لم نختلف في كل هذه المدة في مقصد من المقاصد ولا في مهمات الوسائل أيضاً ، إلا ما كان في أيام حرب المدنية الكبرى فقد اختلفنا فى مسائل مهمة لا يحسن فى هذه الترجمة ذكرها ، ونحمد الله تعالى ان كان اختلافنا محصورا فى مناقشات جرت بيننا ، لم تتجاوزنا الى غيرنا ،

آثاره القلمية

(١) ان أجل تآليفه وأعظم آثاره العلمية هو تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) الذى طار به صيته فى الاقطار، وانما أتم منه اربعة أجزاء طبعت مراراً ونفدت نسخها

(٢) وكتاب (السوانح الفكرية، فى المباحث العلمية) وهو كتاب اجتماعي أدبي جعله اربعة أقسام: (القسم الاول المدنيـة ودواعيها، وأسباب تقدمها او تلاشيها) وفيه ٣ أبحاث (القسم الثانى التربية والاخلاق) وفيه ٤ أبحاث (القسم الثالث الادبيات) وفيها ٤ ابحاث (القسم الرابع مباحث علمية مختلفة) وفيه ٥ ابحاث خامسها (التفرنج) وقد أطال فى ذمه، ووصف ضرره وشره.

وهذا الكتاب مبيض بخطه في زهاء مائة صفحة من القطع الوسط وانما صده عن طبعه - كما اظن - أنه أثنى في فاتحته على السلطان عبدالحميد فاطراه إطراء لم يلبث ان ظهر له انه مخطىء فيه، بعد أن انخدع كغيره بما كانت تنشره جميع الجرائد العربية والتركية من مدائحه المنثورة والمنظومة ويحسن بي ان أذكر عبارته فى ذلك لما فيها من الدلالة اللفظية والمعنوية، على حال فقيدنا العزيز الفكرية والادبية، قال:

« وانى لما رأيت أبناء وطنى قد تفتحت منهم الاذهان وتنبه بعد الرقدة والفكر، وسرى سر الحمية فى أمثالي من شبان هذا العصر، فأخذوا يتتبعون أشتات العلوم والمعارف، ويتفيؤن تحت ظلها الوارف، بوجود من لا تكل عن الثناء عليه ألسنة رعيته، وقد اتحدت القلوب تحت راية عدله وشوكته، السلطان بن السلطان، السلطان الغازي عبدالحميد،

المحفوف من الله بالعز والتأييد ، فقد أحببت إتحافهم بكتاب يروق في عين كل لبيب ، ويحتاج اليه كل أديب أريب ، وشحت بفرائد الفوائد طروسه ، وأبرزت في دست الكمال عروسه ، ليكون بهجة للناظرين ، ولذة للسامعين »

وانني لم أره رحمه الله أسجاعا كهذه في غير هذا الكتاب الذي كان من أول ما كتب ، وأول ما ألف على ما أعلم ، بيد انه لم يلتزم السجع الا في خطبته فقط ، وهو لا يخلو من لحن فيما هو من ضروريات علم النحو ، وهاك اسماء بقية آثاره القلمية التامة :

(٣) كتاب الدروس الحكمية ، للناشئة الاسلامية) وكفاه تقريظا له ان الاستاذ الامام قرر تدريسه في مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية

(٤) رسالة تنبيه الافهام ، الى مطالب الحياة الاجتماعية في الاسلام

(٥) « كيفية انتشار الاديان

(٦) « الجامعة الاسلامية وأوربة

وله خطب علمية ألقاها في بعض المحافل العلمية والمدارس العالية نشر بعضها في المنار وبعضها في مجلة دار العلوم . وهذه يسهل جمعها وطبعها كمقالاته في المجلات . وأما مقالاته في الجرائد فهي كثيرة وجمعها متعذر أو متعسر

وأما الكتب التي شرع فيها ولم يتمها فهي اثنان (احدهما) كتاب في (تاريخ السياسة الاسلامية) رسم له ثلاثة أقسام عصر الترقي الاسلامي وعصر الوقوف وعصر الانحطاط ، وبدأ القسم الاول بخلاصة السيرة النبوية ، والخلافة والوزارة ، والقضاء والولاية ، وأمارة الجيش ، وكتابة الجيش والديوان والعطاء والكتابة العامة والسفارة الخ .

وكتب منه بعض الابواب ثم وقف قلمه دون اتمامه واتمام أشهر مشاهير الاسلام وغيرهما . ولو اتمه على المنهج الذي وضعه له لكان اجل من تاريخ أشهر مشاهير الاسلام ، بل من اهم الكتب التى يحتاج اليها المسلمون على الاطلاق

(ثانيهما) الرسالة التي سبقت الاشارة اليها في الخلاف بين الترك والعرب وقد كتب منها ٦٧ صفحة كبيرة انتهى فيها الى البحث فيما سماه (أرجوفة الخلافة العربية) فبدأ به ولم يتمه وهذه الرسالة حجة بينة على شدة اخلاصه للدولة العثمانية وكراهته الشديدة للرابطة الجنسية وتنفيره عنها ، وكان رجال جمعيته الاتحادية يتهمونه مع ذلك بعداوتها ويتمنون لو تصل اليه ايديهم ليقتلوه شر قتلة ، وهو لشدة اخلاصه في خدمته للدولة بحزب اللامركزية العثمانية الذى كان رئيساً له صدق الاتحاديين فيما ادعوه من الرغبة فى الاتفاق مع العرب واعطائهم حقوقهم عقب مؤتمر باريس العربي الذي عقد هنالك باسم حزب اللامركزية . وانخدع كما نخدع رئيس ذلك المؤتمر اخونا الشهيد السعيد السيد عبد الحميد الزهراوي قدس الله روحه الذي كان من اغتراره بخلابتهم ان دعاني ودعا الفقيد الى الذهاب الى الاستانة للاشتراك فى توثيق روابط الاخاء والوحدة بين العرب والترك فاما الفقيد فقد انخدع وزاد في اطمئنانه كتابة بعض اصدقائه من رجال الترك الاتحاديين كجلال الدين بك عارف وأخيه نجم الدين بك فارسل برقية الى الاستانة وعد فيها باجابة الطلب والعزم على السفر وذكر لي ذلك بعد ارسالها فوفقت لاقناعه بالبقاء هنا وقلت له انهم يريدون أن يجمعوا الزعماء العاملين هنالك لينتقموا منهم كلهم، ولئن أجبناهم ليحيطن بنا

فلا ينجو منا أحد ، وإني لخائف على أخينا السيد عبد الحميد ولكنني ارجح انهم لا يصيبونه بأذى مادمنا في مصر لانهم يريدون ان يصيدونا به .

ثم كافأني الفقيد احسن الله اليه على هذا إخلاصا في المودة والنصح لا بقصد المكافأة ـ لما علم أني سأعود من الهند الى مصر عن طريق العراق (سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢) فارسل الي برقية بان أعود في البحر خوفا علي من فتك احمد جمال باشا السفاك اذ كان وقتئذ والي بغداد ، والقائد العام لجيش العراق ، ولكن الله سلم ، على أن الفقيد لم ييأس من الدولة كل اليأس الا في أثناء الحرب العامة وما كان من جمال باشا فيها

فهذه جملة سيرة فقيدنا السياسية ، ولولا بعض آثاره العلمية لما كان له شيء يؤثر عنه من وراء السياسة الا أخلاقه العالية وآدابه السامية

أخلاقه وآدابه

قد اوتي الفقيد حظا عظيما من الآداب الاجتماعية والفضائل النفسية والفواضل العملية ، كان نزيه اللسان طاهر القلب ، منزها عن الحسد والحقد ، وفيا لاصدقائه ، برا باهله وصولا لرحمه ، متواضعا في عزة نفس ، ذا مروءة صادقة ونفس سخية ويد مبسوطة ، حسن الضيافة ، كثير الصدقات والمساعدات للجمعيات الخيرية ، قليل التبجح والدعوى ، ماعاشره أحد من قومه ولا من غيرهم من الشعوب الا واحبه واحترمه . ومن آدابه التي يجب أن تذكر بالنص في هذه الترجمة الوجيزة أنه تزوج ولم يرزق ولداً ولا كان مغتبطا ولم اسمع منه ولا عنه منذ عقدت له عقد زواجه الى أن توفاه الله تعالى كلمة تؤذن بحسرته على الحرمان من الولد أو الميل الى التزوج بامرأة أخرى مع زوجه أو بعد تطليقها فهذا من أحسن الوفاء والصبر والقناعة

آداب يقل نظيرها في هذا العصر وفي كل عصر

وكان معتدلا في امور معيشته يقتصر على اللائق به من اللباس ، وجيد الطعام ، من غير اهتمام بالتطرز ، ولا جنوح الى التورن ، ولا افناق في التنعم ، ولكنه كان شديد الولوع بدخان التبغ وكثير الاختلاف الى بعض المقاهي العامة على قلة عنايته بالملاهي وانما كثر ذلك منه بعد أن ضعف جسمه وصار يتعب من الكتابة والمطالعة

وجملة القول أننا قد فقدنا بفقد هذا الصديق الوفي المهذب وأن الامة العربية قد فقدت بفقد الابن البار العامل رجلا لاعزاء عنه إلا أنه قد انتهى الى حال من الضعف والامراض لاهناء له في الحياة معه ولا رجاء في الانتفاع شيء من مواهبه وتجاربه ، فرحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه وأدخلنا وإياه برحمته في عباده الصالحين

السفور والحجاب

(تتمة مقال الامير شكيب أرسلان)

تنبيه من المنار

(كنا رأينا مقال الامير في عدد من جريدة البيان العربية النيويوركية فحفظناه لاجل نقله منها . فلما نشرته بعض الصحف المصرية مجزءا في عددين او ثلاثة أعداد جمعه عمال مطبعتنا من بعضها فاذا هي قد حذفت منه ما قاله فيه الامير عن الاديب الكبير صادق افندى الرافعي من حوار دار بينه وبين شاب مصرى من المتفرنجين لم تنقله الجريدة لان رأي قلم التحرير

الامير شكيب ، وكان من غفلة الجريدة أنها لم تحذف من بقية المقالة ماقاله صاحبها في رأي الشاب المصري وذكره بحرف التعريف والبحث في كلامه فلما وصلت عند تصحيح المقالة الى هذا الموضع (في ص ٢٠٩ ج ٣ الماضي) أمرت بالامساك عن نشر بقية المقالة في الجزء الماضي وطفقت أبحث عن نسخة جريدة البيان لنقل عبارة الرافعي . وهاكها بنصها - ومحلها بعد السطر الحادي عشر منها) قال :

واقرأ النبذة الآتية للاستاذ حجة العرب السيد مصطفى صادق الرافعي أنقلها لك عن كتاب حديث أخرجه آية من آيات البلاغة وهي قوله في شاب حصل العلم في أوربا كان باحثه في هذا الموضوع

« كان صاحبنا فتى تلمع عليه غرة الشباب ، وقد رق حتى كاد يخالط حد الانوثة ، ولان حتى قارب أن يفوت معنى الرجولة ، وظرف حتى أوشك أن يكون انسانا تتفتح في روحه معاني الزهر ، ولكنك اذا كنت رجلا صحيحا أمررته على عينيك كما تمر كتابا لاتريد أن تقرأه ، فقد تمدن في أوربة ولبث عن قومه ماشاء الله ، ثم رجع اليهم كأن أمه لم تلده ، وكأن أباه جده الاعلى ، فبينه وبين أبيه هذا بضعة أجداد منهم المسيو والمستر أو السنيور أو الهر . . . وأصبح يحس ان كل شيء في هذا الاجتماع الشرقي مسلط على نفسه الرقيقة النحيلة بالغلظة والجفاء والعنت والاذى — الى أن قال — :

« سألت هذا الفتى مرة أنت مصري ؟ قال : ووطني صميم قلت : أفترى تصلح في علمك وتهذيبك أن تكون مثالا يتأسى بك نشء بلادك ، قال : إني لارجو ذلك ، قلت : وأنت من القائلين بتحرير المرأة الشرقية ومساواتها بالرجل في الحرية المطلقة وبعثها من هذه القبور التي تسمى المنازل ؟ قال : ذلك مذهبي ، قلت : فكيف ترى اذا اقتدى بك المصريون فأصهروا الى الاوربيين وخلطوا الشمل بالشمل ؟ قال : لعل ذلك خير ألطاف لبلادنا فلا معدل عنه في رأيي إذ يأتيها بالدم الجديد ، ويدمج في طباعها النظام والدقة ، ويبني البيوت من داخلها .

قلت : أحسنت بارك الله عليك فكيف ترى اذا سألناك التسوية وقلنا لك دع أختك تصب الى رجل أوربي وتتزوج منه إجارة . . . وتأت به الى مصر كما أتيت أنت بصاحبة بيتك ، ثم لتفعل كل امرأة مصرية فعلها فيكون لكم أوربيات ويقوم عليهن أوربيون ؟ . . قال : أعوذ بالله ! قلت : فعل الله بك وفعل ، أفيبلغ من غفلتك أن لا تعرف لعنة الله الا اذا رأيتها ملء مملكة ، ولا تعرف حق وطنك فيك الا حين تراه غريباً منقطعا لا حق له في واحد من أهله

فقال (أي الشاب المصري) : فما أنا وأمثالي الا شذوذ من القاعدة التي يجب أن تبقى أبداً قاعدة . قلت : فعليكم غضب القاعدة ومقتها وسخطها ، والله لان تفجع البلاد فيكم جميعا وتستركم بالقبور رمة بعد رمة خير من أن تتقلد منكم بلية الحياة في اختلاط الانساب ، وارتداد الاسماء العربية عن دينها الخ فقال الشاب : فكم من امرأة وطنية هي حمل على ظهر صاحبها ، قلت . وكم من امرأة افرنجية هي كية على قفا صاحبها (هذه عند العرب كناية عن المرأة يسكت الناس عنها أمام زوجها ، فاذا ولى عنهم قالوا في ظهره ماقالوا . . . وكووا قفاه) نكتفي بهذا القدر من كلام حجة العربية الرافعي (١)

***

ولا شك ان كثيراً من قراء هذه المقالة سيفغرون أفواههم الآن ويرفعون عقائرهم قائلين : ماهذا الذي جئتنا به ؟ فليس هذا من لوازم هذا ، وقد يجوز أن نطلق حرية المرأة ونكون من أنصار العرض والدين ، وقد يصح أن ندعو الى السفور ، وأن لانترك أخواتنا يصرن حظايا للآخرين ، وما نحسب الامم التي تدين بحرية المرأة ولا تعرف الحجاب معنى أقل منا شرف رجال وعفة نساء . ألا وان حرية المرأة لاتأتي الا مع التعليم ، ألا وان المرأة اذا تعلمت وتهذبت كان لها من علمها حجاب يحجبها عن الفاحشة — وغير ذلك من الاقوال التي كلنا نعلمها والتي تكررت كثيرا بحيث قد عرفها العوام فضلا عن الخواص

(١) بعد هذه الجملة يجيء مابعد السطر الحادي عشر من ص ٢٠٩ الى آخر مانشر من المقالة في ص ١١٠ ويلي ذلك قوله :

فأنا أقول لاخواني هؤلاء : مهلا مهلا . لا تعجلوا علي ولا تخلطوا شيئاً بشيء فالموضوع عريض متشعب الاطراف لا تكفيه مقالة ولا اثنتان ولا ثلاث . فأما السفور مع العفة والصون وحفظ الانساب ورعاية أحكام الدين فهو السفور الشرعي الذي يجيز للمرأة أن تبرز وتتعاطى الاشغال وتذهب وتجيء ولا يوجب أن تسدل على وجهها ولا أن تدفن نفسها في الحياة ، وهذا سنكتب فيه مقالة تحت عنوان « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ولكن لا يجوز أن تنسوا أن هذا السفور لا يصل الى حد جواز المخادنة الجهرية ولا الى زواج المسلمة بغير المسلم ، وانه اذا كانت المسألة مقصورة على هذه الدرجة فليست في شيء من الرقي الذي يدعيه ناجح ووفقي وعبد الله جودت والشاب المصري ، وكثيرون غيرهم ممن نعرف أسماءهم وممن لم نعرف ، فهذا الرقي هو في عرفهم ليس بأن تمشي المرأة المسلمة في الاسواق سافرة عن وجهها فحسب . فان هذه الدرجة هم يعلمونها جائزة شرعا وطالما برزت النساء المسلمات وأخذن وأعطين في العهود الماضية واشتركن في جلائل الاعمال مع الرجال ، ولم يمنع ذلك شرع ولا عرف . وما جاء من الافراط في الحجاب وعدم خروج النسوة من المنزل الا في النذرى ان هو الا من التعصب الناشيء عن فرط الغيرة ولم يكن من الدين الاسلامي

ولكن هذه الفئة لا ترى هذه الدرجة الا أدنى درجات الرقي الذي يتطلبونه للنساء المسلمات في هذا العصر وهم في ترقية المرأة لا يقنعون بشيء دون حرية الزواج بين المسلمين وغير المسلمين طردا وعكسا ، لا بل حرية المسلمات أن يخادن من شئن على نسق الاوربيات بالتمام . فان كان هذا الذي تطلبونه أنتم معاشر الدعاة الى السفور ولا سيما الذين ناشدوني إعطاء رأيي فيه فينبغي أن تصرحوا به بكل جرأة وتقبلوه بتمامه ، ولا تقولوا كما قال الشاب المصري « أعوذ بالله » فان هذه النظرية هي نظرية مئات ملايين من العالم المتمدين ، وحسبكم أن تكونوا مثلهم في الهيئة الاجتماعية . وان كنتم لم تصلوا بعد الى تلك الدرجة من « الرقي » وكان مرادكم اعطاء المرأة المسلمة الحرية المطلقة على شرط أن لا تخادن ولا تتزوج بغير المسلم أجبناكم : إن هذين نقيضان لا يجتمعان ، الحرية المطلقة من جهة ، والتقييد بزواج المسلم دون غيره :

وبالزواج الشرعي دون غيره من جهة أخرى . نعم تنطبق على الشريعة الحرية المقيدة التي ان كنتم بغيانها فالشريعة الاسلامية قد ضمنتها أحسن ضمان بدون أدنى من ولا تكلف . فأما الحرية النسوية المطلقة التامة والاسلام فلا يجتمعان أبدا ، وعلى المتخير أن يختار أحدهما ، وليس الاسلام وحده غير مطابق للحرية النسوية المطلقة ، بل النصرانية أيضا هي غير مطابقة لها ، لان النصرانية تمنع الخادنة أيضا ، وتحظر على الفتاة المسيحية أن تقترن بغير مسيحي وتزيد على الاسلام في التقييد في كون الاسلام قيد المسلمة بزواج المسلم دون غيره ، ولكنه أباح المسلم الزواج بغير المسلمة ولو بقيت على دينها . وأما النصرانية فانها تمنع زواج المسيحية بغير المسيحي ، وزواج المسيحي بغير المسيحية . فالاسلام في هذا الموضوع أسمح وأوضع . ثم ان النصرانية قيدت أبناءها في أمر الطلاق بحيث لاتجيز للمرأة أن تطلق زوجها ، ولا للرجل أن يطلق امرأته ، واذا أقدما على ذلك لم تجز لهما أن يتزوجا فيما بعد لاهو ولا هي ، فأنت ترى أن حرية المرأة في الدين المسيحي هي أيضا غير مطلقة ولا تامة ، واذا كنا نرى الاوربيين والامريكيين قد خالفوا هذه القواعد ، فالذين يخالفونها منهم ليسوا عاملين بمبادىء النصرانية والى يومنا هذا كل من ينطبق عمله في الحياة الدنيا على مبادىء الكنيسة لايقول بحرية مطلقة المرأة

فأما كون الامم التي ليس فيها حجاب لا تقل عن الامم القائلة بالحجاب عفة نساء وصون حلائل فليس بصحيح ، ان بين الفريقين في هذا الموضوع فرقا بعيدا ، أما نصارى المشرق فانهم مثلنا في العادات والاخلاق وتقييد حرية المرأة في الامور التي يخشون منها على عفتها ، ولذلك لانقدر أن نتخذهم هنا مثالا ، وأما العالم الغربي الذي أباح الحرية التامة للمرأة وتركها تفعل ماتشاء بعد بلوغها سن الرشد فلا أحد يمكنه أن يقول : ان العفة والصون اللذين هما من شرائط الاسلام والنصرانية متوافران فيه بالدرجة التي هما في العالم الاسلامي والعالم المسيحي الشرقي ، لعمري ان مايحصل في باريس وحدها من الفسق والفجور يساوي كل ما يحصل من هذا النوع في جميع العالم الاسلامي ،

وأما كون التعليم يرقي المرأة الى سنام العفاف ويجعلها في غنى عن الحجاب وعن مراقبة بعلها ، فمع كوننا لا ننكر ان التعليم يهذب كثيرا من أخلاق المرأة ويعصم من هواها فلا نستطيع أن نقول انه كاف في هذا الموضوع سادمسد المراقبة الزوجية والقيود الشرعية ، فالتعليم لا يقوم مقام الخوف ولا يصح وحده وازعا، وها نحن أولاء نعرف من الرجال الذين بلغوا الدرجة القصوى من العلم ولم يزدهم علمهم ولا فضلهم عفة مئزر ولا طهارة ذيل ، فنقص الفسق والفجور في العالم الشرقي عن مثله في العالم الغربي لا يقدر ولا يحصى انما هو بقوة سيطرة الرجال على النساء ، وينضم اليه كون الدين لا يزال في الشرق أرسخ مما هو في الغرب ، فتجد المرأة المسلمة والمسيحية الشرقية تخاف عقاب ربها وعقاب زوجها، بخلاف كثير من الاوربيات اللائي أصبحن لا يخفن لا من الخالق ولا من المخلوق

بقي علينا اعتراض قد يقول به كثيرون من الذين يحبون أن يقال لهم « عصريون » محررون من الاوهام والعقائد سائرون في طريق الرقي بعقول علمية صرفة ، وبصائر فنية محضة — وهو ان نفور المسلم من أن يرى أخته أو بنته حليلة لرجل مسيحي أو يهودي أو وثني ، ونفور المسيحي من رؤية أخته أو بنته زوجة لرجل مسلم أو يهودي أو وثني، انما هو من تأثير الاوهام ورسوخ العقائد، لا بل من رسوخ الوساوس التي ليست من الحقائق في شيء ، وكذلك يقال في مخادنة المسلمة أو المسيحية العاملة بدينها لرجل تتفق معه على بدل معلوم تبيعه به عرضها ، فهذا هو أيضاً من عمل الاوهام والوساوس التي بمرور الازمان وشدة التكرار انقلبت شرفا وغيرة وحمية حال كون العلم ينبغي أن يزيل هذه الاوهام من الاذهان وأن يصفيها للحقائق دون غيرها . وان أهم مهمة يقوم بها العصر الحاضر هو تبديد الاوهام وإزالة دولة الخرافات . فان وقع هذا الاعتراض من أحد فنكون رجعنا الى قاعدة فالح رفقي وعبد الله جودت والشاب الذي تحاور مع الرافعي — ولسنا في هذه المقالة رامين الى تفنيد هذا الزعم من حيث هو ، وانما نقول لهم انهم إن كانوا يرون المدنية الاوربية أرجح من الصون والطهر فلا بأس بقبول هذه النظرية على علاتها ، والا فاذا كانوا يلتزمون مبادىء العفة والطهارة

والاحتياط التام لاجل حصول الولد من صلب أبيه ، فلا بد لهم من رفضها أو تقييدها على الاقل وإنني أؤكد لهم أن الانسان ما دام انسانا وما دام هذا تركيبه فإن يمكنه التحرز مما نسميه بالاوهام والعقائد ولن يعول على الحقيقة المجردة من كل عادة وتقليد الا اذا رضي بحالة تشبه حالة البهائم

اننا اذا تأملنا بعين الحقيقة المجردة وجدنا النكاح والسفاح واحداً لافرق بينهما . وأي فرق في العمل بين من يتزوج ومن يزني ؟ فلماذا اذا خامرت الانسان شبهة في امرأته طلقها ، واذا وجد عندها رجلا متمتعاً بعرضها جاز له قتله بدون أن يقاص ولا يضار لا في الشريعة الاسلامية وحدها (١) بل في جميع الشرائع وفي أحدث القوانين الديموقراطية المصرية الجمهورية ؟ — اذا قلنا جاز ذلك لتسلط الزاني على امرأة غيره ، أجبناك : ان هذا الزنا انما وقع برضاها واختيارها فلماذا جاز للزوج أن يقتل الزاني بامرأته ويذهب دم هذا هدرا ؟ ولماذا اتفق أكثر البشر على كون هذه الكبيرة هي أعظم الكبائر ، وان معرتها أفظع المعرات ، وانه لا يهدم الشرف والمجد في البيوت مثل دنس الوساد ، ولا يرفع الراس ويريح الوجدان ويلحف الانسان الشرف بطرفيه مثل نقاء العرض وطهارة البيت . لماذا هذا كله ؟ مع انه بينما هو يعد أكبر الكبائر وأفضح المعرات بدون صورة شرعية ، اذ هو بمجرد شهادة اثنين أو بقصاصة ورق انقلب ناموساً عظيما وعملا شريفا ، وجاء والد البنت نفسه يفرح بتهاليل ابنته ، واجتمع أهل العروس يطبلون ويزمرون ، ويقبلون التهاني على هذا العمل الذي لولا قصاصة الورق تلك كان استوجب القتل مما نجد فيه سر الحديث النبوي الشريف «جدع الحلال أنف الغيرة» (٢)

﴿ الجواب ﴾ إن الناس اصطلحوا من قديم الدهر على اعتبار هذا العمل على أثر اتفاق شرعي حلالا ، وعمرانا للكون ، وداعياً للفرح والتهنئة ، وعلى عده بدون هذه المعاملة الشرعية فضيحة وجناية وإثما كبيراً . وما هذا الذي رسخ في

---

(١) المنار يدل على هذا حديث سعد بن عبادة في الغيرة وهو متفق عليه ولكن الحكم مختلف فيه فالجمهور لا يبيحون ذلك « ٢ » لا اذكر انني رأيت هذا في الحديث المرفوع فمن عرف له تخريجا فليتفضل ببيانه لنا

الأذهان من هذين الاعتبارين سوى تواطؤ قديم بين البشر ، واصطلاح ساروا عليه منذ قرون لا يعلم بدؤها . وبالجملة فهو ليس له علاقة بطبيعة العمل نفسه . نعم هو وهم مقدس ، ولكن كونه مقدساً لا يخرجه عن كونه تواطؤاً واصطلاحا ووهماً(١) إذ الانسان لا يزال بعيداً عن أن ينسخ أعماله عن الطبيعة رأساً بدون أوهام وعقائد، وما ينزل على حكم الطبيعة رأساً بدون أوهام وخيالات سوى الحيوانات ؟

(شكيب ارسلان)

من عذيري

(الشكوى من صاحب المنار وشكواه أو عذره)

رب لائم مليم ، ورب ملوم بريء أو غير مسيء

في يوم السبت ٢٨ ذي القعدة (٢٠ مارس) جاءني كتاب في البريد بامضاء (عبد الغفار) يقول فيه : إنه تاجر هندي في مدينة لندن وانه جاء القاهرة لكي يقابلني ويقابل بعض الذين يعرفون شيئا عن السيد جمال الدين الافغاني لجمع ما لديهم من المعلومات عنه لانه يريد أن يكتب سيرة هذا المجدد الشهير ، وانه يحمل خطابا من حضرة صديقي فؤاد بك سليم حجازي الشهير ، وانه يلتمس أن أعين له وقتا خاصا لذلك

وبعد يوم أو يومين جاء دارنا رسول من قبله ولم أكن فيها فترك لي كتاب فؤاد بك سليم الذي يحمله من أوربة ، وكتابا آخر من حضرة صديقي إسماعيل بك شيرين وكيل محافظة مصر مؤرخا في ٢٩ ذي القعدة (٢١مارس) يقدمه فيه ويوصي بحسن قبوله . فعجبت من عنايته بطلب توصية بعد توصية فيما لا يحتاج الى توصية ، ثم من إرساله لهما مع رسول يطلب له تعيين وقت معين للقائه وعدم مجيئه هو ، وحملت ذلك على حرصه على أوقاته وعلى وقتي أيضا ، لانه يعلم عقلا

---

(١) كرر الكاتب لفظ الاوهام حكاية لأقوال الملاحدة على الطريقة الحديثة

اني كثير العمل ، ومن المعقول في هذه الحالة أن أعين له وقتا يمكنني أن أفرغ فيه لحديثه مدة طويلة ، واطلاعه على ما عندي من المواد وليست بقليلة ، وأنا لا أملك مثل هذا الوقت الا في بعض أيام الجمع ، واذ كان أول جمعة لايزال بعيدا رأيت أن أبلغه من أقرب الطرق — وهو طريق التليفون — اني مستعد في كل يوم بل في كل ساعة من ساعات كل يوم للقائه واني على قلة خروجي من الدار لا أخرج في وقت الصباح ، وأنه لاجل الاحتياط يمكنه أن يسأل عني بالتلفون قبل مجيئه ، بلغناه هذا في الفندق الذي نزل فيه ولم يكن فيه عند التبليغ ، فوعدنا أصحاب الفندق بتبليغه اياه المرة بعد المرة ، ولو حضر لاخبرته بما عندي من المواد في ترجمة السيد و بعض مقالاته وآثاره واتفقنا معا على الاوقات التي يطلع فيها عليها والطريقة التي يقتبس بها مايريد اقتباسه منها — وهو لا يعرف العربية

بيد أنه فاجأني عصر اليوم الثالث من ذي الحجة (٢٤ يونيو) كتاب هذا نصه:

كتاب وجيه هندي لصاحب المنار :

٢٤ يونيه سنة ١٩٢٥

سيدي الاستاذ الجليل . سلاما واحتراما . و بعد فقد حملتني الرغبة الصادقة في البحث عن كل مايتعلق بحياة السيد جمال الدين الافغاني ـ بمناسبة اعتزامي على تأليف يشتمل على حياة هذا الفيلسوف الاسلامي الشهير — حملتني هذه الرغبة على التقرب ثم على التشرف بزيارتكم لينالني تشرف الاستقاء عن علمكم الغزير فبادرت بارسال جواب الى فضيلتكم ساعة وصولي الى القاهرة لتتكرموا بتحديد وقت أتمثل فيه بين ايديكم (١) فلما تأخر الرد كلفت صديقا لي ليتفق مع فضيلتكم على الوقت التى ترضون فيه بمقابلتى (!) ولما لم يجدكم في البيت ترك هناك كتابي التعرف من حضرة صاحبي العزة فؤاد بك سليم وشيرين بك لعلكم تتنازلون بهذه الوسيلة بزيارتي . وقد مكثت في القاهرة انتظر الرد سبعة أيام (١) وماجنيت باللاسف من هذا الاتفاق إلا الخيبة والملل

(١) المدة بين كتاب شيرين بك و بين كتابه هذا ثلاثة ايام فقط واذا كان قد وصل الي في مساء ٢١ مارس فقرصة الرد كانت يومين فقط

سيدي — الآن وقد عزمت الرحيل من هذه الديار أرى من واجبي أن لفتكم الى بعض مايجول بخاطري بمناسبة هذا الفتور الذي لقيته منكم في هذه الديار وقد كنت انتظر غير مارأيت

على أن هذا الفتور لو كان مصدره رجل عادي غيركم وموجها الى شخصي من حيث اني بشر لا أكثر ولا أقل لما اتعبت نفسي بالشكوى اليكم ولما رجوتكم قراءة هذه السطور ولكن الرتبة العلمية التي تمثلونها والصفة الاسلامية التي جعلتموها شعارا لكم والمسئوليات العظيمة التي تتحملونها بصفتكم من علماء الدين وحامل لواء الشريعة – كل هذه الامور تحتم علي أن أنبهكم الى الخطر العلمي والاخلاقي (!) الذي قد يجركم اليه مثل هذا الفتور والاهمال الغير لائق بمقامكم (!)

شيء آخر يحملني على الاكثار من الشكوى اليكم، وقد اضطررت الى ذكره اضطرارا

سيدي، أظنكم لم تنسوا بعد ذلك الاحتفال المهيب بقدومكم الى البلاد الهندية، والمقابلات الحارة المخلصة التي استقبلكم بها الهنود، فكنتم موضع اجلال واحترام من جميع الطبقات بلا استثناء — أما كان يصح في هذه الحالة أن ينتظر أحد المحتفلين بكم من مكارمكم وتعطفاتكم ما يزيده اخلاصا اليكم وحبا فيكم ؟ ولكنني أقول والاسف يملأ قلبي ان هذا الامل كان في غير محله

سيدي، اعتقدوا انني حاولت كثيرا أن أبرر عملكم هذا، فكانت هذه المحاولة خائبة خيبة أملي بلقائكم

ولست أدري كيف أفسر عملكم هذا عندما أقدم للجمهور مؤلفي وأذكر ما لاقيت في سبيل جمع مواده

وعلى كل حال قد حصلت اقامتي هنا على معلومات بقدر ما تمكنت الحصول عليها، واغادر القاهرة اليوم وانا كل اليقين (؟) والاعتقاد انني سوف الاقي في اوربا وغيرها من بلاد الكفر والالحاد (؟) من العلماء من هم اوسع صدرا وارحب ساحة من علمائنا الكرام واخيرا تقبلوا سلامي

الخادم المخلص

محمد عبد الغفار

[المنار]

لقد بلوت من الناس غرائب كثيرة ولم أر أغرب من حال هذا الرجل في أمر سفره من لندن الى مصر للبحث عن سيرة السيد جمال الدين وجمع مايمكن جمعه منها لاجل تأليف كتاب خاص في سيرته ، وللقيام ببعض الاعمال التجارية أيضاً، ومكثه في القاهرة أسبوعاواحداً وعودته بسرعة ، وهذه المدة لم تكن كلها تتسع لاخذ ماعندي من المواد الخاصة بسيرة السيد رحمه الله تعالى لو لم يكن لنا شغل غيرها،ولا من حاله في امر اهتمامه بمقابلتي بالتوسل اليها بتوصيته من يعرف ومن لم يكنْ يعرف من الوجهاء وبالكتابة وارسال الرسول لاجل تعيين موعد خاص المذاكرة في سيرة السيد وأخذ المعلومات المطلوبة ، وعدم تفضله بالزيارة بدون سبق الموعد المطلوب على كونه قد زار بعض الناس بدون أخذ موعد معين منهم ، كاسماعيل شيرين بك ونور الدين بك مصطفى كما أخبراني بذلك، ثم اسراعه بالسفر بعد مجيء رسوله الى مكتبة المنار وسؤاله عنى فيها بيومين — وفي أمر كتابه الجامع بين التعظيم والتهكم والمن والتهديد

أما انا فعلى شدة تعجبي من هذا الكتاب واستنباطي منه ان صاحبه شاذ في عقله وأخلاقه اسفت اسفا شديدا لما فهمته منه أن الفندق لم يبلغه ماعهدناه اليه من الاستعداد للقائه في كل يوم ولا سيما وقت الصباح على كونه وقت تزاحم الاعمال عليّ الذي به كان وجودي فيه بمكتبي حتما لازما ، وقد حملني هذا الاسف على الذهاب الى محطة مصر قبل وقت سفر قطار المساء الحديدي الى بور سعيد لعلي أجده مسافراً فاعتذر له واتفق معه على طريقة لايصال مايطلبه من المواد في سيرة حكيمنا الاكبر السيد جمال الدين رحمه الله تعالى

ذهبت الى المحطة قبل موعد دخول المسافرين في القطار وطفقت اتوسم وجوه ركاب الدرجة الاولى — وكذا الثانية احتياطا — لعلي أجد سحنة هندية أتطفل بالسؤال عن صاحبها فلم أجد، وانما فعلت هذا لانى أعد الرجل على حقين لايبيح لي شذوذ كتابه هضمهما (أحدهما) أنه خاطبنى بالوسائط ولم يعلم انني اجبته ولم يلتمس لي عذراً على سعة باب التماس الاعذار الذي ضاق عليه (وثانيهما) انه يريد

تأليف كتاب في سيرة أستاذنا الاكبر موقظ الشرق وحكيم الاسلام وانا أحرص الناس كما اعتقد على نشر سيرته الصحيحة والاعتبار بها

بعد هذا قصصت خبره على شابين هنديين نجيبين مشتغلين بطلب العلم بمصر فجزم كل منهما وحده برأي واحد وهو أن هذا الشذوذ بالامتناع من الزيارة اولا وبالكتاب الجامع للغرائب ثانيا ليس من شأن هذا الرجل ولا من المعهود من آدابه واخلاقه وانما هو تأثير مؤثر خادع من الهنود الزائغين كالذين يبثون دعوة المسيح الدجال القاديانى في مصر باسم الاحمدية أو الملاحدة الذين فتنوا بافكار بعض الزنادقة اللادينيين هنا ، وكلا الفريقين يمقت المنار وصاحبه لانه أشد خصم لهم في العالم الاسلامى ، وجزم كل منهما بان الرجل لا يعرف العربية وأن الذى كتب له هذا الكتاب الشاذ لم يخبره بكنه ما فيه ولو أخبره لما أمضاه

ثم سألني عنه الزعيمان الهنديان الكبيران اللذان ألما بالقاهرة في هذه الايام الحكيم محمد اجمل خان والدكتور مختار احمد الانصاري فذكرت لكل منهما نبأه واطلعت كلا منهما على كتابه فوافقا الشابين بأن هذا ليس من دأبه ولا من آدابه وانه خدع به

اعتذار صاحب المنار عن تقصيره

ولما كان من شأن هذا الغش وسوء الفهم ان يقع كثيراً رأيت ان لا تثنيني هذه الشهادة من اربعة عدول بما تقدم آنفا عن ذكر بعض ماجال في خاطري من الآراء عند قراءة هذا الكتاب بالايجاز ، وإظهار عذري فيما عسي أن يكون قد وقع أو قد يقع من سوء الفهم في مثل هذه المرة بيني و بين بعض الناس فأقول :

(أولا) إنني رجل ضعيف دخلت في سن الشيخوخة وأشكو بعض مبادىء الامراض التي تهدد الناس في هذه السن ، وأنا مع هذا مطالب بأعمال كثيرة أذكر مجامعها

(١) القيام بشؤون أسرة كبيرة وأطفال لا عائل ولا مربي لهم غيري

(٢) القيام بتحرير مجلة دينية اجتماعية ليس لها محرر ولا مساعد غيري

(٣ و ٤) إنني صاحب مكتبة و مطبعة لا بدلي من نظر ما في بعض أمر ادارتهما ، ولضيق وقتي عن إتقان ذلك يفوتني ربح كبير انا محتاج اليه بل تحملت كثيرا من الخسارات المالية والادبية .

(٥) انني أتولى تصحيح جميع مطبوعاتي من المنار وغيره بنفسي المرة بعد المرة ، وأنظر في تصحيح غيرها مما يطبع في المطبعة مع مصححها ، وهذا العمل يستغرق أكثر أوقاتي في هذه السنين ، وقد جربت الاعتماد على المصححين فرأيت كل ما يصححونه كثير الغلط ، حتى انني اضطررت الى مراجعة جداول تصحيح الغلط الذي وضعوه لبعض الكتب على المطبوع والمخطوط كلمة كلمة بمعارضتها على عدة نسخ في خلال سنتين متفرقة وأخرت ارسال بعض الكتب الى اصحابها زمنا طويلا لاجل ذلك فساءهم ذلك وهم لايعذرونني بأمانتي العلمية الدينية ولو فعلت كما يفعل سائر اصحاب المطابع لكان ارضى لهم وأريح لي. ووضع لي بعض الاذكياء فهارس للمنار فكان شغلي بتصحيحها أطول من شغلي بوضع خير منها .

(٦) انني أعمل في بضع جمعيات علمية واجتماعية وسياسية ، كالمجمع اللغوي والرابطة الشرقية ، ومؤتمر الخلافة ، ونقابة الصحافة ، ولجنة المؤتمر السوري الفلسطيني الخ . وقد كنت في الاسبوع الذي زار فيه حضرة الاخ محمد عبد الغفار القاهرة مكلفاً ثلاثة أعمال كتابية لبعض هذه الجماعات

(٧) انه تأتيني مكتوبات كثيرة من أقطار الشرق والغرب أقلها في شؤون المجلة والمطبعة والمكتبة التي يوجد عندي من يساعدني على مايطلب منهن — وأكثرها يتعلق بشؤون الامة العامة أو بالشؤون الادبية العلمية والعملية أو السياسية أو الشخصية . أما الشخصية فأكثرها استفتاءات خاصة شرعية من دينية ودنيوية ، غير ما يطلب نشره في المنار ، وأقلها طلب مساعدات مالية أو شفاعات . وأما العلمية فمثل طلب الاخ محمد عبد الغفار ، وكلها مبنية مثل ماجاني من التبعة والمسؤلية بسبب الشهرة العلمية. ومن أغربها أن بعض المؤلفين المعاصرين طلبوا مني قراءة ما ألفوا والشهادة لها بأنها جديرة بأن تدرس في المدارس الاسلامية لعامة المسلمين على ان بعضها لاهل السنة وبعضها للشيعة المياليين الى الوحدة الاسلامية مثلنا

(٨) كثرة الزائرين المختلفي الاغراض من اصدقاء اولياء ، ومن عفاة وطلاب حاجات ، ومن مستفتين ومشاورين في بعض الشؤون العامة أو الخاصة، ومنهم من لايذكر حاجته الا بعد بسط أخبار ووقائع طويلة ، ولو شرحت هذه الحاجات

لعجب جميع القراء من ذكر الناس لمثلها ومن صبري عليهم .

(٩) النظر ولو اجمالا في العشرات من الصحف السياسية والمجلات العلمية التي ترد من الاقطار المختلفة للوقوف الاجمالي على حال العالم وسياسته وسير العلم والادب والعمران ويناسب هذا النوع ما يهدى الى المجلة من الكتب والرسائل التي تنشر في كل آن ولا بد من النظر فيه بقدر ما تسمح به الفرص ، وانا مقصر فيه لضيق وقتي

(١٠) ما أضطر اليه من نشر بعض المقالات في الصحف اليومية كالمقالات التي نشرت في سياسة الملك حسين بن علي واولاده ، ومقالات الخلافة ، وما فعل الترك بخلافتهم وسلطنتهم ، ومقالات (الوهابيون والحجاز) والرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم

انني وايم الحق لعاجز عما يرضي الناس في الامر السابع من هذه الامور العشرة وهو الذي يظن أصحابه وغيرهم انه أهونها ، وأعني به الكتابة إلي في الشؤون المختلفة ، فانه لتأتيني المكتوبات أحيانا وأنا مشتغل بكتابة موضوع أو اكثر لاجل عمال المطبعة وبتصحيح كراسة أو أكثر ايشتغل بها مصححها فأقرأ بعضها وارجىء قراءة بعض الى فرصة لا تستلزم تعطيل عمل لا بد منه ، وقد أعهد الى وكيل الادارة بقراءتها واخباري بما فيها عند فرصة فراغ من الضروريات اذا كان خاصا بي ـ وان هذا الارجاء قد يفضي الى اجتماع عشرات من هذه المكتوبات أمامي فتمر الايام والاسابيع ولا أجد وقتا لقراءتها ، حتى اذا سنحت فرصة فراغ من الضروريات أكتب لصاحب الحق الاول فالاول موضوعا أو زمنا ، وقد أكتب الى الرجل الواحد مرجوع كتاب له في الامور العامة في بضعة قراطيس . ومن هذه المكتوبات ما يرد بلغة لا أعرفها وليس عندي من يترجمه لي ، فيتأخر عندي الى أن أجد مترجما ثقة أمينا ، ومن ذلك ما كتبته الي ادارة المدرسة الجامعة الاسلامية في عليكره (الهند) في اختيار أستاذ للعربية فيها . كتبت الي باللغة الانكليزية وأرسلت مع كتابها نظام المدرسة ومنهج التعليم فيها وكلاهما بالانكليزية ليعرضا على الاستاذ الذي اختاره لها ، فالقيام بحقوق الناس في الرد على مكتوباتهم لا يتم لي الا بمساعدة كتاب ومترجمين موظفين ، ولست قادرا على ذلك

بعد هذا التمهيد العام للعذر أقول ــ عودا على بدء ــ :

(ثانيا) قد كان من المتعذر علي أن أجيب طلب الاخ محمد عبد الغفار عقب وصول كتابه لو كان صاحب الحق الاول ، فانه طلب تعيين موعد خاص لاطلاعه على ما عندي من سيرة السيد جمال الدين ولم أكن أملك وقتا يتسع لذلك مع الاعمال الضرورية اليومية التي لا يمكن تأخيرها . وأما الزيارة فهي عندي مباحة في عامة أوقاتي لانني أشتغل في حضرة الزائرين معتذرا لهم ، وأحدثهم في أثناء العمل ولو كان تفسير القرآن الحكيم أو الافتاء ، ولولا هذا لاضطررت الى رد أكثر الزائرين، وهو لم يكن يريد هذه الزيارة غير المقيدة بما طلبه ،والا لزارني كما زار غيري من الرجال الرسميين وغير الرسميين ،فزيارتي أسهل من زيارتهم ،

(ثالثا) لم يكن يخطر في بالي أن يكون وقت إقامته بمصر لمثل هذا العمل وغيره من الاعمال التجارية أياما تعد على الاصابع يتحكم فيها بوقت غيره المجهول عنده كما يتحكم في عماله وخدمه الواثق من استطاعتهم على طاعته متى شاء ، بل ليس من المعقول عندي أن يكفي مثل هذا الوقت لاخذ مواد كافية لتأليفه من معاهد العلم العامة كخزانة الكتب المصرية مثلا ، لذلك كنت أظن أننا لابد أن نلتقي وأن تبليغه بالتلفون الاستعداد لمقابلته كل يوم هو كل ما يجب علي

(رابعا) إن منّه عليّ بحفاوة مسلمي الهند بي لم يكن لائقا منه، وإن جعله حجة على أنه يجب علي أن أقابل كل هندي بمثله واتهامي تعريضا بل تصريحا بعدم الوفاء ومقابلة الجميل بمثله بعيد عن اللياقة وعن الصواب جميعا

إن جمعية ندوة العلماء دعتني الى رياسة مؤتمرها السنوي رجاء أن يكون ذلك سببا لاقبال الجمهور على المؤتمر . . . وانني أجبت دعوتها في وقت كنت مشتغلا فيه بتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد التي أعتقد أنها أفضل عمل وضع لخدمة الاسلام في هذا العصر ووافقني على اعتقادي هذا كل من وقف على كنهه من خواص مسلمي العرب والعجم حتى في الهند والآستانة كما انني كنت عازما على الزواج ، تركت هذا وذاك إجابة لدعوة الندوة ، وسافرت على نفقة نفسي لا على نفقتها كما هو المعتاد في مثل هذه الدعوة ، وقد احتفى بي المسلمون في كل

بلد زرته كما قال وفوق ما قال ، وما كان لذلك من سبب الا اعتقادهم انني أخدم الاسلام والمسلمين لوجه الله تعالى ، وكنت أعلنت انني لا أقبل من أحد مساعدة ما ولو باسم الهدية المسنونة ، حتى ان آنيـة الشاي الفضية التي صاغتها الندوة تذكاراً لزيارتي ونقشت عليها اسمها واسمي لم أقبل أن آخذها منها ، ولكنها أرسلتها الى صديقي المحسن الكبير الشيخ قاسم ابراهيم الشهير في بمبي وهو أرسلها الى مصر ، احتفوا بي بداعية الاخلاص كما أجبت دعوة ندوتهم بمحض الاخلاص ، وأنفقت من المال والوقت في هذه السبيل فوق ما أنفقت هي في الحفاوة بي ، وهي جماعة وأنا فرد ، وانما سدى ذلك ولحمته الاخلاص ، فلا يليق بأحد منا أن يحبط هذا الاخلاص ، ولا أن يشوهه بالمن والاذى ، ولا أن يوجب لنفسه على الآخر به حقا ويهدده بالتشهير العلني والاهانة على التقصير فيه

(خامسا) انني لست من عشاق التعظيم والحفاوة ، ولا من المفتونين بالشهرة ولذلك لم أكتب ولم أوعز الى احد من اخواني أو تلاميذي ان ينشر في الجرائد أخبار تلك الاحتفالات العظيمة التي كنت أفر منها ، حتى لم أكن اخبر من تلقاء نفسي بلدة من البلاد بوقت وصولي اليها ،

(سادسا) انني على هذا وذلك ما قصرت وان أقصر ان شاء الله تعالى في الشكر والثناء الخالص على مسلمي الهند عامة وعلى الذين تفضلوا باكرامي منهم خاصة لاخلاصهم في تلك الحفاوة وفي عامة شؤونهم الملية ، وغيرتهم الدينية ، وما زلت افضل مسلمي الهند على سائر الشعوب الاسلاميـة في شعور الجامعة الاسلاميـة وبذل النفس والنفيس في سبيله ، واعترف بانه لا يباريهم في هذا غيرهم . على ان ضيافتي وتكريمي من قومي العرب في بمبي ومسـقط والكويت والعراق كانت أكبر مظاهر الكرم ومحض الاخلاص أيضا ، وهل أستطيع ان أكافيء جميع هؤلاء الناس بمثل ما يطالبني به هذا الفاضل الهندي ؟

(سابعا) انني لما ذكرت من رأيي في مسلمي الهند أراني اشد ارتياحا لزيارة فضلائهم لي من زيارة غيرهم ، وقد زارني أعضاء الوفد الذي ارسلته جمعية الخلافة الى الحجاز قبل موسم الحج الاخير في صبيحة الليلة التي وصلوا فيها الى مصر عائدين من

جدة — ولكن بغير توسل بأحد، ولا بارسال مكتوبات ورسل، ولا بطلب تحديد موعد كتابي معين — وكنت في ذلك الوقت مشغولا بالنقلة من دار الى دار : نقلة المتاع والماعون والمكتبة والمطبعة جميعا، ولا يوجد عندي من يقوم مقامي في الامر بوضع كل شيء في موضعه من الدار الجديدة ، فكنت اترك الناقلين يلقون ما ينقلون بعضه فوق بعض، واشغل الزمن الطويل مع أعضاء الوفد، فتلف بذلك بعض الاثاث والماعون وفقد بعض، وبقيت كتبي الخاصة وأوراقي ملقاة على الارض اكثر من اسبوعين لا يمكن تمييز بعضها من بعض، بل عرضت نفسي لنزلة صدرية بالذهاب معهم الى أهرام الجيزة مساء بالسيارة وانا في ملابس خفيفة لا تقي تأثير تيار الهواء. ولما سافروا ودعتهم في محطة السكة الحديدية ، وأعترف مع هذا بأنني مقصر اذ لم أقم بحق ضيافتهم لان الدار لم تكن صالحة لذلك.

وليعلم الاخ الكريم محمد عبد الغفار انه لو لم يكن من مسلمي الهند وممن يعنون بتاريخ حكيمنا السيد جمال الدين لما عنيت بالذهاب الى محطة مصر للاعتذار له بعد ان رأيت ما في كتابه من الشذوذ الادبي والتهديد والوعيد اللذين لا يبالي بهما مثلي ممن لا يخاف ولا يرجو غير الله تعالى ولا يقابل أصحاب التهديد والوعيد الا بالاعراض

ولست أبالي من رماني بريبة اذا كنت عند الله غير مريب

(ثامنا) انني من أشد الناس مقتا للمداهنة وتكلف المدح الكاذب والاطراء كما انني من فضل الله علي من أقلهم مبالاة بالمدح والذم الشعريين ، حتى انني لا أحفل بقراءة ذلك اذا قيل لي انه نشر في جريدة كذا مثلا ، ولكنني أبحث عن عيوبي بعرض عملي على أهل النقد ، وبسؤال أهل الصدق والاخلاص عما ينكرونه علي أو مني لاستعين بذلك على تربية نفسي ، وإتقان عملي

وانني أعلم أن كراهتي للتملق والنفاق اسخطت علي كثيراً من الناس ، وأن المداراة مطلوبة شرعا وعقلا ، ولكن من الناس من لا يرضيهم الا الكذب وقول الزور ويعدون من يتحامى الاطراء بالباطل مقصرا في حقهم أو مهينا لهم أو متكبرا عليهم ، وأمثال هؤلاء لا حيلة لي في إرضائهم ، على انى ابرأ الى الله تعالى أن أتعمد التحقير أو التقصير في حق أحد منهم أو من غيرهم

ومن دون هذا الصنف صنف آخر خير منه وانا عاجز عن إرضاء أفراده حتى المخلصين في المودة منهم، وأعني بهم أهل المساومة والمشاحة في المعاشرة للربح أو المساواة: زيارة بزيارة، ودعوة بدعوة، وتهنئة بتهنئة، وتعزية بتعزية، وكتاب بكتاب، كما قال الحريري:

وكات الخل كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه

فانا لا أعد هذه الطريقة من الخلة ولا الصداقة الخالصة، كما قلت في المقصورة

من كال للخل كما كال له فتاجر ليس خليلا يصطفى

فلا ألتزم تهنئة أصدقائي في الاعياد بزيارة قريب الديار ومكاتبة بعيدها ولا أطالبهم بذلك ولا ألومهم على تركه، وانما أزور واكتب عند سنوح الفرص، وابني الصداقة على أساس الصدق والاخلاص وترك التكلف، وعدم الظنة، فلا أتهم أحداً بتعمد التقصير في حقي، كما انني لا أتعمد التقصير في حق أحد، واكره أن يتهمني بذلك لانه ظلم، ولا أعاشر احدا لاجل أن أنتفع منه نفعا ماديا، ولكنني قد أزور من ارجو ان استفيد من رايه ومذاكرته وان لم يكن صديقا لي

وجملة القول انني افترصت هذا التثريب والتأنيب من احد إخواننا فضلاء الهند (على قبول عذر من اعتذر عنه ان وافقهم عليه) لابين حقيقة حالي لقراء المنار البعيد منهم والقريب، فانني أعلم أن بعض من لم يعرف هذه الحقيقة ينكرون علي مالا انكره من التقصير في مكاتبتهم أو زيارتهم، اوقضاء حاجهم، و إنما انكر تعمد ذلك، وأعترف بالعجز، فما يطلب مني هو في الغالب فوق استطاعتي، وكله بني على الاساس الذي بنى عليه هذا الوجيه الهندي، أي الشهرة بالعلم وخدمة الاسلام حتى ان الذين يطلبون مني المنار وتفسير المنار وغيره بنصف ثمن أو بغير ثمن، وكذا الذين يطلبون المساعدات المالية يقولون ويكتبون الي بأنها واجبة علي لما ذكر، ولكن لم يساعدني احد من المسلمين مساعدة مالية أستعين بها على خدمة الاسلام والمسلمين بمثل ما ذكر ولا أنا صاحب عقار أنفق منه بل لا أملك دارا أقيم بها، بل اكثر مشتركي المنار يمطلون بحقه مطلا ومنهم من يهضمه هضما. وانا علم أن هذا البيان غير معتاد ولا مألوف في العرف العام، وقد ينتقده بعض الناس

ولكن أهل الصدق والاخلاص يعلمون انه حق صادر عن صدق وإخلاص ، وانني ألخص عذري بهذه الكلمة :

إنني قد ابتليت بشهرة هي أكبر مني ولم أوت من العلم ولا من المال مايسهل عليّ القيام بأعبائها ، وأنا أتحمل أثقالها بالرغم مني ، كما قال لي أحد كبار ضباط الانكليز عند ما رآني متبرماً من تضييقهم علي في الاذن بالسفر الى سورية بعد الحرب الكبرى : ان الشهرة الكبيرة تلزمها أثقال كبيرة لا بد من الصبر عليها. فأنا ضعيف في كل شيء، وأطالب بما لا يقدر عليه إلا جماعة من الاقوياء ذات إدارة غنية منظمة ، لا أستطيع اجابة كل سائل، ولا مراسلة كل مراسل، ولا سماع القصص والوقائع الشخصية من كل قائل، ولا رد زيارة كل زائر، ولكنني — وأقسم بالله — لا أتعمد التقصير في حق أحد استهانة به أو تفضيلا لنفسي عليه ، وانى إرجح المصلحة العامة ومصالح بعض الناس أحيانا على مصلحتي الشخصية ولولا ذلك لما تأخرت مجلة المنار عن موعدها يوما واحدا . على انى لا أتهم أحداً بالتقصير في حقي ، ولا أواخذه عليه بقول ولا عمل ، وانما أعاتب الاخوان الخاصين تلذذاً بالعتاب، وأجتهد بقدر استطاعتي في مساعدة كل منهم على خدمته الملة والامة ، وفي قضاء حاجته الشخصية أيضا. واذا كانوا يصفون بالانصاف قول الشاعر الذي ضربوا به المثل

على انني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

فأنا أرضى بأن أحمله وأخلص منه وعلي أكثر مما لي ، فمن رضي بهذه المعاملة فعلى الرحب والسعة ، والمقابلة بالترحيب والترجيب ، ومن لم يرض بذلك وهو منتهى ما في الوسع بل فوقه ، فما له عندي الا قول بعض شيوخ الصوفية:

غنينا بنا عن كل من لا يزورنا وان كثرت أوصافه ونعوته
فمن جاءنا يامرحباً بقدومه يجد عندنا ودا صحيحاً ثبوته
ومن صد عنا حسبه الصد والجفا ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم من ذنب التبجح والدعوى ومن كل ذنب ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير

منشور عام (١)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها

الحمد لله الذي لا إله الا هو : والصلاة والسلام على رسوله محمد الشفيع المشفع يوم المحشر (وبعد) فقد تفاوضت أنا والوفد الهندي الموفد من جمعية الخلافة الهندية وجمعية العلماء في المسائل التي يهم المسلمين الاطلاع عليها ، والوقوف على حقيقة أفكارنا تجاهها . وكان رائد الجميع الاخلاص في العمل ، والصراحة في القول ، والنصح لله ولرسوله والمسلمين ، واني أحمد الله على أن انتهى البحث في جميع المسائل التي دارت المفاوضة فيها .

واني دحضا لما يفتريه أعداء الحق ونصراء الباطل ممن يستغلون التفرقة بين المسلمين ويحاولون أن يطفئوا نور الله بسعيهم الباطل للتمويه على قلوب السذج من المسلمين الذين يجهلون حقيقة مانحن عليه ، أعلن ماياتي (ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة).

(١) أشكر الشعوب التي وقفت تجاهنا موقف المدافع عن الحق وأشكر الشعب الهندي خصوصا على موقفه تجاه العرب وقضيتهم في الوقت الذي اشتغل العرب فيه بالمشاحنات والمخاصمات ونسوا واجبهم نحو دينهم ووطنهم ، واني أشكر أهل الهند لأنهم كانوا أول من لبى الدعوة فجزاهم الله عنا وعن الاسلام خير الجزاء

(٢) اني لا أزال عند قولي فيما دعوت العالم الاسلامي اليه من وجوب عقد مؤتمر عام ينظر في الامور التي تهم سائر المسلمين في الحجاز من اصلاح الطرق وتأمينها ، وتوفير وسائل الراحة لكل وافد ، وتسهيل المواصلات بقدر ما يمكن وبذلك نتحمل نحن واياهم مسئولية إدارة الحجاز ، وستجدد الدعوة لهذا المؤتمر الاسلامي متى تمهدت وسائل المواصلات

(٣) اننا نحافظ على استقلال الحجاز الاستقلال التام محافظتنا على أرواحنا

(١) نقل عن العدد ٣٠ من جريدة أم القرى التي تصدر بمكة المكرمة

وانا لا نسمح أن يكون لغير المسلمين أي نفوذ فيه ، محافظة على ديننا وشرفنا

(٤) ان الشريعة الاسلامية هي القانون العام الذي يجري العمل على وفقه في البلاد المقدسة وإن السلف الصالح وأئمة المذاهب الاربعة هم قدوتنا في السير على الطريق القويم ، وسيكون العلماء المحققون من جميع الامصار هم المرجع لكل المسائل التي تحتاج الى تمحيص ونظر ثاقب

(٥) اني أؤكد لكم القول أن المدينة المنورة لا تزال حرما آمنا لا يصح ان يحدث فيه حدث من قتل او سلب او نهب ، وصونا لشرفها ، اكتفيت بحصارها ، على ما في ذلك من طول وقت وخسائر مالية ، واني استطيع بحول الله وقوته ان افتحها في ساعة واحدة ، ولكني حريص على سلامة البلاد والعباد . واني مشدد الاوامر على الجنود الا يهاجموا حرم المدينة بأي صورة ، ولا يدخلوها حتى يستسلم العدو ، وان ما فيها من المباني والمآثر يكون العمل فيه على ما تقدم في المادة السابقة

ان أعداءنا يشيعون اننا اذا استولينا على المدينة نهدم روضة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحاشا ان تحدث نفس مسلم بذلك ، اني افتديها بنفسي وولدي ومالي ورجالي ، واني لا اجد فرقا بين ماحرم الله ورسوله من حرم مكة والمدينة فانه صلى الله عليه وسلم حرم مابين لابتيها ، كما حرم سيدنا ابراهيم حرم مكة —

واسأل الله ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٣

(المنار) قد أجمع العارفون على ان النجديين لو واصلوا زحفهم بعد كسر جيوش الملك حسين في الطائف والهداوكرا لاستولوا على مكة وجدة وسائر الحجاز بدون قتال لانه لم يبق وراء تلك القوة قوة فيه للملك حسين ولاستولوا على كنوزه كلها ، ولكن السلطان عبد العزيز يكره سفك الدماء ويتقي القتال في الحرم تدينا فأمر بوقف جيشه فوقف حتى جاء بنفسه ودخل مكة مع جيشه محرما بالعمرة ، ثم تانى حتى مكن حسينا وأولاده من تحصين جدة ، وترك الزحف على المدينة الى هذا العام فامر بحصر حامية الشريف علي فيها ، وأصدر هذا المنشور ليعلم العالم الاسلامي بغرضه الشريف وليحتاط لبهتان الشريف علي ويتقي اتهامه بضرب المدينة أو حرمها المنيع لو دخلها فاتحا بل يستحل علي وقواده فعل ذلك ليتهموا الوهابيين به ، كما فعل والده اذ أمر بضرب الكعبة المشرفة بالنار واتهم بذلك الترك عند ما قاتلهم بمكة

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

المنار
١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٣٠ صفر سنة ١٣٤٤ ـ ٢٥ برج السنبلة سنة ١٣٠٤ هـ ش ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥

اسرار البلاغة او فلسفة البيان

تكلم بعض البلغاء من علماء العربية في طرق البيان وبلاغة الكلام وفصاحته كلاما اجماليا حتى جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس فوضع القواعد والاصول لعلم البيان بكتابه أسرار البلاغة ولعلم المعاني بكتابه دلائل الاعجاز ؛ وسلك فيها مسلك الفلسفة العقلية وعلم النفس ، فعلمنا من كتابيه أن البلاغة عبارة عن إصابة موقع الاقناع من العقل، والتأثير من القلب ، فانه يثبت لك بلاغة الكلام بارجاعك فيه الى ماتجده في نفسك من تأثيره وروعته والارتياح له ، والتفرقة بينه وبين مايؤدي معناه من غير البليغ ، ويشرح لك ذلك حتى يقنع به جنانك، ويطمئن به وجدانك ، بعبارة فصيحة هي أظهر مصداق لقواعده ومثال لفلسفته ، فهو يفيدك العلم والعمل معا بعبارته وأسلوبه

ثم ان الذين أخذوا عنه هذا العلم زادوا عليه في القواعد والاحكام ، وحكموه فيما وضعوه من الحدود والرسوم لبلاغة الكلام، ولكن فاتتهم فلسفته، وعدتهم بلاغة عبارته، فكانوا كما قال الشاعر * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب * فانهم جعلوا أحكام البيان مواضعات اصطلاحية ، لاشكال التراكيب اللفظية ، لا مرجع لها من علم النفس ، ولا مستند لها من حكم العقل ولا من وجدان النفس ، ككون التمثيل ـ الاستعارة التمثيلية ـ عبارة عن تشبيه هيئة بهيئة تناسبها ، كجملة مالي أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . وأما كون التمثيل أعلى مراتب البيان؛ وأبلغ مايفضل به الكلام الكلام، وسبب هذا وسره، فهو مالم يعرضوا له، ولم يتبعوا إمامهم في البحث عنه ، ولا في سائر خصائص محاسن الكلام من التشبيه بانواعه الاخرى من صريح واستعارة ، والتعريض والكناية ، فكانت قواعد البلاغة وأحكام البيان عندهم اصطلاحات لفظية جافة تؤخذ بالايمان والتسليم كأنها أخبار الرسل عليهم السلام عن عالم الغيب ، وتطبق على كل قول وان كان له من السخف أوفر نصيب ،

لهذا لم تعد كتب علوم البلاغة تفيد قارئها البلاغة ولا تساعده عليها، بل ربما صارت صادة له عنها ، وحائلة دونها ، فكأين من مدراس قرأ أدق كتبها كشرحي السعد للتلخيص مراراً مع حواشيهما الطويلة العريضة وكان بعد ذلك

كله عاجزاً عن فهم كلام البلغاء ووجه تفضيله على غيره ، دع عجزه عن ارتجال خطبة أو نظم قصيدة أو كتابة رسالة مما يصح أن يوصف بالبلاغة الا أن يكون من وصف الجاهل الفاقد الذوق لكلامه أو كلام أمثاله بماير اه في مرآته ، أو من التحكم في تطبيق كل كلام على تلك القواعد الاصطلاحية ، التي لايعرفون لها مدركا علميا ولا نفسيا، كتشبيه حسن فهمي افندي أحد مشايخ الاسلام في الدولة العثمانية للخد بالسفرجل تقليداً لمن شبهوه بالتفاح بقوله * وقلبي هام في خد سفرجل * وكقوله

حمد البلابل في الاغصان سبحان لذاك جاد على الناظور بستاني

اقتبس علماء البيان الاولون من عبد القاهر كالسكاكي والخطيب ثم فقد كتاباه ونسي ذكرهما مدة بضعة قرون حتى إن بعض من ترجمه من المؤرخين لم يذكرهماله ، وأعيا طلبهما بعض كبار أمراء العلم والحكم كالامام يحيى اليمني صاحب كتاب (الطراز في علوم الاعجاز) حتى هدانا الله تعالى الى بعث بعض لسخهما من مقابر خزانات الكتب الخاصة في هذا القرن فطبعناهما وأحياهما شيخنا الاستاذ الامام بتدريسهما في الجامع الازهر فكان ذلك سبباً لارتقاء فنون البلاغة وملكتها وارتقاء الآداب العربية من طور الى طور في القطر المصري عامة وفي الازهر خاصة ، وان خفي هذا السبب على الغافلين الذين لايشعرون بأسباب الاطوار التي تطرأ على الامم ومسبباتها وارتباط بعضها ببعض ، فقد صار يوجد في الازهر عشرات من الكتاب الجيدين ولم تكن تقدر أن تعد على أناملك أحداً منهم غير القدماء من تلاميذ السيد جمال الدين وتلاميذ الاستاذ الامام في إبان النهضة الجمالية ومن أشهر الكتاب الذين طار ذكرهم ممن حضروا الكتابين على الاستاذ الامام المرحوم السيد مصطفى المنفلوطي

بل أقول إن جميع الذين قرؤا الكتابين كليهما او أحدهما حتى في بلاد الاعاجم قد ارتقت ملكة البيان فيهم شعروا بذلك أم لا وانما يشعر بمثل هذا أصحاب اللوذعية والعقل الفقيه . فقد كتب الى صديقي اكتب الكتاب وأخطب خطباء مسلمي الهند الشيخ ابو الكلام احمد المجدد الشهير يذكر لي أول عهده بمعرفتي قبل تلاقينا في الهند سنة ١٣٣٠ من كتاب طويل كتبه اثر خروجه من السجن بعد الحرب مانصه .

« وماذا أستطيم أن أقول عن نفسي غير ان قلبي ممتليء بالاعـتراف لكم بخدماتكم الجليلة العلمية والعملية ، فاني أحبكم وأحب من يحبكم ، ولاغروفاني قد عرفتكم في صباي لما كنت أقرأ شرح التلخيص للتفتازاني فقرأت أسرار البلاغة ومقدمتكم عليه فانفتح علي باب المعرفة الصحيحة ، وهذا أول عهدي بكم * آتاني هواها ألخ » ثم ذكر اطلاعه علي المنار وماكان من تأثيره في نفسه مما ليس من موضوعنا

وأقول انى رأيت من قوة فهمه للغة العربية أنى كنت ألقي الخطبة في الهند في ساعتين أو اكثر من الزمن فيقوم هو فيعيدها باللغة الاوردية لايفوته منها شيء

كنت عند طبعي لاسرار البلاغة سنة ١٣١٩ نشرت نبذة منه على سبيل النموذج وقد رأيت أن انشر عند إعادة طبعه الآن نموذجا أطول من ذلك النموذج ليكون مثلا لما وصفت ، ودليلا على ماقررت ، قال مؤلفه رحمه الله تعالي

﴿ فصل ﴾

في مواقع التمثيل وتأثيره

واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته، كساها أبهة ، وكسبها منقبة، ورفع من اقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ،واستثار لها من أقاصي الافئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا

فان كان مدحا كان ابهى وافخم ، وانبل في النفوس واعظم ، وأهز للعطف ،وأسرع للالاف ، واجلب للفرح، واغلب على الممتدح، واوجب شفاعة للمادح، واقضى له بغرر المواهب والمنائح، واسير على الالسن واذكر، واولى بأن تعلقه القلوب واجدر

وان كان ذماكان مَسه اوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد ،

وان كان حجاجا كان برهانه أنور . وسلطانه اقهر ، وبيانه أبهر

وان كان افتخاراً كان شأوه أبعد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألد (١)

وان كان اعتذاراً كان الى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسلّ ، ولغرب الغضب أفل ، وفي عقد العقود أنفث ، وعلى حسن الرجوع أبعث (٢)

وان كان وعظا كان اشفى للصدر ، وادعى للفكر ، وابلغ في التنبيه والزجر ، واجدر بأن يجلي الغيابة ، (٣) ويبصر الغاية ، ويبرئ العليل ، ويشفي الغليل

وهكذا الحكم اذا استقريت فنون القول وضروبه وتتبعت أبوابه وشعوبه (٤) وان أردت أن تعرف ذلك وان كان تقل الحاجة فيه الى

---

(١) الشأو السبق والغاية والامد . وقوله أجد أي اعظم والالد الشديد الخصومة

(٢) السخائم الضغائن ، وسلها نزعها واستخراجها ، وغرب السيف حده وفل السيف ثلمه ، والنفث في العقد هو النفخ فيها مع إلقاء شيء من الريق عليها لاجل تسهيل حلها ومنه نفث الراقي في العقده التي يعقدها ثم يحلها يوهم بذلك الناس انه أبرم بعقدها رابطة المحبة بين فلان وفلانة وبحلها انه حل ذلك العقد وأبطل ذلك الارتباط بسحره ، وان الكلام البليغ ليفعل بحسن التمثيل في حل عقد العقود ما لا يفعل السحر ، وان من البيان لسحرا (٣) الغيابة بياء بين مثناتين كل ما أظلك من فوق رأسك وقد ذكرنا لكل نوع مما ذكره المصنف من أنواع الكلام أمثلة من القرآن المجيد ومن كلام بلغاء البشر

(٤) يشير المصنف الى سائر مناحي الكلام كالغزل والرثاء والوصف والشكوى وهي مع الذي ذكره وشائج متشابكة ، وامشاج متمازجة . وأعمها الوصف فهو الطويل الذيل ، المتدفق السيل ، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى : (ثم استوى

التعريف، ويستغني في الوقوف عليه عن التوقيف فانظر الى نحو قول البحتري

الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) ومثله قوله تعالى (وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي) الآية ومنها قوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) وقوله بعده (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار) وهكذا الحق يثبت والباطل يزهق . ومن ذلك الرؤى فانها تمثيل للواقع الذي تعبر به كالرؤى المذكورة في سورة يوسف عليه السلام ومثاله من الشعر قول ابن النبيه :

والليل تجري الدراري في مجرته ... كالروض تطفو على نهر أزاهره

وقول بعضهم في وصف الكاس يعلوها الحباب والساقي .(أوهذا من تعدد التشبيه)

وكأنها وكأن حامل كأسها ... اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها ... بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وفي وصف الامير والجيش :

يهز الجيش حولك جانبيه ... كما نفضت جناحيها العقاب

ومنه قولنا في المقصورة في وصف الوفاق .

لم نختلف في مبتدا مسألة ... الا وكان للوفاق المنتهى
كن على المحيط من دائرة ... أنى تفارقا فبعدُ ملتقى

وقولنا منها في وصف روضة :

والشمس تبدو من خلال دوحها ... آونة تخفى وطورا تجتلى
كغادة وضاحة قد أتلعت ... من خلل السجوف ترنو والكوى
تلقي على الروض نثير عسجد ... فتحسب الروض عروسا تجتلى

وقولنا منها .

والباسقات رفعت اكفها ... تستنزل الغيث وتطلب الندى

ثبت في العلوم الطبيعية أن الاشجار تكون سببا لنزول المطر فثلت هنا بحال المستسقين يجاب دعاؤهم . ويليه قولنا

يعتاج الكربون من ضرع الهوا ... تؤثرنا بالاكسجين المنتقى

دانٍ على ايدي العفاة وشاسع عن كل ندٍ في الندى وضريب(١)
كالبدر افرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جدُّ قريب(٢)

وفكر في حالك وحال المعنى معك وانت في البيت الاول لم تنته الى الثاني ولم تتدبر نصرته إياه، وتمثيله له فيما يملي على الانسان عيناه، ويؤدي اليه ناظراه، ثم قسهما على الحال وقد وقفت عليه، وتأملت طرفيه، فانك تعلم بعد ما بين حالتيك، وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك، وتحببه اليك، ونبله في نفسك، وتوفيره لانسك، وتحكم لي بالصدق

ومعناه أن الاشجار الباسقة ترضع غاز الكربون وتمتصه من الهواء فتتغذى به وهو سام لنا وتترك لنا اكسجين الهواء المطهر للدم في ابداننا باستنشاقنا له في الهواء فشأنها كحال حي عاقل ينتزع ما يضر الناس ويؤثرهم بما ينفعهم

وقول ابن دريد في وصف النوق ·

يرسبن في بحر الدجى وفي الضحى يطفون في الآل اذا الآل طفا

ومن أحسن ما يدخل من التمثيل في باب الغراميات قول المجنون

وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل بي النقض والابرام حتى علانيا

وقوله :

كأن القلب ليلة قيل يُغدى بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

وقول بعضهم :

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

وقول الآخر :

اني واياك كالصادي رأى نهلا ودونه هوة يخشى بها التلفا
رأى بعينيه ماء عز مورده وليس يملك دون الماء منصرفا

ومن الامثال التي تدخل من باب الشكوى «ليس لها راع ولكن حلبة» حلبة بالتحريك جمع حالب والمثل يضرب للامة المظلومة . و «لو كويت على داءٍ لم اكره» يضرب لمن يعاقب على غير ذنب . و « سال بهم السيل وجاش بنا البحر »

(١) الضريب المثل والنظير (٢) أي بالغ الغاية في القرب

فيما قلت ، والحق فيما ادعيت ، (١)

وكذلك فتمهد الفرق بين أن تقول : فلان يكد نفسه في قراءة الكتب ولا يفهم منها شيئاً ، وتسكت . وبين أن تتلو الآية وتنشد قول الشاعر (٢)

زوامل للاشعار لاعلم عندهم بجيدها إلا كعلم الاباعر (٣)
لعمرك مايدري البعير اذا غدا بأوساقه أو راح مافي الغرائر

والفصل بين أن تقول « أرى قوما لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك مخبر ، بل في الاخلاق دقة ، وفي الكرم ضعف وقلة ، » وتقطع الكلام ، وبين أن تتبعه نحو قول الحكيم : أما البيت فحسن ، وأما الساكن فردىء . وقول ابن لنكك :

في شجر السرو منهم مثل له رواء وما له ثمر

وقول ابن الرومي

فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الاثمار كل الاباء

وقول الآخر :

فان طرة راقتك فانظر فربما أمر (٤) مذاق العود والعود أخضر

وانظر الى المعنى في الحالة الثانية كيف يورق شجره ويثمر ، ويفتر ثغره ويبسم ، وكيف تشتار الاري من مذاقته ، (٥) كما ترى الحسن في شارته (٦) وانشد قول ابن لنكك:

---

(١) مثال المدح ويتلوه مثال الذم (٢) الآية قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » والشاعر مروان بن سليمان بن يحيى بن ابى حفصة يهجو قوما من رواة الشعر ، رواه ابن بري (ش) (٣) الزوامل جمع زاملة وهي التي يحمل عليها من الابل وغيرها والاباعر جمع بعير (٤) أمر صار مرا كمر الثلاثي (٥) الاري العسل واشتياره اجتناؤه (٦) تطلق الشارة على الهيئة واللباس

اذا أخو الحسن اضحى فعله سمجا رأيت صورته من اقبح الصور

وتبين المعنى واعرف مقداره ثم انشد البيت بعده :

وهبك كالشمس فى حسن ألم ترنا نفر منها اذا مالت الى الضرر

وانظر كيف يزيد شرفه عندك ، وهكذا فتأمل بيت أبي تمام :(١)

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعا عن البيت الذي يليه ، والتمثيل الذي يؤديه ، واستقص فى مرّف قيمته ، على وضوح معناه وحسن مزيته (٢) ثم أتبعه اياه :

ولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشر المعنى تمام حلته ، واظهر المكنون من حسنه وزينته ، وعطرك بعرف عوده ، وأراك النضرة فى عوده ، وطلع عليك من مطلع سعوده ، واستكمل فضله في النفس ونبله ، واستحق التقديم كله ، الا بالبيت الاخير ، وما فيه من التمثيل والتصوير ،

وكذلك فرق في بيت المتنبي :

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مراّ به الماء الزلالا

لو كان سلك بالمعنى الظاهر من العبارة كقولك : ان الجاهل الفاسد الطبع يتصور المعنى بغير صورته ويخيل اليه في الصواب انه خطأ . هل كنت تجد هذه الروعة ؟ وهل كان يبلغ من وقم الجاهل ووقذه (٣) وقمعه وردعه ، والتهجين له والكشف عن نقصه ، ما بلغ التمثيل في البيت وينتهي الى حيث انتهى

(١) شروع في مثال الحجاج «٢» وفي نسخة بزته «٣» وقم الرجل قهره واذله ورده عن حاجته اقبح الرد . والوقذ الضرب القاتل بغير محدد يكون أطول ألما وأشد تعذيبا ولاجله حرمت الموقوذة ويسند الى الكلام تجوزا

وان أردت (١) اعتبار ذلك في الفن الذي هو اكرم وأشرف فقابل بين ان تقول: ان الذي يعظ ولا يتعظ يضر بنفسه من حيث ينفع غيره، ـ وتقتصر عليه ـ وبين أن تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه » ويروى « مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها »(٢) وكذا فوازن بين قولك للرجل وانت تعظه « إنك لاتجزَى على السيئة حسنة فلا تغر نفسك » وتمسك . وبين أن تقول في أثره « إنك لاتجني من الشوك العنب وانما تحصد ماتزرع » واشباه ذلك . وكذا بين ان تقول: لاتكلم الجاهل بما لا يعرفه ونحوه . وبين ان تقول « لاتنثر الدر قدام الخنازير . أو لاتجعل الدر في أفواه الكلاب » وتنشد نحو قول الشافعي رحمه الله * أأنثر دراً بين سارحة الغنم *(٣) وكذا بين ان تقول: الدنيا لاتدوم ولا تبقى . وبين ان تقول « هي ظل زائل، وعارية تسترد، ووديعة تسترجع » وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم « من في الدنيا ضيف وما في يديه عارية، والضيف مرتحل والعارية مؤداة » وتنشد قول لبيد:

وما المال والاهلون الا ودائع ... ولابد يوما أن ترد الودائع

وقول الآخر:

انما نعمة قوم متعة ... وحياة المرء ثوب مستعار

(١) شروع في أمثلة الوعظ ولم يمثل للافتخار والاعتذار (٢) بهذا اللفظ رواه الطبراني في معجمه الكبير عن أبي برزة بسند حسن (٣) المصراع الثاني * وأنثر منظوما لراعية النعم * وهي أبيات قالها بمصر في اثر مجيئه اليها لما كلمه بعض اصحاب مالك وآخرها

فمن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فهذه جملة من القول تخبر عن صيغ التمثيل وتخبر عن حال المعنى معه،
فاما القول فى العلة والسبب: لم كان للتمثيل هذا التاثير؟ وبيان جهته ومأتاه، وما الذي أوجبه واقتضاه، فغيرها. واذا بحثنا عن ذلك وجدنا له أسبابا وعللا كل منها يقتضي أن يفخم المعني بالتمثيل وينبل؛ ويشرف ويكمل، فاول ذلك وأظهره ان أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي الي جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها فى الشيء تعلمها اياه الى شيء آخر هي بشانه اعلم، وثقتها به فى المعرفة احكم، نحو أن تنقلها عن العقل الى الاحساس، وعما يعلم بالفكر الى مايعلم بالاضطرار والطبع، لان العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا «ليس الخبر كالمعاينة» (١) ولا الظن كاليقين. فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الانس اعني الانس من جهة الاستحكام والقوة. وضرب آخر من الانس وهو ما يوجبه تقدم الالف كما قيل:

* ما الحب إلا للحبيب الاول *

ومعلوم أن العلم الاول أتى النفس أولا من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والروية، فهو اذن امس بها رحما، واقوى لديها ذمما، واقدم لها صحبة، وآكد عندها حرمة، واذا نقلتها في الشيء بمثله عن

---

(١) هذه الجملة حديث نبوي رواه الطبراني في الاوسط والخطيب عن أبي هريرة. ورويناه مسلسلا بالاشراف عن شيخنا أبي المحاسن القاوقجي، ولا أذكر له رواية بزيادة ولا الظن كاليقين ورواه احمد والحاكم الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس بزيادة «ان الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الالواح فانكسرت»

المدرك بالعقل المحض ، وبالفكرة في القلب، الى مايدرك بالحواس أو يعلم بالطبع، وعلى حد الضرورة، فانت كمن يتوسل اليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم ، فانت اذن مع الشاعر وغير الشاعر اذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ويقول هاهو ذا، فأبصره تجده على ماوصفت

(فان قلت) ان الانس بالمشاهدة بعد الصفة والخبر إنما يكون لزوال الريب والشك في الاكثر ، أفتقول إن التمثيل انما أنس به لانه يصحح المذكور والصفة السابقة ويثبت أن كونها جائز ووجودها صحيح غير مستحيل حتى لا يكون تمثيل الا كذلك ؟ فالجواب أن المعاني التي يجيء التمثيل في عقبها على ضربين غريب بديع يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة وجوده وذلك نحو قوله :

فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وذلك انه أراد انه فاق الانام وفاتهم الى حد بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة، بل صار كانه أصل بنفسه، وجنس برأسه، وهذا أمر غريب وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصة به الى أن يصير كانه ليس من ذلك الجنس ، وبالمدعي له حاجة الى أن يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة، الى أن يجيء الى وجوده في الممدوح. فاذا قال « فان المسك بعض دم الغزال » فقد احتج لدعواه وأبان أن لما ادعاه أصلا في الوجود ، وبرأ نفسه من صفة الكذب ، وباعدها من سفه المقدم على غير بصيرة ، والمتوسم في الدعوى من غير البينة . وذلك أن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى لا يعد في جنسه اذ لا يوجد

في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصة بوجه من الوجوه لاماقل ولا ما كثر ، ولا في المسك شيء من الاوصاف التي كان لهاالدم دما البتة

(والضرب الثاني) أن لايكون المعنى الممثل غريبا نادراً يحتاج فى دعوى كونه على الجملة الى بينة وحجة واثبات . نظير ذلك أن ينفي عن فعل من الافعال التي يفعلها الانسان الفائدة ويدعي انه لا يحصل منه على طائل، ثم يمثله في ذلك بالقابض على الماء والراقم فيه، فالذي مثلت ليس بمنكر مستبدَع، اذ لا ينكر خطأ الانسان في فعله أو ظنه وأمله وطلبه . ألا ترى أن المغزى من قوله : (١)

فاصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الاصابع

انه قد خاب في ظنه انه يتمتع بها ويسعد بوصالها ، وليس بمنكر ولا عجيب ولا ممتنع في الوجود، خارج من المعروف المعهود، أن يخيب ظن الانسان في اشباه هذا من الامور، حتى يستشهد على امكانه ، وتقام البينة على صدق المدعي لوجدانه

واذا ثبت أن المعاني الممثلة تكون على هذين الضربين فان فائدة التمثيل وسبب الانس في الضرب الاول بين لائح، لانه يفيد فيه الصحة وينفي الريب والشك، ويؤمّن صاحبهُ من تكذيب المخالف وتهجم المنكر وتهكم المعترض، وموازنته بحالة كشف الحجاب عن الموصوف المخبر عنه حتى يرى ويبصر ، ويعلم كونه على ما اثبته عليه موازنة ظاهرة صحيحة

وأما الضرب الثاني فان التمثيل وان كان لا يفيد فيه هذا الضرب من الفائدة فهو يفيد أمراً آخر يجري مجراه وذلك أن الوصف كما يحتاج الى

(١) وفي نسخة المغزى في قوله

أقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه، وزيادة التثبيت والتقرير في ذاته واصله، فقد يحتاج الى بيان المقدار فيه، ووضع قياس من غيره يكشف عن حده ومبلغه في القوة والضعف والزيادة والنقصان. واذا أردت أن تعرف ذلك فانظر أولا الى التشبيه الصريح الذى ليس بتمثيل كقياس الشيء على الشيء في اللون مثلا «كحنك الغراب» (١) تريد أن تعرف مقدار الشدة لاأن تعرف نفس السواد على الاطلاق

واذا تقرر هذا الاصل فان الاوصاف التي ترد السامع فيها بالتمثيل من العقل الي العيان والحس وهي في انفسها معروفة مشهورة صحيحة لا تحتاج الى الدلالة على انها هل هي ممكنة موجودة أم لا، فانها وان غنيت من هذه الجهة عن التمثيل بالمشاهدات والمحسوسات، فانها تفتقر اليه من جهة المقدار، لان مقاديرها في العقل تختلف وتتفاوت، فقد يقال في الفعل انه من حال الفائدة على حدود مختلفة في المبالغة والتوسط، فاذا رجعت الى ماتبصر وتحس عرفت ذلك بحقيقته وكما يوزن بالقسطاس، فالشاعر لما قال: «كقابض على الماء خانته فروج الاصابع» أراك رؤية لا تشك معها ولا ترتاب انه بلغ في خيبة ظنه وبوارسعيه الى أقصى المبالغ، وانتهى فيه الى ابعد الغايات، حتى لم يحظ لا بما قل ولا ما كثر

فهذا هو الجواب ونحن(٢) بنوع من التسهيل والتسامح نقع على أن الانس الحاصل بانتقالك في الشيء عن الصفة والخبر الي العيان ورؤية البصر ليس له سبب سوى زوال الشك والريب

فاما اذا رجعنا الى التحقيق فانا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع

---

(١) حنك الغراب بالتحريك منقاره أو سواده قالها (ش)«٢» الجملة حالية

العلم بصدق الخبر كما اخبر الله تعالى عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) والشواهد في ذلك كثيرة والامر فيه ظاهر . ولولا ان الامر كذلك لما كان لنحو قول ابي تمام :

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

معنى . وذلك أن هذا التجدد لا معنى له ان كانت الرؤية لا تفيد أنسا من حيث هي رؤية وكان الانس لنفيها الشك والريب ، اولوقوع العلم بأمر زائد لم يعلم من قبل . واذا كان الامر كذلك فأنت اذا قلت للرجل : انت مضيع للحزم في سعيك ومخطىء وجه الرشاد وطالب لما لا تناله اذا كان الطلب على هذه الصفة ومن هذه الجهة ، ثم عقبته بقولك « وهل يحصل في كف القابض على الماء شيء مما يقبض عليه » فلو تركنا حديث تعريف المقدار في الشدة والمبالغة ونفي الفائدة من أصلها جانبا بقي لنا ماتقتضيه الرؤية الموصوف على ماوصف عليه من الحالة المتجددة مع العلم بصدق الصفة . يبين ذلك انه لو كان الرجل مثلا على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه واخباره له بانه لا يحصل من سعيه على شيء فأدخل يده في الماء وقال انظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكذلك انت في امرك — كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول والنطق بذلك دون الفعل (١)

ولو أن رجلا أراد أن يضرب لك مثلا في تنافي الشيئين فقال : هذا وذاك هل يجتمعان ؟ وأشار الي ماء ونار حاضرين وجدت لتمثيله من التأثير مالا تجده اذا أخبرك بالقول فقال : هل يجتمع الماء والنار ؟ وذلك الذي تفعل

(١) جملة كان لذلك الخ جواب «لو كان الرجل مثلا » الخ

المشاهدة من التحريك للنفس، والذي يجب بها من تمكن المعنى في القلب، اذا كانت مستفادة من العيان، ومتصرفة حيث تتصرف العينان، والا فلا حاجة بنا في أن الماء والنار لا يجتمعان ، الي ما يؤكده من رجوع الى مشاهدة ، واستيثاق بتجربة

ومما يدلك على أن التمثيل بالمشاهدة يزيد انسا وان لم يكن بك حاجة الى تصحيح المعنى أو بيان لمقدار المبالغة فيه، انك قد تعبر عن المعنى بالعبارة التي تؤديه وتبالغ وتجتهد حتى لا تدع في النفوس منزعا نحو ان تقول وانت تصف اليوم بالطول : يوم كأطول ما يتوهم وكانه لا آخر له . وما شاكل ذلك من نحو قوله

في ليل صول تناهى العرض والطول كانما ليله بالحشر موصول (١)

فلا تجد له من الانس ما تجده لقوله :

* ويوم كظل الرمح قصر طوله *(٢)

على ان عبارتك الاولى أشد واقوى فى المبالغة من هذا فظل الرمح على كل حال متناه تدرك العين نهايته وانت قد اخبرت عن اليوم بأنه كانه لا آخر له ، وكذلك تقول : يوم كاقصر ما يتصور وكانه ساعة وكلمح البصر و « كلا ولا » فتجد هذا مع كونه تمثيلا لا يؤنسك ايناس قولهم ايام كاباهيم القطا (٣) . وقول ابن المعتز :

---

(١) البيت لخندج (كقنفذ) المري . وصول بالضم بلدة ابراهيم الصولي المشهور ، والرواية الصحيحة فى الشطر الثاني * كانما ليله بالليل موصول * اى كأن لا نهار بين لياليه (٢) البيت لشبرمة بن الطفيل وتمامه * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر * ويروى واصطكاك المزاهر . وشبرمة كقنفذة والطفيل بكسر فسكون ففتح (٣) ويقال أباهم أيضاً

بدّلت من يوم كظل حصاة ليلا كظل الرمح غير موات (١)

وقول آخر :

ظللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفة الذباب (٢)

وكذا تقول فلان اذا هم بالشيء لم يزل ذاك عن ذكره وقلبه ، وقصر خواطره على امضاء عزمه ، ولم يشغله شيء عنه ، فتحتاط للمعنى بأبلغ ما يمكن ، ثم لا ترى فى نفسك له هزة ، ولا تصادف لما تسمعه أريحية ، وانما تسمع حديثا ساذجا وخبراً غفلا (٣) حتى اذا قلت :

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه (٤)

امتلأت نفسك سروراً وادركتك طربة — كما يقول القاضي أبو الحسن — لا تملك دفعها عنك . ولا تقل ان ذلك لمكان الايجاز فانه وان كان يوجب شيئا منه فليس الاصل له بل لان أراك العزم واقفا (٥) بين العينين ، وفتح الى مكان المعقول من قلبك بابا من العين ،

وههنا اذا تأملنا — مذهب آخر فى بيان السبب الموجب لذلك هو ألطف مأخذاً وامكن فى التحقيق وأولى بأن يحيط باطراف الباب . وهو أن لتصور الشبه من الشيء فى غير جنسه وشكله ، والتقاط ذلك له من

(١) وأتاه يواتيه طاوعه فهو موات وأصله الهمز (٢) السالفة ناصية مقدم العنق من لدن معاق القرط الى قلت الترقوة ومن الفرس هاديه أي ماتقدم من عنقه . وقوله قلت الترقوة القلت بالفتح النقرة في الجبل والمراد هنا نقرة الترقوة (ش) (٣) الغفل بالضم يوصف به ما يخلو من سمات كماله وحسنه يقال : فلاة غفل أي لا علم بها ، ورجل غفل لم تسمه التجارب ، ومصحف غفل اذا جرد عن العواشر ونحوها من المحسنات ، وكتاب غفل لم يسم واضعه . والكلام الغفل هنا ما ليس فيه مما له [illegible] في النفس ويحرك الوجدان (٤) الشطر

غير محلته ، واجتلابه اليه من النيق البعيد (١) بابا آخر من الظرف واللطف ، ومذهبا من مذاهب الاحسان لايخفى موضعه من العقل . واحضر شاهداً لك على هذا أن تنظر الى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض فان التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة ، أم خاصية مقصورة على قائل دون قائل ، تراها لا يقع بها اعتداد ، ولا يكون لها موقع من السامعين، ولا تهز ولا تحرك ، حتي يكون الشبه مقرراً بين شيئين مختلفين فى الجنس ، فتشبيه العين بالنرجس عامي مشترك معروف فى اجيال الناس جار في جميع العادات ، وانت تنظر الى بعد ما بين العينين وبينه من حيث الجنس . وتشبيه الثريا بما شبهت به من عنقود الكرم المنور ، واللجام المفضض ، والوشاح (٢) المفصل ، واشباه ذلك ـ خاصي ، والتباين بين المشبه والمشبه به فى الجنس على مالا يخفى .

وهكذا اذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان اشد ،كانت الى النفوس اعجب ، وكانت النفوس لها اطرب ،وكان مكانها إلى أن تحدث الاريحية أقرب ، وذلك ان موضع الاستحسان ، ومكان الاستظراف ، والمثير للدفين من الارتياح ، والمتألف للنافر من المسرة، والمؤلف لاطراف البهجة، انك ترى بها الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة فى السماء والارض ، وفي خلقة الانسان وخلال الروض ، وهكذا طرائف تنثال عليك اذا فصلت هذه الجملة ،

---

(١) النيق بالكسر أرفع موضع في الجبل (٢) الوشاح بالضم وبالكسر كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر وأديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها والمراد هنا الثاني (ش)

وتتبعت هذه اللمحة (١) ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله (٢)

ولا زوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

اغرب واعجب ، واحق بالولوع واجدر ، من تشبيه النرجس بمداهن در حشوهن عقيق، لانه اذ ذاك مشبه لنبات غض يرف (٣) وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف (٤) ، بلهب نار مستول عليه اليبس ، وبادفيه الكلف (٥) ومبني الطباع وموضوع الجبلة ، على ان الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به اكثر ، وكان بالشغف منها اجدر ، فسواء في اثارة التعجب ، واخراجك الى روعة (٦) المستغرب ، وجودك الشيء في مكان ليس من امكنته ، ووجود شيء لم يوجد ولم يعرف من اصله في ذاته وصفته ، ولو انه شبه البنفسج ببعض النبات ، أو صادف له شبها في شيء من المتلونات ، لم تجد له هذه الغرابة ، ولم ينل من الحسن هذا الحظ ، (للكلام بقية)

---

(١) اللمحة بالفتح إما واحدة اللمح وهو اختلاس النظر ، واما واحدة الملامح وهي محاسن الوجه (ش) (٢) أي ابن المعتز ويروى البيتان هكذا

بنفسج جمعت أوراقه فحكى كحلا تشرب دمعاً يوم تشتيت
كأنه وضعاف القضب تحمله أوائل النار في أطراف كبريت

ويروى الشطر الثالث هكذا مع تأنيث الضميرين كما في الرواية الاولى

(٣) رف لونه يرف بضم الراء وكسرها رفا ورفيفاً برق وتلألا ورف النبات اهتز واضطربت أغصانه ٤ إما من شف يشف شفوفاً اذا رق فحكى ما تحته أو من شف يشف شفا اذا تحرك (ش) (٥) الكلف بالتحريك لون بين السواد والحمرة ، وحمرة كدرة تعلو الوجه (٦) الروعة بالفتح الفزعة والمسحة من الجمال (ش)

حكم هيئة كبار العلماء

في كتاب الاسلام وأصول الحكم

هيئة كبار العلماء المجتمعة بصفة تأديبية بمقتضى المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١ في دار الادارة العامة للمعاهد الدينية يوم الاربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابي الفضل شيخ الجامع الازهر، وحضور أربعة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء وهم حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة :

الشيخ محمد حسنين . والشيخ دسوقي العربي . والشيخ احمد نصر . والشيخ محمد بخيت . والشيخ محمد شاكر . والشيخ محمد احمد الطوخي . والشيخ ابراهيم الحديدي . والشيخ محمد النجدي . والشيخ عبد المعطي الشرشيمي . والشيخ يونس موسى العطافي . والشيخ عبد الرحمن قراعة . والشيخ عبد الغني محمود . والشيخ محمد ابراهيم السمالوطي . والشيخ يوسف نصر الدجوي . والشيخ ابراهيم بصيلة . والشيخ محمد الاحمدي الظواهري . والشيخ مصطفى الهيهاوي . والشيخ يوسف شلبي الشبرابخومي . والشيخ محمد سبيع الذهبي . والشيخ محمد حموده . والشيخ احمد الدلبشاني . والشيخ حسين والي . والشيخ محمد الحلبي . والشيخ سيد علي المرصفي

نظرت في التهم الموجهة الى الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الازهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية التي تضمنها كتابه « الاسلام وأصول الحكم » وأعلنت له في يوم الاربعاء ٨ المحرم سنة ١٣٤٤ (٢٩ يوليه سنة ١٩٢٥)

وقد قام بعمل السكرتارية لهذه الهيئة محمد قدري افندي رئيس أقلام السكرتارية العامة لمجلس الازهر الاعلى والمعاهد الدينية ، وعلي احمد عزت افندي الكاتب الاول للجامع الازهر والمنتدب بالادارة العامة للمعاهد الدينية

الوقائع

نشر باسم الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الازهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية الكتاب المسمى « الاسلام وأصول الحكم » فقدمت الى مشيخة الجامع الازهر عرائض وقع عليها جم غفير من العلماء في تواريخ ٢٣ ذي القعدة وأول و ٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ (١٥ و ٢٣ و ٣٠ يونيه سنة ٩٢٥) وقد تضمنت ان الكتاب المذكور يحوي أموراً مخالفة الدين والنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الامة . منها

١ — جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا

٢ — وان الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين .

٣ — وان نظام الملك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضوع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص وموجباً للحيرة

٤ — وان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغاً للشريعة مجرداً عن الحكم والتنفيذ

٥ — وإنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الامام ، وعلى أنه لا بد للامة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا

٦ — وانكار ان القضاء وظيفة شرعية

٧ — وان حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم كانت لا دينية .

وقرر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابي الفضل شيخ الجامع الازهر، بناء على ذلك اجتماع هيئة كبار العلماء بصفة تأديبية في يوم الاربعاء ١٥ المحرم سنة ١٣٤٤ (٥ اغسطس سنة ١٩٢٥) الساعة العاشرة صباحا في دار الادارة العامة للمعاهد الدينية ، وأعلن ذلك للشيخ علي عبد الرازق في يوم الاربعاء ٨ المحرم سنة ١٣٤٤ (٢٩ يوليه سنة ١٩٢٥) وكلف الحضور أمام الهيئة المذكورة في التاريخ والمكان المذكورين

وفي التاريخ المذكور اجتمعت الهيئة برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابي الفضل شيخ الجامع الازهر، وحضور ثلاثة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء، وهم المذكورة أسماؤهم أولا عدا فضيلة الاستاذ الشيخ دسوقي العربي. ولم يحضر الشيخ على عبد الرازق، وانما أرسل خطابا مؤرخا في ١٤ المحرم سنة ١٣٤٤ يطلب فيه إعطاءه فرصة طويلة تكفي لاعداد مايلزم للمناقشة، وقد عرض الكتاب على الهيئة في هذه الجلسة فقررت تأجيل النظر في الموضوع الى يوم الاربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) الساعة العاشرة صباحا في دار الادارة العامة للمعاهد الدينية، وأعلن ذلك للشيخ علي عبد الرازق في يوم الاربعاء ٢٥ المحرم سنة ١٣٤٤ (٥ اغسطس سنة ١٩٢٥)

وفي التاريخ المذكور اجتمعت الهيئة برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابي الفضل شيخ الجامع الازهر، وحضور أربعة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء، وهم المذكورة أسماؤهم أولا — وقد حضر الشيخ علي عبد الرازق أمام هذه الهيئة، وسئل عن كتابه «الاسلام وأصول الحكم» المشار اليه؟ فاعترف بصدوره منه. ثم تليت عليه التهم الموجهة اليه وما أخذها من كتابه وقبل اجابته عنها وجه دفعا فرعيا وهو أنه لايعتبر نفسه أمام هيئة تأديبية وطلب ألا تعتبر الهيئة حضوره أمامها اعترافا منه بأن لها حقا قانونيا

فبعد المداولة القانونية في هذا الدفع قررت الهيئة رفضه اعتمادا على انها انما تنفذ حقا خوله اياها القانون، وهي المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١

ثم دعي الشيخ علي عبد الرازق امام هذه الهيئة، فأعلن له حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس رفض دفعه طبقا المادة المذكورة، فطلب الشيخ علي عبد الرازق أن تسمع له الهيئة مذكرة أعدها للدفاع عن التهم الموجهة اليه فأذن له حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس أن يتلوها فتلاها. وبعد الفراغ من تلاوتها وتوقيعه على كل ورقة منها أخذت منه وحفظت في اضبارة الجلسة ثم انصرف

هيئة كبار العلماء

بعد الاطلاع على كتاب « الاسلام وأصول الحكم » المطبوع في مطبعة مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ الموافقة سنة ١٩٢٥ م السابق الذكر والعلم بما تضمنه من الامور المخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الامة وسماع ماجاء في مذكرة دفاع الشيخ علي عبد الرازق عن التهم الموجهة اليه

و بعد الاطلاع على المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وعلى المادة الرابعة من هذا القانون

و بعد المداولة القانونية :

من حيث ان الشيخ عليا جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لاعلاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا ، فقد قال في ص ٧٨ و ٧٩ (والدنيا من أولها لآخرها وجميع ما فيها من أغراض وغايات أهون عند الله من أن يقيم على تدبيرها غير ماركب فينا من عقول وحبانا من عواطف وشهوات ، وعلمنا من أسماء ومسميات ، هي أهون عند الله من أن يبعث لها رسولا ، وأهون عند رسل الله من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها)

وقال في ص ٨٥ (إن كل ماجاء به الاسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فانما هو شرع ديني خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينية لاغير. وسيان بعد ذلك أن تتضح لنا تلك المصالح الدينية أم تخفى علينا ؟ وسيان أن يكون منها للبشر مصلحة مدنية أم لا ؟ فذلك مما لا ينظر الشرع السماوي اليه ولا ينظر اليه الرسول)

الدين الاسلامي باجماع المسلمين ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات لاصلاح أمور الدنيا والآخرة

وان كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور الدنيا وأحكام كثيرة في أمور الآخرة

والشيخ علي في ص ٧٨ و ٧٩ يزعم أن أمور الدنيا قد تركها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تتحكم فيها عواطف الناس وشهواتهم . وفي ص ٨٥ زعم أن

ما جاء به الاسلام انما هو المصلحة الاخروية لاغير ، وأما المصلحة المدنيـة أو المصلحة الدنيوية ، فذلك مما لاينظر الشرع السماوي اليه ، ولا ينظراليه الرسول

وواضح من كلامه انالشريعة الاسلامية عنده شريعة روحيةمحضة جاءت لتنظيم العلاقة بينالانسان وربه فقط . أما مابين الانسان منالمعاملات الدنيوية وتدبير الشؤون العامة فلا شأن للشريعة به وليس من مقاصدها

وهل في استطاعة الشيخ علي أن يشطر الدين الاسلامي شطرين ويلغي منه شطر الاحكام المتعلقة بأمور الدنيا ، ويضرب بآيات الكتاب العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عرض الحائط ؟

وقد قال الشيخ علي في دفاعه انه لم يقل ذلك مطلقا لا في الكتاب ولا في غير الكتاب ولا قال قولا يشبهه أو يدانيه

وقد علمت أن ذلك واضح من كلامه الذي نقلناه لك . وقد ذكر مثله في مذكرة دفاعه

وقال في دفاعه أيضا « إن النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء بقواعد وآداب وشرائع عامة ، وكان فيها ماعس الى حد كبير أكثر مظاهر الحياة والامم ، فكان فيها بعض أنظمة للعقوبات وللجيش والجهاد ، وللبيع والمداينة والرهن ، ولآداب الجلوس والمشي والحديث الخ ص ٨٤

غير أنه قال عقب ذلك ص ٨٤ أيضا : ولكنك اذا تأملت وجدت ان كل ما شرعه الاسلام وأخذ به النبي المسلمين من أنظمة وقواعد وآداب لم يكن في شيء كثير ولا قليل من أساليب الحكم . . . الى آخره

فآخر كلامه في الصفحة المذكورة يهدم كلامه ولا ينفعه ركونه الى حديث « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضـة لمـا متع الكافر منها بشربة ماء » وحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم » لان الحديث الاول ضعيف لايصلح حجة . وهو على فرض صحته وارد في معرض التزهيد في الدنيا وعدم الافراط في طلبها وليس معناه كما يزعم الشيخ علي أن تترك الناس فوضى تتحكم فيهم العواطف والشهوات ليس لهم حدود يقفون عندها ، ولا معالم ينتهون اليها

ولو لم يكن معناه كما ذكرنا لهدم آيات الاحكام المتعلقة بأمور الدنيا وصادم آيات كثيرة كقوله تعالى (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا)

ولان الحديث الثاني وارد في تأبير النخل وتلقيحه ويجري فيما يشبه ذلك من شؤون الزراعة وغيرها من الامور التي لم تجيء الشريعة بتعليمها ، وانما تجيء ابيان أحكامها من حل وحرمة ، وصحة وفساد ونحو ذلك . يعلم ذلك من له صلة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وهل يجترىء الشيخ علي أن يسلخ الاحكام المتعلقة بأمور الدنيا من الدين ويترك الناس لاهوائهم ويقول « إن ذلك من الاغراض الدنيوية التي أنكر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون له فيها حكم وتدبير » — ويدعي على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدعوى

وهل يرى الشيخ علي ان تدبير أمور الدنيا ، وسياسة الناس أهون عند الله من مشية يقول الله في شأنها (ولا تمش في الارض مرحا) وأهون عند الله من شيء من المال يقول الله في شأنه (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) ويقول أيضا (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وأهون عند الله من صاع شعير أو رطل ملح يقول الله في شأنهما « اوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين * وزنوا بالقسطاس المستقيم)

وماذا يعمل الشيخ علي في مثل قوله تعالى (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) وقوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقوله تعالى (لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) وقوله تعالى في شأن الزوجين (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله

بينهما) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)

وماذا يعمل الشيخ علي في مثل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما : أن ابنة النضر أخت الربيع لطمت جارية فكسرت سنها ، فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص ، فقالت أم الربيع : يارسول الله أتقتص من فلانة لا والله ؟ فقال « سبحان الله يا أم الربيع كتاب الله القصاص » ومثل ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة — وما رواه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قضى النبي صلى الله عليه وسلم اذا تشاجروا في الطريق بسبعة أذرع — وما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين على المدعى عليه — وما رواه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد

— ٢ —

ومن حيث إنه زعم ان الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ، ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين .

فقد قال في ص ٥٢ « وظاهر أول وهلة ان الجهاد لايكون لمجرد الدعوة الى الدين ، ولا لحمل الناس على الايمان بالله ورسوله

ثم قال في ص ٥٣ « واذا كان صلى الله عليه وسلم قد لجأ الى القوة والرهبة ، فذلك لايكون في سبيل الدعوة الى الدين ، وابلاغ رسالته الى العالمين ، وما يكون لنا أن نفهم الا أنه كان في سبيل الملك »

فالشيخ علي في كلامه هذا يقطع بأن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين

وفي كلامه الذي سنذكره زعم ان الدين لا يمنع من أن جهاده صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك

فقد قال في ص ٥٤ « قلنا ان الجهاد كان آية من آيات الدولة الاسلامية ، ومثالا من أمثلة الشؤون الملكية ، واليك مثلا آخر : كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم عمل كبير متعلق بالشؤون المالية من حيث الايرادات والمصروفات ، ومن حيث جمع المال من جهاته العديدة (الزكاة والجزية والغنائم الخ) ومن حيث توزيع ذلك كله بين مصارفه ، وكان له صلى الله عليه وسلم سعاة وجباة يتولون ذلك له . ولا شك ان تدبير المال عمل ملكي ؛ بل هو من أهم مقومات الحكومات»

ثم قال في ص ٥٥ : اذا ترجح عند بعض الناظرين اعتبار تلك الامثلة واطمأن الى الحكم بأنه صلى الله عليه وسلم كان رسولا وملكا ، فسوف يعترضه حينئذ بحث آخر جدير بالتفكير ، فهل كان تأسيسه صلى الله عليه وسلم المملكة الاسلامية وتصرفه في ذلك الجانب شيئاً خارجا عن حدود رسالته صلى الله عليه وسلم ؟ أم كان جزءاً مما بعثه الله له وأوحى به اليه ؟ فاما ان المملكة النبوية عمل منفصل عن دعوة الاسلام وخارج عن حدود الرسالة ، فذلك رأي لا نعرف في مذاهب المسلمين مايشاكله ولا نذكر في كلامهم ما يدل عليه ، وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه ، ولا نرى القول به يكون كفراً ولا الحاداً ، وربما كان محولا على هذا المذهب مايراه بعض الفرق الاسلامية من انكار الخلافة في الاسلام مرة واحدة . ولا يهولنك أن تسمع أن للنبي صلى الله عليه وسلم عملا كهذا خارجا عن وظيفة الرسالة ، وأن ملكه الذي شيده هو من قبيل ذلك العمل الدنيوي الذي لا علاقة له بالرسالة ، فذلك قول ان أنكرته الاذن ، لان التشدق به غير مألوف في لغة المسلمين . فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك لا يصادم رأيا كهذا ولا يستفظعه ، بل ربما وجد مايصلح له دعامة وسنداً ، ولكنه على كل حال رأي نراه بعيداً»

فعلم من كلامه هذا ان الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ، ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين ، وهذا أقل ما يؤخذ عليه في مجموعة نصوصه .

على أنه لم يقف عند هذا الحد ، بل كما جوز أن يكون الجهاد في سبيل الملك ،

ومن الشؤون الملكية جوز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم ونحو ذلك في سبيل الملك أيضاً ، وجعل كل ذلك على هذا خارجا عن حدود رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، لم ينزل به وحي ، ولم يأمر به الله تعالى

ومن حيث ان دفاع الشيخ علي بقوله (اننا قد استقصينا الكتاب أيضاً فلم نجد ذلك القول فيه ، وربما كان استنتاجاً لم نهتد الى مقدماته) غير صحيح ، لان ما اتهم به نجده صريحاً في صحيفة ٥٢ و٥٣ و ٥٤ وفي ص ٥٥ حيث يقول « وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه ولا نرى القول به يكون كفرا ولا إلحاداً » — وحيث يقول بعد ذلك « فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك لا يصادم رأيا كهذا ولا يستفظعه ، بل ربما وجد ما يصلح له دعامة وسنداً »

ومن حيث ان دفاع الشيخ علي بقوله (انه رأي من الآراء لم نرض به ، ومذهب رفضنا آخر الامر أن نذهب اليه) غير مطابق للواقع لانه قال (وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه) الى آخره — وقوله بعد ذلك (ولكنه على كل حال رأي نراه بعيداً) — لا ينفعه فانه مع قوله : وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه ، الى آخره — أسلوب تجويز لا أسلوب رفض . يعرف ذلك من له إلمام بالمنطق وأساليب الكلام

وقال الشيخ علي في دفاعه بعد ذلك (بل نحن قررنا ضد ذلك على خط مستقيم ص ٧٠ حيث قلنا . . . (وفي سبيل هذه الوحدة الاسلامية ناضل عليه السلام بلسانه وسنانه) وقلنا في ص ٧٩ (لا يريبنك هذا الذي ترى أحيانا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيبدو لك كأنه عمل حكومي ، ومظهر للملك والدولة ، فانك اذا تأملت لم تجده كذلك ، بل هو لم يكن الا وسيلة من الوسائل التي كان عليه صلى الله عليه وسلم أن يلجأ اليها تثبيتاً للدين وتأييداً للدعوة ، وليس عجيباً أن يكون الجهاد وسيلة من تلكم الوسائل)

ودفاعه هذا لا يجدي فانه زعم أن ماقاله هنا ضد لما اتهم به . والواقع أنه ليس ضدا لانه ساقه محتملا أن يكون نضاله وجهاده عليه الصلاة والسلام مما

خرج عن حدود رسالته صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون جزءاً مما بعثه الله له وأوحي به اليه على الرأيين اللذين قررهما الشيخ علي ، فالتهمة الموجهة اليه باقية

والشيخ علي بذلك لايمنع أن يصادم صريح آيات الكتاب العزيز فضلا عن صريح الاحاديث الصحيحة المعروفة ولا يمنع أن ينكر معلوم من الدين بالضرورة

قال الله تعالى (فقاتل في سبيل الله) وقال تعالى (فليقاتل في سبيل الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) وقال تعالى (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله) وقال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقال تعالى في بيان مصارف الزكاة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) وقال تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقال تعالى (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)

— ٣ —

ومن حيث إنه زعم أن نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص وموجباً للحيرة ، فقد قال في ص ٤٠ : (لاحظنا أن حال القضاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم غامضة ومبهمة من كل جانب)

وقال في ص ٤٦ : (كثيرا كلما أمعنا في حال القضاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي حال غير القضاء أيضاً من أعمال الحكم وأنواع الولاية وجدنا إبهاماً في البحث يتزايد ، وخفاء في الامر يشتد ، ثم لاتزال حيرة الفكر تنقلنا من لبس الى لبس وتردنا من بحث الى بحث الى أن ينتهي النظر بنا الى غاية ذلك المجال المشتبه الحائر)

وقال في ص ٥٧ : (إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسس دولة سياسية أو شرع في تأسيسها فلماذا خلت دولته إذاً من كثير من أركان الدولة

ودعائم الحكم ؟ ولماذا لم يعرف نظامه في تعيين القضاة والولاة ؟ ولماذا لم يتحدث الى رعيته في نظام الملك وفي قواعد الشورى؟ ولماذا ترك العلماء في حيرة واضطراب من أمر النظام الحكومي في زمنه ؟ ولماذا ولماذا ؟ نريد أن نعرف منشأ ذاك الذي يبدو للناظر كأنه إبهام أو اضطراب أو نقص أو ما شئت فسمه في بناء الحكومة أيام النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وكيف كان ذلك وما سره ؟)

وهذا تصريح من الشيخ علي بما يثبت التهمة

واذا كان قد اعترف ببعض أنظمة للحكم في الشريعة الاسلامية فانه نقض الاعتراف وقرر ان هذه الانظمة ملحقة بالعدم

قال في ص ٨٤ (ربما أمكن أن يقال إن تلك القواعد والآداب والشرائع التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم للامم العربية ولغير الامم العربية أيضاً كانت كثيرة ، وكان فيها ما يمس الى حد كبير أكثر مظاهر الحياة في الامم ، فكان فيها بعض أنظمة للعقوبات وللجيش وللجهاد وللبيع والمداينة والرهن ، ولآداب الجلوس والمشي والحديث وكثير غير ذلك) — ثم قال (ولكنك اذا تأملت وجدت أن كل ما شرعه الاسلام وأخذ به النبي المسلمين من أنظمة وقواعد وآداب لم يكن في شيء كثير ولا قليل من أساليب الحكم السياسي ، ولا من أنظمة الدولة المدنية ، وهو بعد اذا جمعته لم يبلغ أن يكون جزءاً يسيراً مما يلزم لدولة مدنية من أصول سياسية وقوانين)

ومن حيث إنه قال في دفاعه : إنه ساق ذلك مساق الاعتراض على من يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان صاحب حكومة وانه أخذ في رد الاعتراض عقب توجيهه ، ولكنه رد الاعتراض بجوابين لم يرتض واحداً منهما ص ٥٩ و ٦٣ فالتهمة باقية

وقد رضي لنفسه بعد ذلك مذهباً هو قوله (انما كانت ولاية محمد صلى الله عليه وسلم على المؤمنين ولاية الرسالة غير مشوبة بشيء من الحكم) — ص ٨٠: وهذه هي الطريقة الخطيرة التي خرج اليها ، وهي أنه جرد النبي صلى الله عليه وسلم من الحكم وقال (رسالة لا حكم ، ودين لا دولة)

وما زعمه الشيخ علي مصادم لصريح القرآن الكريم فقد قال الله تعالى (إنا

أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) وقال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وقال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ومعلوم ان الرد الى الله بالرجوع الى كتابه العزيز، والرد الى الرسول بالرجوع الى سنته صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) والدين عند المسلمين ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله في معاملة الخالق والمخلوق

— ٤ —

ومن حيث انه زعم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ فقد قال الشيخ علي في ص ٧١ (ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له شأن في الملك السياسي وآياته متضافرة على أن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان)

ثم عاد فأكد ذلك فقال في ص ٧٣ (القرآن كما رأيت صريح في أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن من عمله شيء غير إبلاغ رسالة الله تعالى الى الناس وانه لم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه)

ولو كان الامر كما زعم هو لكان ذلك رفضا لجميع آيات الاحكام الكثيرة في القرآن الكريم . ودون ذلك خرط القتاد

وقد قال الشيخ علي في دفاعه (انه قرر في مكان آخر من الكتاب بصراحة لامواربة فيها أن للنبي صلى الله عليه وسلم سلطانا عاما وانه ناضل في سبيل الدعوة بلسانه وسنانه)

وهذا دفاع لايجدي اذ لو كان معنى ذلك الذي قرره في ص٦٦ و ٧٠ كما أشار اليه أن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السماوي يتجاوز حدود البلاغ المجرد عن كل معاني السلطان لما كان سائغا أن يقول بعد ذلك في صفحة ٧١ ان آيات الكتاب

متضافرة على أن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وأن يقول بعد ذلك في صفحة ٧٣ إن القرآن صريح في أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من عمله شيء غير إبلاغ رسالة الله تعالى إلى الناس ولم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه .

والواقع أن السلطان الذي أثبته إنما هو السلطان الروحي كما صرح به في مذكرة دفاعه حيث قال فيها (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستولى على كل ذلك السلطان لا من طريق القوة المادية وإخضاع الجسم كما هو شأن الملوك والحكام ولكن من طريق الايمان به إيمانا قلبيا والخضوع له خضوعا روحيا) فكان دفاعه اثباتا للتهمة لا نفيا لها

على انه قد نسب في ص ٦٥ و ٦٦ السلطان الى عوامل أخري من نحو الكمال الخلقي والتميز الاجتماعي لا إلى وحي الله وآيات كتابه الكريم كما انه جعل الجهاد في موضع آخر من كتابه وسيلة كان على النبي صلى الله عليه وسلم أن يلجأ اليها لتأييد الدعوة ولم ينسبه الي وحي الله وأمره

وكلام الشيخ على مخالف لصريح كتاب الله تعالى الذي يرد عليه زعمه ويثبت أن مهمته صلى الله عليه وسلم تجاوزت البلاغ الى غيره من الحكم والتنفيذ فقد قال الله تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقال تعالى (وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله اليك) وقال تعالى (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم) وقال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقال تعالى (وقاتلوهم حتي لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتي يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقال تعالى (فقاتل في سبيل الله) وقال تعالى (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) وقال تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وقال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا

التى هي تبغي حتى تفيء الى امر الله)

وكلام الشيخ علي مخالف ايضا لصريح السنة الصحيحة فقد روي البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام » وروي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب فقال اضربوه وروي عن عروة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت وقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال « يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه، واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »

فهل يجوز أن يقال بعد ذلك في محمد صلى الله عليه وسلم إن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وانه لم يكلف أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه ؟

وهل يجوز أن يقال بعد ذلك في القرآن الكريم انه صريح في أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن من عمله شيء غير ابلاغ رسالة الله الى الناس وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه

— ٥ —

ومن حيث انه أنكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى انه لا بد للامة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا . فقد قال في ص ٢٢ (اما دعوى الاجماع في هذه المسألة — وجوب نصب الامام — فلا نجد مساغاً لقبولها على أي حال ومحال اذا طالبناهم بالدليل أن يظفروا بدليل على اننا مثبتون لك فيما يلي أن دعوى الاجماع هنا غير صحيحة ولا مسموعة سواء أرادوا بها اجماع الصحابة وحدهم أم الصحابة والتابعين أم علماء المسلمين أم المسلمين كلهم بعد أن نمهد لهذا تمهيداً)

ادعى الشيخ علي في ذلك التمهيد ان حظ العلوم السياسية في العصر الاسلامي كان سيئا على الرغم من توافر الدواعي التي تحمل على البحث فيها واهمها ان مقام الخلافة منذ زمن الخليفة الاول كان غرضه للخارجين عليه غير أن حركة المعارضة كانت تضعف وتقوى. ثم ساق بعض أمثلة يؤيد بها مايدعيه من ان الخلافة كانت قائمة على السيف والقوة لا على البيعة والرضا

ولو سلم الشيخ علي ذلك جدلا لما تم له ما يزعمه من انكار اجماع الصحابة على وجوب نصب امام المسلمين . فان اجماعهم على ذلك شيء واجماعهم على بيعة امام معين شيء آخر، واختلافهم في بيعة امام معين لا يقدح في اتفاقهم على وجوب نصب الامام، أي امام كان، وقد ثبت اجماع المسلمين على امتناع خلو الوقت من امام ونقل الينا ذلك بطريق التواتر فلا سبيل الى الانكار

وقد اعترف الشيخ علي عبد الرازق في دفاعه بانه ينكر الاجماع على وجوب نصب الامام بالمعنى الذي ذكره الفقهاء . وقال عن نفسه انه يقف في ذلك في صف جماعة غير قليلة من أهل القبلة (يعني بعض الخوارج والاصم) وهو دفاع لا يبرئه من انه خرج على الاجماع المتواتر عند المسلمين وحسبه في بدعته انه في صف الخوارج لا في صف جماهير المسلمين . وهل وقوفه في صف الخوارج الذين خالفوا الاجماع بعد انعقاده يسوغ له ان يخرج على اجماع المسلمين قال في المواقف وشرحه «تواتر اجماع المسلمين في الصدر الاول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على امتناع خلو الوقت عن خليفة وامام حتى قال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته المشهورة حين وفاته عليه السلام الا أن محمداً قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به . فبادر الكل الى قبوله ولم يقل أحد لا حاجة الى ذلك بل اتفقوا عليه وقالوا ننظر في هذا الامر وبكروا الى سقيفة بني ساعدة وتركوا له أهم الاشياء، وهو دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافهم في التعيين لا يقدح في ذلك الاتفاق . ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر الى زمننا هذا من نصب امام متبع في كل عصر »

وقد روى مسلم في صحيحه حديث حذيفة وقد جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تلزم جماعة المسلمين واماما بهم» قلت فان لم يكن لهم امام . قال « فاعتزل

تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت » وروى مسلم أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » وروى مسلم أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر — قالوا فما تأمرنا؟ قال — فوا ببيعة الاول فالاول وأعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم » وروى مسلم أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « انما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فان أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر وان أمر بغيره كان عليه منه »

— ٦ —

ومن حيث إنه أنكر ان القضاة وظيفة شرعية فقد قال في ص ١٠٣ (والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية كلا ولا القضاء ولا غيرها من وظائف الحكم ومراكز الدولة وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة لاشأن للدين بها فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها وانما تركها لنا لنرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسة)

وكلام الشيخ علي في دفاعه يقضي بان الذين ذهبوا الى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعا عن الخلافة فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء

وكلامه غير صحيح فالقضاء ثابت في الدين على كل تقدير تمسكا بالادلة الشرعية التي لا يستطاع نقضها . وقد ذكرنا فيما تقدم كثيراً من الآيات والاحاديث في الحكم والقضاء وسنذكر شيئا من ذلك فيما يأتي — :

وقال الشيخ علي في دفاعه (ان الذي أنكر انه خطة شرعية انما هو جعل القضاء وظيفة معينة من وظائف الحكم ومراكز الدولة واتخاذه مقاما ذا أنظمة معينة وأساليب خاصة)

وهو دفاع غير صحيح فان عبارته في صفحة ١٠٣ فيها انكار أن القضاء نفسه خطة دينية . وقد زعم أنه خطة سياسية صرفة لاشأن للدين فيها

وقد نقل عن ميزان الشعراني في دفاعه (أن الامام احمد في أظهر رواياته يرى انه ـ أي القضاء ـ ليس من فروض الكفايات ولا يجب على من تعين له الدخول فيه وان لم يوجد غيره)

وهذا دفاع عن القضاء نفسه . وبذلك يتبين أيضاً أنه قد انكر أن القضاء نفسه وظيفة شرعية لا اجعل القضاء وظيفة معينة من وظائف الحكم ومراكز الدولة واتخاذه مقاما ذا أنظمة معينة وأساليب خاصه . فلزمته التهمة .

واستناده الى مانقله الشعراني في ميزانه عن الامام احمد استناد لاينفعه فان الذي حرر من ميزان الشعراني انما هو الى الى باب مايحرم من النكاح وقد ذكر ذلك الشعراني نفسه في ص ٨ من الجزء الاول من الميزان . وكتاب الاقضية واقع بعد ذلك بسبعة عشر كتابا . فكتاب الاقضية في ميزان الشعراني لم يحرر حتى يكون مافيه مستنداً صحيحا .وقال صاحب الاشاعة في أشراط الساعة ان الشعراني لم يحرر ميزانه في حياته وأنه قال : لاأحل لاحد أن يروي هذا الكتاب عني حتى نعرضه على علماء المسلمين ويجيزوا مافيه. انتهى كلامه والمعروف في كتب الحنابلة أن القضاء من فروض الكفايات راجع ص ٢٥٨ من الجزء الرابع من المنتهى وص ٩٦٨ من الاقناع وص ٥٨٠ من المقنع وقد ذكر محشيه عند قوله (وهو فرض كفاية) ان ذلك هو المذهب وذكر قولا عن الامام احمد بان القضاء سنة . فاذا لم يكن القضاء فرض كفاية عند الامام احمد فهو سنة عنده والمسنون من الخطط الشرعية . فما زعمه الشيخ علي من إنكار أن القضاء وظيفة شرعية وخطة دينية باطل ومصادم لآيات الكتاب العزيز . قال الله تعالى (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيماشجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) وقال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقال تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

— ٧ —

ومن حيث إنه يزعم أن حكومة أبا بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضي

الله عنهم كانت لادينية (١) فقد قال في صفحة ٩٠ (طبيعي ومعقول لى درجة البداهة ألا توجد بعد النبي صلى الله عليه وسلم زعامة دينية وأما الذي يمكن أن يتصور وجوده فانما هو نوع من الزعامة جديد ليس متصلا بالرسالة ولا قائما على الدين هو اذا نوع لاديني)

وهذه جرأة لادينية فان الطبعي والمعقول عند المسلمين الى درجة البداهة أن زعامة ابي بكر رضي الله عنه كانت دينية يعرف ذلك المسلمون سلفهم وخلفهم جيلا بعد جيل . ولقد كانت زعامته على أساس (انه لابد لهذا الدين ممن يقوم به) وقد انعقد على ذلك اجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . كما سبق

ودفاع الشيخ علي بأن الذي يقصده من أن زعامة ابي بكر لادينية انها لاتستند الى وحي ولا إلى رسالة مضحك موقع في الاسف فان أحداً لايتوهم ان ابا بكر رضي الله عنه كان نبيا يوحي اليه حتى يعنى الشيخ علي بدفع هذا التوهم :

لقد بايع أبا بكر رضي الله عنه جماهير الصحابة من أنصار ومهاجرين على أنه القائم بأمر الدين في هذه الامة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم فقام بالامر خير قيام ، ومثله في هذا بقية الخلفاء الراشدين

وإن ما رمى به الشيخ علي أبا بكر رضي الله عنه من أن حكومته لا دينية لم يقدم علي مثله أحد من المسلمين ، فالله حسبه

ولكن الذي يطعن في مقام النبوة يسهل عليه كثيراً أن يطعن في مقام أبي بكر واخوانه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين

« ١ » المنار : ان الغرض الاول له من الكتاب إثبات ان الحكومة في الاسلام « لادينية » بناء على زعمه ان جميع الاحكام الواردة في الكتاب والسنة ـ وهو لا ينكرها ـ خاصة بالنبي « ص » من حيث هو رسول الله وانه ليس لأحد ان يخلفه فيها كالرسالة وانما نص على خلافة الراشدين لان قيامها على الدين اظهر ، ودفاعه مبني على زعمه هذا لارجوع عنه ، فهو يريد أن الحكم الديني خاص بوحي اليه وأبو بكر ليس كذلك فحكمه . فكان الظاهر ان يجعل هذا أول اسباب الحكم ، وهو ردة صريحة لانه نفي للدين من شطر الشريعة ـ وهو الاحكام السياسية والقضائية ـ وتعطيل له كما اشير اليه في الحكم . وقد استغرب هو في مقال انتقد فيه الحكم جعله كالامر الثانوي

ومن حيث إنه - علاوة على ماذكر - يقف الشيخ علي في ص ٣٤ و٣٥ من المسلمين موقف الطاعن على دليلهم الديني ، والخارج على إجماعهم المتواتر الذي انعقد على شكل حكومتهم الدينية ، أو موقف المجيز للمسلمين إقامة حكومة بلشفية ، وكيف ذلك والدين الاسلامي في جملته وتفصيله يحارب البلشفية ، لأن البلشفية فتنة في الارض وفساد كبير لقد وضع الدين الاسلامي للمواريث أحكاما يلجأ اليها أحيانا غير المسلمين لما فيها من الرحمة والعدل . وأوجب على المسلمين مقادير من الصدقات ، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . وأمر باقامة الحكومة الدينية التي تحفظ لكل ذي حق حقه ، ولكل عامل ثمرة عمله ، وجعل للدماء والاعراض والاموال حرمة لا يجوز انتهاكها ، وضرب على أيدي المفسدين في الارض ، وحسبنا في ذلك أن نقول : إن البلشفية تهدم نظام المجتمع الانساني وتضيع حكمة الله في جعل الناس درجات ينتفع بعضهم من بعض قال الله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)

ومن حيث إن الشيخ عليا يقول في ص ١٠٣ (لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الامم الاخرى في علوم الاجتماع والسياسية كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية وأمتن مادلت تجارب الامم على أنه خير أصول الحكم) ومعلوم أن أصول الحكم ومصادر التشريع عند المسلمين انما هي كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين ، وليس هنالك للمسلمين خير منها . والشيخ علي يطالب أن يهدموا ما بنوه على هذه الاصول من نظام حكومتهم (العتيق) ويطالب اليهم أن يبنوا حكومتهم وشؤونهم الدينية والدنيوية على أصول خير من أصولهم يجدونها عند الامم غير الاسلامية ، فكيف يبيح دين الاسلام للمسلمين أن يهدموه

ومن حيث إنه يزعم في ص ٨٣ و ٨٤ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغير شيئا من أساليب الحكم عند أي أمة أو قبيلة في البلاد العربية وانما تركهم وما لهم

من فوضى أو نظام ، وهذا طعن صريح على محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لم يرسل لسعادة الناس في دينهم ودنياهم ، وطعن صريح على كتاب الله تعالى بأنه غير واف بما يلزم في الشؤون الاجتماعية . وقد قال الله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وقال تعالى(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

ومن حيث إنه تبين مما تقدم ان التهم الموجهة ضد الشيخ علي عبد الرزاق ثابتة عليه ، وهي مما لا يناسب وصف العالمية وفاقا للمادة (١٠١) من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ونصها :

(اذا وقع من أحد العلماء أيا كانت وظيفته أو مهنته ما لا يناسب وصف العالمية يحكم عليه من شيخ الجامع الازهر باجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها في الباب السابع من هذا القانون باخراجه من زمرة العلماء ، ولا يقبل الطعن في هذا الحكم

ويترتب على الحكم المذكور محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الازهر والمعاهد الاخرى وطرده من كل وظيفة وقطع مرتباته في أي جهة كانت وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية)

فبناء على هذه الاسباب

حكمنا نحن شيخ الجامع الازهر باجماع أربعة وعشرين عالما معنا من هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الازهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب «الاسلام وأصول الحكم» من زمرة العلماء

صدر هذا الحكم بدار الادارة العامة للمعاهد الدينية في يوم الاربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) شيخ الجامع الازهر

تنفيذ الحكم

(وهو النصر المبين ، لاهل الدين على اللادينيين)

كان الشيخ علي عبد الرازق مغروراً بأنصاره من الافرنج والمتفرنجين ، وملاحدة اللادينيين ، ظانا أنهم يرهبون بما يكتبون في جريدة السياسة كبار علماء الدين ، فلا يتجرؤن على الحكم عليه ، ثم انه كان متكلا على الوزيرين النافذي الرأي: إسماعيل صدقي باشا وزير الداخلية ، وعبد العزيز فهمي باشا وزير الحقانية ورئيس الحزب الحر الدستوري ، واثقا هو وأنصاره اللادينيون بأن يبقى في وظيفته القضاء الشرعي بالرغم من أنوف كبار العلماء إن هم حكموا باخراجه من جماعتهم — وبلغنا أن وزير الحقانية وعده ببقائه في منصب القضاء الشرعي الذي أنكره وكونه منصباً شرعيا بالتبع لانكار كون منصب الخلافة دينيا ، أي مقيداً بأحكام الدين ، كما علم واشتهر أن اسماعيل صدقي باشا لم يحفل بقرار هيئة العلماء الذي بلغته إياه قبل المحاكمة ، ولم يجب الى ماطلبه بعضهم منه من مصادرة الكتاب — واننا لم نكن نعلم من هذا شيئاً حين كتبنا في إحدى مقالاتنا في الرد على كتاب (الاسلام وأصول الحكم) إننا نعلم أن من أنصاره بعض الباشوات والدكاترة ، وغيرهم من الأكابر ، وانهم أقوياء ، ولكن قوتهم تتضاءل أمام قوة ملك البلاد . وقد عاقبتنا جريدة السياسة على القول بنشر تهمة غريبة تتهمنا فيها بأعمال دينية سياسية تغضب علينا — لو صحت — جلالة الملك وحكومته وتجعلنا عرضة للعقاب ، ولكن الحكومة كذبت التهمة ، وقد أشير علينا يومئذ أن نقاضي جريدة السياسة على تلك التهمة ، فقلنا إنه لا يليق بنا معشر أرباب الصحف أن نتقاضى الى الحكام ، وقد صرف الله عنا شر التهمة الباطلة بسلام

هذا الغرور والاتكال على الوزراء والاحزاب هو الذي جرأ الشيخ علي عبدالرازق على تهديد هيئة كبار العلماء في مقال نشرته له السياسة في صدر عددها الذي صدر في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ نهاهم فيه أن تأخذهم العزة بالاثم ، وتقتحم بهم في أودية ليس عليها دليل ، وتهجم بهم على موارد لايجدون عنها صدرا ، وتنتهي بهم الى عواقب لايحمدون عندها السري ، ثم قال :

«أيها السادة — لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، ولا تركبوا للانتقام مركبًا أخاف أن يرديكم قبل أن يصل بكم الى الانتقام

«ان شر ما ترجونه لنا هو خير ما نرجو لأنفسنا ، ولئن كنا غالبين أو مغلوبين ، فان لنا في الحالتين ، لأحدى الحسنيين. أما أنتم أيها السادة فخافوا على أنفسكم شرين ما لكم من أحدهما بد ، شر الانتصار ان غلبتم ، وشر الهزيمة ان غلبتم

أنا النذير لكم مني مجاهرة كيلا ألام على نهجي وانذاري
فان عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا أن سوف تلقون خزيا ظاهر العار»

ثم كررت جريدة السياسة بلسانها وألسنة كتابها أمثال هذه النذر بما هو أشد تهديدا ووعيدا وتقريعا وتثريبا — ولكن الحكم صدر ثم نفذ ، ولقد امتنع عبد العزيز باشا عن تنفيذه ، فكان جزاؤه العزل من الوزارة ، ثم كان جزاء حزبه الحر الدستوري الخروج من الوزارة أيضا ، فقد استقال سائر وزراء الحزب حتى اسماعيل باشا صدقي ، فقبلت استقالتهم أجمعين وكانوا يظنون أنها لا تقبل ، وان الحكومة الشاذة المعطلة للدستور لا تقوم الا بهم

تنفيذ هذا الحكم من الجهة العامة منوط في القانون برئيس الوزارة ، ومقتضى التنفيذ طرد الشيخ علي عبد الرازق من منصب القضاء الشرعي التابع لوزارة الحقانية ، ورئيس الوزارة الآن في أوربة ، ونائبه يحيى باشا ابراهيم وزير المالية وهو الذي بلغ وزير الحقانية الحكم مع توقيعه عليه بالتنفيذ وكان الواجب على وزير الحقانية اخراج الشيخ علي عبد الرازق بمقتضاه من القضاء من غير تريث ، ولكنه لم يفعل ، بل أحاله على لجنة قسم القضايا في الوزارة مبينا لها ما عنده من الاشكال في تنفيذه لترى رأيها فيه — وهذا نص عبارته في ذلك نقلا عن جريدتهم (السياسة)

قال وزير الحقانية بعد الديباجة :

« وحيث إننا نتشكك كثيرا (أولا) فيما اذا كان نص الفقرة الاولى من المادة ١٠١ من قانون الازهر نمرة ١٠ سنة ١٩١١ يقصر الموضوع الذي تختص هيئة كبار العلماء بالنظر فيه على الافعال الشائنة التي تمس كرامة العالم كالفسق وشرب الخمر ، والميسر ، والرقص ، وما أشبه ذلك مما يتعلق بالسلوك الشخصي

أم هو يتعدى ذلك الى الخطأ في الرأي في الابحاث العلمية الدينية من مثل ما نسب للشيخ علي عبد الرازق ووقعت المحاكمة فيه (ثانيا) على فرض أن اختصاص تلك الهيئة شامل بمقتضى النص لجريمة الفعل الشائن الماس بكرامة العالم ، ولجريمة الرأي معاً ، فهل هذا النص مستمر النفاذ الآن فيما يتعلق بجريمة الرأي ؟ ولا تأثير لأحكام المواد ١٢ و ١٤ و ١٦٧ من الدستور فيها (ثالثاً) ان كان نص الفقرة المذكورة عاما يشمل الجريمتين ، وكان لا تأثير لشيء من أحكام الدستور فيه ، وكان الحكم الصادر من هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء صحيحاً ، فهل الفقرة الاخيرة من المادة ١٠١ المذكورة — وهي المنصوص فيها على العقوبات التبعية — هي أيضا واجبة التنفيذ لم ينسخها شيء من أحكام مواد الدستور المذكورة أو غيرها من أحكامه »

« لذلك نرسل لجنابكم أوراق هذا الموضوع رجاء عرضها على لجنة قضايا الحكومة مجتمعة لدراسته وموافاتنا برأيها فيه والرجاء عند البحث ملاحظة سلطة شيخ الجامع الازهر المبينة بالمادة الرابعة من القانون المذكور ، فانها بالنسبة للعلماء خاصة بالاشراف على سيرتهم الشخصية وكأنه يظهر لنا أن الفقرة الاولى من المادة ١٠١ المذكورة هي الوازع في هذا الصدد فقد يجوز أن يفسرها ذلك على ما يظهر » بولكلي في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٥

(المنار) قد كان هذا الاستفتاء من عبد العزيز باشا فهمي مستنكراً من جماهير الناس وجميع الاحزاب — ماعدا حزبه طبعا — واشتدت مؤاخذتهم إياه عليه حتى بما لا يرضاه الادب كسنة جريدة حزبه ، ومن أقوى وجوه تلك المؤاخذة المنطقية التي تمنينا أن الاستفتاء من وزير مسلم في حكم صدر من كبار علماء الاسلام في موضوع متعلق بدين الاسلام ، وأن اللجنة المستفتاة أكثر أعضائها غير مسلمين وغير وطنيين — أن من وجوه الاستفتاء تفسير ما يمس كرامة العالم الديني ، هل يشمل مثل الآراء التي نشرها المحكوم عليه في كتابه أم لا ؟ وهل الحكم الصادر من كبار هيئة العلماء صحيح أم لا ؟

الحق أقول : إن استفتاء عبد العزيز فهمي باشا لهذه اللجنة غريب ، فاذا كان

هو على علمه الاجمالي بالشريعة ، ونشأته الاسلاميــة « يشك كثيراً » في كون ما فهمته هيئة كبار العلماء وغيرهم من علماء الشرع وسائر الطبقات المسلمة من كون تلك الآراء مشتملة على الطعن في القرآن وفي النبي عليه الصلاة والسلام ، واهانة للمسلمين والاسلام ، أي ردة وخروجا من الملة — اذا كان هو على علمه وذكائه واسلامه يشك كثيراً في كون هذه الآراء تمس كرامة العالم المسلم ، كالشرب أو اللعب أو الرقص ؟ فماذا ينتظر من موسيو فلان ومستر فلان ولا سيما بعد ابداء رأي الوزير المسلم ما بين شك وجزم ؟ أيعقل أن يصدر عن مسلم عامي الشك في كون اهانة الاسلام والمسلمين من عهد الخلفاء الراشدين الى الآن والقول بجعل حكومتهم لا دينية أهون من الرقص الذي قد يكون مباحا ، وقد يكون مكروها للتنزيه ؟ وانما يعد مخلا بكرامة العالم الديني مروءة وعرفا فقط.

يغلب على ظني أن عبد العزيز باشا فهمي لم يقرأ هذا الكتاب الرجس الذي هو شر من كتب ابن الراوندي الزنديق المشهور وأن جريدة السياسة قد خدعته بزعمها أن ليس في الكتاب إلا آراء في شكل حكومات الخلفاء ، ونظام القضاء ، وكونها ليست من أمور الدين التي تعبد الله بها المسلمين ، ولم أروجها لحسن الظن به أقوى من هذا

عزل وزير الحقانية

لما علم رئيس مجلس الوزراء بالنيابة (يحيى باشا ابراهيم) بأن عبد العزيز باشا فهمي امتنع من تنفيذ الحكم ، وجعله موضعاً للاستفتاء والبحث ، عرض الامر على جلالة الملك ، فوافق على عزله من وزارة الحقانية ، ونوط أمرها مؤقتاً بوزير المعارف وأصدر مرسوماً بذلك ؛ فقامت قيامة (الحزب الحر الدستوري) لذلك وقرر عدم مساعدة الوزارة ، واستقال سائر وزراء الحزب ، وكانوا يظنون أن استقالتهم لا تقبل لمكانتهم عند الانكليز ، ولأن الوزارة مؤلفة من حزبهم ومن حزب الاتحاد الجديد — وهما متفقان علي مقاومة سعد باشا زغلول وحزبه أو (الوفد المصري) وان حزب الاتحاد وحده لا يقوى على المقاومة ولا يستطيع النهوض بأعباء الوزارة — ولكن جلالة الملك لم يتلبث في قبول استقالتهم —

واستقالة اسماعيل صدقي باشا وزير الداخلية ، وأقوى خصوم سعد زغلول باشا وهو منهم فعلا لا رسما ، وتألفت الوزارة من الاتحاديين وحدهم . واشتد طعن كل من الحزبين وجرائدها في الآخر ومن أنصار جريدة (الاتحاد) وحزبها علماء الدين الذين يصفون محرري السياسة وأركان حزبها باللادينيين و بالملاحدة، وما كنت لأذكر هذا على اجتنابي الخوض في مسائل الاحزاب المصرية الا للاشارة الى خيبة أمل الشيخ علي عبد الرازق ، ومكانة انتصار أهل الدين على خصومهم في أول معركة علنية ، كان الفصل فيها بصفة رسمية . لهذا اشتغلت الجرائد منذ تقرر تنفيذ الحكم برفع برقيات التهاني والثناء من هيئة كبار العلماء بالازهر ، ومن علماء سائر المعاهد الدينيـة ، ومن الطبقات الاسلامية المختلفة الى جلالة الملك أولا بالذات ، والى رئيس الوزارة بالنيابة ، على تأييد الدين ، وخذل « لالحاد والملحدين » ولا تزال تنشر المقالات الكثيرة في ذلك

﴿ حكم المجلس المخصوص بوزارة الحقانية ﴾

بتنفيذ الحكم بالفعل وعزل الشيخ علي عبد الرازق من القضاء

« بجلسة تأديب قضاة المحاكم الشرعية بوزارة الحقانية بيولكلي في يوم الخميس ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٥ — ٢٩ صفر سنة ١٣٤٤ الساعة العاشرة وثلث صباحا تحت رئاسة حضرة صاحب المعالي علي ماهر باشا وزير الحقانية بالنيابة ، وبحضور كل من حضرات حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ عبد الرحمن قراعة ، وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ احمد العطار نائب المحكمة العليا الشرعية وحضرتي الشيخ محمد مخلوف رئيس التفتيش الشرعي، والشيخ عبد الجليل عشوب مفتش المحاكم الشرعية أعضاء ، وحضرة احمد محمد حسن افنـدي مدير ادارة مكتب وزير الحقانية

« صدر الحكم الآتي في قضية تأديب الشيخ علي عبد الرازق

المجلس

«بعد الاطلاع على قرار هيئة كبار العلماء الصادر بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤ الموافق ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥

« وعلى الخطاب المرسل من الشيخ علي عبد الرازق لمعالي وزير الحقانية بتاريخ ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٥ الذي يبين فيه أوجه دفاعه

« ومن حيث إن المتهم قد أعلن قانونا بتاريخ ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٥ للحضور أمام هذا المجلس ولم يحضر

« وبما أن فضيلة شيخ الجامع الازهر ومعه اربعة وعشرون عالما من هيئة كبار العلماء قضوا بالاجماع في ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ باخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء ، بسبب ما أذاعه في كتابه « الاسلام وأصول الحكم »

« وبما أن المادة الاولى بعد المائة من القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١ الخاص بالجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية ترتب على هذا الحكم طرد المحكوم عليه من كل وظيفة ، وقطع مرتباته في أية جهة كانت

« وبما أن مجلس تأديب القضاة الشرعيين (المنصوص عنه في قرار وزير الحقانية الصادر في ١٨ ابريل سنة ١٩١٧) وهو الذي يملك عزل القضاة الشرعيين بصفة نهائية ، هو كذلك بطبيعة الحال الجهة المنوط بها تنفيذ مثل هذا الحكم الصادر من هيئة كبار العلماء

«وبما أنه يلزم البدء بتعرف وتحديد ماهية ما لمجلس التأديب من السلطة حين ينعقد لتنفيذ الحكم الصادر تطبيقا للمادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية لمعرفة ما اذا كان مجلس التأديب مختصا بالنظر في موضوع التهمة ، و بالفصل فيما اذا كان الحكم الصادر فيها من هيئة كبار العلماء صحيحا أو غير صحيح ، وفيما اذا كان العالم الذي حوكم قد ارتكب بالفعل أمراً يوقعه تحت طائلة القانون ، أو أن هنالك تجاوزاً في التطبيق القانوني

« وبما أنه من المسلم الذي لا ريب فيه أن مجلس التأديب لا يملك شيئاً مما تقدم إذ من المبادىء العامة المقررة : ان الهيئات القضائية المختلفة تعتبر في الدولة على حد سواء ، وليس بينها في دوائر اختصاصها أي تفاوت في الاعتبار

«وبما أن الفقرة الثانية من المادة الاولى بعد المائة الآنف ذكرها تنص على أن الحكم الصادر من هيئة كبار العلماء لا يقبل الطعن ، فيلزم من هذا أنه ليس لأية سلطة قضائية أن تلغيه أو تبحث عن صحته كما يلزم منه — أن سلطة مجلس التأديب مقصورة حتما على النظر فيما يترتب على حكم هيئة كبار العلماء من النتائج القانونية

عن الاختصاص

« وبما أن الدفع بعدم اختصاص هيئة كبار العلماء بالنظر في موضوع كتاب « الاسلام وأصول الحكم » مبناه أن عبارة « مالا يناسب وصف العالمية » الواردة في المادة الاولى بعد المائة من القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١ لا تتناول الا الافعال الشائنة التي تمس كرامة العالم ، كالفسق ، وشرب الخمر ، والميسر ، وما أشبه ذلك مما يتعلق بالسلوك الشخصي ، وان هذه العبارة لا يمكن أن تتعدى ذلك الى الخطأ في الابحاث العلمية الدينية

« وبما أن الدفع على فرض صحته وقبوله لا يطعن في اختصاص هيئة كبار العلماء ، وليس له من نتيجة سوى ما قد يفهم من أن حكم الهيئة أخطأ في تطبيق القانون . أما اختصاص الهيئة فلا يطعن فيه ، لأن الشيخ علي عبد الرازق كان من العلماء ، ولأن الفعل الذي حوكم من أجله مما قد يقع من العلماء ويتصل بهم، ولأن القانون أجاز لهيئة كبار العلماء محاكمة العالم أيا كانت وظيفته أو مهنته

«وبما أنه على فرض وقوع خطأ في التطبيق القانوني ، فليس من اختصاص أية سلطة أخرى أن تنظر فيه

« على أنه ليس ثمة ما يدل على وقوع خطأ في تطبيق القانون ، لان عبارة « مالا يناسب وصف العالمية » جاءت عامة مطلقة من كل قيد بحيث لا يمكن قصرها على السلوك الشخصي ، فضلا عن أن وصف العالمية يفترض بذاته فوق السلوك

الشخصي كفاية علمية خاصة ، وعقيدة معينة . ولا شك أن هيئة كبار العلماء هي المختصة دون غيرها بالفصل فيما اذا كانت هذه العقيـدة مطابقة أو غير مطابقة للدين ، وفيما اذا كان صاحبها قد ارتكب أولم يرتكب مالا يناسب وصف العالمية

«يؤيد ماتقدم أن هيئة كبار العلماء ليست هيئة مدنية ، ولا مجرد هيئة أخلاقية حتى يقصر عملها على مراقبة السلوك الشخصي للعلماء ، وانما هي قبل كل شيء هيئة دينية الغرض من تكوينها رعاية أصول الدين ومبادئه ، وصيانتها من كل عبث

«وبما أنه مسلم فوق ذلك ان لكل جماعة ناموساً خاصا ، وحقا مقرراً يجيز لها أن تطرد من هيئتها كل عضو ترى أنه غير لائق بها . وهذا الحق الطبيعي ثابت لها بدون احتياج الى نص وضعي يقرره . ويبنى على ذلك أن هيئة كبار العلماء يصح لها أن تخرج أي عالم من زمرة العلماء ولو لم يكن ثمة قانون ينص على ذلك (*

وبما أنه لا معنى كذلك للاحتجاج بالمواد ١٢ و ١٤ و ١٦٧ من الدستور لان المادة ١٢ التي تنص على ان « حرية الرأي مكفولة . . . في حدود القانون » لاتفيـدان سوى أن لكل انسان الحق في أن يعتنق الدين الذي يريده ، أو يكون لنفسه الاعتقاد الذي يرضاه ، أو يعرب عن رأيه بالقول ، أو الكتابة أو التصوير بدون أن يتعرض للعقاب بسبب اعتناقه ديناً من الاديان ، أو إبانتـه عن رأي من الآراء مادام أنه لم يخرج عن حدود القانون

« وبعبارة أخرى: لاتفيد هاتان المادتان سوى أن كل إنسان له أن يتمتع بحقوقه الوطنية ، كحق الترشح للانتخاب أو التصويت فيه مهما كان دينه أو مذهبه أو

---

*) المنار : هذا الاطلاق في هذا السبب غير مسلم ولا حاجة اليه في تعليل صحة القرار ، وانما تطرد الجماعة من أفرادها من تجمعه بهم صفات وحقوق تميزهم من غيرهم تتعلق بها أحكام شرعية او وضعية أعطتهم حق الجزاء على الاخلال بتلك الصفات والحقوق كما فعل الشيخ علي عبد الرازق باخلاله بالعقيدة الاسلامية وباهانته للاسلام والمسلمين ، وبانكاره كون الحكم والقضاء في الاسلام مقيداً باحكام الدين ، وهو لم يكن قاضيا إلا بكونه مسلما وعالما ازهريا . ولكن ليس لكل هيئة طبية ان تطرد كل طبيب ترى انه غير لائق بها . فالاطلاق فيه تسامح لعله لا يراد به العموم وشرح المسألة لا محل له في هذه الحاشية

رأيه ، وهذا لا ينافي أن الحكومة مثلا لها أن تفصل من خدمتها كل وطني يرتكب أموراً معينة ، ولهذا قيدت المادة ١٤ من الدستور حرية الرأي بأنها الحرية المستعملة في حدود القانون

«ويلزم مما تقدم ان الذي حظره الدستور انما هو المحاكمة الجنائية أو الحرمان من الحقوق الوطنية بسبب اعتناق دين أو عقيدة ما . أما صفة العالم أو صفة الموظف فلا مانع من أن تكون محلا لتقنين خاص ، وهذا التقنين لا يتعارض مع الدستور في شيء ما

«وبما أنه لا صحة للقول بأن الفقرة الاخيرة من المادة الاولى بعد المائة وهي المادة السابق الاشارة اليها ، والمنصوص فيها على العقوبات التبعية قد نسخها الدستور ، لان الدستور قد نص في المادة ١٦٧ على استمرار العمل بالقوانين والمراسيم والاوامر واللوائح والقرارات ، مادام نفاذها متفقاً مع المبادىء المقررة فيه . وظاهر أن قانون الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية لا يوجد فيه ما يخالف تلك المبادىء كما سبق بيانه

«وفوق ذلك فما دامت الوظيفة التي يشغلها الشيخ علي عبد الرازق من وظائف العلماء أي وظيفة دينية ، فهي لذلك لا تحل الا لمن كان مقرا له بأنه من رجال الدين

« وبما أن المجلس يرى أن يقرر إثبات عزل الشيخ علي عبد الرازق من اليوم الذي صدر فيه قرار هيئة كبار العلماء باخراجه من زمرة العلماء

فلهذه الاسباب

«قرر المجلس باجماع الآراء إثبات فصل الشيخ علي عبد الرازق المذكور من وظيفته اعتباراً من يوم ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) مع مراعاة عدم حرمانه من حقه في المكافأة » اهـ

الاعضاء — رئيس المجلس

إمضاآت — إمضاء

﴿ تضمن الحكم على الشيخ علي عبد الرازق ﴾

الافتاء بارتداده عن الاسلام

إن هذا الحكم له صفة قانونية يجب تنفيذها على الحكومة المصرية ، وقد جعلت — وله صفة الفتوى وهي بيان الحكم الشرعي في هذا الكتاب ومؤلفه ، وكل من يعتقد اعتقاده في المسائل المخالفة لنصوص القرآن القطعية المعنى ، وغير ذلك من الامور المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة ، وهو الردة عن الاسلام ، والخروج من الملة الاسلامية ، وهيئة كبار العلماء لا تملك الحكم بالردة في هذه البلاد ، وانما تملك الفتوى ببيان الحكم الشرعي ، إذ لا يحتاج هذا الى تقريره بنص قانوني ، وهي لم تصرح بأن الشيخ علي عبد الرازق ارتد عن الاسلام بلفظ الردة أو الارتداد ، وانما ذكرت بعض مايدل على ذلك باتفاق المذاهب الاربعة التي هم كبار علمائها في الازهر ، بل باجماع المسلمين أيضاً — لاجل أن يحتاط الى نفسه ويرجع الى دينه بالرجوع عن ذلك ، ولئلا يغتر أحد من المسلمين بشيء من ضلاله ، وقد كان بعض الجاهلين بأحكام الشرع استنكر قول هيئة كبار العلماء قبل هذا الحكم : انه لا يصدر مثله عن مسلم فضلا عن عالم — وهذا الحكم بما فيه من التفصيل يبين لهم ذلك ، وان لم يجعل تفسيراً لتلك الكلمة البليغة . على أنها ليست بنص في الردة كما قوالهم في أسباب هذا الحكم

ولكن صاحب هذا الكتاب ليس عنده من العلم ولا من الحجة الا الخلابة القشلية ، والتلبيس والتمويه والافك اللفظي ، ومن ذلك أنه كتب مقالة نشرتها له نصيرته (جريدة السياسة) في صدر عددها الذي نشرت فيه صورة الحكم وهو المؤرخ في ١٦ صفر زعم فيها أن كبار العلماء تراجعوا عن اتهامه بشيء « لا يصدر من مسلم » بعد أن ذكر أنه كان خائفاً وجلا أن يقرروا خروجه من زمرة المسلمين (وان كان قد تبرأ منهم في كتابه مراراً) وهو يعلم أنهم قرروا خروجه من ملة الاسلام ، وأراد أن يضل عن ذلك العوام ، والا كان مثله كمثل من قيل له : من أكل السمك وشرب العسل فدخل الحمام جن — فأراد أن يجرب ذلك لضعف عقله ففعل فجن ، فخرج من الحمام الى السوق عاريا وطفق يقول للناس :

يقول من قبل كذا وكذا جن،وها أناذا قلت ولم أجن !! وانما نذكر بعض عباراتهم

(١) التصريح في الحيثية الاولى بأنه ألغى من الدين شطره ، وهو الاحكام المتعلقة بأمور الدنيا ، وان كان الكثير منها من المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة. أقول وكل ماكان كذلك فجحده ردة لاخلاف فيها

(٢) التصريح في الحيثية الثانية وغيرها بأن الشيخ علي عبد الرازق «لا يمنع أن يصادم صريح آيات الكتاب العزيز ، فضلا عن صريح الاحاديث الصحيحة المعروفة — ولا يمنع أن ينكر معلوم من الدين بالضرورة (راجع ص ٣٧٢ من المنار)

(٣) في الحيثية السابعة بيان لما ذكر في غيرها من جعله الحكومة الاسلامية لادينية لاتقوم أحكامها السياسية ولا القضائية على الدين وتصريحه بأن حكومة أبي بكر الصديق (رض) وسائر الخلفاء الراشدين لادينية ، وانه لا يمنع المسلمين مانع من هدمها ، واستبدال أي نوع من الحكم بها ، ولو الحكم البلشفي ، وتلك إباحة لهدم أحكام القرآن ، واستحلال لما هو محرم بالاجماع ومعلوم من الدين بالضرورة

(٤) التصريح فيها بأن في كلامه في إجازة النبي (ص) لما كان في قبائل الجاهلية من أحكام وفوضى ونظام «طعناً صريحاً على النبي (ص) وعلى كتاب الله تعالى» (راجع أول ص ٣٨٢) والطعن فيهما ردة صريحة بالاجماع

هذا وان البرقيات التي رفعها العلماء الى الملك ورئيس الوزارة على عنايتهما بتنفيذ الحكم صريحة فيما يعتقدون من اشتمال هذا الكتاب على الكفر والالحاد، وكتب بعضهم مقالات صرحوا فيها بالتكفير والردة كالشيخ محمد شاكر والشيخ يوسف الدجوي ونكتفي من البرقيات الكثيرة بواحدة وهي الرسمية الخاصة بالملك:

صاحب السعادة كبير الامناء بالنيابة بالاسكندرية

أرجو أن ترفعوا الى السدة العلية الملكية عني وعن هيئة كبار العلماء وسائر العلماء فروض الشكر وواجبات الحمد والثناء على أن حفظ الدين في عهد جلالة مولانا الملك من عبث العابثين وإلحاد الملحدين ، وحفظت كرامة العلم والعلماء ، واننا جميعاً نبتهل الى الله ونضرع اليه أن يديم جلالة مولانا الملك مؤيداً للدين، ورافعاً لشأن الاسلام والمسلمين ، وأن يحرس بعين عنايته حضرة صاحب السمو

[illegible]

الانكليز والحجاز

لايزال الساسة الانكليز على افتضاح أمرهم وانهتاك سرائرهم يعبثون بالشعوب الاسلامية ولا سيما في البلاد التي أفسدها نفوذهم فيها ، وقد جرأتهم غفلة هذه الشعوب وخيانة الكثير من اكابر مجرميها لها على الاسراع في القضاء الاخير على الاسلام والمسلمين الذي يعتقدون أن لايتم لهم الا بالاستيلاء على الحجاز ، وقد بدؤا السعي لذلك باصطناع الشريف حسين بن علي وأولاده فاطمعوهم بان يجعلوهم خلفاء وملوكا في البلاد العربية الحجاز وغيره تحت حمايتهم وفي ممدة امبراطوريتهم المستعدة لهضم العالم كله، فرضوا وخدموهم بجد واخلاص حتى تم لهم احتلال البلاد العربية من البحر الاحمر الى شط العرب فخليج فارس ، وكان نفوذهم في الحجاز نفسه أقوى منه في غيره حتى كان الملك حسين اذا استاء منهم يرفع استقالته الى الحكومة البريطانية رسميا وينشر ذلك في جريدته (القبلة) كما نقلناه عنها مرارا

ان أولاد حسين صغار النفوس كبار الشهوات ، همهم اللذة وحب الفخفخة الظاهرة، لذلك رضي فيصل وعبدالله منهم بالملك والامارة الصورية في خدمة الانكليز ، وأما حسين فكبير النفس، عاشق الحكم والسلطان الاستبدادي ، واسع الطمع، زاهد في الشهوات البدنية ، فلذلك لم يكن راضيا من الانكليز بحصرهم سلطته في الحجاز وظل يطالبهم بما وعدوه من تأسيس مملكة عربية واسعة تحت حمايتهم حتى ملوا وسئموا منه ، ولم يبالوا باخراج الوهابية اياه من الحجاز بعد علمهم بكره العالم الاسلامي له وعدم طمعهم بخدمة جديدة يسديها اليهم

ثم أرادوا أن يستفيدوا من التنازع على الحجاز فساوموا سلطان نجد فابى الدخول في المساومة معهم ورد مندوبهم مستر فلبي بخفي حنين واعلن رأيه الرسمي في الحجاز وهو تفويض امر شكل الحكم فيه وإصلاحه الى رأي مؤتمر إسلامي عام مع عدم السماح لادنى نفوذ اجنبي أن يصل اليه

وأما حسين وأولاده فتربصوا بهم الحاجة الي المال والذخيرة وساوموهم على منطقة العقبة ومعان من شمالي الحجاز فرضوا ببيعها لهم باسم الانتداب وجعلها

من إمارة عبد الله فطلبوا خروج (الملك) حسين منها اذ بقاؤه فيها يسوغ الوهابيين مهاجمتها فتمنع ظاهراً أو باطنا لعدم رضاه بمكان آخر يقيم فيه أو ظاهراً فقط — الله أعلم — ثم رضي بالخروج منها بعد انذار حقيقي أو صوري — الله اعلم — ثم خرج منقادا كالجمل الانف ولو لم يخرج لما استطاعوا اخراجه إلا بحرب ولن ترضى الحكومة البريطانية بأن تحاربه هنالك ، وستكشف الايام سر هذه المسألة

وأما أولاده علي وعبدالله وكذا فيصل - وقد استشير - فكانوا كلهم راضين ولكن عليا اشترط بل اقترح أن يرجع والده الى جدة ليتمتع هو بأمواله ونفوذه فلم يجب الى اقتراحه . وقد أصدر (إرادته السنية) بفصل المنطقة من « مملكته » الحجازية وإلحاقها بمنطقة شرق الاردن وذكر في نص الارادة أن التسليم يكون بعد خروج (الخليفه الاعظم) منها الى جدة

ثم أصدر الامير عبدالله (إرادته السنية) بضم المنطقة الحجازية الى «إمارته» والاحتفال بذلك رسميا ونشر نص الارادتين في جريدة (الشرق العربي الرسمية) وفي غيرها من الجرائد السورية (وقد نقلناها في جزء المنار الثالث م ٢٦

ثم بذلك للانكليز الاستيلاء على أهم بقعة حربية برية وبحرية من أرض الحجاز المقدسة باسم الانتداب الجديد الذي كان من حقوقه عندهم انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وصاروا على مقربة من المدينة المنورة — كل هذا والشعوب الاسلامية وعلماء المسلمين لاهون غافلون لم ترتفع أصواتهم بالاحتجاج على هذا العدوان الانكليزى على الاسلام ، ناسين وصية نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام ، اللهم الا صوتنا الضعيف في المنار وبعض الاصوات الشخصية المشابهة له

وأما أصحاب الاصوات العالية التي تتجاوب اصداؤها في الاقطار ، وتطير بها البرقيات كل مطار ، لما لها من الصفة الرسمية أو شبه الرسمية كالملوك والامراء ورؤساء الهيئات الملية والزعماء فقد ظلوا صامتين - اللهم الا جمعية العلماء وجمعية الخلافة في الهند - كأن أمر اعتداء الانكليز على الحجاز أمر عادي لا يؤبه له

ومن العجيب أن وجد في رجال الانكليز المشهورين أنفسهم من أنكروا على حكومتهم حق ضم شيء من أرض الحجاز الى منطقة الانتداب ولم يوجد

من أمراء المسلمين وحكوماتهم ولا من جماعاتهم الرسمية من فعل ذلك

إن هؤلاء لايجهلون أن وضع الانكليز أقدامهم بقرب المدينة المنورة بحجة حماية شرق الاردن من الوهابيين أو غيرهم سيحملهم على الاستيلاء على المدينة المنورة نفسها لحماية العقبة ومعان ، ثم الاستيلاء على مكة لاجل حماية المدينة المنورة. فاين أنتم أيها المسلمون واين وصية رسولكم صلى الله عليه وسلم في مرض موته ؟

وأعجب من هذا السكوت والسكون أن الانكليز مع هذا العدوان على الاسلام يهيجون الشعوب الاسلامية على السلطان ابن السعود الذي أعلن رسميا أنه يمنع أي نفوذ أجنبي أن ينفذ الى الحجاز ويحملونهم على الانتصار للشريف علي الذي وهب لهم منطقة من الحجاز حربية بحرية برية، فاذاعوا في العالم أن الوهابيين أطلقوا رصاصهم أو نارهم على قبة الحرم النبوي الشريف وأنهم هدموا قبر حمزة رضي الله تعالى عنه ، وهي فرية افتراها سماسرة الشريف علي بمصر ونشروها في المقطم فطارت بها البرقيات البريطانية ، ودبر وفد الشريف علي في بمبي (الهند) فتنة هيجوا بها بعض الغوغاء في المسجد ببرقية مزوّرة من القدس على الزعيم الكبير شوكت علي رئيس جمعية الخلافة لمقاومته للاستبداد الانكليزي في الهند والعدوان على الاسلام والمسلمين (١)

وقد طيرت البرقيات البريطانية خبر هذه الفتنة المدبرة فلم يبق قطر إسلامي الا ونشرته فيه ، وقد أظهرت شيخة الجرائد البريطانية تعجبها من سكوت المصريين وعدم تهيجهم على ابن السعود فعلم بهذا من لم يكن يعلم أن غرضها من ذلك هو التهييج ومساعدة الشريف علي على الوهابية بالدعاية الباطلة

إن التيمس تعلم أن كذبها وكذب البرقيات الانكليزية والسياسة البريطانية

(١) علمنا بعد نشرنا لهذه المقالة في الاهرام ان مجلس ادارة الامور الشرعية في القدس المسمى بالمجلس الاسلامى الاعلى أرسل الى الهند برقية يؤكد بها الدعاية الهاشمية البريطانية في هذه المسألة جنايا ته الاسلامية فاسفنا الغرور وهذا المجلس بلقبه وتدخله في مضايق هذه الفتن وكانت اولى مبايعته لحسين بالخلافة وهو مجلس اداري محلي ليس له من الصفات العلمية الدينية ولا غيرها من يوهمه اسمه ولا ما يعطيه هذه الحقوق وسنعود الى بيان ذلك في الجزء التالي

نفسها قد صارت مضرب الامثال عند المسلمين وغيرهم ولا سيما اذا كانت في الامور الاسلامية وآخرها زعمها أن الرأي الاسلامي العام بمصر مؤيد للشيخ علي عبد الرازق في زعمه أن حكومة الاسلام لا دينية وفي اهانته للاسلام والمسلمين المفيدة لسياستهم في الاستعمار ودعوة مبشريهم الى تنصير المسلمين

ولم ينس المسلمون الاكاذيب الحجازية البريطانية التي أذيعت قبل موسم الحج لصرف المسلمين عن إداء الفريضة كقولهم إن أساطيل الحجاز تمنع الحجاج من النزول في ثغري رابغ والقنفذة ، وأن جنود الحجاز تقطع عليهم الطريق اذا أمكنهم النزول، وإنهم مع ذلك لا يجدون ماء ولا قوتا ، ثم ظهر أن ذلك كذب صادر عن سوء نية ، فقد ذهب الالوف من أهل الهند الذين لم يصدقوا الانكليز ولا دعاة الشريف علي ونزلوا في تلك الثغور وأدوا الفريضة بأمان واطمئنان وراحة لم يسبق لها نظير

مع هذا كله اغتر بعض الناس بخبر المدينة المنورة فانتدب جلالة مليكنا المعظم بحكمته وكشف للامة الغطاء عن الحقيقة ببرقيته إلى السلطان ابن السعود وما جاءه من الجواب المكذب لتلك الفرية (١) فقطعت جهيزة قول كل خطيب وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون اه

﴿ مانشره الديوان الملكي فى الجرائد بعنوان بين الحجاز ومصر ﴾

ديوان جلالة الملك:

(١) صورة البرقية المرسلة من حضرة صاحب الجلالة الملك الى عظمة السلطان عبد العزيز سلطان نجد في ١١ صفر سنة ١٣٤٤ — ٣٠ اغسطس سنة ١٩٢٥

عظمة السلطان عبد العزيز سلطان نجد

إن الحرب القائمة حول المدينة المنورة قد أقلقت خواطر المسلمين قاطبة لما عساه يحدث من تأثيرها في الاماكن النبوية المقدسة التي نجلها جميعا ونحافظ على آثارها الكريمة، ولا يخفى على عظمتكم ما لهذه الاماكن من الحرمة التي توجب أن تكون بعيدة عن كل أذى رغم ما يقتضيه أي نزاع أو خلاف — ولكن ما نعهده في شديد غيرتكم

«١» وقد ارسل السلطان برقية اخرى لنقابة الصحافة بمصر تكذب بها دعوى اطلاق الرصاص على قبة الحرم الشريف تكذيبا صريحا

الدينية لما يطمئن قلوبنا والمسلمين عامة على صيانة الحرم النبوي الشريف وآثار السلف الصالح الدينية والسلام عليكم ورحمة الله فؤاد

(٢) صورة البرقية الواردة من عظمة السلطان عبد العزيز سلطان نجد الى حضرة صاحب الجلالة الملك في ١٦ صفر سنة ١٣٤٤ — ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٥

جضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم الملك فؤاد دامت معاليه

إني أشكركم من صميم فؤادي على غيرتكم الدينيـة وإني أقدر ماشرحتموه حق قدره — إن حرم المدينة كحرم مكة نفـديه بأرواحنا وكل ما نملك ، وان ديننا يحمينا من الاتيان بأي حدث في المدينة المنورة ، وسنحافظ على آثار السلف وكل ماهو في المدينة مما يهم كل مسلم المحافظة عليه — ان العدو يحاول أن يشوه وجهة جهادنا بما يفتريه من الكذب والبهتان، يحاول أن ينال بالبهتان، ماعجز عنه بالسنان ، ولكن الحق أبلج والله مؤيد دينه وآخذ بناصر أهله ولو كره المبطلون هذا وأرجو أن تقبلوا تحياتي واحتراماتي

عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود

(٣) صورة البرقية الواردة من جـلالة الملك علي ملك الحجاز الى حضرة صاحب الجلالة الملك في ١٣ صفر سنة ١٣٤٤ (أول سبتمبر سنة ١٩٢٥)

صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم

أهدي لجلالتكم الملوكية أعظم الشكر على غيرتكم الاسلامية الجديرة بذاتكم العلية ومقامكم السامي فيما رغبتم فيه من تنزه البقاع المقدسة عن أن تكون ساحة قتال، ولا يستكثر ذلك على سليل محمد علي الكبير الذي سبقت له خدمة هذه الديار المباركة من قبل، وفي مثل هذه الكارثة نفسها مادة ومعنى ؛ ونبرأ إلى الله أن يكون أحد منا نحن أبناء الحرمين الشريفين أراد القتال أو أخذ على الاستمرار فيه سواء ذلك في مكة المشرفة أو المدينة المنورة ، ونسجل على المتسبب مسئولية ما تهدم منها من آثار، وما لا يزال يصيبها من أذى كجعل القبة الخضرا النبوية هدفا للرصاص وسائر قبب وقبور أهل البيت في البقيع وتخريب مسجد سيدنا حمزة وهدم ضريحه الشريف طبقا للاساس الذي قام عليه المذهب الوهابي المعلوم . وبهذه المناسبة نؤكد

لجلالتكم اننا قائمون بالواجب الديني والوطني من بذل النفس والنفيس في صيانة مابقي من تلك الآثار وترميم ماخرب منها حتى يتم إخراج المعتدي بحول الله وقوته من الوطن المقدس كله ونثق أن العالم الاسلامي يشد أزرنا في ذلك وفي مقدمتهم جلالتكم الملوكية بصفتكم أكبر ملوك المسلمين وأعزهم غيرة على الله والدين أدام الله جلالتكم مؤيدين بالتوفيق والنصر علي

(المنار) نشر الديوان الملكي هذه البرقيات الثلاث في الجرائد بهذا الترتيب. وقد راب المفكرين علم الشريف علي بالبرقية المرسلة إلى سلطان نجد قبل وصولها اليه وجوابه عنها وجعلها وسيلة للدعاية الهاشمية التي كانت أساس مايدعيه من امتلاك الحجاز الذي ترتب عليه بيعه منطقة من أعظم مناطقه البرية البحرية للانكليز بجعلها تحت الانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الاردن كما كانت أساس ادعاء أبيه الملك على جميع العربية والخلافة على الأمة الاسلامية

ولا يزال الشريف علي هذا واخوته متمسكين بخلافة أبيهم اذ نص في صك بيعه منطقة العقبة ومعان للانكليز أنه يشترط أن يكون التسليم بعد «خروج الخليفة الاعظم منها» وهو يحرض ملك مصر بهذه البرقية على مساعدته على اخراج سلطان نجد من الحجاز كما فعل جده محمد علي باخراج سلف سلطان نجد منه ويدعي مع هذا أنه لايريد الحرب في الحجاز (!!) وتحاول الدعاية الهاشمية بث هذه الفتنة وتخويف ابن سعود من مصر ليقر الانكليز على ما أخذوا من الحجاز كما فعلت بتخويف المسلمين من خطر الحج فمنعته الحكومة المصرية

وفات الشريف علي أن محمد علي وشرفاء مكة كانوا خاضعين لخلافة السلطان العثماني الذي خلص له ملك الحجاز باخراج الوهابية منه والملك فؤاد غير خاضع لخلافة حسين بن علي فينقذله الحجاز ويكون تابعا لخلافته، بل هو ملك دستوري لا يمكنه الاقدام على عمل كبير كهذا إلا باقرار برلمان دولته عليه، ولا يعقل ذلك الا بمبايعة الملك والبرلمان وكبار العلماء والجند من المصريين لحسين بالخلافة

وأما اذا أراد الشريف علي بانقاذ ملك مصر للحجاز جعله تابعا لمصر فاعليه إلا أن يعلن هو ورجال حكومته ذلك ويبايعوا ملك مصر ويخرجوا من هذه الورطة التي اضطرته الى بيع جزء من الحجاز للاجانب ولا يعلم الى أي حد تنتهي به وهو لايملك مالا ولا جندا بل يتكل على الاجانب ليبقى ممتعا بلقب ملك الحجاز وليعود والده خليفة في الحجاز فاله ولملك مصر ولخداع المسلمين بالمحافظة على الحجاز والا ثار فيه؟

ومتى كان الشريف علي وأبوه واخوته يعرفون الاسلام أو يعملون بما يعرفه كل أحد منه؟ في أي كتاب من كتبه تعلموا أن الاسلام مبني على تعظيم القبور واستحلال بيع الاراضي المقدسة لغير المسلمين؟ هل أخذوه من وصية النبي (ص) في مرض موته قبيل وفاته بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان وباخراج المشركين واليهود والنصارى منها؟ أم من لعنه (ص) للذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد «يحذر ما صنعوا» كما قالت عائشة راوية الحديث في الصحيح؟ أم من لعنه صلى الله عليه وسلم لزائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج كما رواه الامام احمد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم؟ أم من حديث علي كرم الله وجهه في صحيح مسلم وهو قوله لابي هياج الاسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفا (أي مرتفعا) إلا سويته. (أي هدمته وسويته بالتراب. وقال الشافعي في الام: ورأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى (أي من القبور) قال النووي ويؤيد الهدم قوله «ولا قبر مشرفا إلا سويته» اه

نعم إن الالوف من عوام المسلمين في بلاد كثيرة غير نجد يجهلون هذه الاحاديث الصحيحة ويخالفون هديها وفيهم تنفع دعاية علي بن حسين وتضليلهم ولكن لا تروج هذه الدعاية لدى ملك مصر الذي يحف بعرشه كبار علماء الازهر ويعلم فوق ما يعلمون من سوء عاقبة جعل منطقة العقبة ومعان تحت الانتداب البريطاني ومن الخطر على سائر الحجاز وعلى شعائر الاسلام، ويعلم أن الامير عبدالله بن حسين ليس له من الحق في إمارة شرق الاردن الحقيرة عشر معشار ما للدولة مصر من الحق في القطر السوداني العظيم، وقد طرد الانكليز منه الجيش المصري الذي فتحه بعد إكراه الانكليز للحكومة المصرية على التخلي عنه وهو الذي عمره بأيديه وبملايين الخزينة المصرية!! فكيف يطوف بعقل الشريف علي أن ينصره ملك مصر على ابن السعود الذي أعلن رسميا بأنه يجعل أمر الحجاز مفوضا الى العالم الاسلامي ويخضع لما يقرره المؤتمر الذي يعقد لذلك؟ فهل يأبى ملك مصر هذا ويرضى بأن يبقى بيده يبيع من أرضه للاجانب ما يشاء؟

اذا كان الوهابية قد هدموا بعض القبور أو الآثار كما قالوا وقرر المؤتمر الاسلامي اعادة بنائها فلا يسع ابن السعود مخالفته وأما استرجاع ما باعه الشريف علي للانكليز فليس رده بالسهل على المؤتمر الاسلامي ولا على غيره (فاعتبروا يا أولي الابصار)

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه * اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق)

٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٤٤ــ ٢٥ برج الميزان سنة ١٣٠٥ هش ١٨ اكتوبر سنة ١٩٢٥

فتاوى المنار

(س ٢٠ - ٣٦) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الامام مفتي الانام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فاني أرفع لفضيلتكم الاسئلة الآتية راجيا التكرم بالاجابة عليها واسيادتكم من الله تعالى جزيل الاجر ومني عظيم الشكر

(١) هل رفع الحجاب عن وجوه المسلمات الحرائر وإظهار أكفهن ظهراً وبطناً الى الكوعين (*) خارج الصلاة في الطرقات والاسواق والمجتمعات العامة جائز في الشريعة الاسلامية أم لا ؟

(٢) وهل صوت المرأة الاجنبية المسلمة الحرة عورة يحرم على الرجال سماعه أم لا ؟

(٣ - ٦) وهل التزيي بلبس القبعة (مايسمونها بالبرنيطة) للرجل المسلم حرام أو مكروه أم لا ؟ فاذا قلتم حرام أو مكروه فما الدليل على الحرمة أو الكراهة وهل يجوز لرجل المسلم أن يتزيا بلبس البدلة الافرنجية (مايسمونها بالسترة والبنطلون) أم لا ؟ وهل تجوز صلاة الرجل المسلم وهو متزي بلبسها بلا حرمة ولا كراهة سواء كان إماما أو مأموما أو منفرداً أو خطيباً للجمعة والعيدين أم لا ؟ وهل للمسلمين من الرجال والنساء زي مخصوص يلبسونه أم لا ؟ فاذا قلتم ان لهم زيا مخصوصا يلبسونه فما هو شكله وكيفيته ؟ أرجو التفضل ببيان ذلك ؟

(٧ - ٨) وهل السكروتة (مايسمونها بالستكروزة) من المودة أم من

(*) المنار : المراد بالكوعين الكوع والكرسوع على التغليب فالكوع طرف عظم الساعد أو الزند من جهة ابهام اليد والكرسوع الطرف الآخر الذي يلي الخنصر وما بينهما يسمى الرسغ بالضم

النيات ؟ وهل يحرم لبسها كالحرير للرجال أم لا ؟ وهل حرمة التحلي بلبس الحرير للرجال من الكبائر أم من الصغائر

(٩ـ ١٣) وماهي الحرمة الكبيرة والصغيرة وما كيفية عذابهما وهل يتفاوتان في العذاب أم لا ؟ وهل عذاب القبر للروح والجسد معاً أم هو للروح فقط — وهل يكون العذاب مستمراً دائما أم منقطعا أي يرتفع ويعود وهكذا أم لا ؟

(١٤ ـ ١٦) وما قولكم دام فضلكم في رجل مسلم مؤمن بالغ عاقل حز قتل نفسا مسلمة مؤمنة بالغة عاقلة حرة عمداً بغير حق ولم يقاصص في الحياة الدنيا لا بدفع الدية ولا بغيرها مطلقا وعليه أيضاً ديون ومظالم وخيانات وسرقات وكذب وغش لاناس ولم تسامحه أربابها في الحياة الدنيا ماحكمه في ذلك كله يوم القيامة ؟ هل يعذب في قبره بسبب ذلك كله أم عذابه في الآخرة فقط وهل اذا تاب الى الله تعالى في الحياة الدنيا من ذلك كله تقبل منه التوبة ولا يعذب به في قبره ولا في الآخرة أم لا ؟

(١٧) وهل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين أم لا ؟ — وما معناهما — وهما « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم » — رواه الامام مسلم — « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » — رواه الامامان مسلم واحمد . أرجوكم أن لا تحيلونا على فتاوي سبقت لكم في مجلدات مجلة المنار بهذا الخصوص حيث انه لم توجد لدينا مجلدات مجلة المنار مطلقا تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب م ؟

(المنار) اننا نجيب عن هذه المسائل بشيء من الاجمال لبعض مباحثها ، ومن التكرار لبعض معانيها ، لما سبق لنا من تفصيل القول في أكثرها

كشف وجه الحرة وكفيها

نقل الحافظ ابن عبد البر وغيره أن المسلمين قد أجمعوا على أن على المرأة أن تكشف وجهها في الصلاة والاحرام . ومن المعلوم أن مدة الاحرام طويلة تبتديء من الميقات المعين وتنتهي باداء النسك من حج أو عمرة ، وأن النساء كن ولا يزلن يشاركن الرجال في أعمال فرائض النسك وواجباته ، وأنهن كن

يصلين مع الرجال ، ويتوضأن حيث يتوضؤن في بعض الاوقات والاحوال . فالستر الذي فرض عليهن في أثناء الصلاة والنسك هو أكمل الستر وأتمه لانه يكون في أفضل المجامع الدينية المشتركة بينهن وبين الرجال ، ولا ينافي ذلك كونهن يصلين صلاة الجماعة خلف الرجال وانهن قد يفرد لهن المطاف فيطفن وحدهن ، اذ من المعلوم بالضرورة أنهن يقبلن على المساجد في الحالة التي يصلين فيها أو يطفن فيراهن الرجال وانهن يتنقلن مع الرجال من مواقيت الاحرام الى مكة ومنها الى عرفات والمزدلفة ومنى .

ولا بأس بأن ننقل هنا ملخص مذاهب علماء الامصار في المسألة في الصلاة وخارجها عن كتاب المغنى للشيخ الموفق الحنبلي فانه كتاب في فقه الاسلام لا في فقه الحنابلة وحدهم قال (ص ٦٤١ ج ١)

لا يختلف المذهب في أنه يجوز للمرأة كشف وجهها في الصلاة وأنه ليس لها كشف ماعدا وجهها وكفيها . وفي الكفين روايتان . واختلف أهل العلم فأجمع أكثرهم على أن لها أن تصلي مكشوفة الوجه وأجمع أهل العلم على أن المرأة الحرة أن تخمر رأسها اذا صلت وعلى أنها اذا صلت وجميع رأسها مكشوف أن عليها الاعادة وقال ابو حنيفة القدمان ليسا من العورة لانهما يظهران غالبا فهما كالوجه وإن انكشف من المرأة أقل من ربع شعرها أو ربع فخذها أو ربع بطنها لم تبطل صلاتها . وقال مالك والاوزاعي والشافعي جميع المرأة عورة الا وجهها وكفيها وما سوى ذلك يجب ستره في الصلاة لان ابن عباس قال في قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها) : الوجه والكفين . ولان النبي (ص) نهى المحرمة (أي بالحج أو العمرة) عن لبس القفازين والنقاب . ولو كان الوجه والكفان عورة لما حرم سترهما ، ولان الحاجة تدعو الى كشف الوجه للبيع والشراء ، والكفين للأخذ والاعطاء ، وقال بعض أصحابنا المرأة كلها عورة لانه قد روي في حديث عن النبي (ص) « المرأة كلها عورة » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . لكن رخص لها في كشف وجهها وكفيها لما في تغطيته من المشقة . وأبيح النظر اليه لاجل الخطبة لانه مجمع المحاسن اه ومثله في الشرح الكبير (ص ٤٦٢ ج ١)

وذكر الامام الشوكاني في نيل الاوطار خلاف هذه المذاهب وغيرها فقال

« وقد اختلف في مقدار عورة الحرة فقيل جميع بدنها ماعدا الوجه والكفين والى ذلك ذهب الهادي والقاسم في أحد قوليه والشافعي في احد أقواله وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه ومالك . وقيل والقدمين وموضع الخلخال (أي كالوجه والكفين) والى ذلك ذهب القاسم في قول وابو حنيفة في رواية عنه والثوري وأبو العباس . وقيل بل جميعها الا الوجه واليه ذهب احمد بن حنبل وداود . وقيل جميعها بدون استثناء واليه ذهب بعض أصحاب الشافعي . وروي عن احمد. وسبب اختلاف هذه الاقوال ماوقع من المفسرين من الاختلاف في تفسير قوله تعالى (إلا ماظهر منها) اه

أقول بل هنالك أسباب أخرى كما تقدم عن المغني وأقواها ما كان معروفا في الصدر الاول من معاملة النساء للرجال في البيع والشراء والشهادة وخدمتهن لجرحى الحروب وانما ورد النهي عن خلوة الرجل بالمرأة الاجنبية وعن متابعة نظر الشهوة . وفي حديث ابن عباس من صحيح البخاري وغيره أن النبي (ص) أردف الفضل بن العباس خلفه في سفر حجة الوداع فعرضت له (ص) امرأة خثعمية جميلة تسأله فطفق الفضل ينظر اليها فأخذ النبي (ص) بذقن الفضل يحول وجهه عن النظر اليها وفي رواية الترمذي للقصة أن العباس قال للنبي (ص) لويت عنق ابن عمك ? فقال « رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الفتنة » فالنبي (ص) لم يأمر المرأة بستر وجهها ولم يأمرها ولا أمر الفضل بعدم نظر كل منهما الى الآخر الا انه حول وجه الفضل عنها لما رآه يتعمد إطالة النظر اليها فعلم انه عن شهوة . ولذلك ورد أن النظرة الاولى للمرء والثانية عليه وهذا بعد نزول آية الحجاب بخمس سنين ، وقد استدل به من السنة العملية على أن الحجاب المنصوص في سورة الاحزاب خاص بنساء النبي (ص) كما هو صريح الآيات ، ولا سيما قوله تعالى في أولها (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) الخ

وتعليلهم المتقدم لكون الوجه والكفين لا يجب سترهما بالحاجة الى كشفهما للبيع والشراء والاخذ والاعطاء ، وبما في التغطية من المشقة صريح في عدم قصر كشفهما على حال الصلاة . ومن حرم كشف الوجه والكفين من الفقهاء كالنووي

من الشافعية علاوه بخوف الفتنة وهو أمر عارض لا أصل ولا غالب في النظر فهو يراعي في الاحوال التي هي مظنة الفتنة ،وليست دائمة ولا غالبة فان البر والفاجر من جماهير الناس يرون أبرع النساء جمالا في شوارع الامصار العامة ولا يكاد يفتتن أحد منهم برؤيتهن على أن الكثيرات منهن يخرجن متبرجات بكل ما أباحته حرية الفسق من زينة وتهتك واغراء ، وانما يفتتن بعض الفجار الذين يبحثون عن الفواجر ، فمن يريد التحري لدينه من رجل وامرأة فلا يخفى عليه ما كان مظنة الفتنة الواجب عليه اجتنابها والبعد عن مواقف الشبهة ومواضع الريبة . ولم يكن الامر بالستر في عصر التشريع الا لاجل هذا وقد أبيح للاماء كشف رؤسهن مع وجوههن ومن العلماء من قال إن عورة الامة كعورة الرجل : ما بين السرة والركبة ، وربما كانت الفتنة فيهن أشد لان الوصول اليهن أيسر ، والدمة فيهن أقل وأضعف ويجب عليهن ما يجب عن الحرائر من صيانة أعراضهن، ويحرم عليهن من الفجور ووسائله ما يحرم عليهن ، ولا يقول فقيه باباحة تعرضهن للفتنة ، فاذا وجدن في مكان يتعرض فيه الفجار لهن فعليهن أن يسترن رءوسهن ووجوههن أيضاً وإلا فلا .

وانا لنعلم أن المتفرنجين من المسلمين يبغون برفع أدب الحجاب عن المسلمات التوسل إلى مثل إباحة نساء الافرنج كافعل الترك ،فليحذر المسلمون الحريصون على دينهم وأعراضهم وأنسابهم ذلك ، فان الخوف من هذه العاقبة هو الذي يحمل اهل الدين من صنف العلماء وغيرهم على اطلاق القول بوجوب كذا من الحجاب وتحريم كذا من السفور مثلا ، والتحريم والتحليل الدينيان حق الرب وحده على عباده فهو يتوقف على النص ، والنص عام وخاص ، ومطلق ومقيد ، وتطبيق النصوص على الوقائع والنوازل أعسر مسلكا من معرفة النصوص وفهم معانيها ، ولذلك ورد في الحديث « استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك » رواه احمد والدارمي وابو يعلى من حديث وابصة مرفوعا

وأما صوت المرأة فليس بعورة فما زال النساء يكلمن الرجال في افادة العلم واستفادته حتى نساء النبي (ص) وفي المحاكمات والشهادات والمبايعات وغير ذلك من المعاملات كخطبة النكاح وكذا الخطب السياسية بغير نكير .وقال الله لنساء نبيه

في آيات الحجاب (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا)

مسائل اللباس والزي

قد حققنا هذه المسألة في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي هو أول مؤلفاتنا ثم عدنا اليه فى المنار مراراً . وصفوة القول فيه أن الدين الاسلامي لم يفرض ولم يحرم على المسلمين زيا مخصوصا بل ترك هذا وأمثاله من العادات الى اختيار الناس، والاسلام دين عام فرضه الله تعالى على جميع الناس كما تراه مفصلا في تفسير هذا الجزء ،وما يصلح لهم من اللباس في بعض الاقطار لا يصلح في غيرها . ولكن شرعه حرم عليهم الضرر والضرار فليس لمسلم أن يرتكب مايضر نفسه ولا مايضر غيره فاجتناب الضرر والضرار قيد تقيد به جميع المباحات لذاتها من أكل وشرب ولباس وصناعة وزراعة وغير ذلك . فمن علم بالتجربة أو بقول الطبيب الصادق ان اكل الخبز أو شرب الماء يضره لمرض مثلا حرم عليه، ويقاس على هذا غيره، وما يضر الناس أفراداً وجماعات أولى بالتحريم مما يضر النفس ، فليس لمسلم أن يضر أحدا بعبادته فضلا عن عادته

فمن عرف هذا الاصل علم أن لبس السراويل المسمى بالبنطلون أو القلنسوة المسماة بالبرنيطة ليس محرما لذاته بل مباحا ، فان كان هذا اللباس بصفة تصده عن الصلاة أو تحمله على تأخيرها عن وقتها لتعذر أدائها أو تعسره في حال لبسه ككون السراويل حازقا أي ضاغطا على البدن يمنع لشدة ضيقه من السجود وككون القلنسوة تمنع منه كذلك بشكلها .. . فان ذلك يكون ضررا دينيا مقتضيا للتحريم مادام مانعا وكذلك اذا كان لبس الحازق يضر البدن كما قالوه في المشد الذي تشد النساء به خصورهن . وقد قال الدكتور سنوك المستشرق الهولاندي المشهور الذي دخل في الاسلام وجاور في مكة بضع سنين ، وكان صديقنا السيد عبد الله الزواوي مفتي مكة من شيوخه يعتقد صحة إسلامه ـ قال ـ انه ثبت بالتجربة الدقيقة في البلاد المختلفة أن المسلمين الذين يتركون زيهم ويلبسون الزي الافرنجي يترك أكثرهم الصلاة أو المحافظة عليها . مع العلم بان أكثرهم يجعلها واسعة لا يتعذر السجود ولا يتعسر في حال لبسها

ونحن نزيد على هذا اننا رأينا بالاختبار في مصر أن الذين تركوا الزي الوطني: الجبة والقباء (القفطان أو القنباز) والعمامة حتى من غير المنسوبين الى طبقة رجال العلم والتعليم واستبدلوا به الزي الافرنجي صار اكثرهم يجلسون في الحانات ويعاقرون الخمور على قارعة الطريق ويختلفون الى معاهد الرقص والخلاعة ومواخير الزنا جهراً ومنهم من غير زيه لاجل هذا فكان عاصيا لله تعالى به وسيلة ومقصدا . وما كل من يلبسه كذلك ولا سيما الذين اعتادوه من الصغر

ثم إن هذا الزي قد صار اذا استثنينا (البرنيطة) من جملة الازياء الوطنية بمصر وبلاد أخرى يلتزمه جميع رجال الحكومة ماعدا رجال الشرع عنهم . فاذا أضيفت اليه البرنيطة التي لاتزال خاصة بالافرنج ومقلديهم من الشعوب غير الاسلامية ولا يلبسها من المسلمين الا لافراد الذين يسافرون الى بلاد الافرنج لاجل التنكر وإيهام أهل البلاد انهم منهم ، ويعتذرون عن هذا بأنهم اذا دخلوا البلاد بزيهم الوطني يكونون مطمح أنظار الساخرين والمستهزئين وقد يؤذون منهم . وهذا اعتذار باطل كما جربنا بنفسنا فقد زرنا أوربة بزينا الوطني الذي يعد زي علماء الدين في بلادنا ولم نلق أذى من أحد باحتقار ولا غيره ، نعم كانت تتوجه الينا الانظار ، وتلتفت نحونا الاعناق ، ولا سيما اذا صلينا في بعض المنتزهات العامة ، ولكن كان يكون ذلك مع الادب التام بل كنا قد نحترم عند الذين يعرفوننا أكثر من غيرنا

وقد لبس النبي (ص) الجبة الرومية والطيالسة الكسروية لبيان الجواز ولكنه أمر أمته بمخالفة الكفار في عاداتهم وأزيائهم لا في أمورهم الدينية فقط ، ولما كان هو بمكة كان يخالف المشركين وإن وافق أهل الكتاب ، فلما صار في المدينة كان يأمر بمخالفة الكتاب لمجاورته لهم فيها كما أمر بصبغ الشيب لانهم لم يكونوا يصبغون ، وروى احمد وابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة (رض) قال قلنا يارسول الله ان أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون فقال (ص) «تسرولوا واءتزروا وخالفوا أهل الكتاب» أي فأمر بمخالفتهم بالجمع بين الامرين ولم يأمر بترك السراويل البتة لمخالفتهم اذ الغرض أن يكون للمسلمين مشخصات من العادات خاصة بهم ولا يكونوا تابعين لغيرهم لان الاستقلال في العادات وغيرها مما يعد من مشخصات الامم

التي تعرف بها يزيد استقلال الامة في مقوماتها الملية — كالدين واللغة والآداب وما يسمونه الثقافة القومية قوة ورسوخا ،

لهذه العلة أجاب عمر (رض) معاوية وغيره ممن طلبوا منه أن يتجمل أمام أهل بلاد الشام لانهم اعتادوا أن يروا حكامهم من الروم في مظاهر عظيمة من الزي وغيره — فقال ما معناه — جئنا لنعلمهم كيف نحكم لا لنتعلم منهم. ولهذا الغرض نفسه كان يوصي قواده الفاتحين لبلاد الاعاجم وعماله فيها بالمحافظة على عادات العرب وزيها وينهاهم عن التشبه بالاعاجم

روى مسلم في صحيحه عن أبي عثمان النهدي قال كتب الينا عمر ونحن باذربيجان : ياعتبة بن فرقد . انه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك . فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك ، وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير ، فان رسول الله (ص) نهي عن لبوس الحرير الا هكذا... ورفع لنا رسول الله (ص) أصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما اه. وعتبة هذا كان قائد جيش عمر هنالك . قال النووي في شرح مسلم : ومقصود عمر (رض) حثهم على خشونة العيش وصلابتهم في ذلك ومحافظتهم على طريقة العرب في ذلك وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفرايني وغيره باسناد صحيح قال : أما بعد فاتزروا وارتدوا وألقوا الخفاف والسراويلات وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل ، واياكم والتنعم وزي الاعاجم ، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ، وتمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وابرزوا وارموا الاغراض، اه

فقد أمرهم بالقاء الخفاف والسراويلات وكانوا يلبسونها في عهد النبي (ص) بأذنه كما أمرهم بغير ذلك من لبوس العرب وعاداتهم ليحافظوا على مشخصاتهم فلا يندغموا في الاعاجم . ولولا ذلك لاندغموا في الاعاجم بدلا من تعريبهم لهم. والتمعدد التشبه بمعد بن عدنان وكان شديد القوة والبأس يؤثر الخشونة في العيش على الترف والرخاوة . وقوله : واقطعوا الركب، هو بضمتين جمع ركاب — ككتاب وكتب — أي اقطعوا ركب سروجكم . فهذه الاوامر والنواهي ليست دينية مفروضة على كل مسلم بل هي من سياسة الاسلام التي تطلب من جمهور الامة في مثل هذه

لاحوال ولحكامهم أن يلزموهم إياها شرعا وعليهم طاعتهم فيها ان كانت لتقوية بناء الامة ورفعة شأن الملة

وقد التزم هذه السياسة العربية الاسلامية في هذا العصر الشعب الانكليزي ولا سيما في مستعمراته فهو يتحرى أن يكون ممتازاً أو متبوعا، ولذلك كان أعز الشعوب نفساً وأعلاهم همة وقدراً . وقد رأيت السيد عليا ملاحظ أو وكيل الشحنة (البوليس) في آغره من الهند يلبس قلنسوة (برنيطة) بريطانية فكلمته في لبسها ومافيه وسألته هل هو شرط رسمي فى عمله ?...؟ فقال ان الانكليز يمنعون أهل الهند رسميا من لبس هذه البرانيط لئلا يتشبهوا بهم فلا يلبسها أحد الا بأذن خاص ولا يعطى هذا الاذن لكل أحد، وقد أعطيته بعد أن طلبته لان التجوال فى الشمس عامة النهار يؤذي رأسي.

(للبحث بقية)

مواد المنار

تزاحم المواد على المنار بتزاحم الاحداث والجوائب في العالم الاسلامي فتضيق صحائفه بها وبمواده الثابتة فنضطر الى ترك بعض ما بدأنا قبل اتمامه أو تأخيره. كنا شرعنا في كتابة بحث طويل في مسألة ترجمة القرآن المجيد لاقدام الحكومة التركية على تنفيذ ما اقترحه بعض ملاحدتهم اللادينيين في أواخر عهد الدولة العثمانية التي قضوا عليها فما عتم أن فاجأنا اللادينيون في مصر بكتاب (الاسلام وأصول الحكم) فصرفنا فضل وقتنا الى السعي لدمغ باطله وابطال ضلالته واظهار ما انطوى عليه من الكفر الخفي والجلي وتأليب علماء المسلمين وعامتهم عليه فكتبنا في ذلك عدة مقالات ضاق عنها المنار فنشر بعضها في جريدة اللواء وبعضها لما ينشر، كما عقدنا عدة مجالس لذلك حضرها بعض علماء الازهر وأساتذة المدارس العليا وغيرهم، ونشرنا صورة حكم هيئة كبار العلماء على مؤلفه بطرده من علماء الازهر وما ترتب عليه من حكم الحكومة بطرده من المحاكم الشرعية. وسنعود الى ما تركنا بحسب الحاجة

اسرار البلاغة او فلسفة البيان

(تابع لما نشر في الجزء الخامس)

واذا ثبت هذا الاصل وهو أن تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس مما يحرك قوى الاستحسان ، ويثير الكامن من الاستظراف ، فان التمثيل اخص شيء بهذا الشان ، واسبق جار في هذا الرهان ، وهذا الصنيع صناعته التي هو الامام فيها ، والبادئ لها والهادي الى كيفيتها ، وأمره في ذلك انك اذا تصمدت ذكر ظرائفه وعد محاسنه في هذا المعنى ، والبدع التي يخترعها بحذقه ، والتأليفات التي يصل اليها برفقه ، ازدحمت عليك ، وغمرت جانبيك ، فلم تدر أيها تذكر ، ولا عن أيها تعبر ، كما قال :

اذا أتاها طالب يستامها تكاثرت في عينه كرامها

وهل تشك في انه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشئم والمعرق (١) وهو يريك للمعاني الممثلة بالاوهام شبها في الاشخاص الماثلة ، والاشباح القائمة ، وينطق لك الاخرس ، ويعطيك البيان من الاعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التئام عين الاضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين ، والماء والنار مجتمعين ، كما يقال في الممدوح : هو حياة لاوليائه ، موت لاعدائه ، ويجعل الشيء من جهة ماء ومن أخرى ناراً كما قال :

أنا نار في مرتقى نظر الحا سد ماء جار مع الاخوان

وكما يجعل الشيء حلواً مراً ، وصابا عسلا ، وقبيحا حسنا ، كما قال :

(١) المشئم من أتى الشام ، والمعرق من أتى العراق

حسن في عيون اعدائه أقـ ـبح من ضيفه رأته السوام (١)

ويجعل الشيء أسود أبيض في حال كنحو قوله

له مَنظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب اسود اسفع(٢)

ويجعل الشيء كالمقلوب الى حقيقة ضده كما قال :

غُرّة بهمة ألا إنما كنـ ـتُ أغرّا أيام كنت بهيما (٣)

ويجعل الشي قريبا بعيداً معاً كقوله : * دان على أيدي العفاة وشاسع * وحاضراً وغائبا كما قال :

أيا غائبا حاضراً في الفؤاد سلام على الحاضر الغائب

ومشرقا مغربا كقوله :

له اليكم نفس مشرّقة ان غاب عنكم مغرّبا بدنه

وسائراً مقيما كما يجيء في وصف الشعر الحسن الذى يتداوله الرواة

---

(١) وفي نسختنا: وجوه أعدائه ولكن قال شيخنا : ان الرواية الصحيحة عيون أعدائه وان قوله حسن خبر لمحذوف هو الممدوح وفي (عيون) صفة لاقبح الذي هو خبر ثان والسوام الماشية (٢) الاسفع الاسود المشرب بحمرة والاسم السفعة بالضم (٣) يصف الشيب بأنه غرة شديدة ، وانما كان أغر في الوقت الذي كان فيه بهيما أي أسود الشعر ، وفي رواية أبي هلال مرة بدل بهمة . هذا ما كتبته على البيت في حاشية الطبعة الاولى وأجازه شيخنا الا أنه علق على نسخة الدرس بازاء قوله غرة بهمة :أراد من الشدة أنها صعبة الاحتمال اه ولم يظهر لي الآن وجه تفسير البهمة بالشديدة . ومن المعلوم أن الغرة في الاصل البياض في جبهة الفرس فوق قدر الدرهم ومنه فرس أغر والبهمة كالظلمة وزنا ومعنى .والبهيم الذي لا شية فيه من غير لونه ، ومنه ليل بهيم لاضوء فيه ويطلق الاغر على الحسن والابيض من كل شيء وعلى السيد الكريم ، فاذا كان يصف شيبه فهو يقول انه وان لمته غرة كالظلمة في قبحها وكراهته هو أو كراهة الحسان لها ، وانه انما كان رجلا أغر في الوقت الذي كان شعره أسود بهيما

وتتهاداه الالسن كما قال القاضي أبو الحسن :

وجوّابة الافق موقوفة تسير ولم تبرح الحضرة

وهل يخفى تقريبه المتباعدين ، وتوفيقه بين المختلفين ، وانت تجد اصابة الرجل في الحجة وحسن تخليصه للكلام وقد مُثلت تارة بالهناء ومعالجة الابل الجربى به (١) واخرى بحز القصاب اللحم وإعماله السكين فى تقطيعه وتفريقه في قولهم : « يضع الهناء مواضع النُّقب (وهو الجرب) ويطبق المفصل » (٢) فانظر هل ترى مزيداً فى التناكر والتنافر على ماببن طلاء القَطِران ،وجنس القول والبيان ، ثم كرر النظر وتأمل كيف حصل الائتلاف وكيف جاء من جمع أحدهما الى الآخر مايأنس اليه العقل ويحمده الطبع . حتى انك لربما وجدت لهذا المثل اذا أورد عليك (٣) في أثناء الفصول ، وحين تبين الفاضل فى البيان من المفضول ، قبولا ولاما تجد عند فوح المسك ونشر الغالية (٤) وقدوقع ذكر الحز والتطبيق منك موقع ماينفي الحزازات عن القلب ، ويزيل اطباق الوحشة عن النفس . وتكلف القول في أن للتمثيل في هذا المعنى المدى الذي لايجارى اليه ، والباع الذي لايطاول فيه ، كالاحتجاج للضرورات . وكفى دليلا على تصرفه فيه باليد الصناع ، وإيفائه على غايات الابتداع ، انه يريك العدم

(١) الهناء بالكسر القطران والنقب كصرد الجرب قال عبد الباقي :

وما الهنا منكم يمشف نقباً وطالما أشفي الهناء النقبا

(٢) يقال طبق السيف اذا أصاب المفصل قال الشاعر في وصف سيف : * يصمم أحياناً وحيناً يطبق * ويقال للبليغ : قد طبق المفصل . ويقال أيضاً * يضع الهناء مواضع النقب * يعنون أنه ماهر مصيب (٣) وفي نسخة اذا اورد عليك «٤» النشر الرائحة الطيبة والغالية طيب معروف

وجوداً والوجود عدما ، والميت حياً والحي ميتاً ، اعني جعلهم الرجل اذا بقي له ذكر جميل وثناء حسن بعد موته كانه لم يمت وجعل الذكر حياة له كما قال : « ذكرة (١) الفتى عمره الثاني » وحكمهم على الخامل الساقط القدر الجاهل الدنيء بالموت . وتصييرهم إياه حين لم يكن ما يؤثر عنه، يعرف به كانه خارج عن الوجود الى العدم، او كانه لم يدخل فى الوجود

ولطيفة أخرى له في هذا المعنى هي اذا نظرت اعجب ، والتعجب بها احق ومنها اوجب ، وذلك جعل الموت نفسه حياة مستأنفة حتى يقال انه بالموت استكمل الحياة في قولهم : « فلان عاش حين مات » يراد الرجل تحمله النفس الابية وكرم النفس والانفة من العار على أن يسخو بنفسه فى الجود والبأس فقعل مافعل كعب بن مامة (٢) فى الاتيان على نفسه، أو مايفعله الشجاع المذكور من القتال دون حريمه، والصبر في مواطن الاباء، والتصميم في قتال الاعداء ، حتى يكون له يوم لايزال يذكر ، وحديث يعاد على مر الدهور ويُشهر ، كما قال ابن نباتة :

بأبي وأمي كل ذي نفس تعاف الضيم حرة
يرضى بأن يرد الردى فيميتها ويعيش ذكره

«١» الذكرة بالضم الصيت «٢» الظاهر أن يقال فيفعل كما فعل كعب بن مامة قال شيخنا هو الايادي المشهور آثر رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشاً ونجا السعدي وله يقول حبيب :

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقال له ولحاتم الطائي :

كعب وحاتم اللذان تقسما خطط العلى من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا في الجهد ميتة خضرم صنديد
إلا يكن فيها الشهيد فقومه لا يسمعون له بألف شهيد

وانه ليأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة ، ويشتق من الاصل الواحد أغصانا في كل غصن ثمر على حدة، نحو أن الزند بايرائه(١) يعطيك شبه الجواد والذكي الفطن وشبه النجح في الامور والظفر بالمراد وباصلاده(١) شبه البخيل الذي لا يعطيك شيئا، والبليد الذي لا يكون له خاطر ينتج فائدة ويخرج معنى ، وشبه من يخيب سعيه ونحو ذلك . ويعطيك(٢) من القمر الشهرة في الرجل والنباهة والعز والرفعة . ويعطيك الكمال عن النقصان والنقصان بعد الكمال . كقولهم «هلال نما فعاد بدرا» يراد بلوغ النجل الكريم المبلغ الذي يشبه اصله من الفضل والعقل وسائر معاني الشرف كما قال ابو تمام :

لهفي على تلك الشواهد منهما   لو أمهلت حتى تصير شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما   كرما وتلك الاريحية نائلا (٣)
ان الهلال اذا رأيت نموه   ايقنت أن سيصير بدرا كاملا

وعلى هذا المثل بعينه يضرب مثلا في ارتفاع الرجل في الشرف والعز من طبقة الى أعلى منها كما قال البحتري :

شرف تزيد بالعراق الى الذي   عهدوه بالبيضاء أو ببلنجرا (٤)

---

(١) يقال ورى الزند (كوعد) وأورى اذا أخرج ناره ، ويقال أصلد اذا صوت ولم تخرج منه النار (٢) عطف على قوله يأتيك من الشيء الواحد الخ
(٣) يروى حدا بدل كرما ، وقبل البيت الاخير

ولاعقب النجم المرذ بديمة   ولعاد ذاك الطل جودا وابلا

والرثاء لولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم أحدهما هوى من سطح ؛ والآخر تردى في بئر (٤) في كتاب المسالك * عهدوه في خمليج أو ببلنجرا * وخمليج وبلنجر والبيضاء مدن الخزر اه وقوله تزيد بالعراق أي ابتدأت زيادته فيه ثم لا زال يعتد الى أن وصل الى الذي عهدوه الخ ، والبيتان من قصيدة قالها في مدح اسحق ابن كنداج الخزري القائد الكبير عند ما توج وقلد السيفين

مثـل الهلال بدا فلم يبرح به صوغ الليالي فيـه حتى اقمرا

ويعطيك شبه الانسان في نشأته ونمائه الى أن يبلغ حد التمام، ثم تراجعه اذا انقضت مدة الشباب ، كما قال :

المرء مثل هلال حين تبصره يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق (١)
يزداد حتى اذا ماتم اعقبه كر الجديدين نقصاً ثم ينمحق

وكذلك يتفرع من حالتي تمامه ونقصانه فروع لطيفة فمن ذلك قول ابن بابك :

وأعرت شطر الملك شطر كماله والبدر في شطر المسافة يكمل (٢)

قاله في الاستاذ أبي علي وقد استوزره فخر الدولة بعد وفاة الصاحب وأبا العباس الضبي وخلع عليهما (٣). وقول أبي بكر الخوارزمي :

أراك اذا أيسرت خيمت عندنا مقيما وان اعسرت زرت لماما (٤)
فما انت إلا البدر ان قل ضوءه أغب وان زاد الضياء اقاما

المعنى لطيف وان كانت العبارة لم تساعده على الوجه الذي يجب فان الاغباب أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه . وإنما يصلح لان يراد أن القمر اذا نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر في بعض الليالى

«١» اتسق الامر انتظم ، والقمر كمل وتم نوره « ٢ » يروى ثوب كماله
«٣» وأبا العباس الضبي عطف على ضمير استوزره وهو احمد بن ابراهيم الضبي ولاه الوزارة فخر الدولة أولا ولقب بالرئيس ، ثم ولي بعده الاستاد أبا علي الجليل وهجاهما أحد الشعراء من بيت المنجم فقال :

والله والله لا أفلحتم أبداً بعد الوزير ابن عباد ابن عباس
إن جاء منكم جليل فاجلبوا أجلي او جاء منكم رئيس فاقطعوا راسي

(٤) لماما بالكسر أي غبا

ويمتنع من الظهور في بعض وليس الامر كذلك لانه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار . وقال ابن بابك في نحوه :

كذا البدر يسفر في تمه فان خاف نقص المحاق انتقب

وهكذا ينظر الى مقابلته الشمس واستمداده من نورها والى كون ذلك سبب زيادته ونقصه وامتلائه من النور والائتلاق ، وحصوله في المحاق ، وتفاوت حاله في ذلك، فيصاغ منه أمثال ويبين اشباه ومقاييس، فمن لطيف ذلك قول ابن نباتة :

قد سمعنا بالغر من آل ساسا ن ويونان في العصور الخوالي
والملوك الاولى اذا ضاع ذكر وجدوا في سوائر الامثال
مكرمات اذا البليغ تعاطى وصفها لم يجده في الاقوال
واذا نحن لم نضفها الى مد حك كانت نهاية في الكمال
إن جمعناهما أضر بها الجم م وضاعت فيه ضياع المحال
فهو(١) كالشمس بُعدها يملأ البد ر وفي قربها محاق الهلال

وغير ذلك من أحواله كنحو ما خرج من الشبه من بعده وارتفاعه ،(٢) وقرب ضوئه وشعاعه ، في نحو ما مضى من قول البحتري : دان على أيدي العفاة » البيتين . ومن ظهوره بكل مكان ، ورؤيته في كل موضع كقوله

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي الى عينيك نوراً ساطعا

في أمثال كذلك تكثر . ولم اعرض لما يشبه به من حيث المنظر وما تدركه العين نحو تشبيه الشيء بتقويس الهلال ودقته ، والوجه بنوره وبهجته ، فانا في ذكر ما كان تمثيلا وكان الشبه فيه منويا

« ١ » قوله فهو اي « مدحك » والخطاب للممدوح « ٢ » اي القمر

فصل آخر

وان كان مما مضى الا أن الاسلوب غيره وهو أن المعنى اذا أتاك ممثلا فهو في الاكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك الى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه . وما كان منه الطف ، كان امتناعه عليك اكثر ، واباؤه اظهر ، واحتجابه أشد .

ومن المركوز فى الطبع ان الشيء اذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق اليه ، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله احلى ، وبالميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجل والطف ، وكانت به أضن واشغف ، وكذلك ضرب المثل لكل مالطف موقعه يبرد الماء على الظمأ كما قال :

وهنّ ينبذن (١) من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

واشباه ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة اليه ، وتقدم المطالبة من النفس به ، فان قلت فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعمد مايكسب المعنى غموضا مشرفا له وزائداً في فضله ، وهذا خلاف ماعليه الناس . الا تراهم قالوا : ان خير الكلام ماكان معناه الى قلبك ، اسبق من لفظه الى سمعك ، فالجواب اني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب وانما أردت القدر الذي يحتاج اليه فى نحو قوله * فان المسك بعض دم الغزال * وقوله :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

وقوله :

رأيتك فى الذين أرى ملوكا كأنك مستقيم فى محال

«١» النبذ الطرح وإلقاء الشيء وفعله من باب ضرب

وقول النابغة :

فانك كالليل الذي هو مدركي   وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وقوله : (١)

فانك شمس والملوك كواكب   اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقول البحتري :

ضحوك الى الابطال وهو يروعهم   وللسيف حد حين يسطو ورونق

وقول امرىء القيس * بمنجرد قيد الاوابد هيكل * (٢)

وقوله :

ثم انصرفت وقد اصبت ولم أصب   جذع البصيرة قارح الاقدام (٣)

فانك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصدف لا يبرز لك الا أن تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ؛ ثم ما كل فكر يهتدي الى وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول اليه ، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة ،

(١) أي الشاعر المجهول لا النابغة (٢) المنجرد من الخيل الاجرد وهو قصير شعر الجلد ، وذلك ممدوح فيها والاوابد جمع آبدة الوحوش والطيور التي تقيم في مكان واحد لا تظعن صيفاً ولا شتاء، ويستعار لفظ «قيد الاوابد» الفرس الجواد كأنه لسرعة عدوه وادراكه لها قيد يمنعها الفرار حتى كأنها مقيدة به (٣) الجذع بالتحريك الحدث والشاب الذي استكمل قوته ، وأصله في الانعام والدواب وتختلف السن فيها ، وجمعه جذاع وجذعان بضم الجيم وكسرها، والقارح من ذي الحافر كالبازل من الابل ما قرح نابه أي طلع ، وهو الذي بلغ نهاية السن التي ليس بعدها سن تسمى ويكون في التاسعة ومابعدها . واذا استعمل اللفظان في الناس يراد بالجذع الحدث النشيط وبالقارح العاقل المجرب ، قال الحريري : وبرز فيها الجذع على القارح

ويكون في ذلك من أهل المعرفة ، كما ليس كل من دنا من ابواب الملوك فتحت له وكان :

من النفر البيض الذين اذا اعتزوا وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا(١)

أو كما قال:

تفتح ابواب الملوك لوجهه بغير حجاب دونه أو تملق

وأما التعقيد فانما كان مذموما لاجل ان اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع أن يطلب المعنى بالحيلة ويسعى اليه من غير الطريق كقوله :

وكذا اسم أغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

وانما ذم هذا الجنس لانه أحوجك الى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله(٢) وكدك بسوء الدلالة ، وأودع المعنى لك في قالب غير مستو ولا مملس، بل خشن مضرس ، حتى اذا رمت اخراجه منك عسر عليك، واذا خرج خرج مشوه الصورة ناقص الحسن

هذا — وانما يزيد الطلب فرحا بالمعنى وأنساً به وسروراً بالوقوف عليه اذا كان لذلك اهلا . فأما اذا كنت معه كالغائص في البحر يحتمل المشقة العظيمة ويخاطر بالروح ثم يخرج الخرز فالامر بالضد مما بدأت به . ولذلك كان أحق اصناف التعقيد بالذم مايتعبك ثم لايجدي عليك ، ويؤرقك ثم لايروق لك ، وما سبيله الا سبيل البخيل الذي يدعوه لؤم

(١) قعقعوا أي حركوا الحلقة التي هابها غيرهم ليسمع صوت قعقعتها فيفتح لهم كدأبهم وعادتهم (٢) مثله بغير تعقيد قول عبد الحميد بك الرافعي الطرابلسي * بين السيوف وعينيها مناسبة بياض من أجلها قيل للاغماد أجفان *

في نفسه ، وفساد في حسه ، الى أن لا يرضى بضمته في بخله ، وحرمان فضله ، حتى يأبى التواضع ولين القول فيتيه ويشمخ بانفه، ويسوم المتعرض له بابا ثانيا من الاحتمال تناهيا في سخفه ، أو كالذي لا يؤيسك من خيره في أول الامر فتستريح الى اليأس ، ولكنه يطمعك ويسحب على المواعيد الكاذبة ، حتى اذا طال العناء وكثر الجهد تكشف عن غير طائل ، وحصلت منه على ندم لتعبك في غير حاصل ، وذلك مثل ماتجده لابي تمام من تعسفه في اللفظ وذهابه به في نحو من التركيب لا يهتدي النحو الى إصلاحه ، وإغراب في الترتيب يعمى الاعراب في طريقه ويضل في تعريفه ، كقوله :

ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذهما في الغار (١)

وقوله

يدي لمن شاء رهن من يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل (٢)

---

(١) البيت من قصيدة في مدح المعتصم ، وقيل : المأمون ، وفي رواية «لاثنين ثاني» ورواية أخرى «ثانيا» بالنصب مع تسهيل همزة (اذ) والرواية الرابعة «لاثنين ثالثا» وقبل البيت قوله :

واعلم بأنك انما تلقيهم في بعض ماحفروا من الآبار
لو لم يكد للسامري قبيله ما خار عجلهم بغير خوار
وثمود لولم يدهنوا في ربهم لم ترم ناقته بسهم قدار
ولقد شفا الاحشاء من برحائها أن صار بابك جار مازيار

وبعده البيت ، والبرحاء شدة الاذى وبابك ومازيار علمان لرجلين

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها المعتصم أيضا وقبل البيت

كأن امواله والبذل يمحقها نهب تعسفه التبذير والنفل
شرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا فانت لاشك فيه السهل والجبل

ولو كان الجنس الذي يوصف من المعاني باللطافة ويعد في وسائط العقود (١) لايحوجك الى الفكر ولا يحرك من حرصك على طلبه بمنع جانبه، وببعض الادلال عليك ، واعطائك الوصل بعد الصد ، والقرب بعد البعد ، لكان « باقلّي حارّ » وبيت معنى هو عين القلادة وواسطة العقد، واحداً (٢) ولسقط تفاضل السامعين في الفهم والتصور والتبيين . وكان كل من روى الشعر عالما به وكل من حفظه — اذا كان يعرف اللغة على الجملة — ناقداً في تمييز جيده من رديئه . وكان قول من قال:

زوامل للاشعار لاعلم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر

وكقول ابن الرومي :

قلت لمن قال لي عرضت على الاخفش ماقلته فما حمده (٣)

قصرت بالشعر حين تعرضه على مبين العمى اذا انتقده

ما قال شعراً ولا رواه فلا ثعلبه كان لا ولا أسده

فان يقل انني رويت فكالدفتر جهلا بكل ما اعتقده

وما اشبه ذلك دعوى (٤) غير مسموعة ولا مؤهلة للقبول فانما أرادوا بقولهم « ماكان معناه الى قلبك ، أسبق من لفظه الى سمعك » ان يجتهد المتكلم

= وفي الديوان المطبوع « تقسمه التبذير أو نقل » والنفل بالتحريك الغنيمة والهبة والزيادة وفيه ايضا « فيك السهل والجبل » بكاف الخطاب

(١) الوسائط جمع واسطة ماكان من الجوهر في وسط العقد وهو اجوده

(٢) الباقلى بتشديد اللام والقصر وعد القول أي لكان نداء بائع الفول السخن بهذه الكلمة «باقلى حار» وبيت شعر هو بحيث وصفه من الحسن متساويين لا تفاضل بينهما

(٣) يريد على بن سليم الاخفش والابيات من قصيدة طويلة مطلعها :

رقاب اهل الحلوم معتمدة مقصودة بالهوان معتمدة

(٤) كلمة دعوى خبر قوله : وكان قول من قال الخ

في ترتيب اللفظ وتهذيبه وصيانته من كل ما أخل بالدلالة ، وعاق دون الابانة، ولم يريدوا ان خير الكلام ماكان غفلا مثل مايتراجعه الصبيان ويتكلم به العامة في السوق

هذا — وليس اذا كان الكلام في غاية البيان وعلى ابلغ مايكون من الوضوح اغناك ذاك عن الفكرة اذا كان المعنى لطيفا ، فان المعاني الشريفة اللطيفة لابد فيها من بناء ثان على أول ، ورد تال الى سابق . أفلست تحتاج في الوقوف على الغرض من قوله : « كالبدر أفرط في العلو » الى أن تعرف البيت الاول فتتصور حقيقة المراد منه ووجه المجاز في كونه دانيا شاسعا وترقم ذلك في قلبك ثم تعود الى مايعرض البيت الثاني عليك من حال البدر ثم تقابل احدى الصورتين بالاخرى وترد البصر من هذه إلى تلك وتنظر اليه كيف شرط في العلو الافراط ليشاكل قوله «شاسع» لان الشسوع هو الشديد من البعد ، ثم قابله بما لا يشاكله من مراعاة التناهي في القرب فقال « جد قريب » . فهذا هو الذي أردت بالحاجة الى الفكر ، وبأن المعنى لا يحصل لك الا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في نيله

هذا — وان توقفت في حاجتك ايها السامع للمعنى الى الفكر في تحصيله فهل تشك في أن الشاعر الذي اداه اليك ، ونشر بزّه لديك ، قد تحمل فيه المشقة الشديدة ، وقطع اليه الشقة البعيدة ، وانه لم يصل الى دره حتى غاص ، وانه لم ينل المطلوب حتى كابد منه الامتناع والاعتياص ؟ ومعلوم أن الشيء اذا علم انه لم ينل في اصله الا بعد التعب ، ولم يدرك الا باحتمال النصب ، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء الى تعظيمه ، وأخذ الناس بتفخيمه ، مايكون لمباشرة الجهد فيه ، وملاقاة الكرب دونه ،

واذا عثرت بالهوينا على كنز من الذهب لم تخرجك سهولة وجوده الى أن تنسى جملة انه الذي كد الطالب ، وحمّل المتاعب ، حتى ان لم تكن فيك طبيعة من الجود تتحكم عليك ، ومحبة للثناء تستخرج النفيس من يديك ، كان من أقوى حجج الضن الذي يخامر الانسان أن تقول « ان لم يكدّني فقد كدّ غيري » كما يقول الوارث للمال المجموع عفواً اذا ليم على بخله به ، وفرط شحه عليه ، : ان لم يكن كسبي وكدي ، فهو كسب والدي وجدي ، ولئن لم ألق فيه عناء لقد عاني سافي فيه الشدائد ، ولقوا في جمعه الامرين (١) أفأضيع ماثمروه ، وأفرق ماجمعوه ، وأكون كالهادم لما أنفقت الاعمار في بنائه ، والمبيد لما قصرت الهمم على إنمائه ،

وانك لاتكاد تجد شاعراً يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب ، ورد البعيد الغريب الى المألوف القريب ، مايعطي البحتري ويبلغ في هذا مبلغه . فانه ليروض لك المهر الارن رياضة الماهر (٢) حتى يعنق من تحتك اعناق القارح المذلل (٣) وينزع من شماس الصعب الجامح ، حتى يلين لك لين المنقاد المطيع ، ثم لا يمكن ادعاء ان جميع شعره في قلة الحاجة الى الفكر ، والغنى عن فضل النظر ، كقوله

فؤادي منك ملآن وسري فيك إعلان

وقوله : * عن أي ثغر تبتسم *

---

(١) لقي منه الامرين . ونزل به الامران . مثل يضرب في لقاء الشر وعظائم الامور . والامران الهرم والمرض أو الفقر والهرم (٢) الارن البطر المرح معنى ووزنا وفعلا (٣) اعنق الفرس اسرع وسار العنق وهو بالتحريك سير فسيح واسع للابل والدواب . والقارح ما فرح نابه أي طلع

وهل ثقل على المتوكل قصائده الجياد حتى قل نشاطه لها واعتناؤه بها إلا لانه لم يفهم معانيها كما فهم معاني النوع النازل الذي انحط له اليه ؟ أتراك تستجيز أن تقول إن قوله « مني النفس في اسماء لو تستطيعها » (١) من جنس المعقد الذي لايحمد، وإن هذه الضعيفة الاسر (٢) الواصلة الى القلوب من غير فكر، اولى بالحمد واحق بالفضل،

هذا — والمعقد من الشعر والكلام لم يذم لانه مما تقع حاجة فيه الى الفكر على الجملة، بل لان صاحبه يعثر فكرك في متصرّفه (٣) ويشيك طريقك الى المعنى (٤) ويوعر مذهبك نحوه. بل ربما قسم فكرك،

«١» مطلع قصيدة من غرر قصائده في مدح المتوكل قال

مني النفس في أسماء لو تستطيعها بها وجدها من غادة وولوعها
وقد راعني منها الصدود وانما تصد لشيب في عذاري يروعها

ومنها في المدح

ولما رعى سرب الرعية ذادها عن الجدب مخضرّ التلاع مريعها
علمت يقينا مذ توكل جعفر على الله فيها انه لايضيعها

التلاع بالكسر جمع تلعة بالفتح وهي مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادي والقطعة المرتفعة من الصحراء، والمريع كالخصيب وزنا ومعنى. ومنها فيه :

وفرسان هيجاء تجيش صدورها باحقادها حتى تضيق دروعها
تقتل من وتر أعز نفوسها عليها بايد ماتكاد تطيعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر ارماح تقطع بينهم شواجر ارحام ملوم قطوعها
فلولا أمير المؤمنين وطوله لعادت جيوب والدماء دروعها

والقصيدة كلها محاسن ولكن ينقل عن المتوكل انه قال مازال يقول « عها عها » حتى كدنا نقيء. وهذا هو مراد المصنف بقوله : لانه لم يفهم معانيه الخ (٢) الاسر إحكام الخلقة ومنه : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) (٣) عثره بالتشديد واعثره جعله يعثر (٤) اشاك الطريق ادخل الشوك فيه

وشعب ظنك (١) حتى لا تدري من اين تتوصل وكيف تطلب

وأما الملخص فيفتح لفكر تلك الطريق المستوي ويمهده، وان كان فيه تعاطف اقام عليه المنار، وأوقد فيه الانوار، حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته، وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته (٢) فترد الشريعة (٣) زرقاء، والروضة غناء (٤) فتنال الري، وتقطف الزهر الجني، (٥) وهل شيء احلى من الفكرة اذا استمرت وصادفت نهجا مستقيما، ومذهبا قويما، وطريقة تنقاد، وتبينت لها الغاية (٦) فيما ترتاد، فقد قيل: قرة العين وسعة الصدر، وروح القلب وطيب النفس، من اربعة امور: الاستبانة للحجة، والانس بالاحبة، والثقة بالعدة، والمعاينة للغاية. وقال الجاحظ في أثناء فصل يذكر فيه مافي الفكر والنظر من الفضيلة: «واين تقع لذة البهيمة بالعلوفة (٧)، ولذة السبع بلطع الدم (٨) واكل اللحم، من سرور الظفر بالاعداء، ومن انفتاح باب العلم بعد ادمان قرعه، وبعد فاذا أعدت

(١) من شعب الشيء اذا فرقه «٢» الطية بالكسر اسم هيئة من طوى الارض في سفره، قال شيخنا في طيته: فيما طوى قصده عليه، أقول وفي الاساس: مضى لطيته وأين طيتك وامتك «بالفتح أي ماتؤمه وتقصده» وبعدت عنا طيته وهي الجهة التي اليها يطوي البلاد «٣» الشريعة: مورد الشاربة من النهر «٤» الغناء بالتشديد كثيرة الشجر، يقال غن الوادي يغن بفتح الغين اذا كثر شجره «٥» هو ماجني من ساعته فهو غض ليس بذابل «٦» الغاية فاعل تبينت «٧» العلوفة بالفتح ماتأكله الدابة وجمعه علف بضمتين والعليفة والعلوفة الناقة تعلفها ولا ترسلها الى المرعى «ش» وفي المصباح: العلوفة وزان حلوبة وركوبة مايعلف من الغنم وغيرها يطلق بلفظ واحد على الواحدة والجمع وهو من علف الدابة علفا من باب ضرب واسم المعلوف علف بفتحتين وجمعه علاف كجبل وجبال (٨) لطع الدم — من باب فتح — شربه أو لحسه

الحلبات (١) لجري الجياد ، ونصبت الاهداف ليعرف فضل الرماة في الابعاد والسداد ، فرهان العقول التي تستبق، ونضالها الذي تمتحن قواها في تعاطيه هو الفكر والروية والقياس والاستنباط »

ولن يبعد المدى في ذلك ولا يدق المرمى الا بما تقدم من تقرير الشبه بين الاشياء المختلفة . فان الاشياء المشتركة في الجنس ، المتفقة في النوع ، تستغني بثبوت الشبه بينها ، وقيام الاتفاق فيها ، عن تعمل وتأمل في إيجاب ذلك لها وتثبيته فيها ، وانها لصنعة تستدعي جودة القريحة والحذق ، الذي يلطف ويدق ، في أن يجمع أعناق المتنافرات المتباينات في ربقة (٢) ويعقد بين الاجنبيات معاقد نسب وشبكة (٣) وماشرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل الا لانهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر الى ما لا يحتاج اليه غيرهما، ويحتكمان على من زاولهما والطالب لهما في هذا المعنى (٤) ما لا يحتكم ماعداهما، ولا يقتضيان ذلك الا من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات ، وذلك بين لك فيما تراه من الصناعات وسائر الاعمال التي تنسب الى الدقة . فانك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها اشد اختلافا في الشكل والهيئة ، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك اتم ، والائتلاف ابين ، كان شأنها اعجب ، والحذق لمصورها اوجب ، (البحث بقية)

«١» الحلبات جمع حلبة بالفتح وهي مجال الخيل للسباق ، ويقال للخيل التي تأتي من كل اوب حلبة « أساس » «٢» الربق بالكسر وزان حمل حبل فيه عدة عرى تشد به البهم وكل عروة من العرا التي فيه تسمي ربقة ويجمع أيضا على رباق وربقت الشاة « من باب قتل » ادخلت عنقها في الربقة فهي ربيقة ومربوقة ومن المجاز . ربقته في الامر . وفي الحديث « خلع ربقة الاسلام من عنقه » «٣» الشبكة بالضم نسب القرابة ولحمتها «٤» أي دقة الفكر ولطف النظر

كلمة في فوائد كتابي المغني والشرح الكبير

تابع ماقبله

بعد هذا التمهيد أقول إن للمسلمين في هذين الكتابين (المغني والشرح الكبير للمقنع) بضع فوائد

(احداها) أنهم باطلاعهم على أدلة الاحكام يكونون على حظ من البصيرة في دينهم كما وصف الله تعالى رسوله وأتباعه بقوله (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

(ثانيتها) أن المتلقي لاحكام دينه من فقه أي مذهب من المذاهب المدونة يخرج باطلاعه على ادلتها في الكتابين من ربقة الجمود على التقليد المحض المذموم في القرآن الى الاتباع المقرون بالبصيرة الذي اشترطه الائمة فيمن يتلقى العلم عنهم كما تقدم

(ثالثتها) ان من اطلع على أقوال أئمة السلف وعلماء الامصار أصحاب المذاهب المختلفة وأدلتهم عليها بالطريقة التي جرى عليها صاحب المغني وتلميذه صاحب الشرح الكبير من احترام الجميع وتقديم الاقدم في التاريخ على غيره في الذكر غالبا يكون جديراً باحترام جميع العلماء وجميع المذاهب، وعدم جعل المسائل الخلافية سببا للتفرق أو التعادي بين المسلمين ولا للتفاضل المفضي الي ذلك، فان المقلد لاي واحد منهم ينبغي أن يقتدي به في سيرته وهديه

(رابعتها) أن يعلم أن من أدلتهم ومداركهم ماهو مستند الى نصوص الكتاب والسنة القطعية أو الظنية وما مستنده القياس أو الاستنباط من القواعد العامة أو الخاصة بمذهب دون مذهب كالمصالح عند المالكية وغيرهم

والاستحسان عند الحنفية . وبهذا يعلم غلط من زعم أن المسلمين استمدوا أحكام المعاملات من القوانين الرومانية ، ومن زعم ان جميع مايذكر في كتب الفقه هو من شرع الله المنزل على رسوله (ص) حتى رتب عليه بعضهم أن من أنكر شيئا منه أو اعترض عليه يكون مرتدا عن الاسلام ، وفي بعض هذه الكتب أن من عمل عملا يعد في العرف إهانة لشيء من هذه الكتب أو لورقة فتوى عالم يحكم بردته ويقتل اذا لم يتب ، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يرثه أولاده لانه أهان شرع الله ويلزم منه كذا وكذا ! ! بل قال ان اهانة العالم كفر ، لأنها اهانة للشرع الخ فهذه تشديدات ردها المحققون

والحق أن اكثر مافي كتب الفقه مسائل اجتهادية وآراء ظنية مستنبط بعضها من أقوال فقهائهم، أو من علل دقيقة من علل القياس ينكر مثلها اكثر علماء السلف الصالح ، فهي تحترم كما يحترم ما يخالفها في المذاهب الاخر على سواء من باب احترام العلم واستقلال الرأي، وعدم جعل الخلاف ذريعة للعداوة والبغضاء في الامة الواحدة المأمورة بالاتفاق والاعتصام، ولكن لا يتخذ شيء منها من قواعد الايمان، ولا يعد مخالفه كافراً ولا عاصيا لله تعالى، سواء كان مستدلا أو مقلدا لغيره في مخالفتها ، ولا يجعل ضعف شيء منها مطعنا في أصل الشريعة كما يفعل ذلك بعض أعداء الاسلام، بل يستعان بمجموعها على التيسير على الناس

كان كبار علماء الصحابة والتابعين وغيرهم من مجتهدي السلف يتحامون أن يسموا ظنونهم الاجتهادية حكم الله وشرع الله بل كان أعظمهم قدرا واوسعهم علما يقول هذا مبلغ علمي واجتهادي ، فان كان صوابا فمن الله

وله الفضل ، وان كان خطأ فمني ومن الشيطان وكان مما يوصي به النبي (ص) أمير الجيش أو السرية قوله « واذا حاصرت حصنا فارادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا » رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه وقال ابن القيم في أعلام الموقعين لا يجوز للمفتي والحاكم أن يقول : هذا حكم الله أو أحل الله أو حرم الله لما يجده في كتابه الذي تلقاه عن قلده — وذكر ان شيخ الاسلام ابن تيمية حضر مجلسا ذكرت فيه قضية وقيل حكم فيها بحكم الله ، فقال : بل حكم فيها برأي زفر بن الهذيل . هذا في عصور التقليد المحض ولقد صرنا الى عصر كثر فيه استقلال الفهم والرأي مع قلة الالمام بعلوم الدين ، فصارت دعوى كون كل ما في تلك الكتب الفقهية من دين الله وأحكامه التي خاطب بها عباده — منفرة عن دين الله تعالى وسببا للارتداد والالحاد ، فينبغي أن يقال انها مستندة الى الشرع باشتمالها على نصوصه وجملها هي الاصل وبناء الاجتهاد فيها على أصول ثبتت فيه ولكن كل اجتهاد يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب .

(خامستها) ان الذي يقرأ الكتابين أو يراجع المسائل فيهما يقف على مسائل الاجماع وهي الواجبة قطعا على جميع المسلمين فلا يسع أحداً منهم ترك شيء منها الا بعذر شرعي والواجب ان تراعى في فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين كافة على الاطلاق — وأما المسائل الخلافية فانما يؤمر بالواجب أو المندوب وينهى عن المحرم أو المكروه منها من يعلم ان المأمور أو المنهي موافق له في اعتقاده سواء كانت الموافقة عن دليل أو عن اتباع مذهب من المذاهب ، أو كان

يرجو قبول قوله فيه أو دليله عليه. وقد صرحوا بأنه ليس للشافعي أن يأمر الحنفي بالوضوء من لمس المرأة ، أو ان ينكر عليه الصلاة اذا لم يتوضأ منه ، وما أشبه ذلك — ومنها وهو المراد مما قبله انها هي الجامعة بين المسلمين ، والمناط للاتفاق والوحدة التي تقتضيها أخوة الايمان ، وهو أهم ما نقصد اليه من كتابتنا هذه

(سادستها) انه يعلم من أدلة المذاهب أن جل الاحاديث التي يحتج بها اهل الحديث على أهل الرأي وعلى القياسيين من علماء الرواية هي من احاديث الآحاد التي لم تكن مستفيضة في العصر الاول أو نقل عن الصحابة والتابعين خلاف في موضوعها ، فعلم بذلك انها ليست من التشريع العام الذي جرى عليه عمل النبي وأصحابه ، وليست مما أمر النبي (ص) ان يبلغ الشاهد فيه الغائب بل كانت مما يرد كثيرا فى استفتاء مستفت عرضت له المسألة فسأل عنها فأجيب ولعله لو لم يسأل لكان في سعة من العمل باجتهاده فيها ولكان خيراً له وللناس ، اذ لو كانت من مهمات الدين التي أراد الله تكليف عباده إياها لبينها لهم من غير سؤال فانه تعالى اعلم بما هو خير لهم ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره كثرة السؤال ونهى عنها لئلا تكون سببا لكثرة التكاليف فتعجز الامة عن القيام بها ، ولذلك قال (ص) « دعوني ما تركتكم ، انما اهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ورواه الدارقطني من وجه آخر وقال : فنزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) الآية. وقال (ص) « ان الله فرض فرائض فلا تعتدوها ، وحد حدودا فلا

تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها» رواه الدارقطني عن ابي ثعلبة الخشني مرفوعا وحسنه الحافظ ابو بكر السمعاني في أماليه والنووي في الاربعين ، وله شواهد في مسند البزار ومستدرك الحاكم وصححه وغيرهما

وفوق كل هذا قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) ومن الجهل الفاضح والجناية على الدين أن نهدم هذه القواعد والاصول القطعية بأقيسة من ظنون الرأي والقياس وقد ثبت أن النبي (ص) كان يجيب كل مستفت بما يناسب حاله وأن بعض فتاواه كانت رخصا خاصة أو عامة. ومن ذلك أنه رخص لعقبة بن عامر ولابي بردة بن نيار بأن يضحي بالجذع (أو العتود) من المعز وهو ما رعى وقوي وأتى عليه حول وقال الجوهري وغيره ما بلغ سنة. والحديث متفق عليه والجمهور ومنهم الائمة الاربعة يمنعون التضحية بالجذع من المعز. ومنه على قول حديث طلق بن علي انه سأل النبي (ص) الرجل يمس ذكره أعليه وضوء؟ فقال (ص) له « إنما هو بضعة منك » رواه أحمد واصحاب السنن الاربعة والدارقطني وصححه بعضهم ، واختلفوا في التصحيح والترجيح بينه وبين حديث بسرة عند الخمسة أيضا « من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ » والمحققون من أهل الحديث على ترجيح حديث بسرة . وأما العمل فقد روي الخلاف فيه عن بعض كبار الصحابة والتابعين واهل البيت وعلماء الامصار

وحمل الشيخ عبدالوهاب الشعراني الحديثين في ميزانه على مرتبتي التخفيف والتشديد أي العزيمة والرخصة كما فعل في جميع مسائل الخلاف وعلل ذلك بدال بعضها مقول وبعضها لا يعرف مثله إلا عن جماعته الصوفية

ككون سؤر الكلب يقسي قلب من شربه او شرب من الاناء الذي ولغ فيه قبل غسله سبع مرات احداهن بالتراب ، وقد وافقه علماء عصره في مصر على قاعدته في ارجاع جميع مسائل الخلاف الى المرتبتين وكون اصلها كلها مستمدة من عين الشريعة على ما في توجيه الكثير منها من البعد ، ولعله لرضاهم عن بناء ذلك على الاعتراف بأن جميع الائمة المجتهدين على هدى من ربهم ؛ وهذا حق من حيث ان المجتهد اذا أصاب كان له اجران واذا أخطأ كان له اجر واحد كما ورد في الحديث الصحيح، ولكن لا يمكن ان يكون كل اجتهاد صوابا وهدى وكل قول قاله مجتهد حقا . وأما العزائم والرخص في الشريعة فحق لا ريب فيه . وفي الحديث المرفوع « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره ان تؤتى معصيته » رواه احمد وابن حبان والبيهقي وصححوه ، وهو عام ، وليست العزائم للخواص والرخص للعوام ، الا من حيث الخلق والطبع ، لا الشرع ، واظهر المسائل في قاعدة الشعراني مايدخل في ابواب الطهارة، فان القطعي منها في القرآن ان الماء مطهر وطهور ، وان الله يحب المتطهرين ، وأن طهارتي الوضوء والغسل فرضان وشرطان للصلاة، وقوله تعالى (وثيابك فطهر) وقوله في القرآن (لا يمسه الا المطهرون)وأن التيمم واجب عند تعذر استعمال الماء لفقده او للمرض

وأما السنة فلم يرد فيها تفصيل قطعي لاعيان النجاسات وأنواع المطهرات، وكان الاعرابي يجيء من البادية فيسلم فيعلمه النبي (ص) بنفسه أو يأمر أصحابه بتعليمه ما أوجب الله عليه من الوضوء والغسل والتيمم وأركان الاسلام، وحديث الاعرابي الذي هو عمدة الفقهاء في تحديد أركان الاسلام مشهور

ولو كان هنالك نجاسات حكمية تطهيرها تعبدي تتوقف معرفتها على

نصوص تفصيلية خاصة لنقل عن النبي (ص) واصحابه تلقينها للاعرابي وامثاله كسائر قواعد العبادة التي كان يتعلمها كل من أسلم ويبلغه الشاهد الغائب كما كانوا يعلمونهم الوضوء والغسل والصلاة مثلا، ولم تترك النصوص المجملة الواردة في الطهارة وطلب النظافة بغير بيان تفصيلي . والذي يفهمه أهل لغة الشرع من ذلك الاطلاق هو طلب التنزه عن جميع الاقذار والتطهر مما يصيب البدن أو الثوب أو المكان منها ليكون المؤمن نظيف الظاهر بقدر ما يتيسر له حسب حاله واجتهاده كما يجعله الايمان نظيف الباطن — فالنجس في اللغة هو المستقذر الذي تنفر منه الطباع ولفظ النجس لم يرد في القرآن إلا في قوله تعالى (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) الآية والمراد به النجاسة المعنوية لا الحسية إلا في قول للشيعة . وورد لفظ الرجس في تسع آيات اكثرها قطعي في الرجس المعنوي واحتمال الحسي في موضعين أحدهما قوي وهو قوله تعالى (قل لا اجد فيما اوحي إلي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس) أي الخنزير أو كل ما ذكر . وثانيهما ضعيف جداً وهو قوله تعالى (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان) أما قوة الاول في الخنزير فلأنه كثير التتبع لا كل الاقذار دائما، فهو تعليل لتحريم اكله دائما كتحريم الجلالة مادامت تأكل القذر لا دائما . وأما ضعف الثاني فلأن لفظ رجس خبر عن الخمر وما عطف عليها وهو لا يوصف بالنجاسة قطعا ، ولتفسيره في الآية بأنه من عمل الشيطان يوقع به العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ولأن الخمر غير مستقذرة عند العرب ولا غيرهم

وأما أخبار النبي (ص) فقد ورد فيها هذان اللفظان فى الاستعاذة وفى لحم الحمر الاهلية وفى وصف الروث بأنه رجس وفى رواية ركس وهو تعليل لكونه لا يصلح للاستنجاء به. وورد أن المسلم لا ينجس حيا ولا ميتا وان الماء طهور لا ينجسه شيء صححه احمد وقيده الجمهور بعدم التغير بالنجاسة ـ وبعضهم بحديث « اذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث » وسئل (ص) عن دم الحيض فأمر بحته وقرصه ونضحه او رشه بالماء وهذا حديث متفق عليه، وفى حديث آخر غسل الثوب منه بماء وسدر ، وورد أن طهور النعلين من الخبث دلكهما بالارض، وان طهور كل أديم (جلد) دباغه وقال (ص) فى الميتة « انما حرم أكلها » رواه الجماعة عن ابن عباس مرفوعا الا ابن ماجه واستدل به من لا يقول بنجاستها وورد غسل الثوب من المني الرطب وتنحيته بإذخرة أو غيرها وفركه اذا جف . واستدل بهما من قال بطهارته . وفى حديث ام سلمة : اني امرأة اطيل ذيلي وامشي فى المكان القذر فقال لها (ص) « يطهره ما بعده » رواه الاربعة وصح الاستنجاء من البول والغائط بالحجارة وما فى معناها وهي لا تزيل العين كلها ولا الاثر، والامر بغسل العضو من المذي لمن سأل عنه، وينضح الثوب بالماء من بول الغلام الذي لم يأكل الطعام .

ولما لم يجد العلماء نصوصا قطعية فى اعيان النجاسات والمطهرات غير امثال هذه الاخبار الآحادية اختلف اجتهادهم في فهمها عما نلخص اهمه بالاجمال

المذاهب في النجاسات والمطهرات

قال الامام ابن رشد الحفيد الاندلسي فى (بداية المجتهد) مانصه :

وأما انواع النجاسات فان العلماء اتفقوا من أعيانها على اربعة: ميتة الحيوان ذي الدم (السائل) الذي ليس بمائي وعلى لحم الخنزير بأي سبب

اتفق أن تذهب حياته — وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي انفصل من الحي أو الميت اذا كان مسفوحاً أو كثيراً — وعلى بول ابن آدم ورجيعه واكثرهم على نجاسة الخمر وفي ذلك خلاف من بعض المحدثين (١) واختلفوا في غير ذلك اه وقد حصر الامام الشوكاني النجاسات في الروضة الندية بقوله:

«والنجاسات هي غائط الانسان مطلقاً وبوله — إلا الذكر الرضيع — ولعاب كلب وروث ودم حيض ولحم خنزير ، وفيما عدا ذلك خلاف . والاصل الطهارة فلا ينقل عنها إلا ناقل صحيح لم يعارضه ما يساويه أو يقدم عليه» اه وقد علم منه الخلاف في الميتة والدم المسفوح وفي بعض ماذكره هو خلاف ايضا كلعاب الكلب وممن قال بطهارته عكرمة ومالك

واختلف المجتهدون في المطهرات أيضاً فمنهم من يحصر التطهير في الما المطلق كالشافعية والحنابلة إلا ما ورد من الاستنجاء بالحجارة ونحوها وطهارة جلود الميتة بالدباغ وطهارة الخمر بتخللها بنفسها . والماء المقيد كماء الورد لا يطهر عندهم ويجب عندهم في التطهير ازالة عين النجاسة وصفاتها الا ماعسر من لون وريح وشرطه أن يكون الماء وارداً على المتنجس لا موروداً اذا كان قليلاً أي دون القلتين وهم أشد الفقهاء توسعاً في النجاسات ومن مذهبهم أن من خرج من بين اسنانه دم ولم يطهره بالماء المطلق بقي فمه نجسا وكانت صلاته وصومه باطلين وان طال الزمن ، مع القطع بزوال النجاسة وأثرها . ولو كان الصحابة يتطهرون من الدم لتواتر عنهم اذ كانوا في حروب متصلة ولم يكن لاكثرهم إلا ثوب واحد، وقال الشافعية بالعفو عن

---

(١) أي والفقهاء ومنهم الامام ربيعة شيخ مالك والامام داود ومن المتأخرين الامام الشوكاني

النجاسة التي لا يدركها الطرف كأثر رجل الذبابة فقالت الحنابلة بل لا بد من غسل ماتقع عليه وان لم ير أثره

وذهب الحنفية الى أن كل مايزيل النجاسة من المائعات مطهر. وكذا صقل الجسم الصقيل كالسيف والزجاج، وكذا الشمس والهواء والنار وما يسمونه انقلاب العين كالصابون من الزيت النجس - على خلاف في بعض الفروع - وهؤلاء نظروا الى مراد الشارع من الطهارة وهو يحصل بذلك، قال في بداية المجتهد ان المسلمين اتفقوا على ان الماء الطهور يزيل النجاسة وعلى الاستنجاء بالحجارة «واختلفوا فيما سوى ذلك من المائعات والجامدات التي تزيلها فذهب قوم الى ان ماكان طاهراً (فهو) يزيل عين النجاسة مائعا كان أو جامداً في أي موضع كانت وبه قال أبو حنيفة وأصحابه» ثم ذكر ماوقع من الجدال بين الحنفية والشافعية في المسألة وكون ازالة النجاسة تعبديا أو معقول المعنى واضطرار الشافعية الى القول بأن فى الماء قوة شرعية فى رفع أحكام النجاسات ليست فى غيره وان استوى مع سائر الاشياء فى إزالة العين وأن المقصود انما هو إزالة ذلك الحكم الذى اختص به الماء لاذهاب عين النجاسة بل قد تذهب العين ويبقى الحكم (قال) « فباعدوا المقصد وقد كانوا اتفقوا مع الحنفيين على أن طهارة النجاسة ليست حكمية أعني شرعية ولذلك لم تحتج الى نية - الى أن قال في هذا المعنى - وانما يلجأ الفقيه الى أن يقول عبادة اذا ضاق عليه المسلك مع الخصم فتأمل ذلك فانه بين من أمرهم فى أكثر المواضع» اه أقول ومن الغريب ان الذين قالوا بأن احكام النجاسة وازالتها تعبدية ادخلوا فيها القياس كقياسهم بدن الكلب وشعره على لعابه وقياس الخنزير على الكلب في كونه يغسل مما اصابه سبع مرات إحداهن بالتراب

وكان الحامل لهم على هذا التشديد في أمر النجاسة القول بوجوب إزالتها وجعله شرطا لصحة الصلاة ، وهـذا محل خلاف أيضاً .(قال) في بداية المجتهد : وأما الطهارة من النجاسة فمن قال انها سنة مؤكدة فيبعد أن يقول انها فرض في الصلاة ويجوز أن لا يقول ذلك . وحكى عبد الوهاب عن المذهب (أي مذهب مالك) قولين أحدهما أن إزالة النجاسة شرط في صحة الصلاة في حال القدرة والذكر ، والقول الآخر انها ليست شرطا . والذي حكاه من انها شرط لا يتخرج على مشهور المذهب من أن غسل النجاسة سنة مؤكدة الخ

وقد استقصى الشوكاني في نيل الاوطار كل ما استدلوا به على اشتراط الطهارة من النجاسة في صحة الصلاة وبين انه ليس فيه شيء يدل على الشرطية ولكن قد يدل بعضها على وجوب إزالتها قال: وكون الامر بالشيء نهياً عن ضده مذهب ضعيف ، وبين مطلق الوجوب والشرطية بون بعيد اه

وجملة القول ان القطعي المجمع عليه هو ان الطهارة مطلوبة شرعا وان المفروض منها هو الوضوء والغسل من الجنابة والحيض والنفاس بالماء والتيمم عنهما عند فقد الماء أو التضرر باستعماله ، وان مراد الشارع منها النظافة مع مراعاة اليسر وعدم الحرج كما قال تعالى بعد آية المائدة (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وازالة النجاسة أولى بهذا ولذلك ترك تفصيل امرها لاجتهاد الامة فاختلف اجتهاد علمائها بما ذكرنا المهم منه مجملا فنظر بعضهم الى اكمل ما يحصل به مراد الشارع كالشافعية والحنابلة وبالنوافيه — ونظر بعضهم الى أدنى ما كلفته الامة وأيسر ما يطلب من بدوها وحضرها وغنيها وفقيرها كالمالكية — وتوسط بعضهم فشددوا في بعض الفروع وتساهلوا في بعض كالحنفية .

وقد تقدم أن الائمة لم يكونوا يعدون اجتهادهم تشريعا عاما تكلفه الامة كما تكلف العمل بنصوص الكتاب والسنة القطعية الرواية والدلالة ولا سببا للتفرق في الدين – وان بعض مقلدتهم شددوا وعسروا وجعلوا اختلافهم نقمة لا رحمة — حتى قال بعض متفقهة هذا العصر بنجاسة كل ما دخلت فيه مادة الغَوْل —(الكحول او السبرتو) من اعطار وطيوب وأدهان وأدوية وهي كثيرة جدا عمت بها البلوى في الصيدليات والطب والصناعات ، وشبهتهم ان هذه المادة هي المؤثرة في الخمور المحرمة وفاتهم انها هي المؤثرة في كل المختمرات المحللة بالاجماع كخميرة العجين ايضا. على ان هذه المادة اقوى من الماء في التطهير وازالة عين النجاسة وصفاتها كما شرحناه في مواضع من المنار

وانما غرضنا هنا أن نبين ان يسر الشريعة وحكمة التشريع وكون الاجتهاد رحمة للامة انما يعرف من مجموع كلام المجتهدين ويفوت من قصر نظره على مذهب واحد من مذاهبهم وأن طلاب الاصلاح للامة الاسلامية مازالوا يقترحون تأليف جمعية من علماء المذاهب المتبعة كلها تضع للامة كتبا في العبادات والمعاملات تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة ومن اجتهاد جميع المجتهدين يراعى فيها اليسر ورفع الحرج ودرء المفاسد ومراعاة المصالح ومراعاة العرف وغير ذلك من القواعد العامة . وهذان الكتابان من اعظم الوسائل لذلك فهو الفائدة السابعة لما تقدم من فوائدهما. وما وضعناه عليهما من التعليقات فبهذه النية ، ونسأله تعالى ان يعيد لهذه الامة وحدتها وهدايتها وعزتها، ولن يصلح آخرها الا ما صلح به أولها والحمد لله أولا وآخراً.

« تصحيح في س ١٥ ص ٢٨٤ من هذا المقال كلمة هارون الرشيد وصوابها المنصور العباسي »

الخطر على الحجاز

وعلى الاسلام

(١)

في أوائل هذا الصيف ألمّ بالقاهرة رجل سوري كان يشغل عملا مهما في حكومة الشريف علي بجدة فشرح لنا ما وصلت الحال هنالك من القلة والعسرة واليأس من كل شيء الا من الانكليز ، وقال انه علم أن الشريف علي بن الحسين اختفات بالمعتمد الانكليزي وعرض عليه أن يطلب من دولته مساعدته على سلطان نجد على أن يكون الحجاز كله تحت الحماية الانكليزية ... وان المعتمد وعده بالكتابة الى حكومته بذلك ، وكتب بالفعل ، قال الراوي : وقد سافرت قبل مجيء الجواب ، فان جاء بعدم القبول فلا شك عندي في أن الملك عليا يفرّ من جده مبحرا الى حيث يعلم الله تعالى ونسقط في أيدي الوهابيين ، وان جاء بالقبول تدخل المسألة في طور جديد لا يعلم عاقبته الا الله تعالى

وأقول قد سبق للشريف علي مثل هذا العرض كما علمنا من الوفد الهندي الذي كان عنده في جدة في العام الماضي ، ولكن المعتمد قال له يومئذ ان حكومته على الحياد

ثم حدثني رجل آخر من الثقات أنه سمع من لسان الشيخ عبدالملك الخطيب في الاسكندرية يوم ألم بها الملك فيصل ان وزارة الداخلية المصرية بلغته أنها قررت إلغاء الحجز على الذخائر الحربية الهاشمية المحجوزة في السويس ، وان الحجز عليها كان بايعاز من الانكليز لوزير الداخلية اسماعيل صدقي باشا (كان) فعلمت أن هذه الحكومة الماكرة عادت الى التدخل في أمر الحجاز بمساعدة صنائعها وماوكها حسين بن علي وأولاده على سلطان نجد ، بل على الشعب العربي والامة الاسلامية

وأما السبب في هذا فليس رضا الشريف علي بجعل الحجاز تحت الحماية الانكليزية على قواعد والده حسين التي سماها « مقررات النهضة » فقط ، بل

السبب الاول المباشر هو يهمه للانكليز أمر منطقة حجازية حربية ، وهي منطقة العقبة ومعان المجاورة للمدينة المنورة مع اليأس من سلطان نجد أن يسمح بأن يكون لهم أدنى نفوذ في الحجاز أو غيره من بلاد العرب ، وهذا أمر قد أصبح قطعيا ، إذ صرح به السلطان عبد العزيز آل سعود في منشوراته الرسمية ، ومنها المنشور الذي صدر بمكة المكرمة في آخر ذي الحجة الحرام الماضي ، ونشر في جريدة أم القرى ونقلته عنها أكثر الجرائد المصرية ، وناهيك بتصريحه فيه وفيما سبقه بأن حكومة الحجاز تدار بالنظام الشرعي الذي يقرره المؤتمر الاسلامي العام الذي اقترحه هو منذ تصديه لانقاذ الحجاز من سلطة حسين الشخصية التي عرف فسادها العالم كله ، حتى ان ولي عهده الشريف عليا وأنصاره القليلين الذين بايعوه تقربوا الى العالم الاسلامي بزعمهم « أنهم خلعوا حسيناً ونصبوا عليا ملكا دستوريا على الحجاز » وهم كاذبون ومخادعون في دعوى الخلع وفي دعوى الحكومة الدستورية

لم يكتف الانكليز بالعود الى مساعدة هذا البيت المسخر لهم بالمال والسلاح كما بدؤا في زمن الحرب الكبرى ، بل أنشأوا يساعدونه على الدعاية الافسادية في العالم الاسلامي لتنفيره من الوهابية ، وعطفه على البيت الحجازي الذي استولوا بمساعدته على القدس الشريف والعراق وأنشبوا برائنهم في قلب الجزيرة العربية ، وبدؤا يلتهمون الحجاز لقمة بعد لقمة

أعلن ابن السعود بأنه أرحل جيشاً الى المدينة المنورة لاخراج الحامية الهاشمية التي فيها بالحصر دون القتال ، ولما كان يعلم أن خصومه يتهمون جيشه بأنهم اذا استولوا على المدينة المنورة يهدمون الروضة المشرفة وقبة الحرم المعظم ، سبق الى نفي هذه التهمة والتبرؤ منها فقال في آخر منشوره الرسمي الذي نشره عند إرسال الجيش المذكور ما نصه :

« إن أعداءنا يشيعون اننا اذا استولينا على المدينة نهدم روضة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحاشا أن تحدث نفس مسلم بذلك ، إنني أفتديها بنفسي وولدي ومالي ورجالي » الخ

ولكن هذا الاحتياط لا يزيد خصومه الا جرأة على الكذب والاختلاق ، فكما أنهم اخترعوا للنجديين عقائد يتبرؤن منها ، كذلك يختلقون لهم أعمالا يتبرؤن منها ، ولذلك قلت في تعليقي على هذا المنشور في منار آخر شهر المحرم : وأصدر هذا المنشور ليعلم العالم الاسلامي بغرضه الشريف ، وليحتاط لبهتان دعاية الشريف علي ويتقي اتهامه بضرب المدينة أو حرمها المنيع لو دخلها فاتحاً — وقد يكون هذا الاحتياط مغريًا لا مانعاً من التهمة بل يستحل علي وقواده فعل ذلك ليتهموا الوهابيين به كما فعل والده (حسين) إذ أمر بضرب الكعبة المشرفة بالنار واتهم بذلك الترك اهـ

إنني لست أريد بهذا المقال الانتصار لسلطان نجد على الشريف علي ولا الطعن بهذا والدفاع عن ذاك ، بل أريد تنبيه العالم الاسلامي الى الخطر الاكبر وهو استيلاء الاجنبي على مهد دينهم وقبلته ومشاعره وحرم الله ورسوله ، واستعانته على ذلك بعوام المسلمين وبعض خواصهم الدنيويين المسخرين لخدمته ، والذين لولا أمثالهم لم يستولوا على الهند ، ولا على مصر، ولا على القدس والشام والعراق. وأني لاعرّض نفسي بهذا التنبيه والتذكير لبلاء عظيم على ضعف أملي باستفادة جماهير المسلمين من نصحي وتذكيري كما يجب . فالعامة قتلها الجهل والخرافات كعبادة القبور ، ومعظم خاصة أهل الدنيا قتلهم جهل شر من جهل العامة ، وفساد شر من فسادها ، فأصبحوا آلات بأيدي الاجانب يسخرونهم لهدم مجد دينهم ودنياهم ، كما سخروا أمراء الهند وملوكها في فتحها لهم ، ثم سخروا بعض كبراء المصريين في احتلال مصر وشركتها في السودان ، وفي استمرار هذا الاحتلال والاستئثار بالسودان ، ثم سخروا الملك حسينا والملك فيصلا والملك عليا والامير عبد الله ولا يزالون يسخرونهم في سبيل امتلاكهم البلاد العربية ، وكما تسخر فرنسة سلطان مراكش اليوم في هدم قوة أبناء جلدته ووطنه ودينه الريفيين ، وهي ما فتحت سلطنته الا بمسلمي الجزائر ، وما فتحت الجزائر من قبل الا بمساعدة سلفه الطالحين من سلاطين مراكش

إن لدى سلطان نجد جنداً يفوق جند الريف المغربي أضعافا مضاعفة في

العدد ، ولا يقل عنه في الشجاعة والصبر على القتال بل ربما يفوقه فيهما أيضاً ، وإنما ينقصه النظام الحديث والاسلحة العصرية ، وما هما عن متناوله ببعيد لو فطن سلطانه لذلك وأقدم عليه . وهذا هو الذي يخشاه الانكليز الطامعون في امتلاك جزيرة العرب بعد استيلائهم على ماجاورها من البلاد العربية الخصبة ليقتلوا الاسلام وقوم محمد عليه الصلاة والسلام في عقر دارهم ومهد دينهم . وقد أعياهم استخدام سلطان نجد وإمام اليمن في هذه السبيل كما استخدموا الشريف حسيناً وأولاده ، فهم يكيدون لهما المكايد

وقد كان آخر خدمة عملية خدمهم بها البيت الهاشمي جعله هذه المنطقة الحربية من أرض الحجاز (العقبة ومعان) تابعة لما يسمونه الانتداب البريطاني ، وآخر دعوة لهم الى التدخل في أمر الحجاز ماكتبه الشريف حسين من قبرص الى الحكومة الانكليزية يطالبها بالتدخل الفعلي في أمر الحجاز واخراج النجديين منه وفاء بوعدها له — كما لخصته جريدة كوكب الشرق في هذا الاسبوع عن بعض الصحف الانكليزية — فأي مسلم يؤمن بالله ورسوله ، ويغار على قبلته وشعائر دينه يرضى ان يكون لأحد من أهل هذا البيت أدنى سلطة في الحجاز ؟

قلت ان الانكليز عادوا الى مساعدة البيت الهاشمي حتى في نشر الدعاية لخداع العالم الاسلامي . وقد بدئت هذه الدعاية بفرية نشرها وكيل الشريف علي بمصر في المقطم وهي ان الوهابيين قد جعلوا قبة الحرم النبوي الشريف والروضة الطاهرة هدفا للرصاص . ولم تقل هذه الدعاية على ما نعهد من اسرافها في الكذب انهم رموها بالمدافع ولا انهم أصابوها بسوء —

وقد ثبت رسميا انه ليس معهم مدافع . ومن المعقول ماقاله لنا ضابط مغربي كان في مدفعية الجيش الهاشمي بالمدينة وهو ان رصاص بنادق الوهابية يستحيل أن يصل الى قبة الحرم الشريف لانهم يعسكرون في مكان بعيد عن العمران لئلا تصيبهم مدافع حصون المدينة . على انهم مأمورون رسميا بعدم اطلاق النار على شيء منها ، ويعلمون ان رميها يضرهم ولا ينفعهم .

ولكن شركة روتر البريطانية نشرت هذه الفرية في العالم الاسلامي كله وكبرتها

تكبيرا ، وكان سماسرة الانكليز في كل قطر يشرحونها ويثيرون بها الفتن ، فيصدقهم كثير من المسلمين الغافلين الجاهلين ، فأوهموم أن الوهابيين يريدون تدمير الحرم النبوي بمدافعهم بل أذاعوا في بعض الاقطار البعيدة كايران أنهم دمروه بالفعل

فقد علمنا مما جاء من أخبار الهنـد العامة في جرائدها والخاصة بنا وببعض معارفنا أن وفد الشريف علي الذي كان أرسله لبث الدعاية في الهنـد قد اتفق مع جماعة أغا خان رئيس الاسماعيلية وغيرهم من الشيعة الباطنية والظاهرية كالخوجة والبهرة . . . على إثارة الفتنة في المساجد ، واستخدموا بالدراهم بعض المعدين لذلك في كل مكان ، فأعدوا لها الخطب والادعية والاستغاثات ، وساعدهم بعض الوجهاء المناوئين لجمعية الخلافة كأمين صندوقها السابق الذي أكل مئات الالوف من أموالها وصار بعد ذلك عدوا لها ، وتربص بها الدوائر الطعن في رئيسها وأعضائها وتشويه سمعتهم كما شوهوا سمعته بخيانته لها .

وقد كتب الينا أديب سائح من (بمباي) أنه تعجب من وجود هؤلاء الباطنية في المسجد ومشاركتهم للمسلمين في الصلاة والدعاء على الوهابية ، مع أنهم لا يصلون صلاتنا ولا يتوجهون الى قبلتنا ، ولا يحجون ، ولا يزورون قبر الرسول (ص) مع عبادتهم لمن يزعمون عصمتهم والوهيتهم من آل بيته – ولكن لاعجب فاذا كان معبود هؤلاء (آغا خان) عبـداً للانكليز قضى حياته في خدمتهم فكيف يكون عبيد العبد ؟

ومما يدل على ان الفتنة إنكليزية مانشره أحد دعاة الشريف علي في المقطم عن تأثير الدعاية في عدن وما حولها من تهامة اليمن واحتجاج السلاطين البريطانيين هنالك فقد قال الكاتب في أول رسالته : إن الاخبار التي وصلت عن أحوال بلدة نبينا (ص) قد تركت إخواننا في عدن اليمن و في هياج عظيم فقد احتج عظمة سلطان لحج (؟) والشيخ فضل بن عبد الله سلطان العقارب (؟) وسلطان الحواشب (؟) وسلاطين يافع والعوالق (؟) مما أكثر أسماء السلاطين عند الانكليز – وجميع أمراء العرب على الفعل الشنيع الذي ارتكبه رجال ابن سعود في حصارهم

المدينـة المنورة ، ولا عبرة بتكذيب وكيل ابن سعود بل ان هذه عقيدتهم الخ

نقول : أين كان هؤلاء السلاطين البريطانيون العظام والملوك الفخام عند ما انتهك الشريف حسين حرمة حرم الله عز وجل وقاتل الترك في بطن مكة مع قول الرسول الاعظم (ص) يوم فتح مكة إنها أحلت له ساعة من نهار ولن تحل لأحد من بعده؟ أظن أن خدمته الانكليز بذلك نسخت هذا الحديث عندهم

وأين كان هؤلاء السلاطين البريطانيون العظام عنـد ما حاصر الشريف حسين وأولاده المدينة المنورة والترك فيها كما يحاصرها الوهابيون اليوم ؟ أيحلون له ذلك لأنه كان يحارب الترك بأمر الانكليز وسلاحهم ومالهم ؟ ويحرمونه على ابن السعود لأنه يريد أن تكون هي وسائر الحجاز بمنجاة من النفوذ الانكليزي تحت رعاية العالم الاسلامي ؟

وأين كان هؤلاء السلاطين البريطانيون العظام عند ما هدد الشريف على كل من يقصد أداء فريضة الحج في الموسم الاخير بالقتل ، وزعم أن أساطيله بالمرصاد لكل سفينة تحمل الحجاج الى ثغور الحجاز الخاضعة للوهابيين : القنفذة والليث ورابغ ؟؟

فهل كان المنع من أداء فريضة الحج واقامة ركن الاسلام مباحا في دينهم فلم يحتجوا على منعه أم مرضاة الانكليز الذين سعوا لمنع الحج مرجحة عندهم على مرضاة الله تعالى ؟

وأين كان هؤلاء السلاطين البريطانيون العظام عند ما أصدر الشريف علي (إرادته السنية) من عهد قريب بجعل أعظم منطقة حربية من الحجاز تحت الانتداب الانكليزي ؟ لماذا لم يحتجوا على هذا ولا ذاك ؟ أم يريد هؤلاء السلاطين العظام أن تكون المدينـة المنورة ومكة المكرمة تحت الحماية الانكليزية مثلهم ؟

واذا كان الامر كذلك فما لهم وللاصلاح ولاسم الاسلام ؟

إنهم يدعون اتباع مذهب الشافعي رضي الله عنه ، فما لهم لا يهتمون من أمر الحجاز الا بهدم بعض القبور المشيدة المشرفة التي تعبد من دون الله تعالى وتؤتى عندها المعاصي المجمع عليها ؟ وقد ذكر الامام الشافعي في كتابه الأم ما نقله عنه عمدة الشافعية الامام النووي في شرح صحيح مسلم ان أئمة مكة كانوا يهدمون

في عصره ما رفع من القبور عملا بحديث علي كرم الله وجهه « ان لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفا إلا سويته » أي بالتراب ، فهل كان الشافعي وأولئك الائمة من الوهابية ؟ أم الوهابية هم المقتدون بهم، والمعتصمون بسنة الرسول مثلهم، وأنتم وسادتكم من أمراء مكة الذين يتقربون اليكم بتعظيم القبور وما يقترف حولها من اعمال الوثنية أعداء السنة والمخالفون لجميع الائمة ؟

لو لم يكن من فتنة جهال المسلمين بقبور الصالحين التي اتبعوا فيها سنن من قبلهم الذين لعنهم رسول الله (ص) على اتخاذ قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد وعلى اتخاذ السرج والمساجد عليها الا جعلهم اتباع السلف الصالح بهدم بعضها أهم من منع فريضة الحج وبيع أرض الحجاز للانكليز لكفى ذلك موجباً لهدمها لازالة هذا الاعتقاد الفاسد ، فقد كان علماء الصحابة يتركون بعض السنن المتفق عليها لئلا يظن العوام بالتزامهم إياها وجوبها كما روي عن ابن عباس (رض) في ترك التضحية في عيد النحر على كونه كان يذبح الذبائح كل يوم لاطعام الناس . ولذلك نظائر فصل القول فيها الامام الشاطبي في كتابه (الاعتصام) فما القول في بدعة مخالفة السنة الصحيحة ترتب عليها من الضلالات والمعاصي والشرك ماهو معروف كتشييد القبور وتشريفها وبناء المساجد وايقاد السرج عليها وقد صح لعن النبي (ص) لمن فعل ذلك قبل حدوث افتتان الناس بالطواف بها ودعاء أصحابها من دون الله تعالى لكشف الضر وقضاء الحاجات ورفع المصائب، ونذر النذور لهم وذبح القرابين باسمائهم ، والحلف بهم الى غير ذلك من أنواع العبادة . وقد بلغ من شركهم ان صاروا يصلون لهم لا الى قبورهم فقط كما حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا : قال رأيت رجلا توجه الى قبر ابن عباس (رض) في الطائف وشرع في الصلاة فظننت انه أعمى فأردت تحويله الى القبلة فامتنع ورأيت انه بصير وأنه يتعمد الصلاة الى القبر مستقبلا له دون القبلة لانه يصلي لابن عباس لا لله تعالى فقلت للخدم أخرجوا هذا المشرك من هنا بالقوة ففعلوا

صرح بعض فقهاء الحنابلة وغيرهم من أهل السنة بوجوب هدم القبور المشرفة التي لعن النبي (ص) من شيدوها وعظموها وذلك قبل وجود الوهابية بعدة قرون ، كما كان يفعل الائمة بمكة في زمن الامام الشافعي . وقد أمر عمر ابن الخطاب

(رض) بقلع الشجرة التي بايع النبي (ص) أصحابه تحتها لانه علم ان بعض الناس يزورونها فقلعت وعفي أثرها ، وذلك قبل أن تصل فتنة المسلمين بمثل هذه الآثار الى عشر معشار ما وصلت اليه الآن ، فهل كان عمر رضي الله عنه وهابيا ؟

وقد فصلنا القول في هذه البدع من قبل وليس من غرضنا إعادته الآن بل غرضنا أهم من ذلك وهو بيان الخطر على الحجاز من الانكليز الذين سعوا لمنع إدخال السلاح الى بلاد العرب كلها تمهيداً للاستيلاء عليها ، وأكبر أعوانهم على ذلك بيت الشريف حسين بن علي فهو الذي قرر جعل الحجاز وسائر البلاد العربية تحت الحماية البريطانية وجرى هو وأولاده على هذا بالفعل وآخر جناياتهم إعطاء أعظم منطقة حربية من أرض الحجاز الانكليز وهي منطقة (العقبة ـ معان) التي تمكنهم من الاستيلاء على بقية الحجاز أو جعله بحيث لا يقدر أهله ان يعيشوا فيه الا تابعين للانكليز لاحاطتهم بهم من البر و البحر ، وسنبين في الفصل التالي من هذا المقال حال الحجاز بين سلطان نجد والشريف علي ، وما يجب على المسلمين من درء الخطر عن مهد دينهم ومشاعره العظام ، وكون بقاء سلطة بيت الشريف حسين على الحجاز مفضيا الى جعله تابعا للامبراطورية البريطانية حتما ، وكل من يسعى الى بقاء سلطتهم فيه فهو يخدم الانكليز و يحارب الله ورسوله والمسلمين قصد ذلك أم لا . وقد أعذر من أنذر ؟

(٢)

الموازنة بين سلطان نجد والبيت الهاشمي

لما زحف جيش ابن السعود لانقاذ الحجاز من سلطة الشريف حسين كان ضلع الرأي الاسلامي العام معه ، فلم ينتدب شعب من شعوبه ، ولا جماعة من جماعاته ، ولا فرد من كبار رجاله للدفاع عنه ، بل صرح المعروفون من رجاله بظلمه وفساد سياسته ، وزعموا أنهم خلعوه خلعا ، وكذلك فعلت الجرائد التي كانت تمدحه وتدافع عنه كالمقطم ، واتخذوا ذلك وسيلة لاقناع سلطان نجد بامكان الاتفاق بينه وبين ولده الشريف علي الذي سموه ملكا دستوريا ، ولو

أن سلطان نجد بادر في ذلك الوقت الى الاستيلاء على جده والمدينة المنورة لغنم كنوز الملك حسين واستمان بها على إصلاح الحجاز ، ولعقد المؤتمر الاسلامي وتقرر فيه نظام الحكم في الحجاز بما يرضي جميع المسلمين : ولكنه قاس الحجاز على إمارة ابن الرشيد التي استولى عليها بالحصار الطويل دون المناجزة اختياراً لخسارة المال على خسارة الانفس ، فأعطى البيت الحسيني فرصة طويلة للاستعداد الحربي وللدعاية الافسادية ، ولما هو شر من ذلك وهو العود الى إقناع الانكليز بأنه قادر على تمكينهم من سائر بلاد العرب ، فعادوا الى مساعدته بالمال و لدعاية كما تقدم في الفصل الاول من هذا المقال ، فطفقوا يهيجون العالم الاسلامي على الوهابية وسلطانهم ، فوجب أن نقيم الوزن با لقسط بين الفريقين

سيئات جند ابن السعود في الحجاز

إن مانسب الى جند ابن السعود من السيئات في الحجاز كان ينحصر في امرين (أحدهما) أنهم قتلوا في الطائف بعض الاهالي غير المقاتلين (ثانيهما) انهم هدموا بعض المباني الاثرية التي يتبرك بها الناس — فكل الدعاية الهاشمية في الطعن فيهم لاتعدو هذين الاالى مايذكر في هذه الأيام من ذم الادارة في الحجاز ، ولم يثبت من ذلك الامنع شرب الدخان كنمع الخمر والحشيش وأمثال ذلك مما كان يلوث به الحرم الشريف ، ولا نبحث في هذا فانه لا يتعلق بما نقصد من السياسة العامة ومستقبل الحجاز والاسلام

فأما الاول فيقع مثله في كل حرب وفي الغالب يكون خطأ وقد يكون بعضه لضغائن وأسباب شخصية . فاذا كان قد وقع من الوهابية ، فقد وقع قبلهم من خير جنود البرية ، وهم الصحابة رضي الله عنهم فقد روى البخاري في صحيحه وغيره عن عبد الله ابن عمر (رض) أن النبي (ص) بعث خالد بن الوليد الى بني جذيمة (داعيا لا مقاتلا) فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا اسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع الى كل رجل منا أسيره حتى اذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل منا أسيره فقلت والله لا اقتل أسيري ولا يقتل رجل من اصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي (ص) فذكرناه له فرفع النبي (ص) يديه وقال « اللهم

إني أبرأ اليك مما صنع خالد » — مرتين —

وهذا ذنب مضى لا يضر البلاد ولا الامة وإثمه على من فعله لا نبرئهم منه

وأما الثاني فاذا عقد المؤتمر الاسلامي الذي يدعو اليه السلطان ابن السعود وقرر انه خطأ امكن اعادة تلك المباني أو الاثرى منها ، بشرط مراعاة احكام الشرع في اجتناب كل منكر يتعلق بها والمنع منه بالقوة المنفذة للشرع

سيئات البيت الهاشمي

وأما سيئات الشريف حسين واولاده فلا تعد وقد ألفنا كتابا في ذكر بعض سيئات الاول جعلناه خطابا للعالم الاسلامي وفيه شيء من ظلم ولي عهده والشريف علي بالمدينة ولكننا لا نذكر هنا إلا ما هو خطر على الحجاز وحصنه من جزيرة العرب وهو :

(١) وضع الشريف حسين عند شروعه في الثورة باغواء الانكليز صورة اتفاق معهم سماها (مقررات النهضة) صرح فيها بأنهم الذين يؤسسون الحكومة العربية وتكون البلاد تحت حمايتهم في داخلها وخارجها — واعطاهم فيها حق إشغال ولاية البصرة الخ ويؤكد إصراره على ذلك انه رفع استقالته من الملك مكررة الى الحكومة البريطانية في لندن ونشر ذلك في جريدته التي كانت تسمى (القبلة) وقد عاد الان الى مخاطبة الحكومة الانكليزية بالحجاز وعده واخراج ابن السعود من الحجاز كما أشرنا اليه في الفصل الاول

(٢) لا يزال ولده الشريف فيصل يمهد لهم سبيل امتلاك العراق بالصور والاساليب التي يأمرونه بها ، وكان قد اتفق مع فرنسة على وصايتها الانتدابية على سورية وعجز عن تنفيذ ذلك

(٣) مهد لهم ولده الشريف عبد الله سبيل امتلاك شرق الاردن واخضاع قبائله وعشائره وماجاورها فأسسوا فيها حظيرة للطيارات الحربية وجعلوها برضاه تابعة لفلسطين في الانتداب وكانت مستقلة واعطاهم وثيقة رسمية بحق ادارة سكة الحديد الحجازية التي تمر منها، وباسمه وسعيه أخذوا المنطقة الحجازية. يريدون اخذ منطقة الجوف النجدية باسمه أيضا، وهم اذا شاؤا إخراجه في أي وقت فانهم يخرجونه كما اخرجوا والده طوعا أو كرها

(٤) الشريف علي هو الذي اعطاهم المنطقة الحربية الاخيرة من ارض الحجاز بمحض ارادته (التي يصفها بالسنية تقليداً لسلاطين آل عثمان) كما تقدم

ومن المعلوم بالضرورة أن أهل هذا البيت متضامنون في خدمة الانكليز، وممالكهم الصورية يعدونها منحة من الانكليز، ويعلمون أن الشعب الحجازي يمقتهم وانه لا سبيل الى تمتعهم بعظمة الامارة والملك إلا بحماية الانكليز بل في ظلهم، فاذا ظلوا متمتعين بها فلا تمضي إلا سنين قليلة ويستولي الانكليز بالفعل على بلاد العرب وفي مقدمتها الحجاز

وقد علم من اعمالهم الرسمية انه لا يردعهم عن ارتكاب أعظم الجنايات الموبقة ولا سيما خدمة الانكليز خوف من الله ولا حياء من قومهم ولا من أهل الدين الذي ينتسبون اليه حتى إن الذي سمى نفسه ملكا دستوريا وهو علي يعطي بعض ارض الحجاز المقدسة للانكليز بمقتضى «ارادته السنية» فاين الحكومة الدستورية التي ادعاها ؟ واين الحزب الوطني الذي بايعه عليها ؟ بعد ادعاء خلع الملك حسين لاستبداده ... ؟

الدعاية الهاشمية

ليس هنالك احزاب حجازية، ولا مبايعة شعبية دستورية، ولا خلع لمن ادعى الخلافة الاسلامية، وسمى نفسه ملك البلاد العربية، وانما هنالك أفراد رباهم حسين لنفسه قاموا ولا يزالون يقومون بهذه الدعاية التي يعتمد عليها حسين واولاده كما يعتمدون على الانكليز ولا يقيمون لغيرهما من العلم والعمل ولا من الناس وزنا . منهم عبد الرؤف أفندي الصبان الملقب بمندوب الحزب الوطني الحجازي بمصر وحسين أفندي الصبان مدير جريدة القبلة، وكل ماينشر في مصر من الدعاية فهو منهما ومن الشيخ عبد الملك الخطيب الملقب بوكيل الحكومة العربية

ومنهم الوفد الذي ارسل الى الهند فأحدث فيها فتنة لا يستهان بها، وزعيماه محمد طاهر الدباغ والطيب الساسي وهما من المغاربة المقيمين بالحجاز وثانيهما كان مستخدما في ادارة جريدة القبلة الحسينية

وترى هؤلاء الدعاة ينفقون الاموال بالوف الجنيهات على الجرائد وغيرها من

حيث تواترت الاخبار بعجز ملكهم الشريف علي عن أداء رواتب الجنود التي استأجرها من فلسطين وسورية وغيرها لاقامة ملكه حتى انفض اكثرها من حوله وعادت الى بلادها، ومن أخبار الهند الخاصة أن وفد الهند بذل للشيخ أبي الكلام أحمد الزعيم الشهير عشرة آلاف جنيه ليبث دعوتهم ويلقي خطبة في الطعن في الوهابية ، فكان ذلك دليلا عنده على كذبهم ...وماهو ممن يعبد المال مثلهم، فلذلك رد طلبهم .وقد أنشأ هذا الوفد جريدة اسبوعية في بمبي هي أسفه من جريدة القبلة قيلا، وأضل سبيلا.فاغتر بهذه الدعاية كثيرون وأخذ الزعما العارفون بالحقائق على غرة فتريثوا في الرد على هذه الدعاية حتى خاطبوا ابن السعود في ذلك بلسان البرق كما فعل ملك مصر ، ولما وقفوا على الحقيقة ، وان جيش الاخوان لم يضرب قبة المسجد النبوي بقنبلة ولا رصاصة ، حملوا حملة عظيمة على دعاية رفد الشريف علي حتى اضطر الى مغادرة الهند

افتراص الانكليز للفتنة

في أثناء هذه الضجة أمر الانكليز حكومة العراق بمطالبة سلطان نجد باعادة عقد المؤتمر الذي كان قد اجتمع في الكويت لوضع الحدود بين العراق ونجد وشرق الاردن والحجاز ، وأرسلوا هم من قبلهم وفداً الى الحجاز لمفاوضة سلطان نجد في هذه المسألة ، وجل مايبغونه منه أن يعترف لهم بالحدود الجديدة لمنطقة شرق الاردن بعد أن ضموا اليها من بلاد الحجاز ما علمنا ، وأن يضموا اليها (الجوف) الذي كان تابعاً لامارة ابن الرشيد ، وصار بعد ذلك جزءاً من سلطنة نجد وانهم يتوسلون الى إقناعه بما يخوفونه الآن من تأليب العالم الاسلامي عليه ، وإغراء مصر وايران وغيرهما من الاقطار الاسلامية به ،حتى الهند التي كانت مشايعة له ، فأصبح كثير من أهلها عليه كالاسماعيلية وفرق الشيعة ، و بعض عوام أهل السنة، بحيث اذا عقد المؤتمر الاسلامي الذي يطلبه يسعون بنفوذهم السياسي والمالي وخداعهم الى جعل الاكثرية الساحقة فيه عليه لا له، ومؤيدين لخصمه الشريف علي عليه . وذلك أن أكثر مسلمي الارض خاضعون لسلطانهم وسلطان حليفتهم فرنسة بالفعل . بل يوهمونه أنه يسهل عليهم خداع سائر الشعوب الاسلامية بموافقة مندوبي هؤلاء، بدليل أنهم هيجوا بعضها بالفعل كالشعب

الايراني ولكنهم لايصرحون بهذه الايهامات

فان هو خاف من ذلك واعترف لهم بهذه الحدود يكون كمن شحذ مديته وبخع بها نفسه بيده ، ويكون كل هؤلاء المسلمين الذين هاجوا عليه ، وطفقت جرائدهم تطعن في جنده ، شركاء له في هذه الجناية على الحجاز وعلى الاسلام ، نعم ان الانكليز ربما يكافئونه على اعترافهم له بهذه الحدود مكافأة سلبية خادعة ، وهي مالا يزالون يدعونه من التزامهم موقف الحياد في التنازع بينه وبين الشريف علي . وماذا يفعل بعد ذلك - وهو محاط به من البر والبحر ، ولا سيما بعد مد الانكليز لسكة الحديد الحربية من فلسطين الى العراق مارة بأرض الحجاز ونجد ؟

الواجب على السلطان عبد العزيز شرعا وعقلا وسياسة أن لايخاف من تهديد الجنرال كليتن وخداعه ، ولا يبالي بوعده ولا بوعيده ، فان دولته المرسلة له لاتقدر الآن على ايذاء نجد وغيرها من بلاد العرب بأكثر مما فعلت من الدسائس ومن مساعدة الحجازيين بما أجملناه في هذا المقال ، أعني أنها لا يمكن أن تسوق عليه جيوشا بريطانية تقاتله بها . فان فرضنا أنها يمكنها أن تحمل دولة اسلامية على قتاله لاخراجه من الحجاز — وما ذلك بالامر السهل — فعاقبة ذلك خير له من السماح للانكليز بشبر من أرض الحجاز أو من أرض نجد يأخذونها باختياره ثم لا تكون عاقبة أمرها الا القضاء على كل من الحجاز ونجد بعد زمن قليل ، ولأن يضيع الحجاز بيد غيره أشرف له وأسلم من خزي الدنيا والآخرة من أن يضيع بيده

اذا أحدث الانكليزي فتنة حربية في الحجاز بأيدي دولة اسلامية فلا ينتظر من ابن السعود الا أن يترك الحجاز لهذه الدولة الاسلامية ، ويحملها تبعة حفظه أمام الله والمسلمين ، ويزحف بكل قوته على شرق الاردن وفلسطين والعراق ، فهو إن فعل ذلك يجد الترك قد انتهزوا هذه الفرصة وزحفوا على الموصل ، واذا أنقذ العراق وقلب جزيرة العرب من الانكليز ذهب تسعة أعشار الخوف على الحجاز ونجد . ولن ترضى الامة البريطانية من حكومتها الماكرة أن تحملها أعباء حرب جديدة في بلاد العرب تضحي فيها مئات الالوف من الانكليز ، وتغتال مئات الملايين من ذهبهم بعد أن كادت الديون وبطالة العمال وكساد التجارة تقضي على ثروتهم

ولئن كانت الحكومة الهندية تظن أنها يمكنها الاعتماد على مسلمي الهند في إيقاد نيران الحرب في الحجاز بإيهام عوامهم أنها تنقذ بذلك القبور والقباب من الوهابية ، فهي لا تأمن لهم ولا الهندوس في إيقاد نيران الحرب في بلاد العرب لقتال العرب والترك دفاعا عن تاج فيصل وعقال أخيه عبد الله بل هي لا تأمن عاقبة ارسالهم الى الحجاز أيضاً ، لأن العارفين بكيدها للحجاز من ضباطهم وجندهم كثيرون

إن الدولة البريطانية لا تثير حرباً جديدة قط ، وما لديها الا الخداع ، فلا يكونن سلطان نجد من المخدوعين

لا يتوهمن أحد من ذكرنا لزحف الترك على الموصل اننا نعتقد أن لهم الحق في ذلك أو اننا نفضل جعل هذه الولاية تركية على جعلها عربية ، كلا ، وانما نعتقد ان طمع الترك قد يقف عند حد الموصل من بلاد العرب وأما طمع الانكليز فلا يقف عند حد ، وهم عازمون قطعا على امتلاك جميع البلاد العربية ، وإزالة سلطان الاسلام وشريعته من الارض ، فاذا ظفروا بقوة ابن سعود وهي أكبر قوة عربية في الجزيرة فقل على العرب وعلى الاسلام السلام ، ونعتقد ان ابن سعود اذا زحف لانقاذ العراق لاهله يقوم معه معظم العرب . واقناع العراقيين بذلك سهل

(٣)

دسيسة الصلح بين الحجاز ونجد

نحن من المصدقين بأن سلطان نجد كان ولا يزال قادراً على أخذ جدة والمدينة المنورة عنوة كما حكي عنه ، ثم صرح به هو رسميا . ومن المصدقين بأنه اختار الحصر بالمطاولة على المناجزة ، كراهة لسفك الدماء ، وتخريب العمران ، ونعتقد مع هذا أن هذا الاجتهاد كان خطأ ، ضرره على سياسة السلطان وعلى الحجاز أكبر من نفعه ، فلو أنه بعد أن علم بما كان من تحصين جده أعد للهجوم عليه عدته وأخذها عنوة لانتهت المسألة الحجازية ، وأقبل الحجاج على مكة من جميع الآفاق ، فانسع الرزق على أهل الحجاز ، وشاهد وفود مسلمي الارض كلها لفرق العظيم بين عدل ابن السعود ، وتأمينه البلاد ، ومنعه للظلم والالحاد ،

وتعففه عن أموال الحجاج ، وإقامته لأحكام الشريعة ، وبين ظلم حسين بن علي وإلحاده في حرم الله — ولعقد المؤتمر الاسلامي العام ، وقرر شكل حكومة الحجاز وما يجب من الاصلاح الديني والعمراني فيه (كما تقدم آنفا) — واستراح المسلمون عامة والعرب خاصة ، واطمأنوا بذلك على حرمهم وقبلتهم ومشاعر دينهم ، وروضة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمنوا نفوذ الاجنبي أن يفسد عليهم أمر دينهم ، ويذلهم حيث أعزهم الله تعالى

لقد آن للسلطان الذكي العاقل أن يدرك الفرق العظيم بين حصره لابن الرشيد في جبل شمر ، وبين حصره للشريف علي صنيعة الانكليز وابن صنيعتهم في ثغر بحري يتصل فيه بهم وبمن شاؤا وشاء من العالم ، وقد علم بعض ما في ذلك من الضرر ، ومنه أن رجال العرب وكثيراً من زعماء الاسلام الاعاجم وكثيراً من الاجانب كانوا يقدرون قوته الحربية قدرها ، وينتظرون أن تتضاعف هذه القوة بادخال النظام العصري فيها ، وتسليحها بالاسلحة الجديدة التي كانت فاقدة لها ، وكانوا ينتظرون أن تتجدد بذلك دولة عربية قوية تحفظ بالاتحاد مع قوة الامام يحيى مهد الاسلام وجزيرة العرب من النفوذ الاجنبي ، وتجدد شباب هذه الامة

فلما مرت سنة كاملة ، بل قبل أن تنتهي هذه السنة على حصار جدة التي يحميها أوشاب من متطوعة بلاد كثيرة استؤجروا للدفاع عنها بحشو بطونهم من الماج العيش (اللماج بالفتح أدنى ما يؤكل) ظن الا كثرون أن هذه قوة بدوية لاغناء فيها ولا استعداد ولا قابلية فيه لمناجزة أضعف الجنود المنظمة مهما يكن نظامها ناقصاً وضعيفاً ، وذهبت بهذا الظن هيبة الوهابيين من أنفس أولئك الظانين ، وانقطع حبل الرجاء بكثير من أولئك الراجين ، وزالت مهابة الخوف من كثير من الخائفين ، وصار لطلاب الصلح بين المتحاربين أنصار كثيرون حتى من العارفين بفساد بيت حسين وظلمهم وكونهم صنيعة الانكليز ، وشبهتهم على هذا ، أن القوتين متكافئتان لا يرجى حقن الدماء وأمن البلاد وحرية الحج الا بالصلح بينهما

ولم يكن ينطق بكلمة الصلح بينهم وبين سلطان نجد قبل هذه الايام إلا صنائعهم ودعاة فتنتهم ، ولم تردد هذه الكلمة إلا الصحف القليلة التي تنشر دعايتهم

وفي مقدمتها المقطم فهي التي مازالت تنشر هذه الدعوة الي الصلح حكاية عن بعض دعاة الشريف علي وباسم بعض محرري المقطم ،وزعمت أن الوفد المصري الذي سافر الى جدة فمكة بأمر جلالة ملك مصر المعظم برئاسة الاستاذ الكبير الشيخ محمد مصطفى المراغي رئيس المحكمة الشرعية العليا لم يذهب إلا للوساطة بعقد الصلح بين الشريف علي وسلطان نجد لما كان من استغاثة الشريف علي بجلالة الملك في البرقية المشهورة التى نشرت في الصحف المصرية و نشرناها نحن في الجزء الخامس من المنار ، وانما يقول المقطم هذا رأيا لا رواية ونحن نخالفه في هذا الرأي ونرجح أن الوفد أرسل لاختبار حالة الفريقين لا للتدخل في شؤونهما بالفعل ،اذ لا يعقل إقدام هذا المقام الجليل على مثل هذا التدخل إلا بعد العلم باستعداد الفريقين لقبول وساطته ، والعلم بأن الصلح بينهما على قاعدة بقاء الحكم في الحجاز للشريف علي موافق المصلحة الاسلامية العامة ، وأي مصلحة للاسلام في توطيد السلطة في الحجاز لمن يدعون أن البلاد ملك لهم وانه يباح لهم التصرف فيها حتى يبيع ماشاؤا منها للاجانب كما وقع بالفعل ؟ولهذا نعتقد أن دعاة الفتنة الذين يحرضون الدولة المصرية على قتال الوهابيين وفتك هذه البقية الضعيفة من قوي المسلمين بعضها ببعض لاتثمر لهم دعوتهم الا الخزى فى الدنيا والآخرة

إننا نعتقد بما لنا من الاختبار الواسع أن عقد الصلح بين الشريف علي وسلطان نجد على قاعدة جعل الاول ملكا في الحجاز يفضي الى المفاسد الآتية

(١) عودة الشريف حسين الى مكة مدعيا للخلافة الاسلامية تحت حماية الانكليز عملا بمقررات النهضة فقد علمنا علم اليقين أن أولاده الملوك البريطانيون على العراق وشرق الاردن والحجاز لا يزالون متمسكين بخلافته وقد صرح ولي عهده الشريف علي في (الارادة السنية) التى أصدرها بجعل منطقة العقبة وشرق الاردن الحجازية تابعة لشرق الاردن تحت الانتداب البريطاني بالتعبير عن والده بالخليفة الاعظم ،وأذا هو عاد الى مكة يعود اليها الظلم والالحاد والافساد والشقاق بين الحجاز وسائر حكومات الجزيرة ولاسيما نجد ، اذ يعود هو الى مطالبة سلطنة نجد وإمام اليمن بوجوب اتباعه من حيث هو خليفة الرسول وأمير المؤمنين ،

والى التصدي لتنفيذ ماوضعه من النظام لوحدة البلاد العربية التي يسميها «المالك الهاشمية» ومنها أن تكون كلها تابعة له في السياسة والحرب والادارة العامة وحينئذ يسمح لامرائها بالاستقلال الاداري بشرط رد إمارة ابن الرشيد وإمارة أولاد عايض اللتين استولى عليها سلطان نجد!! (راجع: خطاب عام الى العالم الاسلامي) فاي اصلاح وخير يرجو الداعون الى صلح هذه أولى نتائجه ؟

(٢) ان الشريف حسينا صرح بالقول والكتابة والنشر بكفر الوهابية وانه يجب على ولي أمر المسلمين اقامة شرع الله فيهم أى بقتالهم الى أن يعودوا الى الاسلام الذي يدعيه هو كابنه أو ينقرضوا . وقد اتهم هو الوهابية بمثل هـذه التهمة بالتبع لأنها سلفه الشريف غالب لسلفهم عند مبدإ ظهورهم وثبت انه كاذب كسلفه وخلفه ، فقد استولوا على بلاد الحسا التي كانت تحت سلطة الدولة العثمانية ولم يعاملوا الشيعة من أهلها معاملة الكفار في شيء مع أن الخلاف بين الوهابية المتعصبين للسنة وبين الشيعة شديد جداً ولذلك نجد شيعة إيران والهند والعراق وسورية أشد الناس تحاملا عليهم ، حتى ان صديقنا السيد هبة الدين الشهرستاني الذي كنا نعده من دعاة الجامعة الاسلامية ومن المعتدلين في التشيع ألف رسالة في صد المسلمين عن الحج مع وجود الوهابية في الحجاز . وأما أهل الحجاز فقد اجتمع علماؤهم بعلماء نجد عقب احتلال ابن السعود لها وقرروا بعد المذاكرة انه لاخلاف بينهم في العقيدة وأنهم كلهم على السنة كما جرى مثل ذلك عند احتلال الامير سعود لمكة المكرمة منذ قرن وسنين حذو القذة بالقذة ، فاي مصلحة في عقد صلح يفضي الى إعادة تكفير من يدعي الخلافة لأقوى شعوب الجزيرة دينا ونجدة وقتاله لهم ان قدر ولو بمساعدة الانكليز لاجل اكراههم على ترك السنة وعبادة القبور؟

(٣) إن الشريف حسينا وأولاده ليس لهم قوة ولا عصبية في بلاد الحجاز ولا في غيرها من بلاد العرب كما كنا نقول وثبت قولنا بالفعل بما علمه القاصي والداني من كون جميع قبائل الحجاز القوية مشايعة لسلطان نجد عليهم ولولا ذلك لم يستطع الوهابيون البقاء في الحجاز ــ ومن كون الجند الذي يدافع عن جدة قد جمعه الشريف علي وأعوانه من فقراء اليمن وفلسطين وسورية المحتاجين الى

القوت الضروري ولاجل هـذا بنى الشريف حسين ثورته وما سماه (مقررات النهضة) العربية على تأسيس الانكليز المملكة العربية وحمايتها لها من الداخل والخارج . وكان أول من نشر هـذه المقررات الامير فيصل في سورية . ومن المعلوم بالضرورة أن الشريف حسينا وأولاده متكافلون متعاونون في سياستهم ، وأن الحجاز لايستغني عن مساعدة حكومتي شرق الاردن والعراق مع عداوته الراسخة لنجد وطمعه في اخضاعها هى واليمن وتهامة كما تقدم ، ومن المعلوم بالضرورة أن هاتين الحكومتين بريطانيتان فان تكون حينئذ الحجاز غير بريطانية

غرض الانكليز حماية الحجاز

وجملة القول وخلاصته أن الدولة البريطانية طامعة في ضم جزيرة العرب الى الامبراطورية البريطانية المرنة وفي القضاء على الاسلام وعلى سلطان المسلمين فيها كغيرها من أقطار الارض ، وقد كانت طريقتها في الفتح والاستعمار خفية، فأصبحت ظاهرة جلية، فهى تصطنع الزعماء ورؤساء الامم بالمال والاغواء والاغراء، وتضرب بعضهم ببعض كالسيل يقذف جلمودا بجلمود بل مثلها كمثل جنة الادواء (الميكروبات) في إفساد الاجسام، وجنة(١) الشياطين في إفساد الارواح، من حيث لا يشعر أولئك ولا هؤلاء، وانما العالمون بأمر تلك الجنة أطباء الاجساد النطاسيون، وبأمر هذه الجنة أطباء الاجتماع السياسيون ، وأكثر المسلمين لايزالون يعتمدون على أطباء الخرافات الدجالين .

وهي لم تحدث هذه الجلبة والضوضاء في تخويف الشيعة وجهلاء المنتسبين الى السنة من قوة الوهابيين التى هي مع قوة إمام اليمن حصنان منيعان في وجه طمعها في جزيرة العرب الا لتهون على العالم الاسلامي ماتبغي من التصريح بحماية الحجاز فالشيعة يساعدونها على حد المثل « لاحبا في علي ولكن بغضا في معاوية » وجهلاء المبتدعة من المنتسبين الى السنة يوافقونها لاعتقادهم أنها تحمي لهم القبور والآثار التى صارت معبودات لهم ، وهنالك آخرون مستذلون تحت حمايتها يوافقونها على كل شيء جبنا وجهلا ونفاقا ، ووالله انها الشر على الجميع وخطر على دينهم ودنياهم

(١) الجنة بكسر الجيم النسم الخفية

كلهم ، ووالله ان قضاءها على قوة العرب في جزيرتهم ، وجعل مهد دينهم وقبلته وشعائره تحت حمايتها لقضاء على الاسلام كله مؤذن بزواله وإذلال جميع أهله ، ووالله انه لا يرجى بعد ذلك أن يبقى لايران ولا لمصر ولا لغيرهما استقلال ، وقد عرف المصريون عاقبة حماية عرش أميرهم من العرابيين كيف كانت

ان من الممكن السهل التناول انشاء قوة عسكرية في جزيرة العرب تحفظ استقلالها ومجد الاسلام فيها والانكليز يحاولون التعجيل بالاستيلاء على الجزيرة كلها قبل ان يعقل العالم الاسلامي هذا الامر ويسعى لمساعدة ابن السعود وامام اليمن عليه، ولذلك حملت ربيبتها جمعية الامم على تقرير منع السلاح عنهما، فان تم لهم ذلك وصار البحر الاحمر انكليزيا محضا وصار للانكليز قوة برية في فلسطين ممتدة الى العراق لا تجاورها قوة تحسب لها أدنى حساب ، فأي مصري أو ايراني يسفه نفسه ويخلع عقله فيزعم ان بلاده يمكن ان تستقل وقد أحاط بها الانكليز من البر والبحر ؟

وقد ظهر كالشمس في رابعة النهار ان الشريف حسينا وأولاده هم اكبر أنصار الانكليز على الاستيلاء على بلاد العرب ما تم منه وما لم يتم ، ولما كان المصريون يعلمون من هذه الحقيقة ما لا يعلم شيعة ايران والهند لم تؤثر فيهم الدعاية الهاشمية البريطانية الاخيرة حتى صرحت جريدة التيمس بالتعجب من ذلك(١) وقد آن للايرانيين ان يفقهوا هذا ويتركوا التعصب الضار الذي لم يعد له عذر في هذا العصر وقد عرف عقلاء الشيعة في العراق كنه الملك فيصل البريطاني وليرجعوا الى منشآت السيد جمال الدين موقظ مصر وايران والشرق ويتدبروا ما كتبه في الانكليز

علاوة مؤيدة لما تقدم

كنت بدأت بكتابة هذا المقال لجزء المنار الخامس الذي صدر بتاريخ سلخ صفر فلما لم يتسع له أرجأت إتمامه وقد جاءني بعد نشر بعضه في الجرائد والمنار وقبل ختامه كتاب من قلب الهند أكد عندي كل ما رأيته وكتبته من الاراجيف التي ذاعت في الهند بسعي وفد طاهر الدباغ ودسائس الانكليز . ومما جاء فيه « فتأثر كثير من الناس بهذه الاراجيف وأخذوا يشتمون ابن سعود بل بعض من أصحاب الاغراض أخذ يقول : يجب أن تتدخل الدولة البريطانية في الامر فتخرج ابن سعود

بقوتها العسكرية » (؟ تأملوا تأملوا ، هذا بيت القصيد ، وهو أعظم خيانة صدرت من أحد يدعي الاسلام)

وجاء فيه أيضاً أن الشيخ عبد الباري الفرنجي محلي اللكهنوي (وهو نصير الانكليز والبيت الهاشمي والمبايع الوحيد من علماء الهند القائلين لحسين بن علي بالخلافة) ومجتهدي الشيعة وحزب الحكومة الانكليزية قد أجمعوا أمرهم وعقدوا في لكهنو مجلساً كبيراً لكيد النجديين. فعارضهم في مباحثهم اثنان من أفاضل أهل السنة العارفين بدسائس الحكومة ومقاصدها السيئة في الحجاز وجادلاهم بالحجة فلم يكن لهم عليهم من سلطان الا السب والضرب ، واخراجهما جرا على الارض. وقد ذكر ذلك في أكثر الجرائد الهندية

(ثم بشرنا الكاتب بانتشار الحركة الاصلاحية بعد هذه الدعاية بسرعة (قال) حتى إن عباد القبور والقبب يرجعون الى التوحيد الخالص بمئات الالوف) ورأينا جرائد المسلمين الكبرى في الهند تنشر الاحاديث الصحيحة وأقوال العلماء في بدع القبور ووجوب هدم المشيدة المعظمة منها

نقول: ياحسرة على المسلمين لايزال يوجد فيهم ألوف وملايين يتصرف فيهم أعداؤهم ويسخرونهم كالانعام ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي خصومهم كما وصف الله أهل الكتاب في عصر التنزيل ، ومنهم بعض المعممين الجامدين النفعيين (كالشيخ عبد الباري) يسير هؤلاء العلماء في الطريق التي يسوقهم فيها أعداء دينهم ودنياهم وهم لا يشعرون بخطره وسوء عاقبته

ما يجب على المسلمين للحجاز

فالواجب على أهل الغيرة والاخلاص والوقوف على الحقائق من المسلمين أن يتداركوا هذه الفتنة الانكليزية ، ويحولوا بينها و بين حرم الله وحرم رسوله ، وسياجهما من جزيرة العرب ، مادامت قوة سلطان نجد ماثلة مانعة للنفوذ الانكليزي أن يستحوذ عليها . وليتذكروا وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان . وقوله « إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ ، و يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم عن

ابن عمر . والترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني مرفوعا « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الاروية(١) من رأس الجبل . ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » فليعقل المسلمون كافة وأهل السنة خاصة هذه الاحاديث، وليفقهوا حكمتها، وليعملوا بمراد نبيهم (ص) منها، ويتعاونوا على إبعاد الانكليز عن الحجاز تنفيذاً لهذه الوصية ، وليعلموا ان كل من يقربهم من الحجاز فهو عدو لله ورسوله والمسلمين . وفي مقدمة هؤلاء الاعداء حسين بن علي وأولاده وانصارهم أجمعون اكتعون ابتعون ابصعون

يجب على المسلمين المخلصين المتعصمين بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ان يبادروا الى عقد المؤتمر الذي دعا اليه سلطان نجد ويقرروا إبعاد الانكليز عن الحجاز وانتزاع منطقة العقبة ـ معان وسكة الحجاز منهم ومن فرنسة ووضع نظام لحكومة الحجاز من قواعده ان لا يكون لغير المسلمين أدنى نفوذ فيه ولا وجود بأي اسم من الاسماء. وليعلموا انه لا يتم لهم عقد المؤتمر الا بقوة سلطان نجد الذي أقام الحجة عليهم بتفويض أمر حكم الحجاز وحفظه اليهم ، فلم يبق لاحد منهم عذر لا للشيعة ولا لمبتدعة القبور ولا لغيرهم ، فمهما يكن أمر هذا السلطان في نفسه وأمر قومه في أنفسهم فهو يعلن رسميا أن الحرمين الشريفين ليسا له ولا لحسين بن علي وأولاده ، بل يجب تفويض امرهما الى زعماء المسلمين كافة ، فمن يرغب عن هذه الخطة الى جعلها مملكة موروثة في بيت الشريف حسين يتصرفون فيه كما شاؤا حتى يجعلها تحت حماية أعداء الاسلام والطامعين فيه، ويبيعون ما شاؤا من أرضها، فهم أعدى أعداء الاسلام ، ويجب ان يظهر نفاقهم لجميع المسلمين

ونقترح على سلطان نجد ان يجدد الدعوة الى عقد المؤتمر لذلك بصفة رسمية بالكتابة الى ملوك المسلمين ورؤساء حكوماتهم المستقلة ومنها دولة ايران ـ والى جماعات الشعوب الاسلامية المعروفة بخدمتها للاسلام، وان يذكر في كتاب الدعوة الموضوع الذي يبحث فيه المؤتمر بالتفصيل ، وأهمه أن لا يكون لاجنبي ملك ولا نفوذ

(١) الأروية بضم الهمزة وتشديد الياء كالاثفية الوعل

ولا مقام في الحجاز وأن تكون حكومته حكومة شورى شرعية ، ولا يتسع هذا المقال لبيان رأينا التفصيلي فيه وسنشرحه عند الحاجة اليه ان شاء الله

أيها المسلمون، الامر جد، والخطب اد، وليس بعد اليوم كوفة، فاذا استولى الأجنبي الطامع على مهد دينكم ، واستعبد قوم رسولكم ، وهم أعرق شعوب الارض في الحرية والاستقلال ، فماذا يبقى لكم ؟ واذا لم تظهروا الغيرة على حرم ربكم وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم فأي شعور يحترم الطامع لكم ؟ وأي مقاومة يخشى منكم ؟

لا تسمعوا كلمة لدعاة حسين وعلي وعبد الله وفيصل ، فقد ثبتت خياناتهم للاسلام وللعرب بالفعل ، ولم يتجرأ أحد منهم على تكذيبنا في جعل ملكهم على منطقة عظيمة من الحجاز تحت الانتداب الانكليزي لان جريدة شرق الاردن الرسمية نشرت الخبر كما نشرته صحف سورية والعراق

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون * ـ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون)

احوال العالم الاسلامي

﴿ ابن سعود وانكلترة (تأخر نشرها) ﴾

ترجمت جريدة ألف با الدمشقية عن جريدة « لاسيري » الافرنسية أن السلطان ابن سعود كتب الى انكلترة طالبا التصديق على المطالب الآتية :

(ا) أن تترك انكلترة ابن السعود ينهي أمره بأسرع ما يمكن مع الملك علي وجدة

(ب) أن تعترف بصورة رسمية بسيادته على الحجاز واستقلال نجد استقلالا تاما ذلك الاستقلال الذي حذف بعض مواده في الاتفاق الذي عقده مع انكلترة عام ١٩١٥

(ج) أن تقبل انكلترة بوضع الحجاز تحت سلطته بعد انتصاره التام عن الملك علي ، ويتعهد لقاء ذلك أن يشكل بصورة دائمة في مكة حكومة وطنية

تعترف انكلترة باستقلالها التام . ويكون لابن السعود السلطة التامة في تعيين من يشاء لمكة . أما فيما يتعلق بدستور الحجاز الاداري والديني فانه يترك أمر تقريره الى ممثلي الدول الاسلامية الذين ينتخبون لجنة يعهد اليها أمر تطبيق الدستور المذكور

(د) ان تترك انكلترة له حق تعيين ممثلي حكومة لوندرة في العراق وشرقي الاردن وفلسطين والبصرة والكويت

(هـ) أن تعترف له باطلاق لقب الجلالة عليه نظير اعترافها بلقب أمير الافغان والملك فيصل .

(و) أن تضع حداً لنشر الدعاية ضده في الهند والعراق والبلاد الاخرى الواقعة تحت النفوذ الانكليزي والتي تمثل الوهابيين كزنادقة .

فردت عليه انكلترة مقدمة له المطالب التالية : —

(ا) بقاء الحالة على ماهي عليه في شبه جزيرة العرب وبذل جهودها في الحصول عليه خلا مايتعلق بالحجاز طبعا . ويتعهد ابن السعود ان لايقسم شبه جزيرة العرب الى منطقتي نفوذ يختص المنطقة الشمالية بنفسه والمنطقة الثانية بصديقه الامام يحيي امام اليمن وأن لايعقد مع الامام يحيي محالفة ما . بل يجب عليه بالعكس أن يعقد محالفة مع خصم الامام يحيي أي مع سعيد بن علي الادريسي امام العسير وأن يدعمه عند الحاجة

(ب) أن يعدها ابن سعود بأن لايهاجم شرق الاردن ولا معان والعقبة وتبوك وهي الاراضي التي انضمت مؤخراً الى شرقي الاردن أي ان يحترم البلاد الواقعة تحت الانتداب الانجليزي .

(ج) أن يحترم وأن يحمى السكة الحديدية التي تصل شرقي الاردن بالمدينة ليؤمن طريق الحج

(د) أن لايقوم بأي حركة عدائية على حدود العراق الجنوبية

(هـ) أن لايهتم مطلقا بالمسائل المتعلقة بامارات خليج فارس وبنوع خاص امارتي الكويت والبحرين

(المنار) نقل هذا الخبر بعض الصحف السورية والمصرية بمافيه من تحريف

وغلط ، فالتحريف كالتعبير عن الكويت بالكوفة ، والغلط كالتعبير عن الادريسي وامارته بسعيد بن علي إمام العسير ، والصواب السيد علي بن محمد علي أمير تهامة اليمن ، فان منطقة عسير تابعة لسلطنة نجد بمقتضى اتفاق سابق مع المرحوم السيد محمد علي الادريسي وسلطان نجد . ومنها مطلب حرف (د) والظاهر أن المراد منه ان يكون لنجد ممثلون في تلك البلاد

وقد ارتابت بعض الجرائد في صحة هذا الخبر ، ولكن المطالب المعزوة الى الفريقين هي التي تتبادر الى الاذهان وان اعلن سلطان نجد لا يبغي ضم الحجاز الى بلاده. فالظاهر ان الكاتب الفرنسي صورها بما ذكر اذا لم يكن للخبر أصل . وقد بينا في مقال آخر ما يبغي الانكليز من سلطان نجد ونزيد على ذلك موافقة الكاتب على انهم يودون لو يعادي إمام اليمن ، لتتمكن انكلترة من تهديد كل منهما بالآخر أو حملهما على القتال لتفني هذه القوة الباقية في جزيرة العرب بأيدي أهلها . وقد قيل : إن دسائسهم فعلت هذه المرة فعلتها في إمام اليمن ، فأغرته بالتحرش بسلطان نجد ، بعد أن عجزت عن إغراء هذا به ؛ وانه تصدى بدسائسها للتدخل في مسئلة الحجاز وفاقا لما كان يزعم المقطم من قبل . فان صح هذا ولا نخاله صحيحاً يكون الامام يحيى قد فقد أكبر فضيلة له عند العالم الاسلامي ، وهي عجز انكلترة عن خداعه ، وجعله آلة لمطامعها في جزيرة العرب . وطالما صرح المقطم بأنه صارح سلطان نجد بالعداء وانه سيرسل جنوده لمساعدة الشريف علي على اخراج الوهابيين من الحجاز — وكنا وما زلنا نسخر من هذه الدعاية لما عندنا من الادلة على كذبها ، وكونها ليست من مصلحة الامام في شيء ، فان من أسس سياسة الملك حسين جعل اليمن تابعة له كما صرح به في جريدة القبلة وسلطان نجد لا يطلب الحجاز ولا اليمن نفسه ، وهو أقدر على مهاجمة اليمن من جهة عسير وجهة الطائف من مهاجمة الامام له في الحجاز التي لا فائدة له من تركها له ، وأما مشاركة الامام لغيره من أحكام المسلمين وزعمائهم في تقرير أمر الحجاز وفاقا لما دعا اليه سلطان نجد فمعقول ، ولا بد للامام من ارسال وفد لحضور مؤتمر مكة وقد كان كتب الينا بعزمه على ذلك فهذا امر يقيني عندنا لا نصدق غيره عنه

﴿ زيارة زعماء الهند لمصر ﴾

ابتهجت مصر في صيف هذا العام بزيارة بعض أكابر زعماء الهند لها : كما ابتهجت في الشتاء الماضي بالمام وفد الهند الحجازي بها، وأسفت لعدم تمكنه من إطالة المقام فيها، وكان لصاحب هذه المجلة الحظ الاوفر من تلك الالمامة تمتع فيها بلقاء صديقه العلامة السيد سليمان الندوي ورفيقيه الكريمين مولانا الشيخ عبد الماجد البدايوني والشيخ عبد القادر القصوري

وأما ضيوفها في هذا الصيف فهم الحكيم محمد أجمل خان الدهلوي الملقب بمسيح الملك ، والنواب أمير الدين حاكم ولاية لاري المستقلة في إدارتها، والدكتور احمد مختار الانصاري، وكانوا قد سافروا من الهند الى أوربة ثم افترقوا فيها فجاء الحكيم محمد أجمل خان والنواب أمير الدين بمصر فأقاما فيها أياما ثم سافر النواب الى الهند والحكيم إلى سورية الجنوبية (فلسطين) فالشمالية فاقام فيها مدة متنقلا بين مدنها وفي بعض قرى جبل لبنان ذات الهواء النقي والماء العذب الصافي ، وأما الدكتور احمد مختار الانصارى فذهب من أوربة الى بلاد الترك ومنها الى سورية فمصر فالهند ، وبعد سفره من مصر عاد اليها الحكيم محمد أجمل خان فاقام فيها بضعة أيام ثم عاد الى الهند .

وقد رحبت مصر بهؤلاء الضيوف الكرام ، والزعماء الاعلام ، ولا سيما الجماعات والاحزاب التي تخدم الشرق والاسلام ، وفي مقدمة المرحبين المرجبين مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية ومجلس إدارة مؤتمر الخلافة العام ، ومولانا الاستاذ العلامة مفتي الديار المصرية ، والاستاذ العلامة الشيخ حسين والي السكرتير العام للازهر والمعاهد الدينية ولمؤتمر الخلافة ، وغيرهم من كبار العلماء الاعلام ، ويلي جماعة العلماء جمعية الرابطة الشرقية فقد قام رئيسها صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري الصديقي (شيخ مشايخ الصوفية) ووكيلها صاحب السعادة أحمد شفيق باشا بما يجب من الحفاوة والاكرام ، ومن الاحزاب السياسية الحزب الوطني وهو الحزب المصري الذي يعني بشؤون العالم

الاسلامي ولاسيما مسامي الهنددون غيره من الاحزاب المصرية

كل جماعة من هذه الجماعات قد رحبت بالزعماء الكرام وأقام كبراؤها لهم المآدب الحافلة ودارت بينهم المحاورات في شؤون الاسلام والمسلمين ومسألة الخلافة وغير ذلك من المسائل الدينية والسياسية والاجتماعية ، وكذلك كان شأن هؤلاء الزعماء المخلصين في سائر البلاد الاسلامية التي زاروها في هذه الرحلة المباركة أي البحث مع العقلاء من رجال الدين والمتمرسين بالسياسة في حاضر الاسلام ومستقبله

وأهم المسائل التي كانت موضوع أبحاث الزعماء مسألة استقلال جزيرة العرب وحفظها من كل نفوذ أجنبي ولا سيما الحجاز ، ومسألة الخلافة ، ومسألة فشو الالحاديين النابتة الاسلامية المتفرنجة ، ومسألة تغلب العصبية الجنسية على الوحدة الاسلامية

وقد كان لكاتب هذه السطور شرف تعريف العلماء وغيرهم بمكانتهم ، وحظ خاص من لقائهم والبحث معهم والتكريم لهم لاسباب (أحدها) العلاقة القديمة الراسخة بينه وبين مسلمي الهند عامة والصداقة الشخصية بينه وبين بعض الزعماء (ولا سيما الحكيم محمد أجمل خان) تلك العلاقة التي كانت سبب دعوة جمعية ندوة العلماء إياها سنة ١٣٢٠ هـ ١٩١٢ م الى تولي الصدارة والرياسة لمؤتمر الندوة العام (وثانيها) أنه منذ بضع وعشرين سنة يبحث في هذه المسائل التي اشتد اهتمام زعماء مسلمي الهند بها في هذه الايام وله فيها المقالات والمباحث الكثيرة في ١٦ مجلداً من المنار وكان لهذه المباحث شأن عند الزعماء وجمهور المفكرين في الهند نشكره لهم وله مؤلف مستقل ، في مسألة الخلافة قد وعى كل ما يحتاج المسلمون اليه في أمرها وكل مايتعلق به (وثالثها) أنه في مصر عضو عامل في الجماعات التي تشتغل بهذه المباحث الاسلامية كمؤتمر الخلافة وجمعية الرابطة الشرقية وغيرها — أقول : فلهذه الأسباب كان حظي من لقاء الزعماء مما أشكره لهما أمام قراء المنار في العالم كله وإن كنت مع هذا قد عاتبتهم بادلال المحبة على قلة حظي منهم، وأقنعتهم بمقتضى المصلحة بالحاجة الى زمن أوسع لتفصيل بعض المسائل لهم وتمحيصها معهم ،

﴿ الاسلام في جاوه ! ! ﴾

نقلت جريدة الوفاق العربيـة عن جريدة (هنديابارروا) التي تصـدر في (بتاوي) عاصمة جاوه الهولندية باللغة البلاد نبأ غريبا مغزاه : أن الحكومة الهولندية قد بلغ من اضطهادها للمسلمين أن تراقبهم في صلاتهم وتجعلها متوقفة على اذنها ، ذلك أن (الاسستين رصدين) حاكم مدينة جكجه دعا اليـه الزعيم المسلم الحاج فخر الدين رئيس الجمعية المحمدية وبعض أعضائها وناقشهم الحساب على إقامتهم لصلاة العيد وخطبته في زكاة الفطر وقال لهم : إنه كان يجب عليهم أن يطلبوا رخصة من الحكومة بالاجتماع للصلاة وإلقاء الخطبة (؟) وقد ذكرت الجريدة المحاورة التي دارت بين الحاكم ورئيس الجمعية بالتفصيل ، ثم علقت عليها تعليقا قالت فيه : لماذا لاتعارض الحكومة المبشرين المنتشرين في البلاد والشوارع وهم يعنون بدعوة التبشير لتنصير المسلمين ويخطبون حيث شاؤا وطالما اغووا العامة وأدخلوا المئات من المسلمين في النصرانية .

ثم قالت (الوفاق) : ايه ايها الاخوان انني أشاطركم الحزن بصـفتي مسلم (فصبر جميل والله المستعان على ماتصـفون) ولا أظن أن مثل هـذه الحادثة جرت في عموم الاقطار الاسلامية حتى في أوربا ، بل لا تستطيع الدول الغربية منع المسلمين الصلاة أو تشترط عليهم طلب الرخصة بها لما يترتب على ذلك من غليان شعور المسلمين والتأثر بعاطفة الدين ، ومقابلة الدول الحرة الاسلامية ذلك بالمثل والتداخل في أمور دينهم بالقوة . . . الخ

وأما (المنار) فيقول : ان دول أوربا لا تحسب للدول الاسلاميـة حسابا ، ولا تخاف لصلاة أحد من المسلمين في البلاد الاوربية عاقبة ولا مآبا ، فان اصحاب المستعمرات الاسلامية منهن متواطئات على السعي لارجاع المسلمين عن الاسلام بالتبشير والتعليم وبالظلم والاضطهاد ، ومن رفع رأسه وشكا من سوء معاملتهم فليس له جزاء الا السيف والنار ، وخراب الديار ، ولكن بعضهم يختار في ذلك سياسة التحذير والخداع ، فهل يعتبر المسلمون بذلك ويتداركوا الخطر بالعلم والعمل والتعارف والاتحاد ، قبل أن يخرج من أيديهم كل ما بقي فيها الى الآن

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار ١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ ٢٣ برج الجدي سنة ١٣٠٥ هش ١٤ يناير سنة ١٩٢٦

﴿ فتوى المنار في حظر ترجمة القرآن ﴾

نشرت في ص ٢٦٨ - ٢٧٤ م ١١ ج٤ منه المؤرخ ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٢٦

(س١) من الشيخ أحسن شاه افندي احمد (من روسيا)

حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا

نرجو أن تعيروا جانب الالتفات لهذه المسألة المهمة :

والحج والزكاة ، والعمل بكتب فقه الأئمة الأربعة التي وصفها بأنها مملوءة بالنفاق والشقاق ، وزعم أن العمل بها غير جائز — ثم قال في صفات (قوم جديد) ما نصه:

« وأما القوم الجديد فانهم لا يبالون بمثل هذه الخرافات القديمة ، بل استخرجوا من الأحكام القرآنية والحديثية الأركان الدينية الآتية (١) العقل (٢) كلمة الشهادة (٣) الأخلاق الحسنة (٤) الجهاد مالا وبدنًا والحرب (٥) السعي لاعداد لوازم الحرب . . . الخ . ثم بسطنا هذه المسائل من وسائل ومقاصد في المجلد التاسع عشر . وقد صدّق كل ما قلناه وارتأيناه من مقاصد ملاحدة الترك ما فعلته الحكومة الكمالية من الغاء الأحكام الشرعية كلها ، وجعل جميع سياستها وأحكامها حتى الشخصية مدنية أوربية ، والغاء المحاكم الشرعية ، والأوقاف الاسلامية، والمدارس الدينية ـ دع إلغاء ما عمل باسم الدين من المبتدعات كتكايا أصحاب الطرق مقلدة المتصوّفة الخ : صدقوا بالفعل كل ماقلناه من مقاصدهم ، وكان بعض المسلمين الجاهلين بحال الدولة التركية وتأثير التفرنج فيها ينكرون علينا ما نقوله عن علم وخبرة وغيرة على الاسلام ظنا منهم أنه إضعاف للدولة حامية الاسلام ، وانما كان حرصاً على تقوية الدولة بالاسلام وتقوية الاسلام بالدولة، لأننا نعلم مالا يعلمون من إفضاء هذه الضلالات والعصبية الجنسية الى اضاعة هؤلاء المتعصبين المفتونين للاسلام وللدولة معاً ـ وكذلك كان

وقد كان بعض الترك الروسيين استفتانا في مسألة الترجمة قبل أن نعلم بهذا الغرض الفاسد فأفتيناه فيها لذاتها اذ لم يكن يخطر ببالنا ان أحداً من المسلمين يتوسل بذلك الى اخراج شعب اسلامي من الاسلام ـ وهذا نص السؤال والجواب:

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشائر صدق نبوت » ما ترجمته :

إن ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع المباحثات التي دارت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة ، وذلك لوجوه (الأول) أن ترجمته بالتمام غير ممكنة لإعجازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) أن فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها ، فيضطر المترجم إلى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التغيير . ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التغيير أيضاً وهلم جراً ، فيخشى من هذا أن يفتح طريق لتحريف القرآن وتغييره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب، فابدالها بالترجمة يسد هذا الطريق ، مثال ذلك أن سعدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة أنه اذا أخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي أول القرآن ، وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين قال: وفي ذلك اشارة الى مدة سني النبوة المحمدية — فاذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى «من بشائر صدق نبوت»

أما أدباؤنا معشر الترك الروسيين ، فانهم مصرون على ترجمته ويقولون : لا معنى للقول بأنه لا تجوز ترجمة القرآن الا ايجاب بقائه غير مفهوم ، فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته ، وهو الآن يترجم في مدينة قزان ، وتطبع ترجمته تدريجاً ، وكذلك تشبث بترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائية القفقاز ، فنرجو من حضرة الاستاذ التدبر في هذه المسألة

حرره الامام الحقير أحسن شاه أحمد

الكاتب الديني السماوي

(جواب المنار له) إن من تقصير المسلمين في نشر دينهم أن لا يبينوا معاني القرآن لأهل كل لغة بلغتهم ، ولو بترجمة بعضه[1] لأجل دعوة من ليس من أهله

«١» بالترجمة هنا المعنوية التفسيرية لا اللفظية الحرفية

اليه ، وإرشادمن يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وإن من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا الى أمم تكون رابطة كل أمة منها جنسية نسبية أو لغوية أو قانونية ، ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله ، المعجز بأسلوبه وبلاغته وهدايته ، المتعبد بتلاوته ، اكتفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلغتهم بحسب ما يفهم المترجم

هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوربا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا أن نتفرق وننقسم إلى أجناس ، ظانا كل جنس منا أن في ذلك حياته ، وما ذلك إلا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ، ولكننا نذكر شيئا مما يخطر في البال من مفاسد هجر المسلمين للقرآن المنزل (بلسان عربي مبين) ـ استغناء عنه بترجمة أعجمية يغنيهم عنها تفسيره بلغتهم ، مع المحافظة على نصه المتواتر ، المحفوظ من التحريف والتبديل ـ مع مراعاة الاختصار فنقول :

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية . والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن ، أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين ، وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن ، وإنما هي فهم رجل للقرآن يخطىء في فهمه ويصيب ، ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي نتكره

(٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي ، بل هو الدين كله ، إذ السنة ليست دينًا الا من حيث انها مبينة له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم ، لا نفس القرآن المنزل من الله تعالى على رسوله محمد (ص) والاجتهاد بالقياس انما هو فرع عن النص ، والترجمة ليست نصًا من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لابد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستنداً . فعلى هذا لا يسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا شيء من أصول الاسلام

(٣) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لمترجمه ، فهو اذاً خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها

(٤) يلزم من هذا حرمان المقتصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به

المؤمنين في قوله (١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وأمثالها من الآيات التي تجعل من مزايا المسلم استعمال عقله وفهمه فيما أنزل الله[1]

(٥) كما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم ، لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

(٦) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجوراً بالعمل بما يفهمه من القرآن وان أخطأ في فهمه ، لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي (ص) لأصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم، اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ، ومثله معاملته لهم فيما فهموه من نهيه عن صلاة العصر الا في قريظة، ولذلك شواهد أخرى ولا أخال مسلماً يجعل لعبارة مترجم القرآن هذه المزية

(٧) ان القرآن ينبوع للهداية والمعارف الالهية لا تخلق جدته ، ولا تفتأ تتجدد هدايته ، وتفيض للقارىء على حسب استعداده حكمته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره مالم يظهر لمن قبله ، تصديقاً لعموم حديث « فربّ مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية ، إذ تقيد القارىء بالمعنى الذي صوره المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك أن المترجم قد يجعل قوله تعالى(١٥ : ٢٢ وأرسلنا الرياح لواقح) من المجاز بالاستعارة أي أن اتصال الريح بالسحاب ، وحدوث المطر عقب ذلك يشبه تلقيح الذكر للانثى وحدوث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين . فاذا هو جرى على ذلك بأن فرضنا أنه لا يوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام (لواقح) العربي في احتمال حقيقته ومجازه اذا أطلق فان القارئين يتقيدون بهذا الفهم ، ويمتنع عليهم أن يفهموا من العبارة ماهي حقيقة فيه ، وهو كون الرياح لواقح بالفعل . إذ هي تحمل مادة اللقاح من ذكور الشجر الى إناثه ، فان لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لتيسر ترجمة الآية ترجمة

(١) أعني كقوله تعالى في أول سورة الاعراف (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) والمنزل اليناهو القرآن العربي كما صرحت به الآيات . فاتباع الترجمة مخالف لكل من الامر والنهي في هذه الآية

حرفية ، فان هناك أمثلة أخرى ، وحسبنا ان يكون هذا موضحاً . والترجمة تقف بنا عند حدّ من الفهم يعوزنا معه الترقي المطلوب

(٨) ذكر الغزالي في كتاب « إلجام العوام عن علم الكلام» أن ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة ، واستدل على ذلك بما هو واضح جداً . وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣ : ٦ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أمُّ الكتاب وأخر متشابهات) وبين أن الخطأ في ذلك مدرجة للكفر [1]

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم أن من الألفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي يفعله المترجم في مثل هذه الألفاظ ، وهو إن شرحها بحسب فهمه ربما يوقع قارىء ترجمته في اعتقاد مالم يرده القرآن؟

(١٠) قد ذكر في ذلك أيضاً : أن من الألفاظ العربية مالها فارسية تطابقها « لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها لها » فاذا أطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤديا المعنى الحقيقي للفظ العربي . وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ، ومثل الفرس غيرهم من الأعاجم . وهذا المقام من مزلات الأقدام اذا كان الكلام عن الله عزَّ وجل وصفاته وأفعاله

(١١) ذكر أيضاً في هذا المقام : أن من هذه الألفاظ ما يكون مشتركا في العربية ، ولا يكون في العجمية كذلك فقد يختار المترجم غير المراد لله من معنيي المشترك ، ولا يخفى مافيه ، وقد مرَّ نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء أنه اذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهة والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصا في نفس السامع لا يمكن أن

«١» راجع ص٢٢٨ م٩ او ٢١٤ من الجزء الثالث من التفسير

ينقل بالترجمة ، واذا فات يفوت بفوته خير كثير ، فياطالما كان جاذبا إلى الاسلام ، حتى قال أحد فلاسفة أوربا وهو فرنسي نسيت اسمه : ان محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع الى الايمان به ، فكان تأثيره أشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الانبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي نمر مرة الاحتفال السنوي لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة ، فافتتح الاحتفال تلميذ بقراءة آيات من القرآن ، فقال لي الدكتور فارس افندي ان لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس . ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به ، فكيف نحرم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم

(١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ ، فلا بد أن يكون بين هذه التراجم من الخلاف مثل مابين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى [1] وقد رأينا مااستخرجه لهم صاحب إظهار الحق من الخلافات التي كنا نقرأها ونحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها ، فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا؟

(١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هو الآية الباقية من آيات النبيين . وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل ، والتحريف والتصحيف، بالنص الذي نقلناه عمن جاء به من عندالله والترجمة ليست كذلك

هذا ماتراءى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي بدل القرآن العربي ، واذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض — وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح — فان هناك وجوها أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن ، بل منها ماتركناه مع تذكره

وأما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم إيجاب بقائه غير مفهوم فهي ممنوعة ، فاننا نقول إن فهمه سهل ، ولكن ليس لأحد أن يجعل

(١) بل يكون الخلاف عندنا أشد لعجز جميع البشر عن ترجمة القرآن دون التوراة والانجيل

فهمه حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برمته . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين — درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لايتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفاتحة وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وتقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويذكر لهم تفسيرها ، بلغتهم كما جرى عليه كثير من الاعاجم حتى ببلاد الصين — ودرجة عليا للمشتغلين بالعلم وهؤلاء يجب أن يتقنوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الأعاجم الذين دخلوا في الاسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا أن للاسلام لغة خاصة به لابد أن تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهتدون بهديه ، ويعبدون الله بتلاوته ، ولتتحقق بينهم الوحدة المشار اليها بقوله فيه (٢١ : ٩٢ ان هذه أمتكم أمة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يعتصموا به وهو حبل الله فلا يتفرقوا ، ولتكمل فيهم اخوة الاسلام التي حتمها عليهم بقوله (٤٩ : ١٠ انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا أساتذة للتعليم ، واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر والقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الاتلانتيك) الى بلاد الهند ، فهل كان هذا إلا خيراً عظيماً تآخت فيه شعوب كثيرة ، وتعاونت على مدنية كانت زينة للأرض ، وضياء ونوراً لأهلها ؟

ثم هفا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصبية الجنسية في الفرس فأنشؤا يتراجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الاتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية مافعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وابقاء القرآن العربي المنزل خاصاً بالعرب ، بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامهما الذي هو القرآن .

فالواجب على دعاة الاصلاح في الاسلام الآن أن يجتهدوا في إعادة الوحدة الاسلامية الى ماكانت عليه في الصدر الاول خير قرون الاسلام ، وأن يستعينوا على ذلك بالطرق الصناعية فى التعليم ،فيجعلوا تعلم العربية اجباريا في جميع مدارس المسلمين ،ويحيوا العلم بالاسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بآراء المؤلفين فى القرون الماضية المخالفة لطبيعة هـذا العصر فى أحوالها المدنيـة والسياسية . ولكننا نرى بعض المفتونين منا بسياسة أوربا يعاونونها على تقطيع بقية ماترك الزمان من الروابط الاسلامية بتقوية العصبيات الجنسية حتى صار بعضهم يحاول إغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل ! : ألا إنها فتنة فى الأرض وفساد كبير وقى الله المسلمين شره . فهـذا ماأقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلغتهم مع بقائه إماماً لهم ،ودون ترجمته لدعوة غيرهم به إلى الاسلام مع أن المترجم بين المعنى الذي يفهمه هو . انتهت الفتوى

وملخص هذه الفتوى أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية متعذر ويترتب عليه مفاسد كثيرة فهو محظور لا يبيحه الاسلام لأنه جناية عليه وعلى أهله . ولا يجوز أن تسمى الترجمة قرآنا ولا كتاب الله ولا ان يسند شيء منها اليه تعالى فيقال قال الله كذا لان كتاب الله وقرآنه عربي بالنص القطعي والاجماع الشرعي من سلف أهل الملة كلهم وخلفها لا الاجماع الاصولي المختلف فيه ، ولأنها ليس لها شيء من خصائص القرآن اللفظية ولا المعنوية كالاعجاز ، وهي لا بد أن تكون مخالفة له في المعنى كمخالفتها في اللفظ فاسنادها اليـه تعالى كذب عليه وكفر بكتابه . بل أجمع المسلمون على أنه لا يجوز إبدال لفظ من ألفاظ المصحف بلفظ آخر يرادفه من اللغة العربية ككلمتي شك وريب في قوله تعالى(ذلك الـكتاب لاريب فيه) وأما الترجمة المعنوية التي هي عبارة عن تفسير ما يحتاج الى تفسيره منه بلغة اخرى فغير محرم وإنما تتبع فيه المصلحة الشرعية بقدرها

﴿ أقوال الفقهاء في المسألة ﴾

﴿ ترجمة القرآن وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية ﴾(*

المعوّل عليه عند الأئمة وسائر العلماء أنه لا يجوز كتابة القرآن ولا قراءته ولا ترجمته بغير العربيّة مطلقاً، الا فيما نقل عن أبي حنيفة وصاحبيه من جواز قراءة القرآن بالفارسية فى خصوص الصلاة، واليك بعض النصوص فى ذلك:

قال شيخ الاسلام ابو الحسن المرغيناني الحنفي فى التجنيس: ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية بالاجماع، لأنه يؤدي الى الاخلال بحفظ القرآن، لأنا أمرنا بحفظ اللفظ والمعنى فانه دلالة على النبوة، ولأنه يؤدي الى التهاون بأمر القرآن اه

وقال فى معراج الدراية: من تعمد قراءة القرآن أو كتابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق، والمجنون يداوى، والزنديق يقتل، وروي ذلك عن أبي بكر محمد بن الفضل البخاري اه

وفى الدراية: ان القرآن اسم للنظم والمعنى جميعاً بالاجماع، وقد أنزل حجة على النبوة، وعلماً على الهدى، والهدى بمعناه، والحجة بنظمه. وكما ان الاخلال بالمعنى يسقط حكم القراءة، كذلك الاخلال بالنظم، ولأن حفظ القرآن واجب في الجملة ليكون حجة على الحكم، ولا قراءة تجب الا فى الصلاة، فعلم أنها متعلقة بعين ما أنزل ليقع الحفظ بها اه

وروي عن الامام أبي حنيفة كما فى الهداية وغيرها: جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة مطلقاً، وعن الصاحبين: اذا كان لا يحسن العربية، أما اذا كان يحسنها فلا يجوز، وتفسد صلاته اذا قرأ بغير العربية

روى أبو بكر الرازي: رجوع الامام الى قولهما وعليه الاعتماد — وقال الامام الزاهدي فى الجامع الصغير: ان ما نقل عن أبي حنيفة وصاحبيه من أن القراءة بالفارسية تفسد الصلاة لمن قدر على العربية، أما عند العجز فلا فساد

---

*) نقلنا هذا الفصل من رسالة للاستاذ الشيخ محمد حسنين العدوي أحد كبار علماء الازهر

(محله) اذا قرأ بالفارسية كل لفظ بما هو فى معناه من غير أن يزيد فيسه شيئاً . أما اذا قرأ على سبيل التفسير فتفسد صلاته بالاجماع اه

وهو تقييد حسن ، لانه حينئذ يكون متكلماً بكلام غير القرآن من كلام الناس وهو مفسد للصلاة

وأصل الاختلاف فى ذلك كما بدائع الصنائع وأحكام القرآن لحجة الاسلام الجصاص قوله تعالى (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) حيث أمر بالقراءة ، والأمر للوجوب ، ولا موضع لوجوب القراءة غير الصلاة ، فوجب أن يكون المراد القراءة فى الصلاة ، فذهب الصاحبان الى أنه اذا قرأ بالفارسية وهو يحسن العربية ، فقد قرأ ما ليس بقرآن ، فقد خرج عن عهدة الأمر ، لأن الفارسي ليس قرآناً ، والقرآن هو المنزل بلغة العرب ، قال تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) وأيضاً فالقرآن هو المعجز ، والاعجاز من جهة اللفظ يزول بزوال النظم العربي ، فلا يكون الفارسي قرآناً لانعدام الاعجاز ، ولهذا لم تحرم قراءته على الجنب والحائض ، غير أنه اذا كان لايحسن العربية ، فقد عجز عن مراعاة لفظه فيجب عليه مراعاة معناه ليكون التكليف بحسب الامكان اه — والمراد مطلق المعنى ، وإلا فمعنى النظم المعجز لا تؤديه الترجمة كما هو ظاهر

ولا يعنينا الآن بيان وجه استدلال الامام بالآية على ماذهب اليه بعد أن صح رجوعه الى قول الصاحبين

فظهر أن قول الثلاثة بجواز قراءة القرآن بغير العربية في الصلاة لمن لايحسنها ليس مبناه أن الترجمة تصير قرآناً عند العجز عن أدائه بالعربية ، فيفرض عليه ذلك في هذه الحالة ، بل المفروض عليه حينئذ تعلم العربي ، لأنه القرآن المأمور به في الصلاة ، وانما هو مبني على الاكتفاء بالمعنى في حقه لعجزه ، ولأنه الميسور له من معنى القرآن الذي هو مجموع النظم والمعنى المأمور به في الصلاة . ولما كان أداء المفروض موقوفا على النظم العربي ، وليس ذلك ميسوراً له أتى بالترجمة بدلا عنه لتقوم مقامه في أداء المعنى المفروض ، مع أنها ليست قرآناً ، لأن القرآن هو كلام الله ، المنزل بلغة العرب ، والترجمة ليست كذلك — وفي

الدراية : قراءة غير العربي تسمى قرآنًا مجازاً . ألا ترى أنه يصح نفي القرآن عنه فيقال : ليس بقرآن وإنما هو ترجمته ، وإنما جوزناه للعاجز اذا لم يخل بالمعنى ، لأنه قرآن من وجه باعتبار اشتماله على المعنى ، فالاتيان به أولى من الترك مطلقاً ، إذ التكاليف بحسب الوسع اه

وظاهر أن مسألة القراءة في الصلاة شيء ، ومسألة ترجمة القرآن وقراءته بغير اللغة العربية مطلقاً شيء آخر . والكلام في الثاني دون الأول ، ولا يلزم من جواز الأول على فرض تسليمه جواز الثاني ، حتى ينسب الى الامام وصاحبيه القول بجواز ترجمة القرآن وقراءته خارج الصلاة ، وكتابته بغير اللغة العربية ، وكيف ذلك وقد أجمعت كتبهم على أن الخلاف في خصوص الصلاة . وأصله أن الأمر بالقراءة إنما هو في الصلاة دون غيرها كما أطبقوا على أنه المراد في قوله تعالى (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) والقرآن المعروف هو اللفظ المنزل بلغة العرب خاصة

وفي شرح أصول البزدوي للامام عبد العزيز بن احمد البخاري الحنفي : والقرآن إسم للنظم والمعنى جميعاً في قول عامة العلماء ، وهو الصحيح من قول أبي حنيفة ، إلا أنه لم يجعل النظم ركناً لازماً في جواز الصلاة خاصة ، وإنما هو لازم فيما سواه من الأحكام الأخرى ، كوجوب الاعتقاد ، وحرمة كتابة المصحف بالفارسية ، وحرمة المداومة والاعتياد على القراءة بها اه

وقد نقل أن الامام رجع عن هذا القول في الصلاة أيضاً الى القول بعدم جواز الصلاة بالفارسية مطلقاً ، فيكون النظم ركناً لازماً عنده في كل حالة كما ذكره العلامة الألوسي في تفسيره عند قوله (وإنه لفي زبر الأولين) بناء على عود الضمير الى القرآن باعتبار معناه . وفي رواية عنه تخصيص الجواز بالفارسية لأنها أشرف اللغات بعد العربية . وفي أخرى إنها إنما تجوز بالفارسية في الصلاة للعاجز عن العربية ، وقد صحح رجوعه عن القول بجواز القراءة بغير العربية مطلقاً جمع من الثقات المحققين لضعف الاستدلال بهذه الآية عليه كما لا يخفى ، فان الظاهر عود الضمير في الآية على القرآن بتقدير مضاف أي وإن ذكره لفي الكتب المتقدمة . وهذا كما يقال إن فلاناً في دفتر الأمير اه ملخصاً

ومن هذا يعلم مافي استدلال بعضهم بقول الامام على جواز ترجمة القرآن بأي لغة خارج الصلاة وداخلها للقادر والعاجز ، لأنه على رواية التخصيص بالفارسية لا تجوز بغيرها مطلقاً ، وعلى رواية رجوعه الى قول صاحبيه لا تجوز خارج الصلاة مطلقاً ، ولا للقادر في الصلاة ، وعلى رواية الثقات عنه : لا تجوز مطلقاً بغير العربية في الصلاة وغيرها للقادر والعاجز . والمعول عليه رأيه الأخير الذي صح رجوعه اليه كما هو رأي الجماعة ، فكيف يصح الاستدلال بقوله على جواز ترجمة القرآن مطلقاً ؟ اهـ (ص ٣١ ـ ٣٦) (للبحث بقية)

فتاوى المنار

تتمة فتوى اللباس والزي

وقد نشرت إحدى جرائد مصر مقالا لكاتب ألماني كبير يخطىء فيه مصطفى كمال باشا في إكراهه لقومه الترك على تغيير زيهم الوطني ، وخاصة ترك القبلق ، واستبدال البرنيطة به ، وإنما خطأه تخطئة صديق ناصح ، لا عدو كاشح ، وقال : إن هذا ينافي غرضه وهو تكوين القومية التركية ، معللا له بالقاعده التي بيناها آنفاً ، وشرحناها من قبل مراراً ، ومما قاله : إن القلبق يفوق البرنيطة جمالا ومهابة . .

ونحن نظن أن مصطفى كمال باشا — وإن لم يكن من علماء الاجتماع والأخلاق وطبائع الشعوب — لا يجهل أن المحافظة على المشخصات القومية مما يقوي تكوين الأمة ، وأن تقليد شعب لآخر يراه أرقى منه يضعف قيمة المقلد في نظر نفسه ، ويحقرها في قلوب أهلها ، ويرفع منزلة الشعب الذي قلده بقدر ذلك ، ونعتقد أنه يتعمد هدم جميع مقومات الشعب التركي ومشخصاته — ماعدا اللغة لأنها إسلامية ، أو مستندة إلى الاسلام ، وهو يريد أن يسله من الاسلام

كما تسل الشعرة من العجين إن أمكن ، وإلا انتزعهم منه كما ينتزع الحسك فهو الأضلام من الصوف ، أو انتزعه منهم كما تنتزع الروح من الجسد . وقد بحث الذين بثوا هذه الدعوة في الترك من ملاحدة الروسيين وغيرهم عن مقومات ومشخصات تركية أو تورانية يستبدلونها بالاسلام ، حتى عبادة الذئب الأبيض الذي عبده سلفهم من همج الوثنيين فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ، فاختاروا التشبه بالافرنج ، ولا سيما أفسدهم دينا وآدابا كاللاتين بحجة الحضارة والترقي العصري ، وسموه التمغرب ، ونحن نسميه التفرنج ، حتى أن بعضهم يستحسن استبضاع نسائهم من الأفرنج بالحلال وبالحرام لادخال دمهم (الشريف المدني) في دم الشعب التركي (الفاسد) لاصلاحه ،

فظهر بمجموع ذلك أن هؤلاء الزعماء الدخلاء يريدون إفساد هذا الشعب التركي بكل نوع من أنواع الفساد الجسمي والعقلي والنفسي ، وتكوين شعب آخر في بلاده مذبذب بين امشاج الشعوب ، روحه غير روحه ، ودمه غير دمه ، وأخلاقه غير أخلاقه ، وعقائده غير عقائده . فيكون كلغته التي يسمونها التركية ، هي لغة هذبها الاسلام كما هذب أهلها بما دخل في مادتها من الاسماء والافعال العربية وكذا الفارسية . وهم يريدون الآن أن يفعلوا بها ما يفعلون بأهلها ، وإن لم يبق فيها من لغة قدماء الترك بعد أن تتفرنج وتتمغرب معهم ، وتكتب بالحروف اللاتينية كما هو مقرر عندهم إلا قليل ، وما يدرينا بعد ذلك لعلهم يغيرون اسمها أيضاً ؟

ومن الثابت في سنن الاجتماع أن تغيير القوانين والنظم والأزياء لا يغير طبائع الامم - كما يقول الدكتور غوستاف لوبون - فان اللاتين الجمهوريين كاللاتين الملكيين في تشابه حكومتهم وطباعهم ، حتى إن الذين مرقوا من الدين منهم لا تزال التربية الكاثوليكية الموروثة هي الحاكمة على قلوبهم وأرواحهم بعصبيتها ، وانما فقدوا من الدين فضائله فقط . وكذلك السكسونيون تشابهت حكومتهم الملكية في بريطانيه ، وحكومتهم الجمهورية في الولايات المتحدة كما تشابه أهلها

— فالترك يفقدون بهذا التفرنج اللاتيني مابقي فيهم من فضائل الاسلام ورابطته الملية ، وما كان لهم من الزعامة في مئات الملايين من البشر . ثم لايقدرون على التفصي من الوراثة القومية التي طبعتها الأجيال والقرون في أنفسهم

فالغرض الأول لهم الآن التفصي من الاسلام بحجة الترقي العصري . وما في الاسلام شيء مانع من الترقي الذي يطلبونه ، وأساسه القوة العسكرية والثروة والنظام ، بل الاسلام يهدي الى ذلك ، ولولاه لم ينل العرب عقب اهتدائهم به من القوة والحضارة ما فاقوا به جميع الأمم ، وظلوا كذلك إلى أن سلبهم الأعاجم سلطانهم بالقوة الهمجية ، ونال الترك وغيرهم به حضارة وملكا لم يكن لسلفهم مثلها ، ولا مايدانيها ، ولو أنهم فهموا الاسلام فهما استقلالياً باتقان لغته ، والاجتهاد في شريعته، لملكوا به الغرب مع الشرق ، ولسبقوا جميع شعوب الافرنج إلى العلوم والفنون والصناعات ، وسائر أسباب القوة والسلطان كما فعل العرب من قبلهم ، وهذا مايطلبونه الآن بترك مابقى لهم من تقاليد الاسلام . ويتوسلون اليه بتقليد الافرنج في زيهم وفجورهم ، قبل إتقان شيء ما من علومهم وفنونهم ، والوصول الى مثل قوتهم وثروتهم

أما الزي فقد علمت مما بيناه في أول هذه الفتوى أن ماورد في السنة وعمل السلف فيه هو الذي اتبع المسلمين فيه أرقى أمم أوربة — وأما إباحة الفسق والفجور فهي التي أهلكت جميع أمم الحضارات السابقة ، وستهلك أوربة به أيضاً كما يتشاءم جميع حكمائها وعقلائها . وسيعلم العالم مصير الترك بمحاولة مصطفى كمال جعلهم خلقاً جديداً بهذه الطرق التي سلكها . ونسأل الله تعالى أن يقيهم سوء عاقبتها

وجملة القول في لبس البرنيطة وغيرها من أزياء الافرنج أنه مباح لذاته ، وإنما يحرم بما يكون وسيلة له من ضعف الرابطة الملية وتفضيل مشخصات خصوم الامة الطامعين فيها على مشخصاتها كما يقصده المتفرنجون في بلاد الترك وأمثالها كسورية ومصر ، واذا قصد به ما يقصده ملاحدة الترك مما شرحناه في هذه الفتوى من التوسل به الى الكفر كان كفراً

جواب س ٦ السكروتة

اختلف أكثر الناس في هذا النسيج الذي يرد من الشرق الأقصى ما أصله ؟ كما أشير اليه في السؤال . وقد سألت عنه في العام الماضي السيد محمد ابن عقيل ، إذ كان ممن اتجر به ؟ فأجابني بأنه رديء الحرير وخشبته ، وظاهره أن دوده عين دود الحرير المعروف عندنا ، فان كان له دود آخر كما روي عن آخرين من تجاره ، ففي جعله من الحرير نظر ، لأن الديدان والحشرات التي تبني لأنفسها بيوتاً من لعابها كثيرة . ومنها العنكبوت ، وقد اتخذ الافرنج من بيوتها قفازاً لليدين كما روي لنا ، على أنني كنت عازماً قبل سؤال ابن عقيل عنه على استجداد ثياب منه إذ كنت ألبسها في الصيف لخفتها في الحر ، ثم تركت ذلك بعد جوابه بما ذكر .

وإنني بعد كتابة ما تقدم وقبل نشره جاءني كتاب من الأخ المحب في الغيب خادم الاسلام الأمين ، ومدير المعارف في الصين (سعيد سليمان) ذكر فيه أنه مرسل إلي قليلا من الحرير الصيني هدية مودة ، ثم جاءت الهدية فاذا هي من هذا النسيج الذي نسميه (السكروتة) فعلمنا قطعاً أنهم يسمونه حريراً

(ج٧و٨) حكم التحلي بلبس الرجال الحرير

قد ثبت نهي النبي (ص) عن لبس الحرير والوعيد عليه بعدم لبسه في الآخرة كما في حديث الصحيحين عن عمر وأنس (رض) وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً « إنما يلبس الحرير في الدنيا من لاخلاق له في الآخرة » وما ثبت من لبس النبي (ص) له محمول على أنه كان قبل النهي عنه . وما قاله أبو داود من أنه لبس الحرير عشرون نفساً من الصحابة أو أكثر ، منهم أنس (الذي روى خبر الوعيد) فيحتمل أن بعضهم لم يبلغه النهي ، أو أنهم حملوه على الكراهة كما قال به بعض العلماء ، وقووه بأنه لو كان حراما لم يلبسه مثل هذا العدد الكثير ، ولا سيما مثل أنس (رض) ولأنكره عليهم باقي الصحابة ، ولم ينقل ذلك . وحديث التحريم فيه من العلل ما يمنع الاحتجاج به ، والجمهور على أن الخالص منه حرام على الرجال ، وكذا ما أكثره حرير خلافا للامامية ، وعلى

حل ما أكثره قطن أوصوف مثلا وكذا التساوي . واختلفوا هل هو من الكبائر أو الصغائر ؟ فجمهور الشافعيـة على أنه من الصغائر ، وناهيك بتشددهم . وقال بعضهـم : بل هو من الكبائر . ورجحه ابن حجر المكي في الزواجر بناء على ما اعتمده مؤلف أصله من تفسير الكبيرة الذي جعل به الكبائر ٤٦٧ كبيرة ، وقد عدّ منها ماهو مكروه عند الجمهور تنزيهاً . وقد علمت أن بعض العلماء قال بحله ، وبعضهم قال بكراهته . وأما لبسه لحاجة كحكة فقد صح الاذن به

(ج ٩ و ١٠ الكبائر والصغائر وعذابهما

اختلف العلماء في تعريف الكبيرة والصغيرة من الذنوب فقيل : إن الذنب الواحد يكون كبيرة في بعض الأحوال وصـغيرة في بعض ، إذ من الناس من يرتـكب المعصية بجهالة من غلبة غضب أو شهوة وهو خائف وجل ، ولا يلبث أن يتوب ويصلح عملا ، ومنهم من يرتـكبها بغير مبالاة بالدين ، ولا خوف من الله . فالكبر والصغر يرجع الى حال العاصي لا الى الذنب في نفسه ، وقيـل : ان مناط الكبر والصـغر ما يترتب على الذنب من الضرر الذي حرم لأجله ، وقيل: ان الكبيرة ما ورد في الكتاب أو السنة وعيد شديد عليه ، وهو ما اعتمده صاحب كتاب الزواجر . والتحقيق أن من المعاصي ماهو كبيرة في نفسه كالتي وردت بها النصوص في الصحاح ومنها ما يختلف باختلاف حال فاعله ويراجع التفصيل في الزواجر

وأما كون العقاب على الكبيرة أشد من العقاب على الصغيرة فهو ضروري

(ج ١١ ـ ١٣) مسائل عذاب القبر

المشهور عن جمهور أهل السنة أن عذاب القبر على الروح والجسد معاً . والمراد بعذاب القبر مايسمونه عذاب البرزخ أي ما بين الموت والحشر يوم القيامة سوا دفن الانسان في قبر ام لا . ففي هذه المدة يشعر الأخيار بنوع من النعيم والاشرار بنوع من العذاب ويقول الجمهور إن النفس وإن كانت هي التي تشعر بالألم وباللذة لامانع يمنع أن يكون لها نوع اتصال بالبدن يصحح كون العذاب واقعاً عليهما معا

مادام البدن موجوداً . ومن المعلوم أن الراجح عنـد متكلمي الاشاعرة أن الجسم ينعدم فلا يبقى منه شيء أو إلا عجب الذنب كما قال في الجوهرة

وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

ونقل السفاريني في شرح عقيدته عن شيخ الاسلام ابن تيمية أن بعض أهل السنة يقولون كالمعتزلة إن عذاب البرزخ على الروح فقط وانما يكون العذاب على الروح والجسد معاً بعد البعث . قال : وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة (قال) وليس هذا من الاقوال الشاذة ، بل هو مضاف الى من يقرّ بعـذاب القبر ويقرّ بالقيامة ويثبت معاد الابدان والارواح الخ (ص ٢٢ ج ٢)

ثم نقل السفاريني (في ص ٢٤ منه) أدلة ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل على امتناع حياة الانسان بعد موته قبل يوم القيامة وتعقبها بما لابن القيم فيها من التفصيل والتحقيق الذي يؤيد به جمهور أهل السنة .

وأما كون ذلك العذاب مستمراً دائماً أو منقطعاً فظواهر بعض النصوص تدل على انه غير دائم منها قوله تعالى في آل فرعون (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) قالوا هي في عذاب البرزخ بدليل مابعـدها وما ورد من دوام عذاب جهنم ، ومنها ماجاء في الصحيحين من خبر اللذين يعذبان في قبورهما وأن وضع النبي (ص) جريدة خضراء شقها وغرزها على كل قبر منهما مما يرجى أن يكون سبب التخفيف عنهما وهذا من أمور الغيب التي لا تعرف إلا بنص من الشارع وأقرب منه ماورد من الأمر بالاستغفار للميت والدعاء له بالتثبيت عند دفنه اذ هو داخل فيما صح من نفع الدعاء عند الله تعالى .

وورد في بعض الاحاديث أن بعض الاعمال الصالحة في الدنيا تنجي فاعلها من فتنة القبر وعذاب القبر كالرباط في سبيـل الله وقراءة سورة (تبارك الذي بيده الملك) رواهما الترمذي . وقد أوجزنا في هذه المسائل لأن ماصح من أخبار عالم الغيب لا ينبغي البحث في صفته وكيفيته ولا الزيادة فيه على الوارد ولا يجوز قياسه على المعهـود لنا في حياتنا الدنيا . وقد ضرب أبو حامد الغزالي لمنكري

عذاب القبر مثلا ما يراه النائم أحيانا من ألم يمسه أو ثعبان يلسعه ولا يرى عليه أثر للألم بحيث يعرفه من في حضرته.

(ج اسئلة ١٤ — ١٦) العقاب على حقوق العباد

من مات وعليه حقوق للعباد من قتل عمد وديون ومظالم وخيانات وسرقات وكذب وغش للناس لم يسامحوه بها في الدنيا - يعاقبه الله تعالى عليها في الآخرة وإن عذبه في البرزخ فان عذاب الآخرة هو الجزاء الأوفى الذي يكون بعد الحساب، وأما عذاب البرزخ فهو دون ذلك ولعله مبني على ما تشعر به النفس من دنسها وخبثها وسوء تأثير الشرور والفساد والعصيان فيها. والتوبة قد تسقط عن التائب حقوق الله عز وجل ولكنها لا تسقط حقوق العباد. والعقاب على حقوق العباد نوعان بينهما النبي (ص) بقوله « المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة

(ج ١٧) تفسير حديثين

أما حديث « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » فقد رواه مسلم بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة بزيادة القسم في أوله « والذي نفسي بيده » ورواه من حديث أبي أيوب الأنصاري بلفظ « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم » وبلفظ « لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها الله لهم » وكان أبو أيوب رضي الله تعالى عنه يكتم هذا الحديث طول حياته خوفا من تهاون بعض الناس بالذنوب اتكالا على المغفرة ثم حدث به حين حضرته الوفاة لئلا يكون كاتما للعلم. والمراد من الحديث ترغيب المذنبين في الرجوع إلى الله وطلب المغفرة منه، وعدم اليأس من رحمته، فهو دواء لمن يغلب عليه الخوف من عقاب الله تعالى حتى يخشى عليه

القنوط من رحمته تعالى . ومعناه أن المغفرة من صفات الأفعال لله عزوجل ومن أسمائه الغافر والغفار والغفور ، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود مذنب يغفر ذنبه . كما ان من شأن الانسان ان يذنب جاهلا أو ناسيا أو مغلوبا لغضبه أو شهوته ومن شأن المؤمن أن يندم إذا أذنب ويستغفر ويكفر عن ذنبه ، ومن شأن الرب الغفور الرحيم أن يقبل التوبة ويستجيب للمستغفرين قال تعالى (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وقال عز وجل (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون * اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)

ويقابل ذلك ان من أسمائه تعالى المنتقم أي المجازي بالحق والعدل . ويجمع بين الأمرين قوله تعالى (نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم *وان عذابي هو العذاب الأليم) ومن عقائد أهل السنة الايمان بوعد الله ووعيده وان الوعد لا يتخلف جملة ولا تفصيلا ، وان الوعيد ينفذ في الكافرين ، وفي طائفة من عصاة المؤمنين ، وهم الذين لا تدركهم المغفرة ، وانه يجب على المؤمن الخوف من الله والرجاء في الله ، إذ لا يعلم المغفور لهم إلا الله . ولأبي الحسن الشاذلي من أئمة الصوفية كلمة جامعة في ذلك وهي « وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف ، فأمّن خوفنا ، ولا تخيّب رجائنا »

وأما حديث « كل شيء بقدر[1] حتى العجز والكيس » أو قال « الكيس والعجز » فقد رواه أحمد ومسلم كما قال فهو صحيح السند . والكيس بوزن البيع مصدر كاس يكيس وهو الحذق وحسن التصرف في الأمور ويقابله العجز عن حسن التصرف والقيام بالواجب ومنه حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححوه . ومعنى الحديث المسئول عنه ان الغرائز والصفات النفسية للبشر مخلوقة بقدر الله تعالى الذي أقام به نظام الكون وليست من المصادفات أو من الجزاف ، وذلك أن القدر هو النظام الذي سبق في علم الله

١) كان من غلط الطبع في السؤال ان جعلت الباء الموحدة ياء مثناة هكذا « يقدر »

تعالى لخلق الأشياء ، فلم يقع شيء في العالم الا بخلقه تعالى وتقديره السابق في علمه ، ومنكرو القدر يزعمون ان الله تعالى يخلق الأشياء جزافا كما يريد عند خلقها لابحسب ماقدره ودبره وسبق به علمه الأزلي وهو مايعبرون عنه بقولهم « الأمر أنف » أي جديد مستأنف . ولفظ القدر ينافي هذا المعنى وهو ثابت بنص القرآن كقوله تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقوله (وان من شيء الاعندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) وقد فصلنا هذه المسائل من قبل مرارا

﴿ تنبيه مهم ﴾

يظن الكماليون أنهم بارتدادهم عن الاسلام يعاملهم الاوربيون كأنفسهم وسيعلمون أنهم انما يكرهون منهم الاسلام لأنه قوة لهم وان يعاملوهم معاملة الأكفاء وان تنصروا كما يريد بعضهم. ولكن ماذا يطلب اللادينيون في مصر وسورية من تقليد الترك فيما يفعلون ؟ أيظنون كما يظن الكماليون؟ أم لايدرون مغبة مايصنعون؟

﴿ تصحيح غلط في الجزء السادس الماضي ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠١	٣	فأمنوا	فآمنوا
٤٦٢	٨	هنهم	منهم
»	٩	التي	زال ذلك لأنها
»	٢٠	الكتاب	أهل الكتاب
»	٢٥	مشخاصت	مشخصات
٤٢٣	٢	القومية قوة	القومية ــ قوة
»	٩	اذربيجان	بأذربيجان
٤٢٤	١	لاحوال	الاحوال

أسرار البلاغة أو فلسفة البيان

﴿ تابع لما نشر بالجزء السادس ﴾

واذا كان هـذا ثابتا موجوداً ، ومعلوما معهوداً ، من حال الصور المصنوعة ، والاشكال المؤلفة ، فاعلم انها القضية في التمثيل واعمـل عليها واعتقد صحة ماذكرت لك من أخـذ الشبه للشيء مما يخالفه في الجنس ، وينفصل عنه من حيث ظاهر الحال ، حتى يكون (١) هذا شخصاً يملأ المكان ، وذاك معنى لا يتعدى الافهام والاذهان ، وحتى ان هذا انسان يعقل ، وذاك جماد أو موات لا يتصف بأنه يعلم أو يجهل ، وهذا نور شمس يبدو في السماء ويطلع ، وذاك معنى كلام يوعى ويسمع ، وهذا روح يحيا به الجسد ، وذاك فضل ومكرمة تؤثر وتحمد ، كما قال :

ان المكارم أرواح يكون لها   آل المهلب دون الناس أجساداً

وهذا مقال متعصب منكر للفضل حسود ، وذاك نار تلتهب في عود ، وهذا خلاف ، وذاك ورق خلاف (٢) كما قال ابن الرومي :

بذل الوعد للاخلاء سمحاً   وابى بعد ذاك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يورق للعيـ   ـن ويأبى الاثمار كل الاباء

وهذا رجـل يروم العدو تصغيره والازراء به فيأبى فضله الا ظهوراً ، وقدره الا سمواً ، وذاك شهاب من نار تصوب وهي تعلو ، وتخفض وهي ترتفع ، كما قال أيضاً :

ثم حاولت بالمثيقيـل تصغيـ   ـري فما زدتني سوى التعظيم

«١» قوله حتى يكون : غاية في الانفصال «ش» «٢» الخلاف بالكسر شجر الصفصاف

كالذي طأطأ الشهاب ليخفى وهو أدنى له الى التضريم

وأخذ هذا المعنى من كلام في حكم الهند وهو أن الرجل ذا المروءة والفضل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروءته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يصوّبها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا .

هذا هو الموجب للفضيلة والداعي الى الاستحسان . والشفيع الذي أحظى التمثيلَ عند السامعين ، واستدعى له الشغف والولوع من قلوب العقلاء الراجحين ، ولم تأتلف هذه الاجناس المختلفة للمتمثل، ولم تتصادف(١) هذه الاشياء المتعادية على حكم المشبه ، الا لانه لم يراع ما يحضر العين ، ولكن ما يستحضر العقل ، ولم يعن بما تنال الرؤية، بل بما تعلق الروية(٢) ولم ينظر الى الاشياء من حيث توعى فتحويها الامكنة ، بل من حيث تعيها القلوب الفطنة ، ثم على حسب دقة المسلك ، الى ما استخرج من الشبه ولطف المذهب، وبعد التصعّد الى ما حصل من الوفاق استحق مُدرِك(٣) ذلك المدح، واستوجب التقديم، واقتضاك العقل أن تنوه بذكره، وتقضي بالجني في نتائج فكره (٤) نعم وعلى حسب المراتب في ذلك وأعطيته في بعض منزلة الحاذق الصنع (٥) والملهم المؤيد . والالمعي المحدث (٦) الذي سبق الى اختراع نوع من الصنعة حتى يصير إماما ويكون من بعده

«١» تتلاقي «٢» الروية النظر والتفكر وتعلق بفتح التاء والعين وتشديد اللام أصله تتعلق اي تهوى ويقال علق بالمرأة « كتعب »وتعلقها اذا هويها (٣) ضبطه شيخنا بصيغة اسم المفعول من أدرك «٤» الجنى بالفتح مصدر جنى الثمرة، والثمرة نفسها وكل ما يجنى ما دام غضا (٥) يقال صنع اليدين وصنعهما بكسر النون وبالتحريك أي حاذق ماهر «٦» الالمعي الذكي المتوقد والمحدث بالفتح والتثقيل الصادق الحدس كأنما حدث بما ظن ، والمحدثون بالفتح الملهمون وكان عمر بن الخطاب منهم كما صح في الحديث

تبعاً له وعيالاً عليه ، وحتى تعرف تلك الصنعة بالنسبة اليه ، فيقال صنعة فلان وعمل فلان . ووضعته في بعض موضع المتعلم الذكي والمقتدي المصيب في اقتدائه الذي يحسن التشبه بمن أخذ عنه، ويجيد حكاية العمل الذي استفاده ويجتهد ان يزداد .

واعلم أني لست أقول لك انك متى ألفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الامر شبها صحيحا معقولا، وتجد للملائمة والتأليف السوي بينهما مذهبا واليهما سبيلا، وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك(١) من حيث العقل والحدس، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ، فاما ان تستكره الوصف وتروم ان تصوره حيث لا يتصور فلا . لانك تكون في ذلك بمنزلة الصانع الاخرق يضع في تأليفه وصوغه الشكل بين شكلين لا يلائمانه ولا يقبلانه ، حتى تخرج الصورة مضطربة وتجيء فيها نتوّ (٢) ويكون للعين عنها من تفاوتها نبوّ ، وانما قيل شبهت ولا تعني في كونك مشبها أن تذكر حرف التشبيه أو تستعير ، انما تكون مشبها بالحقيقة بأن ترى الشبه وتبينه، ولا يمكنك بيان ما لا يكون ، وتمثيل ما لا تتمثله الاوهام والظنون .

ولم أرد بقولي إن الحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الاجناس أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها اصل في العقل ، وانما المعنى أن هناك مشابهات خفية يدق المسلك اليها فاذا تغلغل فكرك فادركها فقد

---

(١) يوجب التشبيه : يكون منشأ له والاعتبار الذي سوغه (ش)(٢) قوله « فيها نتو » حال من ضمير تجيء وهو بتشديد الواو وأصله بالهمز نتوء

استحقت الفضل ، ولذلك يشبه المدقق فى المعاني كالغائص (١) على الدر . ووزان ذلك أن القطع التى يجيء من مجموعها صورة الشنف (٢) والخاتم أو غيرهما من الصور المركبة من أجزاء مختلفة الشكل لو لم يكن بينها تناسب أمكن ذلك التناسب أن يلائم بينها الملائمة المخصوصة ويوصل الوصل الخاص لم يكن ليحصل لك من تأليفها الصورة المقصودة

ألا ترى انك لو جئت باجزاء مخالفة لما فى الشكل ثم أردتها على أن تصير الى الصورة التي كانت من تلك الاول طلبت مايستحيل ، فانما استحققت الاجرة على الغوص واخراج الدر ، لان الدر كان بك ، واكتسى شرفه من جهتك ، ولكن لما كان الوصول اليه صعباً وطلبه عسيراً ثم رزقت ذلك وجب أن يجزل لك ويكبر صنيعك

ألا ترى أن التشبيه الصريح اذا وقع بين شيئين متباعدين فى الجنس ثم لطف وحسن لم يكن ذلك اللطف وذلك الحسن الا لاتفاق كان ثابتا بين المشبه والمشبه به من الجهة التي بها شبهت ، الا انه كان خفيا لا ينجلي الا بعد التأنق في استحضار الصور وتذكرها وعرض بعضها على بعض ، والتقاط النكتة المقصودة منها ، وتجريدها من سائر مايتصل بها ، نحو أن يشبه الشيء بالشيء فى هيئة الحركة فتطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة ، والهيئة مجردة من الجسم وسائر مافيه من اللون وغيره من الاوصاف كما فعل ابن المعتز فى تشبيه البرق حيث قال :

وكأنَّ البرق مصحف قار فانطباقا مرَّة وانفتاحا

« ١ » كالغائص حكاية التشبيه ، ولعل أصله بالغائص لانه لايحتاج الى التقدير (٢) الشنف بالفتح القرط الاعلى ج شنوف

لم ينظر من جميع اوصاف البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي تجدها العين له عن انبساط يعقبه انقباض ، وانتشار يتلوه انضمام، ثم فكر في نفسه عن هيآت الحركات لينظر أيها اشبه بها فأصاب ذلك فيما يفعله القاريء من الحركة الخاصة في المصحف اذا جعل يفتحه مرة ويطبقه اخرى ولم يكن اعجاب هذا التشبيه لك وايناسه اياك لان الشيئين مختلفان في الجنس أشد الاختلاف فقط بل لان حصل بازاء الاختلاف اتفاق كاحسن ما يكون وأتمه فبمجموع الامرين — شدة ائتلاف في شدة اختلاف — حلا وحسن ، وراق وفتن

ويدخل في هذا الموضع الحكاية المعروفة في حديث عدي بن الرقاع قال جرير انشدني عدي : * عرف الديار توهما فاعتادها * (١) فلما بلغ الى قوله : * تزجي أغن كأن ابرة روقه * (٢) رحمته وقلت قد وقع، ماعساه يقول وهو اعرابي جلف جاف؟ فلما قال : * قلم أصاب من الدواة مدادها * استحالت الرحمة حسداً (٣) فهل كانت الرحمة في الاولى والحسد في الثانية

«١» تمام البيت : * من بعد ماشمل البلى ابلادها * والابلاد قطع الارض عامرة أو غامرة او الآثار في قول بعضهم والقصيدة في مدح الوليد ابن عبد الملك ، ومنها :

ولقد أراد الله اذ ولاكها ... من أمة اصلاحها ورشادها

« ومنها » تأتيه اسلاب الاعزة عنوة ... قسرا ويجمع للحروب عتادها

وعلمت حتى ما أسائل عالما ... عن علم واحدة لكي أزدادها

«٢» الازجاء السوق والاغن ذو الغنة وهي صوت يتردد بين اللهاة والانف كنون « منك » وكذلك صوت الظبي ولذلك غلب عليه لقب الاغن والروق القرن وابرته رأسه وتكون سوداء «٣» يقال إن الفرزدق كان حاضراً انشاد القصيدة وانه عند مابلغ عدي قوله : تزجي أغن الخ قال اي الفرزدق

الا أنه وآه حين افتتح التشبيه قد ذكر مالا يحضر له فى أول الفكر وبديهة الخاطر وفى القريب من محل الظن شبه (١) وحين أتم التشبيه وأداه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من ابعد موصوف ، وعثر على خبيء مكانه غير معروف؟ وعلى ذلك استحسنوا قول الخليل، فى انقباض كف البخيل،

كفاك لم تخلقا للندى ولم يك بخلهما بدعه
فكف عن الخير مقبوضة كما نقصت مائة سبعه
وكف ثلاثة آلافها وتسع مئيها لما منعه (٢)

وذلك انه أراك شكلا واحداً فى اليدين مع اختلاف العددين ومع اختلاف المرتبتين فى العدد ايضا لان أحدهما من مرتبة العشرات والآحاد والآخر من مرتبة المئين والالوف . فلما حصل الاتفاق كاشد ما يكون في شكل اليد مع الاختلاف كابلغ ما يوجد في المقدار والمرتبة

لجرير ما تراه يستلب بهذا تشبيها ؟ فقال جرير: * فلم أصاب من الدواة مدادها * فالتوى عليها وجم الجواب حتى قال عدي ذلك ، فقال ويحك لكان سمعك في فؤاده مخبوء ! فقال جرير :اسكت فقد شغلني سبك عن جيد الكلام (ش)

(١) شبه فاعل يحضر (٢) الابيات من المتقارب وفي الاول الخرم ومعناها انه قابض كلتا يديه وبيانه في حل مسئلة العقد وهي ان اليمنى التي يعقدون بها للآحاد والعشرات اذا اردت ان تعقد بها ٩٣ وهي المائة تنقصها سبعة تقبض الخنصر والبنصر والوسطى بحيث تكون الاظافر في باطن الكف وهي عقدة الثلاثة وتقبض السبابة وتجعل ظفرها ظاهراً (لان ظهور الاظافر للعشرات واخفاءها للآحاد) وتضم الابهام على ظهرها وهي عقدة التسعين فتلك ٩٣ ماحصلت الا من قبض الكف . واما اليسرى التي يعقد بها للمئين والالوف فتكون مقبوضة بعقد ٣٩٠٠ وذلك أن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى وهي عقدة ٣٠٠٠ وتقبض السبابة وتحلق عليها بالابهام (كعقدة ٩٠ في اليمنى) وهي عقدة ٩٠٠ فتلك ٣٩٠٠ حصلت بقبض اليد اليسرى أيضا

من العدد كان التشبيه بديعا . قال المرزباني : وهذا مما ابدع فيه الخليل لانه وصف انقباض اليدين بحالين من الحساب مختلفين في العدد متشاكلين في الصورة . وقوله هذا اجمال مافصلته

ومما ينظر الى هذا الفصل ويداخله ويرجع اليه حين تحصيله الجنس(١) الذي يراد فيه كون الشيء من الافعال سببا لضده كقولنا : احسن من حيث قصد الاساءة ، ونفع من حيث أراد الضر . اذا لم يمتنع التشاغل بالعبارة الظاهرة ، والطريقة المعروفة ، وصور في نفس الاساءة الاحسان ، وفي البخل الجود ، وفي المنع العطاء ، وفي موجب الذم موجب الحمد ، وفي الحالة التي حقها أن تعد على الرجل حكم مايعتد له ، والفعل الذي هو بصفة مايعاب وينكر ، صفة مايقبل المنة ويشكر ، فيدل ذلك بما يكون فيه من الوفاق الحسن مع الخلاف البين على حذق شاعره ، وعلى جودة طبعه وحدة خاطره ، وعلو مصعده وبعد غوصه ، اذا لم يفسده بسوء العبارة ، ولم يخطئه التوفيق في تلخيص الدلالة ، وكشف تمام الكشف عن سرّ المعنى وسره (٢) بحسن البيان وسحره . مثال ماكان من الشعر بهذه الصفة قول أبي العتاهية :

جُزِيَ البخيل عليّ صالحة ... عني لخفته على ظهري
أعلى وأكرمَ عن يديه يدي ... فعلت ونزه قدره قدري
ورُزقتُ من جدواه عافية ... أن لا يضيق لشكره صدري
وغَنيتُ خِلواً من تفضله ... أحنو عليه بأحسن العذر
مافاتني خير امرىء وضعت ... عني يداه مؤنة الشكر

«١» الجنس مبتدأ وقوله قبله : ومما ينظر الى هذا الفصل خبره (٢) السر والفضل

ومن اللطيف مما يشبه هذا قول الآخر :

أعتقني سوء ماصنعت من الر ق فيا بردها على كبدي
فصرت عبداً للسوء فيك وما أحسن سوء قبلي الى أحد

الحكومة الاسلامية

كان رفيق بك العظم المؤرخ المشهور « رحمه الله تعالى » شرع في تاليف كتاب باسم « تاريخ السياسة الاسلامية » لم يكتب منه الا مقدمته وهي في ملخص السيرة النبوية وقد طبعت في هذه الايام مع بعض رسائله وخطبه فراينا ان نقتبس منها هذا الفصل بمناسبة نشر الكتاب السخيف الذي نشر في هذا العام ، في الطعن في حكومة الاسلام ، وهو

﴿ ذكر شيء مما كان على عهده (ص) او نصت عليه شريعته وترتب عليه نظام السلطنة الاسلامية ﴾

إعلم أن ما ظهرت آثاره في الاسلام من ترتيب الدول ، وتنظيم شؤون الحكومة ، واتخاذ شعائر الارتقاء ، انما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وما لم يكن في عهده فمنصوص عليه في شريعته الطاهرة ، وسنته الباهرة . وذلك كالامامة والوزارة والولاية وإمارة الجيش والقضاء والخطابة والكتابة والسفارة والترجمة والحسبة والمعاهدات والاعطيات — أي مرتبات الجند — والحجابة والحراسة وإمارة الحج والرسائل والاقطاع والديوان والزمام وكتابة الجيش والعقود والفرائض أي قسمة المواريث ، وغير ذلك من آثار الفضل في ترتيب الحكومات الاسلامية مما كان على عهده صلى الله عليه وسلم ، واقتفى أثره به الخلفاء الراشدون. ثم أخذ يتوسع به من بعدهم من الخلفاء والسلاطين ، ويقررونه على أوجه مضبوطة وقيود وتراتيب لا تخرج عن صفة ما سبق الا بنوع الترتيب أو بما فيه الاستزادة

من أبهة الملك وسطوة السلطان . ولكن لما بلغت دول الاسلام أقصى غايات الرفاه ، واختلطت على الخلفاء والسلاطين الامور باختلاط العناصر الداخلة في الاسلام ، أخذت تتحول تلك الأنظمة والتراتيب الى أعجمية تارة ، وهمجية أخرى ، حتى اختل بسبب ذلك نظام الملك . واستحال حال الدول في بعض العصور الى مايشبه ضلال الساري في ليلة مظلمة ، يود سلوك الطريق المنجية فلا يجدها ، والعاقبة للمتقين

وها نحن(أولاء) نورد لك طرفا من تلك الوظائف والتراتيب بوجه إجمالي، معززاً بما يؤيده من الكتاب والسنة . ونبدأ من ذلك بالامامة ، لأنها المنصب النبوي المهم فنقول :

الامامة

الامامة هي رئاسة عامة في الدين والدنيا ، تنتهي الى صاحبها خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثقل عليه المرض وقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » وصلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه بالناس نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذها الصحابة دليلا على استنابة أبي بكر في الخلافة العامة ، فأقاموه خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استمر الحكم في الخلافة هكذا ، حتى اذا استغرق الخلفاء بالترف ، واستكانوا وراء الحجب، واستثقلوا الظهور للناس والاختلاط بعامتهم، استنابوا عنهم بالصلاة أولي الكفاءة من أئمة الدين ، واكتفوا بمباشرة أمور السياسة .

وقد ثبت أن نصب الامام واجب على الامة بالشرع وجوبا كفائيا ، أي هو فرض كفاية اذا قام به البعض — وهم أهل الحل والعقد— سقط عن الباقين

وقد اختلف العلماء في ذلك ، فمنهم من قال : تنعقد البيعة للامام بمن حضرها من أهل الحل والعقد

ومنهم من قال: لاتنعقد الا برضا عامة الناس — ولهم بهذا الصدد أبحاث طويلة ليس هذا موضع ذكرها ، فليرجع اليها في كتب العقائد (وكتاب الاحكام

السلطانية) للماوردي (*

ومما لا اختلاف فيه وجوب الطاعة للامام لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فان طاعة الامام العادل واجبة ليتمكن من الأخذ بمقتضى العدل في تنفيذ الأحكام ، وتوزيع الضرائب ، وفصل الخصومات ، وإقامة الحدود ، وتجهيز الجيوش ، وسد الثغور ، وقهر المتغلبة ، وبالجملة سائر مايعود على المجتمع الاسلامي بالخير والمصلحة

قالوا : ومتى استقرت الخلافة العامة لمن هو لها أهل فلا بد من استنابته في بعض الوظائف الموكولة اليه أناساً ذوي كفاءة وعلم ودين ، كالوزارة والامارة والجباية والقضاء ، وغير ذلك من الوظائف التي لا يمكن مباشرة جميعها بنفسه ، والاستنابة فيها أصح في التدبير ، وأدفع للخلل ، وأجمع للنظام . وأهم الوظائف التي يستنيب فيها هي الوزارة

الوزارة

إعلم أن الوزارة مرتبة جليلة من مراتب الدولة التي ينتظم بها الملك ، وتشاد عليها دعائم الدولة ، لهذا اشترط العلماء في الوزارة ما اشترطوه في الخلافة من الأحكام الجامعة لأوصاف العدل ، كالأهلية والكفاءة والعلم والصحة والعقل

وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا أراد الله بالامير خيراً جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نسي لم يذكره ، واذ ذكر لم يعنه » وقالوا : إن الوزارة على ضربين ، وزارة تفويض (للحكومات المقيدة) ووزارة تنفيذ (للحكومات المطلقة)

فأما وزارة التفويض فهي: أن يستوزر الامام من يفوض اليه تدبير الامور

*) المنار : ان كتابنا « الامامة او الخلافة العظمى » هو اجمع ماكتب فيها وفيما يتعلق بها من المسائل والمباحث الشرعية السياسية والتاريخية وغيرها وما يجب على المسلمين في هذا العصر على اختلاف حكوماتهم وشعوبهم

برأيه وإمضائها على اجتهاده . وهذه بمثابة مايسمونه الآن الوزارة المسئولة في الحكومات المقيدة ، لأن الوزير فيها - متى استكملت فيه الشروط المعتبرة في وزارة التفويض - أن يحكم بنفسه ، وأن يقلد الحكام ، وأن ينظر في المظالم أو يستنيب فيها ، وأن يتولى الجهاد بنفسه ، وأن يقلد من يتولاه ، وأن يباشر الأمور التي دبرها أو يستنيب فيها (١)

وبالجملة فقد قالوا في هذه الوزارة : إن كل ماصح عن الامام صح عن الوزير إلا ثلاثة أشياء (أحدها) ولاية العهد (والثاني) أن للامام أن يستعفي الامة من الامامة ، وليس ذلك للوزير (والثالث) أن للامام أن يعزل من قلده الوزير ، وليس للوزير أن يعزل من قلده الامام . وما سوى هذه الثلاثة فحكم التفويض إليه يقتضي جواز فعله على شرط أن يطالع الامام بما أمضاه من تدبير وأنفذه من ولاية لئلا يستبد بالأمر دون الامام . وللامام أن يتصفح مايعرضه عليه الوزير ليقر منه ماوافق الصواب ويستدرك ماخالفه ، الا الحكم في حق فانه ينفذ على وجهه ، أو في مال وضع في حقه فانه ليس للامام استرجاعه

ووجه جواز هذه الوزارة في الاسلام مأخوذ من قوله تعالى في القرآن حكاية عن موسى (واجعل لي وزيراً من أهلي : هرون أخي ، اشدد به أزري وأشركه في أمري) فاذا صح مثل هذه الوزارة في النبوة فانها في الخلافة أولى

وأما وزارة التنفيذ فان النظر فيها مقصور على رأي الامام وتدبيره بحيث يكون الوزير كالواسطة بين الامام والرعية ، ينقل اليه ماوقع ، ويؤدي عنه ماأمر، ويمضي عنه ماحكم، وينفذ ماذكر ، وهذه الوزارة بمثابة مايسمونه الآن الوزارة المقيدة في الحكومات المطلقة ، ومعنى تقييدها رجوعها في كل عمل الى رأي السلطان والعمل فيما يراه . ويشترط في هذه الوزارة أوصاف الامانة والصدق والفطنة كي لا يكذب فيما يبلغ ، ولا يخون فيما يؤدي ، ولا يدلس عليه ، ولا يبعد الصواب

(١) هذا الحكم في الوزارة جار الآن عند دولتنا العثمانية فان الخليفة أيده الله يعين الوزير الاول الملقب بالصدر وهذا يستنيب في الوظائف الوزارية كالحربية والداخلية والمالية وغيرهم من شاء ، وهذه القاعدة أيضاً في جميع الوزارات عند الحكومة الاوربية الآن

عنه ، وينسب التساهل في أمور الناس اليه،

وقد رأيت كيف أن موسى الكليم عليه السلام طلب أن يجعل الله له وزيراً من أهله وهو أخوه هرون . وأما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . فقد أشار الى فضل الوزارة وما فيها من الموازرة بقوله عليه الصلاة والسلام «وزيراي من أهل السماء جبريل ومكائيل ، ووزيراي من أهل الارض أبو بكر وعمر» (١) أي أن الملائكة توازره بالوحي من السماء ، وأبو بكر وعمر يوازرانه في الارض

وأما بعد النبي صلى الله عليه وسلم . فقد كان أبو بكر يرجع في المشورة الى عمر وعلي وأكابر الصحابة رضوان الله عليهم . ولما كانت الحكومة الاسلامية في صدر الاسلام أشبه بالحكومة الديموقراطية حذا حذو ابي بكر — في الرجوع الى استشارة أهل العلم والرأي من أكابر سائر المسلمين — الخلفاء الراشدين، ومن أتى بعدهم من الخلفاء الامويين ، دون اتخاذ وزير مخصوص يسمى بهذا الاسم ، أو يعطى شارة الوزارة ، حتى قيام الدولة العباسية . وكان أول خليفة منهم السفاح فاتخذ له وزيراً أباسلمة حفص بن سليمان، فكان أول من لقب بالوزير في دولة الاسلام. ومن ثم أصبحت الوزارة من الرتب الخاصة التي تجري عليها القوانين، وتدون لها الدواوين ، على أشكال شتى كانت ترقي بترقي الدول الاسلامية وتتدنى بتدنيها

القضاء

إن ولاية القضاء خطة سامية ، تتلو الوزارة في الاهمية ، ولها في الشريعة الاسلامية شروط وأحكام ، أفردت لها أبواب مخصوصة في كتب الفقه، لامجال لايرادها في هذا المختصر . وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، وقلد القضاء لعمر بن الخطاب وعلي بن ابى طالب ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهم . وقد مر في هذه المقدمة ذكر الحديث الوارد بتقليد معاذ القضاء ، ولم يرد في شريعة من الشرائع ماورد في الشريعة الاسلامية من البيان ، بشأن القضاء وشروطه وآدابه وأحكامه وحدوده ، لهذا كان الخلفاء الراشدون يجلسون للقضاء بانفسهم

(١) خرج هذا الحديث ابو بكر العربي اه من حاشية الاصل

ويستنيبون أحيانًا من عرف بالعلم والنزاهة ، وتحققت فيه الاهلية والكفاءة ، وكذا من جاء بعدهم من الخلفاء الأمويين ، وبعض الخلفاء العباسيين .

ولما كانت المنازعات في صدر الاسلام ، انما تنشأ عن أمور مشتبهة ، يترافع فيها الخصمان الى القضاء ليوضحها الحكم ، وتتعين فيها جهة الحق . فقد اقتصر خلفاء السلف على فصل المنازعات ، والتشاجر بين الناس بالحكم والقضاء ، لالتزام الناس جهة الحق ، وانقيادهم اليه ، ولما تجاهر الناس بالظلم ، وتغالبت النفوس ، وتغلبت الأهواء ، واحتيج في رد الحق وتنفيذ الأحكام الى القوة الاجرائية ، تفرعت عن القضاء ولاية المظالم ، فكان الخلفاء من بني أمية ، منهم من جلس لرد المظالم بنفسه ، كعمر بن عبد العزيز ، ومنهم من أفرد وقتا مخصوصا للنظر في رقاع المتظلمين ، ومنهم عبد الملك بن مروان ، وهو أول من أفرد يومًا للنظر في الظلامات ، وتصفح قصص المتظلمين ، فما احتاج فيه الى حل مشكل أو حكم منفذ رده الى قاضيه أبي ادريس الازدي ، فكان هذا المباشر ، وعبد الملك الآمر ، ثم مع التمادي والتدرج ، احتاج الخلفاء الى جعل ولاية المظالم ولاية خاصة تتفرع عن ولاية القضاء (١) فكانوا يختارون لها ذوي الهيبة وأهل السياسة ، لتنفذ بواسطتهم قوانين العدل ، وتستقيم طرق التناصف ، وكان آخر من جلس بنفسه لرد المظالم من الخلفاء العباسيين المأمون . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه ورجل من الانصار وحضره صلى الله عليه وسلم بنفسه

الولاية وامارة الحرب واللواء والجيش

قد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامارة كثيرين ، منهم عتاب ابن أسيد بن أبي العيض بن أمية بن عبد شمس ، استعمله على مكة أميراً سنة ثماني من الهجرة وولاه إمارة الموسم والحج بالمسلمين . وذكر الزمخشري في الكشاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال « انطلق

(١) وهي تشبه الآن مامورية الضابطة القضائية اه من حاشية الاصل

فقد استعملتك على أهل بيت الله » فكان شديداً على المريب، لينا على المؤمن . ومنهم باذان استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن ، وكان أميراً عليها من قبل ملوك الفرس . وذكر المؤرخون أن باذان أول أمير أسلم من العجم ، وأول أمير في الاسلام على اليمن

مطلب امارة الجيش

وأما إمارة الجيش فقد استعمل لها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرين أيضا في سراياه التي كان يبعث بها لقتال المشركين ، وأولها في السنة الأولى من الهجرة سرية عبد الله بن جحش فقد ذكر المؤرخون وأرباب السير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز للغزو فلما أراد المسير بكى صبابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث مكانه عبد الله بن جحش ، وآخرها جيش أسامة الذي أعده رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسير إلى الشام وعليه مولاه أسامة بن زيد وتوفي صلى الله عليه وسلم قبل مسير الجيش ، فسيره بعده ابو بكر رضي الله تعالى عنه

مطلب اللواء

وأما اللواء فقد قال أرباب السير : إن أول راية عقدت في الاسلام عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن قصي في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد . وممن حمل راية النبي عليه الصلاة والسلام ليقاتل بها أبو بكر وعمر وعلي ، وحمل رايته عليه الصلاة والسلام عام الفتح الزبير بن العوام . وذكر أهل السير في أخبار غزوة بدر الكبرى انه كان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سودا وان إحداهما مع علي بن أبي طالب والأخرى - وهي راية الانصار - كانت مع سعد بن معاذ. وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم الخصوصية سوداء تسمى العقاب . وكان يحملها بعد النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد . فلم يحضر بها حربا الا وكان الظافر فيها

مطلب تقسيم الجيش

وأما الجيش فقد كان على عهده صلى الله عليه وسلم يقسم إلى خمسة أقسام المقدمة ، والجنبتان اليمنى واليسرى ، والقلب والساقة . وكان لكل قسم رئيس يسمى صاحبا، كصاحب المقدمة ، وصاحب الساقة الخ . فقد تولى الساقة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة أبو عبيدة بن الجراح ، ويوم حنين خالد ابن الوليد ، وتولى بقية الاقسام غيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وكان في وقت المصاف يقدم على الفرسان رئيساً ، وعلى الرماة وعلى المشاة رئيساً فمن ذلك مارواه البخاري أن عبدالله بن جبير كان في غزوة أحد المقدم على الرماة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « انضح الخيل عنا بالنبل(١) لا يأتوننا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا . فاثبت مكانك لانؤتين من قبلك»

مطلب الحرس

كان يتولى جيشه عليه الصلاة والسلام في الليل بعض الحرس . فمن ذلك ماروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة بلغه أن رجلا من لمشركين أصيبت امرأته فحلف ليتبعن أثر الجيش ليهريق دما من المسلمين فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فقال«من يكلؤنا ليلتنا؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر

مطلب حرسه الخصوصي (ص)

وكان له صلى الله عليه وسلم حرس خصوصي يحرسونه اذا نام أو كان في الغزو وكان من حرسه سعد بن ابي وقاص وسعد بن معاذ وذكوان بن عبدالله وهذان حرساه يوم بدر على باب العريش الذي بني له يومئذ ، ويوم أحد حرسه محمد ابن مسلمة الانصاري . ويوم الخندق حرسه الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص

(١) هذا اللفظ عزاه شراح البخاري الى ابن اسحق ، والوصية في رواية البخاري للرماة كلهم وأولها «لاتبرحوا» الخ وكتبه مصححه

وعباد بن بشر، وحرسه غيرهم من الصحابة . فلما نزل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ترك الحرس

مطلب العرفاء

وكان عند العرب عرفاء للأجناد ، وهم دون الرؤساء ، بهم يتعرفون أحوال الجيش ، واستمر ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك من حديث طويل رواه البخاري . وذلك في قصة وفد هوازن حين جاؤه مسلمين

وقد كان للجيش في عهده صلى الله عليه وسلم عيون تأتي بأخبار العدو ، وطلائع تمهد له الطريق ، وحملة سلاح ، وغير ذلك من متعلقات الجيوش مما لا يسع هذا الموجز بسطه ، فليراجع في كتب السير والحديث

كتابة الجيش والديوان والعطاء

قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بكتب الناس وجرى العمل بذلك في عصره صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتبوا لي من يلفظ بالاسلام من الناس » فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف

وأما العطاء فقد وردت في ثبوته أحاديث كثيرة . فمنها ما رواه أبو داود عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه الفيء قسمه في يومه فأعطى الآهل حظين ، وأعطى الأعزب حظا فدعينا ، وكنت أدعى قبل عمار فدعيت فأعطاني حظين وكان لي أهل ، ثم دعا بعدي عمار بن ياسر فأعطي حظا واحداً — فثبت مما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة الناس في الجيش ، وأنه كان يعطي العطاء ويقسم الفيء .

وأن نوع الديوان كان موجوداً على عهده صلى الله عليه وسلم . وهذا لا يخالف ما أطبق عليه اهل الاثر من أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

أول من دون الدواوين ، ورتب الاعطيات في الاسلام ، فانما كانت كتابة الناس في عصر النبي صلى الله عليه وسلم باحصاء من تعين منهم في بعث البعوث ، ولم تكن في وقت معين ولا بمقدار معين حيث لم يكثر الناس كثرتهم أيام عمر ولا جبيت الاموال ، ولا تأكدت الحاجة الى ضبطهم — وأما عمر فقد رتب الناس في الدواوين ، وقدر لهم الاعطيات ، وأجرى عليهم الارزاق على حدود معينة ، وتراتيب مقررة ، بعد أن نصب الكتاب ، ومسح البلاد والسواد ، ونظم أصول الجباية ، لاتساع الحاجة باتساع الفتوح على الاسلام

الكتابة والرسل والسفارة والترجمة

كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما ، فان غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فان لم يحضر أحد من هؤلاء الاربعة كتب من حضر من الكتاب وهم معاوية ابن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء الحضرمي وحنظلة بن الربيع . وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب الوحي أيضاً فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ، فلما فتحت مكة استأمن له عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة ، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه

وأما كتاب الرسائل والاقطاع فزيد بن ثابت وأبي وعبد الله بن الارقم الزهري ، وهذا كان مواظباً على كتابة رسائل النبي صلى الله عليه وسلم الى الملوك

وأما العهود والمصالحات فكان يكتبها له صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

الرسل والسفارة

كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل الرسل الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، فممن أرسله دحية الكلبي أرسله الى قيصر وكتب له كتابا يدعوه فيه الى الاسلام كما رواه البخاري . وأرسل حذافة السهمي الى كسرى ملك فارس ، وغيرهما

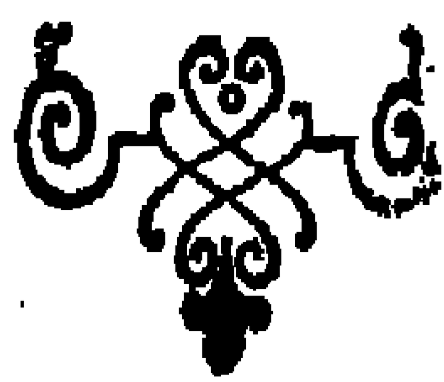
لغير هؤلاء الملوك أيضاً . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى ملك الحبشة ليبعث من عنده في بلده من المسلمين

وأما تراجمة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر أرباب السير : أن زيد ابن ثابت الانصاري رضي الله تعالى عنه كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن . وذكر ابن هشام في البهجة نحواً منه

وكانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بالسريانية ، فأمر زيد ابن ثابت بتعلمها فتعلمها في بضعة عشر يوما — وخرج الترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم كتاب يهود فاني والله ما آمن يهود على كتاب قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال : فلما تعلمت كان اذا كتب الى يهود كتبت اليهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم

وفي هذا دليل على وجوب تعلم اللغات اذا كان في تعلمها فائدة للمسلمين

هذا ما أردنا ايراده في هذا الفصل ملخصاً من (كتاب الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز) للعلامة المرحوم رفاعة بك المصري ، وكتاب الاحكام السلطانية للماوردي . وقد رغبنا حب الاختصار في هذا الموجز بالاكتفاء بما تقدم وترك ذكر أشياء كثيرة كانت على عهده صلى الله عليه وسلم كالحجابة والخطابة والمحاسبه والجباية والحسبة التي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من وسائل الترقي فى الاسلام ، فليرجع اليها فى كتب السير والحديث اه



لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة

(تابع لما في الجزء الرابع ص ٢٦٥)

فصل

وأما المؤاخاة فان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والانصار لما قدم المدينة كما آخى بين سلمان الفارسي وبين أبي الدرداء وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة حتى انزل الله تعالى (واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) فصاروا يتوارثون بالقرابة وفي ذلك انزل الله تعالى (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) وهذا هو المحالفة واختلف العلماء هل التوارث بمثل ذلك عند عدم القرابة والولاء محكم أو منسوخ؟ على قولين (أحدهما) أن ذلك منسوخ وهو مذهب مالك والشافعي واحمد فى اشهر الروايتين عنه ولما ثبت في صحيح مسلم عنه انه قال «لا حلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الاسلام إلا شدة» (والثاني) أن ذلك محكم وهو مذهب أبي حنيفة واحمد في الرواية الاخرى عنه

وأما المؤاخاة بين المهاجرين كما يقال انه آخى بين أبي بكر وعمر وانه آخى علياً ونحو ذلك فهذا كله باطل وان كان بعض الناس ذكر انه فعل بمكة وبعضهم ذكر انه فعل بالمدينة وذلك نقل ضعيف إما منقطع وإما باسناد ضعيف والذي في الصحيح هو ماتقدم ومن تدبر الاحاديث الصحيحة والسيرة النبوية الثابتة تيقن أن ذلك كذب

وأما عقد الاخوة بين الناس في زماننا فان كان المقصود منها التزام

الاخوة الايمانية التي اثبتها الله بين المؤمنين بقوله (إنما المؤمنين اخوة) وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه» وقوله «لا يبيع أحدكم على بيع أخيه، ولا يستام على سوم أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه» وقوله «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحبه لنفسه» ونحو ذلك من الحقوق الايمانية التي تجب للمؤمن على المؤمن. فهذه الحقوق واجبة بنفس الايمان، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما اوجب الله ورسوله، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن، وان لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة، وان كان المقصود منها اثبات حكم خاص كما كان بين المهاجرين والانصار، فهذه فيها للعلماء قولان بناء على أن ذلك منسوخ أم لا، فمن قال انه منسوخ — كمالك والشافعي واحمد في المشهور عنه — قال: إن ذلك غير مشروع .. ومن قال انه لم ينسخ — كما قال أبو حنيفة واحمد في الرواية الاخرى — قال انه مشروع

وأما الشروط التي يلتزمها كثير من الناس في السماع وغيره مثل أن يقول: على المشاركة في الحسنات، وأينا خلص يوم القيامة خلص صاحبه ونحو ذلك. فهذه كلها شروط باطلة فان الامر يومئذ لله، هو (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) وكما قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون)

وكذلك يشترطون شروطا من الامور الدنيوية ولا يوفون بها وما اعلم أحداً ممن دخل في هذه الشروط الزائدة على ما شرطه الله ورسوله

وفى بها بل هو كلام يقولونه عند غلبة الحال ، لا حقيقة له في المآل واسعد الناس من قام بما اوجبه الله ورسوله فضلا عن أن يوجب على نفسه زيادات على ذلك - وهذه المسائل قد بسطت في غير هذا الموضع والله أعلم

(قاله احمد بن تيمية الحراني)

﴿ كتاب ابن تيمية الى الشيخ نصر المنبجي الصوفي ﴾

(قال الراوي) : كتاب كتبه الشيخ الامام وحيد دهره ، وفريد عصره ، علامة زمانه ، ناصر السنة ، مؤيد الشريعة ، شيخ الاسلام ، تقي الدين ، أبو العباس احمد بن تيمية الحراني ، فسح الله تعالى في مدته ، وأعاد علينا من بركته ، الى الشيخ القدوة أبي الفتح نصر المنبجي سنة اربع وسبعمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد بن تيمية الى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبي الفتح نصر ، فتح الله على باطنه وظاهره مافتح به على قلوب اوليائه ، و نصره على شياطين الانس والجن في جهره واخفائه ، ونهج به الطريقة المحمدية الموافقة لشرعته ، وكشف به الحقيقة الدينية المميزة بين خلقه وطاعته ، وارادته ومحبته ، حتى يظهر للناس الفرق بين الكلمات الكونية والكلمات الدينية ، وبين المؤمنين الصادقين الصالحين ، ومن تشبه بهم من المنافقين ، كما فرق الله بينهما في كتابه وسنته

(أما بعد) فان الله تعالى قد انعم على الشيخ وانعم به نعمة باطنة وظاهرة في الدين والدنيا ، وجعل له عند خاصة المسلمين الذين لا يريدون

علواً في الارض ولا فساداً منزلة علية ، ومودة اليه لما منحه الله تعالى به من حسن المعرفة والقصد ، فان العلم والارادة ، اصل لطريق الهدى والعبادة . وقد بعث الله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم باكمل محبة فى اكمل معرفة ، فاخرج بمحبة الله ورسوله التي هي أصل الاعمال ، المحبة التي فيها اشراك واجمال ، كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بامره)

ولهذا كانت المحبة الايمانية هي الموجبة للذوق الايماني والوجد الديني كما فى الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ثلاث من كن فيه ، وجد حلاوة الايمان فى قلبه ، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لايحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم وجود حلاوة الايمان معلقا بمحبة الله ورسوله الفاضلة وبالمحبة فيه فى الله وبكراهة ضد الايمان

وفى صحيح مسلم عن العباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا » فجعل ذوق طعم الايمان معلقا بالرضى بهذه الاصول كما جعل الوجد معلقا بالمحبة ليفرق صلى الله تعالى عليه وسلم بين الذوق والوجد الذي هو اصل الاعمال الظاهرة وثمرة الاعمال الباطنة وبين ما امر الله به ورسوله

وبين غيره كما قال سهل بن عبد الله التستري : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، اذ كان كل من أحب شيئا فله ذوق بحسب محبته

ولهذا طالب الله تعالى مدعي محبته بقوله (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) قال الحسن البصري ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فطالبهم بهذه الآية فجعل محبة العبد لله موجبة لمتابعة رسوله ، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الرب عبده. وقد ذكر نعت المحبين فى قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين * يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فنعت المحبين المحبوبين بوصف الكمال الذي نعت الله به رسوله الجامع بين معنى الجلال والجمال المفرق فى الملتين، فلذا(٢) وهو الشدة والعزة على أعداء الله . والذلة والرحمة لاولياء الله ورسوله ، ولهذا يوجد كثير ممن له وجد وحب مجمل مطلق كما قال فيه كبير من كبرائهم :
مشرد عن الوطن * مبعد عن السكن * يبكي الطلول والدمن *
يهوي ولا يدري لمن ؟

فالشيخ أحسن الله اليه قد جعل فيه من النور والمعرفة الذي هو أصل المحبة والارادة ماتتميز به المحبة الايمانية المحمدية المفصلة من المجملة المشتركة ، وكما يقع هذا الاجمال فى المحبة يقع ايضا فى التوحيد، قال الله تعالى فى ام الكتاب التي هي مفروضة على العبد وواجبة فى كل صلاة أن يقول (إياك نعبد وإياك نستعين) وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن الله يقول « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ماسأل ، فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني

عبدي واذا قال(الرحمن الرحيم) قال الله اثنى علي عبدي، واذا قال(مالك يوم الدين) قال مجدني عبدي أو قال فوض الي عبدي ، واذا قال (إياك نعبد واياك نستعين) قال فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ماسأل ، فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال فهؤلاء لعبدي ولعبدي ماسأل»

ولهذا روي أن الله أنزل مائة كتاب واربعة كتب جمع معانيها في القرآن ومعاني القرآن في المفصل ومعاني المفصل في ام الكتاب ومعاني ام الكتاب في هاتين الكلمتين (اياك نعبد واياك نستعين) وهذا المعنى قد ثناه الله في مثل قوله (فاعبده وتوكل عليه) وفي مثل قوله (عليه توكلت واليه انيب) وقوله (عليه توكلت واليه متاب) وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في ذبحه « اللهم هذا منك واليك » . فهو سبحانه مستحق التوحيد الذي هو دعاؤه واخلاص الدين له دعاء العباد بالمحبة والانابة والطاعة والاجلال والاكرام والخشية والرجاء ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته ودعاء المسئلة والاستعانة بالتوكل عليه ، والالتجاء اليه ، والسؤال له ، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته ، وهو سبحانه الاول والآخر والباطن والظاهر

ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله وفي السؤال باسم الرب فيقول المصلي والذاكر الله اكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا اله الا الله وكلمات الاذان الله اكبر الله اكبر الى آخرها ونحو ذلك

وفي السؤال (ربنا ظلمنا انفسنا) (رب اغفرلي ولوالدي) (رب بما انعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) (رب ظلمت نفسي فاغفرلي)

(ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت أقدامنا * رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين) ونحو ذلك. وكثير من المتوجهين السالكين يشهد في سلوكه الربوبيـة والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق من الاعيان والصفات، وهذه الامور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستعيذ بها فيقول «أعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ماينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر ماذرأ في الارض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق الا طارقا يطرق بخير يارحمن» فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الرباني عما هو مأمور به أيضا ومطلوبه وهو محبوب الحق ومرضيه من التوحيد الالهي الذي هو عبادته وحده لاشريك له، وطاعتـه وطاعة رسوله، والامر بما أمر به، والنهي عما نهى عنه، والحب فيه، والبغض فيه، ومن اعرض عن هذا التوحيد وأخذ بالأول فهو يشبه القدرية المشركية الذين قالوا (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا) ومن أخذ بالثاني دون الاول فهو من القدرية المجوسية الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال العباد ولا شاء جميع الكائنات كما تقول المعتزلة والرافضة ويقع في (كلام) كثير من المتكلمة والمتفقهة. والاول ذهب اليه طوائف من الاباحية المنحلين عن الاوامر والنواهي، وانما يستعملون ذلك عند اهوائهم والا فهو لا يستمر، وهو كثير في المتألمة الخارجين عن الشريعة خفو العدو (؟) وغيرهم فان لهم زهادات وعبادات فيها ماهو غير مأمور به فيفيدهم أحوالا فيها ما هو فاسد يشبهون من بعض الوجوه الرهبان وعباد

البدود (١)

ولهذا قال الشيخ عبدالقادر قدس الله روحه: كثير من الرجال اذا دخلوا الى القضاء والقدر امسكوا وأنا انفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والولي من يكون منازعاً القدر لا من يكون موافقاً له . وهذا الذي قاله الشيخ تكلم به على لسان المحمدية(٢) أي ان المسلم مأمور بأن يفعل ماأمر الله به ، ويدفع مانهى الله عنه ، وان كانت اسبابه قد قدرت، فيدفع قدر الله بقدر الله كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والارض» وفي الترمذي قيل يارسول الله ؟ أرأيت ادوية نتداوى بها ، ورُقى نسترقي بها وتقى نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال « هي من قدر الله » (٣) والى هذين المعنيين أشار الحديث الذي رواه الطبراني أيضا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « يقول الله يا ابن آدم انما هي اربع : واحدة لي ، وواحدة لك : وواحدة بيني وبينك ، وواحدة بينك وبين خلقي ؟ فاما التي لي : فتعبدني لا تشرك بي شيئا ، وأما التي لك فعملك اجزيك به احوج ماتكون اليه ، وأما التي هي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليّ الاجابة ، وأما التي بينك وبين خلقي فأت الى الناس بما تحب أن يؤتوه اليك »

---

(١) الظاهر أن البدود جمع بد بالضم وذكروا أن جمعه بددة وابداد وبوت بالفارسية الصنم

(٢) كذا ولعل اصله الشريعة المحمدية

(٣) ومنه أثر عمر في الطاعون : نفر من قدر الله الى قدر الله

ثم ان التوحيد الجامع لتوحيد الالوهية والربوبية أو توحيد أحدهما للعبد فيه ثلاث مقامات (أحدها) مقام الفرق والكثرة بانماءه (؟) من كثرة المخلوقات والمأمورات (والثاني) مقام الجمع والفناء بحيث يغيب بمشهوده عن شهوده، وبمعبوده عن عبادته، وبموحده عن توحيده، وبمذكوره عن ذكره، وبمحبوبه عن حبه. فهذا فناء عن ادراك السوى وهو فناء القاصرين

وأما الفناء الكامل المحمدي فهو الفناء عن عبادة السوى والاستعانة بالسوى وارادة وجه السوى، وهذا في الدرجة الثالثة وهو شهود التفرقة في الجمع، والكثرة في الوحدة، فيشهد قيام الكائنات مع تفرقها باقامة الله تعالى وحده وربوبيته ويرى انه ما من دابة إلا ربي آخذ بناصيتها، وانه على كل شيء وكيل، وانه رب العالمين، وان قلوب العباد ونواصيهم بيده، لا خالق غيره ولا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع ولا حافظ ولا معز ولا مذل سواه. ويشهد ايضا فعل المأمورات مع كثرتها وترك الشبهات (١) مع كثرتها لله وحده لا شريك له

وهذا هو الدين الجامع العام الذي اشترك فيه جميع الانبياء والاسلام العام والايمان العام، وبه انزلت السور المكية واليه الاشارة بقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وبقوله (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا: أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وبقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ولهذا ترجم البخاري عليه «باب ما جاء أن دين الانبياء واحد»

(١) لعلها المشبهات فانها أعم

وقد قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فجمع في الملل الاربع (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) وذلك قبل النسخ والتبديل وخص في أول الآية المؤمنين وهو الايمان الخاص الشرعي الذى قال فيه (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) والشرعة هي الشريعة ، والمنهاج هو الطريقة ، والدين الجامع هو الحقيقة الدينية، وتوحيد الربوبية، هو الحقيقة الكونية، فالحقيقة المقصودة الدينية الموجودة الكونية متفق عليها بين الانبياء والمرسلين

فاما الشرعة والمنهاج الاسلاميان فهو لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (خير امة اخرجت للناس) وبها انزلت السور المدنية اذ في المدينة النبوية شرعت الشرائع وسنت السنن ونزلت الاحكام والفرائض والحدود

فهذا التوحيد هو الذى جاءت به الرسل ونزلت به الكتب واليه تشير مشايخ الطريقة وعلماء الدين، لكن بعض ذوي الاحوال قد يحصل له في حال الفناء القاصر سكر وغيبة عن السوى ، والسكر وجد بلا تمييز فقد يقول في تلك الحال : سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، أو نحو ذلك من الكلمات التي تؤثر عن أبي يزيد البسطامي أو غيره من الاصحاء. وكلمات السكران تطوى ولا تروى ولا تؤدى اذا لم يكن سكره بسبب محظور من عبادة أو وجه منهي عنه

فاما اذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً ، لا فرق في ذلك بين السكر الجسماني والروحاني فسكر الاجسام بالطعام والشراب ، وسكر النفوس بالصور، وسكر الارواح بالاصوات. وفي مثل هذا الحال

غلط من غلط بدعوى الاتحاد والحلول العيني في مثل دعوى النصارى في المسيح ، ودعوى الغالية في علي واهل البيت، ودعوى قوم من الجهال الغالية في مثل الحلاج أو الحاكم بمصر أو غيرهما ، وربما اشتبه عليهم الاتحاد النوعي الحكمي بالاتحاد العيني الذاتي

فالاول كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « يقول الله: عبدي! مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وانت رب العالمين؟ فيقول أما علمت انه مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده .عبدي! جعت فلم تطعمني، فيقول ربي كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟ فيقول أما علمت أن عبدى فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي » ففسر ماتكلم به في هذا الحديث أن جوع عبده ومحبوبه لقوله « لوجدت ذلك عندي » ولم يقل لوجدتني قد أكلته ولقوله « لوجدتني عنده » ولم يقل لوجدتني اياه وذلك لان والمحب يتفق هو ومحبوبه بحيث يرضى أحدهما بما يرضاه الآخر ويأمر بما يأمر به ويبغض ما يبغضه ويكره ما يكرهه وينهى عما ينهى عنه

وهؤلاء هم الذين يرضى الحق لرضاهم ويغضب لغضبهم ، والكامل المطلق في هؤلاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولهذا قال تعالى فيه (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقال (والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وقد جاء في الانجيل الذى بايدي النصارى كلمات مجملة ان صح أن المسيح قالها فهذا معناها كقوله «أنا وأبي واحد. من رآني فقد رأى أبي» ونحو ذلك وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا المتشابه كما ذكر الله عنهم

في القرآن لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . ناظروه في المسيح

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ماافترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي » فاخبر في هذا الحديث أن الحق سبحانه انما تقرب اليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه

وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وان قرب الفرائض أن يكون هو إياه فان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فهذا القرب يجمع الفرائض والنوافل. فهذه المعاني وما يشبهها هي اصول مذهب أهل الطريقة الاسلامية اتباع الانبياء والمرسلين

وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية وكنت قد كتبت الى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه اشارة لطيفة الى حال هؤلاء ولم يكن القصد به والله واحداً بعينه وانما الشيخ هو مجمع المؤمنين فعلينا أن نعينه في الدين والدنيا بما هو اللائق به وأما هؤلاء الاتحادية فقد ارسل الى الداعي من طلب كشف حقيقة امرهم

وقد كتبت في ذلك كتابا ربما يرسل الى الشيخ وقد كتب سيدنا الشيخ عماد الدين في ذلك رسائل والله تعالى يعلم وكفى به عليما لولا أني أرى دفع ضرر هؤلاء عن أهل طريق الله تعالى السالكين اليه من

اعظم الواجبات - وهو شبيه بدفع التتار عن المؤمنين - لم يكن للمؤمنين بالله ورسوله حاجة الى أن تكشف أسرار الطريق وتهتك أستارها، ولكن الشيخ احسن الله تعالى اليه يعلم أن مقصود الدعوة النبوية بل المقصود بخلق الخلق وانزال الكتب وارسال الرسل أن يكون الدين كله لله هو دعوة الخلائق الى خالقهم بما قال تعالى (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا * وداعياً الى الله باذنه وسراجا منيراً) وقال سبحانه (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال تعالى (وإنك لتهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض، ألا الى الله تصير الامور). وهؤلاء موهوا على السالكين التوحيد الذي انزل الله تعالى به الكتب، وبعث به الرسل بالاتحاد الذي سموه توحيداً وحقيقته تعطيل الصانع وجحود الخالق. وانما كنت قديما ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه لما رأيت في كتبه من الفوائد مثل كلامه في كثير من الفتوحات والكنة والمحكم المربوط والدرة الفاخرة ومطالع النجوم ونحو ذلك ولم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده ولم نطالع الفصوص ونحوه وكنا نجتمع مع اخواننا في الله نطلب الحق ونتبعه ونكشف حقيقة الطريق فلما تبين الامر عرفنا نحن ما يجب علينا فلما قدم من المشرق مشايخ معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الاسلامية والدين الاسلامي وحقيقة حال هؤلاء وجب البيان، وكذلك كتب الينا من اطراف الشام رجال سالكون أهل صدق وطلب أن اذكر النكت الجامعة لحقيقة مقصودهم والشيخ أيده الله تعالى بنور قلبه وذكاء نفسه وحق قصده من نصحه للاسلام واهله ولاخوانه السالكين يفعل في ذلك ما يرجو به رضا الله سبحانه [illegible]

الشرق والغرب

رأي الشيخ محمد عبده ايام المجاورة بالازهر في المسألة الشرقية ودسائس اوربة في الشرق

قد أدرك الاستاذ الامام في بدايته منذ كان مجاورا في الازهر من حقائق السياسة ودسائس الافرنج في بلادنا من طريق الدين والسياسة وتفرق كلمتنا وتعصبنا الديني ما لم يدركه بعد نصف قرن أو أكثر إلا الافراد من المتمرسين بالسياسة في الشرق فقد كتب في آخر سنة ١٢٩٣ هـ الموافق لآخر سنة ١٨٧٦ م مقالا طويلا في أعداد من السنة الاولى لجريدة الاهرام الاسبوعية جاء فيه بعد كلام في فضائل الاوربيين ومزاياهم ما نصه:

« إلا إن منهم من يتخذ هذه الفضائل اسماء، ويتقلدها رسماء لتكون آلة لأعمالهم، وسلماً لسوء آمالهم ، خصوصاً الملك الكبير ذا الارض الواسعة، والاقطار الشاسعة، الذي قد منع أهل مملكته تمام الحرية ، حتى إنه لايبيح لهم أن تدرس العلوم الفلسفية ، في مدارسهم الرسمية ، بل الأهلية ، بل إن أراد أحدهم أن يتبصر، اتخذ له كيناً وتستر ، وأولى أهل ملته من مقتضيات الحنو والشفقة ، ماتنفطر منه قلوب أهل الرأفة والرقة ، خصوصاً أهل دينه الكاثوليك الذين مزقهم كل ممزق ، ونفى كثيراً منهم الى حيث لايخاف ولا يفرق ، وما ترك وسيلة الى الاسترقاق الا أقامها ، ولا ذريعة إلى استعباد غيره إلا قص قصصها ، كيف لا وقد تقلد رتبة البطركية ، التي هي مقدمة ركب الالوهية ، فقام بمأموريته المقدسة ليؤدي بعض مآسسه ، وكتبه على نفسه من القيام بحقوق الانسانية والتهافت على تقويم الحق ، على الوجه الاحق الأليق ، فاوقد نيران الفتنة في بيوت أهل دينه الفقراء المحتاجين إلى رعاية دولتهم ليجردهم من ذل الشوكة والقوة ، ويلبسهم عز الضعف والمهنة ، وينقذهم من ربقة الحرية التي قد نالوها حيث هم على حفظ عهودهم عاكفون ، وعلى إصلاح أحوالهم الداخلية متألبون ، يتدللون على

دولتهم تدلل المعشوق على العاشق ، وينالون منها ماينال الولد من والده ، أو الحبيب من محبه الصادق ، وليستخلصهم من كل ذلك إلى فضاء عدله الذي قد بسط غطاءه على أنفاس أهل مملكته ، وبحبوحة الحرية التي قد استفيد بها أبناء ملته ، وقد صادقه على ذلك جل الملوك القاسطة ، لما لكل واحد منهم من ساقطة ينتظر بهـا الالتقاط ، وبذلك الملك المقدس في نيلها يكون الارتباط ، وهم في ذلك ينادون بالانسانية ، وبالحقوق المدنية ، وتترنم منهم الخطباء على منابر الظلم والاجحاف ، بتلاوة آيات الاقلاع عن الالحاد واقتناء شرف الانصاف

«وإني لست الآن معهم في ميدان المحاكمة حتى أنبئهم أنه قد فعل ذلك بأبناء دينهم بل أبناء أوطانهم ، وهم بمرأى من ذلك ومسمع ، مالا يصح في مثل هذه الايام أن يسمع ، وقد سودت بذلك وجوه الصحف ، ومع ذلك لم يتحرك فيهم عرق الحماسة ،ولا فتحوا في ذلك سجلات السياسة ، وان أمثال أولئك الكمل لا يليق بهم مع هذه الدعوى التي بها منعوا بيع الرقيق قضاء لحق المساواة أن يجعلوا تلك الرأفة والرقة خاصة ببعض المقاطعات ، أو منحصرة في جهة من الجهات ، بل كان من الواجب أن ينظروا من وراء حجاب الى خيوه وخوقند ، كما نظروا جهاراً الى الصرب والجبل الاسود ، فاني لو تكلمت في هذا يطول أو يجيبني مجيب بأنهم الى الآن لم يبلغوا حد الكمال ، حتى يفعلوا أفعال الرجال ، ولا يتحرشون بحرش المغتال ، وللانسان كمال سوى ماهم فيه ، وتلك التي تتوسم فيها العظم مباديه ،

ولكن أعجب لجعل المسئلة شرقيـة وغربية ، فان العاقل يتفرس في ذلك أسراراً خفية ، تنبئنا عنها التواريخ القديمة والحديثة ، وتحكي ماكانت تفعله القياصرة بالاكاسرة ، والاكاسرة بالقياصرة ، حيث كل من الشرقيين والغربيين مع سعة أوطانه ينتهز الفرصة للوثوب على الآخر . فهذا حقـد بالميراث ، جدير بالاكتراث ، الا أنه لما جمعت الشوكة أسبابها وتوجهت نحو المغرب ، وتركت الشرقيين بعصى يثرب ، قويت من الغربيين المهاجمة ، وبطلت من الشرقيين آثار

ـبات عدو بلا معادي ، ومبارز لا تصده الدواعي والعوادي ، فخفي الأمر على غير بصير ، وذهب على غير خبير

وما أوصل الشرقيين الى هذا الحدسوى تفرق الآراء، واختلاف الاهواء ، حتى إن بعض الناس ممن لا يبالي بهم ، يهللون بسوء أحوالهم، ويبتهجون اذا بشروا بتسلط أعدائهم ، وماذاك الا من تداني الهمم ، وتراكم الظلم ، والوقوع في حفرة الحيوانية ، والإنحطاط عن درجة الانسانية، حيث فقدت منهم الغيرة والحمية. وذلك بدل أن ينبذوا في مثل هذه الاوقات بجميع التعصبات الدينية ، والاختلافات المذهبية، لحماية أوطانهم ووقايتها من وطأة أعدائهم ، الذين لا يرومون من الاستيلاء علينا معاشر الشرقيين الا توسعة ممالكهم ، والتمكن من استعبادنا بالدخول تحت حوزتهم، لنكون لهم خزينة عند الافتقار ، وترسا يقون به أوطانهم ورجالهم مما عسى يبرزه الاستقبال وبعد ذلك يكون عاراً علينا أي عار ، يذهب بهاؤكم ، يتشفى منكم عدوكم وينهدم بناؤكم ، وينقطع من العزة رجاؤكم ، أنتم يامعشر الشرقيين أبناء وطن واحد ، تتشاركون في المنافع والمضار وسائر المقاصد ، لايمس أحدكم خير الا نال الآخر منه مثل مانال صاحبه ، ولا توجه اليه خير الا وهو الى الآخر يتعاقبه ، فما لهممكم تضاءلت ، وخطباؤكم تمثلت

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر
ولم تخاطبوا عدوكم من صميم فؤادكم
محا السيف أسطار البلاغة وانتحى | اليك ليوث الغاب من كل جانب

واذكروا إذ تسطر أحوالكم في صحف الرجال ، ويستقبل بها مايأتي من الاجيال، فان أنتم أبرزتم حميتكم ، ورعيتم حق وطنكم ، الذي منه ابتدئتم ، وفيه سكنتم ، ودافعتم عنه ببذل الارواح فضلا عن حسن المقال ، وبالجملة سلكتم مسالك الرجال لا تهوس الأطفال ، ، فتلك مآثر انسانية ، تنالون بهما مجدكم وفخاركم ، وتمتلكون سعدكم ، وحلية يختال فيها من تعقبونه بعدكم ، وإلا فالعار والشنار لاحق بكم، وليس إلا أن يحثى تراب الذل في وجوه أعقابكم ، وانظروا الى أحوال سلفكم ، لتكون مرآة لأحوالكم . فان قال قائل

ان الديانات ألقت بيننا إحناً وأودعتنا أفانين العـداوات

فكل واحد منا يتوقد من صاحبه ، لمخالفته له في مذهبـه ، ومناوأته إياه في مشربه ، فكيف تميل تلك القلوب لرفع الشقاق ، وجمع كلمة الاتفاق ، والتخلص من خسة النفاق ؟ فنجيبه : إن مثلنا في ذلك مثل أخوين تولدا من بطن واحـد وأصل واحد قد يقع بينهما بعض المنازعات المنزلية ، والمناوشات المعاشيـة ، فيأخذ كلاً منهم ماشاء من الغيرة والحمية ، ويكاد أن يفتك كل بالآخر ومع كل ذلك انهما عند اقتراح أجنبي على أحدهما يقوم الآخر بنصرته ، ولا يحجم عن رد تبعته ، فتلك العداوات الجزئية ، لا يصح لدى العاقل أن تضر بمصالحنا الكلية ، وعلى فرض أن لو عدت تلك المزاحمات شيئا يذكر ، وأمراً يصح اليه النظر ، فما أشنع حال من ينتقم بيد الغير ، ويلحق نفسه وعقبه عار السفاهة والضير ، أين أنتم من (تيمستكليس) اليوناني الذي بعد ماصنع المكايد مع (دارا) وهزمه ، وجاهد ماجاهد في حماية وطنه ، أقصاه اليونانيون وطردوه ، وأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه ، فالتجأ الى (دارا) يستنجده مما اعتراه فاعظم منزلته وأكرم مثواه ، ثم إن (دارا) طلب منه أن يحشد جيشاً على اليونانيين فقال وجهني الى أي مكان ، قاص أو دان ، سوى بلاد اليونان ، فانها وطني ومقر تربيتي ، لا ترضى همتي بان أقدمها لغير أمتي ، وإنه وإن كان أهل اليونان طردوني ولكن تراب اليونان ماصنع معي قبيحاً . فلما أغلظ عليه (دارا) في الطلب ، نادته هواتف الانسانية إن ذلك من الموت أصعب ، فاختار الموت على الحياة ، وتناول السم ومات ، ألا فانتبهوا من سنة الغفلة ، واتخذوا لكم من الانسانية ظلة ، ومن الفضائل خـلة واحذروا ، وبالحمية الوطنية اتقوا واعتصموا اهـ

(المنار) ليتأمل القراء وخاصة أهل سورية ولبنان آراء هذا الرجل التي كتبها منذ ستين سنة وهو مجاور في الأزهر يجدها عين ماانتهى اليه بحث المحققين ، من عقلاء الشرقيين بعد مكايدة الاحداث واختبار أوربة ولا يزال الكثيرون من أهـل بلادنا مخدوعين وراضين بأن يكونوا آلات بأيدي الاجانب

العالم الاسلامي

الدعوة الرسمية الى مؤتمر الحجاز

قد جدد السلطان عبد العزيز آل سعود الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي في مكة ولكن بصورة رسمية لافي الجرائد كما فعل أول مرة فارسل مكتوبات باسمه مختومة بختمه الى الملوك والامراء ورؤساء الحكومات الاسلامية كمصر وايران والترك والافغان واليمن وتونس والى اشهر الجماعات الملية الاسلامية في الهندوسورية وفلسطين وعبارة هذه المكتوبات واحدة لا فرق فيها إلا عناوين المرسلة اليهم . وانا ننشر نص ما ارسله الى امام اليمن تخطئة للمقطم الذي زعم تأييداً لهواه أن هذه الدعوة لم ترسل اليه . وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها

مكة المكرمة ٨ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ هجرية

عدد ٢٢١

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرة الحسيب النسيب الأخ المكرم الامام يحيى حميد الدين حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد فاننا نرجو لكم ولشعبكم النبيل كل خير وسعادة ويمن وتقدم ، وإني لسعيد أن أمد يدي ليدكم الكريمة بالتعاون على خدمة الاسلام والمسلمين والبلاد الطاهرة ، وإني مملوء ثقة أنه بتعاوننا على الخير سيكون السبيل السعيد لجميع الشعوب الاسلامية

ياصاحب الشهامة إني لست من المحبين للحرب وشرورها ، وليس لدي شيء أحب من السلم والسكون والصفاء والهناء والتفرغ للاصلاح ، ولكن جيراننا الأشراف أجبروني على امتشاق الحسام ، وخوض غمرات الحرب خمس عشرة سنة لا في سبيل شيء سوى الطمع على ما بأيدينا . لقد صدونا عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد ، ودنسوا البيت الطاهر بكل نوع من الموبقات مما لا يتحمله مسلم

لقد رفعنا علم الجهاد لتطهير بلد الله الحرام وسائر بلاد الله المقدسة (*) من هذه العائلة التي لم تترك سبيلا لحسن التفاهم وحسن النية ، ولما اقترفت من الشرور والآثام . وإني والذي نفسي بيده لم أرد التسلط على الحجاز ولا تملكه . وإنما الحجاز وديعة في يدي إلى الوقت الذي يختار الحجازيون لبلادهم واليا منهم يكون خاضعاً للعالم الاسلامي ، وتحت إشراف الأمم الاسلامية ، والشعوب التي أبدت غيرة تذكر كالهنود .

إن الخطة التي عاهدنا عليها العالم الاسلامي ، التي لا نزال نحارب من أجلها مجملة فيما يلي :

(١) إن الحجاز للحجازيين من جهة الحكم ، وللعالم الاسلامي من جهة الحقوق التي لهم في هذه البلاد

(٢) سنجري الاستفتاء التام لاختيار حاكم الحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الاسلامي ، ويحدد الوقت اللازم لذلك فيما بعد . وسنسلم الوديعة التي بأيدينا لهذا الحاكم على الأسس الآتية :

(١) يجب أن يكون السلطان الأول ، والمرجع للناس كافة هو الشريعة الاسلامية المطهرة

(٢) حكومة الحجاز يجب أن تكون مستقلة في داخليتها ، ولكن لا يصح لها أن تعلن الحرب على أحد . ويجب أن يوضع لها النظام الذي لا يمكنها من ذلك اذا أرادت

---

*) وفي بعض المكتوبات البقاع المقدسة

(٣) لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات سياسية مع أية دولة كانت

(٤) لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دولة غير اسلامية

(٥) تحديد الحدود الحجازية ووضع النظم المالية والقضائيـة والادارية للحجاز موكول للمندوبين المختارين من الامم الاسلامية ، وسيحدد عددهم باعتبار المركز الذي تشغله كل دولة في العالم الاسلامي والعربي . وسيضم لهؤلاء ثلاثة مندوبين من جمعية الخلافة وجماعة أهل الحديث وجمعية العلماء في الهند

هذا ما نويناه لهذه البلاد، وما سنسير عليه في المستقبل إن شاء الله تعالى . وإنا لنا الأمل العظيم في أن تسرعوا في إرسال مندوبيكم ، وإخبارنا عن الوقت المناسب لعقد هذا المؤتمر . هذا مالزم بيانه ، وفي الختام تقبلوا ما يليق من التحيات والاحترام ؟

(ختم السلطان)

خطبة الحكيم محمد أجمل خان في الهند

فيما استفاده في رحلته الاخيرة

قالت جريدة الخلافة الهندية الغراء

« انعقد في عاصمة الهند (دهلي) اجتماع عظيم حضره آلاف مؤلفـة من علية القوم ، وأهل العلم والفضل ، من الزعماء والرؤساء وقواد الأمة وساستها ، ورجال الأمة ومديري شؤونها ، لسماع كلمات الزعيم الجليل مسيح الملك الحكيم محمد أجمل خان بعد عودته من سياحته التي استغرقت ستة أشهر كاملة »

وهذه ترجمة ما ألقاه عليهم

(قال) إنني بعد أن قضيت عدة أشهر ستة في زيارة بلاد العرب، ومعظم الممالك الشرقية ، عدت الآن بفضله تعالى الى وطني ووطنكم المقدس

إن قلبي لمفعم بما رأيته أثناء رحلتي في بلاد تتطلعون دائما الى معرفة شؤونها

والاحاطة بأفكار أبنائها ، وآراء زعمائها السياسيين ، ورؤسائها الدينيين ، وما يتكنفهم من الأحوال والاهوال ، وما هم عليه من الرقي والانحطاط ، ولكن ضيق الوقت يحملني على طرق باب الاختصار ، فأكتفي ببيان استنتاجي مما سمعته ورأيته في رحلتي هذه . وأما تفصيل الرحلة بأكلها فيذهب بأوقاتنا العزيزة سدى ، ونحن أحوج الناس الى الوقت لتصريف أمورنا

زرت كثيراً من الممالك الغربية ، وألممت بأفكار عربية . ثم عدت إلى البلاد الشرقية المحبوبة كالشام ومصر وفلسطين وغيرها ، قابلت أبناء هذه البلاد واختلطت بهم ، ومكثت بين ظهرانيهم مدة نتبادل الآراء والأفكار ، ونتجاذب أطراف الأحاديث في مختلف الشؤون ، فاذا روح النهضة القومية منتشرة فيهم ، وإذا الشعوب الشرقية المهضومة يكادون يعرفون ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، وإن في العالم الاسلامي اليوم حركة عظيمة جدية ، تنبئ بتحقيق النتيجة المنشودة ، وتخليص الشرق يوما من الأيام من براثن الغرب ، فتنال كل مملكة من ممالكه وكل شعب من شعوبه حريته ، ويسترد استقلاله . ولكن أيها السادة لايمكنني تحديد ذلك اليوم المنشود ، وإنما هو موقوف على مجهوداتكم الصادقة ، وتضحياتكم واستهدافكم لأشد مما ذقتموه من العذاب والآلام في هذه السبيل ، والله يحرسكم بعين عنايته اذا أخلصتم النية وصدقتم العزيمة

أيها السادة : اني رأيت ولاحظت في رحلتي هذه — ويالهول ما شهدت ورأيت — رأيت منظراً مريعاً ، ومشهداً فظيعاً ، وسيشاركني كل ذي غيرة على قومه ودينه في الأسف على هذا المصاب الأليم ، مصاب الطبقة المتعلمة ، رجال المستقبل المعقودة عليهم آمالنا ، والذين سيتنوبون عنا في الجهاد الديني والوطني ، وسيتولون قيادة شعوبهم وصون كرامتهم وحفظ كيانهم . هذه الطبقة أخذت تنبذ الدين وراء ظهرها ، وتترك صراط الله العزيز الحميد ، أخذت تنحو نحو اللادينيين ، وتميل الى التفرنج أكثر مما تميل الى عوائد قومهم ، واتباع سنن من قبلهم . فاذا استمر أفراد هذه الطبقة على هذه الحالة ، وتمادوا في تجرع كأس

اللادينية واساغته ، فعلى الوطن والوطنية والدين والمستقبل السلام - فويل للأمة ثم ويل لها اذا تركت أبناءها في ظلمات الجهل بالدين وديجور الالحاد . فالدين هو أمضى سلاح في يد الشعوب والأمم يمكنهم أن يشقوا به غمام الظلم ، ويثلوا به عرش الاستبداد والاستعباد . ومن الأسف الشديد أن هذه الحالة أخذت تنمو بسرعة شديدة في شبان الترك ومصر ومتعلمي البلاد العربية ، وإبادة هذه الجرثومة القتالة في جسم الشرق المحبوب هينة في المبدأ . ففرض علينا منع تيارها الجارف . ويجب أن نقيم أمامه سداً منيعاً من التعليم الديني الحقيقي حتى لا ترتفع رايتها السوداء فتكتسح البقية الباقية

إن مسلمي العالم الاسلامي يكادون يكونون كتلة واحدة ، وتتحد كلمتهم في مسألة الخلافة ، وضرورة مقامها لاصلاح أمورهم الدينية والسياسية . وخير وسائلهم لنيل مطلوبهم هذا انعقاد مؤتمر إسلامي عام ، يجمع مندوبي العالم الاسلامي ، فيبحثون فيما ينفعهم وما يضرهم ، ويمهدون طريق سعادتهم الدنيوية والاخروية — إن أكثر الشعوب الاسلامية يرجحون عقد هذا المؤتمر في مكة المكرمة ، وإن خالفهم بعض آخر في رأيهم هذا

ومما اطلعت عليه أثناء رحلتي أن الشعوب الاسلامية تعترف بما للهند من الخدمات البريئة عن الهوى . وتمتاز الامة المسلمة الهندية في هذا الميدان بنزاهة أفرادها في الاغراض ، وبراءة مجهوداتهم من المقاصد الخبيثة الذاتية ، وأيضاً بما يتحملونه من أنواع المصائب وصنوف التضحية ، وبذل النفس والنفيس في سبيل الاصلاح

قد سمعتم الآن أيها السادة أخباركم وسيرتكم من أفواه إخوانكم الشرقيين إخوانكم في الدين والوطن ، الآن علمتم فيمكنكم تقدير أعمالكم ، يمكنكم بكل سهولة أن تستنبطوا منها أن صدوركم الواجفة بأنواع العذاب وضروب الآلام ، وأن أيديكم البيضاء وغيرتكم الشماء على الدين والوطن ، ومساعدتكم لاخوانكم — كل هذه قد أنتجت ثمرة وستجنون ثمرها بقلب مطمئن وإيمان ثابت . والفضل في ذلك يرجع الى التفافكم حول جمعية الخلافة التي لا تألو جهداً في

الوصول الى نيل مقاصدها الشريفة ، وحقوقها الشرعيـة . وكفانا برهاناً على خدمات هذه الجمعية ، واعتراف الشعوب الاسلامية بخدماتها العظيمة ، أنهـم بدأوا يقتفون آثر مناهجها ، ويختارون مبادئها ، ويترسمون خطاها

أيها السادة

إننا لا يمكننا يوماً من الأيام التخلص من براثن أعدائنا ، أعـداء ديننا ووطننا ، أعداء الانسانية الحرة ، أنصار الظلم والاستبداد ، أنصار الاستعباد والاستعمار، الا اذا أصلحنا حال تعليم أبنائنا وربيناهم تربية صحيحة، وجعلنا محور التربية التعليم الديني، فاذا هم عرفوا الدين الحقيقي عرفوا الوطن وحقوقه وواجباته فاسترخصوا كل تضحية دونه ، وصانوا عرضه ، وحفظوا بيضته ، وإني ليسرني جداً أن هذه الفكرة سائدة في جميع الممالك الاسلامية ، إلا أن التنفيذ لا يزال في حيز العدم »

ثم ختم الخطيب كلامه بالثناء على الجامعة الملية الـكبرى في دهلي وعلى أساتذتها، وبالدعاء بالنجاح والفلاح

خطبتان لعالم سوري في الهند

أرسل الينا صديقنا ووطنينا الاسـتاذ الفاضل الشيـخ محمد عارف سلهب الطرابلسي هاتين الخطبتين اللتين ألقاهما في عليكره بالهند ـ فننشرهما اجابة لطلبه

الخطبة الاولى — ألقاها بعد قصة المولد

أيها الاخوان

سعادة الدارين تكون بامتثال الاوامر الالهية ، وبحسن إيفاء الوظائف الاجتماعية ، و ... المنافع العمومية على المنافع الذاتيـة ، وبانشاء المستشفيات والمدارس العلميه ، وببث النصائح والحكم ، وببيان أسباب تقدم الأمم ، وبالاحتراز والتوقي ، مما يعوق التقدم والترقي ، فالعلوم الرياضية ، وعلم الـكيمياء والحكمة الطبيعية ، لا تخالف الحقائق الدينية ، بل لها نفع عظيم في الاطلاع على الحقائق العلوية ، والاسرار الربانية ، فان الديانة الاسلامية ، كافلة لأنواع الاحتياجات البشرية ، ومتكفلة ببقاء انتظام الهيئة الاجتماعية ، وقد جاءت بالمصالح الدنيوية

والأخروية ، فمن تمسك بها نال السعادة العظمى ، والشرف الاسمى .

أيها الاخوان

من أراد سعادة الدارين فليتق الله فيما أمر ، ولينته عما نهى عنه وزجر ؛ وليشمر عن ساعد الجد والاجتهاد ، لنشر العلوم وإسعاد العباد ، فياسعادة من استعمر الارض ، وقام بالواجب والفرض ، ونال حياة طيبة وشكر مولاه ، على ماأولاه ، وجعل دنياه مزرعة لعقباه ، وياخسارة من كانت بضاعته كاسدة ، وأخلاقه فاسدة ، محروماً من النعم الوافرة الفاخرة ، في الحياةالدنيا وفي الآخرة

جاء في الرواية عن الامام زوج البتول ، وابن عم الرسول ، باب مدينة العلم والمواهب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه أنه قال : الداعي بلاعمل ، كالرامي بلا وتر ، يعني أن الدعاء بلا سعي ولا اجتهاد ، لاينفع العباد ، وجاء في الحديث الشريف ، عن النبي ذي القدر المنيف ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ، أنه قال : « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته » (١) يعني لا ينبغي ترك الآخرة لأجل الدنيا ، ولا ترك الدنيا لأجل الآخرة ، بل يلزم السعي للدنيا وللآخرة . وقال الله تعالى في كتابه المكنون (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أي ليعرفوني فيمتثلوا أوامري يعني ماخلق الله الجن والانس إلا لايفاء الوظائف الاجتماعية والدينية (؟)

الخطبة الثانية

قال بعد الحمدلة: أيها الاخوان

إن الله جلت حكمته ، وعلت قدرته ، أمر برفع أعلام التمدن (٢) في أقطار

«١» المنار : تتمته « ولم يكن كلا على الناس » رواه الخطيب من حديث انس وأشار في الجامع الصغير الى صحته . وقال ابن الجوزي لا يصح في اسناده نعيم بن سالم قال ابن حبان كان يضع الحديث اه والمشهور انه ضعيف متروك . ورواه ابن عساكر عنه بلفظ « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس » اشار السيوطي في الجامع الصغير الى ضعفه ولكن الشيخ محمد الحوت قال في كتاب ضعاف الجامع إن المصنف سكت عليه

«٢» المنار : اراد بالتمدن فيما يظهر الحضارة الاسلامية التي يصفها بعد بقوله فالمدنية ،

الارض ، في طولها والعرض ، فمن حسنت ديانته ، طابت مدنيته ، التدين هو عين التمدن ، كل شخص متدين فهو متمدن ، وبالحض على التعاون الاجتماعي ، وبذل الهمم والمساعي ، جاءت الاحاديث النبوية ، والآيات الجليلة القرآنية ، لاسيما احترام العلوم النافعة ، والمعارف الجليلة الرافعة ، قال عليه الصلاة والسلام « ارتعوا في رياض الجنة ، قالوا وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال مجالس العلم » وقال عليه السلام « اذا لقيتم شجرة من أشجار الجنة فاقعدوا في ظلالها وكلوا من ثمارها » قالوا وكيف يمكن هذا في دار دنيانا يارسول الله ؟ فقال عليه السلام « اذا لقيتم صاحب العلم فكأنما لقيتم شجرة من أشجار الجنة »(١) وقال صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها »(٢) المراد من الحكمة كل علم مفيد ، وكل صنعة مفيدة .

فالمدنية الاسلامية استنادها على العلوم النافعة ، والاعمال الجليلة الرافعة ، ومدارها على التقوى وعلى اكتساب الكمالات والتزين بالصفات العاليات ، فهي درة تاج المدنيات ، قال الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) الحياة الطيبة ، وما أدراكم ما الحياة الطيبة ؟ هي المعيشة في المدنية ، بحالة مرضيــة ، طوبى لمن كانت نعم الله عليهم وافرة ، وديارهم بالعلوم والآثار النفيسة عامرة ، طوبى لمن كانت مساعيهم عنـد الهيئة الاجتماعية مشكورة ، وسيرهم الحسنة في صحف التاريخ مسطورة . . .

---

(١) لا اذكر انني رأيت هذا الحديث في شيء من دواوين السنة ولا غيرها والذي نعرفه من رواية الحديث « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ولما سألوه عنها قال « حلق الذكر » رواه احمد والترمذي عن انس بسند حسن وقال السيوطي صحيح وعند الترمذي عن أبي هريرة انه قال « المساجد » وقال انه حديث غريب . وعند البيهقي عن ابن عباس انه قال « مجالس العلم » وفي سنده رجل لم يسمّ «٢» رواه الترمذي عن ابي هريرة بلفظ « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »

اللادينيون في تونس ومصر

وكتاب علي عبد الرازق

مافتئت جريدة السياسة مصرّة على ضلالها في التنويه بهذا الكتاب والثناء عليه وعلى مؤلفه فذكرت أخيراً انه جاءها من مراسلها الخاص بتونس انه كان للضجة التي قامت حولها بمصر رنة استياء بين طبقات الأحرار والأدباء والمفكرين (أي اللادينيين) وكذلك كان لموقف حزب الأحرار الدستوريين وجريدة « السياسة » الذي وقفاه انتصاراً لحرية الرأي وحرية النقد العلمي النزيه أثر حسن ووقع جميل لدى الطبقات التي عدته تسلية عما أصاب الاسلام خاصة والشرق عامة من آثار الموقف الاول المحزن وعما يلحق الدين القيم دين التسامح من هذه النظرة الخاطئة التي سينظر اليه بها الغرب بعد تلك الضجة

(قال المراسل) لكن بعض الجامدين من علماء وطلبة جامع الزيتونة ومن الذين يتبعون خطة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» قد نظروا إلى المسألة من وجه آخر واستصوبوا خطة زملائهم الأزهريين. وكان كتاب الاسلام وأصول الحكم حديث نواديهم طول هذه المدة، بل ان بعضهم قد عزم على الكتابة في الموضوع، وكان أول من بدأ منهم الاستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كبير علماء المالكية ورئيس مجلسهم الشرعي (محكمة الاستئناف الشرعية) فنشر سلسلة مقالات في جريدة « النهضة » اليومية لم تتم الى اليوم ردّ فيها رداً مطولا على تفصيلات ما جاء في الكتاب . وستنشر « النهضة » — على ما اتصل بنا من بعض محرريها سلسلة مقالات أخرى بهذا المعنى للاستاذ الشيخ محمد بن يوسف وكيل المجلس الشرعي الحنفي ووكيل كبير علماء الحنفية أيضاً

وقد نشرت جريدة «الصواب» في أحد أعدادها كلمة ننقلها لقراء «السياسة» لأنها تعبر عن الرأي المستنير (؟) في قضية هذا الكتاب قالت الرصيفة

« ...

بحث فيه صاحبه بحثا فلسفيا ونظر لما بين يديه من الحجج فاستخدمها بحرية وصراحة تامة ، وقد تعرض فيما حبر الى مسألة الخلافة وصرح بأنها ليست من الدين في شيء قامت قيامة رجال الازهر وحاكمت مشيخة هذا المعهد الديني الشيخ المذكور . وبعد مرافعات ومناضلات جردته من رتبته العلمية ورفتته من كافة الوظائف التي كان يشغلها بدعوى انه مرق من الدين ولم يقولوا في حقه حسب العادة انه اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » اه

هذا وقد منيت مصر بكثير من الحوادث على شاكلة كتاب الاسلام وأصول الحكم وظهرت فيها أفكار شتى من هذا القبيل ، وناهيك بما وقع للشيخ محمد عبده رحمه الله وما اتهم به من مخالفة روح الدين الاسلامي بمناسبة فتوى البرنيطة (القبعة) والتذكية بالبلط وشركة جرشام الانكليزية لتأمين الحياة ومسألة حمل المطلق على المقيد في آيات الربا . ومع ذلك فقد اقتصر المعترضون على نقد ماقيل وتتبعه بالرد ان مخطئا وان مصيبا

وعلى هذا يظهر ان مصر قد سارت إلى الوراء ليس في الحرية السياسية فقط بل حتى في حرية القول في الشئون الدينية التي هي ملك مشاع بين المسلمين بشرط ان يكون ذلك ضمن دائرة المعقول وبمقتضى منطوق ومفهوم النصوص الواردة على لسان صاحب الشرع صلوات الله عليه

أما سر هذه المصاولة والمقاومة العنيفة والتحامل من مشايخ الأزهر على مايشاع — فانما هو نيل رضا نواح معينة ذات مطامع في تبوىء منصب الخلافة وسواء كان ذلك حقيقة لاريب فيها أوهو من باب اللغط والإرجاف الذي كان وما زال شنشنة العامة والبسطاء ، فالذي يسوءنا في هذه الحادثة بنوع خاص انما هو تدخل أحد أعيان علمائنا في الامر ووقوفه موقف الخصم العنود لهذا الشيخ الذي أراد ـ وان أخطأ ـ خدمة الاسلام وتخليصه من وصمات طالما ألصقها به الغربيون ولله في خلقه شئون » اه

(المنار) ان لجريدة السياسة غرضين في الانتصار لهذا الكتاب وصاحبه (أحدهما) سياسي وهو ما أشار اليه مراسلها بتونس — الناطق بلسانها — في ظعنه

باخلاص علماء مصر وتعريضه بذلك المقام العالي ـ وهو ما يتجنب المنار الخوض فيه (وثانيهما) ديني اجتماعي وهو أنها لسان حال اللادينيين في مصر وأكبر مفاسد هذا الكتاب انه يحاول هدم الشريعة الاسلامية من طريق الدين الاسلامي فهي لهذا تنصره ولم تجد من مخازيه أهون من مسألة الخلافة فجعلت جل خوضها فيها . وجميع اللادينيين في مصر وتونس على رأي أمثالهم من الترك يرون ان الخلافة سياج الشريعة مهما يكن حال المتولي لأمرها فلا يسهل هدم الاسلام مع وجودها ولو بصفة ضعيفة

وترى مراسل هذه الجريدة قد شايعها على المغالطة في التحزب له بدعوى المدافعة عن حرية الرأي فزعم أن مصر رجعت فيها القهقرى والصواب انها زادت فيها قوة بل غلوا . فجريدة السياسة طعنت في الدين وفي كبار علماء الاسلام ولم ينلها عقاب ولا حجز

وقد أخطأ المراسل في تسمية الطعن في الدين وانكار المجمع عليه من أحكامه وأصوله اجتهادا فيه وتبع في هذا جريدة الصواب ، وكان كل منهما أفضل من جريدة السياسة باعترافهما ان صاحب كتاب الاسلام وأصول الحكم أخطأ في اجتهاده ولكن ماذكره المراسل من شروط حرية الرأي في الاسلام ينافي كون الرجل اجتهد فأخطأ لانه خالف النصوص القطعية والاجماع الصحيح والمعقول ولم يدفع شيئا من شبه أعداء الاسلام عنه بل كان طعنه فيه أقبح من طعنهم ولذلك أثنوا عليه ونوهوا به

ومن أغرب ما تجرأ عليه هؤلاء اللادينيون بمصر وقلدهم فيه مراسل جريدتهم في تونس تشبيه شر الجناة على الاسلام بخير أنصاره في هذا العصر الاستاذ الامام قدس الله روحه . ولم يخجلوا من جعل أنفسهم أولى بالاستاذ الامام من أشهر مريديه وأنصاره بمصر وتونس حتى في المسألة التي ذكروا إنكار بعض الجامدين على الامام فيها وهي الفتوى في ذبائح أهل الكتاب ولبس البرنيطة — فكما ان صاحب المنار كان أول مريدي الاستاذ الامام الذين قاموا بنصره وتأييد فتواه في مصر ـ كذلك كان العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تونس فقد كتب في ذلك رسالة نفيسة أرسلها إليّ في وقتها ونوهت بها ولا تزال عندي بخطه ، ولا يخجل

اللادينيون اليوم من جعل مراسل السياسة المجهول وصاحب جريدة الصواب بتونس أولى بالاستاذ الامام من صاحب المنار ومن العلامة المذكور والعلامة الشيخ محمد يوسف وهما أشهر علماء المالكية والحنفية العارفين بحال العصر القادرين على خدمة الاسلام في تونس ، فاذا كان هذان الاستاذان العصريات يطعنان في كتاب الشيخ علي عبد الرازق فما القول في سائر علماء تونس الجامدين المتعصبين لكل ما في كتب الفقه والكلام ورد كل ما خالف فقهاء مذاهبهم من غير نظر في الادلة

وكأني بجريدة السياسة تقرن بهما قرينهما في العلم والفضل ومعرفة شؤون العصر العلامة الشيخ محمد الخضر بن الحسين نزيل مصر لأنه ألف كتابا من أنفس الكتب في إظهار جهل الشيخ علي عبد الرازق بالاسلام وجنايته عليه سماه (نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم)

فليهنأ الشيخ علي عبد الرازق وجريدة السياسة بانتصار جريدة الصواب لهما على هؤلاء العلماء الأعلام وهي كأمثالها من الجرائد الاسبوعية في مصر ليست مما يعتد بفهمها ورأيها في مثل هذا الكتاب ولعل صاحبها لو قرأه لما اغتر بخلابة ألفاظه وشعرياته ولعلم أنه جان على الاسلام متعمد للتنفير عنه لامخطيء في اجتهاده مع إرادته تخليصه مما ألصقه به الغربيون من الوصمات . والظاهر لنا انه اغتر بكلام جريدة السياسة فكتب ما كتب ، ولكنه على عدم قراءته للكتاب لم يتهور كما تهورت جريدة السياسة فكانت جريدته أرقى منها

تفسير المنار

تقريظ للاستاذ الفاضل الشيخ محمد أحمد العدوي من علماء الازهر

تفسير المنار فيما أعلم هو أمثـل تفسير يتناسب مع روح العصر الحاضر: يتجلى فيه للقارىء عظمة التشريع الاسلامي بأسلوب جذاب ، يفيض على قارئه هداية ، ويبعث فيه روح الحياة العملية ، ويعده لأن يكون عالما دينيا ، وباحثا اجتماعيا ، وأستاذاً أخلاقيا ، يريه أسباب تفرق الأئمة ، ثم يعرفه كيف يجتمع شملها ، ويبين له ماأدخله أعداء الدين عليه من البدع والمحدثات ، ثم يرسم له طريق تطهيره منها

زد على ذلك مايصدر به الآية من عقد صلة بينها وبين ماسبقها من الآيات ، وبحث مستفيض في بيان لغة الآية واشتقاق كلماتها ، نقلا عن مصادر اللغة الموثوق بها

اذا تكلم على آية من آي الاحكام استوفى مايتعلق بهـا من أصول ، وما يرتبط بها من آيات وآثار ، يوفق بينها وبين ماعساه أن يتعارض معها من أدلة ، ثم يتكلم على مآخذ الفقهاء بقلم ممتع ، ويتخلص منها بما يتفق والآيات الواردة في موضوعها وترضاه السنة الصحيحة ، ويتناسب مع سوقها العربي

واذا تعرض لآية من آيات الاجتماع وجدته أعجب وأغرب ، تراه قد بني فلسفته على سنة الله في الكون ، ونواميسه في الخليقة ، ونظامه في الأمم والشعوب فيصدقه في نظرياته ، ويسلمه من العطب في منطقه شأن كل كاتب يعول على أساس صحيح وحجة ناهضة

واذا مرت به آية من آيات الاصول والعقائد بينها على وجه يؤيده سلف الأمة الصالح ، والدليـل الراجح ، وتشهد له القرون الاولى ، ووقف عنـد مارسمه الله له فلا يخوض في أمور غيبية الا باذن من الله تعالى ويرى في ذلك السلامة للدين ، والبعد عن مواطن الشبه .

وإذا تكلم في تاريخ الرسل والانبياء صلوات الله عليهم ، وما كان من قومهم معهم، أبان للقارىء أن سنة الله تعالى مع كل من عصاه أن يصب عليه سوط غضبه، ويحل به عاقبة انتقامه ، وسنة من أطاع ربه ونصر داعيه أن يستخلفه في أرضه، ويبدل ضعفه قوة ، وذله عزاً

وإذا كتب في آية من آيات الاخلاق ترى منه الوجدان الصادق والناقد البصير ، يرغب في الفضيلة ، وينفر من الرذيلة ، يوازن بين الخلق الاسلامي والخلق العصري (الغربي) بما لا يدع للشك مجالا، وللريبة موضعاً، ويري القارىء أن الخلق الصحيح إنما هو الخلق الاسلامي الذي أتى به القرآن الكريم ، وبينه الرسول الصادق صلى الله عليه وسلم ، ولعل القارىء لو قرأ كما قرأت، لوجد من مزاياه أكثر مما وجدت

وحسبه أنه على طريقة شيخه الأستاذ الامام في التفسير الذي كان يلقيه على تلاميذه بالازهر ، جزاه الله وجزى تلميذه عن الدين خير الجزاء م

القضايا الدينية في المحاكم

ونتائج الحرية

إن ما أحدث في مصر منذ عهد اسماعيل باشا من الحرية في الاعتقاد والقول والعمل قد كان سبباً لمفاسد كثيرة ومصالح قليلة : استباح الكثيرون به الفسق والفجور ، وراجت أسواق البدع ، وتجرأ المنافقون على إظهار الكفر والطعن في الدين ، وجبن علماء الدين وقبعوا في كسور بيوتهم وزوايا مدارسهم ومساجدهم، فلم يبرزوا للانكار على الفاسقين ، ولا لنضال المرتدين ، لأن الحرية ومخازيها جاءت من قبل الأمراء والحكام . وقد كان أول صوت سمع في الانكار على مفاسد الحرية التي يجب أن تتقى ، وفي بيان منافعها التي يجب أن تجتنى ، شيخنا الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في إثر توليته إدارة المطبوعات ورياسة تحرير جريدة الحكومة الرسمية (الوقائع المصرية) إذ دخلت البلاد في عصر جديد من الاصلاح في أول عهد إمارة توفيق باشا بتولي رجل مصر الأكبر مصطفى باشا

رياض الوزارة ، كان الأستاذ الامام وإخوانه ومريدوه خطباء منبره ، وفرسان حلبته ، حتى اذا قضت الثورة العرابيـة على ذلك العهد المسعود ، وانتهت بالاحتلال البريطاني المنحوس ، وصلت حرية الفساد والشر الى آخر حدود الاسراف ، ولم تكن حرية الصلاح والاصلاح محظورة ، ولكن الاستبداد السابق ، والفساد اللاحق ، أضعفا الاستعداد ، وقللا أهل الرشاد والارشاد ، حتى اذا ما انتهت مدة نفي الاستاذ الامام وعاد إلى مصر ، طفق يطرق أبواب الاصلاح في جميع المصالح الرسمية وغير الرسمية ، فلم يجد على شيء منها أعوانا حتى قال لي : إن هذه الحرية المطلقة للأمة (دون الحكومة) في القول والعمل لشخصي والاجتماعي كانت كافية لاصلاح البلاد ، والنهوض بها الى ذروة الفلاح والاستقلال، لولا فساد الأخلاق الذي بذرت بذوره في عهد إسماعيل باشا

ولما شرعنا في الاصلاح الديني والاجتماعي بانشاء المنار وجدنا من كثير من العلماء الجامدين ، وشيوخ الطريق الخرافيين، مقاومة عنيفة ،ودسائس كثيرة . ومن أمير البلاد وأحزابه تحريضاً شديداً ، سببه تنويه المنار بالاستاذ الامام ، وثناؤه عليه ودفاعه عنه ، ولكن لم تستطع تلك الدسائس والتحريضات أن تسكت المنار ، ولا أن تقطع عليه طريق الاصلاح، فانتشرت الدعوة حتى في الأزهر بالرغم من عصبية العلماء الجامدين ، أعداء أنفسهم ، وأعداء الكتاب والسنة ، الذين يعذرون أنفسهم بالمحافظة على فقه الأئمة ، وهم لم يستطيعوا بهذا الفقه الذي لا يعرفون منه الا أماني من كتب المتأخرين والمقلدين أن يدفعوا عن الاسلام شبهة ، ولا أن يميتوا به بدعة ، ولا أن يحيوا به سنة، ولا ان يحيوه هو أيضا فهو يموت بين أيديهم وأيدي حكامهم فيدفنونه ويهيلون عليه تراب القوانين وآخرها قانون الاحكام الشخصية الذي ساعد الحكومة عليه بعضهم وسكت الباقون . بل لم يمنعهم من نصر البدع والطعن في دين المنكرين على أهلها ونبزهم بالألقاب ، ثم السعي لحكم المحاكم عليهم إما بالعقاب واما بالكفر ، وما يترتب على الردة من الأحكام كالتفريق بين المرء وزوجه

وقد رفعت عدة قضايا للمحاكم الشرعية والأهلية ، في قضايا تتعلق بالردة

عن الاسلام ، وبمخالفة تعاليمه واهانة شعائره بعضها حق وبعضها باطل (أهمها) قضية رجل انتحل دين البابيـة البهائية ، وزعم أنه لاينافي الاسلام ، فحكمت المحاكم الشرعية ابتداء واستئنافا بردته ، والتفريق بينه وبين امرأته ، وحكمها هذا حق ووددنا لو اطلعنا على صورته وأسبابه لننشرها في المنار . وقد ذكرنا من قبل حكم محكمة دمنهور الشرعيـة بردة الشيخ محمد أبي زيد بالباطل وتبرئة محكمة الاستئناف له بالحق .

قضية الشيخ عبد الظاهر

(ومنها) قضية بعض أنصار البدع والخرافات على الشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمح أحد دعاة السنة وأعداء البدع ، فانهم بعد ضروب من التهم والايذاء له ونبزه بلقب الوهابي أي المتبع للسلف حملوا النيابة العمومية على مقاضاته على ما اتهموه به ، فرفعت عليه قضية في محكمة العطارين بالاسكندرية فحكمت ببراءته ؛ ولدى استئناف الحكم حكمت محكمة الاستئناف بتأييده ، وهذا نص حيثياته :

حيث إن النيابة العمومية اتهمت المذكور بأنه في سنة ٩٢٣ وما قبلها بدائرة قسم الرمل دنس رموزاً لها حرمة باحدى المساجد بأن صعد المنبر وأخذ البراقين(١) وألقى بهما في الارض وبأنه ايضا في الزمان والمكان المذكورين تعدى على الدين الاسلامي وعرض بصاحب الشرع بأنه كان يخطب في المساجد والمجتمعات وينشر تعاليم مهينة لآداب المذهب ومناقضة لتعاليماته المعروفة وطلبت عقابه بمقتضى المادتين ١٣٨ و ١٣٩ عقوبات . والمتهم حضر أمام الجلسة وانكر التهمة وأجاب بما هو مدون بالمحضر

وحيث إن التهمة المنسوبة هي القاؤه البراقين في المسجد وتعديه على الدين الاسلامي . وحيث إنه بالنسبة لالقائه براقين فى المسجد فضلا عما هو ثابت من أن هذا العمل حصل من مدة تزيد عن الار بع سنوات فان القاء الاعقاب عليه قانونا الا اذا كان قصد المتهم من القائهما اهانة الدين — وثابت من اقوال المتهم

(١) المراد بالبراقين العلمان اللذان جرت العادة بوضعهما على جانبي المنبر

أن قصده كان بعيدا عن هذه الاهانة اذ علل القاءه لهذين البراقين بنفي نسبتهما الى السلف الصالح وعليه فيتعين براءته من هذه التهمة

وحيث انه بالنسبة لتعدي المتهم على الدين الاسلامي وتعريضه بصاحب الشرع بنشر تعاليم مهينة ومناقضة للدين قدم المتهم مذكرة بدفاعه عنها تاريخها ٢٦ يناير سنة ١٩٢٤

وحيث إن المحكمة ترى من الاطلاع على هذه المذكرة مايؤخذ منها صراحة أن المتهم ما كان يطعن ولا يقصد التعريض بالدين بل إنه كان يفسر القرآن والاحاديث بما يراه ويعتقده صحيحا - وحيث إن المحكمة لاتثق بما جاء عن لسان الشهود مما زاد عما جاء بهذه المذكرة اذ لو كان لاقوال هؤلاء الشهود صحة لانفض من حوله من يستمعون لدروسه الذين شهدوا أن المتهم لم يحصل منه طعن في الدين

وحيث انه لذلك تكون التهمة المنسوبة الى المتهم غير صحيحة ويتعين براءته منها عملا بالمادة ١٧٢ ج

فلهذه الاسباب

وبعد رؤية المادة السالفة الذكر حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم مما اسند اليه وأعفته من المصاريف

هذا الحكم حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة في يوم ١٢ أغسطس سنة ٩٢٤ و ١١ محرم ١٣٤٣

وبعد أن صدر هذا الحكم بالبراءة استأنفته النيابة يوم صدوره

وبجلسة ٦ ديسمبر سنة ٩٢٤ و ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ نظرته محكمة الاستئناف الاهلية وأيدته تحت رياسة حضرة حسن بك زكي محمد القاضي وبحضور حضرتي محمد بك حسن عزت وحليم بك برسوم القاضيين وحضور حضرة حسن افندي لطفي وكيل النيابة وأحمد زكي أفندي السيسي كاتب المحكمة وهذا نص حيثيات الحكم

المحكمة - بعد سماع التقرير الذي تلاه حضرة محمد بك حسن عزت وطلبات النيابة العمومية وبعد الاطلاع على الاوراق والمداولة قانونا

حيث إن الاستئناف مقدم في الميعاد القانوني فهو مقبول شكلا ـ وحيث إن الحكم المستأنف في محله للاسباب الواردة به والتي تأخذ بها هذه المحكمة فيتعين تأييده

فلهذه الاسباب

وبعد رؤية المادة ١٧٢ ج حكمت المحكمة حضوريا بقبول الاستئناف شكلا وفي الموضوع برفضه وتأييد الحكم المستأنف بلا مصاريف

تقريظ المطبوعات الحديثة

مجموع أدبي تاريخي (*

(١) رواية آخر بني سراج

(٢) (خلاصة تاريخ الاندلس) الى سقوط غرناطة

(٣) كتاب أخبار العصر ، في انقضاء دولة بني نصر

(٤) أثارة تاريخية ، في أربعة مرسومات سلطانية اندلسية

نشر في هذه الايام مجموع مطبوع مشتمل على هذه الآثار التاريخية الاربعة المتعلقة تاريخ الاندلس ، ذلك الفردوس الارضي الذي كان أبدع مظهر الحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية ، والموازنة بينهما وبين مايقابلهما وماقاومهما من الحضارة الاوربية التي وسموها بالمسيحية ، ولم تكن قبل ولا هي الان من المسيحية في شيء .

فأما الرواية فهي تاريخية غرامية أدبية ألفها بالفرنسية الفيكونت دوشاتوبريان الكاتب الفرنسي الشهير فأجاد ، وراعى فيها حق العرب والمسلمين وشعور الاسبانيين على سواء ، بما أورده من تنازع سلطان الغرام في كل من العاشقين العربي المسلم والاسبانية المسيحية ، وسلطان الدين والنفرة الجنسية فلم يأت بشيء نستنكره نحن ولا بشيء يستنكره الآخرون

وقد ترجمها باللغة العربية الامير شكيب ارسلان الشهير في أول عهده بالترجمة والتأليف وطبعت الطبعة الاولى في مطبعة الاهرام سنة ١٨٩٧ م وترجمتها تشهد له بالاجادة ومتانة الانشاء وسعة المادة اللغوية منذ عرفت أنامله الاقلام

*) كتب هذا التقريظ منذ أربعة أشهر

وموضوعها سياحة شاب من بقايا آل ... من سروات الفرناطيين في الاندلس حنَّ الى ذلك الوطن الذي عمره آباؤه وملكه قومه بضعة قرون فشد رحاله من تونس الى غرناطة ، قال المترجم « و بينما هو يجول في غرناطة مسكن أهله قبل الجلاء الاخير، وثمالة ما كان بقي في يد الاسلام من ذلك النعيم والملك الكبير ، كانت منه لفتة وقع بصره فيها على فتاة من سريات الاسبانيول فعلقت بقلبه ، ووقع نظرها منه على مثلها فتعاشقا وتوزعت القصة بين حبها وحبه، وحال دون اقترانهما إعجاب كل منهما بدينه واخلاصه لربه ، ثم ماتبين لابن سراج بعد طول العشرة من كون معشوقته سلالة من آل بيفار الفاتكين لعن الجلاء بآبائه ، فرأى اختلاط دم القاتل بدم المقتول غير خليق باباثه ، ولا ممتزج بشيمة وفائه ، بل مضى كل من العاشقين بحبيبه صبا ، قد اختلطت مهجتاهما حبا ، ولم يفرق بينهما الا الدين والا المودة في القربى »

ثم ذكر م. أسباب ترجمته إياها: ماتضمنته من آداب المحبين ، وما فيها من وصف مكارم الاخلاق ، ومزايا الاشراف من الفرسان ، والاطلاع على كثير من الصفات الملكية متزحزحة عن افق الملا العلوي الى عالم الانسان ، استدلالا على بديع صنع الله حين يجمع بين الحسن والاحسان ، — ثم ذكر منها التلذذ بذكرى السلف ، والاستقراء لآثار العرب ،

وهذا السبب الاخير وهو الاجتماعي التاريخي، له الشأن الأعلى في قلب كل مسلم و كل عربي ، لأن لحضارة الاندلس وآدابها من شعور اللذة المنبوبة في هذه القلوب مالا يقل عن شعور آدم عليه السلام بذكرى جنته ، ثم ان لنكبة الاندلس وما كان من تعصب الاسبانيين واكراهم المسلمين على التنصر وقسوتهم في استئصالهم من الاندلس آلاما في هذه القلوب كبارا ، لايزال جرحها نغارا

خلاصة تاريخ الاندلس

واما خلاصة تاريخ الاندلس فهو من تأليف الامير ، قصد أولا ان يكون ذيلا وجيزاً لهذه الرواية تفهم منه وقائعها وتظهر مقاصدها ، فما زال يسيل مداد اقلامه بمده به ذلك العلم الواسع بالتاريخ حتى كان مؤلفا حافلا لايوجد له باللغة العربية نظير، وقد راجع فيه أشهر ما كتب مؤرخو الامم الاوربية في هذا الموضوع، ولم يكتف بما

لخصه صاحب نفح الطيب من أخبار سقوط غرناطة وأسباب زوال ملك العرب من الاندلس ، فانه قليل ووجيز ، على انه من أهم ما يجب تدوينه من وقائع التاريخ، لما فيه من العبرة للمتأخر بسيرة من قبله ولا سيما أسباب قيام الدول وسقوطها ، وارتقاء الامم وهبوطها ، فعرب الاندلس يهم كل عربي وكل مسلم ان يعرف كيف كان آخر عهدهم بتلك المملكة الاوربية التي أمسوا حضارتها ، وكانوا أساتيذ اوربة بها

وقد نشرنا في الجزء الثاني من هذا المجلد (٢٦) نموذجا من هذا التاريخ وهو معاهدة صلح غرناطة بين مسلمي العرب ونصارى الاسبانيول وما كان من نقض هؤلاء المعاهدة عروة عروة، واكراههم المسلمين على التنصر أو الجلاء عن البلاد حتى لم يبق منهم أحد، وفي الكتاب من أخبار المعارك واستبسال المقاتلين ما هو من غرائب التاريخ كان فيه من غرر القصائد ووصف المعاهد ما يعد من ألطف الآثار الادبية الاندلسية

وأما كتاب أخبار العصر فهو تاريخ وجيز لآخر عهد المسلمين بتلك الديار لمؤلف شهد المعارك بنفسه ، ولم يذكر في الكتاب اسمه

وأما الاثارة التاريخية . في المراسيم السلطانية الاندلسية، فهو نموذج تاريخي أدبي من انشاء ذلك الوقت، وفي الحالة السياسية الروحية التي حملت السلطان الاندلسي على كتابة تلك المراسيم لبعض قواد الاسبانيين

زادت صفحات هذا المجموع على أربعمائة صفحة من قطع المنار فطبع الطبعة الثانية بمطبعة المنار على صنفين من الورق وجعل ثمن النسخة من الورق الجيد ٢٠ قرشا مصريا صحيحا ومن الورق المتوسط ١٥ قرشا وأجرة البريد ٣ قرش في مصر و ٤ قروش في الخارج

﴿ الدعاية الى سبيل المؤمنين ﴾

الاستاذ الشيخ ابو اسحق ابراهيم آل يوسف اطفيش الجزائري من علماء المسلمين العصريين الذين يلقبهم المنار بحزب الاصلاح المعتدل أي الذين يدعون الى الجمع بين هداية الدين الحق اعتقادا وأدبا وعملا وبين ما يتفق معها من مدنية العصر المبنية على قواعد السيادة والاستقلال والقوة العسكرية والثروة ، وان بين هذا الفريق من عقلاء الامة الاسلامية وبين مقلدة الجامدين من « حملة العمائم وسكنة

الاثواب العياعب ، تزاعا مستمرا ووقتا لامستحرا ، ميدانه الطروس وأسلحته الاقلام ، وان كتاب (الهداية الى سبيل المؤمنين) هو أول أثر من آثار هذا الاستاذ الغيور في هذا الجهاد أبرزته المطابع لنا بعد هجرته الى مصر والقائه عصا السير فيها ، رد فيه على رسالة لأحد المتطفلين على التأليف من أولئك الجامدين ، الذين أصبحوا فتنة للكافرين ، وحجة على الدين ، الذي يدعون من علمائه بغير حق ، فهم يعارضون المصلحين في كل قطر ، لحثهم المسلمين على العلوم والفنون والصناعات التي تتوقف عليها القوة والسيادة في هذا العصر ، وقد كان هؤلاء سبب ارتداد أكثر من ارتد عن الاسلام في هذا الزمان من الترك والعرب والفرس وغيرهم ، ولم يذكر المصنف اسم هذه الرسالة ولا اسم مؤلفها ولا بلده لئلا يكون دالا على الضلالة المستعد لها ، وقد وصلت الينا رسائل من قبيلها لبعض خطباء الفتنة في الشام ، ومدعي الغيرة على الدين عند العوام ، فأرجأنا الرد عليها الى فرصة نقرأها فيها

وقد لخص صديقنا المؤلف مسائل تلك الرسالة التي رد عليها في عشر (منها) ذم الفلسفة والعلوم العصرية والأسلوب العصري والتعليم والفصاحة والبلاغة ، ومدح الخمول والذل والاستكانة !!

وقد استطرد المصنف في الرد الى مسائل إصلاحية كثيرة تقتضيها حالة العصر وترجمة بعض علماء الاباضية - وهو منهم - في الشرق والغرب . وقد بلغت صفحات كتابه هذا ١٧٦ من قطع رسالة التوحيد والاسلام والنصرانية وطبع في المطبعة السلفية في سنة ١٣٤٢ على ورق جيد وثمن النسخة منه

﴿ أسرار البلاغة ﴾

نبشر طلاب علوم البلاغة وآداب اللغة العربية بأننا قد اعدنا طبع هذا الكتاب المنقطع النظير في هذا الباب بالحاح وزارة المعارف بطلبه في كل عام مصححا على نسخة الأستاذ الامام التي قرأها للعلماء والطلاب في الجامع الازهر واودعنا حواشيه جميع تعليقاته عليها وجعلنا ثمن النسخة منه على حسن ورقها وزيادة مادتها ٢٥ قرشا بدلا من ٣٥

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الألباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٣٠ رجب سنة ١٣٤٤ ٢٤ برج الدلو سنة ١٣٠٥ هـ ش ١٣ فبراير سنة ١٩٢٦

الثورة السورية والحكومة الفرنسية

والتنازع بين الشرق والغرب

حدثت في أوائل الصيف من هذا العام الشمسي (١٩٢٥ م) ثورة في سورية لم يسبق لها نظير ، اقتدح زنادها زعماء دروز حوران ، وتولى القيادة العامة لها سلطان باشا الأطرش الشهير ، وقد سبق لهم ثورة أخرى كان هو قائدها أيضاً ، ولكنها كانت ثورة صغيرة موضعية . وأما الثورة الأخيرة فهي ثورة سورية كبيرة ، لايزال يمتد لهيبها ويتطاير شررها ، ولم تكن قسوة السلطة العسكرية الفرنسية وشدتها في مقاومتها إلا كمحاولة إطفاء النار بزيت البترول والبنزين والبارود أي لم تزدها إلا قوة واشتعالا . وقد أسرفت السلطة في القسوة حتى إنها دمرت المئات من القرى والمزارع على رءوس اهلها ، وأطلقت المدافع وقذائف الطيارات على الأحياء الاسلامية خاصة من دمشق ، فتبرت أهم أحياء المدينة عمرانا وثروة وآثاراً قديمة ، وقتلت عدداً كثيراً من النساء والرجال والأطفال ، وخرج كثير من المخدرات من بيوتهن مع أطفالهن ما بين حافيات وناعلات هائمات على وجوههن ، وأجهض كثير من الحوامل ، وجن من جن من العقائل . وفعلت السلطة نحواً من ذلك في مدينة حماه التاريخية أيضاً فقتلت من قتلت ثم عذبت من عذبت من الأبرياء كما ثبت بمحاكمتهم في محكمة عسكرية فرنسية

ليس من موضوع المنار استقصاء الحوادث التاريخية ، ولا من دأبه الوصف الشعري ولا المبالغة في تصوير حقوق أمته ومصالح قومه، أو هضم حقوق خصومهم ، ولا سيما اذا كان بالباطل . وإنما موضوعه الذي يعنى به قبل كل شيء بيان الحقائق وفلسفتها ووجوه العبرة فيها ، وبذل النصح لكل مستعد لقبوله، وتقرير المعروف للترغيب فيه ، وإنكار المنكر للزجر عنه . وإنني أذكر هنا من الحقائق ما يعترف به المنصف وان كان من خصومنا أنفسهم

جناية رجال فرنسة على سورية وعليها

(١) إن ما عمله رجال فرنسة في سورية في بضع سنين قد حمل حكومتهم نفقات باهظة تقدر ببضعة ألوف الملايين من الفرنكات، قيل : إنها لو قسمت على هذه السنين لاصاب كل سنة قراب ألف مليون، وخسرت به صيتها الأدبي وسمعتها السياسية والادارية ، حتى إن أشد الناس كرهاً للترك وطعنا فيهم صار يرفعهم فوق الفرنسيس درجات كثيرة .

وقد كان ما نشر من أنباء موبقاتهم في هذه المسألة من المقالات في الجرائد وما نظم فيها من القصائد ، مشوّها لسيرة فرنسة في المشارق والمغارب ، وهادما لما شيدته لنفسها من حسن الصيت في عدة أجيال ، أو من عهد ثورتها الكبرى إلى الآن ، تلك الثورة التي ثل شعبها فيه عرش ملوكهم الظالمين، وينكرون مادونها على السوريين ، فهم يفخرون بمقاومة الفرنسي للظالم المولود من قومه، ويذمون مقاومة السوري لظالمه الأجنبي عنه !!

ولو كان مافعلوه في سورية خيراً لهم وموافقاً لمصلحتهم، لما كان لنا ان نتكلم فيه معهم، ولكن ثبت به ان احتلال فرنسة لسورية كان شراً لسورية ، وشراً لحكومة فرنسة وشعبها جميعا. وأن حكومة فرنسا هي الظالمة لشعبها بما تحمله من أعباء هذه النفقات الثقيلة في هذه السنين الحسات، وهي أحوج اليها في عسرتها الحاضرة. وبما تحمله على سفك دمه فيما ليس له منه فائدة مادية ولا أدبية ، بل فيما فيه ضياع الفائدتين معاً وأما الظالم للحكومة الفرنسية نفسها في هذا وأمثاله فهم الرجال الذين توليهم أمر البلاد ، وتطلق لهم فيها العنان ، فيعيثون فيها فساداً ، ويسمون إفسادهم إصلاحا ، ويتخذون لهم شهداء من أنفسهم ومن صنائعهم وعمالهم في البلاد ، ومن المشاركين لهم في غنائمهم من أرباب رؤوس الأموال وأصحاب الصحف ورجال الأحزاب في فرنسة — يكذبون على الحكومة ، ويرونها الباطل حقاً ، والمفسدة مصلحة ، ويطعنون لها في الأحرار الصادقين ، اذا تظلموا أو احتجوا عليهم ويوهمونها أن ما يتظلمون منه ما هو بظلم ، بل هو عين العدل والفضل ؛

ولكنهم ينكرون الجميل ويغمضون الحق، إما لبغضهم لفرنسة لخبث طباعهم أو تعصبهم ، وإما لمطامع لهم باطلة لم يجدوا مع العدل الفرنسي وسيلة اليها ، وإما خدمة لدولة أخرى أجنبية يعملون لها .

تفسير الانتداب الفعلي والقولي

(٢) كل هذا التقتيل والتعذيب ، والتخريب والتبييب، والتدمير والتتبير ، وما يتبعه من المغارم والمآثم ، وموبقات الفضائح والمحارم ، كله تفسير وتنفيذ بالفعل لكلمة جديدة وضعت في معاهدة الصلح بعد حرب المدنية في قاموس السياسة وهي كلمة (الانتداب)

وضعت هذه الكلمة دول الحلف البريطاني الفرنسي الذين كانوا يسمون قتالهم للحلف الجرماني بقتال الحق والعدل والحرية والحضارة للباطل والجور والهمجية واستعباد الأمم ، وفسروه بانه عبارة عن مساعدة الشعوب المحررة من العبودية الجديرة بالاستقلال على النهوض بأعباء استقلالها ، إلى أن يزول مايحول دونه من فقرها وضعفها، وتصبح قادرة على السير وحدها، وزعموا أن الباعث عليه الرأفة والرحمة ، لا مجرد العدل، والمكافأة على مساعدتهم في تلك الحرب . وأن النادب لهم والداعي الى هذه المكرمة الانسانية والضامن للدول المنتدبة الرقيب عليها في تنفيذها كما فسرت انما هو جمعية الأمم المؤلفة من خمسين أمة ونيف ـ فهل يجوز اذا في شرع الرحمة والمحبة أن تترك الدولة المنتدبة هذه الفضائل الانسانية كلها وتخفر عهد هذه الأمم والدول كلها، لأن بعض الشعوب التي تبذل لها هذه المساعدة لتنتفع بما نالت من الحرية والاستقلال تتألم منها، وتأبى أن تقوى من ضعف، وتغنى من فقر ، وتعز بعد ذل ، وتتحرر بعد رق ؟ فاين الفضائل الانسانية ؟ وأين العهود الدولية ؟

تلك إشارة إلى مسافة الخلف من أقوال منفذي الانتداب وأعمالهم، ثم إنهم يطلبون منا أن نصدق وعودهم ، ونثق بعهودهم ، وهم يعلمون أن هذا غير مستطاع ، ولكنهم يريدون إكراهنا بالقوة على أن نحمد مساويهم أو نسكت عنها

لئلا تجد الاحزاب المعارضة في مجلسي نوابهم وشيوخهم حجة يسلبون بها منهم هذا السلطان الاستبدادي المطلق الذي هو أعظم اللذات التي فتن بها البشر، فهم لا يبالون بما نعتقد نحن فيهم، وإنما يبالون بمن يقول الحق ويطالب بالعدل في بلادهم، وقليل ماهم

الفرق بين الشرق والغرب في احترام القوة

(٣) إن شعوب أوربة شعوب دموية مازالت تعتمد في جميع شؤونها على القتال وسفك الدماء حتى صار غريزة فيها، فكل اعتمادهم على القوة المادية الحربية، بل لما صار ذم القتال وسفك الدماء مما يذم عندهم بالكلام، ويتبرؤن منه برياء القول، ويدعون أن ماينفقونه في كل عام من قناطير الذهب المقنطرة التي تجتاح معظم كسب شعوبهم على الاستعدادات الحربية من برية وبحرية وجوية لا يراد به إلا السلم. على أن هذه الدعوى على مافيها من كذب ورياء حجة قطعية على أنهم لا يمكن أن يرتدعوا عن ذلك إلا بالخوف من القتال. لأجل هذا يقيسون طباع الشرقيين على طباعهم، بل قلبوا الحقيقة وعكسوا القضية فصاروا يزعمون أن الشرقيين لا يخضعون إلا للقوة، ولا يطيعون الأوامر إلا بالاذلال والاهانة، ونتيجة هذا انهم لا يقبلون مايسدونه اليهم من نعم الحماية والوصاية والانتداب إلا اذا حمل اليهم وحملوا عليه بقوة الحديد والنار، وأقنعوا به بألسنة قذائف المدافع والطيارات، وتدمير السيارات والدبابات، فهم يكررون هذه الأقوال كلما صالوا على شعب شرقي فدافع عن نفسه ولو بالحجج القولية المنطقية، فكيف اذا حمل السيف مستبسلا لتحميله ما لا يطيق يائساً من إنصافه كما يقولون اليوم في قضية ريف المغرب وفي قضية سورية .

والحق الذي يشاهد اليوم ويحفظه التاريخ من قبل أن الشرقيين يخضعون للدلائل العقلية، وللوجدانات القلبية، وينقادون بالمسلمات الخيالية والتخيلات الشعرية، فتغلب عليهم المعنويات، كما استحوذت على الأوربيين الماديات، وان المبالغة في الامرين، مما يعد من عيوب الفريقين .

وقد كان مما إنتهى اليه فساد ضعف الشرقيين الاجتماعي والسياسي واستذلال الاستبداد لهم أن تحول عشقهم للفضائل والكمالات والمجد الصحيح الى الرضا منها

بالمجد الكاذب والكمال الصوري أو الوهمي ، وقد نبه بعض عشاق فرنسة من وجهاء الموارنة بعض مندوبيها السامين الى هذا النقص ونصحوا لهم بأن يراعوه في إدارة البلاد ليتم لهم أمر السيادة فيها بسهولة وتكون راضية منهم

حدثني حبيب باشا السعد المشهور عن نفسه انه قال للجنرال غورو : إننا نحن الشرقيين نحب المجد الكاذب فولونا أعمال البلاد الرسمية واكتفوا بوضع مستشارين ومراقبين منكم معنا، يرشدون رؤساء الموظفين الى ماتريدون منا ونحن ننفذه لكم بأحسن ماتنفذونه لانفسكم . وقد نصح لهم بمثل هذا صديقهم عبدالله باشا صفير وهو مؤسس الحزب السوري الفرنسي بمصر ، وأقام لهم الدليل عليه بسياسة الانكليز بمصر التي نجح فيها لورد كرومر أتم النجاح ، وقدذهل سعادة الباشا عند إسداء هذه النصيحة قولا وكتابة عما بين الفرنسيس والانكليز من التباين في الاخلاق والغرائز وأساليب الاستعمار ، وهي لاتخفى على مثله وقد بينها الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون في كتبه التي وضعها لمباحث علم الاجتماع ، على أن الانكليز لم يسلموا من شذوذ الغرور بالقوة وقسوة العظمة واحتقار الشرق وأهله كما فعلوا في (حادثة دنشواي) وفي العراق والهند أخيراً ، ولكنهم لم يبلغوا فيه عشر معشار الفظائع الفرنسية في سورية ، وقد أيقنوا أنهم كانوا فيه من الخاطئين المخطئين، وما رجع بعض كتابهم في هذه الأثناء قول الفرنسيين إن أهل الشرق لايدينون ولايخضعون إلا لقوة النار والحديد إلا خداعاً وتغريراً لهم ليتمادوا في بغيهم

عظمة فرنسة وقوتها الحربية

(٤) مما يعتذر به الفرنسيس عن أعمال القسوة ، والامعان في التخريب والتدمير ، والتصميم على حل مشكلة الثورة السورية بقوة الجند ، واشتراط تسليم الثائرين سلاحهم بلا شرط ولا قيد — أن كل ما عدا هذه الطريقة من إدارة البلاد ومعاملة أهلها يذهب بكرامة فرنسة ، ويزيل مهابتها من القلوب ، ويوهم أهل البلاد أن الثوار أقوى منها ـ وهذا الاعتذار خطأ محض مبني على النظرية التي بينا فسادها آنفاً وهي أن هؤلاء الناس أنفسهم لايعترفون بفضيلة ولا كرامة للدول

والأمم إلا القوة والقدرة على التقتيل والتخريب ، والحق الواقع يفند رأيهم ويؤيد رأينا ، فإنهم كلما اشتدوا في القسوة اشتدت مقاومة الثائرين واستبسلوا في القتال ، واستهانوا بالموت . ومن المعلوم بالضرورة أنهم يقاتلون مختارين ، فقتالهم أدل على أخلاقهم وما في أنفسهم من قتال الجند الفرنسي وكل جند نظامي ، فإن الجند النظامي إنما يقاتل مكرهاً ومضطراً ، إذ هو يعلم أن الفار من الزحف جزاؤه القتل قطعاً ، وأن الذي يثبت يجوز أن يبقى وأن ينال مكافأة على ظفره . وقد كان موقدو نار هذه الثورة خاضعين لفرنسة قبل إهانتهم واحتقارهم وهضم حقوقهم ، ومغترين بوعود رجالها ، ولم يبق أحد يصدق لهم قولا ولا يثق منهم بوعد

وإنا لنعلم أنه لا يوجد أحد من قواد الثورة ولا من مساعديهم يعتقد أن الثوار أقوى من فرنسة وأقدر على الحرب ، ولا أن سورية كلها تساوي فرنسة أو تقاربها في القوة الحربية . وإنما يحاربونها لأن رجالها ألجؤهم إلى القتال إلجاءً واضطروهم إليه اضطراراً ، إذ أقنعوهم فعلا بأن سلطتها لا تطاق ولا تحتمل ، وأن القتل الشريف في سبيل الاستقلال ، أفضل من الحياة في الذل والفقر والنكال ، ولأن في السوريين من لا يزالون يظنون أن في فرنسة فضيلة غير فضيلة القتل والقتال يرجى أن تنتصر جانبها — وأعني فضيلة الحق والعدل والعمران — وأن الثورة هي التي يمكن أن توصل إلى محبي الحق والعدل والعمران صوت سورية الذي عجز عن إيصاله إليهم أحرار السوريين بالحجج والبراهين التي يدلون بها كل عام ، وعند كل حادثة عظيمة وخطب فادح بما يخاطبون به جمعية الأمم وكبريات الدول وفي مقدمتهم فرنسة ، وما ينشرونه في جرائد العالم فيتصدى لتكذيبهم والطعن فيهم أنصار الأحزاب المالية والعسكرية والجزويتية الذين يستغلون سورية بما قدمنا أنه ضار بفرنسة حكومتها وأمتها لا بالسوريين وحدهم ، ويظنون أن هؤلاء يمكن أن يؤلفوا مع طلاب الاقتصاد والأحزاب المعارضة قوة في مجلسي النواب تجبر الحكومة الفرنسية على إنصاف سورية ، والاعتراف بحقها في الحرية والاستقلال . فإن صدق ظنهم هذا أمكن أن تستفيد

فرنسة بعض ما فقدت من حسن صيتها السابق وكان خيراً للشعب الفرنسي والحكومة الجمهورية الفرنسية من اعتقاد سورية أن فرنسة فقدت كل فضيلة إنسانية، وصارت كالوحوش المفترسة، ليس لها صفة تفخر بها الا القتال والتخريب ولو فقدت به ثروتها وشرفها الأدبي

حظ الانكليز من ثورة سورية

(٥) قيل : إن الثورة السورية الحاضرة هي من دسائس الانكليز، وإنهم هم المحركون لها، والممدون لنارها بالوقود، ولثوارها بالسلاح والنقود، وقد خاضت في هذه التهمة بعض الجرائد الفرنسية والمصرية، وهي تهمة باطلة سببها اعتقاد جميع الشعوب ان الانكليز هم شياطين الانس، لاتقع فتنة الا بدسائسهم ووساوسهم، وهم يستفيدون من هذه التهمة لأن فرنسة تضطر بتصديقها لذلك الى استعتابهم واسترضائهم بمساعدة تبذلها لهم، أو مصلحة لها تنزل لهم عنها، كما نزلت لهم عن الموصل حتى لا يعارضوها في احتلال دمشق. وما يدرينا أنهم يحتاجون الآن الى مساعدتها على الترك في مسألة الموصل أيضاً، وأنها ستبذل لهم هذه المساعدة كما بذلت لهم الموصل نفسها، وكانت من نصيبها في معاهدة سايكس بيكو

ان الانكليز لا يمكن أن يساعدوا الدروز ولا غيرهم من السوريين على قتال فرنسة، لأنهم يعلمون أن الذي يتجرأ على قتال فرنسة يتجرأ على قتال انكلترة، فانها ليست أعظم من فرانسة قوة عسكرية بل دونها، وكيف يساعدونهم على ذلك وهم يطمعون في أخذ بلادهم كما قال أحد كبار رجالهم لعربي يثق باخلاصه لهم وقد سأله : كيف تتركون سورية لفرنسة وهي بين فلسطين والعراق؟ فقال له: هل رأيت انكليزيا يلبس ثوبا مرقعا؟ قال: لا قال فافهم

أنا أومن بأن الانكليز يعتقدون أن مآل سورية لهم، كما أومن بأنهم ليسوا هم المحركين للثورة السورية، وأنهم لم يساعدوها، وأنهم لا يرون من مصلحتهم ظفر الثوار بفرانسة، ولا أن يتفقوا معها، وانهم يتمنون لو تقلل عدد

المسلمين والدروز في سورية ، ولا يكرهون أن تستبدل الارمن بالدروز في حوران ثم لبنان ! ، كما تفعل هي في تغليب اليهود على العرب في فلسطين . وأومن مع هذا بأن الثورة تمهد لهم السبيل لما يعتقدون من المآل الذي ذكرناه ولما هو أبعد منه لأنه يورث العداوة ويؤرّث الحقد بين فرنسة والسوريين وكذا سائر العرب والمسلمين . فاذا يئس السوريون من الاستقلال الصحيح فانهم لا يرون بدّاً من توطين أنفسهم على الانضمام الى العراق وفلسطين لما في ذلك من الفوائد الاقتصادية والأدبية والقومية ، فاذا اتحدت سورية الكبرى مع العراق يكون للمجموع دولة عربية غنية . فأي سوري أبله يفضل على ذلك ماتفعله فرنسة من جعل سورية الصغرى عدة شعوب ، لكل شعب منها حكومة تسمى دولة ، وهي سخرية لا يجهل عوام الحراث والعمال سببها والغرض منها

إن للانكليز حزبا في سورية يستطيعون دفعه للعمل في كل وقت ، ولا يوجد أقوى منه في البلاد الا حزب الاستقلال المطلق ، وهم لا يدفعونه إلى العمل الا عند ارتفاع المانع ووقوع المقتضي ، وهم مشهورون بانتظار الفرص والوثوب عليها عند سنوحها ، وفرنسة تقرب لهم الزمن ، وتمهد لهم السبيل ، وما هذه بالاولى لها في ذلك ولا بالثانية ولا بالثالثة ولا بالرابعة

كنت مرة أتكلم مع أحد فضلاء المصريين منذ بضع عشرة سنة في خداع الانكليز للفرنسيس فقال لي : كان يعلمنا التاريخ في المدرسة الخديوية عالم فرنسي باللغة الفرنسية قبل تحويل التعليم الى الانكليزية ، فذكر مرة مسألة تاريخية من هذا القبيل ، وقال عقب ذكرها : قد خدعنا الانكليز في ذلك فانخدعنا ، ثم ذكر في سنة أخرى مسألة مثلها وقال هذا القول ، فذكرته بالمسألة الاولى وقلت له : وكيف انخدعتم لهم ثانية وقد علمتم أولا أنهم خدعوكم ؟ قال : وهل وقف الامر عند هذا الحد ؟ كلا ، إنهم سيخدعوننا أيضاً فننخدع

لا يحسبن أحد أنني أقول هذا للايقاع بين الدولتين كما هو دأب كتاب السياسة ، إنني لست مغروراً بنفسي الى هذا الحد ، انما أنا أكتب ما أعتقد ، ولست أستنبط اعتقادي هذا من الثورة السورية الحاضرة ، بل أنا أعتقده منذ

علمت بنبأ معاهدة (سايكس بيكو) في اقتسام الدولتين لبلادنا ، وقد قلته لكثيرين أذكر منهم شاهدين سوريين وشاهداً فرنسياً :

إنني عقب هدنة الحرب الكبرى وبعد احتلال فرنسة لسواحل سورية ابتعت طائفة من الأقمشة لارسلها الى أهل بلدنا (القلمون) بجوار طرابلس الشام لكسوة من تركتهم الحرب فيها عراة لايجدون ما يكتسون به ، فقيل لي : ان فرنسة تمنع ذلك ، ولا بدّ من اذنها ، فذهبت الى دار معتمدها السياسي لطلب الاذن ، فلقيت عند السكرتير الشرقي للمعتمد (وهو فرنسي يعرف العربية) حقي بك العظم وخليل افندي زينية المشهورين ، فجرى بيننا حديث في موضوع سورية أفضى الى أن قلت للثلاثة : انكم تعلمون انني داعية استقلال لوطني ، لا أرضى بحماية ولا وصاية من فرنسة ولا انكلترة . وأقول لكم الآن انني أعتقد اعتقاداً مبنياً على طول التفكر والتروي أرجو أن تسمعوه وتكتبوه في مذكراتكم ، وتدعوه للزمان يصدقه أو يكذبه، وهو أن سورية لن تكون في المستقبل لفرنسة ، بل هي ستكون مستقلة خالصة لأهلها ان شاء الله ، أو لانكلترة لا سمح الله

ولا يستطيع أحد من الفرنسيس ولا من أشياعهم أن يتهمني بأنني من حزب الانكليز أو أبث الدعوة لهم ، فانهم جميعاً يعلمون أنني خلفت أستاذنا الاكبر السيد جمال الدين في الجهر بمعارضة السياسة البريطانية في المسألة العربية والمسألة الاسلامية بما يعلمون من الشدة . وانني ما اشتددت في معارضة سياسة الشريف حسين وأولاده لجهلهم وظلمهم وسوء تصرفهم فقط، بل ذنبهم الاكبر أنهم صنيعة الانكليز ويعملون لهم — وقد صرحت لكل من كلمته في هذه المسألة من كبار رجال فرنسة كغيرهم بأننا نعلم كغيرنا من الواقفين على أحوال الدول والأمم أن انكلترة ألين ملمساً وأحسن سيرة في الاستعمار من فرنسة كما يشهد بذلك الدكتور غوستاف لوبون أكبر فلاسفة الاجتماع والتاريخ في فرنسة نفسها ، وكنا نعلم هذا قبل أن نقرأ كتب هذا العالم الكبير ، وقبل أن نرى في بلادنا شراً مما كنا نسمع ونقرأ من اخبار مستعمراتها الافريقية، فماذا نقول اليوم ؟ وقد عملوا في

الشام مالم يسمع بشرمنه في تاريخ الشعوب الهمجية كلها الا ان تكون فظائع التتار ؟ ولقد ثار أهل العراق وأهل مصر في وجوه الانكليز، وقتل العراقيون في ثورتهم من الجنود البريطانية أكثر مما قتل السوريون من الجنود الفرنسية اضعافا ، ولم تفعل جنود انكلترة في القاهرة ولا في بغداد مثل مافعلت جنود فرنسة في دمشق وحماه ، دع تدميرها لقرى الفلاحين المنتجين على رءوس أطفالهم . نعم إن الإنكليز فعلوا نحواً من هذا في الهند ، ولكنهم لم يبلغوا شأو الفرنسيس ولا قاربوا

وجملة القول في هذه المسألة ان فرنسة تمهد لانكلترة في سورية اليوم كما مهدت لها في مصر من قبل بطبعها لا بطوعها ، وانها لن تستطيع أن تبقى في سورية الا تحت رحمة الانكليز ولهذه الرحمة اجل وغاية ، وانها لا بد أن تؤدي لهم على سكوتهم عنها الى منتهى ذلك الاجل أجراً أو جعلا أو مكافأة كلما أرادوا ذلك منها (أو كلما دق الكوز بالجرة) وان ما اشير عليها به من الاقتداء بعمل الانكليز في العراق لن يجعلها إن فعلته مساوية للانكليز في نظر السوريين بحيث يفضلون بقاءها في سورية على اتحاد سورية الكبرى بالعراق ، ولو تحت وصاية الانكليز أو رعايتهم ، وانما الذي يمكن أن يفضلها به السوريون ويتبعهم فيه جميع العرب وكذا جميع المسلمين هو شيء آخر معقول عندنا ويمكن أن يعقله الفرنسي في فرنسة لا في سورية ، فان الفرنسي اذا جاء سورية تبدل عقله وشعوره لانه يصير ملكا مطلقا يتمتع بجميع ما يشتهي في هذه الارض فينسى مصلحة فرنسة لا مصلحة سورية فقط ، وقد ذكرته لأحد كبار رجالهم في مصر فوافقني عليه ، ولكن أمر تنفيذه ليس اليه ، الذي يرضون به هو الاستقلال الحق المطلق مع مساعدة كالمساعدة التي بذلوها لمحمد علي باشا وهم يبذلون لفرنسة من الجزاء المادي والأدبي عليه ماهو خير لها من هذا التحكم الجائر بسلطانهم القومي والتصرف القاسي الذي يتلذذ به موظفوها المعددون وتخسر هي من أموالها ورجالها وصيتها الادبي ماذكرناه في أوائل هذا المقال (للمقال بقية)

انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك (*

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

إن للمسلمين شدة في دينهم ، وقوة في إيمانهم ، وثباتا على يقينهم ، يباهون بها من عداهم من الملل ، وإن في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض، ومما رسخ في نفوسهم أن في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين . ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين ، ويشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء ، وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم ، حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا أن واحداً ممن وسم بسمة الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف ، يلهج بالحوقلة والاسترجاع ، ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به ، بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ، ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من السنين لايتمالك قلبه من الاضطراب ، ودمه من الغليان ، ويستفزه الغضب، ويدفعه لحكاية مارأى كأنه يحدث عن غريب، أو يحكي عن عجيب .

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على مايدخل في ولايتهم من البلدان ، وكلهم مأمور بذلك لافرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه، وهو فرض عين على كل واحد منهم إن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام . ومن

(*) نشرت في العدد الخامس من جريدة العروة الوثقى الذي صدر بباريس في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ و ١٠ إبريل ١٨٨٤ وانشرناه الآن لتجددالحاجة اليه كيوم نشر ومنه بيان رأي حكيمي الامة السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده في مقام الخلافة الاسلامية الناقض لرأي الشيخ علي عبد الرازق السخيف ، وإنما خدم الحكيمان برأيهما الاسلام والمسلمين ، وخدم الشيخ علي عبد الرازق أعداء الاسلام المستعمرين

فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح، وارتكاب كل صعب ، واقتحام كل خطر ، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم ، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التماص من سلطة غيره، لوجبت عليه الهجرة من دار حربه — وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ، ولا يغير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة ، وما يفرض عليه الايمان، وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه، ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر ، ولا يألمون لما يألم له بعضهم ، فأهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكليز في أفغانستان على مواقع أنظارهم ، ولا يجيش لهم جاش ولا تكون لهم نعرة على اخوانهم ، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكليز في بلاد فارس ، ولا يضجرون ولا يتململون ، وإن جنود الانكليز تضرب في الاراضي المصرية ذهاباً واياباً تقتل وتفتك ، ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين على مجاري دمائهم ، بل السامعين لخريرها من حلاقيمهم، الذين احمرت أحداقهم من مشاهدها بين أيديهم وتحت أرجلهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو إلى الحيرة ، ويسبق إلى بيان السبب لخذ مجلا منه : إن الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية وإن كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم ، لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع الانفس عليها ، حتى يصير مايعبر عنه بالملكة والخلق ، وتترتب عليه الآثار التي تلائمها .

نعم إن الانسان انسان بفكره وعقائده إلا أن ماينعكس الى مرايا عقله من

مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير ، فكل شهود يحدث فكراً ، وكل فكر يكون له أثر في داعية ، وعن كل داعية ينشأ عمل ، ثم يعود من العمل إلى الفكر ، ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار ، مادامت الارواح في الاجساد ، وكل قبيل هو للآخر عماد .

إن للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ماتبعث عليه الضرورات ، وتلجيء اليه الحاجات ، عن تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع ، وتضافرهم على دفع المضار ، وبعد كرور الايام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذاً يصرفه في آثارها بقية الاجل ، ويكون انبساط النفس لعون القريب ، وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة ، جارياً مجرى الوجدانيات الطبيعية ، كالاحساس بالجوع والعطش والري والشبع ، بل اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعياً . فلو أهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها ، ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات إلى مايمكن تلك الصلة ويؤكدها ، أو وجد صاحب النسب من يظاهره في غير نسبه أو ألجأته ضرورة الى ذلك ، ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ، ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ماذكرنا في رابطة النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الأمر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض : اذا لم يصحب العقد الفكري ملجيء الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من أشكالها ، فلن يكون منشأ لآثاره ، وإنما يعد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول البينة ، والنظر فيها بعين الحكمة ، يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ماهم فيه مع شدتهم في دينهم ، والعلة في تباطؤهم عن نصرة اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم ، فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب إلا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال ، وانقطع التعارف بينهم

وهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل ، فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل ، فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عمن يبعد عنهم ، والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا ، بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ، ولا صلة تجمعهم، إلا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر . أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم ، بل لا أنساب بينهم ، وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الأفغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في الشرق ؟

هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد الا طفيف من الاحساس بأن بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم، وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة إذا التقى بعضهم ببعض في موسم الحجيج العام، وهذا النوع من الاحساس هو الداعي إلى الأسف وانقباض الصدر إذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد أجنبي عن ملته ، لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته . كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة إلى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان، ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد ، وفاطمية في مصر والمغرب ، وأموية في أطراف

الأندلس . تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك ، فسقطت هيبتها من النفوس، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيزخان وأولاده، وتيمورلنك وأحفاده، وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلوهم عن أنفسهم فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً، وانفرد كل بشأنه وانصرف الى مايليه، فتبدد الجمع الى آحاد، وافترق الناس فرقاً كل فرقة تتبع داعياً إما الى ملك أو مذهب، فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة، وتبعث على اشتباك الوشيجة، وصار ما في العقول منها صوراً ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذاكرة عند عرض مافي خزائن النفس من المعلومات، ولم يبق من آثارها إلا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عندما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان، وماهو الا نوع من الحزن على الفائت ، كما يكون على الاموات من الأقارب، لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة ، ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا الروح حياة الوحدة، ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض، ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر، ويجمعون أطراف الوشائج الي معقد واحد يكون مركزه في الأقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام ، حتى يتمكنوا بذلك شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان ، والقيام بحاجات الأمة إذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها

بما يحط من شأنها، ويكون كذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع ،فان إحكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف ، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة ،وليس يخاف على المستبصرين مايتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع مايغشاها من النوازل

الا إنا نأسف غاية الأسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وان التفت اليها في هذه الايام طائفة من أرباب الغيرة ، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذا الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيتهم، فقد دلتهم التجارب بيان لامزيد عليه ،وما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم ، ويصافحوا بالأكف من هو على مقربة منهم ،ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة أو مايخشى أن يمسها بضرر ، ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة ، والرمق باق والآمال مقبلة ،والى الله المصير

انموذج التربيه

تربية أمراء العرب قبل الاسلام

وكيف نستفيد منها في هذه الايام ؟

(وجدت هذه الرسالة فيما لدي من أوراق شيخنا الأستاذ الامام ، فرجوت أن يكون الانتفاع بنشرها الآن أعظم مما كان في عهد من كتبها ، وهو كما أظن أستاذ التربية والتعليم البصير حسن افندي توفيق المصري رحمه الله وهذا نصها):

السؤال

ما الذي كانت عليه أمراء العرب قبيل الاسلام ، حسبما تفيده أوصافهم المشروحة في قول الحطيئة ؟ :

يسوسون أحلاما بعيداً أناتها ... وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدّ
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمُ ... من اللوم أو سُدّوا المكان الذي سدّوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا
وإن كانت النعماءُ فيهم جزَوْا بها ... وإن أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا
مطاعين للهيجا مكاشيف للدجى ... بنى لهم آباؤهم وبنى الجدّ
ويعذلني أبناء سعد عليهم ... وما قلت إلا بالذي علمت سعدُ

وكيف يستفاد من هذه الأبيات أنواع التربية ؟ وما هي الطرق العمومية لأجل الوصول الى مثل هذه التربية وتكميلها في أمتنا بواسطة المدارس خصوصاً

الجواب

كانت تربية أمراء العرب قبل الاسلام كما ترشد اليه أبيات الحطيئة على أن يتخرج أولئك الامراء متوفرة فيهم الشروط التي تؤهلهم الى سدّ الأمكنة التي يشغلونها من المجتمع الانسانيّ في عصرهم

وتلك الشروط أوجبتها حالة اجتماع القبائل الذي كان قد أخذ يتقدم تقدماً عظيما في ذلك الوقت . وذلك لأن من شأن المجتمعات لما تكبر أنها تكون موجهة لجملة أمور :

(الأول) كما تكون ذريعة لاتساع الحضارة والعمران ، تكون سبباً لازدياد العلوم وانتشار المعارف ، ضرورة تبادل الافكار بين أفراد الجمعية ، وتجدد الأمور التي يقتضيها الترقي في المدنية . ومن المعلوم أنه لايتم نظام جمعية قلت أو كثرت ، إلا إذا كان على رأسها سادة يرجع اليهم الأمر في الحل والعقد، والنقض والابرام، وأنه لا يتهيأ لها نجاح في أمورها إذا تولى رئاستها من لاعلم لديه

لاتصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

فاقتضت حالة الاجتماع التي كانت عليها العرب قرب الاسلام أن يكون لجماعاتها المتنوعة رؤساء يقومون بالمصالح العامة ، وأن يكون أولئك الرؤساء لديهم كفاية من المعلومات يتنورون بها في تصرفاتهم، ويهتدون بها في سائر أحوالهم

ومن أجل ذلك لزمت تربيتهم تربية فكرية ، لائقة بمنزلتهم بين أبناء جنسهم ، ومناسبة للمعروف الجيل في عصرهم

(الثاني) لما كانت الكبيرة مسببة لعظم الاختلاط بين الناس، وداعية الى كثرة العلاقات بينهم، وتتولد عنها الفرص العديدة التي يتمكن فيها الانسان — اذا أهمل وطبيعته — من الاسترسال في الأهواء المستبدة ،والشهوات المهلكة، ومن التستر على أحواله الخارجة عن حدود الاعتدال ، وكان ذلك من دواعي الاختلال في نظام الاجتماعات ، وجب اتباعاً للحكمة، ورفقاً للمصلحة، أن يعوّد أفراد الجميات على محاسن الأعمال ، وخصائص الأخلاق

ولما كانت الخاصة أسوة العامة في السلوك الانسانيّ ، وكان رؤساء كل جماعة أول مطالب باستئصال عروق الشر والفساد ، وتمكين أسباب الخير والصلاح ، اقتضت حالة الاجتماع العربيّ قبيل الاسلام أن يتصف أمراء القبائل بأكل مايرام من الآداب التي يستحقون بها أن يكونوا قدوة لمرءوسيهم، وأن يكون لديهم مايتمكنون به من حمل أقوامهم على الانتظام في الأمور ، وحسن السير في المعاملة . ومن ثمّ كانوا يرون من المتحتم عليهم أن يكونوا متربين ﴿ تربية أدبية ﴾ لائقة بمقامهم ، وموافقة لمألوفات قومهم

(الثالث) عظم المجتمعات ينشأ عنه زيادة حاجات المعيشة، وبسبب تعاون الأيدي ، واشتراكها في تحصيل النافع ، تكثر الخيرات ، وتتوفر أمتعة الحياة ، وينجم من ذلك أن أهل الدعة ، والمحبين لأنفسهم، الساعين في منافعهم الشخصية، يأخذون في تسخير الناس لقضاء حوائجهم من غير أن ينفعوهم بشيء ، وأن الأقوياء والمناكرين يطمحون بأطماعهم الى ما في أيدي الناس واغتصابه منهم بالقوة إذا أمكن ، أو انتزاعه منهم بالحيلة ، وممانعتهم عنه بكل مايمكنهم من

الطرق . ولهـذا كان من الضروري للعائش بين قوم أن يكون صحيح الجسم ، قويّ البدن ، ذا بأس شديد ، حتى يتأتى له أن يعمل ماينفع وينتفع به ، ولكي اذا اضطرته الحالة يمكنه المدافعة عن نفسه ونفيسه ممن يتعدّى عليه ، وكان من أقصى الواجبات على من يرصدون أنفسهم لتولي أمور الجمهور أن يتخـذوا الوسائل التي يكونون بها من الأصحاء الأقوياء الأشداء ، ليقوموا بواجب حماية الضعفاء ونصر المظلومين ، وحفظ حقوق الناس ، ومنع أسباب التعدّي من بينهم — وقد علم أمراء العرب بالتجارب هذه الغاية ، فأوجبوا على أنفسهم ﴿ تربية جسمية ﴾ تعدّهم لحماية أقوامهم ، وتمكين الأمن بينهم

فذلك ما كانت عليه تربيـة أمراء العرب قبيل الاسلام حسبما ترشد اليه أبيات الحطيئة

فكانت إذن على أنواع ثلاثة :

(١) تربية فكرية

(٢) تربية أدبية

(٣) تربية جسمية

فأما التربية الفكرية

فقد جلى نورها في قوله :

﴿ مكاشيف للدجى ﴾

إذ هو عبارة عن أنهم عارفون بالأمور معرفة تامة ، مبينون لها تبييناً كاملاً ، فالواحد منهم فضلا [١] عن أنه نيّر في نفسه منوّر لغيره

إذا قال لم يـترك مقالا لقائل ... بملتقطات لا ترى بينها فصـلا

كفى وشفى مافي النفوس فلم يدع ... لذي إربة في القول جداً ولا هزلا

(١) : فضلا عن كذا : يستعمل في سياق كقولك لا يملك الدرهم فضلا عن الدينار .النفي ويستغني عنه هنا بمثل : نير في نفسه وهو على ذلك منور لغيره

لأن العلم المتمكن أشبه بالضوء الساطع الذي يشرق على الأشياء فيجعلها في غاية الظهور حتى للضرير ، والجهل المطبق أشبه بالظلام الذي يتراكم عليها فيصيرها في نهاية الخفاء حتى على البصير. كما قيل :

* العلم نور ، والجهل عمى *

وقد لخص خلاصتها في قوله :

* أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا *

حيث هو عبارة عن أنهم لا يشرعون في أمر من الأمور إلا أحكموه تمام الاحكام ، فان الأمر المحكم الذي لا يقبل النقض مدى الأزمان ، كالبناء المتقن الذي لا يتهدم على توالي الأيام ، ولا شك أن إبرام الأمور على أحكم نظام، يحتاج إلى علم راسخ وتبصر تام

وأما التربية الادبية

فقد أودع ثمرتها في قوله :

يسوسون أحلاما بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد

وفي قوله

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

حيث أفاد أنهم يسلكون مع الناس على مقتضى العقل ، ويعاملونهم بالحلم ، ولا يغضبون عليهم الا في الجد ، ويثمر فيهم المعروف ، ويحلو منهم الجميل

تخالهم للحلم صما عن الخنا وخرساً عن الفحشاء عند التهاتر
ومرضى اذا لاقوا حياء ومنة وعند الحروب كالليوث الكواسر [1]
لهم عز انصاف وذل تواضع بهم ولهم ذلت رقاب العشائر
كأن بهم وصما يخافون ناره وليس بهم الا اتقاء المعاثر [2]

أليست هذه مكارم الأخلاق وخصائص الآداب؟

(١) وفي نسخة ويوم الوغى مثل الليوث الكواسر
(٢) المعاثر أنواع العثار أو مواضعه ويجوز أن تكون محرفة عن المعاير من العار

وأما التربية الجسمية

فقد أجمل أثرها في قوله : ﴿ مطاعين للهيجا ﴾ لأنه لا يجيد الطعان عند احتدام القتال الا من كان له جسم شديد ، وقلب من حديد .

وترى الفوارس من مهابة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدل

الطريقة

التي كانت متخذة في التربية العربية

كانت طريقة تربية العربي طبيعية عملية، بمعنى أن العرب بنوها على مقتضى طبيعة الانسان ، وطبيعة الأشياء التي يمكنه أن يعلمها . وسنأتي على تفصيل هذا المعنى بعد إن شاء الله تعالى

وكانت تلك الطريقة متبعة في جميع أنواع التربية

﴿ أما في التربية الفكرية ﴾

فكان العربي يدرس الأشياء على نفس الأشياء، تتمثل له بذاتها، ويتصورها بنفسه ، ويحكم فيها بعقله ، ويجربها بشخصه ، فيصفها عن مشاهدة ، ويقضي فيها على بصيرة ، ويستعملها عن تجربة

وكان يمشي في طول الأرض وعرضها ، فيصعد الجبال والآكام ، ويجوب البراري والقفار ، يعبر الأنهار ، ويشرف على البحار ، وينزل في القرى والأمصار ، فكان يعرف البلاد في مواضعها ، ويطلع على الأراضي في مواقعها .

وكان يحضر النوادي ، ويسمع فيها أخبار الأولين ، وسير الماضين ، من أفواه المعمرين والعالمين بأيام الناس، ويشاركهم برأيه في استحسانها أو استقباحها

وكان يحصي عدة الأشياء بعقله ، ويحسبها جمعاً وتفريقاً في نفسه ، وكان يرسم أشكال الأشياء في ذهنه ، ويقدر الأبعاد والمسافات بنظره

وكان يتلقى اللغة حية صحيحة عن أهلها ، فكان يسمع الكلمات بأذنه ، ومعانيها حاضرة لحواسه ، أو متمثلة لعقله . وكانت تصور له الأشياء البعيدة

عن حسّه ، أو الغريبة عن عقله ، بمشابهاتها المحسوسة له ، أو المعروفة لديه ، وتطرق مسامعه الأساليب الكلامية البديعة ، التي يرى تأثيرها في الناس ولطف مأخذها بقلوبهم ، وحسن مدخلها على أفهامهم ، فكان يتلقن اللسان العربي المبين عن أرباب البلاغة العظيمة ، فيحاكيهم في البيان ، ويجادلهم في القول ، ويسابقهم الى الابداع والاختراع

﴿ وأما في التربية الأدبية ﴾

فكان يتأدب بآداب القوم الذين يعيش بين ظهرانيهم على وجه التأسي بهم ، فكان يرى القناعة غالبة عليهم فيتخلق بها ، ويجد العفة سائدة فيهم فيتحلى بها ، وينظر الى الكرم وهو منتشر فيهم فيتخذه شيمة له ، وهكذا في سائر الأخلاق والشيم ، كان يوجبها على نفسه اقتداء بأفعالهم وأحوالهم ، واتباعاً لما يصدر عنهم من الحكم الساطعة ، وعملا بما يضربونه من الأمثال السائرة

﴿ وأما في التربية الجسمية ﴾

فكان نفس أقليم العرب وأحوال معايشهم حاملة للناشىء بينهم على مباشرة الأعمال التي تكسبه قوة الجسم ، وصلابة الأعضاء ، وخفة الحركات ، مابين انتجاع للمرعى ، وارتياد للماء ، وسفر لمبادلة المنافع ، وما يقتضيه الحل والترحال ، من تحميل الأثقال وتنزيلها ، ونصب البيوت وتقويضها ، وسلوك السهول والأوعار ، في برد الليل وحرّ النهار ، ولا يخفاك ما يلزم من البأس الشديد لمن يعيش بين الحيوانات الضارية ، والسباع الكاسرة ، ومن يكون عرضة في كل وقت للاغارات التي تسوقها الأطماع . ولذلك كان العربي دائما في التمرن على المجالدة أو المصارعة ، أو المجاراة أو المطاردة ، أو الفروسية وركوب الخيل ، أو غير ذلك من الأعمال التي تجعل الجسم كالحديد ، والأعضاء في حركاتها أسرع من الريح الشديد ، ثم إنه كانت تتربى له من كثرة مشاهدة الحروب ، وطول مجاورة الليوث ، جراءة وبسالة وقوة نفس ، لا يخاف معها لا من مخالب الأسود ، ولا من أسلحة الصناديد

﴿ الطريقة التي كانت متبعة في التربية العربية ﴾

﴿ وبيان أنها طبيعية عملية ﴾

من نظر في طبيعة الانسان ومعلوماته ، وكان له معرفة بالتجارب الانسانية يجد بين ذلك وبين الطريقة التي كانت مستعملة في التربية العربية تمام الموافقة

﴿ أما في تربية العقول ﴾

فلأن الانسان بالطبع إنما يحصل على المعارف الأولية من طريق الحواس وعقله دائما في احتياج الى التغذي بالمعلومات التي تصل اليه بواسطتها

فكلما كانت حواس المرء أكثر تناولا للأشياء ، وأعظم تمييزا لأوصافها وأسرع وصولا الى دقائقها ، كان المرء أوسع علماً ، وأحد ذهناً ، وأكمل نباهة — ومن أجل ذلك كان العربي يطلع بقدر استطاعته على الأشياء بذاتها ، ويتمرن على اكتشاف أسرارها بنفسه ، فكان ينشأ غزير المعرفة ، قوي التصور ، شديد الفطنة

ومن (القواعد المقررة) أنه كلما كان العقل أكثر عملا بنفسه في تصور الأمور والحكم عليها ، كان أقوى حصولا على المعارف ، وأمضى نظراً في المعلومات ، وأقرب إصابة للحقائق ، وهذه هي الحكمة في اتخاذ العرب طريقة الارشاد في تربية أفكارهم ، فكان العربي يقدر على استعمال عقله دائما في كل مايريد معرفته ، وبسبب هذه العادة كان ينفر عن تلقي المسائل تلقيناً صرفا وقضايا مسلمة . واذا مشى مع آراء الناس فلحد مايعرف سيرها وغايتها ، فان وجدها مصيبة ، وإلا اتبع الصواب . ولذلك كان ينشأ متوقد القريحة ، ثاقب الفكر ، صائب الرأي . وزيادة على ذلك أنه لما كان يشغل عقله كان يجد سروراً من وقوفه بنفسه على الحقائق ، ولذا كان عظيم الشوق الى المعارف

﴿ وخلاصة الكلام ﴾ أنه لما كان من طبيعة العقل الانساني العمل بنفسه ، واكتساب المعلومات ، إما بواسطة الحواس ، وإما بشغله الذاتي . وقد علم بالتجربة أنه يقوى بالتمرن والتدرب رأى العرب من الواجب أن تكون الطريقة في تربية عقولهم اطلاعها على الأشياء ، وإرشادها الى كيفية العمل في الحصول على

المعارف ، وتمرينها ما أمكن على الشغل بنفسها . وبما أن اللغة بطبيعتها عبارة عن ألفاظ موضوعة بالاصطلاح للدلالة على المعاني التي يمكن أن تتناولها الأفكار - فمن الضروري لمن يريد التكلم باحدى اللغات أن يقف على أنواع ألفاظها المفردة والمركبة ، وما تدل عليه من المعاني المتنوعة ، وبالطبع لايحصل المرء على النجاح في اللغة إلا بثلاثة شروط

(الأول) أن يلقن مبانيها على وجه الصحة والصواب ليجتنب الأغلاط اللسانية

(الثاني) أن يلقن ألفاظها عند قيام معانيها بذهنه ، حتى يكون عنده الارتباط محكما بين الدوال والمدلولات ، فيأمن اللبس الناشىء عن استعمال المفردات أو التركيب في غير ماتستعمل فيه

(الثالث) أن يتمرن كثيرا على محاكاة ما تلقاه لتتربى له ملكة النطق على الهيئة المعروفة فيها ، وأن يتعود اختراع الأساليب الكلامية ، ليكون محاكيا للغة بعقل ، متصرفا فيها بفهم ، غير محتاج الى تلقين مستمر

﴿ فالطريقة ﴾ إذن في تعليم اللغة هي التلقين الصحيح ، والتعويد على المحاكاة التعقلية ، وعليها جرى العرب

﴿ وأما في تربية الآداب ﴾

فقد دل النظر في طبيعة الانسان على أنه — خصوصا في ابتداء نشأته - يتبع أكثر مما يبتدع . وتقليداته أكثر من عندياته، وذلك لقلة معرفته بالأمور ، وقصور عقله عن التمييز بين محاسن الأشياء ومساويها . وأفادت التجارب أن طول التعود على الشيء ملحقة بالطبائع — فرأى العرب من الحكمة في تربية الأدب أن يكون للناشىء بينهم أسوة حسنة فيهم ، حتى يتعود من صغره على مكارم الأخلاق ، فاذا شب وكبر عقله وجد فيما تعود عليه مثالا واضحا للنصائح الأدبية التي تتناثر عليه حينئذ من أفوه قومه

﴿ وأما في تربية الأجسام ﴾

فقد رأوا أنه لاطريق لنماء الأبدان وصحتها غير سياسة البطون ، ولا سبيل الى القوة وشدة البأس غير رياضة الأجسام ، ولا وسيلة الى اشعار القلوب

بالجراءة الا اقتحام الأخطار ، فعملوا على مقتضى ماعلموا .

فقد تبين أن الطريقة التي كانت تستعملها العرب في التربية طبيعية عملية وهذه الطريقة هي التي يؤيدها العقل ، وتشهد بصحتها التجارب ، وقد تكفلت بالنجاح لكل من يستعملها . ومن يبغي الوقوف على نتيجة اتباعها في تربيــة الأخلاق والأجسام ، فليطلع على حال العرب وسيرهم ، ومن يحب أن يعرف نتيجة اتباعها في تربية العقول، فليطالع المنشآت العربية شعراً ونثراً ، ويتفهمها جيداً ، فانه يجد فيها كثيراً من العلوم العالية ، التي لا يصل اليها إلا فحول أهل المعرفة والدراية ،

ولنسق مثالا لهذا الأمر الأخير بعض أبيات الشــعر الذي هو موضوع كلامنا ،وننظر الى الأفكار التي يتضمنها ، والأساليب التي صيغت عليها معانيها. فاليك أول بيت منه وهو :

يسوسون أحلاماً بعيــداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدّ

عــبَّر فيه عن ثلاث صــفات للقوم وهي : الحلم المصلح ، والغضب الجدّ ، والعقاب المؤلم . فالصــنفان الأوليان من المعاني التصوّرية التي يعرفها الانسان (في نفسه) بالوجدان ، ويفهمها (من غــيره) بالعلامات التي تدلُّ عليها . فعلامة الحلم السكينة والرزانة مع قيام أسباب الاستفزاز ، ومع القــدرة على تعجيل الايقاع والانتقام ، ولا بدّ من تكرر الأحوال التي تظهر فيها هذه العلامة حتى يصل العقل بنظره الاســتقرائي الى أن ماوراءها هو الحلم لا العجز ، وعلامة الغضب تتبين في الحركات ، وتظهر على الوجه ، وبالأخص في العينين ، ويفهمها الانسان من أول وهــلة . من غير نظر ولا تروّ ، غــير أنه لابدّ من التأمل في أسباب الغضب في كل مرة يحدث فيه ، حتى يستنتج أنه إنمـا يحصل للجد والحق لا للأهواء والشهوات

وأما العــقاب المؤلم ، فهو من المعاني العقلية الصرفة باعتبار أنه من قبيــل الفعل الغامز المقابل لبقية الأغراض ، فاذا اعتبر فعلا خاصاً فتارة يكون معقولا كحرمان المعاقب من الرضا مثلا ، وتارة يكون محسوساً كضربه بالسوط مثلا.

فتلخص أن المعاني الأصليــة التي أودعها الحطيئة في ذلك البيت ثلاثة ،

وأن طرق إدراكها مختلفة بين الوجدان ، وبين الفهم مع التعقل ، وبين الحس أو العقل الصرف ، غير أن المعنى الأول وهو حلم القوم صاغه الشاعر في قالب تخيلي اختراعي ، حيث صوّر بهيئة الحكم الحلي الايجابي ، وحالة القوم المالكين لنفوسهم ، الموطنين لها على تحمل آلام التعدي أو المخالفات والصبر عليها أزمانا طوالا[1] رغبة في السرور الذي تناله بارجاع المخالفين الى الحسنى بحالة الرائضين للخيل ، الصابرين على حرانها ، طلبا للذة تذليلها والانتفاع بها ، أو بحالة السائسين للرعايا ، المتحملين لتعللاتها ، انتظاراً للفرح بسلوكها الجادة القويمة ، ولا يخفى ما دخل في تركيب ذلك التخيل الاختراعي من المعاني وهي (السياسة) و (الأشخاص) التي نسبت اليهم و (العقول) المسوسة و (طول التأني) الموصوفة به العقول ، فالأشخاص إدراكها حسي ، وما عداها فعقلي

ثم إن المعنى الثالث[2] وهو عقاب القوم المؤلم أفاده ضمناً في قوله (جاء الحفيظة والجد) حيث جعل غضبهم هو الغضب الحقيقي ، والجد الذي لا هزل معه . وهذا يستلزم استتباع حفيظتهم النكال ، وتلك هي الحكمة في صوغ المعنى الثاني في صيغة الحكم الشرطي الايجابي — والبيت الثاني وهو :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سُدّوا المكان الذي سدوا

وضح فيه مطلوبه من اللائمين وما يتمناه فيهم ، فتمنى فيهم - ونعوذ بالله - الخذلان وعدم الناصر ، وهو معنى متصوّر له عقلا ، وتمنيه معروف له بالوجدان ، وطلب منهم أحد أمرين : إما ترك لوم الممدوحين ، واما القيام مقامهم ، وكل منهما معنى متصور عقلا ، وكل من رغبة الأول وكراهة الثاني - لو أمكن حصوله وجدانية - وطلب حصول المعنى الثاني مبين بصورة اختراعية يتناولها الحس في البناء — والبيت الثالث وهو :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

---

(١) في الاصل طويلا أزمانا ولعله من سهو النسخ (٢) قوله المعنى الثالث يريد به الثالث من الصفات المودعة في البيت التي ذكرها عقب ذكره وهي الحلم والغضب والعقاب - لا للمعاني التخيلية التي للاول منها

أسفر فيه عن ثلاث صفات : إحكام الأعمال ، والوفاء بالمعاهدات ، والدّوام على صفاء المحالفات ، أما الصفة الأولى فهي معنى عقلي قامت لدى الشاعر الدلائل الحسية والمعنوية على اتصاف القوم به ، فصوره بصورة تخيلية اختراعية ضمنها الحكم الشرطي الايجابيّ المحتوي على معنى البناء الحسيّ ومعنى الاحسان المعنوي المنسوب الى الأشخاص المدركة بالحس ، وكل من الصنفين الآخرين معنى وجداني معبر عنه بصيغة الحكم الشرطي الثبوتي ، وكلتاهما تحتاج الى نظر ودليل في ثبوتهما للقوم ، والصفة الأخيرة وبينها الشاعر على أسلوب تخيلي لاتخفى المعاني التي تكون منها . . . . . . الخ

ومن يتفهم باقي هذا الشعر كغيره من كلام العرب نظما ونثراً على الكيفية التي شرحنا بها معاني الأبيات السابقة يتضح له أن عقول العرب كانت نيّرة ، مدربة على ملاحظة الأمور، متفطنة لدقائقها ، ماضية في استحضار المعاني ومقارنتها، مصيبة في النظر بين أطرافها ، وتقرير النسب بينها ، قادرة على كشف خفاياها وإبراز المعقول منها في صورة المحسوس . ولا يخفى أن ذلك نتيجة تربيتها الفكرية على الطريقة الطبيعية العملية

بيان الطرق العمومية

﴿لأجل الوصول الى مثل التربية العربية وتكميلها في أمتنا بواسطة المدارس خصوصاً﴾

لا شك أن الطريقة التي كانت مستعملة في التربية العربية جديرة بأن نعمل بها ، غير أن مقتضيات الأحوال في زماننا الحاضر ومكاننا الخاص توجب علينا اتباع تلك الطريقة بعد أن ندخل فيها من التكميلات ماتكون به موافقة لحالتنا الحالية . وهذه التكميلات تنتظم في سلك جملة أنواع

﴿ الأول ﴾ لما كان النوع الانساني في العصر الحالي بالغاً مبلغاً عظيما في المدنية المحتاجة إلى سعة المعارف وإتقان ضبط الأمور ، لزم أن تكون الطريقة في تربية الناشئة هي تعليمهم باللسان والقلم معاً ، ليكون الفهم منها ذا أذنين ، والكلام ذا لسانين . ومن أجل ذلك كان من أصول التربية المتحمة في أيامنا هذه تعليم كل إنسان القراءة والكتابة ، لأن محاربة الأمية في عصرنا هي الجهاد

الأكبر ، واستئصالها هو فتح الفتوح

(الثاني) بما أن أحوال الوقت الحالي أوجبت أن يكون الطرف الأعظم من التربية حاصلا في « المدارس » تعين بسبب الاجتماع المدرسي أن يكون كل نوع من أنواع التربية التي شرحناها آنفاً على كيفية خاصة كافلة بالنجاح

الكيفية التي يجب أن تكون عليها التربية الفكرية في المدارس

هذه الكيفية لابد في حصولها من جملة أمور

(الأول) أن تقسم التلامذة فرقاً على حسب درجات عقولهم ومقدار معارفهم ، وأن يخصص لكل فرقة المكان المناسب لها ، المستوفي للشروط الصحية ، وأن ينتخب لها من يليق من المربين والمعلمين الذين تحلوا بصفات الكمال

(الثاني) أن يعطى لكل فرقة في زمن محدد مقدار من العلوم أو الفنون مناسب لمداركها ، ولائق بذلك الزمن بحيث يمكن تقريره في مدته تقريراً تاما

(الثالث) أن يعين لكل علم أو فن الوقت المناسب له من اليوم والاسبوع على حسب أهميته ومقدار منفعته

(الرابع) أن تعتبر القراءة والكتابة أساس التعليم فتضمن الأصول التي تتفرع منها العلوم والفنون

(الخامس) أن يكون التعليم على الطريقة العربية التي شرحناها بحيث يبتدىء بالمحسوسات ، ثم يعقب المعنويات ، ويقدم السهل على الصعب ، والمعلوم قبل المجهول ، ويكون في جميع الأحوال إرشاداً جميلا عربيا لجميع القوى العقلية باعثاً للشوق الى المعارف

(السادس) أن يكون درس الأشياء على نفس الأشياء بقدر الامكان بحيث لا يعين على صورها أو وصفها وتمثيلها بالكلام الا اذا تعذر احضارها ، وأن يتوجه بالتلامذة حيناً فحيناً الى الأماكن التي يطلعون فيها على ذوات الأشياء الطبيعية والصناعية

(السابع) أن يكون في مقدمات التعليم تنوير عقول التلامذة بنور الدين الحنيفي وتغذيتها بالحكم العربية

كتاب ابن تيمية

الى الشيخ ناصر المنبجي

هؤلاء الذين تكلموا في هذا الامر لم يعرف لهم خبر من حين ظهرت دولة التتار وإلا فكان الاتحاد القديم هو الاتحاد المعين وذلك أن القسمة رباعية فان كل واحد من الاتحاد والحلول اما معين في شخص واما مطلق، أما الاتحاد والحلول المعين كقول النصارى والغالية في الائمة من الرافضة وفي المشايخ من جهال الفقراء والصوفية فانهم يقولون به في معنى اما بالاتحاد كاتحاد الماء واللبن وهو قول اليعقوبية وهم السودان ومن الحبشة والقبط ، واما بالحلول وهو قول النسطورية، واما بالاتحاد من وجه دون وجه وهو قول الملكانية

(وأما الحلول المطلق) وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء فهذا تحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية وكانوا يكفرونهم بذلك

وأما ماجاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم اليه الا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة : وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وان وجود ذات الله خالق السموات والارض هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا انه رب العالمين ولا انه غني وما سواه فقير، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق واكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة امرهم لانه أمر مبهم

(الاول) أن يقولوا إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ذاتها أبدية أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق، ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك . ويقولون إن الله سبحانه لم يعط أحداً شيئاً ولا أغنى أحداً ولا أسعده ولا أشقاه وإنما وجوده فاض على الذوات فلا تحمد إلا نفسك ولا تذم إلا نفسك، ويقولون ان هذا هو سر القدر وان الله تعالى انما علم الاشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم خارجا من نفسه المقدسة ، ويقولون ان الله تعالى لا يقدر أن يغير ذرة من العالم، وانهم قد يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم وعلم الله تعالى من معدن واحد، وانهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه لانهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحي به الرسل، ويقولون انهم لم يعبدوا غير الله ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى، وان عباد الاصنام ما عبدوا الا الله سبحانه، وان قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) معنى حكم لا معنى أمر فما عبد غير الله في كل معبود فان الله تعالى ما قضى بشيء الا وقع، ويقولون ان الدعوة الى الله تعالى مكر بالمدعو فانه ما عدم من البداية، فيدعى الى الغاية ، وان قوم نوح قالوا (لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرن وَدّا ولا سُواعا) لانهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منهم، لان للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه وينكره من أنكره، وان التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر

حتى عبد، فان الجاهل يقول هذا حجر وشجر، والعارف يقول هذا محل المجلي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر، فان النصارى انما كفروا لانهم خصصوا، وإن عباد الاصنام ماأخطأوا الا من حيث اقتصارهم علىَ عبادة بعض المظاهر، والعارف يعبد كل شيء، والله يعبد أيضا كل شيء لان الاشياء غذاؤه بالاسماء والاحكام وهو غذاؤها بالوجود، وهو فقير اليها وهي فقيرة اليه، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى، ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة واضافة بين الوجود والثبوت وليست اموراً عدمية، ويقولون «من أسمائه الحسنى العلي عن ماذا وما ثم الا هو ؟ وعلى ماذا وما ثم غيره ؟ فالمسمى محدثات وهي العلية لذاتها وليست الاهو، ومانكح سوى نفسه، وما ذبح سوى نفسه. والمتكلم هو عين المستمع» وان موسى انما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه، وان موسى كان أوسع في العلم فعلم انهم لم يعبدوا الا الله، وان أعلى ماعبد الهوى، وان كل من اتخذ الهه هواه فما عبد الا الله. وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين وقد صدقه السحرة في قوله أنا ربكم الاعلى، وفي قوله ما علمت لكم من اله غيري،

وكنت اخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين وأقول إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع حتى حدثني بعض عن كثير من كبرائهم انهم يعترفون ويقولون نحن على قول فرعون(١) وهذه المعاني كلها هي قول صاحب الفصوص والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات،

(١) كذا في الاصل ويراجع في رسالة ابطال وحدة الوجود (ص١١٧) من مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام

الاحياء منهم والاموات (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)

والمقصود أن حقيقة ماتضمنه كتاب الفصوص المضاف الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاء به وهو ما اذا فهم المسلم بالاضطرار(١) أن جميع الانبياء والمرسلين وجميع الاولياء والصالحين بل جميع عوام أهل الملل من اليهود والنصاري والصابئين يبرؤن الى الله تعالى من بعض هذا القول فكيف منه كله. ونعلم أن المشركين عباد الأوثان والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخالق الباريء المصور — الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور — ربهم ورب آبائهم الاولين — رب المشرق والمغرب. ولا يقول أحد منهم انه عين المخلوقات، ولا نفس المصنوعات، كما يقوله هؤلاء، حتى انهم يقولون لو زالت السموات والارض زالت حقيقة الله. وهذا مركب من أصلين

(أحدهما) أن المعدوم شيء ثابت في العدم كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والاجماع وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالقاضي أبي بكر كفر من يقول بهذا وانما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالاشياء قبل كونها وانها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى

(١) كذا في الاصل وفيه ماترى والمعنى ان ما في كتاب الفصوص من أمثال ماذكر يفهم كل مسلم أنه مخالف لدين الله على ألسنة جميع رسله وانه مما يتبرأ منه عوام جميع الملل

كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها فيفرقون بين الوجود العلمي وبين الوجود العيني الخارجي

ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم) فذكر المراتب الاربع وهي الوجود العيني الذي خلقه ، والوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه . ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم، فانه مستلزم المراتب الثلاثة وهذا القول ـ اعني قول من يقول ان المعدوم شيء ثابت في نفسه خارج عن علم الله تعالى ـ وان كان باطلا ودلالته واضحة لكنه قد ابتدع في الاسلام من نحو اربعمائة سنة . وابن العربي وافق أصحابه وهو أحد أصلي مذهبه الذي في الفصوص

(والاصل الثاني) أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه . وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية، لكن ابن العربي أقربهم الى الاسلام وأحسن كلاما في مواضع كثيرة ، فانه يفرق بين الظاهر والمظاهر فيقر الامر والنهي والشرائع على ما هي عليه ، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الاخلاق والعبادات ، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكهم فينتفعون بذلك وان كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله

(وأما) صاحبه الصدر الرومي فانه كان متفلسفا فهو أبعد عن الشريعة

والاسلام، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول كان شيخي القديم متروحنا متفلسفا والآخر فيلسوفا متروحنا - يعني الصدر الرومي - فانه كان قد أخذ عنه ولم يدرك ابن عربي في كتاب مفتاح غيب الجمع والوجود(١) وغيره يقول إن الله تعالى هو الوجود المطلق والمعين كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين والجسم المطلق والجسم المعين. والمطلق لا يوجد الا في الخارج مطلقا لا يوجد المطلق الا في الاعيان الخارجة. فحقيقة قوله انه ليس لله سبحانه وجود أصلا ولا حقيقة ولا ثبوت الا نفس الوجود القائم بالمخلوقات. ولهذا يقول هو وشيخه ان الله تعالى لا يرى أصلا، وانه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده — تعالى الله عما يقولون

(وأما) الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر فانه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه. وان العبد انما يشهد السوى ما دام محجوبا فاذا انكشف حجابه رأى انه ما ثم غير يبين له الامر. ولهذا كان يستحل جميع المحرمات حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول البنت والام والاجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا وانما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم. وكان يقول القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وانما التوحيد في كلامنا. وكان يقول أنا ما امسك شريعة واحدة، واذا أحسن القول يقول القرآن يوصل الى الجنة وكلامنا

(١) قوله: في كتاب الخ القطع في مطبوعه وكتاب مفتاح غيب الجمع والوجود لصدر الدين القونوي هذا ما [illegible] الاسلام نقل مقاصده من كتابه هذا على ضلالته

يوصل الى الله تعالى .وشرح الاسماء الحسنى على هذا الاصل الذي له. وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء وشعره في صناعة الشعر جيد ولكنه كما قيل: لحم خنزير في طبق صيني.وصنف للنصيرية عقيدة. وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه

(وأما) ابن سبعين فانه في البدو والاحاطة يقول أيضا بوحدة الوجود وانه ماثم غير ،وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك لكن لم يصرح هل يقول بمثل قول التلمساني أو قول الرومي أو قول ابن العربي وهم الى كلام التلمساني أقرب ، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ماكفره أحد قط مثل التلمساني وآخر يقال له البلباني من مشايخ شيراز ومن شعره

وفي كل شيء له آية تدل على انه عينه

وأيضا :

وما أنت غير الكون بل انت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائقه

وأيضا :

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي لاني فى التحقيق لست سواكم

وأيضا :

ما بال عيسك لا يقر قرارها وإلام ظلك لايني متنقلا
فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا اليك اذا بلغت المنزلا

وايضا :

ماالامر الا نسق واحد مافيه من حمد ولاذم
وانما العادة قد خصصت والطبع والشارع فى الحكم

وأيضا :

ياعاذلي أنت تنهاني وتأمرني والوجد أصدق نهاء وأمار

فان أطعك وأعص الوجد عدت عمي عن العيان الى أوهام أخبار

فعين ماأنت تدعوني اليه اذا حققته تره المنهيّ ياجاري

وأيضا :

وما البحر الا الموج لاشيء غيره وان فرقته كثرة المتعدد

الى امثال هذه الاشعار، وفي النثر مالا يحصى، ويوهمون الجهال أنهم مشايخ الاسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الامة مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ومالك ابن أنس والاوزاعي وابراهيم بن ادهم وسفيان الثوري والفضيل بن عياض ومعروف الكرخي والشافعي وابي سليمان واحمد بن حنبل وبشر الحافي وعبد الله بن المبارك وشقيق البلخي ومن لا يحصى كثرة الى مثل المتأخرين مثل الجنيد بن محمد القواريري وسهل بن عبد الله التستري وعمر بن عثمان المكي ومن بعدهم الى أبي طالب المكي الى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ أبي مدين والشيخ عقيل والشيخ أبي الوفاء والشيخ رسلان والشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الله اليونيني والشيخ القرشي وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان من الاولين والآخرين .

كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم وان الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءاً من خلقه ولا صفة لخلقه بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك

جاءت الكتب الاربعة الالهية من التوراة والانجيل والزبور والقرآن وعليه فطر الله تعالى عباده وعلى ذلك دلت المقول

وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار واندراس شريعة الاسلام وان هؤلاء مقدمة الدجال الاعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ولكن بعض الاشياء أكبر من بعض وأعظم، واما على رأي صاحب الفصوص فان بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم لمظام ذاته الثابتة في العدم. وأما على رأى الرومي فان بعض المتعينات يكون أكبر فان بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض. وأما على البقية فالكل اجزاء منه وبعض الجزء اكبر من بعض. فالدجال عند هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين واكبر من الرسل بعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فموسى قاتل فرعون الذى يدعي الربوبية، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى الذى قيل فيه انه الله تعالى وهو بريء من ذلك على مسيح الضلالة الذي قال انه الله

ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «انه أعور (١)» وكونه قال «واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت» وابن الخطيب انكر أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لان ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال أبين من أن يستدل

(١) تتمة الحديث « وان الله ليس بأعور » رواه الشيخان من حديث ابن عمر وهذا لفظ البخاري وهذه الجملة هي محل التعجب الذي حمل ابن الخطيب وهو الفخر الرازي على انكار الحديث

عليه بأنه أعور فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية وتدبرنا ماوقعت فيه النصارى والحلولية ظهر سبب دلالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لامته بهذه العلامة فانه بعث رحمة للعالمين فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور الرب في البشر أو يقول انه هو البشر كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلا على انتفاء الالهية عنه

وقد خاطبني قديما شخص من خيار أصحابنا كان يميل الى الاتحاد ثم تاب منه وذكر هذا الحديث فبينت له وجهه وجاء الينا شخص كان يقول انه خاتم الاولياء فزعم أن الحلاج لما قال أنا الحق كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه كما يتكلم الجنى على لسان المصروع وان الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان من هذا الباب . فبينت له فساد هذا وانه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزلة موسى بن عمران وكان من خاطبه هؤلاء أعظم من موسى لان موسى سمع الكلام الالهي من الشجرة وهؤلاء يسمعون من الجن الناطق. وهذا يقوله قوم من الاتحادية لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذى يذهب اليه الفاجر التلمساني وذووه وبين الاتحاد المعين الذي يذهب اليه النصارى والغالية

وقد كان سلف الامة وسادات الائمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود كما قال عبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهما وانما كانوا يلوحون تلويحا وقل ان كانوا يصرحون بأن ذاته في مكان

وأما هؤلاء الاتحادية فهم أخبث واكفر من اولئك الجهمية ولكن السلف والائمة أعلم بالاسلام وبحقائقه فان كثيراً من الناس قد لا يفهم

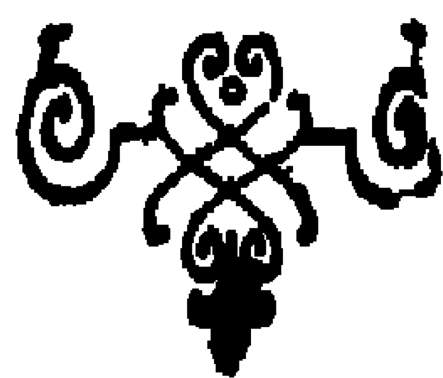
تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ؛ يرزق نور الهدى فلما اطلع السلف على سر القول نفروا منه، وهذا كما قال بعض الناس: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء. وذلك لان متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد فهو يصف ربه بصفات العدم والموات

وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد والقلب لا يقصد الا موجوداً لا معدوما فيحتاج أن يعبد المخلوقات إما الوجود المطلق وإما بعض المظاهر كالشمس والقمر والبشر والاوثان وغير ذلك، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم، وهم لا يوحدون الله سبحانه وتعالى وانما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات، فهم بربهم يعدلون. ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب الى الهند وقال ان ارض الاسلام لا تسعه، لان الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النبات والحيوان

وهذا حقيقة قول الاتحادية واعرف ناسا لهم اشتغال بالفلسفة والكلام وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا ليس بكذا ليس بكذا ووصفوه بأنه ليس هو المخلوقات كما يقوله المسلمون، لكن يجحدون صفات الخالق التي جاءت بها الرسل عليهم السلام واذا صار لاحدهم ذوق ووجد تأله وسلك طريق الاتحادية وقال انه هو الموجودات كلها. فاذا قيل له اين ذاك النفي من هذا الاثبات ؟ قال : ذلك وجدي، وهذا ذوقي. فيقال لهذا الضال كل ذوق ووجد لا يطابق الاعتقاد فأحدهما أو كلاهما باطل وانما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات فان علم القلب وحاله متلازمان فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والحال. ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين

امروا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، واتبعوا طريق السابقين الاولين، لسلكوا طريق الهدى ووجدوا برد اليقين وقرة العين فان الامر كما قال بعض الناس ان الرسل جاؤا باثبات مفصل ونفي مجمل، والصابئة المعطلة جاؤا بنفي مفصل واثبات مجمل ، فالقرآن مملوء من قوله تعالى في الاثبات (إن الله بكل شيء عليم * وعلى كل شيء قدير * وانه سميع بصير * وسع كل شيء رحمة وعلما) وفي النفي (ليس كمثله شيء * ولم يكن له كفواً احد * هل تعلم له سميا سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين)

وهذا الكتاب مع انى قد اطلت فيه الكلام على الشيخ ايده الله تعالى بالاسلام ونفع المسلمين ببركة انفاسه وحسن مقاصده ونور قلبه فان مافيه نكت مختصرة ، ولا يمكن شرح هذه الاشياء في كتاب، ولكن ذكرت للشيخ احسن الله تعالى اليه ما اقتضى الحال ان اذكره — وحامل الكتاب مستوفز عجلان ، وانا اسأل الله العظيم ان يصلح امر المسلمين عامتهم وخاصتهم ، ويهديهم الى مايقربهم، وأن يجعل الشيخ من دعاة الخير الذين قال الله سبحانه فيهم (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) انتهى



الجامعة الاسلامية والجامعة الشرقية

كتب إلي الاستاذ أبو الحسنات الهندي أحد أعضاء دار المصنفين في (أعظمكده ــ الهند) رحمه الله تعالى الكتاب الآتي بعد اطلاعه على قانون جمعية الرابطه الشرقية في المنار وهو من دعاة الجامعة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة المفضال مولانا السيد رشيد رضا صاحب المنار سلاماً سلاماً

لقد سرني ما قرأت في صفحات الجرائد الأردوية : أن عصبة من أصحاب النعرة والغيرة على الشرق من أهل مصر قامت باصلاح شئونه وترقية شعوبه ، وإخراج أهله من الذلّ والانحطاط الذي وصلت اليه هذه الأمم الشرقية غايته — وألفت جمعية موسومة بجمعية الرابطة الشرقية ، تكون مصر مركزاً لهـا ، وتكون للجمعية شعب في كل قطر من الأقطار الشرقيـة — وزاد فرحي إذ رأيت اسمكم الشريف من جملة بانيها ومؤسسيها ، وكان هذا الفرح والسرور بمـا أني أحسن الظن بكم ، فانكم لستم كعامة علماء زماننا هذا ، لا يفرقون القشر من اللباب ، والمـاء من السراب

بينما كنت في هــذا الفرح والسرور إذ وصلتني الأجزاء (الأول والثاني والثالث) لمجـلة المنار الغراء من مجلدها الثالث والعشرين ، وقرأت في فاتحـة هذا المجلد ما نصه :

« جرينا على منهج الأمامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة ، وجمع كلمة الأمة ، بالتــذكير بآيات الله المنزلة في القرآن . . . . ألا وأنه قد أتى الأوان للعمل بمـا أرشد اليه الامامان ، حتى كأنهما كانا يخاطبان أهل هذا الزمان ، من أهل مصر والسودان ، وسائر العرب والهند والترك والفرس والأفغان »

فازددت فرحا على فرح ، وبشرت نفسي كما حررتم في هذه الفاتحة « بأن ليل الذل

والعبودية قد عسعس ، وصبح العزة والحرية قد تنفس » ولكن بالهية الامل ما كان أقصر زمن فرحي وسروري لما طالعت في الجزء الثالث مقاصد الجمعية وأغراضها ، ووجدت الصراحة فيها بأن ﴿ غرض الجمعية نشر المعارف والآداب والفنون الشرقيـة وتعميمها ، وتوسيع نطاقها ، وتوثيق روابط التعارف والتضامن بين الأمم الشرقية على اختلاف أجناسها وأديانها ﴾

فالألفاظ الأخيرة وإن كانت متشابهة بألفاظ السيد جمال الدين الأفغاني طاب ثراه . ولكن غرضكم الحقيقي من هذه الجمعية ليس ما كان غرض السيد المرحوم كما لا يخفى على الناظر في مقاصد جمعيتكم بأول النظر

أيها الحبر الاعظم : إن مقصد السيد المرحوم الذي قد وجه اليه أفكاره وبذل في سبيل جهده قواه ، وكتب على نفسه السعي اليه مدة حياته ، وأصابه ما أصابه من البلاء في سبيله ، هو انهاض ما بقي من الدول الاسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شؤنها ، تحت ظل الخلافة العظمى ، حتى تصير الأمة الاسلامية من الأمم العزيزة ، فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحنيفي مجد كان له في الأيام السالفة[1] ولما كان النجاح بهذا العمل الجسيم موقوفا على تقليص ظل الدول الغربية عموما عن رءوس الطوائف الاسلامية ، وعلى تنكيس الدولة البريطانيـة ، خصوصاً في الأقطار الشرقية — بدأ السـيد المرحوم هذا الجهاد الأكبر باصلاح ذات بين الشرقيـين عموما ، والمسلمين خصوصاً ، » وبتقوية الصلات العمومية بين الامم ، وتمكين الألفة في أفرادها ، وتأييد المنافع المشتركة بينها ، وبالتنبيه على أن التكافؤ في القوى الذاتية والمكتسبة ، هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية ، وبالتنقيب عن المسالك الدقيقـة التي يسري بها الطامعون في دياجر الغفلات »[2]

---

(١) هذا الغرض مقتبس من ترجمة الاستاذ الامام للسيد المنشور في أول ترجمته لرسالة السيد في الرد على الدهريين بتصرف (٢) هذا مأخوذ من منهج العروة الوثقى بتصرف ما (راجع ص ٢٢٢ من الطبعة الثانية للجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت)

أيها العلامة المفضال ، هكذا كان سير السيد المرحوم وطريق عمله ، وترونه كما أراه في صفحات مجلته « العروة الوثقى » وهي المجلة التي نفخ السيد المرحوم بها الروح العالية : روح الحياة ، وروح النهضة ، التي نرى ذراتها متحركة وسارية يوما بعد يوم في الطبقة الراقية من أبناء الشرق ، فأين يامولانا مقاصده العلى من مقاصد جمعيتكم التي دعوتم اليها أرباب العلم والقلم من أبناء الشرق؟ هل الجهل فقط هو داء الشرق ، ونشر العلوم وتوسيع نطاق المعارف فيه دواؤه؟ هل تجزمون بأن التعارف العلمي والتضامن الأدبي يؤول على أبناء الشرق بالسعادة الدنيوية والدينية (التي) تسعد بها الأمم ؟ وهل تظنون أن قلوب أبناء الشرق تكون لها الطمأنينة ، وقريحتهم تكون لها السكينة ، ويد الأجانب عاملة في شؤونهم تدبر الأمر كيفما تشاء ؟ لا والله لا

نعم ربما يظن قوم في هذه الأزمان أيضًا ـ مع أن التجارب تعرض عنه والشواهد تنكره — أن نشر الجرائد ، وتأسيس المدارس ، وبث العلوم ، وتوسيع نطاق المعارف ، أدوية تعالج بها أمراض الأمم المصابة ، وإنها هي أسباب تكفل انهاض الأمم ، وتنبيه أفكارها ، وتقويم أخلاقها ، ولكن الحق أنه ليس الأمر كذلك ، المدارس في الشرق كثيرة ، والجرائد تزداد فيه أعدادها يوما بعد يوم ، وللعلوم والمعارف دور كثيرة في كل قطر من الأقطار . فمع هذه كلها ماهذا الذل والفقر والعبودية ؟ هل صارت بوجود هذه الأسباب التي يظن سعادة الأمم نتيجة لها أحسن حالا مما كانت عليه قبل زماننا هذا ؟ هل استنقذت أنفسها من أنياب الفقر والعسرة ؟ هل نجت بها من ورطات الذل والعبودية ؟ هل أحكمت الحصون ، وسدت الثغور ؟ هل نالت بها المنعة والمنة [1] التي تدفع بها غارة الأعداء ؟ لا والله لا

فمع هذا كله الى أي شيء تدعون الأمم الشرقية عموما والمسلمين خصوصا وإلى أي سبيل مسيركم ؟

(١) المنة بالضم كالقوة لفظا ومعنى . وهذه المسألة مأخوذة بالمعنى من مقالة العروة الوثقى التي نشرناها بعنوان (ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها)

واعلموا يامولانا أن أول أمر يجب الاهتمام به هو معرفة أصل الداء وأسبابه الحقيقية — أيمكن لطبيب يعالج مريضاً أن يختار له نوعا من العلاج قبل أن يعرف ما عرض له من المرض، وما هو سببه؟ كلا ثم كلا، نعم يمكن أن يكون هذا سير من ليس له الحظ الأوفى من الحذق والكمال، ويكون متطبباً لا طبيباً. فعلى الطبيب الحاذق أن يهتم قبل كل شيء بمعرفة أصل الداء وأسبابه، ثم بطريق علاجه وتعيين دوائه، لكي لا يكون الداء أصعب والدواء أعز. فان معالجة المرض قبل تعيين أسبابه لا تزيد الا شدة في المرض، وصعوبة على المريض، بل ربما تفضي به الى الموت فأقول :(وهذا قولي في مسألة الأمة المنحلة. وأما مسألة الأمم الشرقية فلست الآن بصددها، ويمكن أن أجرد لها فصلا آخر إن ساعدتني الفرصة) :

إن أول مرض لحق الأمة المسلمة هو تشتت أهوائها، وتخالف أميالها، الذي فرق جمعها وبدد شملها، حتى ذهب كل واحد منها الى ماقاده اليه هواه من غير أن يراعي جانب الأمة، ويستحفظ فوائدها، أو أن يلتفت الى مايمسها، ويهتم بالدفاع عنها

انظروا أيها الفاضل الجليل كيف كان بدء الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية من جهة دينها ودنياها عند ما انفصلت الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة على عهد العباسية، حيث قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يستجمعوا شرف العلم والتفقه في الدين، فكثرت بذلك المذاهب، وانفصلت فيها المسالك، ووقع في الدين الاسلامي تشعب لامثيل له في دين من الأديان وكان هذا في مستهل القرن الثالث من الهجرة النبوية، وبعد ذلك عمت هذه السيول، وانتشرت على كل قطر من أقطار العالم الاسلامي، حتى ما بقي موضع يسكن فيه الاثنان من المسلمين إلا وهما المختلفان في المذهب، هذا من جهة دينهم. وأما من جهة دنياهم فاشتد ذلك الخلاف، وزاد بظهور المغول الذين أوقعوا بالمسلمين قتلا وإذلالا، حتى انحلت الامة من أنفسها وتقطعت الوشائج،

وانفصمت عرى الاتصال بينها ، فتفرق الشمل بالكلية ، وافترق الناس فرقا وشيعاً [١]

هذه هي الداهمة التي دهمت الأمة المسلمة ، وطوحتها في غيابة الذل والهوان وقعر الخمول والسكران ، [٢] وما انتبهت وصحت إلى يومنا هذا انتباها صحيحاً وصحواً كاملا، فالأمر واضح، والطريق ليس بملتبس على من يريد أن يسلك في سبيل إيقاظها وإنهاضها طريقاً مستقيما غير معوج ، وما هو إلا السعي في سبيل توحيد كلمتها ، وتشديد ارتباط بعضها مع بعض — هذه كلمة صدق قلتها لكم ، وأريد أن أقولها مرة بعد أخرى ، فان قلبي قد ملىء بها إذعانا وايقانا ، وخاصة في زماننا هذا، خير الأمور التي تستحق أن يجهد في سبيله من يريد الجهاد في سبيل الأمة وسبيل الدين ، بل وفي سبيل الله ، هو أن يجاهد في جمع الكلمة المتفرقة لمسلمي العالم حيثما يسون، وفي أي قطر يصبحون ، لأن التشتت والتفرق فقطهو (أدوى) داء حلّ بهم ، وأهبطهم في هاوية ، وما أدراكم ماهيه ، إنها هي كون المسلمين عبيداً للأجانب حتى في أوطانهم ، بعد ما كانوا مولى العالم في الشرق والغرب .

وهاهي (ذي) حقيقة ثابتة لا يسعها الخلاف ، جديرة بأن تنظروا اليها . إن الأمة المسلمة قوية الرجاء بين الأمم ، لا تقنط قنوطا يحكم عليها بالهبوط الثابت، وبالسبات الدائم ، بل كلما قامت لها قيامة رقدت من نوم غفلتها (؟) وانتبهت فقامت وسارت سير التقدم والرقي . ألا ترون أنها بعد ما صدمت بصدمات غارات التتر والحروب الصليبية جمعت بعد زمن يسير تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ، وساقت الجيوش إلى أنحاء العالم ، ودوخت البلاد ، وأرغمت أنوف السلاطين ، حتى دانت لها الدول الافرنجية ، ونفذت أوامرها في الشرق والغرب ؟ لاريب في أن هذه الأيام كانت للأمة المسلمة أياماً بيضاء حسانا ، كأنما رجع لها الدهر بأيام الخلافة العباسية التي لانظير لها في تاريخ الأمة . ثم بعد ذلك بحكم (وتلك

(١) اقتبس الكاتب العبارة فى بدء الانحلال والضعف من مقالة العروة الوثقى التى نشرناها فى تاريخ الاستاذ الامام (ج ٢) بعنوان (انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك (٢) السكران بالتحريك مصدر سكر كالسكر بالضم والسكون

الأيام نداولها بين الناس) قلب لها الدهر ظهر المجن ، فأخذت تنزل من منزلتها الرفيعة ، ودست لها الدول الافرنجية الدسائس ، فتفرقت كلمتها ، وتمزقت جنسيتها ، حتى مابقيت دار من دور المسلمين الا فيها الأمر والحكم للأجانب الا ما شاء الله

ومع هذا كله ارجعوا البصر إلى ماوقع في زماننا هذا من انتصار الجيوش الاسلامية القاهرة تحت قيادة سيف الله المسلول ، آية من آياته الكاملة ، الغازي مصطفى كمال باشا أيده الله بنصر مزيد ، فانها لما سمعت انتصاره على اليونان، وانتزاعه الدولة العلية من مخالب الأعداء ، فاهتزت لها نفوسها ، وأحدث هذا الفوز حركة قوية في طباعها ، حتى خافت عواقبها الدولة التي هي أقوى دول العالم وأعدى عدى الاسلام والمسلمين ، وجعل يسعى أربابها في تسكين جأشهم بقولهم الزور ان نعوذ بالله ان نكون من اعداء الاسلام والمسلمين (والله يعلم مايسرون وما يعلنون)

نعم قلت ان الأمة المسلمة هي قوية الرجاء ، ولها ميل شديد الى الوحدة كما هي اجتمعت بعد الانتشار تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ، فقويت بها شوكتها ، وارتقت ارتقاء نهائياً ، مع هذا كله (نقول بما) لاريب فيه انه كان ما كان لها من جهة دنياها لا من جهة دينها . والحق أن سر ضعفها الحقيقي كان مضمراً في دينها . ولأجل ذلك مامضت من ايام شوكتها ايام تذكر ، حتى حصل السبات ونامت ، فكأنما كان لها ذاك الحراك تحولا من شق الى شق آخر في نومها

فأقول لكم يامولانا قول خبير بصير : إنه لانجاح لمن يريد خدمة الأمة المسلمة إلا بدعوتها الى الاعتصام بحبل دينها ، والاقتداء بأحكام شريعتها ، فان الدين هذه الأمة وشريعتها سلطانا على أنفسها لا يماثله سلطان الحمية الوطنية والنعرة الجنسية ، فكلما دعيت اليها تحركت لها جؤوشها ، واهتزت لها نفوسها ، ولبت واجتمعت ، فحينئذ تنزل الملائكة عليها ، ويؤيدها الله بروح منه ، ويتحقق معنى الآية المباركة (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فالشريعة

مورد هذه الأمة ومصدرها ، والمسلمون كلهم بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مجبولون على الوحدة ، والجبلة لاتزول ، وإن كانت الجبال عن مقامها تزول ، وكيف يمكن هذا والقرآن يتلى بينهم، فيتلون منه صباحا ومساء الآيات المحرضة على الوحدة والوفاق (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وأمثالها كثيرة لاحاجة الى سردها هنا

فان قال قائل [1] مع تلك الآيات البينات المحكمات ، المحرضات على الوحدة والوفاق ، ما في المسلمين من التشتت والافتراق ، وهم هم في شدتهم في الدين ، والتمسك بعقائدهم الدينية ، والاحساس بداعية الحق في نفوسهم فأقول :

إن الأعمال وإن يكن منشؤها العقائد والأفكار ، ولكن يكون صدورها موقوفا على ضرورة وداعية تدعو الانسان الى إصدارها ، فلا يمكن الارتياب في هذا أن عقيدة المسلمين بالأخوة الدينية ، ثابتة موجودة في نفوسهم ، وما طلعت الشمس عليهم يوماً واحداً وهم عنها غافلون ، واما العلل الحقيقية في تباطؤهم عن ارتباط بعضهم مع بعض ، ونصرة إخوانهم في الدين فهي عديدة

(منها) زوال كل جامعة بين المسلمين في الأغلب ماعدا العقيدة الدينية المجردة عما يتبعها من الأعمال ، فهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل ، وانقطع التواصل، وانعدم التعارف بينهم ، فمسلمو الهند في غيبة عن أحوال مسلمي المملكة العربية والتركية ، ومسلمو العرب وفارس في غفلة عن شؤون مسلمي الجزائر ومراكش.

(ومنها) إيقاد الأعداء نار التشتت والتخالف فى المسلمين وإغرائهم بعضهم على بعض بالحقد والضغينة ، حتى كاشفت الأمة الأفغانية بعداوة الأمة الفارسية، وبارزت الأمة العربية مبارزة للأمة التركية ، وهكذا جاهرت القبائل منهم مجاهرة ضد قبائل أخرى (؟؟)

فزاد الويل والعويل ، وعقب خطب بعد خطب ، وحدث كرب بعد كرب،

---

(١) قوله مع تلك الآيات الخ مضطرب ومراده منه الظاهر والسؤال والجواب مقتبسان من مقالة العروة الوثقى التي أشرنا اليها في الحاشية السابقة ،لكن بسوء تصرف وزيادة ونقص

باغفال أولي الأمر والرأي من المسلمين عن تأدية ما كلفهم الله تعالى من توحيد كلمتهم حينما يقع التشتت فيها ، وتوثيق روابطهم حينما تنفصم عروتها ، حتى قضى الدهر على المسلمين بالذلة والمسكنة ، وباؤا بغضب من الله ، فأصبحوا حقراء بعد ما كانوا أجلاء ، وأمسوا فقراء بعد ما كانوا أغنياء . ولا سبيل الى تخلص الأمة من هذه الرزايا التي حلت بها إلا بتوحيد كلمتها ، وجمع شتاتها ونظم شملها ، ولم شعثها ، فهذا ما عندى من الحق واليقين ، وأظن أن لا يرتاب فيه العقلاء وأرباب الفكر السليم من المسلمين .

واعلموا يامولانا أن أكثر ما كتبت اليكم في هذا الكتاب هو من آراء السيد المرحوم الأفغاني تغمده الله برحمة منه . وإن كانت الألفاظ في شيء من العبارات مترادفة أو متخالفة متباينة . ففي خاتمة الكتاب مع الاطالة فيه لا يحسنني [1] أن أختمه ولا أسألكم إرجاع النظر الى عبارة واضحة حسنة كتبها السيد المرحوم فيما نحن بصدده ، فخذوا هذا نصها :

«فياأيتها الأمة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ، ودماؤكم فلا تريقوها ، وأرواحكم فلا تزهقوها ، وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت . هذه هي روابطكم الدينية ، لا تغرنكم الوساوس ، ولا تستهويكم الترهات ، ولا تدهشكم زخارف الباطل ، ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم ، واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي ، والفارسي بالهندي ، والمصري بالمغربي . وقامت لهم مقام الرابطة النسبية ، حتى إن الرجل منهم ليألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر ، وأن تناءت دياره ، وتقاصت اقطاره . هذه صلة من امتن الصلات ساقها الله إليكم ، وفيها عزكم ومنعتكم ، وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها

ولكن عليكم في رعايتها أن تخضعوا لسطوة العدل ، فالعدل أساس الكون

(١) يريد أن يقول : اني على اطالة هذا الكتاب لا يحسن مني أن أختمه قبل أن أسألكم رجع البصر الى عبارة للسيد الافغاني واضحة فى مقصدي وهذا نصها : وأقول ان هذه العبارة هى آخر مقالة التعصب من مقالات العروة الوثقى

وبه قوامه ، ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم . وعليكم أن تتقوا الله وتلزموا أوامره في حفظ الذمم ، ومعرفة الحقوق لأربابها ، وحسن المعاملة واحكام الألفة في المنافع الوطنية بينكم وبين أبناء أوطانكم ، وجيرانكم من أرباب الأديان المختلفة ، فان مصالحكم لا تقوم إلا بمصالحهم ، كما لا تقوم مصالحهم إلا بمصالحكم ، وعليكم أن لا تجعلوا عصبة الدين وسيلة للعدوان ، وذريعة لانتهاك الحقوق ، فان دينكم ينهاكم عن ذلك ، ويوعدكم عليه بأشد العقاب . هذا ولا تجعلوا عصبتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض ، بل تضافروا بها على مباراة الأمم في القوة والمنعة ، والشوكة والسلطان ، ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة ، والفضائل والكمالات الانسانية . اجعلوا عصبتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم ، واجتماع شملكم ، وأخذ كل منكم بيد أخيه ليرفعه من هوة النقص إلى شاهق الكمال (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان)

وفي رسالة أخرى سأعجلكم ببيان جامعة بين المسلمين وطريق القيام بها والدعوة اليها ، فان كتابي هذا قد طال . فتقبلوا مني في الختام أحسن التحية والسلام

أنا العاجز أبو الحسنات الندوي أحد رفقاء دار المصنفين
شبلي نزل أعظمكده (الهند)

(المنار) كتبت الى هذا العالم المصلح الغيور في مرجوع كتابه هذا بيانا للفرق بين الجامعتين الشرقية والاسلامية . وان احداها تعزز الاخرى ولا تنافيها . وقد دعا موقظ الشرق السيد جمال الدين اليهما معا . ونبهته لاغترار اخواننا مسلمي الهند بالكماليين بعد اغترارهم بالاتحاديين ؟ أرغرورهم بالسلطان عبد الحميد ، وسوغ لي هذا ما بدأ به مصطفى كمال باشا من التمهيد لالغاء الخلافة بالفعل ، من جعلها روحية لاسلطان لصاحبها ولا حكم ، فرد على كتابي هذا بالكتاب الثاني ، وسننشره في الجزء الآتي

جمعية منكوبي الاعانة السورية

ألفت في القاهرة جمعية لتنظيم جمع الاعانات لمنكوبي سورية على أثر الدعوة التي أذاعها الرئيس الجليل سعد باشا زغلول وافتتح باب التبرع لها هو وأهل بيته وأعضاء الوفد المصري . وكان المؤسسون للجمعية قد ارتأوا أن تكون تحت رعاية عالية ، ورياسة سامية ، فطرقوا أبواب بعض كبار الأمراء ، فألفوا آذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وقد آن للناس أن يعرضوا عن ضخامة الألقاب، وسمو الأنساب ، ولا يعولوا إلا على أولي الألباب ، فإن قيمة النسب الصحيحة لا تعدو حسن تأثير الوراثة في لب الانسان وجوهره وهو العقل والقلب . على ان الجمعية قد ألفت من خيار البيوت المصرية والسورية حسبا وأدبا ، وأما رأيا ، وقد أظهر الأعضاء السوريون لاخوانهم المصريين رغبتهم في اسناد رياسة الجمعية إلى واحد منهم فقال صاحب المعالي فتح الله باشا بركات : بل الأولى ان تختاروا واحدا منكم ، لأن المصاب واقع على شعبكم وان كنا نحن والسوريون أمة واحدة باعتبار آخر ، وليس المقام هنا مقام مباراة في رياسة، بل مقام تعاون على تخفيف آلام نكبة نشعر بها كلنا وأنا مستعد للعمل معكم تحت رياسة أصغركم سنا ، فحبذ قوله هذا أصحاب السماحة والسعادة والعزة عبد الحميد البكري وأحمد شفيق باشا وعبد الحميد بك سعيد فلم يسعنا معشر السوريين إلا اتباع اجماعهم فاعتزلنا الجلسة وانتخبنا الأمير ميشيل لطف الله لما له من السابقة الحسنة في أمثال هذه الجمعيات الخيرية سعيا وإدارة ومساعدة

هذا وان شاعر مصر أحمد شوقي بك الملقب بأمير الشعراء بغير منازع — وشاعر الشام خير الدين افندي الزركلي قد نظم كل منهما قصيدة في كارثة دمشق وثورة سورية أنشدتا في حفلة حافلة لجمعية الاعانة، فرأينا ان ننشرهما في المنار وهذا نص الأولى

سلامٌ من صبا (بَرَدَى) أرق ودمعٌ لا يُكفكَف يادمَشـقُ
ومعـذرةُ اليراعـة والقوافي جلالُ الرزء عن وصفٍ يدِقُّ
وذكرى عن خواطرها لقلبي إليـكِ تلفُّتٌ أبداً وخفـقُ

وبي مما رمتك به الليالي جراحات لها في القلب عُمق
دخلتك والأصيل له ائتلاق ووجهك ضاحك القسمات طلق
وتحت جنانك الأنهار تجري وملء رُباك أوراق ووُرْق
وحولي فتية غرٌّ صباحٌ لهم في الفضل غايات وسبْقُ
على لهواتهم شعراء لُسنٌ وفي أعطافهم خطباء شُدق
رواة قصائدي فاعجبْ لشعر بكل محلة يرويه خلقُ
غمزت إباءهم حتى تلظت أنوف الأسد واضطرم المدق
وضجَّ من الشكيمة كل حرّ أبيّ من أمية فيه عِتق

***

لحاها الله أنباءً توالت على سمع الوليّ بما يَشُقُّ
يفصّلها الى الدنيا بريدٌ ويُجملها الى الآفاق برْقُ
تكاد لروْعة الأحداث فيها تُخال من الخرافة وهي صدق
وقيل معالم التاريخ دُكت وقيل أصابها تلفٌ وحرقُ
ألستِ دمشق للاسلام ظئراً ومرضعةُ الأبوّة لا تُعقُّ
صلاح الدين تاجك لم يُجمَّلْ ولم يُوسَم بأزين منه فرْقُ
وكل حضارة في الأرض طالت لها من سرحك العلويّ عرق
سماؤكِ من حلى الماضي كتابٌ وأرضكِ من حلى التاريخ رَقُّ
بنيتِ الدولة الكبرى وملكاً غبارُ حضارتيه لا يُشقُّ
له بالشام أعلامٌ وعُرْسٌ بشائره بأندلسٌ تُدقُّ

***

رباع الخلد ويحك ما دهاها أحقٌّ أنها دَرَست أحقُّ
وهل غرف الجنان منضّداتٌ وهل لنعيمهنّ كأمس نسقُ
وأين دُمى المقاصر من حجال مُهتكة وأستار تُشقُّ
برزْن وفي نواحي الأيْك نارٌ وخلف الأيك أفراخٌ تُزَقُّ
إذا رُمنَ السلامة من طريق أتتْ من دونه للموت طرقُ

بليلٍ للقذائف والمنايا | وراء سمائه خطفٌ وصعقُ
إذا عصف الحديد احمرَّ أفقٌ | على جنباته واسودَّ أفقُ
سلي من راع غيدك بعد وهن | أبين فؤاده والصخر فرق
وللمستعمرين وإن ألانوا | قلوب كالحجارة لا ترقُّ
رماكِ بطيشه ورمى فرنسا | أخو حرب به صلف وحمق
إذا ما جاءه طلابُ حقٍّ | يقول عصابة خرجوا وشقوا

***

دمُ الثوّار تعرفه فرنسا | وتعلم أنه نورٌ وحقٌّ
جرى في أرضها فيه حياةٌ | كمنهلّ السماء وفيه رزقُ
بلادٌ ماتَ فتيتُها لتحيا | وزالوا دون قومهم ليبقوا
وحُرّرت الشعوب على قناها | فكيف على قناها تُسترقُّ

***

بني سورية اطّرحوا الأماني | وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خِدَعِ السياسة أن تغروا | بألقاب الإمارة وهي رقُّ
وكم صَيَدٍ بدا لك من ذليل | كما مالت من المصلوب عنقُ
فتوقُ الملكِ تحدُثُ ثم تمضي | ولا يمضي لمختلفين فتقُ
نصحتُ ونحن مختلفون داراً | ولكن كلنا في الهمّ شرقُ
ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ | بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونطقُ
وقفتم بين موتٍ أو حياةٍ | فإنْ رُمتمْ نعيمَ الدهر فاشقوا
وللأوطان في دم كلّ حرّ | يدٌ سلفتْ ودَينٌ مستحقُ
ومن يَسقي ويشربُ بالمنايا | إذا الأحرار لم يُسقوا ويَسقوا؟
ولا يَبني الممالكَ كالضحايا | ولا يُدني الحقوقَ ولا يُحقُّ
ففي القتلى لأجيال حياةٌ | وفي الأسرى فدى لهمو وعتق
وللحريّة الحمراء بابٌ | بكلِّ يدٍ مضرّجةٍ يُدقُّ
جزاكم ذو الجلال بني دمشق | وعزُّ الشرق أولهُ دمشقُ

نصرتم يوم محنتــه أخاكم وكلٌّ أخ بنصر أخيه حقٌّ
وما كان الدروزُ قبيلَ شرّ وان أُخذوا بما لم يستحقّوا
ولكن ذادةٌ وقراةُ ضيف كينبوعِ الصفا خشنوا ورقّوا
لهمْ جبلٌ أشمُّ له شِعافٌ موارِدُ في السحابِ الجون بُلقُ
لكلّ لبوءة ولكلّ شِبل نِضال دون غابته ورَشقُ
كأن من السموأل فيه شيئاً فكلُّ جهاته شرفٌ وخُلقُ

باب المراسلة والمناظرة

الجمعية العلمية للمعارف الاسلامية

أسس بعض المستشرقين من علماء الالمان الاعلام جمعية بهذا الاسم في (برلين) عاصمة السلطنة الالمانية العامة . وقد كان هؤلاء العلماء يبحثون قبل تأسيس هذه الجمعية في العلوم الاسلامية كما أن جماعات أخرى منهم تبحث في جميع العلوم والفنون وشؤون الامم ، بدقتهم التي فاقوا فيها جميع علماء الشعوب الأخرى . ولكن هذه الجمعية لها شأن لم يكن لغيرها من جماعات العلماء يرجى أن يكون فاتحة خير عظيم ، وإننا لم نطلع على قانونها وانما أحدث هذا الرجاء في أنفسنا ما نشروه من الدعوة إلى التعاون مع علماء المسلمين في مصر وغيرها . وقد أرسلوا الينا نسخة من الدعوة العربية المبينة لأغراض الجمعية . وهذا نصها :

دعوة الالمان الى علماء الاسلام

أي سادة العلماء

لدراسة تعاليم دين الاسلام وتعقب أحوال المسلمين العامة فيما يتعلق بجنسيتهم ومدنيتهم وماهم عليه من حالة اقتصادية وعمرانية أسست جمعيتنا التي لا تتداخل في السياسة قط .

وعملنا في هذه الجمعية كما يرى من أغراضها ليس بالأمر الهين إلا أنه يصير سهلا زلالاً لو أن اخواننا علماء الدين الاسلامي بسطوا أكفهم للتعاون معنا في مسعانا تعاونًا علميًا حتى تحقق أغراضنا (التي) هي إحدى آمال الامم الاسلامية الناهضة

ولما كانت في طليعة تلك الأمم الناهضة مصر : مصر ذلك البلد الذي بقي حتى اليوم بعد العالم الاسلامي بنور تعاليم تلك الديانة الحنيفة ، فاننا نعتقد فيما بيننا أن أول من يلبي دعوتنا هذه لاشك علماء مصر الاماجد فهم أكثرنا تشبعًا بوجوب العمل لتأييد مانسعى اليه .

نعم إن من نتائج هذا التفاهم العلمي أن تنقشع - قريبًا كان أم بعيدًا - تلك الضبابة الكثيفة التي مازالت حتى الساعة تحجب الشرق عن أعين الغربيين وهو السر الوحيد فيما نراه من بقاء اختلاف كانت له نتائج وخيمة وقاسية لم تتخلص منها الاقطار الشرقية والغربية على السواء .

إلا أن ساعة الخلاص تقرب كلما تثبت للغرب شيئًا فشيئًا وجوب الاهتداء بنور التعاليم الحقة لدين الاسلام ولن يتهيأ للغرب ذلك حتى يمد بمساعدة علمية محضة . وهذا ميدان عمل فسيح لنا ولكم ياحضرات أعلام الاسلام « ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا » والسلام

رئيس الجمعية الالمانية للمعارف الاسلامية

الاستاذ المستشرق كامفماير

العنوان :-

Prof. Dr. G. Kampffmeier
Werderstr. 10
Berlin — Dahlem Germani

(المنار) نرحب ونرحب بهؤلاء الاعلام وبجمعيتهم ونشكر لهم عملهم باللسان والقلم ، والعلم والعمل ، وإنا لما يدعوننا لمستجيبون ، في كل مانحن عليه قادرون ، وننصح لمشيخة الأزهر أن تجيب دعوتهم وتطلب الوقوف على جميع أعمالهم

وابحاثهم ، وان يمد اليهم يد المساعدة فى كل مايطلبون منها ، وبذلك تخدم الاسلام خدمة هي أحق بها من غيرها ، ونحث سائر علماء الاسلام فى الشرق والغرب على ذلك أيضا

المجموعة المباركة فى الصلوات المأثورة

جاءنا من مشيخة الجامع الازهر الشريف ما يأتي لينشر فى المجلة :

أرسل حضرة محمود شفيق البكري التاجر بميت غمر لمشيخة الجامع الأزهر الشريف مجموعة تدعى « بالمجموعة المباركة في الصلوات المأثورة والأعمال المبرورة تأليف عبده محمد بابا » لابداء رأيها نحو ماتضمنته تلك المجموعة من الأحاديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم

والمشيخة تعلن أن ماجاء في هذه المجموعة من أحاديث الجزاء ظاهره الوضع والاختلاق سيما ماسماه مؤلفها حديث عبد الله بن السلطان . وفيه اغراء للعوام على اقتراف المآثم وترك الواجبات ، وعدم المبالاة بها اتكالاً على كلمة استغفار أو دعاء يقولها مرتكب ذلك ليخلص من شر ما اقترف . وان هذه المجموعة وأمثالها لا يضعها إلا جاهل أعماه جهله عن الطريق السوي ، أوضال مضل قصد أن يصرف العوام عن أحكام الشرع الشريف ويجعلهم في حل من عدم الوقوف عند حدوده من طريق شبه شرعي اه شيخ الجامع الازهر

(الختم)

(المنار) دعاء عبد الله بن سلطان أوحديثه خرافة مضلة للعامة كان قد طبعها من زهاء ثلاثين سنة دجال من الدجاجلة اسمه عبد الله القباج وبينا ما فيه من الاضلال وهدم الدين في العدد ٤٠ من المنار الذي صدر في شعبان سنة ١٣١٦ ثم اعاد طبعه دجال آخر فعدنا إلى التحذير منه بعد سنين

تقريظ المطبوعات الحديثة

﴿ الذهب الخالص ، المنوه بالعلم القالص ﴾

كتاب في أصول الايمان والاسلام من العقائد والعبادات والآداب من تصانيف أكبر علماء الاباضية واشهرهم في هذا العصر الشيخ محمد بن يوسف إطفيش الجزائري رحمه الله تعالى . وقد طبعه في العام الماضي وعلق عليه بعض الحواشي تلميذه وحفيد أخيه الاستاذ الشيخ أبو اسحق ابراهيم إطفيش صاحب كتاب (الدعاية الى سبيل المؤمنين) ومباحث الكتاب مؤلفة من سبعة أركان (الاول) معرفة الله تعالى وسائر المسائل الاعتقادية ومنها الفرق بين كبائر الشرك والنفاق والخوف والرجاء الخ وأحكام الولاية والبراءة والوقوف بينهما ـ والملل الست وأحكامها (الركن الثاني) في النجاسة والطهارة والصلاة ـ (الركن ٣ و ٤ و ٥ و ٦) في الزكاة والصيام والحج والعمرة (الركن السابع) في الحقوق . فنحث كبار العلماء الرسميين وجميع العلماء المستقلين على الاطلاع على هذا الكتاب وهو مطبوع بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ على ورق جيد وصفحاته ٣٤٠ من قطع المنار وثمن النسخة منه ٢٥ قرشا

(المنهاج) مجلة علمية أدبية إسلامية لمنشئها الاستاذ الشيخ أبي اسحق ابراهيم إطفيش الجزائري نزيل مصر وقد صدر منها جزآن حافلان بالمسائل الدينية والادبية والتاريخية . وكان من بواكر ثمراتها الرد على كتاب الشيخ علي عبد الرازق راوندي هذا العصر في محاربة الاسلام ، ونصر الافرنج على المسلمين ، وتأييد دعاية الملاحدة اللادينيين بشبهات الدين ، واذ كان منشىء هذه المجلة من كبار علماء الاباضية وخليفة أشهر علمائهم في هذا العصر علما وبيتا فالمرجو ان تكون مجلته من أسباب التأليف والوحدة بينهم وبين أهل السنة والشيعة . والخلاف بينهم وبين الشيعة أشد ، وقد كان هو الذي بادر الى الرد على بعض الكتب التي نشرها بعض دعاة التشيع في هذه السنين للطعن في أئمة حفاظ السنة ونبذهم بلقب النصب وكان رده معتدلا ، فعسى ان تنال ما يكافىء اجتهاد منشئها الغيور على الامة والملة من الرواج والانتشار ، وقيمة الاشتراك فيها ١٠٠ قرش

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

١٥ شعبان سنة ١٣٤٤ ٢٩ برج الحوت سنة ١٣٠٥ هـ ش ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٦

فتاوى المنار

استفتاء في كلمة للملك فيصل

في الاديان السماوية

(من ٣٧) نشرت جريدة الخلافة (خلافت) التي تصدر في بمبي (الهند) في عددها الذي صدر في ٢٢ صفر من هذه السنة (١٣٤٤) الاستفتاء الآتي. وقد نشر في كثير من جرائد الأقطار الاسلامية ولهج كثير من الناس بعد اطلاعهم على ما قاله الملك فيصل عن الأديان والانبياء بأنه ردة عن الاسلام . وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى العلماء الأعلام في مشارق الأرض ومغاربها

(عقيدة الأمير فيصل ملك العراق ابن الملك حسين بن علي المكي في الأديان السماوية)

هذه خطبة للأمير فيصل بن الشريف حسين ، ألقاها في الحفلة التي أقامها اليهود في دار الرئاسة الحاخامية لليهود في بغداد ، ونشرتها جريدة دجلة التي تصدر هناك في عددها الثاني والعشرين تاريخ ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٩ هـ ١٩ تموز سنة ١٩٢١ ننقلها للقراء بحروفها ، ليطلعوا على حقيقة معتقد هذا الأمير في الأديان السماوية ، وأنه كوالده في اعتماده في كل أموره على الانكليز لا على الله

(الخطبة بنصها)

«إني أشكر مواطني الاسرائيليين العراقيين لاقامتهم هذه الحفلة الكريمة التي أعربت عن شعورهم نحو البلاد ، إني أسأل الله تعالى أن يوفقني إلى الأعمال التي تزيد ثقتهم بي ، واعتمادهم عليّ

«إني لا أرى في هذا الاحتفال مسلماً أو يهوديا أو نصرانيا ، وإني أعتقد (أنه) لو جاء موسى وعيسى ومحمد إلى هذا الاحتفال وشهدوا منا ماتقوله من

يهود ونصارى ومسلمين[1] لغضبوا علينا غضباً شديداً ، أنا أريد أن يقول الجميع إننا فلسطينيون عراقيون نرجع إلى جد واحد ، وما الاختلاف[2] الدينية والمذاهب إلا دسائس دنيوية دسها بعض الأشخاص أو الأمم الخارجية . ومتى عرفنا ذلك يمحى من بيننا اسم اليهود والنصارى والمسلمين ، وإني لا أرى لزوما لتكرار القول إننا أولاد جد واحد ، إننا أولاد سام ، وآباؤنا سكنوا العراق مدة طويلة وقاموا بأمر تسييره مشتركين — قال أحد الخطباء الآن : إن للأمة العربية أيادي بيض (؟) على اليهود في جزيرة العرب ، وأنا أقول : ما قام العرب تجاه اليهود الا بالواجب المفروض الذي لا يطلبون مقابله حمداً ولا شكراناً . ان البلاء قد نزل باليهود والمسلمين[3] على حد سواء . اني أرغب أن يتزايد الاعتماد في هذه الأيام لننقذ البلاد من الخراب الذي أنزلته بها أيادي الظلم والاستعمار السابقة التي عاثت بأرض العراق فساداً

«فاني لم أزل أتذكر كلمة لأكبر رجل في العالم — وهو المستر لويد جورج زعيم الحكومة الانكليزية — قالها في مانشستر على ما أظن ، وهي قوله : نحن دخلنا العراق ونرغب أن نرجعها الى حالها حال جنات النعيم

«نحن لا نستطيع أن نبلغ بالبلاد العراقية إلى درجة جنات النعيم في خمسين عام (؟) أو أكثر ، ولكننا نقول : كل من سار على الدرب وصل . ان لي الأمل العظيم في نجاحنا في هذه المسألة ، لأننا اليوم بعهدة أكبر دولة وأعظم أمة ألا وهي بريطانيا العظمى . فان المراحل البعيدة لا نستطيع قطعها ، ولكن بمساعدة بريطانيا ومعاضدتها ستكون المراحل قصيرة ، فانا نبلغ منانا اذا ساعدتنا بريطانيا كما هي تساعدنا اليوم . فبسعي الانكليز ومعاضدتهم سيكون النجاح قريباً ، اني أرغب أن أرى هذا النجاح ، ولكن من أين لي ذلك العمر الطويل ، فاننا اذا لم نرام (؟) فان أبناءنا سيشهدوه (؟) ويشكرونا على ذلك العمل ، وفي الأخير أقول : ان

---

(١) كذا ولعل في العبارة حذفا والمعنى المفهوم من السياق سابقه ولاحقه أن الرسل يغضبون من انتماء الناس الى مللهم إنما يرضون استبدال الجامعة الجنسية والوطنية بها (٢) كذا ولعل أصلها الاختلافات (٣) أي على العرف القديم لا على عرفه الذي اقترحه آنفا

ليس لي غاية سوى تقدم البلاد ، وليس لي حزب الا الجميع ، وأملي وطيد بأن اخواني الاسرائيليين سيبذلون جهدهم لرقي البلاد العراقية كما هو شأنهم في البلاد الاخرى اه انتهت بحروفها

فنوجه رجاءنا الى علماء الاسلام ان يفتونا في رجل يعتقد ويصرح على رءوس الأشهاد بأن الديانات والمذاهب ما هي الا دسائس دنيوية دسها بعض الأشخاص او الأمم الخارجية ، وانه لو جاء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وسمعوا كلامه يغضبون عليه غضباً شديداً ، ومع ذلك هو لا يبالي بهم، ويريد ان يرفع اسم اليهود والنصارى والمسلمين بين أفراد الشعب الذي يحكمه، هل هذا الرجل (يعد) مسلماً ؟ افتونا مأجورين اه الاستفتاء

(جواب المنار)

هذه الكلمة التي قالها فيصل ملك العراق البريطاني هي هِجّيرى فريقين من الناس : دعاة اللادينية ، وأعداء الرابطة الاسلامية ، الذين يرى القارىء بعض مقاصدهم في مقالنا الخاص بالمسألة السورية — وقد فصلناه من قبل في مقالات كثيرة — ولقد كان فيصل في غنى عن اتباعهم وعن الحكم بهواه على ما يرضي رسل الله صلواته وسلامه عليهم وما يغضبهم ، لو كان حريصاً على مظاهر الدين الذي نشأ فيه . نعم كان يسعه أن يدعو اليهود الى الاتفاق مع المسلمين والنصارى في التعاون على ترقية العمران في العراق . فان ذلك لا ينافي استمساك كل منهم بدينه

إن كان فيصل يعرف عقائد الاسلام وقواعده التي يكون بها المسلم مسلماً ويؤمن بما جاء في كتاب الله تعالى وبما أجمع عليه المسلمون منها ، فعليه إذا لم يقل بها ويدعو اليها أن يسكت عنها — أو أن لا يصرح بمخالفتها ، وهذا أقل ما يباح له في مثل ذلك الموقف

إن حكم الاسلام في الاختلاف بين المسلمين واليهود والنصارى في الدين هو أن دين الله تعالى على ألسنة رسله واحد وهو الاسلام : قال تعالى (إن الدين عند الله الاسلام ● وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم)

الآيات . هو واحد في العقائد والمقاصد ، ولكنه مختلف في الشرائع العملية والمناهج ، كما قال تعالى(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ،ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) ومن أصول الاسلام أن محمداً خاتم النبيين (ص) وأن بعثته عامة ، وأنه لايعتد بدين أحد بلغته دعوته إلا اذا اتبعه ، وأن موسى (ص) لو كان حيًا ما وسعه الا اتباعه ، وكذا غيره من الرسل (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)

إن كان فيصل ملك العراق البريطاني مؤمنًا بما ذكر فالواجب عليه أن يقول : لو جاء موسىَ وعيسى ومحمد — عليهم صلوات الله وسلامه بالرغم من كل منافق وكافر مجاهر — لغضبوا غضبًا شديداً من تركـكم لوحدة الاسلام ، وعدم اتباع خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، الذي بعث هاديا لازالة الاختلاف والاختصام ، وناسخًا لما كان من الاختلاف في الشرائع والأحكام ، و داعيا إلى ما يحبه الله ويرضاه من الاخاء الانساني العام ، ومحرما لعصبيات الأجناس والأوطان . والآيات والاحاديث في هذا الموضوع كثيرة ، والتفرقة بين من يؤمن بخاتم الرسل ويتبعه ومن يكفر به ويخالفه معلومة بالضرورة ، لايسع مسلماً جهلها ، ومن أنكرها وخالفها لايعد مسلمًا ، ولا أن يعامل معاملة المسلمين في ولاية عامة ولا خاصة ولا زواج ولا أرث ولا غير ذلك . ولولا أن أهل العراق خانعون لسلطة أجنبية قاهرة لطالبه علماؤهم من السنة والشيعة جميعاً أن يصرح بعقيدته ، ويتبرأ مما تبادر إلى أذهان الناس الذين قرأوا خطبته في كل قطر من مخالفة ما ذكر ، ويعتذر عنه بأنه لم يكن يريد بما ذكر في الخطبة مايخالف شيئاً من تلك الأصول الاعتقادية القطعية في الاسلام ، ولكن العبارة كانت قاصرة — مثلا — أو يجدّد إسلامه

اذا كان فيصل يجهل مالا يسع مسلماً جهله من عقائد الاسلام واصوله فهو بدين اليهود والنصارى وتاريخهما اجهل ، لأنه لم يتلق علوم الدين ولا غيرها عن العلماء فيتكلم عن علم ، وجل مايعلمه مقتبس من الجرائد واحاديث المجالس ، ليس له قاعدة يرجع

اليها فيها، فيكون على بينة من مراد قائليها منها . فيظهر انه سمع او قرأ قول بعض أهل العلم والرأي إن اختلاف المذاهب الذي كان مثار الشقاق والتفرق بين أهل الدين الواحد كالاسلام ، انما كان سببه البدع الأهواء ، والتنازع على الملك أو الجاه ثم استغلته الأمم والدول الطامعة في ملك أهله واستعمار بلادهم كما فعل الانكليز في الهند ، وكما يفعلون الآن في العراق — ففهم الكلام مقلوبا أو حرفه بهواه فحمله على اختلاف الأديان ، جاهلا أو غير مكترث بالاجماع ونصوص القرآن ، ولو كان كلامه في الخلاف المذهبي بين أهل السنة والشيعة بقصد جمع كلمتهم لكان يكون له وجه . وكلامه نص في الخلاف بين المسلمين واليهود والنصارى فلا وجه له ،

أي فيصل ! إن الخلاف بين اليهود والنصارى منشؤه عدم ايمان اليهود بالمسيح عليه السلام ، وان الخلاف بين المسلمين من جهة وبين اليهود والنصارى جميعاً من جهة أخرى هو في التوحيد المحض والايمان بنبوة محمد (ص) والقرآن ولم يكن هذا ولا ذاك «دسائس أجنبية دسها بعض الأشخاص أو الأمم الخارجية » ليوقعوا الشقاق بين أبناء سام كما زعمت حتى يصح قولك « ومتى عرفنا ذلك يرفع من بيننا اسم اليهود والنصارى والمسلمين » ؟

ثم ما معنى قولك بعد هذا « وإني لا أرى لزوماً لتكرار القول فانا أولاد جد واحد ، إننا أولاد سام » ؟ فهل انتساب الشعوب الى جد واحد يقتضي عقلا أو طبعاً أن يكونوا على دين واحد ؟ كيف وأولاد الأب الواحد القريب قد يختلفون في الدين ، ولو صح قولك لما وجد في الأرض دينان ، فان جميع أهل الأرض من أولاد نوح أبي سام ، ومن أولاد آدم عليهما السلام ؟

على أن أهل العراق ليسوا كلهم من أولاد سام كما زعمت ، فالمشهور أن الكلدانيين —وهم أقدم أمم الحضارة في العراق —من أولاد كوش بن حام بن نوح . وفي البلاد كثير من سلائل الفرس الآريين ، ويقال: إن الكرد بدوهم ، وقيل من عرق آخر وقيل بل هم من العرب ، ومع هذا فقد سمح فيصل لهم بأن يحافظوا على جنسيتهم . ثم أي حاجة الى اشتراط انتساب أهل الوطن الواحد الى جد واحد من ألوف السنين . وماذا يقول في الانكليز الذي يمهد لهم سبيل السيادة

الدائمة في البلاد بخطبته هذه وسائر أقواله وأعماله هل هم من أولاد سام أيضاً ؟ وهل يقبلون أن يرتفع اسم النصارى عنهم أوعن بقايا الاشوريين والكلدانيين الذين يتخذونهم ذريعة لفصم عروة كل اتحاد في العراق، كيف وملك الانكليز هو حامي الايمان المسيحي ، وشعبه من أشد شعوب الأرض عناية وبذلا في سبيل نشر النصرانية ؟ ومما أودعه الانكليز في المعاهدة الانكليزية العراقيـة حرية دعاة النصرانية في العراق ليعملوا مااستطاعوا في تحويل المسلمين فيه عن الاسلام

ياحسرة على فيصل وعلى أبي فيصل وعلى اخوة فيصل! ياحسرة على أهل بيت ينتسبون الى خاتم الرسل وسيد ولد آدم ثم يكون هذا حظ أمته وملته منهم ؟ ولماذا هذا كله ؟ لأجل التمتع بلقب (ملك) في ظل الانكليز ، ألا بعداً لملك زائل بل لقب باطل، يتوسل اليه بهذه الوسائل، وصاحبه لايملك به الا تنفيذ امر الاجنبي فيما يهدم به سلطان امته وتشريع ملتها

يبشر الملك فيصل البريطاني أهل العراق بأن مستر لويد جورج الذي زعم أنه أكبر رجل في العالم قال «نحن دخلنا العراق ونرغب أن نجعلها جنات النعيم» وإن العوام ورعاة الابل والغنم في العراق لترتعد فرائصهـم من هذه البشارة ، لأنها صريحة في أن الانكليز لاينشؤن هذه الجنات للعراقيين بل لأنفسهم لأنهم يسوون امتلاك العراق وعدم الخروج منه . وفيصل يعتقد هذا ويرضاه ، ولكنه لايعلم أن أكثر أهل العراق يفهمونه ، كما يعلم أنهم اذا فهموه لايرضونه ، ولذلك بشرهم به ! كأنه لايقرأ كما يقرؤن يوم مايفعل الانكليز في السودان وفي مصر ايضا

وجملة القول في جواب الاستفتاء أن ما تبادر إلى أفهام الناس في الهند ومصر وغيرهما من عبارة فيصل هو عين ماعليه المعطلون للأديان ، المنكرون للوحي ، الداعون الى استبدال الروابط الجنسية والوطنية بالدين ، ولا مخرج له اذا أراد أن يحافظ على ظاهر الاسلام لاشتراطه في ملك العراق أو لذاته الا أن يتأول لنفسه بأنه لجهله باللغة العربية لم يستطع أن يعبر عن مراده ويذكر نحواً مما تقدم في كلامنا ، أو يتوب ويجدد اسلامه ، ويجب على علماء العراق مطالبته بذلك وأن ينذروه بخلعه اذا أبى ، ولا يستطيع هو ولا سادته الانكليز أن يعاقبوهم على هذه المطالبة كما علانا سكوتهم فيما تقدم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

كتاب

الخلافة الاسلامية

جاء نا الكتاب الآتي من صاحب الفضيلة ، والمزايا الجليلة ، خادم الملة والأمة ، الاستاذ الكبير ، الشيخ مصطفى نجا مفتي ولاية بيروت ورئيس جمعية المقاصد الاسلامية فيها :

سلام الله تعالى وتحياته ورحمته وبركاته على حضرة العلامة الأجل المحقق المفضال السيد محمد رشيد رضا المكرم زاد الله فضله وعلاه

(وبعد) فقد اطلعت على كتاب الخلافة الاسلامية الذي يبين للأمة حكم هذه المسألة المهمة، ويرشد إلى صراط الاستقامة، وسبيل السلامة، ويقول: إن الاسلام أعظم قوة معنوية في الأرض ، وانه هو الذي يمكن أن يحيي مدنية الشرق وينقذ مدنية الغرب، فان المدنية لاتبقى إلا بالفضيلة، والفضيلة لاتتحقق إلا بالدين، ولا يوجد دين يتفق مع العلم والمدنية إلا الاسلام

فهو أفضل كتاب ألف فى هذا الزمان لهداية المتفرنجين ، وتنبيه الغافلين ، واقناع المقلدين ، الذين انحرفوا عن الدين ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين ، لجهلهم وزعمهم ان الشريعة الاسلامية غير صالحة لكل زمان وانها علة تأخر المسلمين

فلحضرتك أيها الاستاذ الداعي إلى الخير، الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر بكتابك هذا ، ومنارك الأسنى، أقدم بعد الدعاء لك بطول البقاء، جزيل الشكر والثناء، على ماأهديت لنا من فرائد الفوائد السنية ، وما أبديت من الحقائق المؤيدة بالأدلة الشرعية والبراهين الجلية ، وأسأل الله تعالى أن يجزيك خير الجزاء على نصحك للامة ، ويمدك بعنايته وعونه بمنه وكرمه

وبالختام أبث مزيد شوقي إلى ذاتك الكريمة ، وأهديك تحية الاحترام والسلام.

في ٥ رجب سنة ١٣٤٤ مفتي بيروت

الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مسألة صفات الله تعالى وعلوه بين النفي والاثبات ﴾

﴿ جواب سؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية ﴾
رحمه الله تعالى

(السؤال) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين ، في رجلين تباحثا في مسألة الاثبات للصفات والجزم باثبات العلو ، فقال أحدهما لا يجب على أحد معرفة هذا ، ولا البحث عنه ، ويعتقد أن الله واحد في ملكه ، وهو رب كل شيء وخالقه ومليكه . ومن تكلم في شيء من هذا فهو مجسم حشوي . فهل هذا القائل لهذا الكلام مصيب أم مخطيء ؟ فاذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا اثبات الصفات والعلو ويعرفوه ؟ وما معنى التجسيم والحشو ؟ افتونا وابسطوا القول في هذا مأجورين ان شاء الله تعالى

الجواب

الحمد لله رب العالمين . يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فما جاء به القرآن أو السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة ، وتفصيلا عند العلم بالتفصيل ، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر

به عن الله ، فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة ، اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه ، وقد قال الله تعالى (ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين)

وفي الجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره هنا وهو الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء به من القرآن والسنة كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال تعالى وما (ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول)

ومما جاء به الرسول رضاه عن السابقين الاولين ، وعن من اتبعهم باحسان الى يوم الدين ، كما قال (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)

ومما جاء به الرسول اخباره بأنه تعالى قد اكمل الدين بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) ومما جاء به الرسول امر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وقال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وقال

تعالى (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)

ومعلوم انه قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتم منها شيئا، فان كتمان ما انزله الله اليه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ، ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها.. والامة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله، وبين ما انزل اليه من ربه ، وقد اخبر الله بأنه قد كمل الدين، وإنما كمل بما بلغه اذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فعلم انه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » وقال « ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ، وما من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به » وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما

اذا تبين هذا فقد صح ووجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فان هؤلاء الذين تلقوا عنه القران والسنه وكانوا يتعلمون عنه ما في ذلك من العلم والعمل كما قال أبو عبد الرحمن السلمي لقد حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان وغيره انهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل

جميعاً ، وقد قام عبد الله بن عمر وهو من أصاغر الصحابة في تعلم البقرة ثماني سنين وإنما ذلك لاجل الفهم والمعرفة وهذا معلوم من وجوه

(أحدها) أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظا ومعنى ، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى اوكد ، فانه قد علم أنه من قرأ كتابا في الطب او الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك فانه لابد أن يكون راغبا في فهمه وتصور معانيه ، فكيف من قرأ كتاب الله تعالى المنزل اليهم الذي به هداهم الله وبه عرفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والغي ؟

فن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه اعظم الرغبات بل اذا سمع المتعلم من العالم حديثا فانه يرغب في فهمه فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه . بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعرفهم معاني القرآن اعظم من رغبته في تعرفهم حروفه ، فان معرفة الحروف بدون المعاني لاتحصل المقصود اذ اللفظ انما يراد للمعنى

(الوجه الثاني) أن الله سبحانه وتعالى قد حضهم على تدبره وتعقله واتباعه في غير موضع كما قال تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها) وقال تعالى (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فاذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره علم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين على تدبره (١) وعلم أن معانيه مما يمكن فهمها ومعرفتها

(١) كذا ولعل اصله مما يمكنهم تدبره

فكيف لا يكون ذلك للمؤمنين، وهذا يتبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم

(الوجه الثالث) أنه قال تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فبين انه انزله عربيا لان يعقلوا ، والعقل لا يكون الا مع العلم بمعانيه

(الوجه الرابع) انه ذم من لا يفقهه فقال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا * وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرا) وقال تعالى (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به

(الوجه الخامس) انه ذم من لم يكن حظه من السماع الاسماع الصوت دون فهم المعني واتباعه فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقال تعالى (أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا ؟ اؤلئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم) وأمثال ذلك . وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفهموا وقالوا ماذا قال آنفا ؟ أي الساعة ، وهذا كلام من لم يفقه قال تعالى (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) فمن جعل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى عليه

(الوجه السادس) أن الصحابة رضى الله عنهم قرؤا للتابعين القرآن كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى اخره أقف عند كل آية منه واسأله عنها . ولهذا قال سفيان الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكان ابن مسعود وابن عباس نقلوا عنه (١) من التفسير مالا يحصيه الا الله . والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها

أسباب الاختلاف في التفسير المأثور

فان قال قائل قد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافا كثيراً ولو كان ذلك معلوما عندهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فيقال الاختلاف الثابت عن الصحابة بل وعن أئمة التابعين في القران اكثره لايخرج عن وجوه

(أحدها) أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه فالمسمى واحد وكل اسم يدل على معنى لا يدل عليه الاسم الا خر مع أن كلاهما حق بمنزلة تسمية الله تعالى باسمائه الحسنى وتسمية الرسول صلى الله عليه وسلم باسمائه وتسمية القران العزيز باسمائه فقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ماتدعوا فله الاسماء الحسنى) فاذا قيل الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام فهي كلها أسماء لمسمى واحد سبحانه وتعالى وان كل اسم يدل على نعت لله لايدل عليه الاسم الاخر ومثال هذا من التفسير كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم ، فهذا يقول هو الاسلام

(١) ينظر مرجع الضمير في قوله «عنه» فهذان الصحابيان قد أخذا عن النبي (ص) ولا ذكر له قبله ولعل فيه حذفا يدل عليه كالتصلية بعد عنه

وهذا يقول هو القرآن أي اتباع القرآن ، وهذا يقول السنة والجماعة وهذا يقول طريق العبودية ، وهذا يقول طاعة الله ورسوله. ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها ويسمى بهذه الاسماء كلها ، ولكن كل واحد منهم دل المخاطب على النعت الذي به يعرف الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت

(الوجه الثاني) أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض انواعه أو اعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب لا على الحصر والاحاطة كما لو سأل اعجمي عن معنى لفظ الخبز فأري رغيفا وقيل هذا هو فذاك مثال للخبز واشارة الى جنسه لا الى ذلك الرغيف خاصة . ومن هذا ما جاء عنهم في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فالقول الجامع أن الظالم لنفسه : المفرط بترك مأمور أو فعل محظور ، والمقتصد : (القائم) بأداء الواجبات وترك المحرمات ، والسابق بالخيرات بمنزلة المقرب الذي يتقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق

ثم ان كلا منهم يذكر نوعا من هذا (فان قال قائل)الظالم المؤخر للصلاة عن وقتها ، والمقتصد المصلي لها في وقتها ، والسابق المصلي لها في أول وقتها حيث يكون التقديم افضل ، وقال آخر الظالم لنفسه هو البخيل الذى لا يصل رحمه ولا تمام (١) زكاته ، والمقتصد القائم بما يجب عليه من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والاعطاء في النائبة ، والسابق الفاعل المستحب بعد الواجب كما فعل الصديق الاكبر حين جاء بماله كله ، ولم يكن مع هذا يأخذ من أحد شيئا وقال اخر الظالم لنفسه الذي يصوم عن الطعام لا عن

(١) كذا الاصل ولعله ولا يؤدى تمام زكاته

الاثام ، والمقتصد الذي يصوم عن الطعام والاثام ، والسابق الذي يصوم عن كل مالا يقربه الى الله تعالى ـ وامثال ذلك ـ لم تكن الاقوال (١) متنافية بل كل ذكر نوعا مما تناولته الاية

(الوجه الثالث) أن يذكر أحدهم لنزول الاية سببا ويذكر الاخر سببا اخر لاينافي الاول ، ومن الممكن نزولها لاجل السببين جميعا أو نزولها مرتين مرة لهذا ومرة لهذا . وأما ماصح عن السلف انهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض ، فهذا قليل بالنسبة الى مالم يختلفوا فيه كما ان تنازعهم في بعض مسائل السنة كبعض مسائل الصلاة والزكاة والصيام والحج والفرائض والطلاق ونحو ذلك لايمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجملها منقولة عنه بالتواتر

وقد تبين أن الله تعالى انزل عليه الكتاب والحكمة ، وامر أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكرن مايتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة . وقد قال غير واحد من السلف أن الحكمة هي السنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « ألا إني اوتيت الكتاب ومثله معه » فما ثبت عنه من السنة فعلينا اتباعه سواء قيل انه من القران ولم نفهمه نحن ، أو قيل ليس في القران ، كما أن مااتفق عليه السابقون الاولون والذين اتبعوهم باحسان فعلينا أن نتبعهم فيه سواء قيل انه كان منصوصا في السنة ولم يبلغنا ذلك أو قيل انه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة

«١» جواب فان قال قائل

(انتهت المقدمة)

الحجاز والعرب

بين السلطان العامل الصامت ـ وملوك الرعاية القوالين

﴿ إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ﴾

ابتلي العرب بالترك المتعصبين لجنسهم يحاولون هدم لغتهم فدينهم أو يكونوا تركا فكان من أمرهم ما كان ... ثم ابتلوا بالشريف حسين بن علي أمير مكة فظنوا انهم ينالون بالنهوض معه استقلالهم فنهضوا ، فاذا به وبأولاد يتخذون العرب سلعا تجارية يبيعونها للافرنج ليكونوا ملوكا في ظل دولتي الاستعمار الكبريين ، ففقدوا بسوء سياستهم مهد الحضارتين الاموية والعباسية ، وقد ظل بعضهم مخدوعا باستقلال حسين فولده علي في الحجاز ، من حيث كان يسعى آخرون من أعقلهم وأعلمهم بالحقائق إلى القضاء عليهما قبل أن يفعلا فيه ما فعل عبد الله في شرق الأردن وفيصل في العراق ، وقد قضى الله على الأولين قبل أن يقضيا على خير تراث العرب والاسلام ، ونسأله تعالى ان يكفيهما الا خرين

ثم ابتلي العرب الآن في مهد أمتهم ، والمسلمون في مأرز دينهم بزعيم هو في نفسه خير مما كان يعرف عنه ويقال فيه ، كما كان أولئك شراً من كل ما كان يعرف عنهم ويقال فيهم ، وهو عبد العزيز ابن السعود سلطان نجد ، فالمرجو أن يكون هذا من الابتلاء بالحسنات بعد السيئات ، وبالخير بعد الشر ، كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) وعسى أن تكون عاقبة ما ذكر من الابتلاء الرجوع اليه تعالى باقامة سنته في السياسة والاجتماع ، وشرعه في الحق والعدل والفضل . ولما كان بعض السوريين وغيرهم مرتابا في أمر في السعود إما للجهل بتاريخه وسيرته ، وإما لقياسه على حسين وأولاده ، وإما لتأثير دعايتهم الطاعنة فيه ، وتأثير دعاية أجدادهم مع الترك في الطعن بسلفه وقومه المنبوزين بلقب الوهابية . رأيت أن أختم مقالاتي الكثيرة في هذا الموضوع بخلاصة من سيرة الفريقين

السلطان ابن السعود

لما بلغ أمير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أشده رأى نفسه مع والده وأهل بيته ضيوفا عند ابن الصباح صاحب الكويت إذ كان ابن الرشيد أمير شمر قد غلبهم بمساعدة الدولة العثمانية على أمرهم ، وأخرجهم من الرياض عاصمة إمارتهم ، فماذا فعل هذا الشاب الناشيء ؟

عزم على استعادة ملكهم فاستنفر زهاء ثلاثين رجلا من قومه ، فركب كل منهم ذلولا ، وخرجوا من الكويت إلى نجد يستنفرون من مروا به من عشائرها في طريقهم ، وهو كما قال الشاعر :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكّب عن ذكر الحوادث جانبا

فحارب ابن رشيد المجهز بمدافع الترك ورشاشاتها وقهره ، واستعاد إمارة آبائه وأجداده منه — ثم إنه غزاه بعد ذلك ، وكان قد نزل له والده عن إمارة نجد ، فأحسن الادارة ، ونظم القوة ، وهجم على عشائر شمر في جبلهم المنيع فحصرهم فيه في أيام الحرب الكبرى وشدة الغلاء ، وكان قادراً على أخذهم عنوة بالمناجزة ، ولكنه على شجاعته يكره سفك الدماء ، فيقف فيه عند حد الضرورة — وما زال يضيق عليهم الخناق ، حتى نزلوا على حكمه ، وخضعوا لأمره ، فأزال إمارتهم بضمها الى إمارته ، وحجته أن قطراً واحداً يتفق أهله في اللغة والدين والعادات لا يجوز شرعا ولا مصلحة أن يكون فيه حكومتان تتقاتلان ، وعلمان يتنافسان ، وقد وضع من بقي من أسرة آل الرشيد عنده في الرياض ، يعاملهم فيها معاملة أولاده وأهل بيته سواء

وكان قبل ذلك قد وجه عزمه إلى أخذ سواحل نجد التي على خليج فارس المعروفة بالحسا من الترك (ويسميها الترك متصرفية نجد) ففاز بذلك ولكن الترك رأوا أن يصالحوه كما صالحوا إمام اليمن ، ويجعلوه صديقاً لهم بدلا من الاستمرار على سفك دماء جيوشهم في بلاد العرب هدراً من غير فائدة سياسية ولا اقتصادية كما جربوا في القرون الماضية ، فعقدوا معه اتفاقا رسميا اعترفوا له فيه بأن بلاد نجد إمارة

مستقلة ، وأن الحكم فيها له ولذريته من بعده بالارث ، واشترطوا فيه شروطا هي نافعة له غير ضارة ككونه اذا احتاج الى ضباط ينظمون جيشه أو سلاح ونحوه يطلبه من الدولة دون الأجانب الخ

صارت نجد في أيامه إمارة كبيرة أحسن ادارتها ، وحفظ الأمن فيها ، ونظم الدعوة لنشر الدين والحضارة في قبائلها والقبائل المجاورة لها ، كما نظم فيها القوة المقاتلة تنظيما كافيا لحفظها ، والأمن من اعتداء أحد من المجاورين لها عليها ، ولكنه ليس تنظيما فنيا كجيوش دول الحضارة المعروفة ، على أن كبرى الدول صارت تحسب لقوته فى البلاد المجاورة له ألف حساب ، وخطبت مودته الدولة البريطانية ، وحاولت أن تستعين به على قتال الترك في العراق فأبى ، وعقدت معه اتفاقا اعترفت له فيه بسيادته على نجد وملحقاتها ومنها ما كان بيد الدولة العثمانية . وفي ذلك الاتفاق تقييد لاستقلال نجد الخارجي لا تشعر به حكومتها الا اذا أرادت الخروج من عزلتها ومعاملة العالم ، فان لم يكن ألغي فقد صار انفاذه اليوم أسهل مما كان بالأمس ، لأن الدولة البريطانية أحوج الى موادة ملك الحجاز وسلطان نجد اليوم منها الى سلطان نجد وحدها بالأمس ، ولا تزال حريصة عليها في الظاهر ، وان كانت تكيد له في الباطن ، على انه هو قد صرح في مكة بأن استقلاله مطلق لا نفوذ عليه ولا في بلاده لأجنبي قط

فعل كل هذا عبد العزيز آل سعود — وما هذا بقليل على مثله في هذا الزمن القصير ، وهو مع هذا في منتهى التواضع في معيشته وحكمه ومعاشرته للناس من أهل بلاده وغيرهم ، لم تجنح نفسه للترف والنعيم ، ولا للزينة والزخرف غير المعتاد أو المحظور شرعا ، ولا للعظمة والكبرياء ، ولا للتمتع بالألقاب الضخمة ، ولا لتسمية أعوانه بالوزراء والحجاب ، ولا للانعام عليهم بالرتب وشارات الشرف ، كما فعل الملك حسين ، وكذا ولده عبد الله في امارته الصغيرة الحقيرة التي هو فيها تحت سيطرة الأجانب وخدمتهم ، ولا بث دعاية لنفسه ولا لقومه في البلاد العربية ، ولا غيرها من البلاد الاسلامية ، لا باسم الوحدة العربية ، ولا بعنوان الجامعة الاسلامية ، ولا اصطنع جريدة ولا بذل

المادحين ولا للناقدين درهما ولا ديناراً ، وهو لا يبالي بالأقوال ، وإن كان يبالي بها ويهتم بأمرها ساسة الدول الكبرى ويبذلون في سبيلها الملايين ، ومن المعلوم أن حاله غير حالهم ، وماله غير مالهم ، وبيئته غير بيئتهم ، وقد سخر الله له كثيرين يعملون للمصلحة التي يبغيها لا له ، فاغناه عن استئجار الأقلام المنافقة

وقد ناصبه الشريف حسين وأولاده العداء منذ صار أمر الحجاز بأيديهم وكادوا له وتحرشوا به مراراً كان أقواها زحف الشريف عبد الله على الخرما وطربة بأعظم قوة منظمة وجدت في الحجاز عقب استيلاء حسين على المدينة المنورة ، وخروج الجيش التركي منها بانكسار دولته ودول أحلافه ، فكسره الاخوان شر كسرة ، ومزقوا شمل جيشه المنظم ، وفرّ هو منهزماً يحاكي الاخوان من الوهابية في زيهم وكلامهم ، حتى صرح له والده بأنه كان يفضل قتله على نجاته بهذه الصورة المزرية. ولم يكتفوا بخزي هذه الكسرة الشائنة ، فتحرشوا بالنجديين بعد ذلك مراراً ، ومنعهم الملك حسين من أداء فريضة الحج ، وضيق على تجارتهم حتى منعها من الحجاز ، وأسرف في الكيد والدسائس لسلطانهم ، والسعي لاعادة إمارة ابن الرشيد في نجد وامارة آل عايض في عسير وضمهما إلى الحجاز. بل وضع بناء سياسته في جزيرة العرب على أساس تقسيم السلطنة النجدية والبلاد اليمنية الى عدة إمارات ، تابعة لملك واحد (أي له) في السياسة والعسكرية ، والشؤون العامة ، وبالغ هو وأولاده في احتقار السلطان عبد العزيز بن السعود ، حتى أن أضعفهم أجير الانكليز في مديرية شرق الأردن لا يعبر عنه إلا بشيخ عشائر نجد ، دع طعنهم في دينه ودين قومه على حدّ تعيير مادر لحاتم الطائي بالبخل ، ...

وقد عاملهم هو بالحلم الواسع فلم يزدهم حلمه إلا بغياً وغروراً ، حتى اذا قامت عليه الحجة بوجوب انقاذ الحجاز من ظلم حسين وإلحاده في الحرم على ما أفتينا به بناء على الأخبار التي تواترت برواية الكثير من الحجازيين والا فاقيين من الحجاج وغيرهم ، وقرر ذلك مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد أمر بالزحف على الطائف التي هي أمنع معاقل الحجاز ، ومركز أكبر قوته العسكرية ، فزحف الاخوان من متدينة الحجاز ونجد ، فأخذوا الطائف عنوة ثم

ماوراءه من المعاقل الحصينة ، وأعظمها الهدى وكرى ، وفر الشريف علي القائد العام وولي عهد الحسين كما فرّ أخوه قبله من بأس الاخوان ، واستأذن قائد الجيش — وهو الشريف خالد بن لؤي أحد شرفاء مكة — من السلطان بالزحف بمن معه على مكة المكرمة وغيرها ، ولو أذن لهم لاستولوا على كنوز الملك حسين وذخائره كلها ، وانتهى أمر الحجاز كله في شهر أو شهرين

ولكن هذا السلطان العاقل الحليم الصبور أمر بوقف الزحف حتى يحضر بنفسه إذ بلغه أنه قد وقع من الاخوان في الطائف شذوذ مخالف للشرع بقتل بعض الأهالي غير المقاتلين ، وسلب بعض الأموال ، فخاف أن يقع مثل ذلك في أرض الحرم — ولانه لايستحل القتال في الحرم على مافيه الخلاف كما بيناه في الفتوى المشار اليها آنفا ، فأمر بانتظاره حتى يحضر هو بنفسه ، وكان يمكن الزحف على جده ، أو قطع الطريق على الملك حسين بينها وبين مكة المكرمة ، ولكنه لم يأذن بذلك أيضا ، وقد شرحنا ذلك من قبل

ثم انه — أي السلطان — جاء بنفسه وأمهل الملك حسينا حتى فرّ بأمواله وذخائره الى جدة ، فاستولى على مكة سلما ، ودخلها هو ومن معه محرمين بالعمرة ، ثم أفرط في التأني والتريث حتى كان ما كان من تحصين الشريف علي لجدة ، ووضع حامية في حصون المدينة المنورة ، وكان قد تألف فيها حزب وطني نصبه ملكا دستوريا على الحجاز باذن والده ، وقد اختار السلطان عبدالعزيز حصار جدة على مناجزتها خلافا لأكثر أنصاره وأوليائه من النجديين وغيرهم ، وصابرها أكثر من سنة حتى سقطت من تلقاء نفسها ، وكان قد حاصر حامية المدينة المنورة أيضا ، فاستسلمت قبل استسلام جدة بأيام كما علمه الخاص والعام ، فكانت العاقبة حسنة على ما كان في الوسائل من الأغلاط ، وتمّ « لشيخ عشائر نجد » الاستيلاء على جميع الحجاز مع عسير ، وصار ملكه ممتداً من البحر الأحمر الى خليج فارس ، ولم يزده هذا كله الا خشية لله تعالى وتواضعا للناس ، وتنزها عن الدعوى والتنفج والتبجح الذي عهدناه من غيره :

(٢)

الشريف حسين وأولاده

وأما حسين بن علي شريف مكة وأميرها فلكنها فدعي ملك العرب فمنتحل الخلافة الاسلامية فقد فتن هو وأولاده بحب المجد الكاذب ، والملك الصوري في ظل الاجانب ، فأجمعوا أمرهم على جعل البلاد العربية تابعة للدولة البريطانية ليكونوا خلفاء وملوكا فى ظلها ، لعلمهم بأنهم من حيث هم هم ، كالهباء أو كالعدم لاظل لهم ، وأنه ليس لهم عصبية قومية يتملكون في ظلها ، وأنه لم يكن لهم ولا لسلفهم من أمراء مكة حسنة فى الحرمين الشريفين في علم ولا عمل يستميلون بها أهل الحجاز ولا غيرهم من العرب أو المسلمين بتمنيتهم العود إلى مثله ، بل لا يحفظ التاريخ عنهم منذ بضعة قرون إلا الظلم والالحاد في الحرم . وانما كان أمراء مكة ينصبون من قبل الدولة المصرية ثم الدولة العثمانيـة ويظلمون الناس من حجاج وحرميين في ظلهما ،

وقد انتفخوا في هذا الزمن كبراً وعتواً وغروراً بما كان من ميل الانكليز الخادع لهم ، حتى لم يبق في أدمغتهم ولا قلوبهم أدنى ولا أصغر موضع لنصح ناصح ولا تذكير مذكر ، فقد نصحنا ونصح غيرنا لكبيرهم ولصغيرهم بانه لا رجاء لهم فى حفظ سلطانهم في الحجاز إلا بقوة أمتهم واتحادها وتضامنها ، وأن هذا الاتحاد لا يمكن حصوله في جزيرة العرب إلا على قاعدة الحلف بين حكوماتها المسلحة ، وأعظمها وأقواها حكومتا نجد واليمن ، وضمنا لهم إقناعهما بذلك اذا رضي به حسين ، ولكن حسيناً لم يرض ان يتنزل درجة من عرش سماء عظموته وجبروته ، ولا ان يتحول خطوة عن جعل جميع البلاد العربية وفي مقدمتها اليمن ونجد خاضعة لامبراطوريته وخلافته ، كما أشرنا الى ذلك آنفاً ، وانما كان قصارى واضعه أن يعد بالسماح لكل من إمامي اليمن ونجد باستقلال إداري في بعض البلاد الخاضعة لهما الآن وهو ما كان خاضعاً لهما قبل الحرب الكبرى . وهو على هذه الكبرياء والغرور والدعوى لم يتخذ لملكه قوة عسكرية تكفي لحفظ الحجاز من التعدي عليه . ولم يقدر أن يخضع

قبائله لطاعته، بل اكتفى من عظمة الملك بالألقاب والرتب الدولية وأسماء الوزارات الصورية ، والموسيقى الملكية ، فكان كما قال الشاعر :

* كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد *

غر حسينًا وعود الانكليز الخادعة لأنه يجهل تاريخ الهند، وما هو أقرب منه اليه وهو تاريخ مصر الحديث

ثم غر حسينا مبايعة جمهور من الفلسطينيين والسوريين بالخلافة العظمى فظن انه صار امام المسلمين الأعظم ، وكان قبلها يحتقر إمام اليمن وسلطان نجد ، فصار بعدها يحتقر مصر والهند ، ويقول فيهما ماقال مالك في الخمر، بل صرح بتكفير المصريين وشبههم بالأنعام ، وصد حكومتهم عن ارسال ركب الحج ومايتبعه من الأموال والأرزاق إلى أهل الحجاز ، وألف لجنة لتضع له المطاعن في بعض الكتب الاصلاحية ومؤلفيها من المتقدمين والمتأخرين ليبلغ العالم الاسلامي الامتناع من قراءتها بما له من السيطرة الدينية بزعمه لانتحاله لمنصب الخلافة ؟. وللدعاوي العريضة التي كان يمتع بها نفسه بما ينشره في جريدته (القبلة)

ومما زاد حسينًا غرورًا بنفسه تلك الكنوز التي كنزها من مال الرشى الذي أفاضها عليه الانكليز وعلى أولاده في عهد الحرب فقد بلغ كما روي عن (مستر لورانس) المستشرق الذي كان يدير دفة سفينة الشرفاء في لجج الصحراء ثمانية وأربعين مليونًا من الجنيهات الذهبية ، وما كان يبتزه من مال السحت في كل عام من الحجاج وأهل الحجاز جميعًا ، وقد بينا أنواعه فى الخطاب العام الذي نشرناه فى المنار

ومما زاده وزاد أولاده غرورًا تزلف كثير من المنافقين لهم ، واصطناعهم لبعض الجرائد العربية التي تطريهم وتدافع عنهم ، وتغش الناس بهم ، وتجعل سيئاتهم حسنات ، وتهون أمر خصمهم ، وتنفر العرب والمسلمين منه ، ولا سيما سلطان نجد وقومه ، وفي مقدمة هذه الجرائد المقطم الذي ثبت على امداد حسين فعلي فى البغي والغرور ، ونصيره دعايتهما بالافك وقول الزور ، فصبرا وصابرا الى أن قضى الله عليهما ، وأدال لخصمهما منهما ، ولم يستفيدا من هذه المصابرة

الا خسارة القناطير المقنطرة من الذهب التي جمعاها من السحت والظلم . وفضيحتهما فيما اختلقا واختلق لهما أنصارهما من الطعن في ابن السعود وقومه ،

دعاية المقطم لحسين وأولاده

أسرفت جريدة المقطم في الدعاية الحجازية ، وسمحت لأحد محرريها بلقبه المنوط به التوسع في المسائل الشرقية أن يرخي لنفسه العنان في هذا الميدان، فيقول ماشاء من أنباء معزوة وغير معزوة ، وآراء معقولة وغير معقولة ، ولم تعد تحسب لما يكشفه المستقبل حسابا . فكانت في الدعاية لهؤلاء الجاهلين مثلهم على ما أوتي أصحابها من علم وخبرة وتجارب ، ولا نبحث هنا عن علة ذلك وسببه من سياستهم ، ولا فيما هنالك من معاملة مالية بينها وبينهم

دع ما أذاعوه عن موت ابن السعود بالسل ،ودع تأويل أكذوبتهم بعد ظهورها بأنه مسلول في الدرجة الأخيرة التي لاتطول معها الحياة ، فان هذا وذاك مما عددناه نحن محتملا للصدق ، حتى كذبته لنا أنباء البرق ، وتذكر ان كنت ناسياً ما كانت تنشره من أخبار قوة الملك علي الحربية ، من جيوش نظامية وبدوية ، وأسلحة لاتقل عن أسلحة الجيوش الألمانية ، من سيارات مدرعة ، ودبابات مروعة ، وطيارات مسلحة تحلق في الجواء ، وأساطيل مواخر في الدأماء، وجحافل ترى حتى يكاد يضيق بها رحب الفضاء ، ومن سعي الملك عليّ الدستوري (!) تارة للصلح على ما أوتي من قوة وبأس شديد، كراهة لسفك الدماء، وايثاراً للمودة على البغضاء ، واحتراماً لأرض الحرم المقدسة ، وعزمه تارة أخرى على مطاردة الوهابيين وانتزاع الحرم منهم بالقوة ،ثم الزحف على بلادهم، أو يدخل بلدة الرياض عاصمة سلطنتهم،

« هذا من جهة أو من الجهة الواحدة ومن جهة أخرى » — كما تعبر المقطم — أن ماعليه الاخوان الوهابيون من الفقر والعوز ، وقلة السلاح والذخيرة ، والحرمان من النظام والدربة ، ومن وقوع الشقاق بينهم ، وخروج بعض القواد على سلطانهم ، واشتعال نيران الفتن في عقر دارهم، والأخطار التي تساورهم من القبائل التي في جوارهم، كل ذلك من آيات خذلانهم وسوء عاقبة سعيهم .

ومن جهة ثالثة - وإن لم تكن من هجيرى الكاتب - ان وليّ عهد امام اليمن قد خطب قومه يغريهم بالوهابيين المخالفين في الدين ، والمنابذين للزيديين، وأن هبوات الزحف اليمانية ، وقسطل سنابك الخيل الزيدية ، ستغشى بلاد الحجاز من الجنوب ، فتتلاقى مع جحافل الحجاز من الشمال ، وتلتف حول هؤلاء الشراذم من الاخوان ذات اليمين وذات اليسار ، فتحيط بهم من كل مكان ، حتى لا يتفلت منها إنسان — ومن مزاعم المقطم في هذه الجهة أن سلطان نجد لم يدع الامام يحيى الى مؤتمر الحجاز، والحق أنه دعاه ، وأنه أول من أجاب الدعوة

ومن جهة رابعة أن العالم الاسلامي سيكون إلبًا واحداً على هؤلاء الوهابية تشيعاً للأسرة الهاشمية ، كما تقتضيه معارف محرري المقطم الاسلامية ، ولا سيما بعد أن اتهمهم الصادق المصدوق الصّديق الملك علي الهاشمي الدستوري وكتاب دعايته بهدم القبة الخضراء ، المظللة لقبر سيد أفضل من أظلت السماء ، وأقلت الغبراء ، صلوات الله تعالى عليه وعلى آله الأصفياء ، وأصحابه الأولياء، وبهدم قبر سيد الشهداء ، (حمزة رضي الله عنه) الخ

ومن جهة خامسة أن مما انفرد به المقطم دون أجراء دعاة البيت الهاشمي على الاختلاق تلك المواد التي صورها للمؤتمر الذي عقد بين السلطان والجنرال جلبرت كلايتن ومن معه من مندوبي العراق لتسوية الحدود بين نجد وبين العراق وشرق الاردن ، فقد ادعى المقطم أنه وقف على ماتقرر فيها ونشر مواد تنفر العالم الاسلامي من سلطان نجد كذبتها الحكومتان الانكليزية ثم النجدية، ولكن بعد أن صدقها الكثيرون في الشرق والغرب وتقلتها عنه صحف كثيرة لا يخطر في بال أصحابها ان المقطم تكذب كذبا صريحا في أمثال هذه المسائل التاريخية الرسمية

ويشبه هذه المواد في ظهور كذبها بعد نشرها تلك المواد التي لفقتها، والشروط التي زورتها ، في شأن تسليم الملك علي للسلطان ابن السعود في جدة ، وكانت إحدى الجرائد ظنت أن المقطم تلقاها من الوكالة العربية فنقلتها وعزتها الى الوكالة فنفاها الشيخ عبدالملك الخطيب وتبرأ منها .ثم جاءت جريدة أم القرى المكية ناشرة الشروط الرسمية فعلم كذب شروط المقطم الفاضح ، وأنا لا أعتقد

أنها لفقت في إدارة المقطم وإنما الراجح أن رجال الملك علي الذين فروا من جدة لفقوهم هذه كما ان مندوب الملك فيصل في مؤتمر بحره هو الذي اختلق لهم شروط مؤتمر بحرة . وذنب المقطم انه أباح لهم صفحاته على مايعلم من كذبهم وحمل تبعته بنشره باسمه وجعله من معلوماته الثابتة عنده

ومن جهة سادسة — والجهات الحسية ست — انه كان مثلهم يجمع بين النقائض والأضداد فينشر لهم مايغشون به أمتهم العربية وملتهم الاسلامية من ايهام استقلالهم وعملهم لاستقلال الأمة ، وذم الوهابية ، وسلطانهم ثم ينشر بعض الأخبار ولاسيما الرسمية المكذبة لهم ، ويكتم مايمكن كتمانه من التصاقهم بالدولة البريطانية وجعل الحجاز تحت حمايتها حتى ان حسينا لم يترب بخروجه من الحجاز مذؤما مدحوراً ، ثم من العقبة ملوما محسوراً ، وانتباذه في قبرص مغمولا مثبوراً ، وخذلان «العظمة البريطانية» له كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، لم يترب بهذه العاقبة السوءى فظل يأوي إلى ظل ماسماه «مقررات النهضة» من حماية الانكليز لمملكته اوهمية من الداخل والخارج ولاسيا بعض « الأمراء الحاسدين » فكتب الى رئيس الوزارة البريطانية يعاتبه ويطالبه باخراج ابن السعود من الحجاز ، وقد رد عليه الوزير رداً شديداً ونشر المقطم كتاب الملك المخدوع ورد الوزير عليه . فأين هذا مما كان قد نشره من تصريحه بأن استيلاء ابن السعود على الحجاز آثر عنده من تدخل الانكليز في شؤونه ؟

وكذلك كان فعل ولده علي صرح بمثل هذا التصريح ونشر له المقطم وغيره أقوالا توهم حرصه على الاستقلال المطلق دون الأجانب وتفضيل ابن السعود عليهم ، كما انه قد ثبت انه كان يسعى لجعل الحجاز تحت حماية الانكليز رسمياً بشرط ان يخرجوا ابن السعود منه ، سمعنا هذا أولا من الوفد الهندي الذي كان في جدة وقد عرفوه من قنصل الانكليز فيها . ثم سمعناه ممن قدم بعد ذلك من جدة كالدكتور خالد الخطيب الذي كان رئيس مصلحة الصحة عند علي . وثبت أيضاً انه كان يسعى لرهن جمرك جدة لدولة أجنبية تقرضه مليون جنيه لمتابعة قتال ابن السعود . وثبت أيضاً ان أخاه الملك فيصلا سعى له هذا السعي لدى الدولة البريطانية ثم الدولة الفرنسية عند زيارته لها في الصيف الماضي . وقد خاب السعي

لديهما ولدي الدولة الايطالية أيضا ، ولو تم لكان سببا لعبث الدولة المستولية على الجرك باستقلال الحجاز، واحتلالها ثغره الأعظم الذي هو مدخل أكثر الحجاج ،

وقد كان كل انتصار لهما خذلانا ووبالا عليهما ، ونكالا وفضيحة لهما ، وسببا لخسارتهما أكثر ما جمعا من مال السحت والخيانة .

ونذكر ههنا على سبيل الاستطراد زيارة الملك فيصل عاصمة فرنسة التي طردته من سورية أقبح الطرد في الوقت الذي كانت مدافعها تدمر فيه مدينة دمشق وغيرها لأجل اقناع حكومتها بنصب أخيه زيد ملكا عليها واقناعها بأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لتوطيد سلطانها الاستعماري فيها ؟

هذه جملة موجزة من سيرة الملك العربي الفعال، وسيرة ملوك الدعاية القوالين، وسماسرة الاستعمار الاوربي في البلاد العربية ، ولما نشره المقطم من الدعاية الباطلة لهم ، لخصتها وأوردت بعضها بعبارة شعرية أو كالشعرية لئلا تمج الأسماع قراءتها ، إذا هي ذكرت بعبارتها ، بعد ان اطلعوا عليها في أوقاتها ، ونحن نحفظ قصاصات المقطم الحاوية لها . وإنما كتبناها للعبرة بها ، والتحذير من مثلها ، فاننا نرى ان دعاية الافساد الهاشمية لم تنته بانتهاء أمر الحجاز ، وبلغنا أن رئيس حكومتي حسين وعلي الساقطتين نقل ذلك عن دار المندوب السامي بمصر ، وان الملك عليا أعطي بعد وصوله الى العراق مائة وخمسين ألف جنيه لتنظيم دعاية جديدة ، فننصح لمن يعنيهم أمر الحجاز من العرب وسائر المسلمين أن يكونوا على حذر ، ويتكاتفوا ويتعاونوا على وقاية مهد أمتهم ودينهم من الخطر ، وأن يقارنوا بين تينك السيرتين بالأعمال، فانها لا تقبل التضليل كالأقوال ، ويفكروا فيما يجب في الحال ، لحسن العاقبة والمآل

﴿ خاتمة كتاب ملوك العرب لأمين الريحاني الكاتب الشهير ﴾

وهي خلاصة اختباره الشخصي سنة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م

رعية الملك حسين تطيعه وتخافه

« ابن سعود « وتحبه

« الامام يحيى « دون حب ودون خوف

« الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع إلا مكرهة

فمن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق ان يسود العرب ؟

استيلاء ابن السعود على جميع الحجاز

وثائق تاريخية

(١)

(تسليم المدينة المنورة)

جاء في العدد الحادي والخمسين من جريدة أم القرى الذي صدر بمكة المكرمة في ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥ مانصه:

لقد كان أكبر همّ عظمة السلطان أيده الله في حربه مع الشريف حسين وأولاده أن يبذل كل وسعه ومجهوده لمنع حدوث أي حادث مكدر بجانب البلدتين المقدستين مكة والمدينة ، وكان لما تم أمر مكة ، ودخل جند عظمة السلطان لها ، قدم بعض أهل المدينة يطلبون الأمان على المدينة وما حولها ، ويطلبون إرسال عدد قليل لاستلام البلدة المقدسة ، فأرسل عظمة السلطان قوة قليلة من جنده بقيادة صالح بن عدل الى حوالي المدينة ، ولما وجد الحامية التي فيها لا تنوي الاستسلام سلماً أصدر أمره الكريم بعدم مهاجمة المدينة ، والاكتفاء بحصارها عن بعد ، ولكن ذلك الحصار لم يكن شاملا حتى لا يعظم الضيق على تلك البلدة المقدسة ، ولما طال أمد الحرب ، ووجد أن ترك أمر المدينة بدون تدبير مرتب يطيل الأمر ، بعث عظمة السلطان قوة تحاصر المدينة ، فتمنع وصول الارزاق لحاميتها ، وأرسل لأهلها أن يخرجوا من البلدة ، وأمنهم على أرواحهم وأموالهم ، واستقبلهم جنده أحسن استقبال ، وسدّ عوزهم ، وحمل قسما منهم الى مكة ، وأكرم مثوى الباقين ، وإذ ذاك بدأ الضيق الشديد في المدينة على الحامية ، وبدأت فكرة التسليم تسري الى رجال الحامية ، وقد بعث فريق منهم مصطفى عبدالعال بكتب لعظمة السلطان ، يطلبون التسليم على شروط اشترطوها ، فأجابهم

عظمة السلطان اليها اذا وفوا بشروط التسليم ، وعلى ذلك أمر نجله سموّ الأمير محمد بالتوجه لاستلام المدينة ، فلما وصلها لم يوفّ الذين كاتبوا بالأمان عهدهم في حينه ، فازداد الحصار شدّة على الحامية . وهذا نص البرقيات التي تبودلت بين جدّه وحامية المدينة بشأن مصطفى عبد العال ، عثرنا عليها في دائرة البرق اللاسلكي في المدينة المنورة ، وهذا نصها :

البرقيات التي تبودلت بين حكومة جدة وحامية المدينة

المدينة ١ ربيع ... — قائد المدينة وكيل الأمير مصطفى عبد العال وصل مكة بالكتب ، صادروا جميع أمواله وأملاكه في الحال علي

جدة ١ (ج ١) الى الملك

نحن لانشك بأن شحات كاتب ابن سعود بواسطة عبد العال بعد أن قرأنا صورة الكتاب المرسل منه ، ومختوم بختمه الخاص ، وبعد أن حسّ بمصادرة أموال مصطفى أخذ جميع صناديقه وذهابه الذي كان وضعه عند مصطفى سابقاً ونحن نريد من الله أن يكون هذا ليس له صحة

قائد المدينة وكيل الأمير

المدينة ١ ج ا — قائد المدينة — وكيل الامير

اذا ظهر لكم منه حركة اقبضوا عليه هو ومن يلوذ به علي

المدينة ٢٠ ربيع الثاني قائد المدينة وكيل الأمير

قرأنا في أم القرى أن مأمورين المدينة طلبوا الأمان ، وكاتبوا ابن السعود لأجل التسليم ألحقوا المسألة وكذبوها علي

جده ٢٢ ربيع الثاني (كذا في أم القرى) الى الملك

غداً سنرسل برقية للعالم الاسلامي ولابن سعود نفسه نكذبه بأن المدينة ما طلبت التسليم ، وسنختمها باسم عموم المأمورين والقبائل وأعيان البلاد

قائد المدينة

جدة ١٠ ج ا الى الملك

اليوم كتبنا الشريف شحات كتابا الى ابن سعود ، وإلى النشمي ، والى الصعيدي مصطفى يكذبهم فيه جميعاً بأنه لم يكاتب قائد المدينة

(نشرنا هذه البرقيات ليعلم الناس أن هؤلاء القوم يعملون العمل ويعرفونه ثم لا يعتذرون عنه ، بل يميلون للكذب فيه ليماروا على الناس . ومما يدل على ذلك برقية أرسلها الشريف علي لقائد المدينة ليرسلها الى عمان ليموه على الناس فيها ، وهذا نصها) :

جده ١٥ ربيع الثاني — وكيل الأمير والقائد وقائد الخط ورئيس الديوان

برقياتكم لشرق الأردن بخصوص إلحاق المدينة الى الشرق العربي تناقلتها الصحف العربية الاسلامية ، وستضر بموقفنا الحالي جداً ، الحقوا المسألة وكذبوها في هذه البرقية اكتبوها للأخ عبد الله بعمان تبتدىء (كنا سابقاً نظراً للضيق الذي كنا فيه طلبنا معاونتكم لنا فقط ، والآن الحمد لله العدو انسحب من أمام خطوطنا ، وقد وصل ٣٥٠ حمل ، ونحن مازلنا مجاهدين ومدافعين عن قبر الرسول بأرواحنا ، ونبذل الغالي والرخيص في هذا السبيل) عسى ولعل ترتق ما حصل في الأذهان والأفكار العمومية علي

المراوغات

لما نشر الشريف علي في الأنحاء الأكاذيب عن المدينة المنورة ، وجاءت الوفود لرؤيتها أخذ يعمل الأساليب المتعددة لخداعهم في المدينة أيضاً ، وهذا نص البرقيات التي أرسلها من أجل قنصل ايران

١ ج ا — قائد المدينة وكيل الأمير . قائد الخط رئيس الديوان

نبشركم ، العدو انسحب من أطراف ينبع ، أرسلوا من يتجسس وعرفونا ، وأظن أن العرافة رئيسهم توجه لعندكم ، وكذلك محمد ولد ابن سعود توجه لطرفكم ، بناء على الكتب التي أرسلت لأجل التسليم ، ومعه قنصل لايران وعبد الله الفضل

وهذا الأخير هو عدوّنا ، فلا تخلوه يختلط بالناس، ولا يمشي بنفسه ، راقبوه كل المراقبة ، واعرفوا كيف تشتغلوا علي

٨ ج ا — المدينة ، الشريف شحات

إجمعوا جميع النخاولة والأهالي المظلومين وخذوهم الى القنصل الايراني ويحكوا له كل الذي حصل عليهم من الفظائع ناصر بن علي

جدة ٩ ج ا — ناصر بن علي

عرضت عليهم جميع الأهالي والنخاولة المظلومين فلم يعملوا بمشورتي شحات

(وهذا نص البرقية التي أرسلها الشريف علي لمنع دخول وفد جمعية الخلافة الهندي الى المدينة المنوّرة)

٨ ج ا قائد المدينة ، وكيل الأمير

بلغنا أكيداً أن وفد جمعية الخلافة الهندية وصل رابغ ، ومنها لمكة، ومنها سيتوجه لطرفكم ، فاذا وصل وأراد دخول البلدة ، فاطلبوا منه هل جبتوا أمر من الحكومة الهاشمية ، فاذا مامعهم أمر فلاتدخلوهم ، وإذا قالوا : معنا قولوا لهم تفضلوا ، لأن هذا الوفد هو عدوّنا ، وقريباً سيصل جدة وفد آخر هندي ضد هذا الوفد فلا يهمكم ذلك علي

دور الشدة

ومن تاريخ ١٠ جمادى الأول بدأت المشادة بين حامية المدينة والشريف علي ، وهنالك خرج الشريف علي عن جميع الحدود، فأباح في الحرم المدني المقدس السلب والنهب ، وبيع الجوهرات ، وهذا نص البرقيات التي عثرنا عليها في هذا الصدد ننشرها للتاريخ بحروفها وأغلاطها :

جدة ٥ ج ا — إلى الملك

نحن لايهمنا لا ابن السعود ولا السعود بنفسه ، إنما الذي يهمنا هو الأرزاق للجند ، الجند بعد ما انتهت من تخريب البيوت بالخارج بدأت تنهب بيوت الداخل وعدتونا بارسال الطيارة بالدراهم المتيسرة ، الى الآن لم نر لها

أمراً ، دبروا وارسلوا لنا الدراهم ولو ببيع إحدى البواخر ، وترون منا مايسركم
رئيس الديوان قائد المدينة

المدينة ١ ج وكيل الأمير قائد المدينة

ج جاوبوا ولد السعود بأشد مايمكنكم حتى لا تجعلوا له باب للمخابرة معكم قطعياً ، وهكذا يقطع أمله منكم علي

جدة الى الملك ١٠ ج ا

تأكد لدينا أن محمد ولد السعود واجه أحد من أهل المدينة في رابغ وأحكوا له قضية بيع مجوهرات الحرم ، ولكن تداركنا الأمر وكذبناها أمام القنصل الايراني ، بالطبع أم القرى ستنشرها يكون معلومكم قائد المدينة

جدة ١٣ ج الى الملك

امضوها وخلصونا

فهمنا انكم انتم الذين مؤخرين انهاء المسألة بسبب عدم امضائكم المعاهدة للانكليز انقضى الأمر ولا بقي في اليد حيلة ووقعنا في الذى نخشاه . الجنود ماعندهم أرزاق الا ثلاثة أيام. التحويل لايمكن أخذه من البلدة. العدو الذي جانا قبل مدة لم يزل باقي هنا ينتظر الدراهم ، وقصارى القول أنه اذا للغد لم ترسلوا الطيارة في الساعة السادسة سنفاوض العدوّ عزت عمير ، عبدالمجيد احمد

المدينة ١٣ ج ا — وكيل الأمير قائد المدينة قائد الخط رئيس الديوان

ج باكر الثلوث تجيكم الطيارة، هل تريدون انتحاري علي

جدة ١٤ ج ا الى الملك

تزيداً لقوة معنوية الجيش وتنشيطا لهم وإرهابا للعدو لابد من ارسال الطيارة الى المدينة ، ولو تحوم مؤقتا وترجع حالا ، لابد من ذلك ، وليس لدينا غير هذا عبد الله بن عمير

المدينة ١ ج ا — رئيس الديوان

ج . لعدم وجود البنزين عندنا لا يمكننا ارسالها الا بعد عشرة أيام لينها

نحضر لها البنزين في الباخرة مع ذلك سأجتهد أنا والطيارين في ذلك

علي

المدينة ١٤ ج ا — رئيس الديوان

برقياتكم أمس وملحقاتها أزعجتني للغاية ، ماأدس عليك ياعبدالله، الحال واقف معانا بالمرة من شهر وزيادة ، وأنا أتشبث لقرض برهن أو بيع أملاك فلم نتوفق، الأجانب محتجين بأنهم على الحياد ، لولا اعتمادي عليك ما أطلعتك على هذا تبصر بالأمر أنا في حيرة بسبب إرسال الطيارة ، قلت لكم بيعوا الذهب والفضة التي بالحرم قلتو (؟) لما نحتاج فهل بقى احتياج بعد ما تقولوا الى الغد الساعة السادسة إن لم تروا الطيارة فنحن نفاوض العدو . الحالة التي أنتم بها تجيز لكم عمل كل أمر ، انهبوا واكسروا ولا تهددوني بمثل هذا، الحالة التي نحن فيها لاتقل عن حالتكم ، ارحموني دخيلكم ، اصبروا مقدار عشرة أيام حيث يصلنا دراهم من سيدنا نرسل لكم منها علي

المدينة ١٧ ج ا وكيل الأمير ، قائد المدينة

بلغنا من نجاب ورد اليوم من مكة أن ولد السعود محمد توجه من طرفكم إلى رابغ ، حققوا وعرفونا علي

جدة ١٧ ج ا الى الملك

ج ولد ابن سعود هنا قائم بتخريب وتجميع العربان ، والتضييق علينا

قائد المدينة وكيل الأمير

جدة ١٧ ج ا إلى الملك

ج كررت الشرهة علينا وبالنتيجة تقول كاوا المحرمات فلا بأس ولكن فيها مضرة ولا نرى منكم إلا اشارة الاهانة بحيث صرحنا للعالم الاسلامي ولا حصلت فائدة وهذه من جملة إشارات ماعرضنا لكم ولا عاد فينا صبر بعد ذلك ونحن بدنا دولة مستقلة وأنتم استقليتم بها في أول الوقت فكيف تشرهوا علينا في الآخر

رئيس الديوان قائد الخط قائد المدينة

وكيل الأمير والقائد وعزت وعبد الله

المدينة ١٧ ج ا وكيل الامير والقائد وعزت وعبد الله

ج لولا غلاكم وغلاء من أنتم بجواره واعتقد أنكم تقولوا اني ماشرهت عليكم وأكل المحرمات مباح عند الضرورات مع هذا ما قلت كلوا حرام وأما الاهانة منكم ولو صدر مني شيء فبرقياتكم أمس تجعلني مثل المجنون أقول ولا أدري عن الذي أقوله وله الحمد الذي ماضيعت شعوري الغاية هي أن بعد الله ثم استنادي اشتغلوا شغل العقال ونحن ندبر الذي ييسره الله ونرسله لكم اما تحويل واما بالطيارة واستعينوا بالله والصبر والشدائد لابد لها من فرج ومثلكم يعرف كل شيء وأما شرهتي كما تقولوا في مخابرة الأجانب فأنتم أعرف بذلك فاذا فكرتوا تعرفوا محذورها وقد حررنا على شحات فى لزوم تأدية الدراهم لكم مع استشارتكم في تدبيرها ولا تقصروا في جهدكم بشيء وأيضاً أمرنا ناصر يؤكد عليه في ذلك هل استلم الحوالة من الخجا يكفي مالقيته يا مسلمين علي

جدة ١٧ ج الى الملك

من يشك في ثباتنا الذي توهم عنه ببرقياتكم المتعددة نحن لانزال محافظين على عهدنا ووعدنا حتى نفقد موجودنا ولكن الدرجة وصلت اللحم وبعد كل هذا هل عندكم أمل ؟ نحن نريد منكم تأمين معيشة الجند الذي منذ ثلاثة أيام محروم الطعام هل رأيتم من يصبر على هذا ، وهل كان هذا بمساعدة الأمة التي تنصرونها ، أم بحسن تدبيرنا ودرايتنا ، أين الوزراء الذين قلدتهم الأمور ؟ أين الوكلاء ؟ أين رجال الدولة ؟ اين الذين أوعدوك المعاونة عند الشدائد ؟ أين الذين أشاروا عليك بتطويل المواعدة ؟ هذا يومهم اجمعوهم ان استطعتم يفكروا في أمرنا لأنك تعلم بأن دوام الملك موقوف علينا والله ثم والله نكتب لكم هذا ونحن على ثقة بأن اليوم هذا هو آخر عهدنا بكل صراحة نقول إذا لم تتوافقوا مع الذين زاحموكم وأوقعوكم بهذا الموقف الحرج وتتوسلوا بتخليصنا إذا كان مرادكم حياتنا وحياة البلاد والا فغيركم بالنتيجة يأخذ الجميل وهذا واقع لابد منه . تحاويلكم رفضوها شحات يجاوبكم دبرونا اليوم والا نسلم عليكم عبدالله عمير عزت عبدالمجيد احمد

فأجابهم الشريف علي على هذه البرقية برقية حماسية يطلب منهم الصبر والجلد

وأعقب الشريف علي هذه البرقيات بالبرقية الآتية :

المدينة ١٧ وكيل الأمير والقائد ورئيس الديوان وقائد الخط

لم تجيبوني على برقياتي لأعلم أي ذنب جنيته لتعذيبي بهذه الصورة ليس لي رغبة أو مطمع سوى حفظ كيان البلاد وشرفها ولكن هذه بلية قدرها الله وهو عالم بالسرائر وبالأعمال وأملي انكم تسعوا في حفظ شرف البلاد بمها كانت الحال وأما الحياة التعيسة والذليلة فالله لايحكم بهاعلينا . كونوا على يقين عندأول حركة تعملوها تكونون سبب ضياع حياتي وبعده أنتم والبلاد وأنا خصيمكم يوم القيامة وأطالبكم بضياع ديني (؟؟) علي

وفي أثناء هذه الزوبعة من البرقيات يرسل الشريف شاكر من ينبع للشريف علي البرقية الآتية :

جدة ١٧ ج الى الملك

استرحم صدور الامر في ارسال تحويل باقي المرتب من ارز وسمن وبن وأيضاً ارسال شيء باسم المملوك خاصة وارزاق الفداوية والحروب شاكر

دور تسليم

ولما تيقن رجال حامية المدينة أن لافائدة من اطالة القول مع الشريف علي وقد بلغ منهم الضيق مبلغه قرروا التسليم فبعث قائد المدينة عبد المجيد وعزت مدير الخط كتاباً الى سمو الأمير محمد يطلبان ملاقاته وانهما سيخرجان الساعة الرابعة من صباح الجمعة في ١٨ جمادى الأولى من المدينة ويطلبان من يستقبلهما فاجاب سمو الامير طلبتهما وأرسل اليهما خيالة استقبلتهما ولما حضرا بين يدي سموه فاوضاه في التسليم على شرط اعطاء الأمان لجميع الجنود والضباط والاهلين واعلان عفو عام عما مضى وانهم في قابل ذلك يسلمون المدينة وما فيها . وفي صباح السبت دخل الامير ناصر بن سعود وعبدالله الفضل وعزت قائد الخط الى المدينة مع فريق من الجنود فاستلموا قلعة سلع وما فيها من ذخائر وعتاد ووضعوا فيها قوة عسكرية ثم مروا بجميع المراكز العسكرية والملكية للحكومة

فاستلموها ووضعوا في كل منها قوة من الجيش النجدي ولم يأت مساء السبت حتى كان جندنا قد انتهى من استلام كل شيء في البلدة وأمن الناس أجمعين

وفي صباح الاحد تحرك ركاب سمو الامير بجنوده وراياته قاصداً المدينة فوصل دائرة البرق حيث توضأ فيها ثم سار تواً لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى فيه ثم أتى قبر الرسول صلى الله عليه فسلم[1] ثم رجع فامر بمواساة الاهلين وقد استحضر من رابغ ثلاثة آلاف كيس دقيق وارز لتوزع على الأهلين.

ولدينا تفاصيل كثيرة عن هذا الفتح ضاق النطاق عنه فنرجئه لفرصة أخرى اذا احتاج الامر اليه . إه

(ثم نشرت الجريدة في هذا العدد البلاغ العام الذي أذاعه السلطان عقب فتح المدينة المنورة . وهذا نصه)

(٢)

استسلام جدة وبه تم الاستيلاء على الحجاز

(صدر العدد الثاني والخمسين من جريدة (أم القرى) الغراء في جدة في ١١ جمادى الآخرة ١٣٤٤ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥) مفصلا لما ذكر وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ عام

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود الى اخواننا أهل الحجاز سلمهم الله تعالى

(١) المنار : هذه هي السنة التي لم يكن الصحابة يزيدون عليها . فأما صلاة الركعتين فمعروفة والامر بها مرفوع وأما السلام فروي عن ابن عمر (رض) انه كان يأتي قبر النبي (ص) فيقول السلام عليك يارسول الله . السلام عليك ياأبا بكر . السلام عليك يا أبت . و ينصرف

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فاني أحمد الله اليكم وحده الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ، واهنئكم وأهنيء نفسي بما من الله به علينا وعليكم من هذا الفتح الذي أزال الله به الشر ، وحقن دماء المسلمين وحفظ أموالهم ، وارجو من الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ، وأن يجعلنا واياكم من أنصار دينه ومتبعي هداه

اخواني : تفهمون أني بذلت جهدي وما تحت يدي في تخليص الحجاز لراحة اهله وأمن الوافدين اليه اطاعة لأمر الله قال جلّ من قائل (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتيَ للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقال تعالى (ومن يرد فيه بالحادٍ بظلم نذقه من عذاب أليم)

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن ساد السكون والأمن في الحجاز من اقصاه الى اقصاه بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مر الحياة واتعابها

ولما منّ الله بما منّ من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد ، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو

وإني ابشركم — بحول الله وقوته — أن بلد الله الحرام في اقبال وخير وأمن وراحة وانني إن شاء الله تعالى سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها

لقد مضى يوم القول ووصلنا الى يوم البدء في العمل فاوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع مرضاته والحث على طاعته ، فانه من تمسك بالله كفاه ومن عاداه — والعياذ بالله — باء بالخيبة والخسران . إن لكم علينا حقوقاً ولنا عليكم حقوقاً فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر ، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة . وحقنا عليكم المناصحة والمسلم مرآة أخيه ، فمن رأى منكم منكراً في امر دينه أو دنياه فليناصحنا فيه ، فان كان في الدين فالمرجع الى

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء

إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون لذلك اطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة ، وأني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الاهواء التي ينتج عنها افساد الأمن في هذه الديار ، فاني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً . وليحذر كل انسان أن تكون العبرة فيه لغيره . هذا ما يتعلق بامر اليوم الحاضر . وأما مستقبل البلد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه مع أهل الحجاز لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها

وأني أسأل الله أن يعيننا جميعاً ويوفقنا لما فيه الخير والسداد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفيصل آل السعود

تحريراً بجدة في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤

كيف تم تسليم جدة

﴿ بين الهجوم والوجوم ﴾

يعلم الجميع ما كان من عظمة السلطان واختياره خطة الحصار على خطة الهجوم لانهاء هذه القضية ونشرنا مرات عديدة أن السبب في ترجيح هذه الخطة هي الرغبة في حقن الدماء وخشية أن يسبب الهجوم فوضى في البلدة تنتج اصابة الابرياء بما لم تكسبه ايديهم

ولكن في المدة الأخيرة تراءى للناس أن الفوضى ستقع في البلدة هجم الجيش أو لم يهجم للانحلال الذي أصاب حكومة جدة في ماليتها ونظامها ، ولما رأى عظمة السلطان ذلك بعث مناشيراً للجند في جدة يحذرهم من عاقبة التمادي في الباطل ثم أقام ينتظر النتائج ، ولكن لم يتوسط شهر جمادى الاولى حتى وصل الى القيادة العليا أن قسما من رجال الحول والطول في حكومة جدة يتآمرون على احداث الفوضى في البلدة ونهبها والاخلال فيها ، ولما وصل هذا الخبر وتحقق

أمره تقريباً رأى عظمة السلطان أن ماكان يخشاه سيقع ، وأن الحزم يقضي بتعجيل الهجوم قبل أن تذهب الفوضى بالبلد واهلها فامر مساء الثلاثاء في ٢٩ جمادي الاولى القوة التي وصلت جديداً من الديار النجدية ، وخيمت في الابطح أن تتحرك الى الرغامة وأمر فريقاً من الجيش الذي بدأ في المسير الى ينبع ان يعدل عن طريقه ويرجع الى جبهة جدة واصدر امره العالي لأخيه سمو الأمير عبدالله ونجله سمو الامير فيصل أن يكونا على قدم الاستعداد للعمل . وفي ظهر الاربعاء ركب عظمة السلطان سيارته الخاصة ومشى الى الجبهة وقرر القيام بالهجوم يوم الجمعة

﴿ مفاوضة التسليم ﴾

ولكن لم تبلغ السيارة السلطانية بحرة حتى شوهد فى الطريق سيارة قادمة من جدة وشوهد فيها المنشي احسان الله أحد موظفي دار الاعتماد البريطانية في جدة يحمل من سعادة المعتمد الكتاب الآتي نصه :

جدة في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود سلطان نجد

بعد الاحترام : مراعاة للانسانية ولاجل تسهيل عودة السلام والرفاهية بالحجاز أكون مسروراً اذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتي بالرغامة غداً يوم الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع مايمكن هذا وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام

نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى
وكيل قنصل جوردن

ولما اطلع عظمة السلطان على هذا الكتاب أرسل لسعادة المعتمد البريطاني الجواب الآتي :

الرغامة في ٣٠ جمادي الاولى سنة ١٣٤٤

من عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل الى سعادة المعتمد البريطاني المستر جوردن المفخم

تحية وسلاما : اتشرف بأن اخبر سعادتكم بأني تناولت كتابكم المؤرخ ١٦ ديسمبر سنة ٩٢٥ وفهمت ماتضمنه . حالاً حضرنا في (العرضي) لمقابلة سعادتكم في المحل الذي يخبركم به المنشي احسان الله . هذا وتفضلوا فائق احترامي

الختم السلطاني

وفي الساعة الرابعة من نهار الخميس وصل المعتمد البريطاني الى مقر عظمة السلطان واخبره بأن الحكومة البريطانية لاتزال على موقفها الحيادي في قضية الحجاز ، ولكن بالنظر لما عليه الموقف الحاضر في جدة ولمعرفتي بمحبتكم للسلم وراحة المسلمين وحقن دمائهم وحقن دماء الاجانب تقدمت اليكم بناء على طلب الشريف علي وحكومته في التسليم وأن توسطي في تقديم هذه الشروط لغاية انسانية بحتة ليس إلاّ

فاجاب عظمة السلطان على ذلك بانني ممنون في هذا على شرط أن تكون الشروط موافقة لنا فاجاب المعتمد بأن الشروط نعرضها عليكم حتى اذا وافقت رغباتكم يمكنكم قبولها ، وبعد أن اطلع عظمة السلطان عليها قبلها مبدئياً بعد ادخال شيء من التعديل عليها وهذا نصها

﴿ اتفاقية التسليم ﴾

(١) بالنظر لتنازل الملك علي ومبارحته للحجاز وتسليم بلدة جدة يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين والاشراف وأهالي جدة عموماً والعرب والسكان والقبائل وعوائلهم سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم

(٢) يتعهد الملك علي أن يسلم في الحال جميع اسرى الحرب الموجودين بجدة أين وجد

(٣) يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه

(٤) يجب على جميع الضباط والعساكر ان يسلموا في الحال الى السلطان عبد العزيز بجميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المهمات الحربية

(٥) يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بان لا يخربوا أو يتصرفوا في أي شيء من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها

(٦) يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ويتعهد بأعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم

(٧) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه

(٨) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يبقي جميع موظفي الحكومة الملكيين في مراكزهم الذين يجد فيهم الكفاءة في تأدية واجباتهم بامانة

(٩) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح الملك علي الحق في أن يأخذ معه الامتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك أتومو بيله وسجاجيده وخيوله

(١٠) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط أن هذه الممتلكات تكون فعلا من الموروثة ولا تشتمل على الأملاك الثابتة المحولة من الاوقاف بمعرفة الحسين الى شخصه ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في اثناء ملكه لما كان ملكا على الحجاز

(١١) يتعهد الملك علي أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء

(١٢) جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي (الطويل ورشدي والرقمتين ورضوى) تصير ملكاً للسلطان عبد العزيز ، ولكن السلطان يصرح إن لزم الأمر للباخرة رقمتين أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع

(١٣) يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بان لا يبيعوا أو يخربوا أو يتصرفوا في أي شيء من أملاك الحكومة مثل اللنشات والسنابيك وخلافه

(١٤) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة بعاليه الا فيما يختص بتوزيع النقود

(١٥) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة أسماؤهم أدناه أيضاً ضمن العفو العام وهم : عبد الوهاب . ومحسن وبكري ابناء يحيي قزاز وعبد الحي بن عابد قزاز . واحمد وصالح ابناء عبد الرحمن قزاز . واسماعيل بن يحيي قزاز . والشيخ محمد صالح بتاوي واخوانه ابراهيم وعبد الرحمن بتاوي أبناء محمد علي صالح بتاوي وابنائهم وابناء عمهم حسن وزين بتاوي ابناء محمد نور والشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيوني والسيد احمد السقاف وعوائل وأموال جميع المذكورين آنفاً

(١٦) إن كان الملك علي أو رجاله في حال من الاحوال يخالف او يقصر في تنفيذ أي مادة من المواد المذكورة بعاليه ، فان السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤلا عن تأدية ماعليه من هذه الاتفاقية

(١٧) يتعهد الطرفان السلطان عبد العزيز والملك علي أن يكفا عن أي حركة عدائية اثناء سير هذه المفاوضة » اه

وفي عصر الخميس ١ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤ أمضى عظمة السلطان هذه الاتفاقية وفي الساعة السادسة ليلا من هذا المساء أمضاها الشريف علي واعتبرت نافذة من ذلك الوقت ؛

الشريف علي في البارجة

وقد مضى يوما الجمعة والسبت بكل هدوء في جدة وأخذ الضباط والجنود فيها يستعدون للتسليم ، وكان المنتظر أن الشريف علياً يغادر جدة يوم الثلاثاء ولكن ترتيب التنظيم للتسليم قد يصعب مع وجوده لذلك تقرر سفره من البلدة وأن يقيم في السفينة التي تقله الى عدن ريثما يتم وسائل الانتقال الذي تحدد لنهايتها يوم الثلاثاء وفي الساعة الرابعة من صباح الاحد ٤ جمادي الثانية ركب زورقا بخارياً الى البارجة البريطانية (كارن فلاور) ثم لحق به الشريف شاكر وكاتبه عبدالله رشيد وبعض نفر من خدمه

الاستلام

وفي مساء الأحد عاد المعتمد البريطاني إلى الرغامة وأخبر عظمة السلطان بأن الشريف علياً قد أقام في البارجة البريطانية ، وأنه قرر السفر الى عدن ، ومنها الى العراق حيث يقيم فيها نهائيا

وأنه (أي المعتمد) يرى أن وظيفته في التوسط ستنتهي في صباح الغد ، ويقدم لعظمة السلطان رئيس الحكومة المؤقتة ، وهو القائم مقام عبد الله زينل ورئيس القوة العسكرية الضابط صادق بك ، فشكر له عظمة السلطان سعيه

وفي صباح الاثنين قدم إلى المقر العالي المعتمد البريطاني ، ومعه رئيس الملكية ، ورئيس العسكرية ، فدخل سرادق عظمة السلطان ، وكان فيه كثيرمن الضيوف ورجال الخاصة ، وبعدأن استقر بهم المجلس قال سعادة المعتمد مايتخلص بأن المهمة الانسانية التي سعيت لها ، وهي التوسط في حقن الدماء قد انتهت ، وإنني أقدم بصورة رسمية رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسئولين أمام عظمتكم ، فأجاب عظمة السلطان شاكراً مثنياً على همة المعتمد الذي بذلها في هذا السبيل ثم رجع المعتمد البريطاني الى جدة ، وأقام الرئيسان يتذاكران مع عظمة السلطان في الترتيب الذي رتب من أجل ضبط جميع ممتلكات الحكومة والأشياء التابعة لها .

وانقضى ذلك النهار باستقبال الوفود التي قدمت من جدة لتهنئة عظمة السلطان بما أتم الله على يديه ولقد كان في جملتهم الأشراف والعلماء والأعيان وفيهم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد نصيف والشيخ قاسم زينل وكثير ممن لم تحضرنا أسماؤهم وفي جملتهم بعض رجال ديوان الشريف علي وكبار الموظفين عنده والكل كان مسروراً ومستبشراً بانقضاء هذه الأزمة على هذا الشكل السلمي الذي حقنت فيه الدماء وفتحت فيه السبل

وفي صباح الثلاثاء ٦ جمادى الثانية أمر عظمة السلطان خالد بك الحكيم وحسن بك وقي وعبد العزيز العتيقي ويوسف ياسين مدير هذه الجريدة بالدخول

إلى جدة والمباشرة باستلام المهمات العسكرية وترتيب انفاذ الاتفاقية التي وضعت من أجل الجنود وضباطهم والنظر في الحالة العامة بالاجمال ، ولقد سارت هذه الهيئة في سيارة خاصة ودخلت جدة الساعة الثالثة والنصف صباحا ، وفي تلك الساعة كانت الدارعة التي تقل الشريف عليا تتهيأ للرحيل ، وقد نزل اليها فيما بلغنا بعض الوجهاء وقناصل الدول فودعوه على ظهر الباخرة ورجعوا ، وقد أقلعت البارجة من ميناء جدة الساعة الرابعة من النهار

دخول عظمة السلطان

وفي صباح الأربعاء ٧ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤ تلقى فريق من جند المشاة ورهط من خيالة الحرس السلطاني الخاص بقيادة سمو الأمير عبد الله أخي عظمة السلطان الأمر بالمسير من المقر العالي إلى الكندرة للانتظار فيها ، لاستقبال عظمته حين دخوله إليها ، وقد أعد فيها سرادق خاص لاستقبال المستقبلين

ولما كانت الساعة الرابعة بلغت سيارة عظمة السلطان بالقرب من الأسلاك فنزل عن سيارته وامتطى ظهر فرسه ، وسار بموكبه المهيب حتى وصل أمام السرادق المنصوب ، حيث كان الناس من كافة الطبقات وقوفا ينتظرون ، فلما نزل عن ظهر جواده رفع العلم النجدي على باب السرادق ، وأخذت المدفعية باطلاق مدافع التحية ، فأطلقت مائة مدفع ومدفع ، وقد جلس عظمته في صدر السرادق ، ومن ورائه سمو أخيه الأمير عبد الله ، وبعض أمراء البيت السلطاني وفريق من آل الرشيد وبعض خاصته ، ولما استقر بعظمته المقام استأذنه القائم مقام بتقديم معتمدي الدول وقناصلهم فأذن ، وكانوا معتمد دولة بريطانيا العظمى ، ومعتمد دولة السوفيت ، وقنصل إيطاليا ، وقنصل فرانسا ، وقنصل مصر ، ووكيل قنصل هولندا ، ووكيل قنصل إيران ، وكان معهم مندوبوا الشركات الأجنبية في جدة ، ولما استقر بهم المقام نهض قنصل إيطاليا ، وتكلم باللغة العربية ما ملخصه : إنه بالنظر لأنني أكبر القناصل سنا أتقدم بالنيابة عن نفسي وبالوكالة عن رفاقي بتقديم تهنئتنا لعظمتكم بدخولكم هذه البلدة بهذه

الطريقة السلمية ، التي حقنت فيها الدماء ، ونتمنى لكم السعادة والهناء دائما .

فأجابه عظمة السلطان بانني لم أبطيء في الأعمال الحربية إلا انتظاراً لهذه النتائج السلمية ، وإني أشكر سعادة المعتمد البريطاني ، وأعرب عن سروري لحضرات القناصل جميعاً ، وأشكرهم على الرغبة التي أبدوها فى موقف الانقلاب الأخير ، حيث تمّ بسلم كامل حسب الرغبة والمطلوب ، وإن شاء الله تعالى سيكون الحال في الحجاز مما يسبب الراحة لجميع أهل الحجاز وجميع الوافدين الى هذه الديار المقدسة

ثم تكلم القائمقام وشكر قناصل الدول لمساعدتهم له في الانقلاب الاخير ، ودارت بعد ذلك أحاديث خصوصية . ثم قدّم عظمة السلطان أخاه سموّ الامير عبد الله لحضرات القناصل وقال : إن (فيصلا) تأخر في المقر لبعض تدابير عسكرية ، وبعد أن تناول الحاضرون القهوة و كؤس المرطبات ودعوا عظمة السلطان وانصرفوا مودعين بمثل مااستقبلوا به من الحفاوة .

ثم دخل الضباط العسكريون فوجا بعد فوج وعظمته يستقبلهم بوجه طلق وثغر بسام و بعد ذلك تقدم علماء البلدة وأعيانها فقابلهم أحسن استقبال وأفاض عليهم من أحاديثه العذبة وكلامه الجميل . وقد دام وقت الاستقبال مايقرب من الساعتين وأمضى عظمة السلطان يومه وليلته فى (الكندرة)

وفي صباح الخميس ٨ج ٢ قرر عظمته الدخول إلى البلدة فدخلها ونزل في بيت العالم السلفى الفاضل الشيخ محمد نصيف ، ولما وصل المنزل هرع الناس أفواجا أفواجا للتحية والسلام عليه ، وقد ألقى بين يديه الشاب الأديب حسين نصيف خطابا موجزاً جميلا ، ثم قام بعده الأديب الفاضل الشيخ محمود شلهوب فتكلم عن الحجاز وحاجاتها نصح فيه ووعظ ، ثم قدم تلاميذ مدرسة الفلاح بنشيد يحيون فيه عظمة السلطان ، وتقدم خطيباً منهم بخطاب تحية جميل ، وقد شكر عظمة السلطان الجميع على ما أظهروه من الحفاوة والتكريم

كتاب الصحة

تأليف
زعيم الهندوس الاكبر
مهاتما غاندى

ترجمة
الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادى (*

مقدمة

إني مهتم بمسئلة الصحة منذ عشرين سنة اهتماماً خاصاً ، حتى إنني في زمن إقامتي بانكلترا كنت أقوم بنفسي باعداد طعامي وشرابي . ولذلك أجرأ على القول بأن تجاربي في هذه المسئلة مما يصح الاعتبار به . وقد حصلت بتلك التجارب على نتائج نهائية جمعتها في الصفحات التالية للقراء

لقد صدق المثل القائل (الوقاية خير من العلاج) فان الابتعاد من المرض بمراعاة قوانين الصحة أسهل وأسلم من مداواة الأدواء التي لا تصيبنا الا لجهلنا وعدم مبالاتنا بتلك القوانين . فعلى هذا يجب على سائر الناس أن يعرفوا قواعد الصحة معرفة صحيحة . وهذا هو الغرض من تسويد هذه الصفحات لتكون بياناً لتلك القواعد ، هادية الى الطرق المثلى لمعالجة الأمراض الكثيرة الوقوع

قال ملتون : ان الذهن هو الذي يقلب الجنة جحيما والجحيم جنة ، لأن الجنة ليست في مكان فوق السموات العلى ، ولا الجحيم في الدرك الأسفل من الارض[1] وقد أشار الى هذا المعنى بعينه المثل السنسكريتي القائل « تتوقف

*) للمترجم مقدمة غير مقدمة المؤلف سننشرها بعد

(١) المنار : إنما يصح هذا القول دون تعليله من بعض الوجوه في نعيم الدنيا وعذابها فان للاذهان والتصورات تأثيرا عظيما فيها وأما نعيم جنة الآخرة وعذاب جحيمها فمن عالم الغيب الذي هو أعلى من ذهن ملتون وعلومه فليس له أن يحكم فيه

عبودية المرء وحريته على حالته الذهنيــة » هكذا الصحة والمرض منوط أمرهما بذهن الانسان نفسه . فالمرض لا يكون نتيجة لأعمالنا واهمالنا وتفريطنا فقط ، بل لشعورنا وميولنا ، وأفكارنا النفسية أيضاً . وقد قال قائل من مشاهير الأطباء «الناس يموتون جزعاً من الأمراض ، كالجدري والهيضة والطاعون ، أكثر مما يموتون بهذه الأوبئة نفسها » لقد أصاب القائل في قوله . فان مما لا ريب فيه أن الجبان أكثر ما يلقى حتفه قبل أجله[1]

ان الجهــل بقواعد الصحة علة من العلل الأساسية للأمراض . فكثيراً ما نجزع ونضطرب من مرض تافه جدا ، ثم نزيده خطراً وشــدة لجهلنا به وبأســبابه وطرق علاجه ، وهذا الجهل نفسه يسوقنا الى اتخاذ التدابير الخرقاء أو الالتجاء الى المتطببين الدجالين . ما أعجب هذه الحالة ! ولكن ما أصدقها ! فان علمنا بالأشياء القريبة منا أقل من علمنا بالأشياء البعيدة ، فما أقل ما نعلمه عن قريتنا التي ولدنا فيها ، والتي نعيش فوق أرضها وتحت سمائها طول عمرنا . ولكنا نستطيع أن نعيد عن ظهر القلب أسماء أنهار انكلترا وجبالها . ما أشد رغبتنا في معرفة أسماء النجوم المتلألئة في السماء ، على حين إننا قلما نبالي بمعرفة الأشياء التي يحتوي عليها بيتنا . ان حب المراسح والألعاب الصبيانية المتكلفة قد ملك قلوبنا . ولكنا قلما يخطر في بالنا أن نجيل نظرنا في هذا الملعب الأكبر الذي تلعب فيه الطبيعة أمام أعيننا لعبها الذي هو فوق كل جد ؟

نحن لا نستحي مطلقاً من جهلنا المخل ببنية جسمنا ، وكيفية نشوء العظام والعروق والأعصاب ونموها ، وكيفية دوران الدم وتحوله الى الفساد ، وكيفية سريان الافكار الخبيثة والأهواء الشيطانيــة الى قلوبنا . بل ما هو أعجب من كل ذلك كيفية قطع ذهننا للمسافات الشاسعة ، والأزمان الطويلة (اللانهائية) بينما الجسم لم يزل ساكناً ! الى غير ذلك من العجائب التي تحير الألباب ! أجل ،

(١) يعني أجله الطبيعي الذي كان مستعداً له بحسب قوة بنيته لا الاجل المكتوب له عند الله تعالى اي أجل الجبان الذي يجني على نفسه من حيث يظن انه يحافظ عليها

لاشيء أقرب الينا من جسمنا ، ولكن ربما لا يوجد شيء نجهله أو نعرض عنه مثل ما نجهل و نعرض عن جسمنا

يجب على كل واحد منا أن يزيل هذا النقص المخزي ، ويرى من أكبر وظائفه المحتمة عليه أن يعلم شيئاً من الحقائق الأساسية المتعلقة بجسمه . كذلك يجب أن يدخل هذا القسم من التعليم في مدارسنا ويجعل اجباريا . ان حالتنا الآن لمخجلة جداً ، فانه اذا أصابنا جرح خفيف أو حرق طفيف ، فانا لا نعرف ماذا نفعل إذاً ، واذا شاكتنا شوكة في قدمنا نقعد متحيرين لا ندري بم ننقشها ؟ وإذا لسعنا ثعبان عادي فلا تسأل عن جزعنا وفزعنا ! أجل ، إن هذه الحالة لمخجلة ، لو نتدبرها بجد لنختنق حياء وخجلا . ومن يزعم أن جميع الناس عامتهم وخاصتهم لا يمكن أن يعرفوا هذه الأمور فزعمه باطل ، وإني أقدم الصفحات التالية إلى جميع أولئك الذين لا يحبون المعاذير ، بل ينشدون المعرفة والعلم والعمل

إني لا أزعم أن الحقائق التي أودعتها في هذا الكتاب لم يسبق اليها أحد قبلي ، ولكن سيجد القراء فيه لباب كتب كثيرة في هذا الموضوع ، فاني ما أقدمت على التأليف إلا بعد درس هذه الكتب درساً وافياً ، وبعد المرور على سلسلة من التجارب الجدية الشخصية . وعدا هذا فان قرائي الذين ليس لهم سابق معرفة بالموضوع سيسلمون من التحير والارتباك في تمحيص الحق من الآراء المتضاربة المتناقضة التي شحن بها الأطباء كتبهم ، فبينما يقول كاتب : إن الماء الساخن يجب استعماله في حالة خاصة ، إذا بالآخر ينقض قوله زاعماً أنه يجب استعمال الماء البارد فيها . ولكني قد درست هذه الآراء المتناقضة درساً وافياً بكل تنبه ويقظة حتى أمكنني أن أؤكد لقرائي أنه يحسن بهم الاعتماد على أفكاري الخاصة

لقد تعودنا دعوة الأطباء حتى في أخف الأمراض ، وإن عجزنا عن دعوتهم عملنا باشارات المتطببين الجاهلين . وما ذلك الا لأنا قد خدعنا بخداع فظيع ، فأصبحنا نعتقد أنه لا يمكن شفاء المرض إلا بالدواء . إن هذا الوهم لشر الأوهام ، وهو العلة لأكثر متاعب النوع البشري ومصائبه . نعم يجب معالجة الأمراض التي تعترينا ، ولكن ليس (بالأدوية) التي لا يقتصر أمرها على عدم الفائدة ؛

بل قد تكون ضارّة أيضاً . ان انكباب المريض على العقاقير والأدوية حماقة لاتقلّ عن حماقة الذي يحاول تنظيف البيت بتغطية الاوساخ المتراكمة فيه عوضاً من إزالتها ، فكلما ازداد عناية في تغطيتها تزداد هي عفونة ونتناً ، وهكذا تغطية الامراض بالأدوية في الجسم الانساني

ان المرض ليس الا (إنذاراً) من الطبيعة بأن الاوساخ قد تراكمت في جزء من أجزاء البدن ، فمن الكياسة إذاً أن نترك الطبيعة تزيل الوسخ بنفسها [1] لا أن نحول بينها وبين وظيفتها بتغطية المرض بالأدوية . ان الذين يستعملون الأدوية انما يضاعفون صعوبة وظيفته الطبيعة . مع أنه من السهل جداً أن يعينوها في مهمتها برعاية القواعد الأولية اللازمة للصحة ، كالصوم الذي يمنع تراكم الوسخ ، وكالرياضة المتعبة في الهواء الطلق التي تزيل بعض الأوساخ وتخرجها في صورة العرق . وإن هناك أمراً هو رأس الأمور وعمادها في جميع الأحوال وهو أن نظل دائماً ضابطين لعقلنا وشعورنا

لقد جربنا أن قارورة واحدة من الدواء اذا دخلت مرة في البيت لاتخرج منه أبداً ، بل لا تزال تدعو وتجلب من أخواتها قوارير أخرى . لقد وجدنا جماً غفيراً من الناس يشكون أمراضاً طول عمرهم مع شدة شغفهم بالأدوية وتهافتهم عليها ، فتراهم يقرعون اليوم باب هذا الطبيب ، وغداً يجرون وراء ذلك الطبيب ، وهكذا يقضون أعمارهم في البحث عن نطاسي يعالجهم ويشفيهم من أوصابهم ، ولكن هيهات أن يفوزوا ببغيتهم وينالوا الصحة والعافية ! لقد صدق جوستيس اسطفان Justice Stephen في قوله : « ان من العجب العجاب أن يعالج الأطباء الأبدان التي يجهلونها بالعقاقير التي قلما يعرفون حقيقتها ! » وقد أيد عدد من أعظم أطباء الغرب هذا الرأي نفسه فاعترف الدكتور استلي كوبر stlei Cooper مثلا بأن علم الأدوية أكثره تخرص محض وقال الدكتور جوهن فيوربس

---

(١) المنار : الاولى أن يقال أن يساعد الطبيعة أي المزاج على ازالة ذلك ويدخل في هذه المساعدة الحمية والتدفئة في محلها ـ وكذا الادوية ـ ولكن بحسن التروي في استعمالها وعدم الاسراف فيه والاتكال عليه

«ان معظم الأمراض تشفى بعوامل الطبيعة أكثر من شفائها بالأدوية» وقال الدكتور باكر Baker والدكتور فرانق Frank Sir John Feorbes ان عدد الذين يموتون بالأدوية أكثر من عدد الذين يموتون بالأمراض» وقد توسع الدكتور موزونغود Mosongood . حتى قال: «ان ضحايا الأدوية أكثر من ضحايا الحروب والجدوب والأوبئة بمجموعها!»

وكذلك مما قد جرب أنه اذا كثر الأطباء في بلد ازدادت فيه الأمراض انتشاراً على قدر عددهم [1] قد قويت الرغبة في الأدوية هذه الأيام وازدادت ازدياداً عظيما حتى ان أحقر الصحف السيارة أيضاً قد أصبحت تعتقد أنه اذا لم يسعدها الحظ باعلانات أخرى، فانها لا بد من أن تفوز باعلانات الأدوية

لقد قيل لنا في كتاب حديث عن الأدوية المسجلة بأن فرويت سولت [2] Fruit — Solts وغيره من المسهلات التي يبلغ ثمنها من روبيتين الى خمس روبيات لا تكلف أصحابها الا بضع مليمات! فلا عجب اذا بالغ أصحابها في اخفاء طرق تركيبها هذه المبالغة الشديدة .

وعلى هذا نحن نؤكد لقرائنا بأنه لا حاجة لهم أصلا الى الأدوية والأطباء وكذلك نقول للذين لا يتجرؤن على مقاطعة الأطباء والأدوية مقاطعة تامة : تثبتوا وتصبروا وتبصروا، واستغنوا عن الأطباء ما استطعتم، وان اضطررتم وفقدتم كل حيلة، فالحذر كل الحذر من المتطببين، بل عليكم بطبيب حق تتبعون أوامره بكل دقة، ولا تراجعون طبيباً غيره الا باذنه . ولكن اعلموا وتذكروا دائما وقبل كل شيء بأن الشفاء بيد الله تعالى وحده لا في يد الطبيب .

موهن داس كرم شندغاندي

«١» المنار : لعل هذه التجربة وهمية فان كثرة الاطباء ليست سببا طبيعيا ولا عقليا لانتشار الامراض وكثرتها بل المعقول انها سبب للعلم بما لم يكن يعلم منها فيظن غير المدقق انهم سبب لها فان كان بعض الامراض أو المرضى يزيد بجهل بعض الاطباء فلا شك في أن بعضا آخرهم سبب قضائه

«٢» أي ملح الفواكه

القسم الاول

﴿ فى الصحة وأسبابها وفيه تسعة أبواب ﴾

الباب الاول

﴿ الصحة ﴾

ان من يأكل ويشرب كثيراً ، ويمشي ويتنقل هنا وهناك على ارادته ولا يضطر الى الطبيب يحسب عادة صحيح الجسم ، سليم البدن . ولكنك اذا دققت النظر قليلا في هذا الحسبان ظهر لك سقمه . فانه قد شوهد كثير من الناس يأكلون كثيراً ويغدون ويروحون بحرية ، وهم في الحقيقة مصابون بأمراض خفية . وقد ينخدع هؤلاء الناس أنفسهم بحالتهم فيزعمون أنهم أصحاء من كل الوجوه ، وذلك لعدم مبالاتهم بأمر الصحة وبمعرفتهم اياها معرفة صحيحة

والحقيقة أنه قلما يوجد في هذه الدنيا الواسعة انسان صحيح تمام الصحة بمعنى الكلمة — لقد قيل حقا :ان الصحيح تام الصحة انما هو ذلك الذي يملك عقلا صحيحا كاملا في جسم صحيح كامل . وذلك لأن الانسان ليس الا الروح وأما الجسد فبمنزلة الظرف للروح[1] ان العلاقة بين الروح والجسد قوية جداً ،

---

(١) المنار : إنما يصح هذا باطلاقه على بعض المذاهب وأما عندنا فاطلاقه من باب « الحج عرفة » أي ركنه الاهم الاعظم عرفة . وكذلك الروح هي معظم الانسان ولبه وجوهره ولكن الجسد ركن متمم لحقيقة الانسان ولولاه لكان ملكا أو شيطانا .وبه صار أجمع منهما للحقائق الكونية ومتصرفا في المخلوقات بأنواعها . ولو كان الجسد كالظرف للروح كما قال أو كالقفص للعصفور كما قال بعض الصوفية باعتبار آخر لكان انسانا بدونه وليس كذلك بل يكون بدونه روحا لا إنسانا .وتمثيل المؤلف بالوردة وما ذكره بعده أشد انطباقا على ما قلناه

«٢» الصواب ان جسم الوردة المكون هو الذي يمد لجسد الإنسان لا اللون فانه عرض له

حتى انه اذا أصيب أحدهما بشيء تأثر به الآخر حالا ، لنأخذ الوردة مثالا : إن مكان اللون من الوردة مكان الجسد في الانسان [1] ومكان الرائحة فيها مكان العقل أو الروح فيه ، ولا أحد يؤثر الوردة الصناعية على الوردة الطبيعية ويحب استبدالها بها ، وسبب ذلك ظاهر ، وهو أن العطرية التي هي روح الوردة لايمكن ايجادها في الوردة الصناعية . وهكذا نحن نفضل الانسان الذي يملك روحا كبيراً طاهراً وأخلاقاً كريمة عالية ، على الرجل الذي لا يملك الا جسما قويا مفتول العضلات . لاريب أن الجسد أيضاً ضروري كالروح بحيث لايمكن الاستغناء عن أحدهما ، ولكن الروح أهم بكثير من الجسم على كل حال . فعلى هذا لايصح أن يوصف الانسان العاطل من الأخلاق الطاهرة بالصحة التامة مهما يكن قوي الجسم . وذلك لان الجسم الذي يحمل روحا مريضاً وخلقاً سقيما لايكون الا مريضاً بنفسه . فالاخلاق الطاهرة على هذا هي الأساس الحقيقي للصحة الحقيقية . والأفكار الخبيثة والأهواء الشيطانية ليست الاانواعاً وأشكالا مختلفة للمرض .

لقد تطوّرت هذه العقيدة في حزب من الناس بأوربا ، حتى طفقوا يقولون إن التقي النقي صاحب الروح الطاهرة البريئة لايمرض أبداً ، وإن كل من يمرض يبرأ بتطهير روحه ، فانها اذا طهرت قويت بنيته واشتدّ جسمه . إن هذا الرأي حقّ لاغبار عليه ، وإن المصلحين في الشرق قد بالغوا في العمل به . ولكننا على كل حال نستنتج منه : أن تطهير الروح خير وسيلة لنيل الصحة ، وأن الصحة لايمكن المحافظة عليها إلا بالمحافظة على طهارة الروح

إن الغضب والحقد واللؤم من أمارات المرض . وقد قال بعض الأطباء : إن السرقة وغيرها من العادات القبيحة أمراض بالحقيقة [2] فقد وجدوا في انكلترة نساء من الأسر المثرية تدخل المحال التجارية فتسرق منها ما تصل

(١) الصواب ان جسم الوردة الملوّن هو الذي يعد كجسد الانسان لا اللون فانه عرض له (٢) المراد أعراض أمراض نفسية وعقلية

ليه يدها ، فعـدوا سرقتها هذه مع غناها وثروتها نوعاً من الجنون . وكذلك يوجد أناس لا يستريحون الا أن يشاغبوا ويشاجروا ، فهذا أيضاً نوع من المرض.

واذا تفكرنا على هذا النهج جزمنا بأن الصحة الحقيقية لا يتمتع بها الا من كان شخصاً أيداً [1] قوي الأساطين ؟ وثيق الأركان ، ليس بسمين سمناً مفرطاً ، ولا هزيل هزالا شديداً ، سليم الأسنان والعينين والأذنين ، نظيف الأنف طاهره من المخاط ، نظيف الفم ، يعرق جلده بسهولة ، سليما من النتن ، وهو فوق ذلك قابض على أزمة عقله ومشاعره بكل قوة . ان الفوز بمثل هذه الصحة صعب جداً ، وان فزنا بها مرة ، فالمحافظة عليها أصعب

ان السبب الجوهري الذي يحول بيننا وبين الصحة الحقيقية هو ضعف صحة آبائنا وأجدادنا . وقد قال كاتب شهير : ان تكن حالة الآباء حسـنة فحالة أولادهم لا بدّ من أن تكون أحسن وأعلى منهم . فان كان هذا القول صحيحاً ، فيضطر الذين يقولون بأن الدنيا تتقدم الى تغيير رأيهم . إن المتمتع بالصحة التامة لا يخاف الموت ، وإن جزعنا وفزعنا من الموت لدليل قاطع على أننا لسنا بأصحاء كما ينبغي . لأن الموت ليس إلا انقلابا كبيراً في حياتنا ، فينبغي أن نعدّه خيراً ونافعاً لنا بحسب سنن الطبيعة [2] وإن من الواجبات الصريحة على كل واحد منا أن ينشد الصحة التامة . وهذا هو ماساقنا الى البحث في الأوراق التاليـة عن الطرق التي توصلنا الى مثـل هذه الصحة ، وعن الطرق التي تضـمن لنا بقاءها ودوامها اذا فزنا بها (للبحث بقية)

(١) الايدكسيد القوي الشديد من آديئيد ايدا

(٢) ذكرنا هذا المعنى في مرثية لنا نظمناها في أوائل طلب العلم قلنا في أولها

ان المنية غاية الميلاد والنعش مثل المهد للاولاد
والله قد خلق الخلائق للبقا بعد الفنا وزيارة الالحاد
والموت باب النشاة الاخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد

(ومنها)

وانظر لموت الناس بالعين التي ترنو بها لولادة الاولاد
هاتيك مبدأنا وهذا تمنا طرفان مستويان للنقاد
بل آخر الطرفين خيرهما فخذ بالاعتبار به والاستعداد

الثورة السورية والحكومة الفرنسية

والتنازع بين الشرق والغرب

تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٥٨٥

(٦)

﴿ تقاليد السياسة الاستعمارية ، والجامعات العربية والدينية والشرقية ﴾

إن للأوربيين تقاليد في السياسة والاستعمار قد جمدوا عليها ، وإن لم فيها حججاً داحضة قد ألفوها ، لايزالون يلوكونها بألسنتهم ، وتقطر سمومها من أقلامهم ، وهم لا يشعرون بأنها لاتصلح لهذا الزمان ولا تروج فيه كما راجت في أزمنة لاتشبهه ، كأنهم على سعة علومهم واختبارهم لم يشعروا بما طرأ على الشعوب والأمم من التبديل والتحويل ، وما تنقلت فيه من الاحوال والاطوار، فهم بالجمود على التقليد يقعون فيما يفرون منه ، وينقضون ما بنوا، وينكثون مافتلوا

إنهم يخافون عاقبة كل اجتماع في الشرق تستفيد به شعوبه وملله من تظاهرها على دفع الظلم والضيم عنها ، وتعاونها على الارتقاء في أسباب الحرية والعمران ، فانكلترة وفرنسة تخشيان الجامعة الاسلامية والجامعة العربية وهما اللتان تسعيان في تكوينهما بدون تنبه منهما ولا شعور ، وهما اللتان بثتا في بلاد الشرق فكرة الجامعة الوطنية بالأقوال ، فلما استمسك المصريون والسوريون بعروتهما لم يجدا من رجال الدولتين إلا المقاومة

إن اوربة لم تتحول مع الزمان عن السياسة الصليبية بقدر ماتحولت عن الديانة الصليبية ، فبهذه السياسة انتزعت من الدولة العثمانية الممالك الأوربية التي أكثر سكانها من النصارى ، وبعد الفراغ من العمل « للأكثريات » المسيحية تصدت لحقوق الاقليات ، فكانت انكلترة أول من أطمع الشعب الأرمني بتأسيس دولة مسيحية له في الاناضول بين أنياب الأسد التركي وبراثنه ، وقد كان هذا الشعب

أسعد الشعوب العثمانية في دولة آل عثمان ومحل الثقة لدى سلاطينهم ووزرائهم وأغنيائهم ، كان هو الذي يدير مالية الدولة بوزراء من أفراده ، وكان هو الذي يتولى شؤون الوزارة الخارجية اذ كان أكثر سفراء الدولة منهم أيضاً . وكان ساسة أوربة يتعجبون من هذه الثقة ويعدونها من جهل الدولة : صرح بذلك أكبرهم شأناً في عصره وهو البرنس بسمارك لأحمد مختار باشا الغازي وقال له أنا لا يمكنني أن أعد رجلا أرمنياً ممثلا عندي لدولة اسلامية يعد سلطانها خليفة نبي الاسلام ! وقد أفسد الانكليز الأرمن بهذا الاغواء ، وحرموهم من تلك السعادة والهناء، حتى جعلوهم من أشقى شعوب الأرض على ذكائهم ونشاطهم واستعدادهم لكل حياة هنيئة إلا تأسيس ملك من أقلية ضعيفة بين دولتين حربيتين - دولة الترك ودولة الروس — فقتل الترك مئات الألوف من رجالهم الخونة وغير الخونة ومن نسائهم وأطفالهم أيضاً، لأن الشر اذا وقع لا يقف عند حدود العدل ، والانتقام بعد الاحنة والحقد لا يراعى فيه شعور الرحمة ، وأجلوا الألوف الكثيرة من ديارهم فمزقوهم كل ممزق ، وصاروا آلة الشر والعدوان لغيرهم، كما فعلت السياسة الفرنسية فيمن آوتهم الى سورية منهم ، فهي تسلحهم وتغريهم بقتال ثوار السوريين الذين يسكنون بلادهم ويشاركونهم في خيراتها ، وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل هم يقتلون النساء والأطفال أيضاً وينهبون كل البيوت التي يقدرون على نهبها ...

كذلك خلقت انكلترة في العراق أقلية نصرانية من بقايا الاشوريين وسلحتهم وأطمعتهم بتأسيس ملك لهم في العراق لتجعلهم أعداء وخصوماً للمسلمين من العرب والكرد لا للترك وحدهم ، فاذا رسخ فيهم تغرير هذه السياسة الخادعة فربما تكون عاقبتهم شراً من عاقبة الأرمن لأنهم أقل منهم عدداً وبأساً وذكاء وعلماً ، فخيرلهم أن يكونوا كقبط مصر مع مسلميها من أن يكونوا كالأرمن مع الترك ، وأنى لهم ذكاء القبط وعلمهم بدسائس أوربة التي تتجر بالمسيحية والمسيحيين

وأما فرنسة فان سياستها في كاثوليك سورية معروفة والمعروف لا يعرّف . وقد كان أول قائد من قوادها ولته أمر سورية بعد الحرب — وهو الجنرال غورو — قد ذكر السوريين في أول صوت رفعه فيهم بانه من سلالة الصليبيين، وكان

أول عمله تقسيم البلاد الى ممالك دينية مذهبية ، وقد جرى على ذلك وتابعه من جاء بعده : دولة مسيحية ودولة اسلامية ودولة درزية ودولة علوية ، كل ذلك في القسم الشمالي من سورية التي هي وطن واحد يسكنه شعب متحد اللغة والعادات والمرافق لا يمكن أن تستغني فيه دويلة من هذه الدويلات الصغيرة الحقيرة عن الأخرى، وهم يبذلون كل ما أوتوا من دهاء ومن سلطان لايقاع الشقاق بين طوائف هذه الدويلات ، فاذا تقرب اليهم فرد أو أفراد من أهلها بكلمة نفاق تؤذن بحب الافتراق و كراهة الاتحاد ترتفع بنقلها أصواتهم، وتهتف بها صحفهم وبرقياتهم ،حتى تعم الخافقين ، وأما أصوات الاحزاب والجماعات والصحف التي تعبر عن الرأي العام في طلب الاتحاد الوطني ،وكراهة الافتراق الديني والطائفي والسياسي، فكلما سمعوا منها صوتا أسكتوه ، واذا وصل شيء منه الى أوربة كذبوه ،

إن يسمعوا الخير أخفوه وان سمعوا شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

ان أهالي سورية غير مرتاحين ولا راضين باسكان طرداء الأرمن في سورية لأنهم يزاحمونهم في رزقها الذي لم يعد يكفيهم ببركة عمران الانتداب — وان المسلمين يسيئون الظن في هذا الاسكان مافي معناه بنظر آخر إذا كان الفرنسيس لا يبالون بهم فيه لضعفهم ،ولا يحسبون حسابا لعطف أبناء جنسهم واخوان دينهم عليهم لجهلهم — فلا ينبغي ان يغفلوا عن كونه قد يكون سبباً من أسباب التهمة التي يشكون منها ولا يدرون أنهم يشكون مما يفعلون

فياليت شعري كيف يغفل الفرنسيس والانكليز الذين يهتدون في سياستهم واستعمارهم بفلسفة التاريخ وعلوم النفس والاجتماع عن نتائج أعمالهم في اللهج بالجامعة المسيحية ووجوب حماية المسيحيين وتأسيس الممالك لهم ، مع ذم الجامعة الاسلامية والطعن فيها ؟ وكيف يقاومون جامعة الجنسية العربية ويخشون عاقبتها في سورية ثم يمنعون السوريين من النهوض بالجامعة الوطنية ؟ أيحسبون ان مسلمي سورية وهم الاكثرية العظمى فيها يرضون أن تسلبهم فرنسة كل حق من حقوق الحياة الاجتماعية والسياسية وطنية كانت أو جنسية أو دينية ، وأن يعدوها مع ذلك مصلحة لشؤونهم فيخضعوا لها طوعاً ، ويطرونها مدحاً ، ويسبحون بحمدها بكرة وأصيلا ؟ وأن

يرضى ابنــاء جنسهم واخوانهــم مسلمو أفريقية وآسية منها بذلك ويعدون دعوة الجامعة الاسلامية عبثاً لاحاجة اليه ، لأن جميع الشعوب الاسلامية في غنى عنها بعدل المسيطرين عليها وانصافهم ، أ بما ادعته فرنسة من صداقتها وحبها للمسلمين عند إظهارها الرضا والارتياح لتعيين خليفة تركي تنحصر سلطته فيما لايفهمه من أمور الدين ؟

ان دهاقين السياسة الاستعمارية هم الذين علموا الشرقيين ماكانوا يجهلون من واجبات فطرتهم وحقوق أممهم وملهم وأوطانهم الجامعة ، فعلموا بعد جهل إذ كانوا قد فقدوا العلم ، ولكنهم لم يعملوا بعلمهم هذا إذ كانوا قد فقدوا الهمة والعزيمة الرافعة الى العمل — فهم الآن يسوقونهم إلى العمل سوقاً ، بل يدعّونهم اليه دعا ، كما فعل الترك بتعليم العرب العصبية العربية ثم دفعوهم إلى النهوض بها وهم لا يشعرون ، فكل مااتهم به ساسة أوربة أهل الشرق — من جوامع وطنية وقومية ودينية وشرقية عامة — كان باطلا فأصبح حقاً ، هم خلقوه وخلقاء وهم يرونه جهلا منهم وحمقا ، فقد حباحبوا ، ثم مشى مشياً ، وهم يأبون عليه إلا أن يعدوَ عدواً ، وسيعدو طوعا أو كرهاً

كلما صرخ مكلوم أو صاح مظلوم من جورهم واضطهادهم له في قومه وعقر داره استعْدَ واعليه أوربة كلها والولايات المتحدة الاميركية أيضاً : ياللغرب من الشرق ! ان الحضارة الغربية على خطر ، إن نصارى الشرق على خطر ، ان سيادة الجنس الأبيض في الشرق على وشك الزوال ، ان المسلمين يريدون حكم القرآن ، فالغوث الغوث ، هذا آن التناصر والتظاهر ، هذا وقت التحالف والتكاتف ... كما قالوا في مسألة الريف المغربي واتهام الأمير محمد عبد الكريم باحياء منصب الخلافة ، ولم يستحيوا من جعل ثورة سورية اسلامية أيضاً . بل هم يقولون ذلك ليجعلوها إسلامية ، ولو أراد الثوار جعلها جنسية أو إسلامية لوجهوا دعوتها إلى جميع العرب المجاورين لهم ولا سيما الوهابية أولي العصبية الدينية الحقيقية ، ولو استنصروهم في الدين بأدلة الدين لنصروهم ، ولعجزت السياسة ان تحول دون نصرهم لهم ، ولكانت الطامة الكبرى على المتعصبين على الاسلام والمسلمين من أهل وطنهم ، ولظهر لفرنسة

أن هذه السياسة العتيقة لم تعد صالحة لهذا الزمان ، وإن مودّة المسلمين الصحيحة خير لها في سورية و لبنان .

(٧)

السلطان الديني بين الاسلام والنصرانية

قضى عليّ الاستطراد أن أكتب هنا كلمة وجيزة في هذه المسألة بعد أن كنت انوي ترك الالمام بها فأقول :

من المعلوم من الدين بالضرورة عندنا أن الاسلام دين سيادة وسلطان وتشريع ومن المعلوم عن أوربة وأعوانها في الشرق ذم الجمع بين الدين والحكم ووجوب الفصل بين الدين والسياسة ، ووجوب نسخ الجامعة الدينية بالجامعة الوطنية ، وقد راجت هذه الدعاية الأوربية في الشرق العربي بأقلام محرري الجرائد العربية من أبناء وطننا السوريين واللبنانيين المسيحيين ، حتى صارت من المسلمات عند الجماهير من المسلمين في سورية ومصر وغيرهما من البلاد العربية . دع إلقاء بذورها وغرس فسيلها في المدارس العصرية في الشرق كله من مسيحية ورسمية . حتى في البلاد التركية والايرانية ، وقد بلغ من أخذها بالتسليم في مصر أن بعض مسلمي الاسكندرية كانوا أنكروا على المنار بعض ما كتبه في شأن الدولة العثمانية وسلطانها فرغبوا إلى الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أن يكلمني في ترك مباحث السياسة في المنار لأنها مجلة دينية ، فقال لهم واذا قال لي إن الاسلام دين سياسة فماذا أقول له ؟

نعم راجت هذه الدعاية في البلاد الاسلامية ذات الحكومات الاسلامية من عربية وعجمية فكان الغبن والغرم فيها على المسلمين والغنم لغيرهم ، وقد بلغ من تأثيرها أن تجرأ رجل من اللادينيين معمم متخرج في الازهر وقاض في محكمة شرعية على تأليف كتاب مستقل في الدعوة باسم الاسلام إلى جعل الحكومة فيه «لادينية» وانكار التشريع الديني والامامة الاسلامية العظمى ، والطعن فيها ، وأيدته في ذلك أكثر الجرائد التي تسمّى إسلامية كالجرائد الافرنجية سواء .

بثت الدعاية إلى الحكومة اللادينية في مصر كما بثت في الدولة العثمانية وصرح بعض الملاحدة عندنا بالدعوة الى التصريح بذلك في الدستور المصري قبل أن يفعل الترك مافعلوه بخلافتهم ، ولا فرق بين الفريقين كما قلنا من قبل إلا أن اللادينيين من الترك هم قواد الجيش وأصحاب السيوف والمدافع ، وأن اللادينيين من المصريين لاقوة لهم إلا في ألسنتهم وأقلامهم ، لأن القوة الحربية في مصر في يد الانكليز وحدهم ، وهم ردء لهؤلاء اللادينيين لأنهم يعملون لهم في ظلهم ، ولولاهم لقضى عليهم الرأي العامّ الاسلامي على ضعفه ، وهم لا يشكون أن سيقضون عليه

وأما تأثيرها العملي في سورية فكان أول مظاهره نجوم الافكار « اللادينية » في المؤتمر السوري العام الذي قام بأمر استقلال سورية ووضع القانون الاساسي لها ، ثم في الدولة التركية بالغاء خلافتها ، ثم تشريعها الاسلامي حتى في الأحكام الشخصية وإبطال محاكمها الشرعية وتعليمها الديني ، ثم اضطهاد كل من يدعو إلى الدين الاسلامي أو يدافع عنه ...

هذا وإننا قد خبرنا بأنفسنا أن سياسة نصارى سورية ولبنان الوطنية قد تغيرت لنا منذ أوائل العهد بالحرب الكبرى اذا اعتقدوا أن الدولة العثمانية ستخسر نفسها أو بلادها العربية (على أقل تقدير كما يقال) وقد عقدنا في مصر اجتماعات كثيرة للبحث في مستقبل البلاد السورية علمنا أنهم يطلبون (أولا) تأسيس دولة مسيحية في سورية ولبنان (وثانيا) حماية دولة مسيحية قوية لها ولسائر البلاد السورية .

ثم جرى العمل على هذا بعد الحرب فرأينا جميع المساعي دينية يقودها رجال الدين المسيحي ، فكان غبطة بطرك الموارنة هو النائب السياسي عن لبنان الصغير ثم عن لبنان الكبير ، حتى حملوه على السفر إلى فرنسة المرة بعد المرة على ضعفه وعتيّ شيخوخته ، ولا يزال كذلك . ورأينا فرنسة قد ضمت اليه من بلاد سورية ذات الاكثرية الاسلامية جميع سواحلها المجاورة له ، وجزءاً عظيما من داخليتها العامرة ، وراعت في ذلك أن يكون أكثر مجموع أهله من النصارى لتكون السلطة في أيديهم . ورأيناهم بعد هذا كله يسيرون في انتخاب المجلس التمثيلي للبلاد على قاعدة عدد الطوائف الدينية ، ويسمونها « الطائفية »

انقلب الوضع وانعكست القضية، فكلما اشتداد تمسك النصارى بالسياسة الدينية أعرض المسلمون عنها واستمسكوا بالسياسة اللادينية حتى إن بعض علماء المسلمين الشرعيين ومنهم مفتي الشام رضوا بان يكون أعضاء لادارة التعليم اللاديني ونرى الجرائد الاسلامية تستنكر كل عمل في الحكومة يفرق فيه بين أبناء الوطن باختلاف أديانهم ومذاهبهم ، فقد نال الاجانب ماسعوا له من حل رابطة المسلمين الدينية وصرفهم عن تشريعهم وسلطانه باقناعهم أن الجامعة الوطنية خير لهم من الجامعة الدينية، حتى اذا ماقنعوا قلبوا لهم وبعض أعوانهم من نصارى الوطن لهم ظهر المجن ، فالفرنسيس والانكليز هم الذين يمنعون السوريين بالقهر أن يكونوا أمة بالوطنية، وأن تكون لهم حكومة وطنية ، اللهم الا حيث تكون الغلبة وعزة الكثرة للمسلمين وحدهم ، فحينئذ يقهرونهم على أن يساووا الاقلية الصغرى، بل أن يعطوها اكثر مما تستحق أضعافا

الفرنسيس أعطوا صنائعهم وربائبهم نصارى جبل لبنان ماهو أكبر وأعظم من جبلهم من بلاد الاكثرية الاسلامية بالرغم من أنوف أهلها ، ولم يرضوا أن يجعلوا بقية سورية المحمدية دولة واحدة لئلا تكون أكبر من « لبنان الكبير » فجعلوها دولا متعددة بحسب المذاهب، حتى حاولوا جعل الدويلة التي خصوها باسم سورية دولتين دمشقية وحلبية ، لأن السواد الأعظم من سكانها هم أهل السنة ، وطالما أغروا أهل حلب بطلب الاستقلال ، ويزعمون أنهم بذلك يراعون رغبة أهل البلاد وحريتهم لأن فرنسة أمّ الحرية وحاميتها ، يعني بشرط أن تكون لغير المسلمين ، أو لغير مصلحة المسلمين ، ثم تدعي مع هذا أن العداء بين الطوائف الدينية في سورية هو من مساوئها الراسخة ولا علاج له إلا خضوع الجميع لسلطان فرنسة العادل الذي يقيم ميزان القسط بين الجميع ، والحق أن فرنسة لو أرادت أن يتفق السوريون أو لو تركت السوريين وشأنهم لاتفقوا ، إلا أن تغري بينهم دولة أخرى مثلها كانكلترة ، ولا ينجح الاغراء حيث تكون الكثرة الساحقة للمسلمين كما هو ظاهر في مصر وفلسطين وسورية الداخلية . وقد حققنا هذه المسألة منذ ٢٩ سنة في مقال طويل في التعصب نشرناه في السنة الأولى من المنار

أنا لاأريد بكتابة هذا الآن الانتقاد المحض على عمل فرنسة فانه لافائدة فيه ، ولا إعلام مسلمي سورية به فانهم يعلمون من تفصيل ما أجملت مالا أعلم ، واعتقادهم في فرنسة أسوأ فانني والحق أقول قد سمعت من بعض كبراء دمشق قبل نكبتها ان المسلمين يعتقدون انفرنسة وانكلترة متعاونتان على إبادة مسلمي سورية وفلسطين وجعلها للنصارى واليهود. فكيف يكون رأيهم بعد تلك وماجرى فيها وبعدها من الاهوال ، وتقتيل النساء والاطفال ؟ ولا اقصد به إغراءهم بنبذ سلطانها المسمى بالانتداب فانه من تحصيل الحاصل، فهم يصارحونها بذلك . وليس بعد الثورة الحاضرة التي جاءت بعد ثورات كانت دونها خفاء حجة . وانما أريد به إقامة الحجة على رجال فرنسة الذين تولوا والمتولين الآن لأمر سورية بأن المسلمين يعتقدون أن كل خلاف وشقاق في البلاد في يد فرنسة إزالته بالحق والعدل

سبق أن قلت لموسيو روبير دوكيه على عهد الجنرال غورو في شهر مارس سنة ١٩٢٠ اضمن لي النصارى وأنا على ضعفي أضمن لك المسلمين أو المحمديين كافة ولا استثني الدروز ، وقلت مثل هذا في هذه الأيام (١) لموسيو جوفنيل المفوض السامي الجديد لسورية ، وقلت مثله فيما بين ذلك لسعادة سفير فرنسة المفوّض في مصر ليبلغه، وإني اذكر به من سمعه مني ، وأبلغه لوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات الفرنسيتين ، وكل منهما تطلع على جميع مايكتب في المنار عن فرنسة وتعلمان أن المنار لسان صدق لا لسان دعاية وفتن ، فعسى أن يظهر لأحد من المطلعين على حجتنا خطأ سياستهم الماضية فيبحثوا عن المخرج فيجدوه

بل شرحت للأول في بيروت وللاخير في مصر الوسيلة الوحيدة التي يمكن لفرنسة أن ترضي بها أهل سورية كافة بالحق والعدل والمصلحة المتبادلة، وتربح بها مودة الامة العربية والشعوب الاسلامية أيضاً، وقد قال لي موسيو روبير دوكيه على غلوه في الاستعمار ووضعه لأساس التفريق والشقاق في البلاد: ان هذه الخطة معقولة قابلة للتنفيذ لاخيالية ، ولكن تحتاج الى درس مع العقلاء في صفة تنفيذها ، واحب أن نعود إلى البحث فيها .أقول ولكن حال سفري دون ذلك ، وسأبينها في الفصل الأخير من هذا المقال بعد الكلام على سياسة موسيو دي جوفنيل . (للكلام بقية)

(١) بدأت بكتابة هذا المقال منذ أشهر واقتضت الحال تاخير نشره

مبايعة أهل الحجاز لسلطان نجد

﴿ قُل اللَّهُمَّ مالِكَ المُلكِ تُؤتي المُلكَ مَنْ تشاء ، وَتنزِعُ المُلكَ مِمَّنْ تَشاء ، وَتُعِزُّ مَنْ تشاء، وَتذِلُّ مَنْ تشاء ، بيَدِكَ الخيرُ ، إنَّكَ علىَ كلّ شيءٍ قدير ﴾

سبحان الذي يغير ولا يتغير ، ولا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ، سبحانه من حكم عدل ، يملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ، قد أنقذ أهل حرمه وحرم رسوله من ذلك (المنقذ) الجبار ، والمرائيا لختار ، ومن سلالته الخائنين، وجعل العاقبة للمتقين

وردت انباء الحجاز في الشهر الماضي بأن أهله قد نصبوا السلطان عبدالعزيز آل سعود ملكا عليهم ، وكنا كالجهور نتوقع من رويته تأخير القطع في شأن حكومة الحجاز إلى أن ينعقد المؤتمر الاسلامي الذي دعا إلى عقده في مكة أو يظهر اليأس منه . ثم علمنا من الأنباء الرسمية وغير الرسمية التي وصلت الى مصر أن أهل الرأي في مكة وجدة أحبوا أن يكون أمر تعيين الحاكم العام في بلادهم لهم دون غيرهم من أهل الأقطار الاسلامية الذين لا يعنيهم من أمر الحجاز الا النظام الذي يحفظ به الامن والعدل في البلاد وتسهيل سبل المناسك والزيارة في الحرمين الشريفين وهو ما يجب أن ينظر فيه المؤتمر أولا ، ويليه ما يحب أهل الفضل والغيرة من المسلمين أن يخدموا به الحجاز من نشر العلم ووسائل العمران . ولذلك الح هؤلاء على السلطان بأن يقبل مبايعتهم له واحتجوا عليه بما صرّح به مراراً من جعل تقرير مصيرهم واختيار حاكمهم لهم فتمنع وطلب ارجاء ذلك ، فعلم به زعماء النجديين وأهل الحل والعقد فيهم من العلماء والقواد فجاؤه وأقاموا عليه الحجة بوجوب قبول مبايعة أهل الحجاز له لئلا يذهب جهادهم في تطهير الحجاز من رجس الظلم والالحاد عبثا ، بل أنذروه عاقبة الامتناع بحديث « لا طاعة لمخلوق في معصية

الخالق » ـ رواه الامام احمد وغيره بهذا اللفظ وورد بلفظ آخر في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن — فلم يسعه إلا الاجابة لانه ليس بالمستبد دونهم ، كالطواغيت الذين أدال الله له منهم

واننا ننشر أهم الوثائق الرسمية والتاريخية في ذلك نقلا عن العدد ٥٥ من (ام القرى)المكية ، الذي صدر بمكة المكرمة في ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٢٦ كما نشرنا مثلها في مبايعة الملك حسين بالملك ثم بالخلافة ، مع العلم بأن هذه البيعة اختيارية كان يرى المبايع تأجيلها ، وتلك اجبارية كان تقرر في السر ولم يكن أحد يشك في قتل من يمتنع عنها

صورة البيعة الآتية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده ، نبايعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود على أن تكون ملكا على الحجاز ، على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله . وأن يكون الحجاز للحجازيين . وأن أهله هم الذين يقومون بادارة شؤونه . وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم

وقد رفعوا مع كتاب البيعة الكتاب الآتي

كتاب كبراء مكة للسلطان

حضرة صاحب العظمة السلطانية أيده الله تعالى

المعروض إلى عظمة السلطان الموفق المعان أنه قد اجتمع الداعون الموقعون أدناه من أهل الحل والعقد بمكة المكرمة وتذاكروا في الأمر وقابلوا بارتياح كل ماجرى بين عظمتكم وبين الهيئة المتمثلة في مجلسكم العالي صباح أمس من

خيرة الأهلين ، وبمناسبة اهتمامهم بذلك ، ومزيد بشرهم به ، ساروا جميعاً إلى تقرير عقد البيعة على المنوال المسطور أعلاه ، راجين أن ينزل ذلك من رغبات عظمتكم منزلة القبول ، وان تتفضلوا بتتويجه بالاشارة السلطانية ليكمل لهم مقصدهم الوحيد بحصول رضائكم العظيم ، مسترحمين الانعام بتعيين وقت عقد البيعة عند البيت العظيم ، والله يديم بالتوفيق أيام دولتكم

١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤

عبد القادر الشيبي . حسن عدنان . محمد المرزوقي ابو حسين . محمد سعيد ابو الخير . عبد اللطيف عالم . محمد شرف رضا . محمد على كتبي . حسين بن عبد الله العطاس . عباس عبد العزيز المالكي . عبد الرحمن الزواوي . محمد صالح قطب . عبد العزيز ريس . عمر جان . احمد مفتي . عبد الرحمن بشناق . صالح شطا . بكري قزاز . عبد الله حموده . عبد الله احمد زواوي . عمر علي بوقري . محمدعرابي . سجيني عايش ريس . محمد نور عقيلي . عيدروس بن عقيل السقاف . عمر احمد فقيه . محمد فقيه . محمدنورفطاني . صدقه عبد الجبار . عبدالله باسلامه . احمدامين سراج. محمود شلهوب . عبدالرحمن محمدياسين . محمدعلي خوقير

توقيع السلطان على صورة البيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن الرحمن آل فيصل الى إخواننا الموقعين أسماءهم

سلام عليكم — وبعد فقد أجبنا كم إلى ما طلبتم ، ونسأله سبحانه وتعالى المعونة والتوفيق للجميع في ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤

الختم الكريم

حفلة البيعة

بعد أن أدى الناس صلاة الجمعة يوم ٢٥ جمادى الثانية هرعوا إلى مكان الحفل عند باب الصفا من المسجد الحرام، حيث فرشت الطنافس، وأعد مجلس خاص لعظمة السلطان ، وأقيم منبر أمام مجلسه لخطيب البيعة ، ولم تأزف الساعة السابعة والثلث حتى أقبل الموكب السلطاني المهيب ، وأخذ عظمة السلطان مكانه فنادى المنادي (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ثم اعتلى المنبر الشيخ عبد الملك مرداد الخطيب وتلى الخطاب الآتي

« احمد رب هذا البيت المعظم ، وأشكر الله على ما أنعم به علينا وتكرم ، سبحانه وتعالى منَّ علينا بنعم لاتحصى ،ومنن لاتستقصى ، أبدل خوفنا بالأمن العام ، وأمرنا بالتآلف والتعاضد والوئام ، فأحمده جلّ وعلا حمد عبد يعرف مقدار نعمته ، وأشكره شكر من تداركه الله بازالة نقمته

أيها الاخوان : إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بالأمن بعد الخوف ، وبالرخاء بعد الشدة ، وقد انقشعت عنا غمة الحروب والعناء ، وأقبلت علينا بفضل الله عز وجل أوقات المسرة والهناء . وقد توحدت الكلمة بحول الله تعالى وقوّته ، وتعطف علينا هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة ، الواجبة علينا بعد طلبنا لها من عظمته ، وها أنا أذكر صورة البيعة مع القبول حرفياً » وتلا ما نشرناه قبل هذا —

ولما وصل الخطيب إلى تلاوة نص البيعة باشرت قلاع مكة باطلاق المدافع إعلانا لتلك البيعة فاطلقت مائة مدفع ومدفع ، وما انتهى الخطيب من خطبته حتى هرع الناس أفواجا أفواجا مزدحمين للمبايعة ، ولولا رجال الحرس الخاص والشرطة يوقفون الزحام وينظمون سير المبايعة ، لأودى الزحام بغير قليل من الناس ، وقد كان ترتيب المبايعين على الشكل الآتي :

الأشراف . فشيخ السادة . فالوجهاء والأعيان . فالمجلس البلدي . فأهل المدينة المنورة . فأهل جدة . فبقية خدم الحرم ، فالمطوفون والزمازمة ، فمشايخ

الجاوه ، فأهل الحرم ومشايخ الحارات . فأهل المحلات

وقد دامت حفلة المسجد الحرام ما يقرب من الساعة ، والناس يمرون ويبايعون ، وبعد ذلك مشي جلالة الملك إلى البيت الحرام ، فطاف به سبعاً ، وصلى في المقام ، ثم شرف دار الحكومة فجلس في سرادقها ، واكتظت بالناس على رحبها ، ولما استقر بالحاضرين المقام نهض الشاب الأديب حسن قابل وتلا خطابا ذكر فيه خلاصة تاريخية عن الأطوار التي مرت على الحجاز قبل رحيل الترك عنه إلى يومنا هذا. ثم عرض بما كان عليه الحال في العهد السابق، وأن الحق هو للحجازيين في تقرير مصيرهم ، وأن لا بد للبلاد من ملك مستقل يكون قادراً على صيانة الحجاز من الداخل والخارج، وأن الرجل الذي يستطيع القيام بهذا الأمر هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، وأنه بالنيابة عن أهل جدة يمد يده مبايعاً وطلب من عبد الله رضا أن يقوم ويبايع عن أهل جدة بملكية الحجاز

ثم قام حضرة الفاضل بكر ناظر فتكلم كلمة تناسب المقام ، وتلاه الشاب الناشيء شاكر بن محمد عامر الزبدي فألقى خطابا كان له وقع حسن . وتبعه حضرة الفاضل صدقه منصور فتكلم موجزاً تاريخ العلاقات بين أمراء جزيرة العرب ، وما أدى (اليه) النزاع الذي كان بين الحجاز ونجد إلى أن وفق الله الكريم بفضله ، وتوحدت الكلمة بين البلدين . ثم أثنى على همة جلالة الملك بما هو أهله

ثم تكلم عبد الرحمن بشناق بصوت جهوري مخاطباً جلالة الملك بأن الله ما أعطاك هذا العطاء إلا لأنك سائر في مرضاته ، ودعا الله للامة بالتوفيق .

ثم تكلم صديقنا الشيخ عبد العزيز العتيقي ، فذكر طرفا من سير الامة زمن السلف الصالح ، ولزوم الاستمساك بذلك الحبل المتين ، ليرجع للمسلمين ما كان لهم من عز وسؤدد ،

خطاب ملك الحجاز بعد البيعة

ولما انتهى الخطباء من خطبهم أقبل جلالة الملك على الحشد المجتمع بوجهه الطلق ولسانه العذب ، فحمد الله بما هو أهله ، وسأله المعونة على الاعمال ، ثم

انطلق انطلاق السيل يعظ ويرشد ويدعو للاعتصام بكتاب الله ، وإلى التوحيد الخالص ، بأسلوب يسترعي الأسماع ويأخذ بالألباب . ثم قال :

« أوصيكم بتقوى الله في جميع أعمالكم ، أوصي الجميع بالتقوى ، كل يجب أن يتقي الله في عمله ، التاجر في تجارته ، والصانع في صنعته ، والموظف في وظيفته ، أسمع خطباءكم يقولون : هـذا امام عادل ، وهذا كذا . فكل رجل مهما بلغ من المنازل العليا إذا لم يكن يخشى الله ويطلب مرضاته فلا أثر له ولا لعمله . فمتى تركت الشهوات ، وهجرت المحرمات ، وعبدنا الله على بصيرة ،لاقينا الخير كله . وهل جاء البلاء للناس إلا من اتباع شهوات النفوس التي فيها خراب الدين والدنيا ؟ لذلك أدعوكم الى الدين ، واتباع آثار السلف الصالح ، وأن نتخذ الصراحة في القول ، وأن نترك الرياء والملق في الحديث . ومتى اتفق الامراء والعلماء ، كل واحد منهم يستر على صاحبه . فالأمير يمنح المراتب ، والعلماء يدلسون ويتملقون ، ضاعت أمور الناس ، وفقدنا — والعياذ بالله — الآخرة والاولى . إنه لم يفسد الممالك إلا الملوك وأحفادهم وخدامهم ، والعلماء وأعوانهم ، واني والله لأود أن لا أكون في هذا المقام فانه لاحول ولا قوة الا بالله

«ان الأمر والحمد لله قد استتب في البلاد على أحسن حال ، ولم يبق لأحد حجة في النكوب عن العمل الصالح ، ولينصرف كل انسان لاصلاح عمله

«ان التمدن الذي فيه حفظ لديننا وأعراضنا وشرفنا فرحباً به وأهلا . وأما التمدن الذي يؤذينا في أدياننا وأعراضنا وشرفنا ، فوالله لو قطعت منا الرّقاب ، وذهبت فيه العيلات ، لم نرضخ له ولم نعمل به

«اني أحمد الله الذي جمع الشمل وأمن الأوطان ، وإن لكم عليّ عهد الله وميثاقه أنني أنصح لكم كما انصح لنفسي واولادي وعائلتي ، احبكم في الله واعاديكم فيه» اهـ

وقد تعالت الأصوات من الحاضرين « جزاك الله خيراً جزاك الله خيراً »

وقد كانت القهوة العربية تدار على الحاضرين حيناً بعد حين ، ثم انصرف الناس من مجلسهم فرحين مسرورين اهـ

الجامعة الاسلامية والجامعة الشرقية

الكتاب الثاني

(للشيخ أبي الحسنات الندوي رحمه الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة الفاضل الجليل ، والعالم الكامل النبيل ، أمتع الله المسلمين بطول بقائه سلاماً سلاما

أما بعد فقد وصلني كتابكم ، ووقفت على ما كتبتم فيه من حقيقة الأمر، ولاح لي المنهاج الذي أشرتم اليه بكلمة « وما كل أمر يمكن إعلانه » **وهكذا كان قد** يخطر ببالي أحياناً ، فالحمد لله على ماصدق ظنوني ، وماأوردتم فيه من كلمة السيد المرحوم الأفغاني تغمده الله بغفرانه ، التي قالها في المغفور له السلطان عبد الحميد خان ، فاني على خبرة منها ، ومن سعيه وبذل جهده في سبيل جمع كلمة الأمة المرحومة تحت اسم الخلافة ألاسلامية على ذلك السلطان ، حتى كان أقنع كثيراً من مجتهدي الشيعة بالمساعدة على ذلك . وأيضاً إني على خبرة مما كان لسعيه وعمله هذا ضياعا وخسراناً بما كان أصيب به السلطان المرحوم فى أواخر عمره من ماليخوليا ووسواس . ولو سلمت كما حررتم أن الاتحاديين الذين جاؤا بعده كانوا شرا منه ، فالسلطان إن كان سلا في رئة الدولة . فالاتحاديون كانوا أشد منه وطأة عليها ، حتى ذهبوا بقوتها وأسباب بقائها ، لو لم يجعل الله تعالى رجلا من الدولة حفاظا لها . ولكن مع هذا كله ليس لنا أن نقطع الأمل ، ونترك العمل ، فان عدم نجاح العمل لايثبت لنا إلا تقصيراً في جهدنا ، ولا يظهر لنا إلا نقصاناً في سعينا . فعلينا أن نجهد بكل الجهد ، ونبذل كل الوسع مرة بعد أخرى ، حتى نفوز بالأمل ، وننجح في العمل . وكيف يمكن القنوط والزمان قد تقلب بما هو خير لنا وأحسن ، فان القرن الماضي قد مضى ، وكانت الأمة المسلمة في نوم غفلتها ، ونجم هذا القرن وهي في يقظة لا سنة معها، وحركة لا فتور فيها

نعم كان بدأ السيد المرحوم بعمله دعوة المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية في زمان كانت الأمة فيه نائمة غافلة ، فمضى أكثر أيام حياته في اتخاذ الوسائل إلى تنبيهها ، وتهيئة الأسباب لايقاظها ، حتى توفاه الله تعالى قبل أن يتم العمل . ومع ذلك لايجوز أن يقال إن السيد المرحوم قد خاب في أمله ، وخسر في عمله . فان هذه كلمة كذب لاتحملها الأرض والسموات ، وإني على يقين ولا أزال عليه — أن صلصلة الوحدة الاسلامية التي تسمع فى عصرنا هذا هي من الجرس الذي دقه السيد المرحوم ، وما وصفتم لي من ضعف الأمة ، وجهل الحكومات الاسلامية الذي يحول دون السعي ونجاح العمل . فهذا الحائل والعائق أيضا قد ذهب به الزمان . فانظروا إلى الأمة ليس فيها شيء من ضعف النباهة والاحساس ، والحكومات الاسلامية ما بقي فيها الجهل (؟) عن الأهوال والأحوال . الأمة قد شعرت بحاسة الأخوة الدينية ، فترى القيام بها من الواجب ، وهي تسعى لها . والحكومات الاسلامية قد علمت بمضار التشتت والافتراق ، فترى ارتباط بعضها مع بعض من اللازم ، فكل واحدة منها تسير سير التعاون والوفاق ، حتى صار أمر خدمة الأمة على من يريد أن يخدمها فى هذه الأزمان هونا، والطريق اليها سهلا

وما كتبتم فى أمر الاتحاديين والكماليين ، فان يكن الأمر كذلك ، ولكن ليس لنا الآن أن نقول فى هذا الشأن قولا مفصلا ، وأقول بالاجمال: من أعرض من الاتحاديين أو الكماليين ونأى بجانبه عن مصلحة الأمة المسلمة ونصوص الدين ، فله ماله وعليه ماعليه — الأمة المسلمة لاتشترك بعمله ، ولا تكون عونا له إلا فيما يهمها من أمر دينها . نعم إني أعلم أن بعض زعماء الاتحاد والترقي كالغازي أنور باشا حفظه الله تعالى وأدام له السلامة قد غلب عليه الاتحاد التوراني ، وهو يجهد فى سبيله ، ويبذل له ما فى وسعه ، فان كان ذلك الاتحاد تابعاً للاتحاد الاسلامي ، وموافقاً له ، فتكون الأمة المسلمة بأجمعها ساعداً له وعضداً . وهكذا الكماليون ان كانت تشتمل مساعيهم على مشروع الاتحاد الاسلامي ومصلحة

الدين ، فالأمة بأموالها وأنفسها تتعاون بهم ، وتكون أنصاراً لهم ؛ وان نبذوه وراءهم وهجروه ، فالأمة تنبذهم وتهجرهم

وما كتبتم في الكماليين من إلغائهم منصب الخلافة الاسلامية ، وجعلها عبارة عن رياسة روحية بابوية ، فنحن مسلمو الهند لسنا على علم بصدقه كما هو يروى ويقال (١) ومسلمو الهند ، بل ومسلمو العالم لايرضون أبداً بجعل منصب الخلافة منصباً روحياً محضاً كمنصب البابا

ومن ذا الذي يعلم الكتاب ويعرف أصول الشريعة يرضى به ويستحسنه ؟ - ولا نخال كيف يمكن لمصطفى كمال باشا وحزبه أن يرتكبوا هذا الخطأ الكبير ديناً وسياسة ، وهو يضرهم كما لايضر غيرهم أحداً ، فان هذا الالغاء يذهب بشرف الدولة التركية بين الدول الاسلامية ، وبمكانتها العليا في نفوس المسلمين قاطبة . هل أرادت الأمة التركية أن تضع حمل الخلافة عن كواهلها فانه ثقيل عليها ؟ هذا أمر لم أظنه بالأتراك ، ولم أجد مؤمناً به في الهند أحداً (٢) وأما ماذكرتم من أطماع المسلمين مصطفى كمال باشا صانه الله تعالى وحزبه ، بأنهم يوافقونهم على كل ما يفعلون ، وان كان مخالفاً للمصلحة ونصوص الدين، فليس بشيء ، فان المسلمين لايتعاونون بهم على مايخالف الشرع ونصوص الدين أبداً ، لأن روحهم الدينية تنفر عن مثل هذا التعاون ، قال الله عز وجل (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان)

وكنت كتبت وفقاً لما وعدتكم قبل ذلك مقالة في مسئلة الجامعة للمسلمين وطريق الوصول اليها ، والأخذ بها ، وكنت هممت بارسالها اليكم اذ ألقي الي كتابكم قبل الأمس ، ووجدت فيه ذكر الجزء التاسع للمنار في البريد الآتي(٣) فيه إشارات إلى شيء من المشروع الذي أوردتم ذكره في الكتاب ، فأحببت أن أرسل مقالتي المذكورة بعد مطالعة (المنار) والوقوف على رأيكم في هذا الشأن

وأما ما سألتموني عن رأيي في الطريق الذي يمكن أن نتعاون به مع جمهور مسلمي الهند على تنفيذ المشروع الجليل ، وكيف السبيل إلى اطلاعهم على تفصيله المبهم ؟ فاني أنا بنفسي أظهر لكم ماأرى بعد مطالعة المشروع . وأما طرحه على

جمهور المسلمين ، واستحصال تعاونهم عليه ، وسبيل اطلاعهم على تفصيله . فان كان المشروع محتويا على الظواهر ليس لها الخفايا . فالسبيل اليه بنشره في الجرائد الهندية بعد ترجمته بالاردوية ، حتى يراه ويطالعه زعماء المسلمين وخواصهم ثم بعد ذلك يسأل عنه ، وماذا يرون فيه ؟ فان وقع عندهم موقعاً حسناً فيسهل الى يتم أن العمل . ففي هذا السبيل ان شئتم وأذنتموني فأترجم مشروعكم الجليل بالأردوية فأرسله الى الجرائد ، و نسأل عنه رأي من هو أهل الرأي من المسلمين في الهند ، وأيضاً اني لقادر على أن أترجمه بالفارسية ، وأرسله الى جرائد أفغانستان ، وان كان المشروع لم يفده مثل هذه الأعمال ، فبينوا لي ماهو يفيده وأي سبيل عندكم الى تنفيذه ؟ وما ترون طريق عمله وكيف تقصدونه

وأما استئذانكم بنشر ما كتبت وأكتب في هذا الشأن فما كان لازماً . الأمر اليكم والخيار لكم ، فانشروا منه ماشئتم ، وبأني رجل من الهند لست بعربي ولاصحبت عربيا ، فأرجو أن تسوّدوا وتصلحوا ماوقع في العبارات من زيغ وفساد فتقبلوا مني أحسن التحية

أنا العاجز أبو الحسنات الندوي أحد رفقاء دار المصنفين
شبلي نزل أعظمكده (الهند)

(المنار) رحمه الله وأثابه فقد كان من خيار المصلحين وقد توفاه الله تعالى قبل أن نتمكن من اجابته الى كل ماسأل

باب الانتقاد على المنار

وهب بن منبه وكعب الاحبار

بينا في الجزء الأول ما رأيناه كافياً في اثبات جرح كعب الاحبار والرّد على المنتقد الذي ذهب الى أن جرحه يشين السنة المحمدية (برأها الله وأغناها عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه أيضاً)

وأما وهب بن منبه فقد كان تابعياً عابداً ، ولم يتهم في شيء من دينه الا

بالقول بالقدر ، وذكروا عنه أنه رجع عنه، وقد ضعفه عمر بن الفلاس ، واغترّ به الجمهور لأن جل روايته للاسرائيليات ولم يكونوا يدققون النظر فى نقدها تدقيقهم فى نقد روايات أصول الدين وفروعه ، وقلما كان أحد من رجال الجرح والتعديل يعرف شيئاً من كتب أهل الكتاب ليصح حكمه على الرواة عنها ، على أن البخاري رحمه الله تعالى لم يرو عنه حديثاً في صحيحه مرفوعا ولا قصة اسرائيلية ، ولا مسألة علمية ، وانما روى عنه أثراً واحداً وهو ما حدث به عن أخيه همام عن ابي هريرة من قوله : ليس أحداً كثر مني حديثاً الا عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فانه كان يكتب ولا أكتب .ولم ينفرد به وهب بل تابعه عليه معمر عن همام فلا يصح أن يعد وهب من رواة صحيح البخاري الذين ائتمنهم على سنة الرسول (ص)

هذا وإن مانقلوه عنه من الرجوع عن عقيدة القدر لرميٍ له بعقيدة الجبر المحض وهي شر منها ، فكانوا بذلك كمن يغسل الدم بالبول ، وهو مع ذلك يدل على كذبه فيما يرويه عن كتب الانبياء عليهم السلام ، فقد ذكروا عنه أنه قال : كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء في كلها « من جعل الى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر » فتركت قولي اه من تهذيب التهذيب ومقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر

أقول (أولا) إن كتب الأنبياء التي بأيدي أهل الكتاب لاتبلغ هذا العدد

(ثانيًا) إننا تصفحنا أشهرها فلم نجد هذا القول فيها ، ولا رأينا أهل الكتاب ينقلونه في مجادلاتهم في هذه المسألة

(ثالثًا) إن هذا القول باطل قطعاً بدليل الآيات الكثيرة في القرآن ، المثبتة لمشيئة الانسان ، كقوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * لمن شاء منكم أن يستقيم * اعملوا ماشئتم * فأذن لمن شئت منهم * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وفي معنى الآيات أحاديث كثيرة أيضاً . ولا ينافي هذه الآيات قوله تعالى (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله) بل يقررها ويؤكدها إذ هو صريح في أن الله تعالى شاء أن يكون للبشر مشيئة خلقها لهم فيما خلقه من صفاتهم وغرائزهم وقواهم.

(رابعاً) إن وهباً قد انتقل من بدعة القدرية الى بدعة الجبرية التي هي شر منها وأضر، وأدهى وأمرّ، فهي التي أماتت قلوب المسلمين وهممهم التي فتحوا بها البلاد، ودكوا بها الأطواد، وأرضتهم بالذلّ والهوان، وتعبدتهم للظلمة منهم، ثم للمستعبدين لهم من غيرهم. إن المشيئة هي أعظم الصفات التي يتفاضل بها بعض البشر على بعض، وإن عقائد الاسلام وعباداته كلها مبنية على صحة المشيئة، ومربية لقوة الارادة، التي أعمل الجبرية فيها معاول التأويل لهدم الاسلام بهدمها. وقد فعلت في إضعاف المسلمين ما لم يفعله جميع أعدائهم منذ وجدوا الى هذا اليوم. وإنما راجت دسائسها بما كانت تنفثه مواعظ العُبّاد الجاهلين أو الخادعين الدساسين من سمومها القاتلة، أي أن الانسان لامشيئة له ولا إرادة، وإنما هو كالريشة الملقاة تقلبها الرياح باختلاف مهابّها، وأن هذا هو المراد بالقدر الوارد في الكتاب والسنة، وقد بينا بطلان ذلك مراراً. وأن التقدير هو النظام والسنن التي اقتضتها الحكمة الالهية في الخلق

هذا وان عمدتنا في جرح رواية وهب ماجاء به من الاسرائيليات التي نقطع ببطلانها وهو آفتها كروايات كعب فيها. وقد شوها تفسير كتاب الله بما بثا فيها من الخرافات، وبما أدخلا فيها من العقائد الباطلة، ومن تأييد عقائد أهل الكتاب والشهادة لكتبهم التي بين أيديهم بالصحة

ونكتفي في هذه وهي شرها بما نقله الحافظ ابن كثير عنه في تفسير قوله تعالى (وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون: هو من عند الله. وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) قال: قال وهب بن منبه: ان التوراة والانجيل كما أنزلها الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) فأما كتب الله فانها محفوظة ولا تحول، رواه ابن ابي حاتم

(قال ابن كثير) فان عنى وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص. وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية

ففيه خطأ كبير ، وزيادات كثيرة ، ونقصان ووهم فاحش، وهو من باب تفسير المعرب المعبر[1] وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد . وأما ان عنى كتب الله التي هي كتبه من عنده فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء » اه

أقول : ان ابن كثير قد علم من حال كتب أهل الكتاب مالم يكن يعلم أئمة الجرح والتعديل ممن فوقه كأحمد وابن معين والبخاري ومسلم الذين لم يروا هذه الكتب كما رآها ، ولم يطلعوا على ما بينه المطلعون عليها قبله من تحريفها وأغلاطها ومخالفتها لما نقطع به من اصول الايمان بالله ورسوله الخ كابن حزم وابن تيمية استاذه ، ولو علم اولئك ماعلمه هؤلاء من ذلك لجزموا بأن وهباً كان كذاباً غاشاً للمسلمين بصلاحه ، ولم يقبلوا له رواية قط . كما كانوا يجزمون بجرح من يقول في الدين بدون مازعمه من كون التوراة والانجيل اللذين في ايدي اهل الكتاب كما انزلها الله تعالى لم يتغير منهما حرف واحد . وان تحريفهم لهما انما كان في تأويلهما ، وفي نسبة بعض المسائل التي ليست فيهما اليهما، أي كما يفعل المبتدعون في الاسلام والمتعصبون للمذاهب في تأويل القرآن والحديث لا ثبات بدعهم ومذاهبهم. وكما اراد ابن كثير عفا الله عنه ان يلتمس لوهب تأويلات كتأويلات متعصبي المذاهب لمشايخهم . ولو نقل هذا القول عن جهمي أو معتزلي أو شيعي لقطع هو وأمثاله بخروجه به من الملة — فهذا التأويل بديهي البطلان ، لأن كل أحد يجزم بأن وهباً يتكلم عن التوراة والانجيل الموجودين في الأرض لا عن اللوح المحفوظ ، ولا عن علم الله عز وجل ، وعن كلامه الذي هو صفة من صفاته — ولو أردنا أن نجمع من تفسير ابن كثير وحده مافيه من الاسرائيليات وغيرها عن وهب نفسه وعن صنوه في روايتها كعب الاحبار، وننتقدها لأ لفنا في ذلك كتاباً خاصا ، مع العلم بأن ابن كثير رحمه الله تعالى يحترس مما لم يحترس غيره منها . وأما اذا رجعنا الى كتب القصاصين والمفسرين الذين جمعوا كل ماسمعوا فاننا نجد هنالك العجب العجاب! والذي يقال فيه : إنه لاتلبس عليه ثياب . ويا حسرتا على من يظنون ان سنة النبي المختار ، تزول الثقة بها بجرح وهب وكعب الاحبار اه

(١) وفي نسخة مكتبة الازهر: المعبر المعرض. ولعل مراده بالمعبر العبري أي العبراني

فؤاد بك سليم

خسرت سورية في ثورتها الحاضرة قائداً من أكبر قوادها تدبيراً وبلاء فيها ، وفي الحركة العربية الأخيرة من أولها إلى آخرها ، بل خسرت الأمة العربية رجلا كان يرجى أن يكون من أكبر رجالها في هذا الطور الانقلابي تأثيراً بعلمه وعمله ، وعقله وأدبه ، ولسانه وقلمه ، رب السيف والقلم ، شهيد الوطنية الصادقة ، صديقنا فؤاد بك سليم ، أصابت رأسه المفكر شظايا قذيفة من مدافع الفرنسيس في المعركة فقضت عليه قبل أن يتم ما كان يلقيه على جيش الثورة وقواده من الأوامر والنواهي الحربية فيها ، فلما ذاع نعيه اضطربت له مصر كما اضطربت له سورية ، وأبنته جرائد القطرين ورثاه شعراؤها ، ولم تتناوب أقلام الكتاب المختلفي المذاهب والمشارب الرثاء والتأبين بمثل ما كتبته فيه إلا في أفراد معدودين من كبار الزعماء . ولعل ذلك يجمع في سفر خاص يكون ذكرى وقدوة للنابتة العربية في نهضتها القومية الحاضرة

كان فؤاد سليم مغمولا مجهولا قدره بإقامته في شرق الأردن إلا عند أصدقائه ، فكان كنود الأمير عبد الله الحجازي له بإخراجه منها جزاء له على إنقاذه إياه من الهلاك ، وإلجائه إياه إلى الايواء إلى مصر ، من حسن حظ الفقيد وحظ أمته ، اذ عرفه فيها على عزلته كبار العقلاء والكتاب ، وأعجبوا بما نشره في أشهر جرائدها من المقالات السياسية والاجتماعية الدالة على نضوج فكر وسعة علمه وسداد رأيه

لم تكن دموعي عند فقد الكواكبي والزهراوي أشد حرارة من دموعي على فؤاد ، وكنت أرجو له مستقبلا عظيما في نهضة الأمة العربية ، وقد يتعجب قراء المنار إذا قلت إنني كنت أرجو أن يكون من أقوى أنصاري في الاصلاح الديني والأخلاقي ، وفي مقاومة تيار التفرنج المفسد للعقائد والأخلاق ، وللابدان والأرواح ، وفي السعي لاعادة طائفة الدروز العربية الباسلة إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، مع المحافظة على روابطها وتكافلها ومزاياها الشريفة الموافقة لأصول الاسلام ، وإقناع نابتتها وزعمائها الأذكياء ماعدا ذلك من تعاليم الباطنية كان من دسائس المجوس وكيدهم للعرب لسلب ملكهم انتقاماً منهم على إسقاطهم لدولة المجوس ودينهم . فالبلاد كانت أحوج إلى عقل فؤاد ورأيه منها إلى سيفه فرحمه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ شعبان سنة ١٣٤٤ هـ ٢٣ برج الحوت سنة ١٣٠٥ هـ ش ١٤ مارس سنة ١٩٢٦

فتـــاوى المنـــار

(الاستخفاف بآيات الله وما عظم الله أمره . ودعوى رؤية النبي (ص) في اليقظة)

(٣٨ و ٣٩) من صاحب الامضاء في الجزائر

ما قولكم في كاتب يكتب في الجرائد تحت عنوان « النفـخ في الصور » والامضاء « إسرافيل » هل ينطبق عليه ما ذكر الشيخ (القاضي) عياض في كتاب الشفاء في مفتتح فصل من فصول آخر الكتاب ولفظه :

« وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه ـ أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته ـ إلى أن قال ـ وهذا كفر لا مرية فيه » اهـ

قلت أليس التمثيل بالنفخ في الصور وامضاء إسرافيل عليه السلام بعض ماعظم الله من ملكوته ؟ أفيدوا الجواب، ولكم الأجر والثواب ،من منزل الكتاب، الذي جعله الله حكما بين العباد إلى يوم المآب

ثم نذكر لكم سخافة وحديث خرافة ذكرها الشيخ عليش في فتاويه في باب الأصول من كتابه ذلك فقال : إن الشعراني نقل عن عليّ الخواص ان الأئمة المجتهدين لايثبتون حكما إلا إذا شاوروا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة ، وانهم معصومون من الخطأ ، إلى غير ذلك مما لايقبله الشرع ولا العقل . وان السيوطي ذكر عن نفسه كما في ورقة بخطه أنه رأى النبي (ص) خمساً وسبعين مرة يقظة ، حسبما تقفون على ذلك في كتابه المومأ اليه في باب الأصول

ثم إنا لما أنكرنا ذلك وكتبنا فيه نقداً في بعض الجرائد هنا قام بعض من يزعم انه على علم ما . فأنكر علينا انكارنا على من يدعي رؤية النبي (ص) يقظة بعد وفاته بثلاثمائة سنة . إلى غير ذلك مما تقفون عليه من المدهشات بل المخزيات

والآن نطلب منكم عملا بالأصول وقواعدها وانتصاراً لطريقتنا الاصلاحية السلفية ان تشيروا إلى ذلك في عدد من أعداد المنار المقبلة وذلك يكون خدمة للعلم والفقه الصحيح إذ لاتتقرر الأحكام الشرعية بما ذكر (الزواوي)

﴿ جواب المنار ﴾ اننا لم نطلع على شيء مما كتب في بعض جرائد الجزائر بالعنوان والامضاء المذكورين ، فنعلم هـل هو صريح فيما أراده القاضي عياض رحمـه الله من الاستخفاف أو الاستهزاء بالله أو بآياته ، او بما عظم أمره من ملكوته بما يدل على ذلك دلالة واضحة . وهو قد ناط الحكم بالكفر بقصد الكفر والاستخفاف ، أو بالتكرار الدال على ذلك ، فان نص عبارته فيما جزم بأنه كفر « فان تكرر هذا منه وعرف به دلّ على تلاعبـه بدينه ، واستخفافه بحرمة ربه، وجهله بعظيم عزته وكبريائه ، وهذا كفر لامرية فيه . وكذلك ان كان ماأورده يوجب الاستخفاف والنقص لربه » اهـ

والمدار في الحكم بالكفر في أمثال هذه الاقوال على دلالتها القطعيـة على الاستخفاف والاستهزاء الذي لا يصدر من مؤمن عادة أو قصده ذلك. فاذا كان الناس يفهمون من عبارات ذلك الكاتب الاستهزاء بالقيامة وملك الصور استهزاء من لا يؤمن بهما فلهم أن لا يعاملوه معاملة المؤمنين ، ولـكن بعد ان ينصحوا له برفق بان يرجع عن ذلك ويتوب إلى الله منه ، وأن يقبلوا قوله اذا قال انه لا يقصد به مافهموه من الدلالة على الاستخفاف أو الاستهزاء ويحتجوا عليـه بأن فهمهم ذلك منه كاف في وجوب تركه . وإن كان الناس لا يفهمون هذا مما يكتبه بل يفهمون أنه يقصد الوعظ وبأسلوب مؤثر ينبه الاذهان فلا وجه للقول بكفره مطلقاً . وهنالك صورة ثالثة وهي أن تختلف افهام الناس فيما ذكر ، وحينئذ يتجه أن يكون ما يكتبه معصية لا كفراً ، والغالب على ظني انه لا يقصد الكفر ولا يعتقد أن مايكتبه محظور شرعا ، ولكن يجب عليه والحالة هذه أن يراعي مايفهم الناس من كلامه ، ولا يقف موقف التهمة عنـد من يستنكر ذلك ، وأرجو ان يترك ذلك اذا بلغه هذا وصح حسن ظني فيه فهذا مااتجه عندي في مسألة الاستفتاء

دعوى التلقي عن النبي (ص) بعد وفاته

وأما مانقله الشيخ عليش عن الشعراني عن عليّ الخواص من استشارة الأئمة المجتهدين للنبي (ص) يقظة في كل حكم أثبتوه ، ومن القول بعصمتهم ، فهما من الباطل الذي لا يقبله إلا الخرافي الجاهل ، فالمسلمون قد اجمعوا على عدم عصمة

العلماء المجتهدين ، وصرحوا بجواز الخطأ عليهم ، إلا أن بعض الشيعة قد قالوا بعصمة بعض الذين خلوا من أئمة أهل البيت كالأئمة الاثني عشر عند الامامية، وقد كان المجتهدون يقولون القول ثم يظهر لهم انه خطأ فيرجعون عنه ولو لم يثبتوا حكماً إلا بالتلقي الصحيح عن النبي (ص) لما رجع أحد منهم عن قول قاله في اثبات حكم أو نفيه ولما أوصى من أوصى منهم (كالشافعي) بأن من صح عنده حديث يخالف قوله فليتبع الحديث ويضرب بقوله عرض الحائط ، وكتب الشعراني مشحونة بالخرافات وقد أطال القول في هذه المسألة في كتابه (الميزان) وسيأتي مافيه

هذا وان أولئك المجتهدين لم يدع أحد منهم هذه الدعوى بل كانوا يستنبطون الاحكام من أدلتها ويتناظرون فيها ، ويرد بعضهم قول بعض بالدليل ، ولم يدع حد منهم العصمة ولا ادعاها لهم أصحابهم ومؤيدو مذاهبهم بل اعترفوا بأنهم يخطئون وان كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا النبي (ص) كما كان يقول مالك ، ولو صحت الدعوى لكانت أقوالهم كلها على تعارضها وتناقضها كنصوص الكتاب والسنة ، والواقع أن اكثرها اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب وهذا معني وصفهم بالمجتهدين . والصحابة كانوا اعلم بدين الله من أئمة الفقه ، ولم يقل أحد بعصمتهم ولا بأنهم كانوا يرون النبي (ص) بعد موته ويستفتونه فيما أشكل عليهم والروايات في اختلافهم وتشاورهم فيما اختلفوا فيه في عهد الراشدين كثيرة ، ولو كان كبار الصحابة والتابعين الذين نقلوا الينا القرآن والسنة يرون النبي (ص) في اليقظة ويتلقون عنه الأحكام لعرف هذا عنهم الخواص والعوام ، ولما وقع المسلمون فيما وقعوا فيه من الاختلاف العلمي والعملي

ثم ان الذين ادعوا أنهم يرون النبي (ص) في اليقظة ويسألونه عن الأحاديث المروية عنه وعن الأحكام والحقائق يختلفون في كل ذلك اختلافا يدور بين النفي والاثبات ، والحلال والحرام، والكفر والايمان ، فكيف يمكن ان تصح دعواهم؟ روي عن السيوطي ان النبي (ص) أخبره انه ليس في جامعه الصغير حديث موضوع أي مكذوب عليه (ص) وروي عن غيره انه سأله (ص) عن عدة أحاديث من هذا الكتاب فأنكرها، وصرح بأنه لم يقلها ، وهي من غير الأحاديث التي قال رجال الحديث كالمناوي وغيره بوضعها

ومن مفاسد هذه الدعوى أنها فتحت للدجالين باب الافساد في هذا الدين وبث العقائد الباطلة المخالفة لنصوص القرآن القطعية الدلالة والمجمع عليها في الملة، دع مخالفتها للأحاديث الصحيحة عند جميع حفاظ السنة ، وتجد الكثير منها في كتب المتصوفة كالشيخ أحمد التيجاني الذي ضل بطريقته الألوف والملايين من أهل افريقية ولا سيما الجزائر ، ولولا ان في كتب بعض المشهورين بالولاية والعلم كالشعراني إثباتاً لهذه الدعوى بدعوى اخرى هي مايسمونه بالكشف لكفي المسلمون هذا الشر المستطير

لقد كان الضرر والفساد لهذه الدعوى كبيرين ولم نر لها أدنى فائدة توازي أدنى غائلة منها، وعلماء اصول الدين وعقائده وأحكامه متفقون على ان الكشف والالهام ليس من أدلة الشريعة ولا يثبت به حكم ولا تقوم به حجة . قال في جمع الجوامع وشرحه : لعدم ثقة من ليس معصوماً من الأولياء بخواطره ، لانه لايأمن دسيسة الشيطان فيها ، وأهل السنة لايقولون بعصمة أحد في إلهامه وغيره إلا الانبياء عليهم السلام كما تقدم

وأما مسألة رؤية النبي (ص) في اليقظة أي رؤية روحه الشريفة القدسية ، متشكلة بصورته الكاملة الجسدية فقد اختلف العلماء فيها ، فنفاها قوم ، وأثبتها آخرون ممن يدعونها أو يصدقون من ادعوها من الصوفية ، ومن الثقاة من قال بامكان حصولها في حال بين النوم واليقظة ، ونظم بعضهم هذا الرأي بقوله :

ومن يدعي في هذه الدار أنه يرى المصطفى حقا فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة الذي يحاول هذا الأمر مرتبة وسطى

ويجد القارىء هذا البحث في المواهب اللدنيـة وشرحها ، وفي الابريز ، وفي بحث الكرامات من طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وغيرها . وقد كنت قرأت هذا وغيره ، وكتبت في المسألة بحثاً طويلا في كتاب (الحكمة الشرعية في المحاكمة بين القادرية والرفاعية) الذي ألفته في أثناء طلبي للعلم بطرابلس الشام

ويعلل النفاة لرؤية اليقظة ما روي عن بعض كبار الصوفيـة من ادعائها ، ومنهم الأتقياء العدول ، والعلماء الفحول ، الذين يجلون عن تهمة الكذب

والاقتراء — يعللون ذلك بأنهم هؤلاء لم يفتروا تلك الدعوى افتراء ، وإنما كان مايرونه نوعا من المثال، يتجلى عند استغراق الفكر في الخيال، على حد قول الشاعر

يمثلك الشوق الشديد لناظري فأطرق إجلالا كأنك حاضر

ولكن كبار الصوفية على إثباتهم للرؤية الخيالية يقولون: إن لهم رؤية أخرى هي جمعية روحية تكون في حال التجرد من الجسم المادي الكثيف ، والانسلاخ ن سلطان الحس ، فهي مشاهدة الروح للروح في شكل الجسد ، ولا تتوقف على فتح العينين ولا على وجود النور بل هي تكون مع عدمهما أكثر ومن الفرق بينها وبين الرؤية الخيالية — أن الذي يتمثل في الخيال هو ماانتقش في مركز التصور لما كان شاهده هذا الرائي أو تخيله ، فهو يختلف باختلاف الأشخاص كالأحلام ، والرؤية الروحية ليست كذلك ، وآية صحتها إنها لاتتضمن أخذ شيء عنه ينافي القرآن أو غيره من اصول الشريعة أو فروعها القطعية .

وقد ذكر صاحب الابريز عن شيخه الدباغ من أمثلة الرؤية الخيالية جزاراً في مدينة فاس مات ولده فوجد عليه وجداً عظيما ، فتمثل له وهو يمشي مع الجزارين في السحر يقصدون المذبح ، وصار يتكلم معه ، حتى نبهه أحد رفاقه سائلا إياه عما سمع منه ؟ فأخبره أن ولده كان يمشي بجانبه ويكلمه

وأعرف امرأة بلهاء في بلدنا كانت دائما تخاطب الموتى ممن لهم شأن كبير عندها كأخ لها مات شابا ومن غيرهم وهذا نوع مما ينقل في هذا العصر عن الروحيين في بلاد الافرنج كلها

وربما أعود الى التوسع في هذه المسألة ، وما يتعلق بها مما يسمى اليوم باستحضار الأرواح

وجملة القول أن رؤية الأرواح على القول بصحتها إنما تقع في حالة غيبة عن الحس والادراك العقلي ، ومتى عاد صاحبها الى الحالة الطبيعية يكون كالمستيقظ من النوم ، فلا يوثق بضبطه لكل مارآه ، وهي لا يثبت بها حكم شرعي ، ويجب القطع ببطلان كل ماينقل في هذه الحالة عن روح النبي (ص) أو غيره من الانبياء والمتقين مخالفا لما ثبت شرعا أو وجوداً بدليل قطعي والسلام

﴿ مسألة صفات الله تعالى وعلوه بين النفي والاثبات ﴾

﴿ جواب سؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية ﴾
رحمه الله تعالى

فصل

فاذا تبين ذلك فوجوب اثبات العلو لله تعالى ونحوه يتبين من وجوه

(أحدها) أن يقال إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وكلام السابقين والتابعين بل وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه اثبات العلو لله على عرشه بانواع من الدلالات ، ووجوه من الصفات ، واصناف من العبارات ، تارة يخبر انه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش . وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع ، وتارة يخبر بعروج الاشياء وصعودها وارتفاعها اليه كقوله تعالى (بل رفعه الله اليه * إني متوفيك ورافعك إلي * تعرج الملائكة والروح اليه)وقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده كقوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق * قل نزله روح القدس من ربك بالحق * حم، تنزيل الكتاب من الرحمن الرحيم * حم، تنزيل من الله العزيز الحكيم) وتارة يخبر بأنه الاعلى والعلي كقوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى)وقوله(وهو العلي العظيم)

وتارة يخبر بأنه في السماء كقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض ؟ أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) فذكر السماء دون الارض ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها كما ذكر في قوله تعالى

(وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) وقال تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض) وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ » وقال للجارية « اين الله ؟ قالت في السماء » قال « اعتقها فانها مؤمنة »

وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) فلو كان موجب العناية معنى عاما كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده ، ولم يكن أحد مستكبراً عن عبادته ، بل مسبحا له ساجداً وقد قال تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك رداً على الكفار والمستكبرين عن عبادته، وامثال هذا في القرآن لا يحصى الا بكلفة، وأما الاحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها الا الله تعالى

فلا يخلو اما أن يكون ما اشتركت فيه هذه النصوص من اثبات علو الله نفسه وعلى خلقه هو الحق أو الحق نقيضه اذ الحق لا يخرج عن النقيضين واما أن يكون نفسه فوق الخلق أو لا يكون فوق الخلق كما تقول الجهمية، ثم تارة يقولون لا فوقهم ولا فيهم ، ولا داخل ، ولا خارج ، ولا مباين ، ولا محايث ، وتارة يقولون هو بذاته في كل مكان ، وفي المقالتين كلتيهما يدفعون أن يكون هو نفسه فوق خلقه

فاما أن يكون الحق اثبات ذلك أو نفيه ، فان كان نفي ذلك هو الحق، فمعلوم أن القرآن لم يبين هذا قط لا نصا ولا ظاهرا ، ولا الرسول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، لا ائمة المذاهب الاربعة ولا

غيرهم ، ولا يمكن أحداً أن ينقل عن واحد من هؤلاء انه نفى ذلك أو اخبر به : وأما مانقل من الاثبات عن هؤلاء فاكثر من أن يحصى أو يحصر، فان كان الحق النفي دون الاثبات ـ والكتاب والسنة والاجماع انما دل على الاثبات ولم يذكر النفي اصلا ـ لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق فى هذا الباب ، بل نطقوا بما يدل اما نصا واما ظاهرا على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب

ومعلوم أن من اعتقد هذا فى الرسول والمؤمنين فله اوفر حظ من قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

فان القائل اذا قال هذه النصوص اريد بها خلاف ما يفهم منها ، أو خلاف مادلت عليه، أو انه لم يرد اثبات علو الله نفسه على خلقه ، وانما اريد بها علو المكانة ونحو ذلك كما قد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضع، فيقال له فكان يجب أن يبين للناس الحق الذي يجب التصديق (به) باطنا وظاهرا بل ويبين لهم مايدلهم على أن هذا الكلام لم يرد به مفهومه ومقتضاه ، فان غاية مايقدر انه تكلم بالمجاز المخالف للحقيقة ، والباطن المخالف للظاهر، ومعلوم باتفاق العقلاء ان المخاطب المبين اذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن بخطابه مايدل على ارادة المعنى المجازي ، فاذا كان الرسول المبلغ المبين الذي بين للناس مانزل اليهم يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه، كان عليه أن يقرن بخطابه مايصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرد لا سيما اذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده فى الله ، فان عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا فى الله مالا يجوز اعتقاده اذا كان ذلك مخوفا عليهم ، ولو لم يخاطبهم بما يدل

على ذلك ،فكيف اذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي تقول النفاة هو اعتقاد باطل ؟ فاذا لم يكن في الكتاب ولا السنة ولا كلام أحد من السلف والائمة مايوافق قول النفاة اصلا ، بل هم دائما لايتكلمون الا بالاثبات ، امتنع حينئذ أن لايكون مرادهم الاثبات ، وان يكون النفي هو الذي يعتقدونه ويعتمدونه ، وهم لم يتكلموا به قط ولم يظهروه ، وانما اظهروا مايخالفه وينافيه ، وهذا كلام مبين لامخلص لاحد عنه لكن للجهمية المتكلمة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام

***

مذاهب متفلسفة القرامطة في الصفات

أما المتفلسفة القرامطة فيقولون ان الرسل كلموا الخلق بخلاف ماهو الحق وأظهروا لهم خلاف مايبطنون ، وربما يقولون انهم كذبوا لاجل مصلحة العامة فان مصلحة العامة لاتقوم إلا باظهار الاثبات، وان كان في نفس الامر باطلا . وهذا مع مافيه من الزندقة البينة والكفر الواضح قول متناقض في نفسه ، فانه يقال لو كان الامر كما تقولون والرسل من جنس رؤسائكم ،لكان خواص الرسل يطلعون على ذلك ، ولكانوا يطلعون خواصهم على هذا الامر ، فكان يكون النفي مذهب خاصة الامة واكملها عقلا وعلما ومعرفة ، والامر بالعكس ،فان من تأمل كلام السلف والائمة وجد أعلم الأمة عند الامة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وابي بن كعب وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبدالله ابن عمرو وأمثالهم هم أعظم الخلق اثباتا . وكذلك أفضل التابعين مثل

سعيد بن المسيب وامثاله والحسن البصري وامثاله وعلي بن الحسين وامثاله وأصحاب ابن مسعود واصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين . بل النقول عن هؤلاء في الاثبات يجبن عن اظهاره كثير من الناس ، وعلى ذلك تأول يحيي بن عمار وصاحبه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصاري مايروى أن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله ، فاذا ذكروه لم ينكره الا أهل الغرة بالله ، تأولوا ذلك على ماجاء من الاثبات ، لان ذلك ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسابقين والتابعين لهم باحسان ، بخلاف النفي فانه لا يؤخذ عنهم، ولا يمكن حمله عليه

وقد جمع علماء الحديث من النقول عن السلف في الاثبات مالا يحصي عدده الا رب السموات ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد الا أن يكون من الاحاديث المختلقة التي ينقلها من هو أبعد الناس عن معرفة كلامهم

ومن هؤلاء من يتمسك بمجملات سمعها، بعضها كذب وبعضها صدق ، مثل ما ينقلونه عن عمر انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما، فهذا كذب باتفاق أهل العلم بالاثر، وبتقدير صدقه فهو مجمل ، فاذا قال أهل الاثبات كان ما يتكلمان فيه من هذا الباب لموافقته مانقل عنهما كان أولى من قول النفاة انهما يتكلمان بالنفي ، وكذلك حديث جراب أبي هريرة لما قال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم — فان هذا حديث صحيح لكنه مجمل قد جاء مفسرا أن الجراب الآخر كان فيه حديث الملاحم والفتن، ولو قدر أن فيه مايتعلق

بالصفات فليس فيه مايدل على النفي بل الثابت المحفوظ من أحاديث أبي هريرة كحديث اتيانه يوم القيامة وحديث النزول والضحك وامثال ذلك كلها على الاثبات ، ولم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد في النفي من جنس قول النفاة

مذهب الجهمية في الصفات

وأما الجهمية المتكلمة فيقولون ان القرينة الصارفة لهم عما دل عليه الخطاب هو العقل ، فاكتفى بالدلالة العقلية الموافقة لمذهب النفاة ، فيقال لهم (أولا) فحينئذ اذا كان ماتكلم به انما يفيدهم مجرد الضلال وانما يستفيدون الهدى من عقولهم ، كان الرسول قد نصب لهم أسباب الضلال ، ولم ينصب لهم أسباب الهدى ، وأحالهم في الهدى على نفوسهم ، فيلزم على قولهم ان تركهم في الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم بل ضرتهم .

ويقال لهم (ثانيا) فالرسول صلى الله عليه وسلم قد بين الاثبات الذي هو اظهر في العقل من قول النفاة ، مثل ذكره لخلق الله وقدرته ومشيئته وعلمه ونحو ذلك من الامور التي تعلم بالعقل أعظم مما يعلم نفي الجهمية ، وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الاثبات ، فكيف يحيلهم على مجرد العقل في النفي الذي هو اخفى وأدق وكلامه لم يدل عليه بل دل على نقيضه وضده ومن نسب هذا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فالله حسيبه على مايقول

والمراتب ثلاث ، اما أن يتكلم بالهدى أو بالضلال أو يسكت عنهما . ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يضل ، وهنا يعرف بالعقل ان الاثبات لم يسكت عنه بل بينه ، وكان ماجاء به السمع موافقا للعقل ، فكان الواجب فيما ينفيه العقل ، ان يتكلم فيه بالنفي كما فعل فيما يثبته العقل ، واذا لم يفعل ذلك كان السكوت عنه اسلم للامة

اما اذا تكلم فيه بما يدل على الاثبات ، واراد منهم ان لا يعتقدوا الا النفي ، لكون مجرد عقولهم تعرفهم به فاضافة هذا الى الرسول صلى الله عليه وسلم من اعظم أبواب الزندقة والنفاق

ويقال لهم (ثالثا) من الذي سلم لكم أن العقل يوافق مذهب النفاة بل العقل الصريح إنما يوافق ما اثبته الرسول ، وليس بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلا ، وقد بسطنا هذا في مواضع بينا فيها أن مايذكرون من المعقول المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما هو جهل وضلال تقلده متأخروهم عن متقدميهم ، وسموا ذلك عقليات ، إنما هي جهليات ، ومن طلب من تحقيق ماقاله أئمة الضلال بالمعقول لم يرجع الا الى مجرد تقليدهم ، فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل تقليداً لمن توهموا انه عالم بالعقليات ، وهم مع أئمتهم الضلال كقوم فرعون معه ، حيث قال (فاستخف قومه فأطاعوه) قال تعالى عنه (فاستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) وفرعون هو امام النفاة ولهذا صرح محققوا النفاة بأنهم على قوله ، كما يصرح به الاتحادية من الجهمية من النفاة ، اذ هو الذى انكر العلو وكذب موسى فيه وانكر تكليم الله لموسى قال تعالى (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب * اسباب السموات والارض فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا) والله تعالى قد اخبر عن فرعون انه انكر الصانع وقال (وما رب العالمين) وطلب أن يصعد ليطلع الى اله موسى ، فلو لم يكن

موسى اخبره أن المفوق لم يقصدذلك ، فانه هو لم يكن مقراً به ، فاذا لم يخبره موسى به لم يكن اثبات العلو لامنه ولا من موسى عليه الصلاة والسلام. فلا يقصد الاطلاع ولا يحصل به ما قصده من التلبيس على قومه، بأنه صعد الى اله موسى ، ولكان صعوده اليه كنزوله الى الآبار والانهار، وكان ذلك اهون عليه ، فلا يحتاج الى تكلف الصرح

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لما عرج به ليلة الاسراء ووجد في السماء الاولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى ثم في الثالثة يوسف ثم في الرابعة ادريس ثم في الخامسة هارون ثم وجد موسى (١) ثم عرج الى ربه وفرض عليه خمسين صلاة ثم رجع الى موسى فقال له ارجع الى ربك فاسأل التخفيف لامتك فان امتك لا تطيق ذلك ، قال« فرجعت الى ربي فسألته التخفيف لامتي »وذكر انه رجع الى موسى ثم رجع الى ربه مراراً فصدق موسى في أن ربه فوق السموات وفرعون كذب موسى في ذلك

والجهمية النفاة موافقون لآل فرعون أئمة الضلال . وأهل السنة والاثبات موافقون لآل ابراهيم أئمة الهدى وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا خاشعين) وموسى ومحمد من آل ابراهيم بل هم سادات آل ابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين

(١) الظاهر أنه سقط من هذا الموضع أنه وجد موسى في السماء السادسة وابراهيم في السابعة

الصحة

تأليف
زعيم الهندوس الاكبر
مهاتما غاندي



ترجمة
الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي

الباب الثاني

الجسم الانساني

الكون مركب من خمسة عناصر: التراب والماء والهواء والنار والأثير (١) وكذلك الجسم الانساني الذي هو مثال مصغر للكون . ولذلك يحتاج الجسم الى قدر متناسب من جميع هذه العناصر : التراب النقي ، والماء النقي ، والنار أو النور النقي ، والهواء النقي ، والمكان الطلق . فان حصل نقص أو زيادة في القدر الضروري من هذه الأشياء فالمرض واقع لا محالة

الجسم مكوّن من الجلد والعظام والدم واللحم . فالعظام هي التي تكون الهيكل الجسدي ، إذ لولاها لما أمكننا أن ننتصب أو نتحرك أو نمشي ، وهي التي تحمي الأجزاء اللينة الرخوة من الجسم . فالجمجمة تحمي الدماغ ، والاضلاع تحمي القلب والرئتين . وقد أحصى الأطباء العظام في الجسم الانساني فوجدوها تبلغ ٢٣٨ عظما . إن ظاهر العظام كما لا يخفى صلب ، وباطنها رخو مجوف ، وهي متصلة بعضها ببعض بطلية من النخاع التي يصح أن نعتبرها عظاماً رخوة .

(١) المنار : جرى المؤلف هنا على رأي فلاسفة اليونان والهند والعرب في العناصر وزاد « الاثير » وهو عند علماء هذا العصر بالكون أصل العناصر ومنشأ الوجود ولكنه مفروض فرضا غير ثابت علما و يعللون به كل ما يدل على وجود الخالق سبحانه من نظام العالم وأطواره

والأسنان كذلك تعد من العظام ، وتظهر اللبنية منها في الطفولية ثم تسقط وتخلفها الأسنان الثابتة التي اذا سقطت لاتحل محلها أسنان جديدة . تنبت الاسنان اللبنية في فم الطفل من ستة الى ثمانية أشهر من عمره غالبا ، ولا تزال تنبت الى أن يبلغ من العمر سنتين أو سنتين ونصف سنة . وأما الاسنان الثابتة فتنبت من السنة الخامسة حتى تستكمل بين سبع عشرة وخمس وعشرين سنة من العمر وأما الأضراس فتظهر بعد جميع الأسنان

نجد اللحم في بعض الاماكن من الجسم صلبا مطاطا ، هذه هي الأعصاب ، وهي التي تسهل لنا بسط أيدينا وقبضها ، وتحريك فكينا ، وتغميض عيوننا . ثم هي التي تؤدي لها أعضاؤنا الحساسة وظائفها

إن البحث التام في الهيكل الجسدي ليس من أغراض هذا الكتاب . ثم إن الكاتب نفسه ليس على علم تام به حتى يوفي البحث حقه . ولذلك نقتصر هنا على البحث في الأعضاء الرئيسية من الجسم

إن أهم أجزاء البدن المعدة ، فانها لو وقفت عن عملها ولو دقيقة من الزمن فسرعان مايتداعى الجسم كله . إن وظيفة المعدة إنضاج الطعام وهضمه وتهيئة الغذاء للجسم . فالعلاقة بينها وبين الجسم كعلاقة القاطرة بالقطار . ولكن الحمل الذي نحمله عليها عادة أثقل من أن يتحمله أقوى حيوان ضار . إن العصارة المعدية التي تتولد في المعدة تساعد على هضم الأجزاء المغذية من الطعام وتفرز الحثالة من طريق الامعاء في شكل البول والبراز . ويوجد في الجنب الايسر من الجوف البطني الطحال ، وفي الأيمن من المعدة الكبد الذي وظيفته تنظيف الدم وافراز الصفراء التي هي نافعة جداً للهضم

يوجد في الجوف الذي تحيط به الأضلاع القلب والرئتان ، ومكان القلب بين الرئتين ، ولكنه مائل الى اليسار أكثر منه الى اليمين . وعظام الصدر كلها ٢٤ عظما ، وضربات القلب يمكن الحس بها بين الضلع الخامس والسادس . والرئتان متصلتان بالقصبة الهوائية ، فالهواء الذي نستنشقه يصل الى الرئتين من طريق هذه القصبه الهوائيه ، وهو الذي ينظف الدم . إن من الضروري

جداً التنفس من المناخر لامن الفم لكي يصل الهواء من طريق المناخر الى الرئتين ساخناً . ولكن كثيراً من الناس يجهلون ذلك فيتنفسون بالفم فيتضررون به ضرراً بليغاً . إن الفم للأكل والشرب لا للتنفس الذي هو وظيفة الأنف

يتوقف جميع أعمال الجسم ونشاطه على دورة الدم ، لأنه هو الذي يهيء الغذاء للجسم ، وينتقي الأجزاء المغذية من الطعام ويفرز المفضلات من طريق الامعاء وهكذا يحافظ على حرارة الجسم . لايزال الدم فى دورة وجريان فى سائر الجسم من طريق العروق والشرايين وضربات النبض انما هي نتيجة لدورة الدم إن نبض الشاب اليافع الصحيح الاعتيادي يبلغ نحواً من ٧٥ مرة فى الدقيقة . ونبض الاطفال أسرع من هذا ، كما أن ضربات نبض الشيوخ بطيئة

إن الآلة الاساسية لتنقية الدم انما هي الهواء . فانه اذا عاد الى الرئتين بعد دورته الكاملة فى الجسم . عاد غير طاهر أي مشتملا على عناصر سامّة ولكن (الاكسيجن) الذي نشتنشقه من الهواء ينفذ فيه فيطهره وينقيه ، كما أن (النيتروجين) يجذب السموم ويخرجها بالزفير . وهذا العمل لايزال جاريا ليلا ونهاراً بلا انقطاع . وبما أن الهواء يؤدي وظيفة مهمة جداً في الجسم . يحسن بنا أن نفرد له باباً مفصلا

الباب الثالث

الهواء

قوام حياة الانسان ثلاثة أشياء : الهواء والماء والغذاء . أما الهواء فأهمها جميعاً ، ولذلك خلقه الله بمقدار عظيم جدا ، وبثه في كل مكان ليحصل عليه جميع الناس بلا ثمن . غير أن المدنية الحاضرة قد جعلت حتى الهواء النقي غاليا لاينال الا بالثمن . وذلك لأننا نضطر للحصول عليه الى أن نذهب خارج المدن وهذا يقتضي شيئا من النفقة . فسكان بمبائي مثلا يجدون الهوء النقي في (ماتهيرن) وأحسن منه في تلال (مالابار) ولكنهم لا يستطيعون أن يذهبوا الى هذه الاماكن

بدون إنفاق المال . ولذا يصعب القول بأن الهواء النقي ينال مجانا في العصر الحاضر كما كان الحال في العصور القديمة

وسواء وجدنا الهواء مجانا أو بثمن فانا لاغنى لنا عنه البتة . لقد رأينا آنفا أن الدم يدور في الجسم حتى يصل الى الرئتين ، وبعد أن يتطهر فيها بالهواء يعود الى دورته ثانية . فنحن نخرج الهواء الفاسد بالزفير ، ونستنشق الاكسيجن من الخارج بالشهيق وهو الذي يطهر الدم ، وهذا العمل للزفير والشهيق يسمى التنفس ولا يزال مستمراً دائما ، وعلى استمراره وحده تتوقف الحياة . إن الغريق يموت لأنه لايستطيع في داخل الماء أن يخرج الهواء الفاسد ، ويستنشق الهواء النقي . وأما الغواص الذي يغوص في الماء ويبقى فيه زمنا ، فذلك لأنه يحمل معه مايسمى (بجهاز الغواص) فيتنفس بأنبوبة يتصل أحد طرفيها بالجهاز ويبقى الآخر فوق الماء فهو يحصل بها على الهواء النقي ، ويستطيع أن يبقى في الماء وقتا طويلا

لقد أثبتت التجارب أن الانسان لايمكن أن يعيش بدون الهواء أكثر من خمس دقائق . وكم نسمع بالأطفال الذين يموتون في أحضان أمهاتهم ، فان الأم الجاهلة تضم الطفل الى صدرها ضما شديداً حتى ينقطع عنه الهواء فيختنق في مكانه!

وبهذا تعلم شدة حاجة الانسان الى الهواء ، وإنا على كل حال نجده بدون أن نبحث عنه هنا وهناك خلافا للماء والغذاء فاننا لانجدهما الا بالبحث والسعي

إن التنفس في الهواء الفاسد مكروه ومستقبح مثل شرب الماء الكدر ، وأكل الطعام الوسخ ، ولكننا تعوّدنا أن نتنفس في الهواء الفاسد ، الذي هو أكثر فساداً من الشراب والطعام . نحن كلنا بالحقيقة عبيد الظواهر ، فكل مانراه ونحس به نهتم به أكثر بكثير مما لا نراه ولا نحس به . وبما أن الهواء مما لايرى بالعين فلذلك لا نبالي بمعرفة الفساد الذي يجلبه علينا الهواء الفاسد . نحن نشمئز من تناول الطعام الذي أكل منه انسان غيرنا ، وشرب الماء الذي أفسده غيرنا بادخال شفتيه فيه ، حتى إن أولئك الذين ليس لهم حس من التقزز أو الكراهة لهذا يستنكفون أن يأكلوا ويشربوا الشيء مهما جاعوا وعطشوا ، بل يفضلون الموت على أن يفعلوا ذلك ، ولكن ماأقل أولئك الذين

يفهمون حق الفهم أن الهواء الذي يستنشقونه قد يكون أكثر الأحيان فاسداً مسموما بما مجه الآخرون فيه بتنفسهم ، وليس بأحسن حالا من القيء . ومما يتعجب منه أن الناس يتجالسون وينامون مجتمعين ساعات طويلة في حجر ضيقة ويتنفسون في هوائها القتال الذي قد أفسدوه هم وأصحابهم ! ماأسعد حظ الانسان في أن الهواء خفيف ومنبث الى هذا الحد وصالح للنفوذ من أضيق المنافذ ! حتى اذا غلقت الابواب والنوافذ بقي ينفذ الى الداخل من بعض المنافذ الضيقة ، التي تبقى على كل حال بين الجدران والسقوف ، لكيلا يتنشق المجتمعون في الحجرة المغلقة الهواء المسموم بالتنفس فيه فيموتوا خنقاً . إن الهواء الذي نخرجه بالزفير يمتزج بالهواء الخارجي ، ويتطهر ثانية بعمل الطبيعة المستمر في كل وقت

يتيسر لنا الآن أن نعرف السبب الذي أضعف صحة هذا العدد العظيم من الرجال والنساء ، وما هو الا الهواء الفاسد الذي قد قضى على صحة ٩٩ في المائة من الناس . فالسل وحمى الدق وسائر الأمراض العفنة يسببها الهواء الفاسد ، فأحسن طريقة لاتقاء الأمراض المكث والعمل في الهواء الطلق الذي لا يباريه في المعالجة وشفاء الأمراض أي طبيب مهما يكن نطاسيا حاذقا . إن السل يعرض من مرض الرئتين الذي ينشأ من التنفس في الهواء الفاسد ، ومثلها مثل القاطرة التي يوضع فيها الفحم الردي فتخرج من وظيفتها وتغير سيرها . ولذلك قالت الأطباء : إن أسهل العلاج وأنجعه للمسلول هو البقاء في الهواء النقي طول ٢٤ ساعة

لنعلم أننا لا نتنفس من طريق الرئتين فقط بل كذلك يدخل بعض الهواء في أبداننا من طريق المسام التي لا تعد ولا تحصى في جسمنا

إن من الضروري جدا معرفة الطريقة التي يمكن لنا المحافظة بها على نقاء الهواء وصفائه . يجب أن يعلم كل صبي بمجرد بلوغه سن التميز قيمة الهواء النقي وأنا أسر غاية السرور اذا اهتم قرائي بمعرفة الحقائق البسيطة حول الهواء وعملوا بها وعلموا أولادهم ماعلموه وما عملوا به

ربما كانت المراحيض والمباول التي لم تبن على أسلوب صحي سبباً جوهريا لفساد الهواء ، وقليل من الناس من يعرف الأضرار الجسيمة التي تجلبها هذه

الأماكن . إن أحقر الحيوانات كالكلاب والسنانير تحفر بأظفارها حفراً تقضي فيها حاجتها وتغطي البراز بالتراب . فالأماكن الخالية من المراحيض الصحية الحديثة الطراز ينبغي أن تقلد فيها الكلاب والسنانير

يجب أن توضع صفيحة أو يبنى حوض في شكل كنيف ويملأ بالتراب الجاف أو الرماد لتغطية البراز بعد الفراغ من الحاجة ، فاذا فعلنا ذلك فلا تبقى هناك رائحة قبيحة ، ولا يتسلط الذباب على القاذورات فينقل ذراتها الى أجسامنا. إن من لم يفقد حاسة الشم بتاتاً ولم يتعود شم الرائحة الكريهة يعرف شدة العفونة التي تتصاعد من البراز وما شاكله من الاوساخ التي تترك مكشوفة في الخلاء نحن قد نقيء إذا تصورنا وتخيلنا أن طعامنا يمزج بالقاذورات ولكننا نلفظ الهواء المملوء قذارة وعفونة بلا مبالاة ناسين هذه الحقيقة الثابتة وهي أن الامرين كليهما في درجة واحدة من القبح ، ولا فرق بينهما الا أن الاول محسوس مشاهد والثاني ليس كذلك .

يجب أن نهتم أشد الاهتمام بنظافة المراحيض ومجاري المياه نظافة تامة . نحن نستحيي من أن ننظف مراحيضنا بأنفسنا مع أن الاحرى بنا أن نستحيي من استعمال الكنف الوسخة . هل يعيينا أن ننقل بأيدينا المادة التي خرجت من بطوننا أنفسنا ، ولا يشيننا أن نستخدم غيرنا لنقلها . ياللعجب كيف لانستحيي من هذا العمل المعيب ! ليس هنالك أي مبرر لجهلنا عمل تنظيف الكنف وتعليمه لأبنائنا ، يجب نقل المواد القذرة وإلقاؤها في حفرة عميقة قدر ذراع ثم تغطيتها بتراب كثير ، وإن كنا متعودين على الذهاب للحاجة في الخلاء فكذلك يجب أن نحفر حفرة بأيدينا أو أرجلنا ونغطيها بعد قضاء الحاجة بالتراب

كذلك نحن نفسد الهواء بالبول في كل مكان بدون أي تمييز ، ينبغي أن نقلع عن هذه العادة الوسخة من أصلها ، اذا لم يكن لدينا مكان معد لهذا الغرض خاصة فلنذهب الى أرض جافة بعيدة عن البيت فنبول فيها ونغطي البول بالتراب

لاينبغي إلقاء القاذورات في حفرة عميقة جداً ، لأن هذا يمنع حرارة الشمس من النفوذ اليها ، وكذلك هي تتسرب الى باطن الأرض فتفسد مياه

الآبار والأنهار والعيون المسلوكة في أعماقها

وكذلك عادة البصق بلا مبالاة في الافنية والممرات عادة قبيحة جداً .ان البصاق سيما بصاق المسلول شديد الخطر . لأنه يحتوي على الجراثيم السامة التي تطير في الهواء فيستنشقها الآخرون فينتشر المرض . يجب أن تكون المباصق في داخل البيت ، وإن اضطررنا الى أن نبصق ونحن مارين في الطرق فلنختر له المكان الذي يوجد فيه تراب جاف يتشرب البصاق ولا يحدث منه ضرر . لقد أوجب الاطباء أن يبصق المسلول دائماً في المبصقة المحتوية على أدوية مطهرة . لأنه وإن يبصق على الأرض الجافة ، فان جراثيم مرضه تصعد وتنتشر في الهواء مع الغبار . وعلى كل حال فان البصق في كل مكان بلا تمييز عادة قبيحة قذرة، كما أنها خطرة .

يلقي بعض الناس الحبوب والاطعمة والخضراوات وغيرها من المواد التي فسدت في كل مكان يتفق لهم . هذا أيضاً يفسد الهواء ويجعله سبباً للأمراض، ولو أنهم دفنوا هذه الوساخات في الأرض لسلم الهواء من الفساد ، ولاستفادوا سماداً جيداً . والحاصل أنه لاينبغى إلقاء أي مادة فاسدة في العراء حرصاً على سلامة الهواء . إن هذا الاحتياط لسهل جداً نستطيع العمل به اذا اهتممنا بأمر الصحة أدنى اهتمام .

لقد علمنا الآن أن عاداتنا القبيحة هي التي تفسد الهواء ، ورأينا الطريقة التي يمكن بها المحافظة على نظافته . وهانحن الآن نبحث في كيفية التنفس .

ذكرنا في الباب السابق انه يجب التنفس بالأنف لامن طريق الفم ،ولكن الذين يعرفون هذه الطريقة الصحيحة للتنفس قليل من الناس. فقد تعودوا العادة التي تحدث ضرراً بليغاً وهي التنفس بالفم . لأن الهواء اذا كان بارداً واستنشق بالفم أحدث الزكام وأبح الصوت ، ثم فوق هذا هو يوسع المجال لذرات الغبار المنتشرة في الجو للدخول في الرئتين : وهذا كما لايخفى يحدث ضرراً عظيما . ويمكنك أن ترى ذلك في لندرة مثلا في شهر نوفمبر ، فالدخان الذي يتصاعد من مداخن المصانع الكبيرة يمتزج بالضباب الكثيف فيكون خليطا أصفر يحتوي على

ذرات صغيرة جداً من الهباء يمكن مشاهدتها في بصاق الذين يتنفسون في هذا الهواء بالفم . وللتحرز من ذلك ترى هناك كثيراً من النسوة اللاتي لم يتعودن التنفس بالأنف وحده يضعن على وجوههن شيئاً مثل النقاب يؤدي وظيفة الغربال لهذا الهواء الفاسد . وانك لو فحصت هذا النقاب فحصاً دقيقاً لوجدت فيه أيضاً ذرات هذا الهباء . مع انه لاحاجة إلى مثل هذا الغربال لأن الله سبحانه قد وهبنا جميعاً من لدنه غربالا طبيعياً داخل أنفنا أحسن من هذا الغربال الصناعي. فالذي يتنفس بالمناخر ينظف هذا الغربال نفسه ويغربله ، وكذلك يسخنه أثناء سيره قبل الوصول إلى الرئتين . ولذلك يجب على كل الناس أن يتعودوا التنفس بالأنف وحده . وهذا ليس فيه أدنى صعوبة اذا أخذنا على أنفسنا أن نغلق الفم إغلاقا محكما في جميع الأحيان إلا عند التكلم .

والذين تعوّدوا ترك أفواههم مفتوحة دائما يمكنهم التخلص من هذه العادة القبيحة بربط عصابة على الفم عند النوم ليضطروا الى التنفس بالأنف وحده ، وأما في اليقظة فيجب عليهم التنفس في الهواء المطلق كل صباح ومساء نحو عشرين مرة ، كل إنسان يستطيع أن يتمرن على هذه الرياضة الخفيفة السهلة بدون أي كلفة ، ثم يرى بنفسه كيف يتقوى صدره ويتسع بسرعة عجيبة ! وإنك لو قست الصدر قبل البدء في هذه الرياضة ثم قسته بعد شهرين منها تتعجب من اتساعه الكبير في هذه المدة الوجيزة ، مع أنه ليس فيه أدنى غرابة فان الانسان يضطر أثناء الرياضة الى التنفس الشديد السريع ، وهذا مايؤدي الى اتساع الصدر هو السر في رياضة « ساندو دومبل » Sandou's Dumbbell

فاذا علمنا كيفية التنفس يجب أن نحرص كذلك على استنشاق الهواء النقي طول النهار والليل ، لقد تعوّدنا عادة قتالة ، وهي حبس أنفسنا طول النهار في البيت أو الادارة ، ومبيتنا في حجر ضيقة مغلقة الأبواب والنوافذ ، ينبغي أن نبقى في الهواء الطلق أكثر مانستطيع ، وعلى الأقل أن ننام في الرواق أو في الساحة تحت ضوء القمر ، والذين لايستطيعون ذلك عليهم أن يتركوا أبواب الحجرة مفتوحة في سائر الاوقات ، ان الهواء غذاؤنا مدة الأربع والعشرين ساعة من

اليوم والليلة ، فلماذا نحن نخاف منه ؟ إن من الخرق أن نتوهم أن استنشاق النسيم البارد يحدث الزكام والبرد . لاريب أن الذين أفسدوا رئاتهم بعادتهم القبيحة من النوم في الحجر المغلقة أبوابها ربما يصابون بالبرد إن غيروا عادتهم فجأة . ولكن مع ذلك لا ينبغي لهم أن يخافوا من البرد ، لأنه إن أصابهم لا يلبث أن يزول قريباً . لقد شيدت البيوت للمسلولين في هذه الأيام بحيث يدخل فيها الهواء النقي كل وقت ، نحن كلنا نعرف تلك الداهية الدهماء من الأوبئة التي لاتزال تعاودنا معشر الهنود في كل آونة وحين . وقليل منا من يعرف أن هذه الأوبئة ليست إلا نتيجة لافسادنا الهواء ثم استنشاقنا إياه على فساده وسمومه . لنعلم أن الهواء النقي إن استنشق بالطريقة العلمية يفيد حتى ضعاف البنية جداً . إننا إن نحافظ على نقاء الهواء ، ونتعوَّد استنشاق الهواء النقي وحده ، فاننا بلا ريب نحمي أنفسنا من كثير من الامراض الخبيثة المعدية

إن كشف الوجه في أثناء النوم ضروري كضرورة النوم في الهواء المطلق ولكن قد تعوَّد كثير من الناس أن يغطوا وجوههم أثناء النوم فيستنشقون الهواء المسموم الذي يخرجونه من أجوافهم ولو لم يكن بعض الهواء يدخل اليهم من منافذ الغطاء لماتوا اختناقا في مكانهم ، غير أن هذا الهواء القليل لايكفي لبقاء الصحة . إن كنا نغطي الوجه خوفا من البرد فينبغي أن نكتفي بغطاء الرأس بطرف من الثوب أو أن نلبس طاقية (أو كوفية) النوم ، ولكن يجب أن يبقى الانف مكشوفا في جميع الأحوال والاوقات

إن الهواء والنور مرتبطان ارتباطا شديداً ، ولذلك يحسن بنا أن نقول هنا كلمة في قيمة النور أيضا : إن النور ضروري للحياة كضرورة الهواء لها ، ولذلك وصفت جهنم بأنها مظلمة حالكة . إن المكان الذي لاينفذ اليه النور لا يمكن أن يكون نقي الهواء ، فاننا اذا دخلنا حجرة مظلمة نشم حالا رائحة الهواء الفاسد بشدة ، ولا نستطيع أن نرى شيئا في الظلام ، فهذه الحقيقة نفسها تثبت جليا أن الله تعالى أراد منا أن نعيش ونعمل في النور . إن الطبيعة قد هيئت من الظلام في الليل القدر الذي نحتاج اليه ، ولكن تعوَّد مع ذلك كثير من الناس الجلوس

والنوم في السراديب تحت الأرض حيث لا يصل النور والهواء حتى في أحر الأيام وأنورها ، إن أولئك الذين يحرمون أنفسهم من الهواء والنور تجازيهم سنن الطبيعة جزاء وفاقا ، فيصابون بنحافة الجسم ، واصفرار الوجه ، وقبح المنظر

يصف كثير من أطباء الغرب الآن لمرضاهم الاستحمام الهوائي والاستحمام الشمسي بدلا من الأدوية ، وقد شفي ألوف من المرضى بتعرضهم للهواء والشمس بدون أن يستعملوا أي دواء ، فلذلك يجب علينا أن نترك جميع أبواب بيوتنا ونوافذها مفتحة دائما ليدخل فيها النور والهواء بكثرة

ربّ سائل يسأل : اذا كان الهواء والنور ضروريان الى هذه الدرجة فلماذا لا يبدو الضرر البين على أولئك الذين يعيشون ويشتغلون في الحجر المظلمة ؟ إن الذين تدبروا في المسألة مليا لا يسألون هذا السؤال. يجب أن يكون مطمح أنظارنا المثل الاعلى من الصحة ، والوصول اليه بجميع الوسائل المشروعة ، لا مجرد العيشة كيفما أمكن ، ولقد ثبت بطريقة لا تحتمل الريب أن قلة الهواء والنور تجلب الامراض ، ولذلك ترى سكان المدن أضعف من سكان القرى ، قضية مطردة ، وما ذلك الا لأن نصيب سكان المدن من الهواء والنور أقل من نصيب سكان القرى . فالهواء والنور على هذا من أعظم لوازم الصحة ، فيجب على كل واحد أن لا يتهاون في أمرهما ، بل يتذكر دائما كل ما قلناه في المسألة ويعمل بموجبه بأقصى ما يستطيع (الكلام بقية)

التربية

التي يكون بها الانسان انسانا ، والجماعة الكبيرة أمة

للاستاذ الامام

ملخص خطاب ألقاه في احتفال الجمعية الخيرية الاسلامية سنة ١٣١٤ ﻫ

إن الجمعية لم تأخذ على عاتقها أن تساعد كل عائلة فقيرة في الأمة لأن ذلك فوق استطاعتها ، بل وضعت لها قانونا اتفق عليه جميع أعضائها، وهو قد اشتمل على شروط معينة يجب أن تراعيها الجمعية عند إعانة من تريد إعانته من الفقراء

ثم جعلت كما قدمتُ أهم مقصد لديها إصلاح حال الناشئين من اولئك الضعفاء المساكين بالتربية والتهذيب ، إذ الواجب علينا أن نعتني قبل كل شيء بما تعتني به الأمم الأخرى الناجحة قبل غيره ، وهي لم تعتن بشيء أكثر من التربية وتحسين أخلاق العامة ، وها نحن أولاء نرى فساد الأخلاق عامّا ومصائبه مشاهدة للجميع

إذا رأينا مجالا للفخار افتخرنا بآبائنا وأجدادنا الاولين، وإذا حاسبنا أنفسنا رجعنا بالملامة والذم على آبائنا الاقربين، وفي ذلك الفخار كبير العار ، وفي هذا اللوم عظيم اللوم . لاننا نحن قد أهملنا وقصرنا وأضعفنا أهم ركن وهو التربية . أهملنا فتركنا ذلك الفخار التالد يذهب هباءاً منثوراً . فلم نتدارك من آثاره شيئا، وزدنا الطينة من إهمال أسلافنا الاقربين بلة باهمال آخر فقوضنا ما كان باقيا من آثار ذلك الفخار ، فكان لنا ذلك العار ، وهذا الشنار

ان الانسان لا يكون إنسانا حقيقيا الا بالتربية، وليست هي الا عبارة عن اتباع الاصول التي جاء بها الانبياء والمرسلون من الاحكام والحكم والتعاليم . وهي عبارة عن السعادة الحقيقية . تعلم الانسان الصدق والامانة ومحبة نفسه فاذا تربى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه .

إذا تربى الانسان أحس في نفسه انه سعيد بوجود الآخر معه، ولكن نحن في

وسط لايحس فيه أحدنا الا بأنه شقي بوجود غيره ، وقد ذهبت الثقة بيننا أدراج الرياح، وخلفتها الشكوك والريب والظنون الآثيمة المولدة للوساوس والأوهام، ولا شقاء للمرء أعظم من وجود ضميره في مثل هذا الشقاء والحسبان

ولكن لو كنا متربين لانبثّ فينا احساس واحد يؤلف بين شعورنا وحاجاتنا وحينئذ يحس كل فرد منا بأن عليه وظيفة يؤديها لنفسه ولغيره

ان بلادنا ليست بلاد الجوع القتال ،ولا بلاد البرد القارص المميت ، ولا بلاد الشقاء التي لا ينال الانسان فيها قوت يومه إلا بالعذاب الأليم . بل نحن في بلاد رزقها الله سعة من العيش ،ومنحها خصوبة وغنى يسهلان على كل عائش فيها قطع أيام الحياة بالراحة والسعة . ولكنها ويا للأسف مُنيت مع ذلك بأشد ضروب الفقر : فقر العقول والتربية

ليست القوانين التي تفرض العقوبات على الجرائم وتقدر المغارم على المخالفات هي التي تربي الأمم وتصلح من شؤونها . فان القوانين لم توضع في جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات . وأما القوانين العامة المصلحة فهي نواميس التربية الملية لكل أمة

ونحن على نموذج هذه التربية قد جرينا في خطة التعليم بمدارس الجمعية الخيرية،[1] ونتمنى أن يصبح هذا النموذج يومًا ما عامًّا بين جميع أفراد الامة المصرية . وإذا لم توجد التربية على مثل هذا النمط فلا حياة للامة ولا سعادة

إن العلم الحقيقي هو الذي يعلم الانسان العلاقة الموجودة بينه وبين غيره من أفراد جامعته، فهو إذاً يعلم الانسان من هو ومن معه، فيتكون من ذلك شعور واحد وروابط واحدة هي ما يسمونه بالاتحاد

وسنة الله في خلقه ان توجد الروابط في العائلات و(تنتقل) منها الى الفروع ومنها الى الاصول القومية ومنها الى مجموع الامة التي هو منها . اذاً فلا بد من الوقوف على كنه هذه الروابط ومعانيها ، واذا تمكن هذا العلم من نفس الانسان تعلَّم كل شيء وبحث عن طرق النجاح في كل شيء ، ولكن كيف يوجد الاتحاد مع هذا

(١) كذا كان يريد رحمه الله ولكن لم يتم له ما يريد ، لقلة الرجال وقلة المال

لفساد الذي نشاهده عاما في أخلاق الامة ـ وقد انعكست آية الوجدان فاذا الانسان أجفى مالديه الاقرب فالقريب فالبعيد فالابعد ؟

ألا ان الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع وأوراق وجذوع وجذور هي الاخلاق الفاضلة بمراتبها ، فعلى المسلمين اذا أرادوا الاتحاد أن يربوا أنفسهم تربية اسلامية حقيقية ليجنوا تلك الثمرة ، وبغير ذلك كل أمل باطل ، وكل الاماني أحلام أو أوهام ، وكل احتجاج بغير سعي عجز

الناس في كل الامم أكفاء في التمثيل ولا تقص في الدنيا الامن جهة العقول والأخلاق وهي لا تكمل الا بالتربية ، وما وراء ذلك من العلوم لا يبث فينا غير القلقة والهذيان

وان الجمعية الخيرية الاسلامية قد شرعت فى طريقة ابتدائية للتربية، ولديها أمل أن تصل الى الطريقة الانتهائية طريقة العمل، لا طريقة العلم المعيبة التي نرى مثالها فى الذين يأتون الينا كأساتذة عندما نعلن عن حاجتنا لمعلمين وليس لديهم مايؤهلهم للتربية والتهذيب . ولست أقول ذلك قدحا فى طريقة التعليم الجارية بين ظهرانينا ،ولكنني أقول بالاجمال انها غير ملائمة لمنهاج جمعيتنا التي تحسب ان تصلح شؤون الناشئين من الطبقات النازلة

نحن نتمنى تربية بناتنا فان الله تعالى يقول (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الآية . إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشرك الرجل والمرأة في التكاليف الدينية والدنيوية . فكان بذلك ترك البنات يفترسهن الجهل وتستهويهن الغباوة من الجرم العظيم

انظروا إلى المرأة حين تقول لابنها مثلا اذا أرادت أن تمنحه شيئاً : خذ هذا وأخفه عن الأعين حتى لا يراك أخوك . فكم من نقيصة علمته بمثل هذا القول؟ علمته ثلاث خصال هن الموبقات المهلكات: الأثرة والدناءة والسرقة . وربما ترضيه بانكار ماأعطته اذا سأله أخوه، فتعلمه بذلك أقبح خصال السوء والفساد وهو الكذب، وقد لايتعلم الطفل عندمايراد تمرينه على النطق والكلام غير ألفاظ السباب والشتائم القبيحة ، فيشب الطفل متعوداً على أن تلفظ شفتاه كل كلام قبيح، لا يعبأ بماذا ينطق ولا يبالي بما يقول

واني أذكر حديثا شريفا أو اثراً بمعناه هو: ان الرجل لينطق بالكلمة لايرى لها بالا فيهوى بها في النار اربعين خريفا[1]

فتأملوا في فظاعة الاخلاق التي يشب عليها ابناء وبنات العامة من الامة ولا خلاص لنا من هذه الورطة الشنيعة الا بالتربية الكاملة الشاملة للابناء والبنات وان النساء الجاهلات والرجال الجاهلين لايمكن أن تتكون من بينهما امة ولا جمعية وعلى الخصوص اذا اصبحت العلائق والروابط الطبيعية مهددة بين الناس كما نشاهده بيننا الآن

ولقد استنتجت بالاستقراء منذ كنت قاضياً في احدى المحاكم الجزئية ان نحو (٧٥) في المائة من القضايا بين الأقارب بعضهم مع بعض بما لم يحمل عليه غير التباغض وحب الوقيعة والنكاية ، فهل من المعقول أن يكون الفساد في العلائق الطبيعية الى هذا الحد من التصرم، ونتساءل عن تصرم العلائق الوطنية؟ هل يمكن بعد أن نفقد الروابط الضرورية بين العائلات أن نبحث عن الروابط للجامعة الكبرى . أو ليس هذا كمن يطلب الثمر من أغصان الشجر بعد ماجذ أصولها وجذورها، وقطع أوصال عروقها ، وغادرها قطع أخشاب يابسة

اللهم ان كنا نريد الحياة الطيبة والسعادة الدائمة فلنعمل لاصلاح شؤون الناشئين بالتربية المثقفة المهذبة ، ولنجهد أنفسنا في طريق استكمال الاخلاق الفاضلة . وكلما زدنا في سبيل ذلك سعياً توفر لدينا حب تعضيد هذه الجمعية ونمت ثروتها فأدت وظيفتها للامة كما ينبغي . ونسأل الله أن يصلح ما بيننا من فساد، وان يوفقنا جميعاً إلى مابه نجاحنا وفلاحنا وسعادتنا . اه

(المنار) في هذا الخطاب حجة على المفسدين المقطعين لروابط الامة بدعوتها الى ترك الزي الوطني وتقليد الافرنج حتى في لبس البرنيطة وحرية الفسق والفجور

---

(١) روي هذا المعنى في عدة أحاديث أقربها إلى هذا اللفظ « ان الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار » رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا بسند صحيح . ومنها مارواه أحمد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا « ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا ليضحك القوم وانه ليقع بها أبعد من السماء »

الثورة السورية والحكومة الفرنسية

« أو التنازع بين الشرق والغرب »

٨

مسيو جوفنيل وسياسته

من أساليب السياسة الأوربية التي صارت معروفة بين جميع الباحثين في الشرق أن الجرائد والشركات البرقية تخفي عن الشعوب ما يأتيه رجال الاستعمار من المنكرات ، وأن تبدل سيئاتهم حسنات ، خوفا من حملات الاحزاب المعارضة للحكومة ، ومن انتقاد مستقلي الفكر أو أنصار الفضيلة ، وقلما تصل إلى الرأي الأوربي العام أو الخاص بدولة استعمارية حقيقة ما ترهق به البلاد من المظالم والمآثم، إلا أن يكون المبلغ لها لسان ثورة عامة أو قريبة من العامة في تعذر انكارها. لهذا أقول لكل من يسألني عن رأيي في ثورة سنة ١٩١٩ على الانكليز في مصر : ان أكبر فائدتها تكذيب رجال الانكليز والجرائد المشايعة لهم في دعوى اغتباط جميع المصريين ولا سيما الفلاحين بالسلطة البريطانية في بلادهم وإنما المتبرمون والطاعنون فئة قليلة من المتطرفين أصحاب الاهواء الشخصية أو الحزبية

كذلك كان من تأثير ثورة سورية الحاضرة وما كان من التخريب والتدمير في دمشق أن علم الشعب الفرنسي بالاجمال شيئًا يشين سمعة فرنسة وصيتها ، ويحملها خسائر تنوء بها خزينتها ، ولم تعد دعاية شركات هافاس البرقية ، وخلابة جرائد الاستعمار الفرنسية تستطيع إخفاء هذه الفظائع أو تأويلها، فارادت الحكومة الجمهورية تدارك هذا الخطر الملصق بسلطة المندوب السامي العسكري (الجنرال سرّاي) الذي أوبقه الكائدون له من قومه حتى حملوه على ما فعل في دمشق وغيرها ، فأخرجته من سورية واستبدلت به مندوبا من أذكى رجال

السياسة لديها ، وهو موسيو جوفنيل الكاتب الصحفي والعضو الفرنسي في جمعية الأمم ، عسى أن تفعل السياسة مالم يفعل الحديد والنار ،وتغني الكياسة مالم يغن الدرهم والدينار ، وماذا فعل جوفنيل ؟

شغل نفسه زمنا طويلا في درس المسألة في باريس ، ثم بمعالجتها في لندن ،ثم بدرسها في مصر ، ثم بدرسها في سورية، وسمع فيها أقوال الصادقين والمنافقين، وغلاة التعصب الديني والطائفي من اللبنانيين ، ثم بمعالجتها في فلسطين ، ثم بمعالجتها في انقرة عاصمة الترك ، وقد مرت بضعة أشهر على ندبه لهذه المعالجة على إثر الفظائع التي اقترفت في دمشق ، فاهتز لهولها الشرق والغرب ، ولم تزدد نيران الثورة إلا اشتعالا ، ولم تزدد البلاد إلا خرابا ، ولم يزدد المشاقون فيها إلا شقاقا ، ولم تزدد فرنسة إلا خساراً لمالها ولرجالها ولصيتها ، ولماذا ؟

انه أعد لمعالجة المسألة مالا تحتاج اليه ، ولا يتوقف علاجها عليه ، والعلاج الوحيد نصب عينيه ولكنه لم يره ، وبين يديه ولكنه لم يمسه ، وكان يجب أن يعول عليه وحده ، بيد أنه فكر في كل شيء دونه ولم يفكر فيه ، فكر في أن إرضاء الانكليز ضروري ، وفي أن إرضاء الكاثوليك ضروري ، وفي أن ارضاء الترك ضروري ، وفي أن ارضاء ابن السعود ضروري ، ولم يفكر في ارضاء السواد الأعظم من أهل سورية المسلمين السنيين ، والشيعة ، والدروز ،والعلويين، ومعتدلي المسيحيين . وإنما قدر ودبر وفكر في وسائل التفريق بينهم ، وفكر في التهديد ، وفي الوعد والوعيد ، نعم انه وعد وأوعد : وقال ماعندي إلا السلم لمن يريد السلم ، ولا الحرب إلا لمن يريد الحرب ، وانه يجب على الثوار أن يلقوا السلاح ويستسلموا بدون قيد ولا شرط ، وانني أمنح . . . وأمنع . . . وأعفو وأفصح ، وأضر وأنفع ، وأمن بالحياة ، وأ أمن على الارواح ، وفاته انه لا يوجد سوري ولاشرقي ، يصدق قول سياسي أوربي، وإن الذين يبذلون أنفسهم ونفائسهم في سبيل الحرية والاستقلال ، ولم يبالوا برؤية دورهم وقصورهم كدارس الاطلال ، لايرغبون في حياة ذليلة يمن عليهم بها مستعمر أجنبي منا ، ويمنحهم إياها أن صدق هبة وفضلا ، ولعنة الله على من يحب مثل هذه الحياة مر

الانذال ولن يكونوا الامن أخساء الانذال ،

كان مثل موسيو جوفنيل فيما ذكرنا من سعيه ، كمثل صاحب الكنز مع الخضر في المبالغة في طلبه فقد حكي في أساطير الاولين أن الخضر (عليه السلام) مرّ برجل فلاح فقير يجهد نفسه في أرض يصلحها للزراعة فقال له : علام هذا التعب الكبير ، الذي لا يأتي إلا بربح صغير ، والثروة واسعة بين يديك وأنت لاتدري ؟

قال : ماهيه ؟ وأين هيه ؟ قال : إن في أرضك هذه كنزاً قريب المنال يغنيك ويغني ذريتك من بعدك . قال : أين هو ؟ أين هو ؟

قال الخضر : خذ هذه القوس المعلقة في جدارك وضع فيها سهما وألقه امامك ثم احفر حيث وقع يظهر لك الكنز ،

فلما ولّى قام الرجل وأخذ القوس، فرأى وترها ضعيفا غير مشدود، فألقاه، والتمس لها وترا جديدا اشدّه أحكم الشد وأخذ سهما ففوّقه وألقاه وحفر حيث وقع فلم يجد شيئا . فظن ان السبب تقصيره في الرمي ،فأخذ سهما آخر ونزع في القوس أشد النزع ورمى فبلغ سهمه مكانا أبعد من الأول فحفر فلم يجد شيئا ، فقال : لعل الكنز في غير هذه الجهة التي ذكرها الخضر فما زال يرمي ويحفر حتى حفر جوانب الأرض البعيدة كلها وترك المكان القريب الذي أمامه وهو الذي أشار اليه الخضر

فلما عاد الخضر من سياحته مرّ به فاذا هو قد أعيا من التعب ويئس من الكنز وعاد إلى عمله الأول ، فقال له الرجل قد غششتني وأتعبتني زمناً طويلا في الرمي والحفر وأنا لم آل جهداً فقد غيّرت وتر القوس وأحكمت شده مرارا وفعلت وفعلت كما ترى

فقال الخضر انك فعلت كل شيء إلا الذي قلته لك . أنا قلت لك خذ هذه القوس المعلقة وضع فيها سهما وألقه أمامك واحفر حيث تقع تجد الكنز، وانت لم تفعل هذا

ثم أخذ الخضر القوس وكانت قد عادت كما كانت من كثرة الاستعمال ورمى بها سهما من غير شد ولا جهد ، ولا إغراق في النزع ، وقال للرجل احفر ههنا ، فحفر فلم يلبث أن ظهر له الكنز بأقل عناء

ان موسيو جوفنيل لم يعدم ناصحا صادقا كالخضر ، وان للانسان خضراً

من وجدان الحق والعدل هو أخلص نصحا من خضر الأولياء والقديسين الذي يتناقل كثير من المسلمين والنصارى اخبار ظهوره لبعض الناس واسعاده لهم ، وموسيو جوفنيل وهو لم يزيل بين نصيحة الصادقين ، وخديعة المنافقين ، كان بما اشتهر من ذكاء قريحته وسعة تجربته جديراً بأن يفضل نصح هذا الخضر الذي يهيم له المرة بعد المرة : دع الأهواء السياسية، وتقاليد الدولة الاستعمارية . وابحث في هذا الوطن السوري ذي التاريخ المجيد ، تاريخ الأنبياء المرسلين والشهداء والصالحين ، وحضارة العرب الأمويين ، وملك نور الدين وصلاح الدين عن ذلك الكنز الذي به سعدوا وأسعدوا العباد ، وبه عمروا البلاد ، فهو يغنيك عن كل مابذلت من الجهد ولا يغني عنه بشيء

ذلك الكنز المدفون ، والسر المصون ، هو الحق والعدل ، وتبادل المنافع بالتراضي، حق سورية في الحرية القومية والاستقلال الوطني الذي يجب ان يتساوى فيه الفرنسي والسوري ، وان تكون الثورة في طلبه على حكومة أجنبية ، أشرف منها على حكومة وطنية ، — والعدل في الحقوق بين جميع الملل والنحل على سواء بدون تفرقة بين الأولياء والأعداء ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي ولا يحملنكم بغض قوم واحتقارهم على ترك العدل فيهم بل اعدلوا فالعدل أقرب للتقوى (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) أي عالم ومطلع على دقائقه وخفاياه ـ

لقد كان ينبغي لموسيو جوفنيل ان يعلم ان مسلمي سورية الشمالية غير راضين عن أعمال الانكليز في سورية الجنوبية (فلسطين وشرق الأردن) ولا غافلين عن خطرهم على العراق ، وأنهم فوق ذلك غير آمنين منهم على الحجاز وسائر جزيرة العرب ، وان يعلم أن جمهورية انقرة التركية، صارت ابعد من جمهورية فرنسة عن الأمة العربية ، لطمعها في أهم بقاع العراق وسورية . مع قطعها الرحم الاخوة الاسلامية . فهذه فرصة سانحة لفرنسة اذا أرادت ان تتودد إلى العرب والمسلمين بما يناسب الطور الجديد الذي دخل فيه الشرق تودداً صحيحاً لا كيد فيه ولا خداع ، لا كاظهار التودد أخيراً لملك الحجاز وسلطان نجد ، ولا كاظهار التودد قبله للخلافة

التركية ،وأعني بهذا التودد أن تسبق إلى عقد اتفاق مع سورية جارة الحجاز ونجد ، وأول قطر فتحه الصحابة ، ومهد الحضارة لأول سلطنة (امبراطورية) عربية اسلامية ، على قاعدة الاستقلال المطلق والتعاون المتبادل ،

ألا فليتذكر موسيو جوفنيل أن الشرق قد استيقظ ، وأن صداقة ثلاثمائة مليون ونيف فيه أنفع لفرنسة من صداقة ثلاثمائة ألف كاثوليكي في لبنان وأن العدوان على ثلاثة ملايين من المسلمين في سورية ، وسلب استقلالهم ، وتخريب ديارهم يسوء ثلاثين مليونا من المسلمين الخاضعين لفرنسة وهم يدينون دين الاسلام ويتكلمون كالسوريين بلغة القرآن ، كما يسوء ثلاثمائة مليون مسلم في سائر أقطار الشرق ، واذا كان لم يعرف هذا فلا يصعب عليه أن يبحث عما كتبت الجرائد الهندية في كارثة سورية .

ان سياسة إثارة العصبية والعداء بين المسلمين والنصارى في سورية كانت معقولة ولم تعد اليوم معقولة ، فاذا تركتها فرنسة رضي نصارى سورية ولبنان بحقهم حينئذ أن يزيدوهم على حقهم والمسلمون لا يأبون عليهم وأما العداوة فلا خير فيها لهم ولا لفرنسة وحسبها خسارة ستة مليارات أو اكثر في سورية وخسارة صيت فرنسة الادبي والمدني

كتبت جل هذا المقال منذ عدة أشهر ، وها أنا ذا أختمه ، ولم يبد من الرجل ما يدل على اهتدائه الى حل عقدة سورية ، فكيف يرجى منه أن يبتكر لفرنسة سياسة جديدة تحيي بها مجدها ، وتسابق الشعوب التي كانت وراءها فصارت أمامها ؟

لو فقه موسيو جوفنيل هذه الحالة ، وانتهز هذه الفرصة ، لامكنه أن يقنع وزارتي المستعمرات والخارجية في باريس أنه لا يزال في الامكان السير في سورية على سياسة جديدة تصلح بها ما افسده من قبله من المفوضين والمندوبين العسكريين وتكون لفرنسة بها المنزلة العليا لدى الامة العربية وجميع شعوب المسلمين فقد زالت زعامة المسلمين من الترك وعادت الى اهلها العرب ، وستدخل في طور نظامي جديد تكون به قوة كبيرة لمن يصادقها ، وبلاء عظيما على من يناوئها ، واذن لترك التهديد والوعيد ، والاتكال على النار والحديد ، وسلك هذا المنهج الجديد قبل أن يسبق دولته الى هذه السياسة تلك الدولة التي ما زالت تسبقها في كل ميدان ، من قبل ظهور نابليون الكبير الى الآن .

نكبة سورية

وما قيل في اعانة منكوبيها

قد كتبت في المسألة السورية من المقالات ونظم فيها من الشعر وألف من الرسائل بما يتألف منه عدة أسفار ، وإن من أبلغ ما نشر من النثر نداء رجل مصر وزعيمها الاكبر سعد باشا زغلول ونداء جمعية الرابطة الشرقية ، وقصيدتا احمد شوقي بك وخير الدين أفندي الزركلي ، وقد نشرنا القصيدة الأولى في الجزء الثامن . وانا ننشر هنا النداء والقصيدة الثانية هنا تخليدا لهما :

نداء دولة الرئيس سعد باشا لمصر لاغاثة أمتها سورية

« سوريا ، التي تربطنا بها روابط وثيقة من تاريخ ، ولغة ، ودين ، وعادة ، وجوار ، نزلت بها هذه الأيام حوادث هائلة ، تقشعر من هولها الأبدان ، ونوازل جائحة تنخلع من بشاعتها القلوب ، وشرور من أفظع ما يرتكبه انسان ضد انسان !!! منكرات ارتكبها عمال حكومة الانتداب ضد محكوميهم الآمنين ، فأزهقوا الكثير من أرواحهم البريئة ، وأراقوا الغزير من دمائهم الطاهرة ، وحرقوا كثيراً من قراهم وبيوتهم ، وعفوا كثيراً من آثار مدنيتهم الفاخرة ، ورملوا الجم الغفير من نسائهم ويتموا العدد العديد من أطفالهم ، وصيروا كثيراً من السكان بلا سكن يؤويهم ، ولا غطاء يغطيهم ، ولا خبز يتبلغون به !!! وبهذه الآثام أذلوا شعباً كان عزيزاً ، وأسلموه للعدم والشقاء ، وأفهموا الناس جميعاً ان حكومة الانتداب لم تقم على ما زعموا لمصلحة المحكومين ، بل لمصلحة الحاكمين [1] ووصموا اسم فرنسا المجيد ، في الغرب وفي الشرق ، وصمات لا يمحوها إلا انزال أشد العقاب بهم ، وترك البلاد لاهلها يحكمون أنفسهم كما يشاؤن

(١) المنار : انما يصح هذا إذا أريد بالحاكمين الموظفون الفرنسيون من عسكريين واداريين ، وأما دولة فرنسة نفسها فقد كان كل ما عمل في سورية خلاف مصلحتها

وإنا معاشر المصريين لنشعر في قلوبنا بكل عطف على إخواننا المصابين، ونرثي لمصابهم رثاء الاخوان للاخوان، ونحس بأن علينا واجب مساعدتهم بكل مافي الامكان، مما يخفف من بلواهم، ويلطف من آلامهم، ونرى أن هذا أيسر مايجب للجار على الجار، وأقل ما يساعد به الانسان أخاه الانسان»

سعد زغلول

بيت الامة في ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ (٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥)

قصيدة شاعر الشام

الأهلُ أهلي والدّيارُ دِياري ... وشِعار وادي (النَّيرَبين) شِعاري
ما كان من ألمٍ بجلّقَ نازل ... واري الزناد، فزَندُه بيَ واري
إنَّ الدَّمَ المُهَراقَ في جنباتِها ... لدَمي وإنَّ شِفارها لشفاري
دَمعي لما مُنيتْ به جارٍ هنا ... ودَمي هناك على ثَراها جاري

***

ياوامِضَ البرق اطمئنَّ وناجني ... إنْ كنتَ مُطلعاً على الأسرار
ماذا هُناك فانَّ صوتاً راعني؟ ... والصوتُ فيه جفوةُ الاذعار
النارُ مُحدِقةٌ بجلّقَ بعدَ ما ... تركتْ «حماةَ» على شفيرٍ هار
تَنسابُ في الأحياء مُسرعة الخطى ... تأتي على الأطمارِ والأعمارِ
والقومُ منغمسون في حَمآتها ... فتكاً بكلِّ مُبرأ صَبار
الطفلُ في يدِ أمّهِ غرضُ الأذى ... يُرمى وليسَ بخائض لِغمار
والشيخُ متكئاً على عُكازهِ ... يُرمى، وما للشيخ من أوزار
صبرتْ دِمَشقُ على النكال لياليا ... حرُمَ الرّقاد بها على الأشفار
لهفي على المتخلفينَ برُحبها ... كيفَ القرارُ ولاتَ حينَ قرار
يترَقبون الموتَ في غدواتهم ... واذا نجوْا فالموْتُ في الأسحار
لا يعلمون أفي سوادِ دُجنةٍ ... هم سُهَّدٌ أم في بياض نهار
ألوابلُ المدْرارُ من حمم اللظى ... متواصِلٌ كالوابل المدْرار

والظلم منطلق اليدين محكم ... ياليت كل الخطب خطب النار !

***

أمجالس السمار ، ضاحكة بهم ... ضحك الهوى : ما حل بالسمار؟
أمعاهد الأدب الطريف ثكلته ... غض الصبا كتفتح الازهار
أم القصور نواعماً رباتها ... ما للقصور دوائر الآثار
أم الجنان الكاسيات رياضها ... حلل السنا ما للرياض عواري
أم الحياة ، وللحياة نعيمها ، ... هل في ديارك بعد من ديار؟
زهو الحضارة أنت مطلع شمسه ... أفتغتدين وأنت دار بوار
ويح الحضارة كيف يمتهن اسمها ... متكالبون على الضعاف ضوار
هم أوردوك وأصدروك على صدى ... فشقيت في الايراد والاصدار
هم أحرجوك فأخرجوك مهيجة ... فصرخت فيهم صرخة الجبار
طالت لياليك الثلاث وإنما ... في مثلهن يلوح نهج الساري
وإذا الظلام عتا تبلج فجره ... ظلم الحوادث مطلع الأنوار
ما انهار قصر في حماك ممرد ... إلا ليرفع فيك قصر فخار
ما دمروك هم ولكن دمروا ... ما كان فيك لهم من (استعمار)
حملوا عليك مواثبين وما لهم ... ثأر ، وثرت وأنت ربة ثار
ما ينقمون عليك إلا أنهم ... شهدوك غير مقودة لصغار
فاذا المنازل وهي شامخة الذرى ... منهار أطلال على منهار
وإذا المدينة (تدمر) أو (نينوى) ... أنقاض عمران ورسم دمار

***

قم سائل الاجيال يا ابن نسيجها ... واستوح غامض سرها المتواري
فلعل عبرة مجتلي صفحاتها ... في ما محاه الدهر من أسطار
إن الشعوب لتستفيق إذا انتشت ... والصحو غاية نشوة الاسكار
أرأيت كيف طغى الفريج وأوغروا ... صدر الأسنة أيما إيغار
أرأيت كيف استهتروا بمطامع ... فيها المصارع أيما استهتار

الشرقُ بين قويّهم وضعيفهم — مُتداول الأمجادِ والأغوار
وبنوهُ بين وعيدِهم ووعودِهم — شتى المذاهبِ شرّد الأفكار
لاتأمننّ فأنت بين مكافحٍ — منهم وبين مخادعٍ غرّار
وانظر إلى الآلافِ من بسلائهم — يغزوهم مِئةٌ من (الثوّار)
من كلّ مِغوار صليبٍ عوده — يقتاد كلّ مدجّجٍ مِغوار
الواثبين إذا يقال : تأهبوا — والقاحمين اذا يقال : بَدار
إن أنصفتْ أيام (ذي قار) لنا — سلفًا فنحن اليومَ في (ذي قار)
طارت بألبابِ الفرنجة صيحةٌ — في الشام فاندفعوا الى الأسوار
واستهدفوا الأطفال في حجراتها — والمطفلاتِ وهنّ في الأخدار
عمّوا بمضطربِ القذائفِ كلّ ذي — ضعفٍ وخصوا كلّ ذاتِ ازار
ستروا بضربِ الآمنين فرارَهم — فاعجبْ لعار ستّروهُ بعار

***

غضبتْ لسوريّة الشهيدةِ أمّةٌ — في مصر تطفىء غلة الأمصار
ورعتْ لها ذِمم الوفاءِ فلم يضعْ — عهدٌ تسلسل في دم الأعصار
للهِ والتاريخ والدّم والأُسى — حقٌّ وللآمالِ والأوطارِ
تأبى الجماعةُ أن تهونَ لغاصبٍ — والفردُ موقوفٌ على الأقدار
واذا العرى انفصمتْ تولى أهلها — ضيمُ المغير بخطبه الكبّار

***

يا ابن (الكنانة) ماالجراح دواميًا — في الشام الا في طلى الأحرار
المشترين ديارهم بدمارهم — يوم يرون به رباح الشاري
أنِفوا حياةَ الشاءِ كلّ عشيّةٍ — وضحى تعيث بها يد الجزّار
هلاّ نظرتَ الى الشآم فانها — ترنو اليك بشاخص الأبصار
ناءتْ بحمل نكوبها فتقلقلتْ — موجًا بأطفال هناك صغار
ليس الجوار اذا عدلت بمقنعٍ — يأبى الشقيق عليك حقُّ الجار

خير الدين الزركلي

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

الطريقة التجانية

للأزهري الفاضل الغيور صاحب الامضاء

هي طريقة تنسب لاحمد التجاني وهو نسبة لتجان بلدة من بلاد المغرب توفي سنة ١٢٣٠ ه وهو مبتدع غرر بضعفاء العقول حتى اعتقدوا أنه من الاولياء الكبار ، وقد أتى بمخالفات للدين ، وقضايا وأحكام غير شرعية ، وادعى أنه تلقاها من الرسول يقظة — كذبا وزوراً — وقد تصفحنا أكثر الكتب التي ألفها أصحابه وأيدها أتباعه ، وادعوا جميعاً أنها عن لسان الشيخ ، فوجدنا فيها ضلالا وإلحاداً ، وزيغاً وعناداً ، تحث على التفرقة بين المسلمين ، وتحض على التمسك بأقوال شيخهم مع العلم بمخالفتها لأقوال سيد المرسلين ، وكم قرأنا فيها من نزغات مبكيات ، وأضاليل وترهات ، تتلاشى أمام العقل ، وتصير هباء عند من يعرف النقل ، ويروج هذه الاضاليل ، ويعمل على نشر هذه الأباطيل ، قوم لاخلاق لهم ، ولا معرفة عندهم ، يتعصبون للبدعة ، ويهدمون السنة ، وكم غرسوا من إحن ، ودبروا من فتن ، لهدم صرح الدين ، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره ، فتفطن الناس لهم ، وفحصوا مبادئهم ، وحذروا الجمهور من ضلالهم

وأشهرهم (احمد بن بابا الشنقيطي) ومحمد بن عبد الواحد النظيفي المراكشي في المغرب ، وفي القطر المصري محمد الحافظ وبدر عبد الهادي سلامه : وقد ألف الثاني [1] كتابا سماه (الطيب الفائح ، في صلاة الفاتح) هو غاية في الضلال ،

(١) أي محمد النظيفي

ونهاية في الوبال ، وألف بدر عبد الهادي سلامه كتابا سماه (النفحة الفضلية) وهو شر من سابقه ، وادعى أنه نقله من كتبهم الصحيحة ، وعن آرائهم الرجيحة ، ويعلم الله أن أقوالهم زور وبهتان ، وداعية إلى الاثم والعدوان

ومرادنا أن نبين شيئًا مما في هذه الكتب ، وأن نسطر قليلا من الكثير الذي فيها من الكذب ، ليحذر الناس منها ، ويعمل العقلاء على مقاومتها ، والأمر باحراقها فضلا عن هجرها ، فمما في كتاب النفحة الفضلية (ص ١٨٦) تحت عنوان (تكفير الصلاة الفائتة) مانصه : في كتاب الجامع من صلى أربع ركعات قبل العصر يوم الجمعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وآية الكرسي مرة ، وسورة الكوثر خمس عشرة مرة ، فاذا سلم استغفر الله عشراً ، وصلى على النبي بصلاة الفاتح خمس عشرة مرة، كانت كفارة للصلاة الفائتة ، وعن عليّ (رض) ولو خمسمائة سنة ، ومن صلى بها ولا قضاء عليه إن كان في ضلاة أبيه وأمه كانت كفارة لها) اه

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب اسلام وإيمان

متى سمعتم يامعشر المسلمين أن ركيعات مبتدعات ، تكفر ماعلى الانسان من الصلوات المكتوبات ؟ أليس هذا هدما الركن الذي لم يبق سواه ؟ وليت شعري لماذا يجهد المصلي نفسه باداء الصلوات الخمس في الحضر والسفر ، والبرد والحرّ ، وهو يصدق بهذه (الفائدة المنكرة ، والبدعة المحرمة ، والضلالة المحررة) إن هذا المقر على هذه الفائدة والحاكي لها ، والمعتقد بها ، يريد أن يقول : دعوا الصلوات واهجروها ولا تقربوها ، فهذه الفائدة فيها الكفاية : أليست هذه غواية ؟ وفي الضلال نهاية ؟ إن الرجل لا يستطيع أن يصرح بذلك فأشار بفائدته إلى مايكنه قلبه وما اخترعه خياله ، ولكن لم تخف مكيدته ، وقد بانت خطيئته ، ومن جهله وعدم حسن تعقله، إسناده هذه الضلالة إلى عليّ رضي الله عنه بغير سند ، وأن أدنى طالب للعلم يجزم بأنها لا تصدر من مسلم فضلا عن صحابي ، فضلا عن أمير المؤمنين ، وأقضى المسلمين ،وربيب الرسول (ص) وصهره ؟

ولقد كان يرى الرسول (ص) والصحابة (رض) يحافظون على الصلاة حتى

عند اشتداد الملحمة ، وفي وقت الحرب الضروس ، فخسف (بدر عبدالهادي) بكذباته التي في فائدته وقد أسقطتها ومنها عرفنا قبح سريرته ، وخبث طويته ثم لم يكتف بجعله هذه الركيعات المحدثات مكفرة لما على الشخص من الفوائت بل قال (ان لم يكن عليه فوائت كانت كفارة لوالديه) كأنها فوق الحج الذي ليس له هذه القوة ، وفوق سائر العبادات التي ليس لها هذه المزية ، سبحانك اللهم (إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً) مع العلم بأن الصلاة التي ذكرها لم ترد عن الرسول (ص) ولم يقل بها أحد من رجال المذاهب المعتبرة فهي على ذلك بدعة منكرة وفرية بلا مرية : وقد قرر فقهاء الحنفية والشافعية ، ورجال الشريعة الاسلامية ، ان تكرير سورة واحدة في ركعة مكروه وخلاف السنة : فكيف يدعي هؤلاء الضالون أن لها هذه المزية : مع أنها بدعة دينية ونكل الكلام في مسألة تكفيرها لفوائت الوالدين الى الاستاذ الرشيد

وفي الصفحة الثالثة من الكتاب المذكور مانصه : عدم زيارة الاولياء الاحياء والاموات . قال شيخنا هذا شرط عندنا فمن أخذ وردنا لايزور أحداً من الاولياء الاحياء ولا الاموات أصلا وقال أيضا قال لى سيد الوجود (ص) مسألة أغفلها الشيوخ وهي أن كل من أخذ عن شيخ وزار غيره لاينتفع به ولا بذلك الغير أصلا اهـ

يريد الرجل أن يجعل من عاهده سلعة يتجربها . ويتحكم في رقاب من اتبعه باثارة هذه الفتنة المخالفة للسنة : فقطيعة الاولياء عنده أمر مقرر ، وواجب محرر ! حتى لقد قال فى (ص ١٢٠) (اياك ان تنظر الى مافي جواهر المعاني ان المريد له أن يزور الاولياء الاموات ، فان الشيخ قد رجع عن ذلك قال شيخنا : كل من أخذ وردنا فلا يحل له ان لايزرر وليا لا احيا ولا ميتا) . وفي (ص ٦) « من زار وليا وقصد تبركا او مددا دنيويا فليس من أهل هذه الطريقة لقول النبي لشيخنا : اذا امر اصحابك باصحابي فليزوروهم فقط اهـ وهذا القول مخالف لآيات القرآن والسنة المتبعة في ولاية المؤمنين ولاحاديث الزيارة المشهورة

ثم يأتي بعد هذا (احمد التجاني وأتباعه) ويأمرون بمقاطعة أولياء الرحمن ،

والبعد عن ساحة أهل العرفان كأنهم لم يقرءوا القرآن ، ولم يعرفوا هدي الرسول عليه الصلاة والسلام، (فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومما يثبت حمق شيخهم دعواه ان النبي قال « مسألة أغفلها الشيوخ » الخ مع أننا نعرف آدابه العالية (ص) ومزاياه الغالية ، هذه سقطة للتجاني لا ننساها له وكيف يغفل السلف الصالح عن الحكم في هذه المسألة وقد شهد لهم الرسول وزكاهم وتداولتها كتبهم وشرحها الرسول قبلهم، وعلمهم الحق، وترك لهم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيه تبيان كل شيء

وهل يعقل ان قول النبي بعد وفاته يخالف قوله في حياته (ص) أيتصور أن ما بلغه للناس كان غير حق فلما انتقل تبين له الهدى ولم يخبر به الا التجاني وتابعيه ؟ ويترك أصحابه صلى الله عليه وسلم ومؤيديه ؟ إن هذا يؤدي الى الطعن في عصمته ، وأمانته بل هو القدح في نبوته . وفي كل ما جاء به ، وليت شعري اذا لم يصح بلاغه لنا (ص) في حياته وهو المعصوم أيصح نقل التجاني وهو المنغمس في خطيئته ، الغارق في ضلالته (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)

اننا ان تركنا التعرض لدعوى الاجتماع بالنبي ومكالمته والتلقي عنه فربما يتترس الملحد بقول بعض المتأخرين (بامكان الاجتماع) ولكن ليعلم هذا الكذاب (أن جميع العلماء اتفقوا على أن كل من حكى عن الرسول (ص) شيئا يخالف ماروي عنه فهو ضال وفي كفره خلاف ان تعمد الكذب .

ولقد اجتمعت بمحمد الحافظ أحد ممثلي هذه الطريقة وكلمته في مسائل كثيرة من أضاليلهم وانتقلنا الى التكلم في مسألة الزيارة فقال اننا نمنع زيارة الاستمداد من الاولياء ونامر بزيارتهم كما كان الرسول يفعل وهذا رأي الوهابية . فقلت له كتبكم تنطق عليكم بانكم لا تريدون هذا بدليل ماسبق من أقوالكم في هذه المسئلة وتصريحكم مرة بمنع الزيارة للنفع الدنيوى ومرة بالنفع الاخروي على انكم قلتم في صحيفة ٧١ من الكتاب المذكور : من الآداب ان ييأس المريد من وصول مدد اليه من غير طريق روحانية شيخه وأن يعتقد انه أكمل

الاولياء وان لايشرك معه أحدا في مرتبة محبته اه هذا مع أن من البدع التى نص عليها الشاطبي في الاعتصام المغالاة فى الشيوخ واعتقاد بعض الناس ان شيخه أ كل الاولياء ، على انكم صرحتم باخطر وأشنع وأقبح وأفظع مما ذكر فقلتم فى ص٢١ من الكتاب المذكور: اذا جمع الله الخلق ينادي مناد يا أهل الموقف احمد التجاني هو ممدكم فى الدنيا : وقلتم غير مرة ان شيخكم ممد العالم من نشأته الى نهايته . وكيف يعقل هذا ؟ ألم يكن شيخكم صغيرا يبول على نفسه ويزيد في هوسه ؟ أيمد غيره وهو أحوج الناس الى من يزيل عنه أقذاره ؟ ثم إن الله قال في شأن الاولياء (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فلا تثبت لهم الولاية الا بعد خلقهم وتكليفهم . فبهت وتحير وزمجر وكشر عن أنياب قلت عند رؤيتها (أذكرني فوك حمار أهلي) وعلمت ان الرجل يريد أن يفهم العوام انه وهابي ليكرهوا الوهابيين فكشفت لهم حالته ، وبينت حقيقته ، فعلم الناس مادبره ، وفهموا خبره ، وكادوا يودون به

ولهم في ص ٢١ من الكتاب المذكور أيضا « جميع الاولياء من عصر الصحابة الى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا » هذا الضال اى احمد التجاني من انذال القرن الثاني عشر يريد ان يقول انه أفضل من السلف الصالح الى غير ذلك من الاوهام التى لاتحد ، والخزعبلات التي لاتعد . وقوم هذا شيخهم • وذلك كلامهم أبعد الخلق عن الدين

ومن وقاحته ، وقد كتبه أتباعه في بيان فضل طريقته أنه قال فيـه أيضاً (ص ٢٠) « قدماي على رقبة كل ولي من لدن آدم إلي النفخ في الصور » وليس لهم أن يقولوا قد قال الشاذلي والجيلي مثل ذلك ، أما أولا فلأن هـذا ليس بدليل (ثانياً) هما لم يقولا « من لدن آدم إلى النفخ في الصور » وإنما أشارا الى تفوقهم على اولياء عصرهما . وهؤلاء التجانية يعتقدون أنهم خير خلق الله على الاطلاق ، وشيخهم كذلك ، بل قالوا في (ص ٢٣) من الكتاب المذكور « كل من أحبّ الشيخ ومات عليها — ومن شرطها محبة اتباعه وعدم أذائهم — ضمن له جده صلى الله عليه وسلم أن يموت على الأيمان ، ويخفف الله

عنه سكرات الموت ، ولا يرى في قبره إلا مايسره ، ويؤمنه الله تعالى من جميع عذابه وتخويفه من الموت إلى المستقر في الجنة ، وتغفر له كل ذنوبه ، وتؤدى تبعاته ومظالمه ، ويظله الله تعالى في عرشه ، ويدخله فى أول الزمرة الأولى جنة عدن ، ولا يموت حتى يكون وليا قطعا . هذا باخبار النبي للشيخ مشافهة ، وأما من أخذ ذكراً ينال ماتقدم ويزيد بأن أبويه وأزواجه يدخلون الجنة من غير حساب ولا عقاب مالم يصدر منهم سبٌ للشيخ ، قال لي سيد الوجود: أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ، ولا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » ولم يستثن الصحابة إلا بالنسبة لأصحابه فقط ، وأما هو فقد قال قدماي الخ وفي (ص٢٦) (من أفراد هذه الطريقة من إذا رآه شخص يوم الاثنين أو يوم الجمعة دخل الجنة بلا حساب ولاعقاب،وأن الشيخ يدخل أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب) وفي (ص ٢٨) « صاحبي لاتأكله النار ولو قتل سبعين روحا اذا تاب بعدها » وفي (صفحة ٢٩) « كل من عمل عملا لله يعطي الله الواحد من هذه الطريقة أكثر من مائة ألف ضعف مما يعطى صاحب ذلك العمل »

واذكر عند قراءة هذه المبكيات قوله تعالى في شأن اليهود والنصارى (بل أنتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)

وقد افتتنت هذه الطائفة بصيغة صلوات محدثة مخترعة حتى قالوا في كتابهم المذكور (صفحه ٣٢) « شرط قراءتها أن يعتقد أنها من كلام الله تعالى » وفي كتابهم (الورد السائح (صحيفة ٢٤) أنها بمنزلة القرآن لأنها من كلام الله تعالى وليست من تأليف مخلوق . وفي جواهر المعاني أن ثوابها أكثر من ستة آلاف ختمة باخبار الرسول لشيخهم يقظة . وقالوا أيضاً في فضلها في صفحة ٣٠ من (كتاب النفحة الفضليـة) لو عاش العارف ألف ألف سنة كان ذاكرها عشر مرات أكثر منه ثوابا ، واذا صدر من العبد مايحبط العمل فانها هي لاتحبط . ومن قرأها مرة غفرت له كل ذنوبه لأنها لاتترك من الذنوب شاذةً ولا فاذّة وهي تعدل كل تسبيح وقع في الكون وكل ذكر، ومن القرآن ستة آلاف مرة

وسائر الكتب الآلهية.اه ثم سرد خرافات وضلالات وأرقاما حسابية كأنه يبين أكبر ميزانية كانت في العالم ، ثم قال هذا ثواب قارئها ، ثم اعتدوا مرة أخرى كعادتهم فقالوا في ص ٢٥ من الكتاب المذكور « في الأذكار اللازمة للطريقة صيغة من صيغ الاسم الأعظم ، ومن أخذ هذه الصيغة بسند متصل كان له نصف الثواب الكبير الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم »اه ونترك المجال لمولانا الحكيم في ايراد مايلزم على هذه المسائل ، فقد ـ والله ـ بلغ السيل الزبى ، وكادت أعصابي تتوتر أسفًا مما جرى ، وكم في الزوايا من خزايا ... قبح الله الضلال وخذله

ومن مخازيهم أن نفث الشيطان في قلب شيخهم فاشترط على أتباعه « أن من شرائط صيغة الفاتح أن يعتقد القارىء أنها من كلام الله وأن النبي عين ذات الله » وقد سئل شيخهم عن معنى ذلك فقال في ص ٣٣ من النفحة : أن النبي كالمرآة تتراءى فيها الذات » اه ولهم فيه أيضًا ص ٧٦ : من آداب المريد أن يحمل كلام شيخه على ظاهره ولا يتأوله . ولو عاملناهم بهذا القانون فى مسائلهم السالفة وخصوصاً فى هذه المسألة لكانوا تارة ملحدين ، وأخرى فاسقين، وآونة ظالمين (ألا ساء مايحكمون) وبئس مايعملون (ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) ليت شعري كيف يقولون إن النبي كالمرآة تتراءى فيها الذات ، وهو تأويل باطل لايؤيد باطلا

ويجول في ذهني أن القوم (قد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فخرّفوا وحرّفوا واجتمعوا مع شيخهم على الشيطان ، وقالوا عليه إنه نبي الرحمن ، فوقعوا في الدرك الأسفل وهذا أقل مايمكن أن يقال في شأنهم (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا أنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون)

وفي صفحة ٤٥١ من كتابهم (الطيب الفائح) أن شيخهم « بلغ غاية نهاية الأولياء من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور سواء أولياء الأمة المحمدية وغيرها» وفيه أيضًا ص ٢٥ « إن الله صلى على النبي بصيغة صلاة الفاتح » ثم بعد ماضلوا

في فضل صلاة الفاتح اتخذوا صيغة أخرى يتعبدون بها وسموها جوهرة الكمال منها (اللهم صل على صراطك التام الأسقم) يقولون إن النبي (ص) أمر شيخهم بأن يصلي عليه بها ، وقد تكلمت معهم كثيراً أن هذا كذب من الشيخ بين لأن النبي (ص) عربي وأفصح من نطق بالضاد (والاسقم أخذه من استقام لا يصح) لأن أفعل شرطه أن يصاغ من فعل ثلاثي فلا يصاغ من رباعي الا أفعل فقيل يجوز مطلقاً ، وقيل يمنع مطلقاً ، وقيل يجوز إن كانت الهمزة لغير النقل حتى قال الموضح (وشذّ على كل قول ماأتقاه وما أملأه) الخ ، وأما السداسي فلا يصاغ منه أفعل (كأسقم من استقام) باتفاق ،فشيخكم لجهله باللغة نسب إلى النبي ما بلغكم كعادته في أمور الدين ، فبهت القوم وانصرفوا على ذلك

ولهم في ص ٩١ من الجزء الأول من كتاب جواهر المعاني أن النبي قال لشيخهم « كل من أطعمك أو أحسن اليك دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب » ويظهر أن الشيخ كان نهماً جشعاً لا يقبل أحد أن يطعمه فهوّن على الناس ذلك بأن خطر أكلته وإن كان كبيراً ألا أن جزاءه النجاة من النار نعوذ بالله من الجهل والكذب . وفيه أيضاً بعد هذه الصحيفة (أن ثواب صلاة الفاتح كبير من قرأها كان له ثواب سبعين نبياً كلهم حمل السلاح وجاهد)

الى سيدي صاحب المنار

بما عرفناه فيكم من الاخلاق المحمدية . . . والهمة الهاشمية ، نرجو العمل على إطفاء شعلة هذه الضلالة ، والسلام عليكم ورحمة الله

محمود محمود المصري

سنة ثانية فصل ثاني ، بالقسم العالي

﴿ المنار ﴾ ان شعلة هذه الضلالة لا تطفأ برسالة تنشر في المنار ، ولا بمجرد بيان ما فيها من الكذب على الله ، ومن شرع لم يأذن به الله ، وهو إشراك بالربوبية ، وتكميل نقص يدعى للملة الحنيفيـة . وما هي شعلة بل شعبة من شعب نار جهنم ، يأوي اليها عشاق الخرافات ، ومتبعو الشبهات ، وعبيد الشهوات ، يحسبونها ظلا ظليلا ، وأن لهم فيها مقيلا ، الى أن يأخذهم الله أخذاً وبيلا

(يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) هنالك يكونون ممن قال الله تعالى فيهم (ثم ردّوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون) لعصيانهم قوله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون)

ان هؤلاء الضالين لم يضلهم أشياخهم كالتجاني الدجال ، ومؤلفي ما ذكر من الكتب لترويج بدعته ، ونسخ شرعة الله الحق بشرعته ، ما أضلهم هؤلاء وحدهم ، وانما اشترك في اضلالهم الجمهور الاكبر من أدعياء العلم الشرعي عامة ، وأصحاب المناصب الرسمية خاصة ، الذين هجروا القرآن ، وأعرضوا عن هدي السنة ، وتركوا سيرة السلف الصالح ، وأقروا كل من تنحل طريقة من طرائق التصوف على ما يضع من عبادة ، ويدعي من كرامة ، حتى دعوى رؤية الرسول صلوات الله وسلامه عليه في اليقظة أو المنام ، وتلقي الاذكار والاوراد والبشارات عنه وكذا العقائد والاحكام، وان كانت مخالفة لما جاء به من كتاب الله المتواتر وما صح من سنته بالاسانيد الصحيحة وما أجمعت عليه الامة في الصدر الاول

وليس الدجال التجاني أول من كذب على الرسول وراجت أكاذيبه بشبهة ثبوت الكرامة لصالحي الملة ، بل سبقه الى ذلك رجال من مبتدعة التصوف كانوا أوسع منه علما ، وأنصح له قولا وقلما ،وقد رد عليهم من هم أعلم منهم بكتاب الله وسنة رسوله ، وأعبد لله تعالى ، وأنفع للناس ، ولكنهم لما لم يدعوا لانفسهم تلك الدعاوى العريضة طعن المتأخرون في دينهم وتجنبوا كتبهم ، كما كان شأن اكثر حملة العمائم في مصر وغيرها في كتب شيخ الاسلام ابن تيمية المصلح الكبير ، وقد كان هذا الافتتان بالدجل والخرافات، واشتراك شيوخ العلم في الموالد المشهورة على مافيها من الفواحش والمنكرات ،والبدع والضلالات، سببا لفشو الكفر والالحاد في نابتة المدارس العصرية وطالما جاهد المنار الدجل والدجالين ، ورد عليهم بالحجج والبراهين ، ولا يزال يهدم مابنوا من قواعد وأساطين، ولكن

أكثرهم لايقرءون المنار ، وقلما يوجد في قرائه احد يخدع بالدجل . واما الاصلاح العام ، فلا ينتشر الا بتأسيس دولة تقيم عمود الاسلام ، وترد المسلمين الى التعبد بما تعبد الله الناس به في كتابه وعلى لسان رسوله ، وتمنعهم من قراءة كل ما استحدثت المتصوفة من أوراد وأحزاب وصلوات كما يفعل الوهابيون في منعها حتى أقلها ابتداعا الصيغ كدلائل الخيرات . فحسبنا كتاب الله وأذكاره، وما أثبت حفاظ السنة من أذكارها المجموعة في مثل كتاب الحصن الحصين والاذكار للنووي ، نعم انه يوجد في بعض مااخترعه الصوفية مالايخالف النصوص، ولكن المأثور خير منه ، وإقراره يقتضي قبول غيره مما هو مخالف لها ، ومنه ما ادعى مبتدعوه انه موحى به من الله تعالى ومتلقى عن رسوله (ص) في اليقظة ، كما رأيت في رسالة الفاضل الازهري عن كتب التجانية ، ومن ذا الذي يميز بين الموافق للنصوص وقواعد الشريعة والمخالف لها فالفتنة لا ترتفع الا بمنعها كلها .

ان الدجال التجاني بل الجاني على الاسلام والمسلمين ، وأمثاله من المتصوفة الخرافيين ، قد رأوا دعوى الكرامات انجح الوسائل لتأسيس المجد الدنيوي أي الجاه الذي هو ملك القلوب والمال الذي هو ملك الأعيان ، فتوسلوا بها فوصلوا الى ماوصلوا اليه من اتخاذهم آلهة يعبدون، وأربابا يشرعون فيتبعون ، ولو لم يسكت لهم علماء الشريعة على منكراتهم لما وصلوا في إفسادهم الي هذا الحد : حد طبع الكتب المفسدة للعقائد ونشرها بين المسلمين ، وعدها من كتب الدين ، بل يوجد في كبارهم من هم أشد خضوعا للخرافات من العوام ، وقد أخبرني الثقة ان أحد كبار علماء الازهر نظم قصيدة يشكو فيها للسيد البدوي سعاية بعض أعدائه لاغضاب أمير البلاد عليه ويطلب منه انقاذه من شر هذه السعاية وارضاء قلب الامير عليه !

كان يجب على علماء الأزهر ان يؤلفوا جمعية دائمة لنقد الكتب التي تنشر بين الناس ولاسيما الكتب التي تمس الدين وتخالف عقائده او آدابه وأحكامه وتبين للناس مافيها من ضلال وتحذرهم منه ، ولكننا نجد الكثيرين من المنسوبين الى الأزهر يدافعون عن أمثال هذه الكتب وأهلها، ويردون على

المصلحين الذين ينكرون عليهم، ولا يزال بعضهم يصد عن كتب شيخ الاسلام ابن تيمية ويطعن فيمن يسمونهم الوهابية ، فاذا لم ينهض الأزهر لمكافحة الدجل والخرافات ، وتحذير المسلمين من بضائع معامل (فابريكات) الكرامات، فستكون عاقبته وعاقبة أهله في مصر ، كعاقبة معاهد الدين ورجال الشرع في الترك.

انباء الحجاز

بيعة أهل الحجاز وسبب قبول السلطان لها

(جاء في العدد ٥٦ من جريدة أم القرى الذي صدر بمكة المكرمة في ٨ رجب الماضي ما يأتي)

جاءنا من ديوان جلالة الملك أنه بعد إعلان بيعة أهل الحجاز وردت عدة برقيات من جهات متعددة تسأل عن صحة ماوقع وعن أسبابه فأرسل الجواب على تلك الأسئلة بما مآله :

(ج) إعلان أهل الحجاز ملكيتنا على الحجاز صحيح، أما العهود المتكررة للعالم الاسلامي فلم نخلفها وقد دعونا العالم الاسلامي دعوات عامة وخاصة متكررة فلم يصل جواب من أحدهم في تلبية دعوتنا ومع ذلك فاننا على استعداد لقبول آراء العالم الاسلامي في كل شأن له مساس براحة الحجاج والزوار ورفاهيتهم وأجراء أعمال الخير في الحجاز

واما السرعة في أمر النداء بملكيتنا على الحجاز فكنت أود من صميم قلبي أن لو تأخر ذلك ولكنا الجئنا إلى ذلك مضطرين فأن أهل الحجاز قاموا قومة رجل واحد يلزموننا بقبول البيعة فطلبنا منهم التريث ريثما يجمع المسلمون أمرهم فأجابوا بأنك أعطيتنا الحرية في اختيار حاكم لنا وهذا حق لنا لا يشاركنا فيه أحد ونحن لا نبغي بلك بديلا

ومع ذلك توقفت في الجواب فبلغ أهل نجد توقفي فقامت قيامتهم عليّ

وأعلنوا لي أن حربهم في الحجاز لم يكن الا لحفظ استقلال الحجاز ومنع تدخل أي أجنبي فيه ولتكون كلمة الله هي العليا وليعمل في هذه الديار بكتاب الله وسنة رسوله ولتأمين الطرق ومنع الالحاد في الحجاز : وهذا ماوعدتنا به وإن توقفك عن قبول البيعة يجعلنا نعتقد بأنك لم تقاتل إلا لاغراضك ولاتسعى لاستقلال الحجاز، وانك اذا لم تقبل البيعة فقد فعلت معصية ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فازاء هذا الموقف الحرج الذي يتوقف عليه أمن الحجاز في الحالة الحاضرة واستقرار الأمر فيه لم أجد بدأ من تلبية مادعيت اليه وإلا كانت فتنة لاتعرف نتائجها .فقبلت متوكلا على الله وانني لا أزال على عهدي رغاية مالالمسلمين من الحقوق المشروعة في هذه الديار المقدسة والله ولي التوفيق (أم القرى ع ٥٦)

اعتراف الدول الاوربية

بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

اعتراف السوفيت

ورد على جلالة الملك بتاريخ ٣ شعبان من معتمد وقنصل جنرال حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيت بجدة الكتاب الآتي

صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها الأفخم

بعد التحية والتوقير

استناداً على أمر حكومتي أتشرف ان أبلغ جلالتكم أن حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيت بموجب المبدأ الأساسي نحو استقلالية وحرية الامم واحتراما لأرادة أهل الحجاز التي ظهرت في مبايعتهم لجلالتكم ملكا للحجاز تعترف بجلالتكم ملكا للحجاز وسلطانا لنجد وملحقاتها فعليه حكومة السوفيت تعد نفسها في الحالة المناسبة الىياسية والملائمة مع حكومة جلالتكم وختاما تفضلوا بقبول عظيم توقيراتي واحتراماتي ٣ شعبان سنة ١٣٤٤ ١٦ فبراير سنة ١٩٢٦

معتمد وقنصل جنرال حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيت بجده

كريم حكيم

اعتراف بريطانيا

وقد أعقب اعتراف حكومة السوفيت اعتراف الدولة البريطانية وقد أخبر جلالة الملك بخبره سعادة معتمد الحكومة البريطانية بصورة شفاهية عند زيارة جلالته للبارجة الحربية

وفي صباح أول مارس ورد من نائب معتمد وقنصل بريطانيا بجده وكيل القنصل لجلالة الملك الكتاب الآتي.

١٤٦ م — ٣٠ ، ٢

جدة في أول مارس سنة ١٩٢٦

جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد

بعد إبداء عظيم الاحترام . أتشرف بان اخبر جلالتكم انى قد كلفت من قبل حكومة جلالة ملك بريطانيا أن أعرف جلالتكم بان حكومة جلالة الملك تعترف الآن بجلالتكم ملكا على الحجاز . على انه يقتضي لى أن أضيف على ذلك انه بينما تعترف حكومة جلالة الملك بسلطتكم على الحجاز تدوم على اعتبارها أن أسلوب الحكم في الاماكن المقدسة الاسلامية وجميع المسائل الدينية المتعلقة بذلك هي من المسائل التي تختص بالمسلمين فقط والتي لا يجب على حكومة جلالة الملك أن تبدي رأيا فيها كما وانها لا ترغب في ذلك . وتفضلوا بقبول فائق التحية وعظيم الاحترام

نائب معتمد وقنصل بريطانيا بجده
وكيل قنصل جورادن

اعتراف فرانسا

وقدم مساء الثلاثاء ١٧ شعبان سعادة قنصل فرنسا في جدة الى القصر العالي بجدة وأخبر جلالة الملك بانه تلقى برقية من حكومته تأمره أن يبلغ جلالة الملك بأن حكومة الجمهورية الأفرنسية الفخيمة تعترف بجلالته ملكا على الحجاز

ولم يصلنا حتى صدور هذه الجريدة الكتاب الرسمي المتضمن اعتراف حكومة فرانسا الخطي ومتى وصلنا نشرناه في حينه (أم القرى ع ٦٣)

مآدب ملك الحجاز وخطبه فيها

مأدبة جدة الرسمية

أدب جلالته مأدبة رسمية في جدة دعا اليها معتمدي الدول وقناصلها وقائد البارجة (كارت فلاوز) الانكليزية الراسية في جدة زيارة وكبار ضباطها ورؤساء المحلات الاجنبية ووفد الخلافة الهندي ومصالح الحكومة ووجهاء الأهالي وبعد تناول الطعام وشرب القهوة العربية ألقى نائب جلالته عبد الله بك الدملوجي خطابا وثنى عليه جلالته بخطاب ملكي ، وقد أجاب معتمد دولة إيطالية عن خطاب جلالته باسم معتمدي الدول لأنه أقدمهم عهداً في البلاد حسب الأصول . وهذا نص الخطب الثلاث كما نشرت في العدد ٥٧ من جريدة أم القرى المؤرخ في ١٥ رجب سنة ١٣٤٤ الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٢٦

خطاب نائب جلالة الملك

يا صاحب الجلالة

استمنحكم الاذن في أن أقدم لحضرات المدعوين خالص الشكر لتلبيتهم الدعوة إلى هذا المنزل العامر هذه الدعوة التي ستترك أثراً جميلا في النفوس يدعو لتوطيد العلائق الودية الثابتة بين الجميع

أيها الأفاضل الكرام . إن هذا الاجتماع الذي يعد الأول من نوعه بعد الانقلاب الأخير سيكون له بحول الله أجمل وقع في مجرى الأحوال في الأيام المقبلة ، واني انتهز هذه الفرصة لأكرر على مسامع حضراتكم ما طالما صرح به مولاي جلالة الملك أيده الله عن نواياه في هذه الديار المقدسة التي لا يمكن أن تتبدل ولا تتغير في ساعة من الساعات مهما كلف أمر القيام بها من المشاق والصعوبات

أيها الأفاضل : ان الأمن في هذه الديار هو الأساس المتين الذي ستدعمه الحكومة بيد من حديد فلا تجعل بحال من الأحوال بحول الله وقوته سبيلا

للأخلال فيه ، ولذلك يستطيع كل مسلم من أي بلد كان أن يصل إلى هذه الديار المقدسة ويجوب فيافيها وقفارها وهو آمن مطمئن لايجد من يروعه مادام محافظاً على النظامات وأوامر الحكومة المحلية

ثم إن العدل المطلق ستطبقه الحكومة على جميع الناس كافة من أي نوع كانوا بغير تحيز أو محاباة ، وإن الشرع الاسلامي هو الأساس الذي تستقي منه الأحكام في هذه الديار لتكون نبراساً عاماً لكل ذي وجدان حر ، وذي نظر ثاقب ليعلم من ذلك أن الاسلام دين عدل يزن الحق بقسطاسه المستقيم ، فالديار مفتوحة لكل انسان مستعد للرضوخ لأحكام هذه الشريعة المطهرة . واسأل الله أن يجعل أعمالنا أصدق من أقوالنا . وفي الختام انتهز هذه الفرصة لتقديم الشكر لكل فرد من أفراد حضرات الافاضل الذين لبوا دعوتنا هذه والسلام

خطاب جلالة الملك وبيانه الدولي

نعم إن ماتكلم به الدكتور عبد الله بك الدملوجي هو حقيقة غايتنا في هذه الديار المقدسة ، وتلك هي خطتنا التي وطنا النفس على السير عليها ، واني أنتهز هذه الفرصة الجميلة لأبدي لضيوفنا الكرام ، وعلى الأخص معتمدي الدول وقناصلها المحترمين بعض مايجول في خاطري من آمالي وتمنياتي

ان هذا الوطن المقدس يوجب علينا الاجتهاد فيما يصلح أحواله ، واننا جادون في هذا السبيل قدر الطاقة ، حتى تتم مقاصدنا في هذه الديار ويكمل للمسلمين جميعاً راحتهم وأمنهم ، وتتم لجميع الوافدين لمنازل الوحي المساواة في الحقوق والعدل

ان للدول الاجنبية المحترمة علينا حقوقا ، لهم علينا أن نفي لهم بجميع مايكون بيننا وبينهم من العهود (إن العهد كان مسئولا) وإن المسلم العربي ليشين بدينه وشرفه أن يخفر عهداً أو ينقض وعداً . وإن الصدق أهم ما نحافظ عليه . إن علينا أن نحافظ على مصالح الاجانب ، ومصالح رعاياهم المشروعة محافظتنا

على أنفسنا ورعايانا ، بشرط أن لاتكون تلك المصالح ماسة باستقلال البلاد الديني أو الدنيوي . تلك حقوق يجب علينا مراعاتها واحترامها ، وسنحافظ عليها ما حيينا إن شاء الله تعالى

وأما حقوقنا على الدول ففيما يتعلق بهذه الديار نطلب منهم أن يسهلوا السبل الى هذه الديار المقدسة للحجاج والزوار والتجار والوافدين . ثم إن لنا عليهم حقا فوق هذا كله ، وهو أهم شيء يهمنا مراعاته ، وذلك أن لنا في الديار النائية والقصية إخوانا من المسلمين ومن العرب نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم[1] فان المسلم أخو المسلم ، يحن عليه كما يحن على نفسه في أي مكان كان . واني أؤكد لكم بأن المسلمين عموماً والعرب خصوصاً كالأرض الطيبة كلما نزل عليها المطر أنبتت نباتاً حسناً ، وإن المطر الذي نطلبه هي الأفعال الجميلة المطلوبة من الحكومات التي لها علاقة بالبلاد التي يسكنها إخواننا من العرب ومن المسلمين ، وإن الأرض الطيبة هم المسلمون عامة والعرب خاصة . ولي الأمل الوطيد بأن الحكومات المحترمة ذات العلاقة بالبلاد الاسلامية والعربية لاتدخر وسعاً بأداء ماللعرب والمسلمين من الحقوق المشروعة في بلادهم . وفي الختام أسأل الله أن يجعل أفعالنا أصدق من أقوالنا ، وأن يوفقنا واياكم لما فيه الخير والصلاح

خطاب قنصل ايطاليا الدولي

أني اشكر جلالة الملك بالنيابة عن القناصل ، وبالنيابة عن الجالية الاوربية لما تفضل به علينا من دعوتنا لمائدته الملكية ، وللشرف الذي حصل لنا بهذه الليلة السعيدة المسرة .

أني اشكر جلالتكم على ماأبديتموه من مقاصدكم الحسنة نحو هذا القطر وبالاخص عما قصدتموه من راحة البلاد من كل الوجوه ، وهذا مما يسر جميع

(1) (المنار) لم نسمع في هذا العصر عن ملك مسلم ولا خلفاء الترك مطالبة الدول الاوربية بحفظ حقوق المسلمين في بلادهم ولكن هذا الملك العربي المسلم يطالبهم بحقوق العرب عامة وحقوق المسلمين كافة

الدول التي نحن نمثلها ، والتي يهمها أمور الاماكن المقدسة الاسلامية ، ونحن نفتخر بأن نهني، جلالتكم وندعو لكم بالتوفيق التام في الخطة التي رسمتوها الراحة هذه البلاد .. وبالاختصار فان ماتفضل به جلالة الملك لاتقصر في إبلاغه لحكوماتنا الذين يعرفون حقيقة نيات جلالتكم بخصوص هذه البلاد . وإنه معلوم لدى الجميع بان حكوماتنا تحترم وتكرم كافة الأديان كما أنها أيضاً تميل وتحب العرب ، وبالاخص الشعوب الاسلامية من العرب، ونحن واثقون بان حكوماتنا يبذلون الجهد بقدر الامكان لمساعدة جلالتكم فيما يجلب الخير والراحة لهذه البلاد المقدسة. وإنني أكرر آيات الشكر لجلالة الملك على تفضله علينا بهذه الدعوة وهذا اللطف الذي لقيناه من جلالته في هذه الليلة السعيدة اه

المأدبة الملكية بمكة

وكلام الملك عبد العزيز في الجامعة الاسلامية

جاء في جريدة أم القرى أيضا ان جلالة الملك أقام مأدبة فاخرة في المنزل المعروف (بدار الحكم) دعى اليها من كان في مكة من وفود وعلماء مكة وأشرافها وأعيانها وكبار مطوفيها ورؤساء التجار فكان عددهم ثلاثمائة مدعو وذكرت الجريدة ان جلالة الملك أقبل عليهم يحدثهم كعادته بما يجيش في صدره من الافكار والحكم ثم استطرد الى الكلام في موضوع الجامعة الاسلامية واهميتها فقال

«ان الجامعة الاسلامية هي حياتنا، هي روحنا، هي فخارنا، ولكن كيف تكون هذه الجامعة ؟ وما هي تلك الجامعة ؟ هي أن يجمع المسلمون على أمر جامع لهم، ولا شيء يجمعهم من غير اختلاف الا التمسك بكلمة التوحيد تمسكا صادقا على علم وبصيرة، فلا يجوز للمسلم أن يمضي عليه ربع دقيقة من حياته تمر بدون أن يعرف ربه على بصيرة، فالجامعة الاسلامية هي اجتماع المسلمين على هذه المعرفة الحقيقية لا اجتماعهم في الرتب والوظائف

«ان الجامعة الاسلامية بالمعنى الذي أفهمه وأقرره هو اجتماع المسلمين عامة على محبة الله تعالى وتوحيده وحده وصرف العبادة كلها اليه »

(قالت) واسترسل جلالته في هذا الموضوع وهو يغرف من بحر ويتكلم من قلب مملوء بالغيرة الدينية ومفعم بالألم لتفرق المسلمين وتشتتهم

ثم ذكر طرفا من العادات المبتدعة التي « ماأنزل الله بها من سلطان » مما يأتيه بعض الناس خروجا عن الدين من جمع الاموال باسم المقابر وصرفها عليها ، وأكلها باسم تلك المقابر ومافي تلك من الخروج على كتاب الله وسنة رسوله ومخالفته لاجماع المسلمين . وقال: ان أكثر الناس الذين يريدون بقاء هذه البدع المضلة ويحافظون عليها لا يحملهم على ذلك الارغبتهم في اكتساب أموال الناس بالباطل. ثم أورد في النهي عن ذلك آيات من كتاب الله وأحاديث من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اه

نظرة في بيعة الحجاز لسلطان نجد

إننا عند ما أنبأتنا الشركات البرقية بمبايعة أهل الحجاز لسلطان نجد ، ونصبه ملكا عليهم استغربنا ذلك وانتقدناه ، وعددناه عجلة من هذا الرجل الذي كنا ربما ننتقد منه طول أناته وسعة صبره، ورأينا أنه لو تربص بهذا الأمر حتى يجتمع المؤتمر الاسلامي الذي دعا اليه لكان خيراً له ، لأنه أقرب الوسائل الى اقتناع العالم الاسلامي بصدقه واخلاصه في تصديه لتطهير الحجاز من ظلم حسين بن علي وأولاده — وبكونه هو الزعيم الوحيد الذي يقدر على حفظ الأمن واقامة العدل في هذه البلاد وإصلاح شؤونها

وقد كان الشيخ حافظ وهبه مندوب السلطان هنا ، فكشف لنا عن وجه السبب الخفي في قبول السلطان عبد العزيز لهذه البيعة باطلاعنا على برقية جاءته من السلطان في ذلك ، مصرحة بأنه لما رغب اليه أهل مكة أولا في البيعة أبى وامتنع من القبول ، وطلب منهم ارجاء الأمر حتى علم زعماء النجديين بذلك فأيدوا طلب أهل مكة ، فاعتذر لهم أيضاً فلم يقبلوا عذره ، بل أنذروه ترك طاعته اذا هو امتنع ، لأنه امتناع من واجب حتم . وذكروا له في انذارهم

حديث « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه احمد والحاكم بهذا اللفظ والشيخان وغيرهما بألفاظ أخرى . وأنه حينئذ لم ير بدأ من القبول . ثم جاءت جريدة (أم القرى) المكية مصرحة بذلك وقد نشرنا عبارتها في هذا الجزء .
فعلمنا من هذا وذاك أنه لو لم يقبل لكانت فتنة لا يعلم كنه عاقبتها الا الله تعالى لأن زعماء نجد من العلماء والقواد — وكذا عامتهم — لا يطيعون سلطانهم لأن له قوة من دونهم يستطيع بها اكراههم على الطاعة، ولا يطيعونه كما يطيع غيرهم من قبائل العرب أمراءهم وشيوخهم بالعصبية والاشتراك في المنافع — وانما ميزتهم التي لا مشارك لهم فيها من كل وجه ، انهم يطيعون امامهم تديناً، لأن طاعته واجبة عليهم شرعاً ، ولهذا ينفرون الى القتال اذا استنفرهم على نفقة أنفسهم ، ويقرب منهم في ذلك أكثر زيدية اليمن لا جميع أهل اليمن مع امامها ، فان أكثرهم لا يطيعون إلا مكرهين ، وقد أمكن للسيد محمد علي الادريسي أن يستميل بالمال كثيراً من الزيدية لطاعته حتى في قتال الامام يحيى في صفوفه .

هذا وان سبب استعجال أهل الحجاز ببيعة السلطان عبد العزيز آل سعود أمران (أحدهما) علم أهل المعرفة والرأي منهم بانه لا يوجد أحد من شرفائهم ولا من ساداتهم ولا من شيوخ قبائلهم القوية يمكنه ان يقوم بالأمر ويقيم ميزان العدل ويحفظ الامن في هذه البلاد ليعود موسم الحج والزيارة كما كان ، وخيرا مما كان كما يقوم بذلك هذا الرجل بما وراءه من قوة النجديين التي يخشى بأسها عرب الحجاز وغيرهم من أهل جزيرة العرب ، فان الشريف حسينا كان أقوى زعماء الحجاز بأساً وأشدهم حزما وأكثرهم مالا ،وهو لم يستطع انْ يؤمن الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة فغيره من أهل الحجاز أولى بهذا العجز . فاذا فرضنا أن المؤتمر الاسلامي اجتمع وقرر جلاء السلطان بجنوده من الحجاز فلا يشكون في أن تنفيذه لقرارهم يكون مدعاة للفوضى وفقد الامن في الحجاز وامتناع مسلمي الأقطار عن الحج والزيارة وحينئذ يهلك اكثرهم جوعا ان لم يهلكوا بالثورات والفتن

(الأمر الثاني) أن أولاد الشريف حسين وغيرهم قد أيدوا في الحجاز وسورية وفلسطين والعراق ماكان قد انتشر من دعوة العصبية العربية ، والامتناع من قبول

تدخل أحد من الأعاجم فى شأن الحكم والسلطان فى شيء من البلاد العربية، وكان غرضهم من هذه الدعاية معارضة ما دعا اليه سلطان نجد من اشتراك زعماء جميع الشعوب الاسلامية فى تقرير مستقبل الحجاز ، وكان من حججهم أن أكثر تلك الشعوب واقعة تحت سيطرة الدول الافرنجية وغير مأمون على رجالها من تأثيرهم . ثم بثت فى الحجاز كله دعاية أخص من دعاية الجنسية العربية ، وهي دعاية الوطنية التي من مقتضاها أن تكون أمور الحجاز ومصالحه بيد الحجازيين دون غيرهم من العرب ، وقد راعوا هذه العصبية الوطنية فى مبايعتهم لسلطان نجد ، وصرحوا بها فى نص صيغة البيعة التى نشرناها فى الجزء السابق (٩ : ٢٦) فبهذه النزعة الوطنية وتلك العصبية العربية نفروا من تحكيم المؤتمر الاسلامي العام فى أمر حكومتهم وحاكمهم، واقتصروا على الانتفاع بقوة سلطان نجد فى إقامة الحكم وحفظ الامن في بلادهم تقديراً للضرورة بقدرها. وقد رضي بذلك زعماء نجد فكان رضاؤهم دليلا على إخلاصهم فى حربهم لحسين وعلي وعدم طمعهم فى جعل الحجاز تابعاً لنجد أو مرتبطاً بها في إدارتها وسياستها ، ولو كانت هذه البيعة بمحض القوة — وهي موجودة بغير نكير — لما رضي السلطان ولا رجاله بجعل إدارة الحجاز منفصلة عن إدارة نجد ، ومن الدلائل على إخلاص السلطان عبد العزيز عدم قبوله لما عرضه عليه أهل الحجاز من المبايعة بالخلافة . وقد روى رجل من كبار الالمانيين كان في جدة أن السلطان قال لهم إن أمر الخلافة لا يعنيكم وحدكم ، بل يعني العالم الاسلامي كله ، فمتى وجد في الاسلام زعيم يقتنع العالم الاسلامي بزعامته وكفايته في القيام بشؤون الاسلام تعين أن يولوه هذا الأمر باقتناع زعماء شعوبهم انه هو الذي يجب اختياره لهذا المنصب

ان العصبية الجنسية والعصبية الوطنية محرمتان في الاسلام ، ولكن المسلمين قد ابتلوا بهما في بلاد العرب والعجم جميعاً ، وهما اللتان فرقتا وحدة الاسلام قديما وحديثا ، وآخر رزايا العصبية الجنسية ماكان من ملاحدة الترك ، وسيذوقون من مرارة فعلتهم ما هو أدهى وأمر مما ذاق من قبلهم من الأمويين ومن بعدهم ، ولابد لعلاج هذا الداء من حكمة وروية وصبر ، وان أولى المسلمين بالوحدة

في هذا العصر عرب الجزيرة ثم من يليهم ، وأولى عرب الجزيرة بها الحجاز ونجد، لشدة حاجة كل من القطرين إلى الآخر مع كون سكانهما من أهل السنة ــ ومع هذا رأينا أن من الحكمة فصل إدارة كل منهما من الأخرى إلى أن يتم الاستعداد للوحدة

وينبغي للمخلصين من زعماء المسلمين وأهل الغيرة والرأي منهم أن يقدروا مايعبر عنه أهل السياسة بالأمر الواقع قدره ، ولا يجرمنهم ما ينكرون منه على اتباع أهوائهم ، والتعصب لآرائهم ، فان العاقل المخلص من يحاول الانتفاع في كل حال بحسبها ، وسنكتب مقالا خاصافيا ينبغي عمله في الحجاز إن شاء الله تعالى

مؤتمر الخلافة

جدد مجلس ادارة هـذا المؤتمر في مصر الدعوة إلى عقده ، وجـدد الوقت له فجعله غرة ذي القعدة الحرام من هـذا العام ، لقربه من موسم الحج العامّ ، وأرسل الدعوة الآتية بامضاء رئيسه شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية بالقطر المصري إلى رؤساء الحكومات الاسلامية من ملك وسلطان وأمير ــ وإلى رؤساء الجماعات والجمعيات المشهورة ــ والى من عرفت الكتابة العامة للمجلس من أهـل الرأي من علماء المسلمين وكتابهم ووجهائهم في الأقطار المختلفة ، وقد ساوى في هذه الدعوة بين أهـل السنة السلفيين كأهالي نجد ، وأهل الحديث في الهند ، والخلفيين في سائر الاقطار ، وبين غيرهم من الفرق الاسلامية ذات الحكومات أو الجماعات الكبيرة كالشيعة الزيدية، والاثنى عشرية ، والأباضية من معتدلي الخوارج ، مع العلم بأن للزيدية إماما من أنفسهم ، وبأن الاثني عشرية يقولون بأن الامامة لمحمد المهدي ابن الامام حسن العسكري الغائب عن العيان ، المنتظر ظهوره في كل آن ، والعلم بأن بعض الشعوب الاسلامية قد خرج

أمر الحكم فيها من يدها ، وبأن الحكومات الاسلامية المستقلة حريصة على عدم خضوعها لخليفة ينصب في غير بلادها

أصاب المجلس في تعميم الدعوة ، وتوجيهها إلى جميع فرق أهل القبلة - بل قيل انه وجهها الى امام الاسماعيلية، وما هم من أهل القبلة - فان منصب الخلافة الذي يراد البحث فيه إن كان خاصاً بالسواد الاعظم من حيث الحكم والدولة ، فان النظام الذي يجب وضعه له مما ينبغي أن يشترك فيه جميع أهل القبلة ، ويراعوا فيه حقوق الجامعة العاملة للملة ، وإخاء الاسلام الروحي الذي لا يختلف بسبب الكثرة والقلة . فان التنازع على هذا المنصب في القرون الأولى قد كان بسياسة دخيلة أراد بها مبتدعوها التفريق وصدع الوحدة الاسلامية لمآرب لهم فيها ، وقد تم لهم ماأرادوا من التفريق ، ولكن لم ينالوا به تلك المآرب التي أرادوها . وقد زالت تلك الفتن وجهلت الجماهير ما كان من مقاصد أهلها ، ولكن الاختلاف والتفرق الذي أحدثته مازال يفتك بالاسلام والمسلمين ، وانحصرت فائدته في خصومهم الساعين في القضاء على دينهم ودنياهم ، فصار من الواجب أن يراعى في نظام الخلافة جمع كلمة المسلمين على وقاية الاسلام مما يساوره في هذا العصر من دعاة الالحاد والاباحة ، ثم من دعاة الملل أو البدع المستحدثة ، ووقاية المسلمين من غوائل العصبيات الجنسية والوطنية ، فان في الامكان قيام كل قوم في كل وطن بما يرتقون به ويعمرون أوطانهم مع المحافظة على عقائد الدين وآدابه الواقية من شرور الالحاد والاباحة، وعلى المودة بين اخوانهم في الدين من الاقوام المقيمين في أوطان أخرى ، وجعل ماذكر من جمع الكلمة على الوقايتين والمحافظتين بنظام يشترك في وضعه مندوبون يمثلون الجميع ليمكن تنفيذه . وبهذا يكون منصب الخلافة معقد الارتباط بين جميع المسلمين الخاضعين لاحكام الخليفة الحكومية وغير التابعين لها .

نشرت الدعوة إلى عقد المؤتمر في الموعد الذي ضرب له فارتاح لها جماهير المسلمين الذين كانوا متفقين على اقتراح هذا المؤتمر، وتصدى للصدع بها والمناقدة فيها فريقان من محرري الجرائد والكاتبين فيها (أحدهما) فريق الملاحدة

واللادينيين الذين يبثون في مصر دعوة الكفر ، والحكومة اللادينية (وثانيها) فريق الذين يظنون أن دعاة المؤتمر من كبار العلماء وغيرهم يريدون جعل الخلافة في مصر ، وهم يرون أن جعلها في مصر — وأعلام الجيش البريطاني مرفوعة فيها ونفوذ الدولة البريطانية مسيطر عليها — جناية على الاسلام والمسلمين ، وقد اتفقت جرائد الوفد المصري أو السعدي ، وجريدة السياسة التي هي لسان الحزب الحر الدستوري ، على استنكار عقد هذا المؤتمر بمصر وإنكار أهلية كبار علماء الدين للدعوة اليه ، وعلى أن مثل هذا الأمر السياسي الخطير من حقوق مجلسي الشيوخ والنواب المصريين ، كما اتفقت على أن جعل الخلافة في مصر يضرها ولا ينفعها . . .

نحن لا نريد مناقشة هؤلاء الكتاب ، ولا من وراءهم من زعماء الأحزاب ولكننا على اعتقادنا أن مسألة نصب خليفة للمسلمين برضاه السواد الاعظم منهم ما آن أوانها ، ولا مهدت سبلها ، نرى الدعاة إلى عقد المؤتمر لهم حق الدعوة ولمن دونهم أيضا لأنها دعوة الى أمر مشروع ومصلحة عامة ، ولكن ليس لهم وحدهم حق الفصل فيها . وهم لم يدعوا هذا الحق . بل دعوتهم برهان على عدم دعواهم . ونرى أنه ينبغي لكل من قدر على إجابة دعوتهم أن يجيبوها . وأن فوائد عقد المؤتمر التي لا يمكن المراء فيها هي البحث في نظام الخلافة وفوائده . وبيان أحوال الشعوب الاسلامية ووسائل استفادتهم منه . وأهمها ما أشرنا اليه آنفا من الوقايتين والمحافظتين . والراجح عندنا أن مؤتمر هذا العام لا يتمكن من النظر في اختيار الخليفة مطلقا . بل نشك في قدرته على وضع نظام الخلافة وتقريره في عشرة الايام المحددة لاجتماع المؤتمر وقد اقترحت جريدة الاتحاد التي هي لسان الوزارة المصرية الحاضرة والبلاط الملكي تأجيل انتخاب الخليفة الى مؤتمر آخر يعقد في غير مصر

وليتدبر العقلاء والزعماء عاقبة فشل هذا المؤتمر وليعلموا أنه عار عظيم عليهم ومبطل للثقة بالدعوة إلى مؤتمر آخر وهو ما لا بدّ منه . فعليهم بالحزم والاقدام . وطرح الوساوس والأوهام . فقد ثبت ان في مصر من الحرية لاقامة هذا المؤتمر واستقلال جميع من يحضره بابداء آرائهم فيه بدون محاباة ولا مراعاة لغير المصلحة العامة

نص الدعوة الرسمية لحضور مؤتمر الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله محمد أبي الفضل شيخ الجامع الازهر الشريف ورئيس المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر

الى حضرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فاني أحمد الله اليكم ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الداعي إلى الله باذنه ، وعلى آله وصحبه الذين جمعوا كلمة المسلمين ، وأظهروا شأن الدين ، خصوصا الخلفاء الراشدين

ثم أنهي اليكم أنه لا بد أن يكون قد وصل الى علمكم ماقررته الهيئة العلمية الدينية الاسلامية الكبرى بالديار المصرية يوم الثلاثاء ١٩ شعبان سنة ١٣٤٢ هـ (٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ م) في شأن الخلافة، بعد أن حدث من الاتراك ماحدث في امرها

وانا ملحقون بكتابنا هذا صورة ماقررته الهيئة العلمية المشار اليها ، وقد تضمنت المادة الرابعة عشرة منه انه من الضروري أن يعقد مؤتمر ديني اسلامي عام يدعى اليه ممثلو جميع الامم الاسلامية للنظر في أمر الخلافة من الوجهة العلمية الدينية ، وأن يكون عقد المؤتمر برياستنا في مدينة القاهرة في شهر شعبان سنة ١٣٤٣ هـ (مارس ١٩٢٥ م)

وبعد ذلك ألفنا مجلساً إداريا للمؤتمر فاهتم بارسال ذلك القرار الى الامم الاسلامية ، وبدعوة ممثليها الى حضور المؤتمر العام ، واتخذ لذلك وسائل كارسال الكتب الخاصة والنشر في مجلة المؤتمر وفي الصحف السيارة ، وسعى في هذا الامر جهده ، ونشر قرار الهيئة العلمية بألسنة مختلفة في الجهات الاسلامية

وبعد ذلك جدت أمور لها اتصال بالحال الاسلامية العامة . وأهمها ماكان في جزيرة العرب من الاضطراب والحرب ، ووردت اقتراحات من أهل الرأي

والمكانة في العالم الاسلامي ، فكان من اللازم النظر في ذلك بما يلائمه وفاء بحق الاسلام والمسلمين

فاجتمع المجلس الاداري للمؤتمر برياستنا يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٣ هـ (١٧ يناير سنة ١٩٢٥ م) ونظر في هذه الشؤون فرآها تتطلب تريثا وسعة في الوقت تتجاوز الموعد المحدد لعقد المؤتمر ، فقرر تأجيله سنة مراعاة لتلك الاعتبارات ، ومحافظة على الصلة بين المسلمين ، وعلى جمع كلمتهم في أمر الخلافة ، وانتظاراً لأن يحضر المؤتمر أكثر عدد ممكن من ممثلي الشعوب الاسلامية وقدر المجلس أن هذه الفرصة الزمنية تسع انجلاء الحوادث التي غشيت جزيرة العرب ، وانقضاء الحرب من بلاد الحجاز ، وإنها من أهم البلاد الاسلامية التي ينبغي أن تمثل في المؤتمر ، وتسع معالجة الاقتراحات الواردة ، ومعالجة غير ذلك من الامور

***

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها في بلاد الحجاز اجتمع المجلس الاداري للمؤتمر برياستنا يوم الاربعاء ٢٠ رجب سنة ١٣٤٤ هـ (٣ فبراير سنة ١٩٢٦م) واطلع على الاجابات الواردة من الامم الاسلامية بالاشتراك في المؤتمر ، وقرر أن يعقد المؤتمر الاسلامي العام للخلافة في مدينة القاهرة ابتداء من يوم الخميس أول شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هـ (١٣ مايو سنة ١٩٢٦ م) ثم قرر أن تنتهي جلسات المؤتمر يوم السبت ١٠ شهر ذي القعدة (٢٢ مايو) المذكورين

وقرر أن توجه الدعوة العامة والخاصة الى الأمم الاسلامية ليحضر المؤتمر ممثلوها ممن يقع الاختيار عليهم من أهل العلم والرأي والمكانة .

فالاسلام يدعوكم الى حضور المؤتمر . وغيرتكم الدينية تحتم عليكم ذلك ، إن هذا المؤتمر أول مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه المسلمون ليؤدوا فريضة النظر في أهم شؤونهم الدينية ، وإن في ذلك لتشييداً لدعائم الاسلام ، ورأبا لصدع المسلمين ، فكل مسلم غيور على دينه يهمه أن يحضر المؤتمر الاسلامي العام ويتغلب على ما عسى أن يعترضه من المشقات في سبيل الله والدين

ان في حضور المؤتمر الاسلامي العام لمظهراً عظيما لاتحاد المسلمين وان تباعدت أقطارهم ، وتحقيقا لقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) ولقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ولقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) ولقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

فنرجو أن يأتينا منكم خطاب أو برقية في وقت قريب بحضوركم أو حضور من يقع الاختيار عليه من المندوبين للاحتفاظ بحقكم في التمثيل ، كما نرجو تعيين زمان الحضور الى القاهرة

إن النظر في أمر الخلافة أو الامامة العظمى ، والأخذ بالشورى مما يدعو اليه الدين الاسلامي ، وقد جاء في المادة الثانية عشرة من قرار الهيئة العلمية الدينية الاسلامية الكبرى (إن منصب الخلافة له فى نظر الدين الاسلامي ونظر جميع المسلمين من الأهمية مالا يعدله شيء آخر لما يترتب عليه من إعلاء شأن الدين وأهله ، ومن توحيد جامعة المسلمين ، وربطهم برباط قوي متين . فالواجب على المسلمين أن يفكروا في نظام الخلافة ، وفي وضع أسسه على قواعد تتفق هي وأحكام الدين الاسلامي ، ولا تتجافى عن النظم الاسلامية التي رضيها المسلمون نظما لحكمهم)

فندعوكم بلسان الدين الى حضور المؤتمر الاسلامي العام (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)

نسأل الله أن يحقق رجاء المسلمين ويمدهم بمعونته ، ويذلل لهم الصعاب ، وييسر لهم السبل حتى يحضر ممثلوهم المؤتمر الاسلامي العام ، ويشهدوا الله ورسوله والمؤمنين على أنهم قاموا بما أمر الله ، ولم يخشوا في الله لومة لائم

اللهم فاشهد أننا قمنا بما فيه الخير والصلاح ، وبيدك التوفيق والنجاح

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته م

رجب سنة ١٣٣٤ — شيخ الجامع الازهر

فبراير سنة ١٩٢٦ — ورئيس المؤتمر

(الختم)

تقريظ المطبوعات الحديثة

﴿ المصحف الشريف ، طبعة الحكومة الاخيرة له ﴾

كانت المصاحف الشريفة تكتب كالكتبة الأولى التي كتبها بعض كبار أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقرها أهل الحل والعقد وأمر الامام الأعظم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في عهد خلافته بتوزيع نسخ منها على الأقطار ليعتمد عليها فى الحفظ والنسخ ويسمى المصحف العثماني الرسمي المذكور بالمصحف الامام ، لأن المسلمين كانوا يأخذون عنه ما ينسخون من المصاحف في كل قطر ، واشترط العلماء المقرءون في القراءات المعتد بها أن تكون موافقة لرسم هذا المصحف فما لا يوافقه لا يعد من القرآن المتواتر الواجب الاتباع ، ولما ضعفت اللغة العربية بكثرة دخول الاعاجم في الاسلام اضطر المسلمون إلى نقط المصاحف وشكلها لأجل ضبط القراءة وعدم الغلط والتحريف فيها ممن لم يتلق القرآن من المقرئين الحافظين

ثم استحسن بعض الناس فى القرون الوسطى أن يغيروا من رسم المصحف الامام ما يشتبه فيه القارئ غير المتلقي عن القراء فيكتبوه بما استحدثوا من قواعد الرسم ففعلوا ، وأكثر ماغيروا يدخل في باب واحد وهو زيادة حرف المدّ في الممدود كالعالمين ومالك ، والكتاب ، وأبصارهم ، وغشاوة ، ويخادعون ، وطغيانهم ، والضلالة ، وظلمات ، والكافرين ، وأبصارهم ، والثمرات ، وصادقين ، والأنهار وأزواج — وأمثال ذلك مما يكثر حذف الالف فيه من رسم المصحف الامام . وهذه الأمثلة التي أوردناها هي من سورة الفاتحة ، وربع الحزب الأول من سورة البقرة ، فصاروا يكتبون ذلك كله بالألف . وقد ترك أكثرهم ألفاظاً أخرى أبعد عن قواعد الرسم مما ذكر لندرتها كالربا فان رسمها في المصحف بألف قبلها واو هكذا (الربوا) وكذا كلمة العلماء في قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلمؤا) وكالصلاة والزكاة فانهما فيه بالواو هكذا (الصلوة الزكوة) وجرت مطابع الاستانة وأكثر مطابع مصر وغيرها على هذا التغيير ، وكان ينبغي أن يذكر في آخرها تنبيه يبين فيه ذلك في المصاحف المطبوعة

والمخطوطة . وقد بقي في مصر وبعض بلاد الاعاجم من يستمسك باتفاق العلماء على وجوب اتباع رسم المصحف المأثور عن الصحابة (رض) ويحافظون على ذلك خطاً وطبعاً ومنه المصحف المعروف بمصحف أبي زيد والمصحف المعروف بمصحف المليجي من مطبوعات مصر ، والأول أصح وأضبط ، وأما مصاحف الاستانة فلم نر منها شيئاً من ذلك

ثم إن الحكومة المصرية عنيت بطبع مصحف لم يطبع مثله في بلاد الاسلام ، وقد ذكرنا في ترجمة المرحوم حفني بك ناصف خبر اللجنة التي ألفت لتحرير رسمه على أصح الروايات المدونة في الكتب التي ألفت في هذا الموضوع ، ولضبطه وتصحيحه وشكله وعد آياته ووضع علامات الوقف له . وقد أتمت اللجنة عملها وكتبت بيانها له وأمضته في ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧ وكانت حروفه كلها قد جمعت في المطبعة الاميرية الشهيرة ببولاق ، وقرىء كله مراراً كثيرة في عدة سنين حتى تمت الثقة بأنه خال من الغلط خلواً تاماً ، ثم طبع في مصلحة المساحة بالجيزة سنة ١٣٤٢ وطبع بيان اللجنة في آخره . وهو جدير بأن يعول عليه العالم الاسلامي كله . وقد طبع منه نسخ كبيرة على ورق سميك ، وطبعت نسخ أصغر منها على ورق رقيق كأحسن ما طبع في الاستانة بل خير منها . ولكن النسخ المطبوعة المعدة للبيع في مخازن وزارة المعارف لا تزال قليلة لا تفي ببعض الحاجة فعسى أن تزاد لتكفي حاجة مصر وسائر البلاد

وقد بينت اللجنة في التعريف الذي وضعته لهذا المصحف الشريف المآخذ التي اعتمدت عليها من الكتب المصنفة في الرسم وضبط الشكل ، والعد والتجزئة والتحزيب ، وبيان المكي والمدني ، ومواضع الوقوف وعلاماتها ، وسجدات التلاوة حتى السكتات التي يوجبها حفص الذي يقرأ مسلمو الشرق كلهم على روايته

وانفرد هذا المصحف باشكال من الحركات والحروف للضبط والوقف والاداء الموافق لقواعد فن التجويد فصلته اللجنة في بيانه . ومما لم أستحسنه من هذه الاصطلاحات إغفال بعض الحروف من علامة السكون للدلالة على الادغام — وكذا الاخفاء — من تجويد الاداء وتشديد الحرف المدغم فيه ، فان أكثر القراء في هذه المصاحف لا يقرؤن بيان اللجنة لهذه الاصطلاحات ، وأكثر من يقرؤها من العوام لا يفهمون المراد منها ، فكان الأولى أن يكون الشكل كاملا على المعهود في سائر المصاحف ويزاد عليها الشدة الدالة على الادغام منفردة كما في بعض المصاحف الهندية ، وكذا علامة الاقلاب .

تقرير الدكتور فخري

(طبيب الجلد والأمراض التناسلية عن انتشار البغاء والأمراض التناسلية بالقطر المصري ، وبعض الطرق الممكن اتباعها لمحاربتها)

رفع الدكتور تقريره هذا سنة ١٩٢٤ لحضرة صاحب الجلالة الملك، وحضرات أصحاب السمو الامراء ، وحضرات أصحاب الفضيلة العلماء ورؤساء الدين ، وجميع الهيئات الرسمية وغير الرسمية بالقطر المصري

تكلم فيه عن البغاء الرسمي وغير الرسمي بمصر القاهرة ، وتعرض فيه لبعض إحصائيات عن عدد العاهرات الاجنبيات والوطنيات بمصر ، وقال إنه يأسف جد الاسف لعدم عناية مصلحة الصحة برقابتهن بطريق جدي يخفف من أضرارهن ، ويقف تيار العدوى بالامراض الجلدية والتناسلية التي فشت في هذه الامة البائسة أن أهملت دينها ، ونسيت كرامتها وشرفها ، ولا سيما العاهرات الاجنبيات ذوات الدرجة الاولى ، فانهن لا يخضعن لنظام الكشف الطبي على مافيه من نقص فاحش ، فاصبحن شراً مستطيراً وخطراً كبيراً

والذي يقف على تقرير الدكتور يشعر بالالم الشديد مما وصلت اليه حالة البلاد الادبية، الصحية من الانحطاط والتدهور وحسب القارىء أن يرى من احصائيات الدكتور أن عدد (من عرف من) المصابين بالامراض الجلدية والتناسلية في عام واحد سنة ١٩٢٠ بسبب البغاء الرسمي وغير الرسمي (٨٢٠٢٠٠) ثمانمائة وعشرون ألفاً ومائتان . وقد ألحى الدكتور — في أدب وصراحة — باللائمة على النظام المتبع في رقابة العاهرات بمصر، وقارن بينه وبين نظم الدول الاخرى ، وطلب من الحكومة بالحاح العناية برقابة هذه الطائفة كي يخف ضررها. وللدكتور في وصف أضرار العاهرات كلمات مؤثرة تشف عن وجدان صادق، واحساس شريف. اذ يقول وهو يصف العاهرات ذوات الدرجة الاولى: « فبعضهن يحترفن حرفة التمثيل أو الرقص أو الخدمة في بعض محال التجارة أو القهاوي والبارات وغيرها من الأعمال

« وفي ساعات فراغهن ينتشرن كجيوش الجراد في أنحاء العاصمة ليلقين شباكهن على شبيبة البلاد ورجالها وكهولها ، ولهن من جمال شكلهن وسحر عيونهن الجنسي الوراثي أسلحة قوية للفتك بعقول الطائشين ! ولمهاجمة قلوب

من يتعطشون للجمال الاوربي الخلاب ، ولهن من خروجهن على رقابة البوليس نوع من الكرامة يسحر كثيراً من الرجال الذين تعوَّدت نفوسهم أن تمج كل ماله علاقة بالعاهر الرسمية . هذه هي الافعى صاحبة صولجان الامتيازات ، وتلك هي عقرب مصر الذي يتغذى من دماء أبنائها ، ويسمم حياة رجالها ، ويقتل مستقبلها تحت ستار نوع من الانظمة لو وجهت له عناية قليلة لقلَّ شره ، وضعفت مصيبته » اه (ص ١٢ و١٣)

ثم تكلم الدكتور على الاسباب التي تحمل على انتشار البغاء ، وأهمها وجود المواخير المصرح بها في القطر ، واهمال الرجل زوجه وصرفه الوقت الطويل في المقاهي وأماكن الطرب واللهو ، وترك دور التمثيل الساقط يدخلها الشبان والنساء بدون رقابة ، وكثرة الزواج الاجباري مع جهل الآباء بمصير بناتهم وبنيهم ، ومثله في ذلك الزواج النفعي ، واختلال حال البلاد الاقتصادية ، ونقص برامج التعليم

ثم تكلم على طرق مقاومة البغاء وقال : لابد فيها من وضع حد للرجل ، لأنه شريك للمرأة في ذلك الفساد ، فاذا ضيق على العاهر وترك الرجل وشأنه لا يعدم بجبروته امرأة أخرى يفسدها حتى تصير عاهراً ، وهكذا . ولا بدَّ من رفع المستوى الاخلاقي ، وتعاون رجال الدين والتربية مع رجال السلطة في تنمية روح الفضيلة في نفس الناشئين ، ومنع المواخير الرسمية . ويرى الدكتور كما يرى غيره ممن بحثوا نظام العاهرات أن منع البغاء دفعة — وان كان فيه شيء من الضرر — الا أنه أخف ضرراً من هذه الفوضى التي وصلت اليها حالة البلاد ، ويطلب من جميع الهيئات التعاون على منعه

واني أشكر للدكتور فخري غيرته الشديدة على حالة البلاد الصحية والخلقية واخلاصه لمهنته ، وقيامه بما توجبه عليه . ولو أن كل طبقة تقدمت لحكومة البلاد بما لديها من ضجيج وما يتفق مع عملها لتحسنت الحالة ، ونهضنا بأمتنا نهضة مباركة محمد العدوي

﴿ المنار ﴾ ان في هذا التقرير من العبر أعظم مما اختار الاستاذ المقرظ منه بل كله فوائد وعبر لمن يريد أن يعتبر ، وأين المعتبرون ؟ ان التقرير يثبت لنا أن جل رزايا فاحشة البغاء ، سببها التفرنج ، حتى إن تقليد نسائنا للاوربيات

في طرز الازياء (الموضه) هي أكبر أسباب البغاء السري الوطني . ومع هذا نرى كتابنا ومنتحلوا الفلسفة والتجديد فينا دائبين على ترغيب النساء والرجال في السير فى هذا التقليد الى آخر حدوده بلبس (البرنيطة) ليجهزوا على هذه الامة في أجسادها وأرواحها وأموالها

﴿ خاتمة المجلد السادس والعشرون ﴾

باسم الله وبحمده نختتم المجلد السادس والعشرين من المنار ، وهو المحمود في كل حال ، وفي بدء كل أمر ذي بال وختام ، ولا نزال نحن والمشتركون في المنار على ما وصفنا في خواتيم السنين الماضية من تقصير ، يقصرون عمداً في الأداء والوفاء، فنقصر اضطراراً في المضاء ، ونقصر عمداً في الاقتضاء والتقاضي، وفي أمثال العوام « المال السائب — أي المسيّب — يعلم الناس الحرام »وقد كان من عاقبة تقصيرنا في المطالبة ، وترك الأمر الى أريحيّة المشتركين وديانتهم، وعدم محاكمة الماطلين منهم ، أن رأينا غرائب من الدناءة والطمع من أغنيائهم ووجهائهم ، منها أن غنياً مترفا من أصحاب القصور الفخمة ، والمركبات الكهربائية ، والخدم والوصائف من الافرنج والبرابرة ، طلب بعد تكرار المطالبة وصلا باشتراك المجلة عن سنين لم يدفع فيها شيئًا فأعطيه ، فأخذه وضرب موعداً قريباً للدفع ولم يدفع فيه ، ثم ضرب موعداً آخر فموعداً آخر فموعداً آخر — وقد مرّت السنون على هذه المواعيد العرقوبية ، وهو لا ينكر الوصل ، ولعله لو قوضي الى المحكمة لأنكره ، أو دفع المال تفاديا من المحاكمة

وأعجب من أمر هذا الغني الضعيف فى العلم والدين وشرف النفس والبيت امر غني آخر معدود من علماء الدين المؤلفين، ومن السادة العلويين، مطل ولوى عدة سنين ، ثم أعطى قليلا مما عليه وأكدى ، ثم قال لجابي المجلة بعد سنين أخرى إنه يجب أن يعفى من الاشتراك الماضي والمستقبل لعلمه وشرفه (!!) فان كانت هذه آيات العلم والشرف وثمراتهما ، فلابدّ أن تكون آيات ضدهما ـ وهما الجهل والخسة ـ وثمرتهما في النفس ـ الوفاء وأداء الحق، ومساعدة نشر الدين والعلم ، والترفع عن مثل هذا السؤال ،واستثقال حمل منن الرجال ، وإذاً يكون الجهل أفضل من العلم ، وخسة الانساب أفضل من شرفها (!!) كلا بل كان حرمان منتحلي العلم الديني

وحاملي شهادات الانساب من التربية الدينية العالية، سببا لضياع ماكان لسلفهما من الاحترام والمكانة ، اذ كانوا أكرم الناس وأعزهم أنفساً

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما

قد شرحنا في الجزء الرابع من هذا المجلد الذي صدر في آخر المحرم أنواع الاعمال الكثيرة التي تزاحم اشتغالنا بتحرير المنار ، وقد زادت بعد ذلك عما ذكر فيه نوعاأو نوعين ، ثم سافر بعد صدوره بشهر أو شهرين وكيل الادارة الى سورية فمكث بضعة أشهر فزادت صنفا أو صنفين ، حتى اضطررنا الى تأخير بعض الأجزاء عن موعدها ، ثم استعنا الله تعالى على تدارك هذا التقصير حتى جعلنا خاتمة هذه السنة سلخ رمضان كالتي قبلها

وقبل تمام هذا الشهر نفسه يتم لنا ما كنا شرعنا فيه ووعدنا به في خاتمة المجلد السابق من توسيع المطبعة وإدارتها بقوة الكهرباء، فتتوفر الأسباب لانجاز طبع المنار وسائر مطبوعاتنا بالسرعة والاتقان . وسيكون أكبر همنا في المجلد السابع والعشرين موجهاً الى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا في هذه الأيام في تعميم دعوتهم الى هدم العقائد ، والتجرئة على الفواحش والرذائل ، وتقطيع الروابط المليـة والقومية ، وإعداد الأمة لقبول السيطرة الأجنبية ، وجميع الفتن المادية حتى البلشفية ، والى مجاهدة البدع والخرافات القديمة التي يبثها أهل الطرق التي تسمى صوفية ، وما ولدته من البدع الحديثة كالمسيحية القاديانية ، وكل هذا من قبيل الهدم . ثم الى تأييد دعوة الاصلاح ، وتجديد أمر الاسلام ، بالرجوع في عقائده وعباداته إلى القرن الاول ، والاعتماد في قوته وعزته على فنون العصر الحاضر ، وهذا هو البناء المطلوب ، ولعله لايتم إلا في جزيرة العرب ، كما أشارت اليه الاحاديث النبوية

وإننا نكل الى دين قرائنا ومروءتهم وشرفهم أمر الوفاء لنا بتسديد قيمة الاشتراك في وقتها ، ومساعـدتنا على جهادنا بكتابة المقالات ، وانتقاد مايرون من الخطأ فيما ننشره (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) والله ولي المتعاونين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين


Bibliotheca Alexandrina
0551749
